سلسلة: شراب النسيم مع النبي الكريم ﷺ



« إن شانئك هو الأبتر »

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

المجلد الثاني

الناشر

دار العفاني


وامحمداه
«إن شانئك هو الأبتر»

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيـــداع	٢٠٠٦/٢٢٦٩١

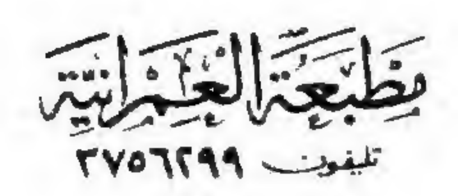
دار العفاني

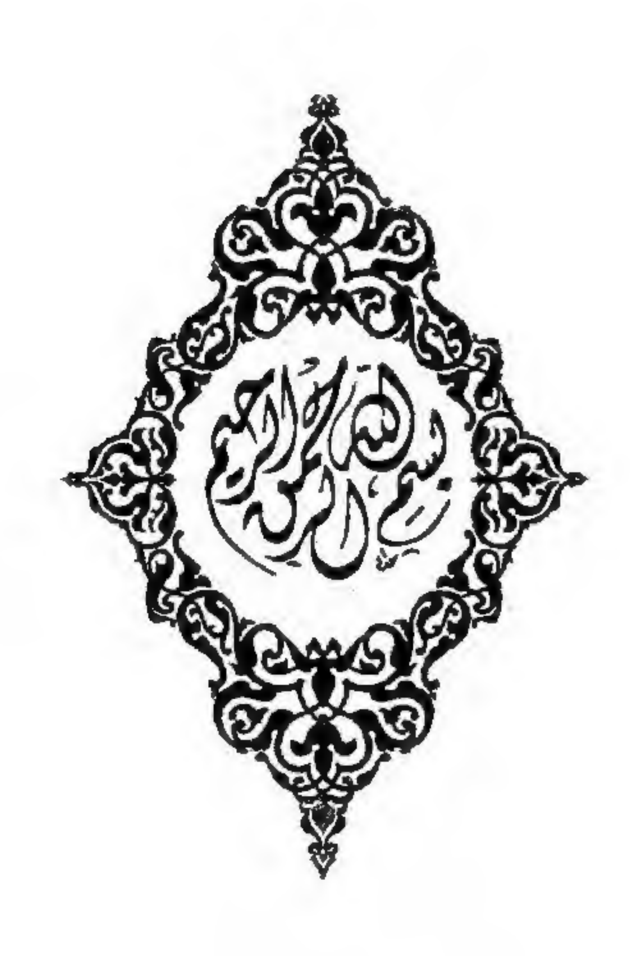
٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

ت/٠٢/٥١٠٨٢٥٧ - ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١

فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف

ت/٠٨٢/٢٣١٢٣٤٤







وَمِيضُ البَرْقِ
في
ذِكرِ شَانئي سيد الخَلْقِ

وَمِيضُ البَرْق في ذِكرِ شَانئي سيد الخَلْق

*** هشامُ بنُ الحَكَم الرَّافضي، يُجوِّزُ المعصية على النبي ﷺ، ولا يُجوِّزُها على الأئمَّة:**

شيخُ الهشاميَّة من الرافضة.. ضَمَّ إلىٰ حَيْرته في الإمامة، ضلالتَه في التجسيم، وبدعتَه في التشبيه.

❏ قال عبدُالقاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق»: «كان هشامٌ يُجيز علىٰ الأنبياء العصيانَ، مع قوله بعصمةِ الأئمة من الذنوب، وزَعم أن نبيَّه ﷺ عَصَىٰ ربَّه - عز وجل - في أخْذِه الفداءَ من أُسارىٰ بدر، غيرَ أن اللَّهَ - عز وجل - عفا عنه، وتأوَّلَ علىٰ ذلك قولَ اللَّه تعالىٰ: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح: ٢]، وفَرَّق في ذلك بين النبي والإمام: بأن النبي إذا عَصَىٰ أتاه الوحْيُ بالتنبيه علىٰ خطاياه، والإمامَ لا يَنزلُ عليه الوحيُ، فوجب أن يكون معصومًا عن المعصية. وكان هشامٌ علىٰ مذهب «الإمامية» في الإمامة، وأَكْفَره سائرُ الإمامية بإجازته المعصيةَ علىٰ الأنبياء»[1].

❏ «وذَكر هشامُ بنُ الحكم أن معبودَه ذو حَدٍّ ونهاية، وأنه طويلٌ، عريضٌ، عميقٌ، وأن طولَه مثلُ عرضِه، وعَرضَه مِثلُ عُمْقِه.. وزعم أيضًا أنه نورٌ ساطعٌ يتلألأُ كالسَّبيكةِ الصافية من الفِضَّة، وكاللؤلؤةِ المستديرة من

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٦٨)، وانظر «مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠) وما بعدها.

جميعِ جوانبها، وزعم أيضًا أنه: ذو لَون، وطعمٍ، ورائحة، ومجَسَّة، وأن لونه هو طَعمُه، وطعمَه هو رائحتُه، ورائحتَه هي مجستُّه، ولم يُثبت لونًا وطعْمًا هما غيرُ نفسه، بل زعم أنه هو اللونُ وهو الطَّعْم.

وذَكَر أبو الهُذَيْل العَلاَّف ـ شيخ المعتزلة ـ في بعض كُتُبه: «أنه لَقي هشامَ بنَ الحكم في مَكَّةَ عند جبل «أبي قُبَيْسٍ»، فسأله: أيهما أكبرُ: معبودُه أم هذا الجبل؟ قال: فأشار إلىٰ أن الجبل يُوفي عليه تعالىٰ، وأن الجبل أعظمُ منه».

وذكر أبو عيسىٰ الورَّاقُ في كتابه: أن بعض أصحابِ هشامٍ أجابه إلىٰ أن اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ مماسٌّ لعرْشه، لا يفضلُ عن العرْش، ولا يفضل العرشُ عنه.

وقد رُوي أن هشامًا ـ مع ضلالته في التوحيد ـ ضلَّ في صفاتِ اللّه أيضًا؛ فأحالَ القولَ بأن اللّه لم يزَل عَالِمًا بالأشياء»[1].

* أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سُيَّارٍ «النَّظَّام» شيخ المعتزلة:

هو أبو إسحاقَ، إبراهيمُ بنُ سيَّار، المعروف بـ «النظَّام»، وهو ابنُ أختِ أبي الهُذَيل العَلاَّف[2]، ومنه أخذ الاعتزال. وقيل له «النَّظَّام»؛ لأنه كانَ يَنظِمُ الخَرَزَ في سُوق البصرة.

اطَّلَع علىٰ كثيرٍ من كتب الفلاسفة الطبيعيِّين والإلهيِّين إلىٰ أن ذهب المذهبَ الذي أنكره عليه المسلمون.

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٦٥، ٦٦، ٦٧).

(٢) يُنظر في «عصمة الأنبياء» كتابي الآتي «الكوكب الدريّ في خصائص النبي».

◘ قال عبدُالقاهر البغدادي في «الفَرق بين الفِرق»: «وكان في زمانِ شبابه قد عاشرَ قومًا من «الثَّنويَّة»، وقومًا من «السُّمنية» القائلين بتكافؤ الأدلَّة، وخالَط بعد كِبَره قومًا من مُلْحِدَةِ الفلاسفةِ، ثم خالَطَ هشامَ بنَ الحكم الرافضيَّ، فأخذ عن هشامٍ وعن مُلحدةِ الفلاسفة قولَه بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنىٰ عليه قولَه بالطَّفْرة التي لم يَسْبِق إليها وَهْمُ أحدٍ قبله.. ودوَّن مذاهبَ الثنوية، وبِدَعَ الفلاسفة، وشُبَهَ الملحدة في دينِ الإسلام، وأُعْجِب بقول البَراهِمة بإبطال النُّبُوَّات، ولم يَجْسَرْ علىٰ إظهـارِ هذا القولِ خَوْفًا من السيف، فأنكَر إعجازَ القرآن في نَظْمِه، وأنْكَر ما رُوِي من معجزاتِ نبيِّنا ﷺ ـ مِن انشقاقِ القمر، وتسبيحِ الحَصَىٰ في يده، ونبوعِ الماء مِن بيْن أصابعه ـ، ليتوصَّلَ بإنكار معجزات نبيِّنا عليه السلام إلىٰ إنكارِ نُبُوَّته.

ثم إنه استَثقل أحكامَ شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجْسَرْ علىٰ إظهار دفْعها، فأبطل الطُّرُق الدَّالةَ عليها، فأنكر لأجل ذلك حُجَّة «الإجماع» وحُجَّةَ «القياس» في الفروع الشرعية، وأنْكَر الحُجَّةَ من الأخبار التي لا تُوجبُ العلمَ الضروريَّ، ثم إنه عَلِم إجماعَ الصحابة علىٰ الاجتهاد في الفروع الشرعية، فذَكَرهم بما يقرؤه غداً في صحيفةِ مخازيه، وطَعَن في فتاوىٰ أعلام الصحابة ﷺ.

وجميعُ فِرَقِ الأمة ـ من فريقيِ الرأي والحديث، مع الخوارج، والشيعة، والنجَّارية، وأكثرِ المعتزلة ـ متَّفقون علىٰ تكفير النظَّام، وإنما تَبِعه في ضلالته شِرذمةٌ من القَدَريَّة ـ كالأسواري، وابن خابط، وفضل الحدثي، والجاحظ ـ، ومع مخالفَة كلِّ واحدٍ منهم له في بعضِ ضلالاته وزيادةِ بعضِهم عليه فيها.

وإعجابُ هؤلاء النَّفرِ اليسير به كإعجابِ الجُعَل بِدُحْرُوجته.

وقد قال بتكفيره أكثرُ شيوخ المعتزلة، منهم أبو الهذيل، والجُبَّائي، والإسكافي، وجعفرُ بن حرب.

وأما كُتب أهل السُّنة والجماعة في تكفيره، فاللَّه يُحصيها، ولشيخنا أبي الحسن الأشعري ـ رحمه اللَّه ـ في تكفيرِ النَّظَّام ثلاثةُ كتب، وللقلانسي عليه كتبٌ ورسائل.

وللقاضي أبي بكر محمدِ بنِ الطيِّب الأشعريِّ ـ رحمه اللَّه ـ كتابٌ كبير في نقضِ أصول النَّظَّام»[1].

وفضائحُه كثيرةٌ.. فَضَحه اللَّهُ في الدنيا بها قبل الآخرة.

◘ فمن فضائحه: «قوله بأن أفعالَ الحيوانِ كلَّها من جنسٍ واحد، وهي كلُّها حركةٌ وسكون، والسكونُ عنده حركةُ اعتماد، والعلومُ والإرادات عنده من جُملةِ الحركات ـ وهي «الأعراضُ» ـ، والأعراضُ كلُّها عنده جنسٌ واحد، وهي كلُّها حركات، فأمَّا الألوانُ والطعومُ والأصواتُ والخواطر، فهن عنده أجسامٌ مختلفةٌ ومتداخِلة، ونتيجةُ قوله «بأن أفعالَ الحيوان جنسٌ واحد» توجِبُ عليه أنْ يكون الإيمانُ مثلَ الكفر، والعِلمُ مثلَ الجهل، والحبُّ مثلَ البغض، وأن يكون فِعلُ النبي ﷺ بالمؤمنين مِثلَ فِعلِ إبليسَ بالكافرين، وأن تكون دعوةُ النبيِّ ﷺ إلىٰ دينِ اللَّه تعالىٰ مِثلَ دعوةِ إبليسَ إلىٰ الضلالة، وقد قال في بعض كتبه: «إن هذه الأفعالَ كلَّها جنسٌ واحد، وإنما اختلَفت أسماؤها لاختلافِ أحكامها، وهي في الجنسِ واحد؛ لأنها

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص١٣١ ـ ١٣٣) بتصرف بسيط.

كلَّها أفعالُ الحيوانات».

ولا يَفعلُ الحيوانُ عنده فِعلَينِ مختلفين، كما لا يكونُ من النار تبريدٌ وتسخين.

ويلزمُه على هذا الأصل أن لا يغضبَ على مَنْ شَتَمه ولَعَنه؛ لأنَّ قولَ القائل: «لعن اللَّه النَّظَّام» عند النظام مثلُ قوله: «رَحِمه اللَّه»، وقوله: «إنه ولدُ زنى» كقوله: «إنه ولد حَلال»، فإنْ رَضِيَ لنفسه بمثل هذا المذهب، فهو أهلٌ له ولِمَا يلزمُه عليه»[1].

◻ ومِن فضائحه: «وهي التي تكادُ السماواتُ يتفطَّرن منه، وهي دَعْوَاه أنه لا يُعْلَم - بإخبارِ اللَّه عز وجل ولا بإخبارِ رسوله ﷺ، ولا بإخبارِ أهل دينه - شيءٌ على الحقيقة، ودعواه أن الأجسامَ والألوان لا يُعلمانِ بالأخبار.

والذي ألجأه إلى هذا القولِ الشنيعِ قولُه بأن المعلوماتِ ضربان: «محسوسٌ، وغير محسوس»، والمحسوس منها أجسام، ولا يصحُّ العلمُ بها إلاَّ من جِهةِ الحِسِّ، والحسُّ عنده لا يقعُ إلاَّ على جسم، واللونُ والطعمُ والرائحةُ والصوتُ عنده أجسام.

قال: «ولهذا أدركتُ بالحواس».

وأما غيرُ المحسوس فضربان: قديم، وعَرَض، وليس طريقُ العلمِ بهما الخبر، وإنما يُعْلَمانِ بالقياسِ والنظر، دون الحسِّ والخبر.

فقيل له على هذا الأصل: «كيف عرفتَ أن محمداً ﷺ كان في

(١) «الفرق بين الفرق» (ص١٣٨).

الدنيا، وكذلك سائرُ الأنبياء والملوك، إن كانتِ الأخبارُ عندك لا يُعلم بها شيء؟».

فقال: «إن الذين شاهَدُوا النبيَّ ﷺ اقتَطعوا منه حين رأوه قطعةً توزَّعُوها بينهم، ووصَلُوها بأرواحهم، فلما أَخبروا التابعين عن وجوده خرج منهم بعضُ تلك القطعةِ، فاتَّصل بأرواحِ التابعين، ففرَّقَه التابعون لاتصالِ أرواحِهم ببعضه، وهكذا قَصَّةُ الناقلون عن التابعين ومَن نقلوا عنهم إلىٰ أن وصل إلينا».

فقيل: «قد علِمَتِ اليهودُ والنصارىٰ والمجوس والزنادقة أن نبينًا عليه السلام كان في الدنيا، أفتزعمُ أن قِطعةً منه اتَّصلت بأرواحِ الكفرة؟».

فالتَزَم ذلك، فأُلزِمَ أن يكون أهلُ الجنة إذا اطلَعُوا علىٰ أهل النار ورآهم أهلُ النار أو خاطَبَ كلٌّ واحد من الفريقين الفريقَ الآخرَ أن تنفصلَ قطعةٌ من أرواحِ كلٍّ واحدٍ منهم فتتصل بأرواحِ الفريق الآخر، فيدخل الجنةَ قطعٌ كثيرةٌ من أبدان أهل النار وأرواحهم، ويدخُل النارَ قطعٌ كثيرةٌ من أبدان أهلِ الجنة وأرواحهم، وكفاه بالتزام هذه البدعة خزيًا»[1].

◻ ومن فضائحه: قوله: «إن نَظْمَ القرآن وحُسْنَ تأليف كلماته ليس بمعجزةٍ للنبيِّ ﷺ، ولا دلالةِ علىٰ صِدقهِ في دعواه النبوةَ، وإنما وَجْهُ الدلالة منه علىٰ صِدقِه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما نَظْمُ القرآن وحسنُ تأليف آياته، فإنَّ العِبادَ قادرون علىٰ مِثله، وعلىٰ ما هو أحسن منه في النظم والتأليف».

(١) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٠ـ١٤١).

* وفي هذا عِنَاد منه لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولم يكن غَرضُ منكرِ إعجازِ القرآن إلاَّ إنكارَ نبوَّةِ مَن تحدَّىٰ العربَ بأن يعارضوه بمثله»(١) .

☐ ومن فضائحه: «قوله: بأن الخبر المتواتر ـ مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف هِمَمِ الناقلين واختلافِ دواعيها ـ يجوزُ أن يقعَ كذبًا، هذا مع قوله: بأن من أخبارِ الآحادِ ما يُوجِبُ العلمَ الضروريَّ.

وقد كَفَّره أصحابُنا مع موافقيهِ في الاعتزال في هذا المذهب الذي صار إليه».

☐ ومن فضائحه: «تجويزُه إجماعَ الأمةِ في كلِّ عصرٍ وفي جميعِ الأعصارِ علىٰ الخطأ من جهةِ الرأي والاستدلال.

ويلزمُه علىٰ هذا الأصلِ أنْ لا يثقَ بشيءٍ مما اجتَمَعت الأمةُ عليه؛ لجوازِ خطئهم فيه عنده، وإذا كانت أحكامُ الشريعةِ منها ما أخذه المسلمون عن خبرٍ متواتر، ومنها ما أخذوه عن أخبارِ الآحاد، ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهادٍ وقياس، وكان النَّظَّامُ دافعًا لحُجَّةِ التواتر، ولحُجَّةِ الإجماع، وقد أبطل القياسَ وخبرَ الواحد إذا لم يُوجَدِ العلمُ الضروريُّ، فكأنه أراد إبطالَ أحكامِ فروع الشريعة لإبطالِه طُرُقَهَا»(٢) .

☐ ومن فضائحه: «قوله في الإيمان: «إنه اجتنابُ الكبيرة فحسب».

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٣).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٣ ـ ١٤٤).

ونتيجة هذا القول أن الأقوالَ والأفعالَ ليس شيءٌ منها إيمانًا، والصلاةُ عنده وأفعالُها ليست بإيمانٍ، ولا مِن الإيمان، وإنما الإيمانُ فيها تَركُ الكبائرِ فيها»[1] .

□ ومن فضائحه: «قوله في باب المعاد بأن العقاربَ والحيَّاتِ والخنافسَ والذبابَ والغِربانَ والجُعْلانَ والكلابَ والخنازيرَ ـ وسائرَ السِّباع والحشرات ـ تُحْشَر إلى الجنة، وزَعَم أن كلَّ مَن تفضَّل اللَّه عليه بالجنَّة لا يكونُ لبعضهم على بعضٍ درجةٌ في التفضيل، وزعم أنه ليس لإبراهيمَ ابنِ رسولِ اللَّه ﷺ في الجنة تفضيلُ درجةٍ على درجاتِ أطفالِ المؤمنين، ولا لأطفالِ المؤمنين فيها تفضيلٌ بدرجةٍ أو نعمةٍ أو مرتبةٍ على الحيَّات والعقاربِ والخنافس؛ لأنه لا عَمَلَ لهم كما لا عَمَلَ لها. . فحَجَرَ على ربِّ العالمين أن يتفضَّل على أولادِ الأنبياء بزيادةِ نعمةٍ لا يتفضَّلُ بمثلِها على الحشرات، ثم لم يَرْضَ بهذا الحَجْرِ حتى زَعَم أنه [سبحانه] لا يَقدِرُ على ذلك.

وزعم أيضًا أنه لا يتفضَّلُ على الأنبياءِ عليهم السلام إلاَّ بمثلِ ما يتفضَّلُ به على البهائم؛ لأن بابَ الفضلِ عنده لا يختلفُ فيه العالِمون وغيرهم، وإنما يختلفون في الثواب والجزاء لاختلافِ مراتبهم في الأعمال.

وينبغي للنظَّام على هذا الأصل أن لا يغضبَ على من قال له: «حَشَرك اللَّه مع الكلاب والخنازير والحيَّات والعقارب إلى مأواها». . ونحن ندعو له بهذا الدعاء الذي رَضِيَ به لنفسه»[2] .

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٥).

□ «ثم إن النظام ـ مع ضلالاته التي حكيناها عنه ـ طَعَن في أخبار الصحابة والتابعين من أجلِ فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظُ عنه في كتاب «المعارف» وفي كتابه المعروف بـ «الفتيا» أنه عَابَ أصحابَ الحديث ورواياتِهم أحاديثَ أبي هريرة ﷺ، وزَعم أن أبا هريرة كان أكْذَبَ الناسِ، وطَعَن في الفاروق عمر ﷺ، وزعم أنه شكَّ يوم الحُدَيْبية في دينه، وشكَّ يومَ وفاةِ النبي ﷺ، وأنه كان فيمن نَفَر بالنبي ﷺ ليلةَ العقبة، وأنه ضَرَب فاطمة، ومَنَع ميراث العِترة، وأنكر عليه تغريبَ نَصْرِ بنِ الحجاج من المدينة إلى البصرة، وزعم أنه ابتدع صلاة «التراويح»، ونهى عن مُتْعَة الحج، وحرَّم نكاح الموالي للعربيات.

وعاب عثمانَ ﷺ بإيوائه الحكَمَ بنَ العاص إلى المدينة واستعمالِه الوليدَ بنَ عُقْبَةَ على الكوفة حتَّى صَلَّى بالناس وهو سكران.

وعابه بأن أعان سعيدَ بنَ العاص بأربعين ألف درهم على نكاحٍ عَقَده، وزعم أنه استأثر بالحِمى.

ثم ذكر عليًّا ﷺ، وزعم أنه سُئِل عن بَقرةٍ قَتلت حماراً، فقال: «أقول فيها برأيي»، ثم قال بجهله: «مَنْ هو حتى يَقضيَ برأيه؟».

وعاب ابنَ مسعود ﷺ في قوله في حديث تزويج بِرْوَع بنتِ واشق: «أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمن اللَّه ـ عز وجل ـ، وإن كان خطأ فمني».

وكذَّبه في روايته عن النبي ﷺ أنه قال: **«السعيدُ مَنْ سَعِد في بطن أمه، والشَّقِيُّ مَن شَقِيَ في بطنِ أمه»**.

وكذَّبه أيضًا في روايته انشقاقَ القمر، وفي رُؤْية الجنِّ ليلة الجن.

* فهذا قولُه في أخيار الصحابة وفي أهل بَيْعَةِ الرضوان الذين أنزل اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. ومَنْ غَضِب علىٰ من رضي الله عنهم فهو المغضوبُ عليه دونه.

ثم إنه قال في كتابه: «إن الذين حكموا بالرأي من الصحابة إمَّا أن يكونوا قد ظَنُّوا أن ذلك جائزٌ لهم، وجَهِلوا تحريمَ الحكم بالرأي في الفتيا عليهم.. وإما أنهم أرادوا أن يُذْكَرُوا بالخلاف وأن يكونوا رؤساءَ في المذاهب، فاختاروا لذلك القولَ بالرأي».

فنَسَبهم إلىٰ إيثارِ الهوىٰ علىٰ الدين، وما للصحابة رضي الله عنهم عند هذا الملحدِ الفرِي(١) ذنبٌ غيرُ أنهم كانوا موحِّدِينَ لا يقولون بكفرِ القَدَرِيَّة الذين ادَّعَوْا مع اللَّه تعالىٰ خالِقِينَ كثيرين.

وإنما أنكر علىٰ ابن مسعود روايته: «إن السعيد مَن سَعِد في بطنِ أُمِّه، والشَّقيَّ مَن شَقِيَ في بطنِ أمه»؛ لأن هذا خلافُ قول القَدَرِيَّةِ في دعواها في السعادة والشقاوة، ليستأمنَ قضاءَ اللَّه - عز وجل - وقَدَرَه.

وأما إنكارُه انشقاقَ القمر، فإنما كَره منه ثبوتَ معجزةٍ لنبينا ﷺ، كما أنكر معجزتَه في نظم القرآن، فإن كان أحال انشقاقَ القمرِ - مع ذِكرِ اللَّه عز وجل ذلك في القرآن مع قوله مِن طريق العقل -، فقد زَعَم أن جامعَ أجزاءِ القمر لا يُقْدَرُ علىٰ تفريقها، وإن أجاز انشقاقَ القمر في القُدْرة والإمكان، فما الذي أوجب كَذِبَ ابنِ مسعود في روايته انشقاقَ القمر مع ذِكرِ اللَّه - عز

---

(١) تقول: هذا رجل فَرِيٌّ - بوزن غنيٌّ - تريد أنه يفتري الكذب ويختلقه.

وجل ـ ذلك في القرآن في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٢]؟! فقول النظَّام بأن انشقاقَ القمرِ لم يكن أصلاً، شرٌّ من قول المشركين الذين قالوا لما رأوا انشقاقه: «إن ذلك واقعٌ بسِحْرٍ»، ومنكِرُ وجودِ المعجزة شرٌّ ممن تأوَّلَهَا على غيرِ وجهها.

وأما إنكارُه رؤيَةَ الجنِّ أصلاً، فيلزمه أن لا يَرى بعضُ الجنِّ بعضًا، وإن أجاز رؤيتَهم، فما الذي أوجب تكذيبَ ابنِ مسعود في دعواه رؤيتَهم؟.

ثم إن النظَّام ـ مع ما حكيناه من ضلالاته ـ كان أفْسَقَ خلقِ اللَّه ـ عز وجل ـ، وأجْرَأَهم على الذنوب العِظام، وعلى إدْمانِ شرب المُسكِر، وقد ذكر عبدُاللَّه بن مُسْلم بن قتيبة ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب «مختلف الحديث» أن النظَّام كان يغدو على مُسكر، ويروحُ على مسكر، وأنشد قوله في الخمر:

ما زلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقِّ في لُطفٍ ... وأستَبِيحُ دَمًا مِنْ غَيْرِ مَذْبُوحِ
حَتَّى انْتَشَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي بَدَنٍ ... وَالزِّقُّ مُطَّرَحٌ جِسْمٌ بِلاَ رُوحِ

ومَثَلُه في طعنِه على أخيارِ الصحابة ـ مع بدعتِه في أقواله وضلالته في أفعاله ـ، كما قيل في الأمثال السائرة: «إن مَنْ كان في دينه ذَميمًا، وفي أصله لئيمًا، لم يترك لنفسه عاراً يُتَّهَمُ به إلاَّ نَحَلَه كريمًا، واستباح به حريمًا»، وهل يَضُرُّ السحابَ نُبَاحُ الكلاب؟ وكما لا يضرُّ السحابَ نباحُ الكلاب، كذلك لا يضرُّ الأبرارَ ذمُّ الأشرار، وما مَثَله في طعنِه على أخيار الصحابة ـ مع بدعته وضلالته ـ إلاَّ كما قال حسان بن ثابت:

مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وقال غيرُه(١) :

مَا ضَـرَّ تَغْلِبَ وَائِـلٍ أَهَجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ»(٢)

وصَدَق :

هل يَضُرُّ البحـرَ أمسى زاخـراً أنْ رَمَـى فيـه غـلامٌ بحَجَرْ

لعن اللَّهُ مَن أنكر المعجزات، وطعَنَ في الصحابةِ الأبرار.

* **أبو هاشم الجُبَّائي :**

هو أبو هاشم، عبدُالسلام بنُ محمدِ بنِ عبدالوهاب، الجُبَّائي شيخُ المعتزلة «البهشمِيَّة»، ويُقال لهم «الذَّمِّية» لقولهم باستحقاقِ الذَّمِّ لا على فعلٍ، وقد شاركوا المعتزلةَ في أكثرِ ضلالاتها، وانفردوا عنهم بفضائحَ لم يُسبَقُوا إليها.

وقد كفَّره سائرُ المعتزله لمواضعَ ثلاثةٍ عنده :

أحدها: قولُه باستحقاق الذمِّ والعقاب لا على فعل.

والثاني: استحقاقُ قِسْطَيْنِ من العذاب إذا تغيَّر تغيُّراً قبيحاً، أحدهما : للقبيح الذي فعله، والثاني : لأنه لم يَفعل الحسنَ الذي أُمِر به.

والثالث: قوله : إنه لو تغيَّر تغيُّراً حَسَنًا وأطاع بمثلِ طاعةِ الأنبياء عليهم السلام، ولم يفعل شيئًا واحداً ممَّا أمَره اللَّهُ تعالى به ولا ضِدَّه، لاستحقَّ الخلودَ في النار(٣) .

---

(١) هو الفرزدق.

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٧ ـ ١٥٠).

(٣) انظر «الفرق بين الفِرَق» (ص١٨٥، ١٨٧).

◻ قال ابنُ حزمٍ: «وكان أبو هاشم أيضًا يقول: إنه لو طال عُمُرُ المسلمِ المحسنِ، لَجاز أن يَعملَ من الحسناتِ والخيرِ أكثرَ ممَّا عَمِل النبيُّ ﷺ.

◻ قال أبو محمد: لا واللَّهِ ولا كرامة، ولو عُمِّر أحدُنا الدهرَ كلَّه في طاعاتٍ متَّصلةٍ ما وازىٰ عملَ امرئٍ صَحِبَ رسولَ اللَّه ﷺ - من غير المنافقين والكافرين المجاهرين - ساعةً فما فوقها، مع قوله ﷺ: «**إنه لو كان لأحدنا مثلُ أُحُد ذهبًا فأنفقَه، ما بَلَغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفه**»[1] .. فمتىٰ يطمعُ ذو عقلٍ أن يُدرِك أحدًا من الصحابة مع هذا البون الممتنع إدراكُه قطعًا؟»[2] .

ولقد كفَّره أبو محمد بنُ حزم في «الفِصَل»[3] .

◻ قال عبدالقاهر البغدادي: «وكان أبو هاشم - مع إفراطِه في الوعيد - أفْسَقَ أهلِ زمانه، وكانَ مُصرًّا علىٰ شُربِ الخمر، وقيل: إنه مات في سُكْرِه، حتىٰ قال فيه بعض المُرْجِئة:

يَعيبُ القولَ بالإرْجَاءِ حتَّى	يَرَى بعضَ الرَّجاءِ من الجَرَائرْ
وأعظمُ مِن ذَوِي الإرجاءِ جُرْمًا	وعِيدِيٌّ أصَرَّ على الكبائرْ[4]

* **ثُمامةُ بنُ الأشرس النُّميريُّ المعتزليُّ القَدَريُّ:**

◻ هو أبو مَعنٍ - ويُقال أبو بِشْر - ، ثمامةُ بنُ الأشرس النُّميريُّ، من

---

(١) قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد.

(٢) «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٦٨، ٦٩).

(٣) «الفصل» (٥/ ٦٨).

(٤) «الفرق بين الفِرَق» (ص١٩١).

مواليهم، وهو شيخُ «الثمامِيَّة»، «وكان زعيمَ القدرية في زمانِ المأمون والمعتصم والواثق، وقيل: إنه هو الذي أَغْوَىٰ المأمونَ بأَنْ دعاه إلىٰ الاعتزال.

◻ وانفرد عن سائرِ أسلاف المعتزلة ببدعتين أكْفَرَتْه الأُمةُ كلُّها فيهما:

إحداهما: أنه ـ لَمَّا شارَكه أصحابُ المعارف في دعواهم أن المعارف ضروريةٌ ـ زعم أن مَنْ لم يضطرَّه اللَّهُ إلىٰ معرفتِه لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهيًّا عن الكفر، وكان مخلوقًا للسُّخْرة والاعتبارِ فحسب، كسائر الحيواناتِ التي ليست بمكلَّفة.

وزَعم لأجلِ ذلك أن عَوَامَّ الدهريةِ والنصارىٰ والزنادقة يَصيرون في الآخرة ترابًا.

وزعم أن الآخرةَ إنما هي دارُ ثوابٍ أو عقابٍ، وليس فيها لمن ماتَ طفلاً ولا لَمِن لا يعرفُ اللَّهَ تعالىٰ بالضرورة طاعةٌ يستحقُّون بها ثوابًا، ولا معصيةٌ يستحقون عليها عقابًا؛ فيصيرون حينئذٍ ترابًا؛ إذ لم يكن لهم حظٌّ في ثوابٍ ولا عقاب.

والبدعة الثانية من بدع ثُمَامة: قولُه بأن الأفعالَ المتولِّدةَ أفعالٌ لا فاعلَ لها.. وهذه الضلالةُ تجرُّ إلىٰ إنكارِ صانعِ العالَم؛ لأنه لوصحَّ وجودُ فعلٍ بلا فاعل، لَصحَّ وجودُ كلِّ فعلٍ بلا فاعل، ولم يكن حينئذٍ في الأفعال دلالةٌ علىٰ فاعلها، ولا كان في حدوثِ العالَم دلالةٌ علىٰ صانعه، كما لو أجاز إنسانٌ وجودَ كتابةٍ لا من كاتب، ووجودَ مبنيٍّ أو منسوخٍ لا من بانٍ أو ناسخ.

ويقال له: إذا كان كلامُ الإنسان عندك متولِّدًا ولا فاعلَ له عندك، فلِمَ

تَلُومُ الإنسانَ علىٰ كَذِبه وعلىٰ كَلِمةِ الكفر؟ وهو عندك غيرُ فاعلٍ للكذب ولا لكلمةِ الكفر؟.

ومن فضائح ثمامةَ أيضًا: أنه كان يقولُ في دارِ الإسلام: «إنها دارُ شِرك»، وكان يُحرِّمُ السَّبي؛ لأنَّ المسبِيَّ عنده ما عَصىٰ ربَّه إذ لم يعرِفْه، وإنما العاصي عنده مَن عَرَف ربَّه بالضرورة ثم جَحَده أو عصاه.

وفي هذا إقرارٌ منه علىٰ نفسه بأنه ولدُ زنًىٰ؛ لأنه كان من الموالي، وكانت أمُّه مسبيَّةً، ووَطءُ مَن لا يجوزُ سبيُها علىٰ حُكمِ السبيِ الحرامِ زنًىٰ، والمولودُ منه ولدُ زنىٰ.. فبدعةُ ثمامةَ علىٰ هذا التقديرِ لائقةٌ بنَسَبه.

◻ وقد حكىٰ أصحابُ التواريخ عن سخافة ثمامة ومُجونه أموراً عجيبة:

منها: ما ذكره عبدُاللَّه بن مسلم بن قتيبة في كتاب «مختلف الحديث»، ذَكَر فيه أن ثمامةَ بنَ أشرس رأىٰ الناسَ يومَ جُمعةٍ يتعادَوْنَ إلىٰ المسجد الجامع لِخَوفهم فَوْتَ الصلاة، فقال لرفيقٍ له: «انظر إلىٰ هؤلاء الحَمير والبقر!»، ثم قال: «ماذا صنع ذاك العربيُّ بالناس؟».. يعني: رسول اللَّه ﷺ[1].

◻ «وذكر الجاحظُ أيضًا أن غلامَ ثُمَامةَ قال يومًا لثمامة: «قُمْ صَلِّ»، فتغافَل، فقال له: «قد ضاق الوقت، فقمْ وصَلِّ واسترح»، فقال: «أنا مستريحٌ إن تركتَني».

وذكر صاحب «تاريخ المَرَاوزة» أن ثمامةَ بنَ أشرس سَعىٰ إلىٰ الواثق بأحمدَ بنِ نصرٍ المَرْوَزيِّ، وذَكَر له أنه يُكفِّرُ من يُنكرُ رؤيةَ اللَّهِ تعالىٰ، ومَن

(١) «الفرق بين الفرق» (ص١٧٢ ـ ١٧٣).

يقول بخَلْقِ القرآن، فاعتصَمَ المعتصِمُ ببدعةِ القدريَّة فقتله[١]، ثم نَدِمَ على قتلِه، وعاتَبَ ثمامةَ، وابنَ أبي دُواد، وابنَ الزيَّات في ذلك، وكانوا أشاروا عليه بقتله.

◻ فقال له ابنُ الزيَّات: «وإن لم يكن قتلُه صوابًا، فقَتَلني اللَّهُ بين الماء والنار».

◻ وقال ابن أبي دُؤَاد: «حَبَسَني اللَّه في جِلْدِي إن لم يكن قتلُه صَوَابًا».

◻ وقال ثمامة: «سلَّط اللَّهُ تعالىٰ عَليَّ السيوفَ إن لم تكن أنتَ مصيبًا في قتله».

فاستجاب اللَّه تعالىٰ دعاءَ كلِّ واحدٍ منهم في نفسه:

أمَّا ابنُ الزيَّات، فإنه دخل في الحمَّام وسَقَط في أَتُونه، فمات بين الماء والنار[٢].

وأمَّا ابنُ أبي دُوَاد، فإن المتوكِّلَ - رحمه اللَّه - حَبَسه، فأصابه في حبسه الفالجُ، فبَقِيَ في جلده محبوسًا بالفالج إلىٰ أن مات.

وأما ثمامةُ، فإنه خرج إلىٰ مكة، فرآه الخزاعيُّون بين الصفا والمروة، فنادىٰ رجلٌ منهم فقال: «يا آلَ خُزَاعة، هذا الذي سَعىٰ بصاحبكم أحمدَ بنِ نصر، وسعىٰ في دَمِه». فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتىٰ قتلوه، ثم أخرجوا جِيفتَه من الحَرَم فأكلته السِّباعُ خارجًا من الحرم، فكان كما قال اللَّه

---

(١) أي: قَتَلَ المَرْوَزِيَّ.

(٢) في «العبر» (١/ ٤١٤): «قبض عليه المتوكل وعذَّبه وسجنه حتىٰ هلك في سنة ٢٣٣.

تعالىٰ: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩]».

*** يَزِيدُ بن أبي أُنيسةَ الخارجيُّ، زعيم اليَزيديَّة من الخوارج:**

▫ في «الملل والنحل» وفي «مقالات الإسلاميين»، وفي «أصول الدين» لعبدالقاهر البغدادي: «يزيدُ بن أُنَيْسَة»، وفي «الفَرق بين الفِرق»: «يزيد بن أبي أُنيسَة الخارجيُّ»، وتُنسَب إليه «اليزيديَّة» من الخوارج الخارجة عن فِرَق الإسلام، «وكان من البصرة، ثم انتقل إلىٰ «جُورَ» من أرض فارس، وكان علىٰ رأي الإباضيَّة من الخوارج، ثم إنه خرج عن قولِ جميعِ الأمة؛ لدعواه أن اللَّه ـ عز وجلَّ ـ يبعثُ رسولاً من العَجَم، ويُنْزِل عليه كتابًا من السماء، ويَنسخُ بشَرْعِه شريعةَ محمدٍ ﷺ، وزعم أن أتباعَ ذلك النبيِّ المنتظَرِ هم الصابئون المذكورون في القرآن، فأما المُسَمَّوْنَ بالصابئة من أهل واسطَ وحَرَّان، فما هم الصابئون المذكورون في القرآن. وكان ـ مع هذه الضلالة ـ يتولَّىٰ مَنْ شهِد لمحمدٍ ﷺ بالنبوَّة من أهل الكتاب وإن لم يدخلْ في دينه، وسَمَّاهم بذلك مؤمنين، وعلىٰ هذا القول يجبُ أن يكون العيسوية والموشكانية من اليهود مؤمنين؛ لأنهم أقَرُّوا بنبوة محمد ﷺ ولم يدخلوا في دينه.

وليس بجائزٍ أن يُعَدَّ في فِرَقِ الإسلام مَن يَعُدُّ اليهود من المسلمين، وكيف يُعدُّ من فِرق الإسلام من يقول بنسخِ شريعة الإسلام؟!»[1].

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٧٩ ـ ٢٨٠).

* الميمونيَّة من الخوارج، أتباع ميمونَ بنَ خالد (أوْ ابن عمران) :

□ «هؤلاء أتباعُ رجلٍ من الخوارج العجاردة، كان اسمُه «ميموناً»[1] ، وكان على مذهب العَجَاردة من الخوارج، ثم إنه خالَفَ العجاردة في الإرادة والقَدَر والاستطاعة، وقال في هذه الأبواب الثلاثة بقول القَدَريةِ المعتزلة عن الحق، وزعم - مع ذلك - أن أطفالَ المشركين في الجنة.

ولو بَقِيَ ميمونُ هذا على هذه البِدَع التي حكيناها عنه ولم يَزِدْ عليها ضلالةً سواها لنسبناه إلى الخوارج؛ لقوله بتكفيرِ عليٍّ وطلحةَ والزبيرِ وعائشةَ وعثمانَ، وقولِه بتكفيرِ أصحابِ الذنوب، وإلى القَدَرية لقوله في باب الإرادة والقَدَر والاستطاعة بأقوال القَدَرية فيها.

ولكنه زاد على القَدَرية وعلى الخوارج، بضلالةٍ اشتقَّها من دينِ المجوس، وذلك أنه أباح نكاحَ بناتِ الأولاد من الأجداد، وبناتِ أولادِ الإخوة والأخوات، وقال: «إنما ذَكَر اللَّهُ تعالى في تحريم النساءِ بالنسب الأمهاتِ، والبناتِ، والأخواتِ، والعمَّاتِ، والخالاتِ، وبناتِ الأخ، وبناتِ الأخوَات. . ولم يذكر بناتِ البنات، ولا بناتِ البنين، ولا بناتِ أولادِ الإخوةِ، ولا بناتِ أولادِ الأخوات».

فإن طَرَّدَ قياسه في أمَّهاتِ الأمهاتِ وأمهاتِ الآباء والأجداد، انمحض في المجوسية، وإن لم يُجِزْ نكاحَ الجدَّات وقاسَ الجداتِ على الأمهات لَزِمه قياسُ بناتِ الأولاد على بنات الصلب.

---

(١) سمَّاه في «الملل والنحل»: «ميمون بن خالد» وسماه السفاريني «ميمون بن عمران» وكذلك في خطط المقريزي (٢/ ٣٥٤).

وإن لم يُطَرِّهْ قياسَه في هذا الباب نقض اعتلالَه.

وحكىٰ الكرابيسيُّ عن «الميمونيَّة» من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورةُ «يوسف» من القرآن، ومُنكِرُ بعضِ القرآنِ كمنكرِ كلِّه.

ومَن استحلَّ بعضَ ذواتِ المحارم فهو في حُكم المجوسِ، ولا يكونُ المجوسيُّ معدوداً في فِرَقِ الإسلام»[1].

وكيف لا يكونُ من شانِئي الرسولِ ﷺ مَن أنكر بعضَ ما نُزِّل إليه من ربِّه؟!.

* بَابَك الخُرَّمي وأتباعُه «البَابَكِيَّة»:

«البابَكيَّة» و«مازيَّارية»، كِلتاهُما معروفةٌ بـ «المُحَمِّرَة» وهم من الإباحِيِّين، ظهروا في دولةِ الإسلام.

فالبابكيَّةُ منهم: أَتباع بَابَك الخُرَّمي، وهو رجلٌ فارسيُّ الأصل، دَخل في الإسلام، وتسمَّىٰ «الحسن»، (وفي بعض الأصول: الحسين)، وكان قويَّ النفس، شديدَ البطش، وصعبَ المِراس، وحَدَّثته نفسُه الخبيثةُ بأن يسترجعَ مُلكَ فارس ودينَها.

وللبابكية في جَبَلهم لَيلةُ عيدٍ لهم يجتمعون فيها علىٰ الخَمرِ والزَّمْر، وتختلطُ فيها رجالُهم ونساؤهم، فإذا أُطْفِئَتْ سُرُجُهم ونِيرَانهم افتَضَّ فيها الرجالُ النساءَ علىٰ تقدير «مَن عَزَّ بَزَّ».

والبابكيَّةُ يَنسِبون أصْلَ دينهم إلىٰ أميرٍ كان لهم في الجاهلية اسمه

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٨٠-٢٨١).

«شروين»، ويزعمون أن أباه كان من الزنج، وأمَّه بعضُ بناتِ ملوك الفرس، ويزعمون أن «شيروين» كان أفْضَلَ من محمدٍ ﷺ ومن سائر الأنبياء، وقد بَنَوْا في جبلهم مساجدَ للمسلمين يؤذِّنُ فيها المسلمون، وهم يعلِّمون أولادَهم القرآن، لكنهم لا يُصَلُّون في السرِّ، ولا يصومون في شهر رمضان، ولا يَرَوْنَ جهادَ الكفرة.

ظَهَر بابك الخُرَّمِي في جبل «اليدين» من أصل الران بناحية أذربيجان، وكثَّر بها أتباعَه، واستباحوا المحرَّمات، وقتلوا الكثيرَ من المسلمين، وجَهَّز إليه خلفاءُ بني العباس جيوشًا كثيرةً مع «أفشين» الحاجب، ومحمدِ بنِ يوسفَ الثَّغْرِيِّ، وأبي دُلَفَ العِجْليِّ وأقرانِهم، وبَقِيت العساكرُ في وجهه مقدارَ عشرين سنةً.

ففي سنة ٢١٢هـ جهَّز له المأمونُ جيشًا بقيادة «محمد الطُّوسي»، والتقى الجيشانِ في سنة ٢١٤هـ، فَهَزم بابَكُ جيشَ الخليفة، وقُتل محمدُ بن حميد الطوسي.

وفي سنة ٢٢٠هـ جَهَّز المعتصمُ جيشًا بقيادةِ «الأفشين»، فالتقى الجيشان، فهزم الأفشينُ جيشَ بابك، وقُتِل من الخُرَّمية ـ أتباع بابك ـ نحوُ الألف، ثم هَرَب بابكُ إلى «موقان».

ثم التقيا مرةً أخرى في سنة ٢٢٢هـ فهزمهم الأفشينُ هزيمةً منكرة، ونجا بابكُ، فلم يزل الأفشينُ يتحيَّلُ له حتى أَسَره في جبال «أرمينيَّة»، ثم أَخَذه إلى المعتصم.

وفي سنة ٢٢٣ أمر المعتصم بقطعِ أطرافِه وصَلْبِه في مواضعَ شتَّى هو

وأخوه إسحاقُ بنُ إبراهيم.

◻ وقال عبدُالقاهر: «صُلِبا بـ«سُرَّ مَن رأىٰ» في أيامِ المعتصم».

أما «المَازيَّارية»، فهم أتباعُ «مَازِيَّار بن قارن بن بندار»، ودَخل في الإسلام، وتسمَّىٰ «محمداً»، وأظهر بعد ذلك دين «المحمِّرة» بجرجان، وكانت فتنتُه قد عَظُمت في ناحية جُرجان، وكان يعتقدُ دينَ الثَّنوية والمجوس، وكان يُظهرُ الإسلامَ ويُبطِنُ الكُفر، فكتب المعتصمُ إلىٰ عبدِاللَّه ابن طاهر بن الحسين يأمرُه بحَرِبه في سنة ٢٢٤هـ بعد أن أظهر العصيان بـ«طَبَرستان»، فكتب المعتصمُ إلىٰ عبداللَّه بن طاهر بن الحسين يأمره بحربه، فسيَّر إليه عمَّه الحسنَ بنَ الحسين، فكانت له معه حروبٌ كثيرة، وما زال حتىٰ أسَرَه، وحَمَله إلىٰ «سامرًّا»، فأقرَّ علىٰ «الأفشين» أنه حَرَّضه علىٰ الخروج والعصيان، وزعم أنهما ـ هو والأفشين ـ كانا اجتمعا علىٰ مذهبٍ من مذاهبِ الثنوية والمجوس، فضُرب «المازيَّارُ» بالسوط حتىٰ مات بعد أن شُهر، وصُلب إلىٰ جانب بابك، وفيه يقول أبو تمام:

ولقد شَفى الأحشاءَ مِن بُرَحائِها ... أن صار بابكُ جارَ مازيارْ
ثانيه في كَبِدِ السماءِ ولم يكن ... لاثنين ثانٍ إذ هما في الغارْ[1]

*** الإماميَّة الإثنا عَشْريَّة الجَعفريَّة، وقولُهم باستمرارِ الوحيِ وعدمِ انقطاعهِ بعد موت ﷺ، وتنقُّصهم للأنبياء، وقولُهم بتحريفِ القرآن:**

الإماميَّةُ الإثنا عشرية الجعفرية، هم الرافضة الذين رَفَضوا إمامةَ الصِّديق والفاروق وذي النورين، وقالوا بتكفيرِ عامةِ الصحابة ما عدا عليًّا

(١) انظر الفرق بين الفرق» (ص٢٦٦ـ٢٦٩)، و«العبر» (١/ ٣٨٩).

وثلاثةً أو أربعةً من شيعته كسلمانَ والمِقدادِ وأبا ذرٍّ.

وقد غالت الإماميةُ في أئمتهم، وأسبغوا عليهم صفاتِ التعظيم والتقديس التي تُخرجُهم عن دائرةِ البشر العاديين، فادَّعَوا لهم عِلمَ الغيب[1]، وأنهم يُحيطون بكلِّ شيءٍ عِلمًا، وأن اللَّه ـ عز وجلَّ ـ يشاورُهم عندما يطرأُ على علمِه جديد[2] ـ كما يزعمون ـ، تعالى اللَّه عما يقول الكافرون الظالمون عُلُوًّا كبيرًا.

وسنذكر أقوالَهم من أهمِّ مراجعهم، وهو كتابُ «أصول الكافي» والذي له من المكانة عندهم ما لـ «صحيح البخاري» عند أهل السُّنة، ونذكرُ تجويزَهم نزولَ الوحي على الأئمة بعد رسول اللَّه ﷺ، ونذكر بعده ما ورد في أهمِّ كتبهم من تصريحهم حولَ منزلةِ الإمام، وأنه أعلى منزلةً من جميعِ الأنبياء وأنه رسولُ رسولِ اللَّه ﷺ[3].

*** ادِّعاء نزولِ الوحي عند الإمامية:**

◻ أولُ وحيٍ ادَّعت الإماميةُ وقوعَه بعد رسول اللَّه ﷺ هو لـ «فاطمة» بنت رسول اللَّه ﷺ، فقد أُسند في كتاب «أصول الكافي» إلى أبي عبداللَّه ـ جعفر الصادق ـ أنه قال: «وإن عندنا لَمصحفُ فاطمةَ ـ عليها السلام ـ، وما

---

(١) «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني (٣/ ٢٤٠)، والكليني عند الإمامية هو مجدِّد القرن الثالث. وكتابه «الكافي» كما يقول أحد علماء الشيعة عبد الحسين بن عبداللَّه المظفر «لم تعمل الإمامية مثله، وعليه اعتماد العلماء منذ أن دوَّنه مؤلِّفه حتى اليوم».

(٢) «الكافي» (٣/ ٢٣٢ـ ٢٤٠).

(٣) «التحفة الإثنا عشرية» (ص٥٢، ١١٥، ١١٧) ـ الحاشية، و«ضحى الإسلام» لأحمد أمين (٣/ ٣١٣).

يُدريهم ما مصحف فاطمة.. قال: مصحفٌ فيه مثلُ قرآنكم هذا؟! ـ ثلاثَ مرات ـ، واللَّهِ ما فيه مِن قرآنكم حرفٌ واحد»[١].

ثم ذكر أنَّ اللَّه أرسل إليها جبرائيلَ يُسلِّيها ويُحدثُها، وأن ذلك المصحفَ كان عبارةً عن ذلك الحديث، كتبه عليُّ بن أبي طالب ﵁»[٢].

فقد أُثبت في هذا الأثر أن فاطمةَ ﵂ كان ينزلُ عليها جبرائيلُ، وكَتبت عنه مصحفًا أكبرَ من مصحفِ أبيها، وفيه ما ليس فيه كذلك، وأُسند إليه كذلك أنه قال: «إنَّ عِلْمَنا غابرٌ ومزبور، ونُكت في القلوب، ونُقر في الأسماع.. فقال: أما الغابرُ، فما تقدم من علمنا.. وأما المزبور، فما يأتينا.. وأما النَّكْتُ في القلوب، فإلهام.. وأما النَّقْرُ في الأسماع، فأَمْرُ المَلَك»[٣].

◻ وأورد بسنده كذلك أن الحسنَ بنَ العباس المعروفيَّ كَتَب إلىٰ الرضا: «جُعلتُ فداك، أخبرني ما الفرقُ بين «الرسول» و«النبيِّ» و«الإمام»؟ فكتب ـ أو قال ـ: الفرقُ بين «الرسول» و«النبيِّ» و«الإمام» أن «الرسول» الذي يَنزلُ عليه جبرائيل فيراه ويسمعُ كلامه وينزل عليه الوحي، وربَّما رأىٰ في منامِه نحوَ رؤيا إبراهيم، و«النبيُّ» ربما سَمع الكلام، وربَّما رأىٰ الشخصَ ولم يَسمع، و«الإمام» هو الذي يَسمعُ الكلام ولا يرىٰ الشخص».

---

(١) «الكافي» (١/ ١٩٩).

(٢) «الكافي» (١/ ٢٠٢).

(٣) «الكافي» (١/ ٢٤٨).

ولقد استشهد على ذلك بآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢][1].

ففي هذين الأثرين إثباتُ سماعِ المَلَكِ لأئمَّتهم، ولا شك أن المَلَك إنما ينزلُ بأمرٍ من اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، كما قال اللَّه في الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

◻ وفي الأثر الثاني أكثرُ توضيحًا من الأول، إذ فيه أن الوحيَ للنبيِّ على طريقين:

الأول: السَّماع من المَلَك مع رؤية شخصه.

والثاني: السَّماع دون الرؤية، و«الإمام» يشارك «النبيَّ» في هذه الطريق من الوحي.

وبذلك يُسمَّى «نبيًّا»، يشهدُ لذلك الأثرُ الآتي عن أبي عبداللَّه الذي قال فيه: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات:

ـ فنبيٌّ مُنبِئٌ في نفسه لا يعدوها.

ـ ونبيٌّ يَرىٰ في النوم، ويَسمعُ الصوت، ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعثه إلىٰ أحدٍ، وعليه إمامٌ مثلُ ما كان إبراهيمُ علىٰ لُوط عليهما السلام.

ـ ونبيٌّ يرىٰ في منامه، ويسمعُ الصوت، ويُعاين المَلَك، وقد أُرسل إلىٰ طائفةٍ قلُّوا أو كثروا ـ كيونس ـ، قال اللَّه ليونس: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، قال: يزيدون ثلاثين ألفًا، وعليه إمام.

ـ والذي يَرىٰ في نومه، ويَسمعُ الصوت، ويعاينُ في اليقظة، هو إمامٌ

---

(١) «الكافي» (٣/ ٣٠).

مثل أولي العزم[١] .

ففي الأثر السابق قبل هذا أن الإمام يَسمعُ صوتَ الملائكة، ولا يرىٰ أشخاصهم.. وفي هذا الأثر أن السماعَ للصوت دون الرؤية للشخص إحدىٰ درجاتِ النبوة عندهم.

فالأئمة إذن أنبياءُ؛ لأنهم يسمعون أصواتَ الملائكةِ من غيرِ أن يَرَوهم.

◻ ولما كانت هذه هي مرتبةُ الإمام في عُرفِ الإمامية، فقد ألزمت الناسَ بطاعته، كما ورد ذلك عن أبي عبداللَّه، حيث قال: «أُشرِكَ بين الأوصياء والرسل في الطاعة»[٢] مما جعل بعضَ الشيعة يستفسرُ من جعفرِ الصادق عن مكانةِ الإمام الذي قد أمر بطاعته: أيوحَىٰ إليه أم لا؟ فأجاب أبو عبداللَّه ـ جعفر الصادق ـ بأنْ: نعم، كما رواه الكليني، حيث قال: «إن المُفضَّلَ سأل أبا عبداللَّه بقوله: «جُعلتُ فداك، يَفرضُ اللَّهُ طاعةَ عبدٍ علىٰ العباد، ويَحجُبُ عنه خَبَر السماء؟ قال أبو عبداللَّه: لا، اللَّهُ أكرمُ وأرحمُ وأرأف بعباده من أن يفرضَ طاعةَ عبدٍ علىٰ العباد، ثم يحجبُ عنه خبرَ السماء صباحًا ومساء»[٣] .

◻ ويقول الشارح «للكافي»: «كيف يَفرضُ اللَّه سبحانه وتعالىٰ علىٰ الناس طاعةَ عبدٍ، وهو ليس له من العلم ما يحتاجونه؟! بل اللَّهُ أعزُّ وأكرمُ

(١) «الكافي» (٣/ ١٢٣).

(٢) «الكافي» (٤/ ٦١).

(٣) «الكافي» (٣/ ٢٤١).

من أن يَحجُبَ عنه عِلمَ سمائِه وأرضه»[١].

ولذلك الإماميةُ ذهبوا إلى أنَّ الإمامةَ لا تصلحُ إلا لمن له منزلةُ النبوة»[٢].

◻ وفي أثرٍ آخَرَ أن رجلاً سأل أبا عبداللَّه عن كيفية العلم الذي يأتيهم؟! فقال أبو عبداللَّه: «كما كان رسولُ اللَّه ﷺ يعلمُ، إلا أنهم يَرَون ما كان رسولُ اللَّه ﷺ يرىٰ؛ لأنه كان نبيًّا وهم محدَّثون»[٣].

◻ ولهذا فإن الأنبياءَ والأوصياءَ متساوون في علومهم لتساويهم في مصدرِ التلقِّي، كما ورد ذلك في مخطوطة بعنوان «كتاب أنوار الإسلام في علم الإمام»، حيث قال مؤلفها: «أما العلمُ الحق، فهو علمُ الأنبياء والأوصياء، إذ لا يعتريه الخطأُ ولا السهو ولا النسيان، فهو علمٌ لَدُنِّيٌّ شهوديٌّ صادرٌ عن الوحي والحَدْسِ والإلهام، واللَّهُ ضامنٌ لصحَّةِ هذا العلم؛ لأنه مِن لَدُنْه، وكلُّ ما يحصل لغير المعصومين والأوصياء فِكرًا، يحصلُ لهم حَدْسًا أو بداهةً، وما يحصلُ للناس بالحواسِّ يتمُّ لهم بالشهود والقياس.

وليس المقصود القياسُ العقلي، وإنما الانتقالُ من الظاهر إلى الباطن، وليس علمُهم وَقفًا على شرائع الدين وأحكامه، وإنما شؤون الدنيا كذلك، غيرَ أن الشريعةَ تصدرُ عنهم عن وحيٍ وما يتعلَّقُ بمسائلِ الدنيا عن إلهام»[٣].

---

(١) المصدر السابق (ص٣/ ٢٤٤).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٠٥).

(٣) ذكر ذلك الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية» (ص١٤٥-١٤٦).

◘ وقد ادَّعَوا لأئمتهم أموراً غيبيةً لا يعرفُها البشر إلاَّ بالوحي، وذلك تحت عناوينَ عِدَّةٍ في كتابهم ذلك ـ «أصول الكافي» ـ، وهذه بعض تلك العناوين:

ـ باب: أنَّ الأئمةَ يعلَمون متىٰ يموتون، وأنهم لا يموتون إلاَّ باختيارٍ منهم[1].

ـ باب: أنَّ الأئمةَ إذا شاؤوا أن يعلموا علِموا[2].

ـ باب: أنَّ الأئمةَ عليهم السلام يعلمون ما كان وما يكون، وأنه لا يخفىٰ عليهم الشيءُ ـ صلوات اللَّه عليهم ـ[3].

✍ ونحن نعلمُ أن معرفةَ الغيب خاصةٌ باللَّه سبحانه وتعالىٰ، ولا يصلُ إلىٰ معرفته إلا صِنفٌ واحدٌ من الخلق وهم «الرسل»، وذلك لإطْلاعِ اللَّه لهم، فإما أن يكون هؤلاء ـ أي: أئمَّتهم ـ آلهةً أو رسلاً، وهم لا يَدَّعون لهم الألوهية ـ كالغلاة ـ، فإذن يكونون رسلاً، والرسلُ لا يعلمون ذلك إلا بالوحي، فأئمَّتهم إذن يوحَىٰ إليهم علىٰ أقلِّ تقدير[4].

* يقول اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨].

---

(١) «الكافي» (٣/ ٢٣٢).

(٢) «الكافي» (٣/ ٢٧١).

(٣) «الكافي» (٣/ ٢٤٩).

(٤) أي: بهذه الأوصاف.

ولتكتملَ صفات الأنبياء في أئمتهم، فقد زعم بعضُهم أن الأئمةَ تَظهرُ علىٰ أيديهم المعجزات[1] .

*** هذه هي عقائدُهم من أهمِّ مصادرهم:**

فقد رأينا أنهم بدؤوا بإثباتِ الوحي لفاطمةَ حتىٰ ادَّعوا لها مصحفًا خاصًّا نزل به عليها جبرائيل، ونَسَخه عليٌّ بن أبي طالب، وهذا المصحفُ مستقلٌّ عن القرآن، وليس فيه ممَّا في مصحفِ المسلمين الذي أنزل اللَّه علىٰ محمدٍ ﷺ ولا حرفٌ واحد. . إلىٰ آخرِ تلك الدعاوىٰ السابقة.

ثم لَمَّا مَهَّدوا لتلك العقيـدة - نزول الوحي - بوقوعه لفاطمةَ بنتِ رسول اللَّه ﷺ ورضي اللَّه عنها، سَهُل عليهم أن يَصِلوا إلىٰ إثباتِه للأئمة الذين هم الأوصياءُ علىٰ الشيعة بعد عليٍّ ﷺ، وذلك عن طريقِ سماعِ صوتِ المَلَك دون رؤيةِ شخصه.

◻ وهذه الطريقُ هي إحدىٰ طُرقِ الوحي في درجاتِ النبوة، كما تقدم في تقسيمهم الأنبياء إلىٰ طبقات، قالوا فيها: «ونبيٌّ يَرىٰ في النوم، ويسمعُ الصوت، ولا يعاينه في اليقظة»، وكانت حُجَّتُهم علىٰ ذلك - كما سبق آنفًا - أن اللَّهَ لا يأمرُ بطاعةِ عبدٍ لا يأتيه الخبرُ من السماء، ولا شكَّ أن الخبرَ الذي يأتيهم من السماء هو وحيٌ يأتي به المَلَك، «لأن الإمامةَ لا تصلحُ إلا لمن له منزلةُ النبوة»، كما يقول شارح «الكافي».

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٢٣) حيث ذكر اختلاف الروافض في ذلك، وهو يعني بهم الإمامية انظر (ص٨٨) من نفس الجزء.

□ وأخيراً، فإنَّ «الشريعة تصدرُ عنهم عن وحيٍ، وما يتعلقُ بمسائلِ الدنيا عن إلهام»، كما في المخطوطة السابقة.

✍ هذه هي عقيدتُهم في نزول الوحي على الأئمة كما صَوَّرَتْها مصادرُهم، وليست تلك العقيدةُ عند الإمامية من الأمور الخَفيَّة التي لم تَظهر إلا اليومَ، بل هي أمرٌ واضح من قديم الزمن، فقد تحدَّث عنها أبو الحسن الأشعريُّ ـ رحمه اللَّه ـ في أواخرِ القرن الثالث، حيث ذَكَر أنه يوجدُ في طائفةِ الروافض ـ الإمامية ـ مَن يزعمُ نزولَ الملائكة على أئمَّتهم بالوحي، كما يَذكر أن فيهم مَن جوَّز نَسخَ الشرائع وتبديلَها على أيديهم[1]، ممَّا يؤكِّدُ لنا أن هذه العقيدةَ قد عُرفت عنهم من قبلُ، ثم لا تزالُ مراجعُهم ـ كما رأينا ـ تحتفظُ بها وترويها.

*** وانظر إلى ما خَلَعوه على الأئمة من أمور:**

أولاً: تصريحُ الإمامية بأنَّ مرتبةَ «الإمامة» أعلى وأسمى من مرتبة «النُّبُوَّة»:

وقد صرَّح علماؤهم ـ بكلِّ جُرأةٍ وتطاولٍ ـ بذلك. . فممن قال بذلك:

١ ـ يقول آيتُهم العظمى «ناصر مكارم الشيرازي» عند تفسيره للآية (١٢٤) من سورة البقرة في تفسيره «الأمثل»: «يتبيَّنُ من الآيةِ الكريمة أن

(١) في «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٢٣)، وذكر النسخ صاحب «مختصر التحفة الاثنى عشرية» (ص١١٥)، وذكر الوحي الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» (٣/ ٢١٤).

مَنزلةَ «الإمامة» الممنوحةَ لإبراهيم ـ بعدَ كلِّ هذه الاختبارات ـ تَفُوقُ منزلةَ «النبوة» و«الرسالة». . فمنزلةُ «الإمامة» أسمىٰ مِمَّا ذُكر، بل أسمىٰ من النبوة والرسالة».

◘ وقال في «نفحات القرآن» (٩/ ١٩): «ما هو هذا المَقامُ الذي ناله إبراهيمُ في آخرِ عمره بعد نَيلِه مقامَ النبوة والرسالة، وبعدَ ذلك الجهادِ الطويل؟ . . من المُسلَّم به أنه كان أسمىٰ وأرفع منهما جميعًا».

◘ وقال أيضًا (ص١٧): «كما يُعيرُ القرآنُ أهميةً خاصةً للإمامة، ويعتبرُها آخِرَ مرحلةٍ من مسيرةِ تكامُلِ الإنسان».

◘ وقال أيضًا (٧/ ٨١): «علىٰ أيةِ حال، إنه ـ مقام الإمامة ـ مقامٌ يَفوقُ النبوة».

٢ ـ يقول آيتهم العظمىٰ «السيد كاظم الحائري» في «الإمامة وقيادة المجتمع» (ص٢٦): «إن الذي يبدو من الروايات أن مقامَ «الإمامة» فوقَ المقامات الأخرىٰ ـ ما عدا مقام الربوبية قطعًا ـ التي يمكن أن يَصِلَ إليها الإنسان».

◘ وقال (ص٢٨): «وكذا قولُه عليه السلام: «إن اللَّه اتَّخذه خليلاً قبل أن يَتَّخذ إمامًا»، يدلُّ في ظاهره علىٰ تفوُّقِ مقامِ «الإمامة» علىٰ مقام «العبودية، النبوة، الرسالة، الخُلَّة». . ».

◘ وقال (ص٢٩): «فمقامُ «الإمام» إذن فوقَ مقامِ النبوة».

٣ ـ يقول «كمال الحيدري» في «العصمة» (ص١٧): «ومِن خلال هذه الشواهد يَتَّضحُ لنا أن مقامَ «الإمامة» يختلفُ عن «النبوة والرسالة»،

بل هي أسمىٰ منهما وأرفع».. ونسبه إلىٰ الطباطبائي في «الميزان» (١/ ٢٦٧).

٤ ـ قال «هادي الطهراني» في «ودائع النبوة» (ص١١٤): «الإمامةُ أجلٌّ من النبوة، فإنها مرتبةٌ ثالثةٌ شرَّفه اللَّه تعالىٰ بها بعد النبوة والخُلَّة».. نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» للقفازي (ص٦٥٦).

٥ ـ ذكر «ابن بابويه» في «إكمال الدين» (ص٦١٧ ـ ٦١٨) «والنبوة والرسالة من اللَّه جل جلالُه سُنن، والإمامة فريضة، والسننُ تنقطع ويجوزُ تركها في حالات، والفرائضُ لا تزولُ ولا تنقطعُ بعد محمدٍ ﷺ.. فالرسالةُ والنبوة سُنن، والإمامة فرض».

٦ ـ ذكر الحِلِّي في «الألفين» (ص٣): «الإمامة لُطفٌ عام، والنبوة لطفٌ خاص، لإمكان خلوِّ الزمان من نبيٍّ حيٍّ ـ بخلافِ الإمام ـ، وإنكارُ اللُّطفِ العامِّ شرٌّ من إنكارِ اللطف الخاص».

ثانيًا: تصريحُهم بأن الأئمةَ أفضلُ من الأنبياء:

◻ وهذه أقوالُ علمائِهم في ذلك:

١ ـ ذكر الشيخ «المفيد» في «أوائل المقالات»، باب «القول في المفاضلة بين الأئمة والأنبياء» (ص٨٥): «قد قَطع قومٌ من أهل الإمامة بفضل الأئمَّة (ع) من آل محمد ﷺ علىٰ سائرِ من تقدم من الرسل والأنبياء سوىٰ نبيِّنا محمد ﷺ، وأوجب فريقٌ منهم الفضلَ علىٰ جميعِ الرسل والأنبياء سوىٰ أولي العزم».

٢ ـ ذكر العلامة السيد «نعمة اللَّه الجزائري» في «الأنوار النعمانية»

(١/ ٢٠ ـ ٢١): «اعلمْ أنه لا خلافَ بين أصحابنا ـ رضوان اللَّه عليهم ـ في أشرفية نبيِّنا محمدٍ ﷺ على سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ للأخبار المتواتر، وإنما الخلافُ بينهم في أفضيلة أميرِ المؤمنين والأئمَّة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدَّهم ﷺ، فذهب جماعةٌ إلى أنهم أفضلُ من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم، فإنهم أفضلُ من الأئمَّة عليهم السلام، وبعضُهم إلى المساواة، وأكثرُ المتأخِّرين إلى أفضليةِ الأئمةِ عليهم السلام على أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب».

٣ ـ ذكر محدِّثكم «الحر العاملي» في كتابه «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (١/ ٤٠٣) بابًا يثبت هذا التفضيل وهو الباب رقم (١٠١) بعنوان: «إن النبي والأئمة الاثني عَشَر أفضلُ من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم، وأن الأنبياء أفضلُ من الملائكة»، وذكر روايتين تُرجِّحان عنوان الباب.

٤ ـ ذكر «ابن بابويه» في «عيون أخبار الرضا» (١/ ٢٦٢) فصلاً بعنوان «أفضلية النبيِّ والأئمة على جميعِ الملائكة والأنبياء عليهم السلام».

٥ ـ قال السيد «أمير محمد كاظم القزويني» في كتابه «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» (ص٦٦): «فإنك تجدُ أن عليًا كان جامعًا لجميعِ هذه الصفات المتفرِّقة في هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم، وأنه عليه السلام أفضلُ منهم».

□ وقال (ص٧٣) تحت عنوان «الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

أفضلُ من الأنبياء عليهم السلام بنص القرآن»: «وأما تفضيلُ الشيعةِ لأئمتهم على الأنبياء عليهم السلام إلاَّ رسول اللَّه ﷺ . . لذا وجب أن يكونوا أفضلَ منهم».

٦ ـ يقول آيتهم العظمى «الميرزة جواد التبريزي» تحت عنوان «التفضيل بين الأئمة والأنبياء» حول سؤالٍ وُجِّه إليه: «س: هل هناك تفضيلٌ بين الأئمة عليهم السلام والأنبياء باستثناء رسولِ اللَّه ﷺ؟ وإذا كان، فما هو الدليلُ على ذلك؟

ج: باسمه تعالى: أئمتُّنا أفضلُ من الأنبياء ما عدا الرسولَ ﷺ، واللَّه العالم»[1] .

٧ ـ وختَمها «الخميني» في «الحكومة الإسلامية» بقوله: «وإن مِن ضروريات مذهبِنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغُه مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَلْ»[2] .

ثالثًا: المَلَك الذي ينزلُ على الأئمة دون الأنبياء هو أعظمُ من جبريل:

دَّعت الإماميةُ أن هناك مَلَكًا يُدْعى «الرُّوح»، كان مع الأئمة يسدِّدهم ويُخبرُهم بأخبارِ السماء، ولهذا المَلَكِ مِيزتان، كلٌّ واحدةٍ منهما تدلُّ بصراحةٍ على تفضيل الأئمة على الأنبياء هما:

أ ـ أنه أعظمُ من جبريل:

فبما أنهم يعتقدون بتفضيلِ الأئمة على الأنبياء، فيجبُ أن يكونَ المَلَكُ

(١) «الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية» للميرزة جواد التبريزي (ص١٧٩).

(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني (ص٤٧).

النازلُ عليهم أعظمَ من المَلَكِ النازلِ على الأنبياء.

ب ـ أن هذا المَلَك لم يكن مع الأنبياء، بل فقط مع الأئمة:

أي أن ما عند الأئمةِ أفضلُ مما عند الأنبياء؛ لأن هذا المَلَكَ ـ وهو الروح ـ كان مع الأئمة فقط، ولم يكن مع الأنبياء، وهو ما نَصَّت عليه الروايةُ الرابعة التالية بقوله: «لم يكن مع أحدٍ ممن مضى، غيرِ محمدٍ ﷺ، وهو مع الأئمة يُسدِّدُهم». فهو غيرُ موجودٍ مع الأنبياء السابقين لِتستيقِنَ بأنكم تُنزِّهون مرتبةَ الإمامة من أن تنحدرَ مِن عِزِّها ورِفعتِها إلى مرتبةِ النبوة.

◻ وإليك نصَّ الروايات من أصحِّ كتبهم ألاَ وهو «الكافي» للكلِّيني:

١ ـ عن أبي بَصير قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال: خَلقٌ مِن خَلقِ الله ـ عز وجل ـ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسولِ الله ﷺ يُخبِرُه ويُسدِّدُه، هو مع الأئمَّة مِن بعده».

٢ ـ عن أسباطِ بنِ سالم قال: «سأله رجلٌ من أهل «هِيت» ـ وأنا حاضر ـ عن قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾.

فقال: منذ أَنزل الله ـ عز وجل ـ ذلك الروحَ على محمد ﷺ ما صَعِدَ إلى السماء وإنه لفينا».

٣ ـ عن أبي بصير قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ،

وهو مع الأئمة، وهو من المَلكوت».

٤ ـ عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحدٍ ممن مضى، غيرِ محمدٍ ﷺ، وهو مع الأئمة يُسدِّدُهم، وليس كلُّ ما طُلب وُجد»[١].

رابعًا: تصريحُهم بأن الأنبياءَ مع عُلُوِّ منزلتهم مأمورون باعتقادِ إمامةِ الأئمة الاثني عشر:

وقد ذكروا لذلك عِدَّةَ رواياتٍ صريحةٍ، ذكرها خاتمةُ مُحدِّثيهم «محمدُ باقر المجلسي» في كتابه «بحار الأنوار» منها:

١ ـ ابن يزيد، عن ابن محبوب، عن محمدِ بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولايةُ عليٍّ مكتوبةٌ في جميعِ صُحف الأنبياء، ولن يَبعثَ اللَّه نبيًّا إلاَّ بنبوةِ محمدٍ ووصيةِ عليٍّ صلوات اللَّه عليهما».

٢ ـ أحمد بن محمد، عن العباس، عن ابن المغيرة، عن أبي حفص، عن أبي هارونَ العبديِّ، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يا عليُّ، ما بَعثَ اللَّهُ نبيًّا إلاَّ وقد دعاه إلى ولايتك طائعًا أو كارهًا».

٣ ـ الحسن بنُ عليٍّ بنِ النعمان، عن يحيى بنِ أبي زكريا، عن أبيه، ومحمدُ بن سَماعة، عن فَيض بنِ أبي شيبة، عن محمد بن مسلم قال:

---

(١) «الكافي» (١/ ٢٧٣).

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن اللَّه تبارك وتعالىٰ أخذ ميثاقَ النبيين علىٰ ولايةِ عليٍّ، وأخذ عهدَ النبيين بولايةِ عليٍّ».

٤ ـ أحمد بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحكم، عن ابنِ عميرة، عن الحَضرميِّ، عن حذيفةَ بنِ أسيد قال: قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «ما تكامَلَتِ النبوةُ لنبيٍّ في الأظلة حتىٰ عُرِضت عليه ولايتي وولايةُ أهل بيتي، ومُثِّلوا له، فأقرُّوا بطاعتِهم وولايتهم».

٥ ـ السِّنديُّ بن محمد، عن يونسَ بنِ يعقوب، عن عبدِالأعلىٰ قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: «ما نُبِّئ نبيٌّ قطُّ إلاَّ بمعرفةِ حقِّنا وبفضلنا علىٰ مَن سوانا».

٦ ـ محمدُ بنُ عيسىٰ، عن محمدِ بنِ سلمان، عن يونسَ بنِ يعقوب، عن أبي بَصير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: «ما مِن نبيٍّ نُبئ، ولا مِن رسولٍ أُرسل، إلاَّ بولايتنا وتفضيلنا علىٰ مَن سوانا».

٧ ـ ابن يزيد، عن يحيىٰ بنِ المبارك، عن ابن جَبَلة، عن حُميد بن شعيب، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ولايتُنا ولايةُ اللَّه التي لم يَبعث نبيًا قطُّ إلاَّ بها».

٨ ـ محمدُ بنُ أحمد، عن ابنِ يزيدَ، عن ابنِ محبوب، عن محمدِ بنِ الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: «يُوفون بالنذر الذي أُخذ عليهم في الميثاق مِن ولايتنا».

٩ ـ أحمد بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ الحكم، عن داودَ العِجْلي، عن

(١) «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (٢٦/ ٢٨٠ـ ٢٨٢).

زُرارةَ، عن حُمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اللَّه تبارك وتعالىٰ أَخذ الميثاقَ علىٰ أولي العزم أني ربُكم، ومحمدٌ رسولي، وعليٌّ أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده وُلاةُ أمري وخُزَّانُ عِلمي، وأن المهديَّ أنتصرُ به لِدِيني»(١) .

فإمامةُ الأئمةِ إذاً عندهم من ضرورياتِ الأديان السماوية التي لم يُبعثْ نبيٌّ إلاَّ بالدعوة إليها، بل إن الأنبياءَ جميعَهم كانوا مأمورِين بالإيمان بإمامةِ عليٍّ وأولاده التي لا تُدانيها النبوةُ في الفضلِ والشرف، ولا تَصِلُ إلىٰ عُشْرِ معشارِها، بل ولا إلىٰ قَطرةٍ من بحارها.

*** خامساً: تصريحهم بأنَّ الأنبياء ما نالوا الفضلَ والرِّفعةَ من جهةِ نبوَّتهم واصطفائهم من اللَّه تعالى، بل من جهةِ إقرارِهم بإمامةِ الأئمةِ والخضوعِ لهم:**

◻ وإليك روايتانِ تَذكُرانِ هذا المعنىٰ، هما:

١ ـ ذكر شيخُهم «المفيد» في كتابه «الاختصاص» (ص٢٥٠): «ابن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبداللَّه عليه السلام: إن اللَّهَ تبارك وتعالىٰ تَوحَّد بمُلكه، فعَرَّفَ عبادَه نفسَه، ثم فَوَّض إليهم أمرَه، وأباح لهم جنَّتَه، فمن أراد اللَّهُ أن يُطهِّرَ قلبَه من الجنِّ الإنس عَرَّفه ولايتَنا، ومَن أراد أن يَطمِسَ علىٰ قلبه أمسك عنه معرفتنا.

ثم قال: يا مفضَّل، واللَّهِ ما استوجب آدمُ أن يخلقَه اللَّه بيده وينفخَ

(١) «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (٢٦/ ٢٨٠ـ٢٨٢).

فيه من رُوحه إلاَّ بولايةِ عليٍّ عليه السلام، وما كَلَّم اللَّه موسىٰ تكليمًا إلاَّ بولايةِ عليٍّ عليه السلام، ولا أقام اللَّهُ عيسىٰ ابنَ مريم آيةً للعالمين إلاَّ بالخضوع لعليٍّ عليه السلام.

ثم قال: أجملُ الأمر ما استأهل خَلق من اللَّه النظر إليه إلاَّ بالعبودية لنا».

٢ـ ذكر «المجلسي» في «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٨٢): «عن حَبَّةَ العُرنيِّ قال: قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: إن اللَّه عَرَض ولايتي علىٰ أهلِ السماوات وعلىٰ أهل الأرض، أَقَرَّ بها مَن أَقَر، وأنكرها مَن أنكر، أنكرها يونسُ فحَبَسه اللَّهُ في بطنِ الحوت حتىٰ أقرَّ بها».

فانظر إلىٰ هذه المرتبة الخيالية للإمامة التي بفضلِ انحناءِ الأنبياء لها وخضوعِ أعناقِهم أمامَها نالوا ما نالوا من المراتب؛ لأن النبوةَ التي أنعم اللَّه بها عليهم ـ وبكلِّ بساطة ـ لا قيمةَ لها بدون إمامةِ الأئمة، حتىٰ إن نبيَّ اللَّه تعالىٰ يونسَ عليه السلام لما أبىٰ الإقرارَ بها وأنكرها ـ ظنًّا منه بأنَّ النبوة أعلىٰ منها بالشرف والأهمية ـ حَبَسه اللَّه تعالىٰ في بطنِ الحوت عقوبةً له، ولم يُخرِجْه منها إلاَّ بعد خضوعِه لها واعترافِه بفضلها علىٰ نبوته المسكينة الخاضعة!!![1].

فهذه خمسُ مجموعاتٍ صَرَّح بها علماءُ الإماميَّة بتفضيل مرتبةِ «الإمامة» علىٰ «النبوة»، وأنهم لن يرضَوا أبدًا بأن يَهبِطوا بمرتبة الإمامة إلىٰ مرتبةِ النبوَّة؛ لأن في هذا حَطًّا من قَدْرِها ورِفعتها.

◻ قال محمد باقر المجلسي: «وبالجملة لا بُدَّ لنا من الإذعان بعدمِ كونهم ـ عليهم السلام ـ أنبياءَ، وبأنهم أشرفُ وأفضلُ من غيرِ نبيِّنا ﷺ من

(١) انظر «إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النُّبوَّة» (ص١٢٤) لعبد الملك بن عبدالرحمن الشافعي ـ مكتبة الرضوان.

الأنبياء والأوصياء»[1] .

حتىٰ إنه أورد بابًا في كتابه «المذكور» (٢٦/ ٢٦٧) بعنوان «تفضيلهم عليهم السلام علىٰ الأنبياء وعلىٰ جميع الخلق».

☐ ودعوىٰ الإمامية التفريقَ باختصاصِ النبيِّ بصفةِ الوحي وتكليمِ المَلَك دون الإمام: لم يقفوا عندها، بل نسوق مَرْويَّات ونصوصَ علمائِهم التي أَثبتت هذه الصفة للإمام صراحةً أوْ ضِمنًا:

أولاً: أن المَلَك يُحَدِّثُ الإمام ويُكلِّمه:

☐ ومن رواياتهم التي أثبتت هذا: ما ورد في أصحِّ الكتب عندهم وهو «الكافي» للكليني:

١ ـ عن محمد بن مسلم قال: ذُكر «المُحدَّث» عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: «إنه يَسمعُ الصوتَ، ولا يرىٰ الشخص. فقلت له: جُعلتُ فداك، كيف يَعلمُ أنه كلامُ المَلَك؟ قال: إنه يُعطَىٰ السكينةَ والوقارَ حتىٰ يعلمَ أنه كلامُ مَلَك».

٢ ـ عن حُمرانَ بنِ أعيَنَ قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: إن عليًّا عليه السلام كان مُحدَّثًا، فخرجتُ إلىٰ أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبةٍ، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: كان عليٌّ عليه السلام محدَّثًا! فقالوا: ما صنعتَ شيئًا، ألاَ سألتَه مَن كان يُحدِّثُه؟ فرجعتُ إليه، فقلت: إني حَدَّثتُ أصحابي بما حدثتَني، فقالوا: ما صنعتَ شيئًا، ألا سألتَه مَن كان يُحدِّثه؟، فقال لي: يُحدِّثه مَلَك»[2] .

(١) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٨٢).

(٢) «الكافي» للكليني (١/ ٢٧٠).

٣ ـ عن زُرارةَ قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام، قلت: الإمامُ ما منزلته؟ قال: يسمعُ الصوت، ولا يرىٰ، ولا يُعاينُ المَلَك»[1] .

٤ ـ عن بُريد العِجلي قال: «سألت أبا عبداللَّه عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدَّث، قال: المحدَّث الذي يَسمعُ كلامَ الملائكة، ويُنقَرُ في أذنه، ويُنكَتُ في قلبه»[2] .

٥ ـ عن أبي عبداللَّه أنه قال: «إنَّ عِلَمنا غابرٌ ومزبور، ونَكْتٌ في القلوب، ونقرٌ في الأسماع، فقال: أما «الغابر»، فما تقدم مِن عِلمنا.. وأما «المزبور»، فما يأتينا.. وأما «النَّكْت» في القلوب فإلهام.. وأما «النَّقْر» في الأسماع، فأمر المَلَك»[3] .

وهذه الروايات متضمِّنةٌ لمعنىٰ الوحي؛ لأن نُزولَ المَلَك وتكليمَه للإمام لا يكونُ من تلقاءِ نفسه، وإنما بأمرٍ من اللَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ علىٰ لسان الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ثانيًا: أنَّ المَلَكَ الذي يُكلِّمُ الإمامَ هو جبريل عليه السلام:

وهذا يُثبِتُ صفةَ الوحي للإمام بوضوحٍ أقوىٰ من سابقه؛ لأن مَلَكَ الوحي هو جبريل عليه السلام، وهو أمينُ السماء، وقد أثبت الشيعةُ أنه هو المَلَكُ الذي يُكلِّمُ الإمامَ، ويسمعُ الإمامُ كلامَه وحديثه، فمِن نصوصهم في ذلك:

---

(١) «الكافي» (١/ ١٧٦).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٦/ ٧٤).

(٣) «الكافي» (١/ ٢٦٤).

١ ـ لقد اعترف آيتهم العظمىٰ «جعفر سبحاني» بأن المَلَك الذي يُكلِّمُ الإمامَ في الروايات هو جبريل عليه السلام، حيث قال في «مفاهيم القرآن» (٤/ ٣٩٠): «الظاهر أن المراد من المَلَك في هاتيك الروايات هو جبرائيل».

٢ ـ يقول فيلسوفُهم «صدر الدين الشيرازي» في كتابه «الحجة» بأنَّ جبريل هو رُوح القدس، وذلك (ص٩١): «جبرائيل هو المسمَّىٰ بـ «روح القدس»..».

ثم أثبت بأن الإمامَ يسمعُ كلامَ اللَّه تعالىٰ بواسطةِ رُوحِ القدس ـ أي بواسطة جبريل ـ، فقال (ص٩٣): «قوله: «والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرىٰ الشخص»، أي: يَسمعُ كلامَ اللَّه بواسطةِ الروح القدسي سماعًا في اليقظة لكن بصورةِ الألفاظ، ولا يَرىٰ الواسطةَ متمثِّلةً متشخِّصةً، لا في اليقظة ولا في النوم أيضًا».

٣ ـ نستطيعُ أن نتيقَّنَ بأنه جبريل؛ لأن نَفْسَ المَلَكِ الذي كان يُكَلِّم الأنبياء والمرسلين كان يكلِّمُ الإمامَ؛ لأن الرواياتِ أثبتت أنه نفسُ المَلَك لا غيره، وهو جبريلُ عليه السلام.

٤ ـ هناك رواياتٌ عديدةٌ تُثبت أن جبريلَ عليه السلام كان يَنزلُ علىٰ الإمام ويُكلِّمُه أكثرَ من مرةٍ، وفي أكثرَ مِن حادثة، فمنها:

أ ـ عن حُمران بنِ أعينَ قال: «قلت لأبي عبداللَّه عليه السلام: جُعلتُ فداك، بَلَغني أن اللَّه تبارك وتعالىٰ قد ناجي عليًا عليه السلام. قال: أجل، قد كان بينهما مناجاةٌ بالطائف، نزل بينهما جبرائيل»[1].

---

(١) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٧).

ب ـ عن عبدالله بن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنا نقول: إن عليًّا لَيُنكتُ في قلبه أو يُوقَرُ في صدره، فقال: إن عليًّا كان محدَّثًا.

قال: فلما أكثرتُ عليه قال: إن عليًّا لَمَّا كان يومَ بني قريظة وبني النضير، كان جبرائيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يساره يُحدِّثانه»[1].

ج ـ عن رفاعة بن موسى، عن أبي عبدالله عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُملي على عليٍّ عليه السلام صحيفةً، فلمَّا بَلغ نصفَها وضع رسولُ الله رأسَه في حِجر عليٍّ عليه السلام، ثم كتب عليٌّ عليه السلام حتى امتلأت الصحيفة، فلما رَفع رسولُ الله رأسه قال: مَن أملى عليك يا علي؟ فقال: أنت يا رسولَ الله، قال: بل أملى عليك جبرائيل»[2].

د ـ عن ابن سدير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «دعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام ودعا بدفتر، فأملى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله بَطْنَه، وأُغمي عليه، فأملى عليه جبرائيلُ ظهره، فانتبه رسولُ الله صلى الله عليه وآله فقال: مَن أملى عليك هذا يا عليُّ؟ فقال: أنت يا رسول الله، فقال: أنا أمليتُ عليك بطنه، وجبرائيل أملى عليك ظَهَره، وكان قرآنًا يُملى عليه»[3].

والروايةُ الأخيرةُ تصرِّحُ بأن الذي أملاه جبريلُ على عليٍّ رضي الله عنه كان قرآنًا، فهل يوجدُ أصرحُ من ذلك على أن الوحيَ حاصلٌ للإمام.

(١) «بحار الأنوار» (٤٠/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٢) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٢).

(٣) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٢).

ثالثًا: مفهومُ النبوَّةِ والوحيِ متحقِّقٌ في الإمام، ولم يُنفَ عنه إلاَّ اسمُها:

◘ وهذا ثابت ـ وبكل صراحةٍ ـ في الرواية الثابتة في «نهج البلاغة»، وهذا نصُّها: «ولقد كنتُ أَتبعُهُ اتِّباعَ الفصيلِ أثَرَ أُمِّه، يَرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقِه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاورُ في كلِّ سَنةٍ بحِراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يَجمع بيتٌ واحدٌ يومئـذٍ في الإسلام غيرَ رسولِ اللَّه ﷺ وخديجةَ وأنا ثالثهما، أرىٰ نورَ الوحي والرسالة، وأشُمُّ ريحَ النبوة، ولقد سمعتُ رَنَّةَ الشيطان حين نزل الوحيُ عليه ﷺ، فقلت: يا رسول اللَّه، ما هذه الرَّنة؟ فقال: هذا الشيطانُ أَيِس من عبادته، إنك تسمعُ ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ، إلاَّ أنك لستَ بنبيٍّ، ولكنك وزيرٌ، وإنك لعلىٰ خير»[1]، ويمكن إثبات ذلك من وجهين:

الأول: وهو المتعلِّق بقوله: «إنك تسمعُ ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ»، فهي تُثبت بأن الإمام يسمعُ ويرىٰ الوحيَ كالنبي ﷺ حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة دون أدنىٰ فرقٍ بينهما، وهذا يُبطلُ زَعْمَك بأن الوحيَ هو الفارقُ بين النبيِّ والإمام؛ لأنه متحقِّقٌ في الإمام بنصِّ الرواية، وإليك اعترافَ علمائِك عند شرحهم لهذه العبارة:

١ ـ يقول ابنُ مِيثم البحراني: «ورُوي عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان عليٌّ عليه السلام يَرىٰ مع النبي ﷺ قبلَ الرسالة الضوءَ، ويسمعُ الصوت».

وقال في نفس الصفحة: «ويؤيِّدُ ذلك قولُه ﷺ حين سأله عن ذلك:

---

(١) «نهج البلاغة» ـ خطب الإمام علي (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) خطبة (٢٣٤).

«إنك تسمعُ ما أسمع، وتَرىٰ ما أرىٰ، إلاَّ أنك لستَ بنيٍّ»، فإنه شَهِد له في ذلك بالوصول إلىٰ مقامِ سماعِ الوحي وكلامِ المَلَك وصوتِ الشيطان وسائرِ ما يراه ﷺ ويسمعه»[1] .

فهو يُصرِّحُ بوصولِ الإمام إلىٰ مَقامٍ يسمعُ فيه كلامَ الوحي والمَلَكِ والشيطان، ولم يَحصُرِ السماعَ في ذلك، بل زاد عليه وأطلقه بكلٍّ ما يراه ويسمعُه النبيُّ ﷺ دون أدنىٰ فَرقٍ، فأين الفَرقُ باللَّه عليكم يا مُنصِفين؟!!.

٢ ـ يقول حبيب اللَّه الهاشمي الخوئي: «ما أشار إليه بقوله: «إنك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ»، ظاهرُ هذا الكلامِ يُفيد أن الإمامَ يسمعُ صوتَ المَلَك ويُعاينه كالرسول»[2] .

٣ ـ يقول الحسيني الشيرازي: «ثم قال الرسول ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «إنك تسمعُ ما أسمع» من صوتِ الوحي ورنَّةِ الشيطان، وما أشبه.. «وترىٰ ما أرىٰ» من صُورةِ الملائكة والشيطان»[3] (٣/ ٢٢٥).

الثاني: بالإضافة لِمَا تقدَّم من نصِّ الرواية وتصريحِ العلماء، فإن الذي يؤكِّدُ أن مفهومَ النبوة متحقِّقٌ في الإمام هو النفيُ الوارد في الرواية بقوله: «إلاَّ أنك لست بنبي»، وهذا يؤكِّدُ أن الوصفَ المتقدِّمَ ينطبقُ علىٰ مفهومِ النبوة تمامًا، مِمَّا اضطره لنفيِ الاسم عنه بعد ثبوت الوصفِ له، فيقول حبيب اللَّه الخوئي حولَ النفي الوارد: «ولَمَّا كان ظاهرُ قوله ﷺ: «إنك

(١) «المصباح (الشرح الكبير) لميثم البحراني (٤/ ٣١٨).

(٢) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» للميزرا حبيب اللَّه الهاشمي الخوئي (١٢/ ٤٢ـ ٤٣).

(٣) «توضيح نهج البلاغة» للسيد محمد الحسيني الشيرازي (٣/ ٢٤٤).

تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ» مُوهِمًا للمساواة[1] بينه عليه السلام، وبينه ﷺ، استدرك ذلك بقوله: «إلا أنك لست بنبي». . »[2] .

ﭑ ويقول الموسوي: «ثم لَمَّا أشار إلىٰ أن الإمامَ يسمعُ كما يسمع النبي ويَرىٰ مِثلَما يرىٰ، ولَمَّا كان يَخشىٰ أن يظنَّ أحدٌ بتساويهما، نَفَىٰ عنه النبوة»[3].

بمعنىٰ أدقَّ: إن نفيَ النبوة عن الإمام ليس من جهةِ عدمِ اتصافه بالنبوة وعدمِ تحقُّقِ مفهومها فيه، بل من جهةٍ أخرىٰ، وهي كونه ﷺ خاتمَ النبيين فلا يجوزُ أن يُطلَقَ اسم «النبي» علىٰ أحدٍ بعده[4] ، وإلاَّ فوصفُ النبوَّة متحقِّقٌ في عليٍّ رضي الله عنه بنصِّ الرواية وتصريحِ العلماء من سماعه ورؤيته للوحي وكلامِ المَلَك.

وهكذا تبيَّن لنا من خلالِ الوجهين أن مفهومَ «النبوة» متحقِّقٌ في الإمام بنصِّ الرواية، ولم يُنْفَ عنه إلاَّ اسمُ النبوة دونَ حقيقتِها.

رابعًا: إنَّ الاتصال بالسماء لم ينقطع بعد موتِ النبي ﷺ؛ لأنه ثابتٌ للأئمة، وهذا قد صرَّح به عالِمُهم «محسن الخرازي» معتمداً علىٰ ما ورد

---

(١) في الكتاب «للسماوات»، ولعلَّ الأصح ما أثبتناه.

(٢) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» (١٢/ ٤٢).

(٣) «شرح نهج البلاغة» للسيد عباس علي الموسوي (٣/ ٣٤٨).

(٤) ولذا ينقل حبيب الله الخوئي في شرحه السابق للنهج (١٢/ ٤٣) قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «وقال ﷺ: لولا أني خاتم النبيين لكنت شريكًا في النبوة»، وقال البحراني في «شرحه» (٤/ ٣١٨) ناقلاً نفس الحديث: «وقال له الرسول ﷺ: لولا أني خاتم النبيين لكنتَ شريكًا في النبوة».

عندهم من روايات، وذلك حين أورد عتراضًا على «خَتمِ النبوة» بأن فيه حِرمان البشر من رحمة الاتصال بالملأ الأعلى، فقال: إن هذا الاتصالَ ثابتٌ للأئمة بعد النبي ﷺ، ولم ينقطع، حيث قال في كتابه «بداية المعارف الإلهية» (١/ ٢٨١): «ومنها أنَّ لازمَ خَتمِ النبوة هو قَطعُ ارتباطِ الأمة مع المبدأ الأعلى، وفيه أن الارتباطَ بالمبدإ الأعلى لا ينحصرُ في النبوة، إذ الارتباط بواسطةِ الأئمة ميسورٌ وممكن - بل واجب -، إذ الإمامةُ غيرُ منقطعة إلى يوم القيامة، والإمامُ محدَّث، والملائكة تتنزل إليهم وتُخبرُهم بما يكونُ في السَّنة من التقديرِ والقضاءِ والحوادث وبأعمال العباد وغير ذلك، لتواترِ الروايات الدالَّةِ على ذلك، مِن جُملتِها ما رُوي عن الباقر عليه السلام: «إن أوصياءَ محمدٍ عليه وعليهم السلام محدَّثون». . ». . «أصول الكافي» (١/ ٢٧٠).

فهو يُثبتُ الوحيَ للأئمة بكلِّ صراحةٍ؛ لأنه نَفَى حصولَ انقطاعِ الاتصال بالسماء بعد رحيلِ النبي ﷺ مؤكِّدًا استمرارَه وثبوتَه للأئمة، وبما أن الاتصالَ الذي كان للنبي ﷺ في السماء هو الوحيُ، فهو إذًا بعينه ثابتٌ للأئمة، ولم ينقطع بموتِ النبي ﷺ.

خامسًا: أن الأئمةَ يَعلمون أخبارَ السماءِ صباحًا ومساءً عن طريق المَلَك:

لقد صرَّحوا بأن الإمام يعرفُ أخبارَ السماء صباحًا ومساءً، وهذا إمَّا أن يكونَ عن طريق وحيٍ ظاهرٍ وهو المَلَك، أو باطنٍ وهو الإلقاءُ في القلب، ولكنهم قد أثبتوا له الوحي الظاهر، وهو تكليمُ المَلَكِ للإمام[1]،

(١) سبق ذكر روايات الكليني التي تثبت تكليم المَلَك للإمام.

وهذا هو معنى الوحي الذي ينزلُ على الأنبياء، ولكنهم لم يُثبتوا هذا للإمام فحسب، بل جعلوا مَنْعَ اللَّهِ تعالى لهذا الوحي ـ وهو إخبارُ الإمامِ بأخبار السماء والأرض صباحًا ومساءً عن طريق المَلَك ـ عن الإمام منافٍ لرحمته ولطفه بعباده، وبالتالي يكون القولُ بانقطاعِ الوحي بعد النبي ﷺ ينافي رحمةَ اللَّه تعالى بعباده ولُطفَه بهم.. فمِن رواياتهم التي أثبتوا فيها نفس المعنى الذي نقول به ما يلي:

أ ـ ذكر الكلِّيني في «الكافي» (١/ ٢٦١) الحديث (٣): «عن جماعة ابن سعد الخثعمي أنه قال: كان المفضَّلُ عند أبي عبداللَّه عليه السلام فقال له المفضَّل: جُعلت فداك، يَفرضُ اللَّهُ طاعةَ عبدٍ على العباد ويَحجُبُ عنه خبرَ السماء؟ قال: لا، اللَّهُ أكرمُ وأرحمُ وأرأفُ بعباده من أن يفرضَ طاعةَ عبدٍ على العباد، ثم يَحجُبُ عنه خَبَرَ السماء صباحًا ومساءً».

ب ـ ذكر أيضًا (ص٢٦٢) الحديث (٦): «عن أبي حمزة قال: سمعتُ أبا جعفر يقول: لا واللَّهِ لا يكونُ عالم (العالم الذي افترض اللَّه طاعته) جاهلاً أبدًا، عالمًا بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: اللَّهُ أجلُّ وأعزُّ وأكرمُ أن يَفرضَ طاعةَ عبدٍ يَحجبُ عنه عِلمَ سمائه وأرضه، ثم قال: لا يَحجبُ ذلك عنه».

وهذا هو بعينه الذي أثبته «الخرازي»، إذ أثبت أن الاتصالَ بالسماء عن طريق الملائكة حاصلٌ للأئمة، وهذا بلا شك هو مفهومُ الوحي.

سادسًا: إنَّ «رُوحَ القدس» الذي به تَحمَّلَ النبوة، ينتقلُ من النبي إلى الإمام:

وقد أثبتوا هذه الروحَ ـ أي: روح القدس ـ في رواياتهم والتي ميَّزوها

عن باقي الأرواح بأنها لا تسهو ولا تلهو، وبها يَعلمُ النبيُّ والإمامُ أنباءَ الغيب من تحت عرشِ الرحمن إلىٰ ما تحت الثرىٰ ـ كما عَبَّر عنه شارح «الكافي» عند تعليقه علىٰ الرواية الثانية الآتية.

وهناك مَزِيَّةٌ أخرىٰ لروح القدس، وهي أن النبوةَ تُحمل بها، فبروح القدس تُحمل النبوة ـ حيث صرَّح بذلك في الرواية الثالثة ـ.

والفاجعةُ التي سيُصاب بها القارئُ حين يعلمُ أن هذه الروحَ التي تُحملُ بها النبوة قد انتقلت إلىٰ الإمامِ، كما ورد في الرواية الثالثة بقوله: «وروح القدس فبه حَملُ النبوة، فإذا قُبض النبي ﷺ، انتَقل رُوحُ القدس، فصار إلىٰ الإمام».

بمعنىٰ أن الإمام سيحملُ النبوةَ عن طريق روحِ القدس التي انتَقلت إليه، فكيف يزعمون بأنهم لم يُثبتوا النبوة للإمام.

◻ ومن الروايات حول «روح القدس» هذه ما رواه الكليني في «الكافي» (١/ ٢٧١ـ ٢٧٢):

١ ـ عن جابر الجُعْفيِّ قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: يا جابر، إن اللَّه تبارك وتعالىٰ خَلق الخلقَ ثلاثةَ أصناف، وهو قولُ اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١١].

فالسابقون: هم رسل اللَّه عليهم السلام وخاصَّةُ اللَّه من خلقه، جَعل فيهم خَمسةَ أرواحٍ أيَّدهم برُوح القدس، فبه عَرفوا الأشياء، وأيَّدهم برُوح

الإيمان، فبه خافوا اللَّهَ ـ عز وجل ـ وأيَّدهم بُروحِ القوة، فبه قَدَروا على طاعة اللَّه، وأيَّدهم برُوح الشهوة، فبه اشتهَوا طاعةَ اللَّه ـ عز وجل ـ وكَرِهوا معصيته، وجَعل فيهم رُوحَ المدرج الذي به يَذهبُ الناسُ ويجيؤون، وجَعل في المؤمنين وأصحابِ الميمنة رُوحَ الإيمان، فبه خافوا اللَّه، وجَعل فيهم رُوحَ القوة، فبه قَدَروا على طاعة اللَّه، وجَعل فيهم رُوحَ الشهوة، فبه اشتَهَوا طاعةَ اللَّه، وجعل فيهم رُوحَ المدرج الذي به يذهبُ الناس ويجيؤون».

٢ ـ عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن علمِ العالِم، فقال لي: يا جابر، إن في الأنبياء والأوصياء خمسةَ أرواح: روح القدس، ورُوح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة.. فبروح القدس ـ يا جابر ـ عَرفوا ما تحتَ العرش إلى ما تحت الثرى.

ثم قال: يا جابر، إن هذه الأربعةَ أرواح يصيبها الحَدَثانِ، إلاَّ رُوحَ القدس، فإنها لا تلهو ولا تلعب».

٣ ـ عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن عِلمِ الإمام بما في أقطارِ الأرض وهو في بيته مُرخًى عليه سِترُه، فقال: يا مفضَّل، إن اللَّه تبارك وتعالى جَعل في النبي ﷺ خمسةَ أرواح: رُوحَ الحياة، فبه دَبَّ ودَرَج.. ورُوحَ القوة، فبه نَهض وجاهد.. وروح الشهوة، فبه أَكَل وشرب وأتى النساء من الحلال.. ورُوح الإيمان، فبه آمَنَ وعَدَل.. ورُوح القدس، فبه حَمَل النبوة، فإذا قُبض النبي ﷺ انتقل رُوحُ القدس فصار إلى الإمام، ورُوحُ القدس لا ينام ولا يغفل، ولا يلهو ولا يزهو، والأربعةُ الأرواحُ تنامُ وتغفلُ وتزهو وتلهو، ورُوح القدس

كان يَرىٰ به»(١) .

سابعًا: مفهوم «العصمة» يتضمن إثباتَ الوحي، وهي متحقِّقةٌ في الإمام:

◻ إن مفهومَ «العصمة» متضمِّنٌ معنىٰ «الوحي» من خلال إخبارِه وتصويبِه للمعصوم، فيذكر الدكتور «عبدالهادي الحسني» في كتاب «العصمة» (ص٧١): «أي: أن الأئمةَ يُوحَىٰ إليهم، وإلا كيف تكونُ العصمة؟! أمَا قال اللَّه ـ عز وجل ـ وهو يُخبِرُ عن عصمةِ نبيِّه ﷺ وكونِها بالوحي ـ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٣]؟! وهذه هي العصمة؛ ثم قال بعدها مبينًا عِلَّتَها وسببَها: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ عن طريق جبريل عليه السلام الذي أخبر عنه بقوله تعالىٰ بعدها: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٥]» .

ثامنًا: لم يُثبتوا نزولَ الوحي فقط على الإمام، بل زادوا عليه:

فقد أثبتوا للأئمةِ نزولَ مَلَكٍ أعظمَ من جبريل عليه السلام ، فلم يكْتفوا بنزولِ جبريل علىٰ الإمام؛ لأن هذا في نظرهم شيءٌ مشتركٌ بينهم وبين الأنبياء، وبما أنهم يعتقدون علُوَّ منزلة الأئمة علىٰ منزلةِ الأنبياء، وأنها أعظمُ منها، فلابدَّ أن يُضيفوا إليها تنزُّلَ ملائكةٍ أعظمَ من جبريل وميكائيل، فمِنَ الروايات التي أثبتت ذلك، والتي وردت في كتاب «الكافي» للكليني ما يلي:

١ ـ عن أبي بَصير قال: «سألت أبا عبداللَّه عليه السلام عن قول اللَّه تبارك

---

(١) قال محقق الكتاب: «يعني ما غاب عنه في أقطار الأرض وما في عنان السماء، وبالجملة ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ».

وتعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢]. قال: خَلقٌ من خَلقِ اللَّه ـ عز وجل ـ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول اللَّه ﷺ يُخبره ويُسدِّده، وهو مع الأئمة مِن بعده».

٢ ـ عن أسباطَ بن سالم قال: «سأله رجلٌ من أهل «هِيت» ـ وأنا حاضر ـ عن قول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ فقال: منذ أَنزل اللَّهُ ـ عز وجل ـ ذلك الروحَ علىٰ محمد ﷺ، ما صَعِد إلىٰ السماء وإنه لفينا».

٣ ـ عن أبي بَصير قال: «سألتُ أبا عبداللَّه عليه السلام عن قول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الأسراء: ٨٥]، قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول اللَّه ﷺ، وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت».

٤ ـ عن أبي بَصير قال: «سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾، قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، لم يكن مع أحدٍ ممن مضىٰ، غيرِ محمد ﷺ، وهو مع الأئمةِ يُسدِّدُهم، وليس كلُّ ما طُلب وُجد».

وانظر بعين البصيرة لهذه العبارة عن هذا المَلَك الذي هو أعظمُ من جبريل وميكائيل، حيث قال عنه: «لم يكن مع أحدٍ ممن مضىٰ، غيرِ محمد، وهو مع الأئمة يُسدِّدهم»، فهو غيرُ موجودٍ مع الأنبياء السابقين، لِتستيقنَ بأنهم يُنزهون مرتبةَ الإمامة من أن تنحدرَ من عزِّها ورفعتها إلىٰ

مرتبة النبوة»(١) .

تاسعًا: مفهوم «النُّبُوَّة التبليغيَّة» وتعريفُها ينطبقُ تمامًا على الأئمة ـ بزعمهم ـ:

يتبيَّن لنا فيما تقدَّم أن الإمامية يُثبتون الوحيَ للإمام المتمثِّلِ بتكليم جبريلَ له وإملائه عليه قرآنًا وإخبارِه له بأخبار السماء صباحًا ومساءً(٢) ، بما يجعله في مصافِّ الأنبياء لتحقُّقِ مفهومِ النبوَّة فيه، دون أدنى فَرْقٍ معقول، وهذا التحقُّق يتأكَّدُ أكثرَ من خلال طرحهم مَفهومَين للنبوة.

وهما النبوة التشريعية والتبليغية على ما صَرَّح به آيتهم العظمى «جعفر سبحاني»(٣) والذي عرَّفهما بقوله:

١ ـ النبوة التشريعية: هي أن يُبعث النبيُّ بشريعةٍ جديدةٍ وكتابٍ جديد، وهذه قد انحصرت في خمسةٍ ذُكرت أسماؤهم في القرآن الكريم.

٢ ـ النبوة التبليغية: هي أن يُبعث النبيُّ لغايةِ الدعوةِ والإرشاد إلى أحكامٍ وقوانينَ سَنَّها اللَّه تعالى على لسان نبيِّه المتقدِّم، وهم الأكثرية من

---

(١) «الكافي» للكليني (١/ ٢٧٣).

(٢) قال علاَّمتهم محمد جميل حمود مثبتًا الوحي للإمام بالإضافة لما تقدم في كتابه «الفوائد البهية» (٢/ ١٠٢): «فنزول جبرائيل ﷺ والملائكة المقربين على نبينا محمد وعترته الطاهرة.. وعليه فوساطة جبريل أو روح القدس في علمهم في هذه النشأة»، وقال عن الوحي الذي ينزل على الرسل وأولي العزم (٢/ ١٠٧): «وهذا القسم من الوحي يشمل العترة الطاهرة أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]».

(٣) وذلك في كتابه «مفاهيم القرآن» (٣/ ٢١٧ـ٢١٨).

الأنبياء، حيث بُعثوا لترويجِ الدِّين الذي جاء به أُولو العزمِ الخمسة.

ولو تأملنا التعريفين بتجرُّدٍ وإنصافٍ نستطيعُ أن ننفيَ عن الإمام النبوةَ التشريعية؛ لأنه لم يأتِ بشريعةٍ جديدةٍ غيرِ شريعةِ نبيِّنا ﷺ، ولكنَّهم - واللّهِ - لا يستطيعون إيجادَ فَرقٍ بين «النبيِّ التبليغي» الذي ينزلُ عليه الوحي، وبين «الإمام» لادعائهم نزولَ الوحي على الإمام أيضًا.

◻ قال «جعفر سبحاني» عن وظيفة النبيِّ التبليغي وتعريفه: «بأنه الذي يقوم بنشرِ الشريعة وجِلائها وتجديدِها لكي لا تندرسَ، ويتمُّ إبلاغُها من السلف إلى الخَلَف بأسلوبٍ صحيح»[1].

◻ وفي الوقت نفسِه، أثبتوا هذا للإمام، حيث يقول «مرتضاهم» الملقب «بعَلَم الهدى»: «لأن أصحابَنا قد ذكروا وجوهَ الحاجة إليه في ذلك، فمنها تأكيدُ العلوم وإزالةُ الشبهات.. ومنها أن يُبيِّن ذلك ويُفصِّله، ويُنبِّه على مُشكِلِه وغامِضِه.. ومنها كونه من وراءِ الناقلين، ليأمنَ المكلَّفون من أن يكونَ شيءٌ من الشرع لم يَصِل إليهم»[2].

◻ وقال أيضًا: «فيجبُ أن يكونَ من وراءِ ما يُنقل إلينا بعد وفاته ﷺ مِن شريعته معصومٌ يتلافى ما يَجري في الشريعة من زَلَلٍ وترك الواجب».

فانظر إلى ما اقترفوه، وانظر إلى هذا التطابق الذي يلوحُ لكلِّ ذي عَينَين بين النبي التبليغي وبين الإمام، حيث تحقَّق فيه مفهومُ النبوة التبليغية تمامًا دون أدنى فَرقٍ إلاَّ إطلاقَ الاسم، وما استطاع الكذَّابُ إيجادَ فَرقٍ

(١) «مفاهيم القرآن» (٣/ ٢١٨).

(٢) «الشافي في الإمامة» للشريف المرتضى (١/ ٧٥-٧٦).

صحيح بين «النبي التبليغي» وبين «الإمام» بعد الصفات التي خلعوها على أئمتهم زوراً وكذباً وبهتاناً، عاملهم الله بما يستحقون.

◻ يقول فيلسوفهم الشيرازي: «لكنّ النبوةَ خُتمت بالنبيِّ محمدٍ ﷺ ـ أي: نبوةَ الرسالة والتشريع ـ، وبَقِيت الإمامةُ التي هي باطنُ النبوة إلى يوم القيامة»[1].

◻ وقال في نفس الكتاب (ص٩٧): «فإن هذه الأحوالَ السَّنية مما يقع فيه الاشتراكُ بين الأنبياء والرسل والمُحدَّثين من هذه الأمة، بل أن الأرضَ ما خَلَت عن النبوة الباطنية إلاَّ نُبُوَّةَ التشريع وإطلاق الاسم».

عاشراً: تصريحُ علماءِ الإماميةِ بأن الإمامَ يجبُ أن يَتَّصفَ بصفاتِ النبي:

فقد صرَّحوا بوجوبِ اتصافِ الإمام بصفاتِ النبيِّ؛ لأنه نائبٌ عنه، فيجب أن يكون مماثلاً له تماماً ـ أي: نُسخةً طِبقَ الأصل ـ، فممن صرح بذلك من علمائهم:

١ ـ قال عبدالحسين دستيغيب في كتاب «الإمامة» من سلسلة «أصول الدين» (٢/ ٦): «يجبُ أن يكونَ الإمامُ مشابهاً للرسول ﷺ تماماً».

◻ وقال: «فالنائبُ لأيِّ شخصٍ يجبُ أن يكونَ مماثلاً لذلك الشخص، فخليفةُ الرسولِ ﷺ يجبُ أن يماثِلَ الرسولَ من حيثُ العلمِ والعمل، بحيث لو رآه أيُّ شخصٍ فكأنما رأى الرسول ﷺ».

(١) «كتاب الحجة» لصدر الدين الشيرازي (ص١٣٣).

٢ ـ قال «محمد تقي مصباح اليزدي» (ص٣٣١): «الإمامُ الذي يمتلكُ خصائصَ نبيِّ الإسلام ﷺ كلَّها عدا النبوة والرسالة».

٣ ـ قال «محسن الخرازي» في «بداية المعارف الإلهية» (١/ ١١): «كما أنه ـ أي: الإمام ـ يتَّصفُ بصفاتِ النبي أيضًا لكونه خليفةً له، فإنْ كان النبيُّ معصومًا، فهو أيضًا معصوم.. وهكذا فالإمامُ يقومُ مقام النبيِّ في جميع صفاته عدا كونه نبيًّا».

◘ ويقول أيضًا (٢/ ٤٠): «فكلُّ ما كان النبيُّ معصومًا عنه، كذلك يكونُ الإمام معصومًا عنه».

◘ وقال (٢/ ٤٤): «إن مقتضى كونِ الإمامِ قائمًا مقامَ النبي في جميع شؤونه إلاَّ تلقِّي الوحي، هو تخلُّقُه بأخلاقِهِ، واتصافُه بصفاته، إذ بدون ذلك لا يتمُّ الاستخلافُ والنيابةُ، ومعه لا يتمُّ اللُّطفُ، وهو نقضٌ للغرض، ومخالفٌ لمقتضى عنايتِهِ الأولى ورحيميته».

٤ ـ «محمد رضا المظفر» في «عقائد الإمامية» (ص١٠٤): «ونعتقدُ أن الإمامَ كالنبي، يجبُ أن يكون معصومًا».

٥ ـ قال عالمهم وأبرزُ أعلام المذهب «علي بن موسى بن جعفر بن طاووس» في كتاب «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» (ص١٠): «وإن القائم مَقامَه على صفاتِ نبيِّه في العصمة؛ وكلُّ ما يجبُ له يجبُ للنائبِ من صفاتِ الكمال».

فهم يوجبون أن يتَّصفَ الإمامُ بصفاتِ النبي، فكيف تقولُ: «لَم نُشرِكْهم بالصفات»؟!.

*** الحادي عشر: تصريحُ علماءِ الإماميَّة بأهليَّةِ الأئمةِ لمنصبِ النُّبُوَّة لولا عقيدةُ «خَتم النبوة»:**

ومِمَّن صَرَّح بذلك:

١ ـ المفيد في «أوائل المقالات» (ص٤٩ ـ ٥٠) باب «القول في الفرق بين الرسل والأنبياء»: «وإنما مَنع الشرع من تسميةِ أئمتنا بالنبوة دون أن يكون العقلُ مانعًا من ذلك».

أي: لولا الشرعُ لأطلقوا على أئمتهم لفظةَ النبي؛ لأن العقلَ يُجوِّزه.

٢ ـ قال «هبة الدين الشهرستاني» في «أوائل المقالات» (ص١٧٨): «وما يُدريك أنْ لو كانت النبوةُ باقيةً مستمرةً لكانت النبوةُ في هؤلاء متسلسلةً، فما قَصَّروا عنها إلا لمانعٍ في الحِكمة الإلهية العامةِ، لا لقصورٍ في استعداد هؤلاء خاصةً، واللَّه أعلم بحقائق الأمور».

٣ ـ قال السيد «أمير محمد كاظم القزويني» في كتابه «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» (ص٧٣) حول استحقاق الأئمة للنبوة والمانع منه هو ختم النبوة: «ولا يَرِدُ عليه بأنه إذا كانت مرتبةُ الإمامة فوقَ مرتبةِ النبوة كان افتراقُ الإمامةِ عنها منافيًا لهذا القول؛ لأنه مردودٌ باستحقاقِ المرتبة العالية وهي الإمامة، متفرِّعٌ على استحقاقِ المرتبة التي هي دونها ـ أي: النبوة ـ، وهذا الاستحقاقُ ثابتٌ في الأئمة من البيت النبوي ﷺ، وإنما كان المانعُ عنها هو مرتبة «ختم النبوة» الثابتة لرسول اللَّه ﷺ».

*** الثاني عشر: تصريحُ فليسوفهم الشيرازي بأن الإمامةَ هي نبوّةٌ باطنيةٌ وأنهما حقيقة واحدة:**

□ فقد اعترف «صدر الدين الشيرازي» في كتابه «الحجة» بأن الإمامةَ نبوةٌ باطنية، وهي متفقةٌ في حقيقتها مع النبوة، فمن أقواله:

١ ـ صرَّح بأن الإمامةَ هي باطن النبوة، فقال (ص١٣٣): «لكنِ النبوةُ خُتمت بالنبي محمد ﷺ ـ أي: نبوة الرسالة والتشريع ـ، وبَقِيت الإمامةُ ـ التي هي باطنُ النبوة ـ إلىٰ يوم القيامة».

□ وقال (ص٩٧): «فإن هذه الأحوالَ السَّنية مِمَّا يقعُ فيه الاشتراكُ بين الأنبياء والرسل، والمُحدَّثين من هذه الأمة، بل إن الأرضَ ما خَلَت عن النبوة الباطنية إلاَّ نبوةَ التشريع وإطلاقَ الاسم».

٢ ـ قال (ص٥١): «فيجب أن لا تنقطعَ الإمامةُ ـ التي هي والنبوة حقيقةٌ واحدة بالذات متغايرةٌ بالاعتبار ـ عن ذرِّيته، بل لابد أن لا ينقطع معنىٰ النبوة وما يجري مجراه عن وجهِ الأرض أبدًا كما توضح سابقًا».

*** الثالث عشر: آخِرُ قاصمةٍ للظهر، صَرَّح بها المجلسي بأن عقولهم لم تستطعِ الوقوفَ على فَرْقٍ مُقنِعٍ بين النبيِّ والإمام:**

فمسكينٌ مجلسيُّهُم هذا، رغم أنه خاتمةُ محدِّثي الشيعة، وألَّف كتابَ «بحار الأنوار» والذي طُبع مؤخراً فبلغت مجلداتُه (١١٠) مجلد لتتصور سَعَةَ عِلمه واطلاعه علىٰ المذهب برواياته ونصوص علمائه، بعد أن أجهد نفسه ليجدَ فَرْقًا حقيقيًا مقنعًا ـ وليس فرقًا لفظيًّا أو شكليًّا ـ بين النبي وإمامهم المعصوم، عَجَزَ عن ذلك؛ لأن أوصافَهم متطابقةٌ تمامًا ـ كما نقلنا

قَدْراً منها آنفًا ـ، فبعد أن غاص في بحارِ رواياتِ الشيعة ونصوصِ علمائهم والتي بلغت (١١٠) أبحر ـ أي: بعدد مجلدات كتابه ـ والجهدِ المُضني الذي بَذَله، كَتب لنا تقريرَه النهائيَّ واعترافَه الخطيرَ الذي يُعدُّ بمثابةِ كلمةِ الفصلِ وصَفعةٍ قويةٍ لكلِّ مَن يزعمُ وجودَ فرقٍ حقيقيٍّ بين النبي وإمام الشيعة، بأن عقولَهم لَم تَصِلْ إلىٰ فرقٍ بيِّنٍ ظاهر بين النبي والإمام، واستغرب أيضًا لعدم وجود جهةٍ وعِلَّةٍ مقنعةٍ لعدم اتِّصافهم بالنبوة إلاَّ جهةً واحدةً، وهي أن الشرعَ قال: «لا، إن محمداً ﷺ خاتم النبيين»، فقال: «وبالجملة لابد لنا من الإذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياءَ، وبأنهم أشرفُ وأفضلُ من غيرِ نبينا ﷺ من الأنبياء والأوصياء، ولا نعرفُ جِهةً لعدم اتصافِهم بالنبوة إلا رعايةَ جلالةِ خاتمِ الأنبياء، ولا تَصِلُ عقولُنا إلىٰ فرقٍ بيِّن بين النبوة والإمامة، وما دلت عليه الأخبار فقد عرفتَه[1]، والله تعالىٰ يعلم حقائقَ أحوالهم صلوات الله عليهم أجمعين»[2].

وبعد: فهذه اثنا عشر وجهًا تُبطل محاولاتهم للتفريق بين النبي والإمام بفارقِ الوحي، وكلٌّ واحدٍ من هذه الوجوه كافٍ لِوحده علىٰ أن يَجعلَ محاولةَ التفريقِ هباءً منثوراً، فكيف لو اجتمعت جميعُها؟!!..

أفبعد كلِّ ما نسبتموه للأئمة من صفاتٍ بعضُها لا يليقُ إلاَّ بالله، ومعظمُها

---

(١) فقال عن الأخبار التي ذكرت الفرق بين النبي والإمام قبل هذا الكلام بقليل: «بيان: استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا الجمع بينها مشكل جداً».

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٦/ ٨٢)، وكرر نفس الكلام بنصِّه في كتابه «مرآة العقول» الذي شرح به كتاب «الكافي» للكليني وذلك في (٢/ ٢٩٠).

ينطبقُ على النبي ﷺ تكذِبون على أنفُسِكم وعلى الدنيا بأسرها؟! فواللَّهِ ما فتح البابَ إلى ادِّعاءِ النبوةِ من الدجَّالين إلاَّ عقائدكم الفاسدة، وحَطُّكم من مرتبة النبوة وإعلاء الإمامة فوقها.

❑ وهكذا حَصَل التآمرُ من علماءِ الشيعة على مرتبةِ النبوة بالإجهاز عليها، وبالفعل قاموا بذبحها وسَلْخها عن شرفِها وفضلها بمرأى ومَسمَعٍ من جميع المسلمين في العالم، غيرَ مكترِثين لهذا الأصل العظيم الشريف عند اللَّه تعالى، حتى عدَّها سبحانه من أعظمِ النِعَم على العباد، وذلك حين بيَّن لنا سبحانه العِبادَ الذين أنعم اللَّه بنِعمهِ وفضلِه عليهم ذاكراً في مقدمتهم الأنبياء؛ لأنهم فازوا بوِسام النبوة والسَّبقِ في القرب من اللَّه تعالى، حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

❑ ويقول السيد «أبو الحسن الندوي» في كتابه «صورتان متضادتان» حول خَطرِ إمامةِ الشيعة على أصل النبوة (ص٩٧ ـ ٩٨): «يحسُنُ بنا إلى تلقِّي نظرةٍ على معتقداتِ فرقةِ الإثنا عشرية ومبادئها التي ننقلُها ملتقَطةً من كتابهم «أصول الكافي»، هذه الفرقةُ ترى أن خليفةَ الرسول والخليفةَ الإمام أيضاً قد تم تعيينُهم من عند اللَّه، وهم كالنبي معصومون ومفترَضوا الطاعة، وأن منزلتهم تُساوي منزلةَ رسولِ اللَّه ﷺ وتفوقُ منزلةَ الأنبياء الآخرين. وأن حُجَّةَ اللَّهِ لا تقومُ على خَلقِه بدون إمام، وأن هذا لا يتمُّ ما لا يُعلم به، وأن الدنيا لا تقومُ من دون إمامٍ، وأن معرفة الأئمة شرطٌ للأيمان، وأن طاعةَ الأئمة واجبةٌ كطاعة الرسل، وأن الأئمةَ لهم الخيار في تحليلِ الأشياء

وتحريمِها، وأنهم معصومون مثلَ الأنبياء، وأن المؤمن بالأئمَّةِ المعصومين من أهل الجنة وإن كان ظالمًا وفاسقًا وفاجرًا، وأنَّ درجةَ الأئمة كدرجةِ الرسول ﷺ وأرفعُ من جميع الخلق ومن جميعِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقد كان الأئمةُ يتمتَّعون بعِلمِ ما كان وما يكون، وتُعرَضُ أعمالُ العباد على الأئمة في ليلهم ونهارهم، وأن الملائكة تترددُ إلى الأئمةِ ليل نهار، وفي ليلة كلِّ جمعة يُكرَمون بالمعراج، وعلى الأئمة ينزلُ كتابٌ من عند اللَّه كلَّ عامٍ في ليلة القدر، والموتُ يكون في سلطتهم، وأنهم يملِكون الدنيا والآخرة، فيُعطُون من شاؤوا ما شاؤوا، ولقد استنبط المحقِّقون من غيرِ المسلمين نفسَ هذا المفهوم من تَصوُّرِ الإمامة المذكور، فهذا البطريق «هوجيش» يقول: «إن الشيعةَ إنما يَخلَعون على الأئمة صفاتِ اللَّه»، ومحقِّقٌ آخَر« إيوانو» يقول: «إن استمرار ضوءِ الإمامة في العالم بصفةٍ دائمة إنما يَمنحُ النبوة مكانةً جانبية». . » .

❑ وينقلُ كلامَ «وليِّ اللَّه الدهلوي» (ص١٠٣) قائلاً: «إن بطلانَ الإمامية يُعرفُ من لفظ الإمام، فإن الإمام عندهم هو المعصوم المفترَضُ الطاعة، الموصَى إليه وحيًا باطنيًّا، (بل إنه وحيٌ ظاهر بتكليم المَلَك، كما أثبتنا ذلك)، وهذا هو معنى النبي، فمذهبهم يستلزم إنكارَالنبوة».

نعم إن اعتقادَ قضيةِ الإمامة بمفهومها الشِّيعيِّ يُعطي النبوةَ مكانةً جانبيةً، ونستطيعُ أن نَلمسَ هذا من خلالِ واقعِ تعاملِ الشيعة مع شخصِ نبينا محمد ﷺ، إذ إنها تؤثِّرُ على مكانته في قلوب المسلمين من خلال تقليلها لمحبته ﷺ عما أوجبه له دينُ الإسلام، حيث قال ﷺ فيما رواه

مسلم في «صحيحه» (١/ ٤٩): عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وروىٰ البخاري (٧/ ٢١٨): حدثني أبو عقيل زُهرةُ بنُ مَعبد أنه سَمع جدَّه عبدَاللَّه بنَ هشام قال: كنا مع النبيِّ ﷺ وهو آخذٌ بيدِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول اللّه، لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلاَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ له: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر رضي الله عنه: فإنه الآن واللّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر».

وهذا المعنىٰ تضمَّنه قوله تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

◻ ويؤكِّد السيد أبو الحسن الندوي ما أثبته الشرعُ من وجوب تفرُّدِ النبي ﷺ بمحبةٍ لا مشارِكَ ولا مزاحِمَ ولا مساوٍ له فيها مهما كان إيمانُه وتقواه، فقال في كتابه «صورتان متضادتان» (ص٩٦ ـ ٩٧): «أما الشرطُ الرابع الذي كنا قد اشترطناه للنبوة الدائمةِ والأمةِ الخالدة هو أن تكون شخصيةُ الرسولِ هي مركزُ الهداية ومِحورُ العلاقة القلبية والتفويضِ العقليِّ للأمة، وأن يكون النبيُّ هو مصدرُ التشريع والمستحِقُّ لأن يُطاعَ ويُمتَثَلَ أمرُه، لا يشاركُه في ذلك أحدٌ من أفراد أمته».

◻ وإلىٰ أن قال (ص١٠٤): «أما شخصية الرسول ﷺ، فلا يكفينا أن نتَّصلَ بها اتصالاً قانونيًا فحسب، بل المطلوب منا أن نرتبط بها ارتباطًا رُوحيًا وعاطفيًا، ونُحبَّه حبًّا خالصًا عميقًا يفوقُ كلَّ الحبِّ للمال والنفس والأهل والأولاد، ولا تُشارِكُ في ذلك أيُّ شخصيةٍ بعد ذات اللّه تعالىٰ،

وإن كان من كبارِ الأولياء، أو من الرجال الكاملين، أو فرداً عظيماً من أفراد أهل البيت.

إنَّ النبي ﷺ شمسٌ مشرقةٌ للعالَم كلِّه، وكلُّ مَن عداه ـ سواءٌ كان من الصحابة الكرام، أم المجدِّدين، أو مؤسِّسي الحكومات والممالك، أو قادة الثورات ـ، فهو ذَرَّةٌ تستنيرُ بنورِ هذه الشمس المشرقة وتُنير، وهو ترابٌ يتحوَّل إلى أكسيد، وحديد «حجر الفلاسفة»، وهو أحقُّ وأجدرُ بالوصف الذي جاء في بيتين عربيين قديمين:

ألاَ إنَّ واديَ الجِذعِ أضحى تُرابُـه ... في المِسك كافـوراً وأعـوادُه رَنْدا

ومـا ذاك إلاَّ أن هنـــداً عشـــيــةً ... تمشَّت وجَرَّت في جوانبـــه بُـرْدا

فهذه المحبةُ التي أوجبها الشرعُ لنبينا ﷺ، إلاَّ أنها لم تَصْفُ ولم تَسلمْ للشيعة ـ بسبب عقيدةِ الإمامة ـ كما أَمر بها الشرعُ، وكما هي موجودةٌ عند أهل السنة، لأنهم جَعلوا له مساويًا في الصفات، ومِن ثَمَّ يكونُ مساويًا له في الحب وهم الأئمة المعصومون، وليس هذا افتراءً عليهم، بل هو واقعٌ يلمسُه كلُّ مَن عاش بين أظهُرِهم».

❑ فها هو ـ وهو من عاش في بلادهم وطاف بها ـ مثبتًا ذلك، حيث يقول في كتابه «صورتان متضادتان» (ص١٠٥ ـ ١٠٦): «ولكنَّ هذه المعتقداتِ عن الإمامة والأئمة لا تُعارِضُ الإعجابَ والحُبَّ للنبي ﷺ فحسب، بل إنها تضادُّه وتتصادمُ معه، فكانت النتيجةُ الطبيعيةُ والنفسيةُ أن الشيعةَ لم يتمكَّنوا من تأليفِ كتابٍ قويٍّ مؤثِّرٍ في السيرة النبوية، ولا أن شُعراءَهم النابغين وقفوا إلى نَظْمِ نبوياتٍ قويةٍ مؤثِّرة، ومدائحَ نبويةٍ تتجلَّى فيها العاطفةُ القلبيةُ في المديح الشِّعري للنبي ﷺ، وتتدفقُ فيه القريحة

الوقَّادة، كما نرىٰ ذلك في شِعر المراثي ومناقبِ أهل البيت وتصوير ما حدث في «كربلاء» بأسلوبٍ ساحرٍ وشاعريةٍ بليغة، ولا نَبَغ فيهم شاعرٌ للمديح يُضاهي شعراءَ الهند الذين علا كعبُهم في شِعر المديح - دَعْ عنك شعراء الفارسية في المديح النبوي مثل القدسي والجافيَ -، وهذا ما يقتضيه القياس، وهي قضيةٌ معلومة، ومن المناسب في هذه المناسبة أن أنقلَ ما قلتُه في رحلتي إلىٰ إيران في كتاب «من نهر كابل إلىٰ نهر اليرموك»: «إننا شعُرنا في كلِّ مجتمعٍ ينتمي إلىٰ الطريقةِ الإمامية أن الصِّلةَ العاطفيةَ والحماسَ الداخليَّ في حُبِّ أهلِ البيت وتعظيم الأئمة الذين كانوا أئمةَ الهدىٰ ومصابيح الدُجىٰ - ولا يَشكُّ في ذلك مسلم - كاد يَشغلُ كلَّ فراغٍ في النفس والعاطفة والعقلِ والضمير، ويُخشىٰ أن يكون قد أخذ الشيءَ الكثيرَ من حقِّ النبوة التي هي مَصدرُ كلِّ خيرٍ وسعادةٍ، ومن شخصيةِ الرسولِ الأعظمِ ﷺ الذي نال به أهلُ البيت الشرفَ، واستحقوا الحبَّ والتعظيم، وأنه نما وازدَهَر علىٰ حساب الصِّلةِ العميقةِ التي يجبُ أن تكونَ بين المسلمِ ونبيِّه ﷺ».

فالخَطبُ أدهىٰ وأمرُّ، فقد أضافوا إلىٰ ذلك الحَطَّ من شرفِ النبوة وقَدْرِها، وفتحوا البابَ إلىٰ نَسفِ ختم النبوة.. والعجيبُ أن أغلبَ مَن ادَّعَوا النبوةَ خرجوا مِن فِرَقٍ تفرَّعت عن فِرقتهم، فاللَّهُ يُحاسبهُم بما أوردوا الناسَ من مهالكَ ومخازٍ.

* الفِرْيَةُ الكُبرى للإماميَّة: ادعاؤُهم تحريفَ القرآن والحَذْفَ والزيادةَ فيه:

أعظمُ جنايةٍ للإمامية وأكبرُ طعنٍ لهم وعِداءٍ للنبي ﷺ: قولُ كبارِهم بتحريف القرآن بالزيادةِ فيه والنقصان، وكَذَّبوا صريح القرآن الذي تلاه محمدٌ ﷺ علىٰ صحابته - بل والدنيا بأسرها -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

* وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

فكتبَ دجَّالوا الشيعة وكبارُ كذَّابيهم ـ لعنهم اللَّه ـ بما يخالفُ صريحَ القرآن. ويُنكر متواترَه، فيطعنون في أُسِّ الإسلام، وما نزل على خيرِ الأنام ﷺ.. إي واللَّه يطعنون في القرآن.. يوصِي الأوائلُ منهم بذلك الأواخرَ.. وكبارُهم المتقدِّمون منهم الصغارَ والعشائرَ.. وهاك افتراؤهم.

▫ أول كتابٍ من كتبهم الذي وردت فيه هذه الفِريةُ هو كتاب «الكافي» ـ وهو أجلُّ كتب الشيعة عندهم ـ لثقة الإسلام!! «محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلِّيني» المتوفى سنة ٣٢٨هـ وهو مجدِّدُ مذهبِ الإمامية على رأس المئة الثالثة، كما يقول مؤلف «الكافي» تحت باب «ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة»: «ثم قال[1]: وإن عندنا لَمصحفَ فاطمة ـ عليها السلام ـ، وما يُدريهم ما مصحفُ فاطمةَ ـ عليها السلام ـ؟ قال: قلت[2]: وما مصحفُ فاطمة ـ عليها السلام ـ؟ قال: مصحفٌ فيه مثلُ

(١) أي جعفر الصادق ـ رحمه اللَّه ـ وهو من كبار العلماء الربانيين.. ومن كبار أهل البيت.. نسب إليه الشيعة ـ وهو من ذلك بريء كل البراءة ـ كلَّ كذب وزور.

(٢) الراوي عن جعفر وهو أبو بصير ـ الكذّاب الدجَّال ـ.

قرآنِكم هذا ثلاثَ مرَّات، واللَّه ما فيه من قرآنكم حَرفٌ واحد، قال: قلت: هذا واللَّهِ العلم، قال: إنه لَعلمٌ وما هو بذاك..»[1].

لعنَ اللَّهُ الكليني.

◻ ومن الكتب التي أُلِّفت في زمنِ الأئمة المعصومين «تفسير القُمِّي» الذي يبجِّلُونه كثيراً - كما قال السيد «طيب موسوىٰ الجزائري»: «إن هذا التفسيرَ أصلُ أصولٍ للتفاسير الكثيرة، ومؤلِّفُه كان في زمنِ إمامهم الحسن العسكري-.

◻ يقول القُمِّي في مقدمة تفسيره: «فالقرآنُ منه ناسخٌ ومنسوخ، ومنه مُحْكَمٌ ومتشابه، ومنه عامٌّ ومنه خاصٌّ، ومنه تقديمٌ ومنه تأخير، ومنه مُنقطع ومنه معطوف، ومنه حَرفٌ مكانَ حرفٍ، ومنه علىٰ خلافِ ما أنزل اللَّه» - لعنَ اللَّهُ القمي[2].

◻ ومن الكتب التي يعتمدها القومُ «تفسير العياشي» - محمد بن مسعود - أحدِ مشايخ الكَشِّي، ومن طبقة ثقةِ الإسلام «الكلَيني» كما يذكر الطهراني في كتاب «الذريعة» (٤/ ٢٩٥)، حيث يذكرُ العياشي في مقدمة تفسيره عن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام: «لولا أنه زيد في كتاب اللَّه ونُقص منه ما خَفي حقُّنا علىٰ ذِي حجىٰ».

◻ ورابعهم: «محمد بن الحسن الصفَّار» صاحب كتاب «بصائر الدرجات»، حيث يُورِدِ في كتابه عقيدتَه في القرآن، فيذكر في «البرهان»

---

(١) «الكافي» (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) «تفسير القمي» (١/ ٥).

(١/ ١٥): «عن أحمدَ بنِ محمدٍ، عن الحسنِ بن محبوب، عن عمرو بن أبي المِقدام، عن جابر قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما من أحدٍ من الناس ادَّعىٰ أنه جَمع القرآنَ كلَّه كما أَنزل اللَّه إلاَّ كَذَب، وما جَمَعه وحَفِظه كما أنزله اللَّه إلاَّ عليُّ بن أبي طالب والأئمة من بعده».

◘ وخامسهم: «فرات بن إبراهيم الكوفي» الذي سَرَد رواياتٍ كثيرةً تدلُّ دلالةً واضحةً علىٰ أن القرآن مُحرَّفٌ فيه ومُغَيَّر فيه، كما أنه في مقدمة كتابه أورد روايةَ عليٍّ بنِ أبي طالب: «أُنزل القرآن أربعة أرباع»[١].

◘ وسادسهم: محدِّث القوم السيد «نعمت اللَّه الجزائري» صاحب كتاب «الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية»، قال: «إن تسليم تواترها عن الوحي الإلهي، وكونَ الكلِّ قد نزل به الرُّوحُ الأمين يُفضِي إلىٰ طَرحِ الأخبار المستفيضةِ بل المتواترة الدَّالَّةِ بصريحها علىٰ وقوعِ التحريف في القرآن كلامًا ومادةً وإعرابًا، مع أن أصحابَنا قد أطبَقوا علىٰ صحتها والتصديق بها»[٢].

◘ وسابعهم: «محمد بن مرتضىٰ» المدعو بالمولىٰ محسن الكاشاني صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة كـ «الكافي والوافي والشافي» إلىٰ غير ذلك مما يقربُ من مئةِ تصنيف، المتوفىٰ سنة (١٠٩١هـ)، قال هذا في تفسيره بعدما ذكر كلام الطبرسي والمرتضىٰ: «أي أن العِلمَ بصحة نقل

---

(١) «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب.. عرض ونقد» تأليف الدكتور أحمد عثمان خليفة (ص٢٨) ـ دار السلف ـ الرياض.

(٢) «الأنوار النعمانية» لنعمت اللَّه الجزائري (٢/ ٣٥٧).

القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث»: «أقول: لقائلٍ أن يقول: كما أن الدواعي كانت متوفِّرةً على نَقلِ القرآن وحِراستِه والاعتناء به من قِبَلِ المؤمنين، فكذلك كانت هذه الدواعي متوفرةً لدى المنافقين على تغييره وتحريفِه المغيِّرَينِ للخلافة والمبدِّلَينِ للوصية؛ لأنَّ هذا القرآنَ تضمَّن ما يخالفُ آراءهم وأهواءَهم.

ولقائل أن يقول: «إنه ما تغيَّر في نفسه، وإنما التغييرُ في كتابتهم إياه أو تلفُّظهم به، فإنهم ما حرَّفوا إلاَّ عند نَسْخهم من الأصل، وبَقِيَ الأصلُ على ما هو عليه عند أهله، وهم العلماء به».

فما هو عند العلماء به ليس بمحرَّف، وإنما المحرَّف ما أظهروه لأتباعهم»[1].

☐ وثامنهم: عالمُ الإمامية الفقية صاحب كتاب «تفسير القرآن» السيد «هاشم البحراني»، قال ذلك في مقدمة تفسيره في الفصل الرابع تحت عنوان «بيان خلاصة أقوال علمائنا في تفسير القرآن وعدمه، وتزييف استدلالِ مَن أنكر التحريف.

☐ وتاسعُهم: الشيخ «أبو علي الطبرسي» في «مجمع البيان» فقد قال: «وإلى طبقتِه لم يُعرَفِ الخلافُ صريحًا إلاَّ مِن هؤلاء المشايخ الأربعة»[2].

والمشائخُ الأربعة هم مشايخُ الإمامية الذين قالوا بعدم تحريفِ كتاب اللَّه بخلاف بقية علمائهم وهم: «ابن بابويه القُمِّي» أستاذ الفقيه المفيد الذي

(١) «الصافي» لفيض الكاشاني (١/ ٣٥، ٣٦)، المقدمة السادسة.

(٢) «فصل الخطاب» (ص٣٤).

لقبوه بالصدوق، وذلك في كتابه «الاعتقادات»، و«السيد المرتضى» مؤلف «نهج البلاغة» ومُرَتِّبه المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وثالث القوم «أبو جعفر الطوسي» تلميذ السيد المرتضى المُتوفَّى سنة ٤٦٠هـ، والرابع هو «أبو علي الطبرسي» المتوفى سنة ٥٤٨هـ صاحب تفسير «مجمع البيان».

❑ ومنهم «آيةُ اللَّه ميرزا حسين نُوري المازندراني الطبرسي» المتوفى سنة ١٣٢٠هـ والمدفون في عتباتهم المُقدَّسة بالنجف، وذلك ـ على حَدِّ زعمهم ـ تقديراً لعلمه وفضلِه وغزارةِ إنتاجِه وإثرائِه المكتبةَ العربية الإسلامية بمؤلَّفاته وأسفارِه التي منها كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الذي يفضح خبايا نفوسِ القوم وحقيقةَ دعوتهم وادعائِهم الإسلام، ويكشفُ زيفَهم، ويَفضحُ أستارَ القوم، ويُبيِّنُ عَوارَهم، ويُشهِرُ زُورَهم وبهتانَهم وأضغانَهم.

❑ ومن علمائهم الدجَّالين اللعانين «المجلسي» صاحب «حياة القلوب».

❑ و«ملا محمد تقي الكاشاني» في كتابه «هداية الطالبين» تحت فصل «مطاعن عثمان».

❑ ومنهم الشيخ «علي أصغر البروجردي» من أعيان القرن الثالث عشر في كتابه «عقائد الشيعة».

❑ ومنهم «زين العابدين الكِرماني» في رسالته «تذييل في الرد على هاشم الشامي».

❑ ومنهم السيد «حامد حسين الكهنوي» صاحب «استقصاء الأفهام واستيفاء الانتقام».

□ ومن كتبهم التي قالت ونصَّت على تحريف القرآن «تصحيف كاتبين أو تاريخه قرآن مبين» كما ذكره صاحب «الذريعة»:

«تصحيف كاتبين أو تاريخه قرآن مبين» لمرزا أحمد سلطان.

و«رشق النبال على أصحاب الضلال» للسيد ناصر حسين.

و«مصباح الظُّلَم» لشمس العلماء السيد إمداد الإمام زيدي المستبصر العظيم آبادي، مطبوع بلغة أردو.

و«ضربت حيدري» للسيد محمد دلدار علي.

و«عماد الإسلام» لأبيه السيد دلدار علي، وقد ذكرهما سابقًا.

و«الإنصاف في الاستخلاف» للمرزا أحمد علي.

«الإنصاف في تحقيق آية الاستخلاف» لمرزا أحمد علي الأمرتسري الهندي، المطبوع بلغة أردوا.

و«ضميمه مقبول ترجمة» للمولوي مقبول أحمد المتوفي سنة ١٣٤٠هـ، الذي ذكره الطهراني في «الذريعة» خَصَّص فيها بابًا لبيان هذه العقيدة.

□ ونختمُ بما قال «الطبرسي اللعين» في كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»: «المقدمة الثالثة «في ذكر أقوال علمائنا رضوان اللَّه تعالى عليهم أجمعين في تغيير القرآن وعدمه»: «فاعلم أن لهم في ذلك أقوالاً، مشهورُها اثنان:

الأول: وقوع التغييرِ والنقصانِ فيه.

وهو مذهب الشيخ الجليل «علي بن إبراهيم القمي» - شيخ الكليني في تفسيره -، ومذهبُ تلميذِه ثقةِ الإسلام «محمد يعقوب الكليني» رحمه اللَّه،

واستظهر المحقق السيد «محسن الكاظمي» في شرح «الوافية» مذهبه، وبه صَرَّح أيضًا العلامة «المجلسي» في «مرآة العقول»، وبهذا يُعلم مذهب الثقة الجليل «محمد بن الحسن الصفار» في كتاب «البصائر».. وهذا مذهبُ صريح الثقة «محمد بن إبراهيم النعماني» تلميذ الكليني صاحب كتاب «الغيبة» المشهور في تفسيره الصغير.

وصريح الثقة الجليل «سعد بن عبداللَّه القُمِّي» في كتاب «ناسخ القرآن ومنسوخه»، عقد فيه بابًا ترجمته «باب التحريف في الآيات»، وصريح السيد «علي بن أحمد الكوفي» في كتاب «بدع المحدِثة».

وقد أجمع أهلُ النقل والآثار من الخاصِّ والعام أن هذا الذي في أيدي الناس من القرآن ليس هذا القرآن كلَّه! وأنه ذهب من القرآن ما ليس هو في أيدي الناس!.

وهو أيضًا ظاهر مذهب أجلَّةِ المفسرين وأئمتهم الشيخ الجليل «محمد ابن مسعود العياشي» والشيخ «فرات بن إبراهيم الكوفي» والثقة النقة «محمد بن العباس الماهيار» وأنهم ملؤوا تفاسيرَهم من الأخبار الصريحة في هذا المعنى.

وممن صرَّح بهذا القولِ ونَصَره الشيخُ الأعظم «محمد بن محمد النعمان ـ المفيد»، فقال في «المسائل السروية»: «قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: أمَا واللَّهِ لو قُرئَ القرآنُ كما أُنزل لألفيتمونا فيه مسمَّينَ كما سمِّي مَن كان قبلنا»، وقال عليه السلام: «نزل القرآنُ أربعةَ أرباع: رُبُع فينا، ورُبُع في أعدائنا، ورُبُع قصصٌ وأمثالٌ، ورُبُع قضايا وأحكام».

◘ ثم قال: «غير أن الخبرَ قد صَحَّ عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد

أقرُّوا بقراءةِ ما بين الدفَّتين، وأن لا نتعدَّاه إلىٰ زيادةٍ فيه ولا إلىٰ نقصانٍ منه إلىٰ أن يقوم القائمُ عليه السلام، فيقرأَ الناسُ علىٰ ما أنزل اللَّه تعالىٰ وجَمَعه أميرُ المؤمنين عليه السلام؛ لأنه متىٰ قرأ الإنسانُ بما يخالِفُ ما بين الدفتين غَرَّر بنفسه من أهلِ الخلاف وأغرىٰ به الجبَّارين وعَرَّض نفسَه للهلاك، فمنعونا من قراءةِ القرآن بخلافِ ما أُثبت بين الدفتين»!!!.

◻ وقال في موضعٍ من كتاب «المقالات»: «واتفقوا ـ أي: الإمامية ـ علىٰ أن أئمةَ الضلال خالفوا في كثيرٍ من تأليفِ القرآن، وعَدَلُوا فيه عن موجِبِ التنزيل وسُنَّةِ النبي ﷺ».

ويأتي إن شاء اللَّه ما رواه في «إرشاده» من الأخبار الصريحة في وقوع التغيير فيه (ص٢٦ ـ ٢٨).

«وممن ذهب إلىٰ هذا القول الشيخ الثقة الجليل الأقدم «فضل بن شاذان» في مواضع من كتاب الإيضاح، وممن ذهب إليه من القدماء الشيخ الجليل «محمد بن الحسن الشيباني»[1] صاحب تفسير «نهج البيان عن كشف معاني القرآن»، ومنهم الثقة «محمد بن خالد»، عَدَّ النجاشي من كتبه كتاب التنزيل والتغيير، ومنهم الشيخ الثقة «علي بن الحسن بن فضال» عُدَّ مِن كُتُبه كتابُ «التنزيل من القرآن والتحريف»، ومنهم «محمد بن الحسن الصيرفي» في الفهرست له كتاب «التحريف والتبديل»، وكذا الشيخ «حسن بن سليمان الحلِّي» تلميذ الشهيد في «مختصر البصائر»، وسماه «التنزيل والتحريف»، ومنهم «محمد بن العباس الماهيار» المعروف بـ «ابن الحجام»

(١) الشيعي وليس هو محمد بن الحسن الشيباني ـ رحمه اللَّه ـ تلميذ أبي حنيفة.

صاحب التفسير المعروف، وقد أكثر من نقل أهل التحريف في كتابه، ومنهم صاحب كتاب «الرد على أهل التبديل»، ذكره ابن شهر آشوب في «مناقبه» كما في «البحار»، ونقل عنه الأخبار على أن مراده من أهل التبديل هم العامة.

❑ وقال السيد المحدث «الجزايري» في «الأنوار» ما معناه: «إن الأصحاب قد أطبقوا على صِحَّةِ الأخبار المستفيضة - بل المتواترة - الدالةِ بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادةً وإعرابًا».

❑ وقال الشيخ الفاضل «يحيى» تلميذ «الكركي» في كتاب «الإمامة» في الطعن التاسع على الثالث: «. . مع إجماع أهلِ القبلة من الخاص والعام أن هذا القرآن الذي في أيدي الناس ليس هو القرآنَ كلَّه».

والشيخ «أبو الحسن الشريف» جَدُّ شيخنا صاحب «الجواهر» وجعله التحريف في تفسيره المسمى بـ «بمرآة الأنوار من ضروريات مذهب التشيع وأكبر مفاسد غصب الخلافة» (ص٢٨ - ٣٢).

الثاني: عدم وقوع التغيير والنقصان.

وإليه ذهب «الصدوق»[1] في عقايده، والسيد «المرتضى» و«شيخ الطائفة»[2] في «التبيان»، ولم يُعرف من القدماء موافقٌ لهم.

❑ ففي «العقايد»: «مَنْ نسب إلينا أنا نقولُ: إن القرآنَ أكبرُ من ذلك فهو كاذب».

ثم استدل على ذلك بإطلاق لفظ القرآن على هذا الموجود (ص٣٣).

ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب «التبيان» أن طريقتَه فيه على نهاية

(١) هو ابن بابويه القمي.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي صاحب «التبيان في تفسير القرآن».

المداراة والمماشاة مع المخالفين[1] ، فإنك تراه اقتصر في تفسير الآيات على نقلِ كلامِ الحسن وقتادة والضحاك والسُّدِّي وابن جريج والجُبَّائي والزجَّاج وابن زيد وأمثالهم، ولم يَنقل عن أحدٍ من مفسِّري الإمامية، ولم يَذكر خبراً عن أحدٍ من الأئمة عليهم السلام إلاَّ قليلاً. . وممَّا يؤكِّد كونَ وَضْعِ هذا الكتاب على التقية ما ذكره السيد الجليل «علي بن طاوس» في «سعد السعود»، وهذا لفظه: «ونحن نذكر ما حكاه جَدي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب «التبيان»، وحَمَلَته التقية على الاقتصار. . إلخ» (ص٣٥).

◻ «ولم يُعْرَفِ الخلافُ صريحًا[2] إلاَّ من هذه المشايخ الأربعة كذا ـ أي: الصدوق والمرتضي والطوسي والطبرسي ـ»، ولعل المتتبعَ يجدُ صِدقَ ما قلناه، ومع ذلك كلِّه فَالمُتَّبَعُ هو الدليلُ وإن لم يذهب إليه إلا القليل» (ص٣٦).

◻ فهؤلاء علماءُ الإمامية وآياتُهم الملاعين، القائلون بتحريف القرآن والتغيير، الحاطُّون من قَدْرِ كتابِ اللَّه وقَدْرِ مَن أُنزل عليه ﷺ، وهم أعداؤه

---

(١) قوله: «طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين» يريد أن أسلوبه في الكتاب انبنى على أقصى درجات التقية، ومجاملة المخالفين من أهل السنة والجماعة. ومع ذلك فإن فيه من تحريف المعنى ما هو أشد من تحريف اللفظ، والنتيجة واحدة لإثبات تحريف القرآن لفظًا ومعنى، أو معنى فقط للتقية وانظر دراسة الشيخ الدكتور علي السالوس لهذا التفسير فقد أتى بالأمثلة الواضحة الكثيرة المتنوعة لتحريف هذا الإمام، وهذا مهم؛ لأن تفسير الطبرسي «تفسير مجمع البيان» من أشهر تفاسيرهم.

(٢) قوله: «ولم يُعرف الخلاف صريحًا. .» أقول: وهو في هذا صادق. حيث لم يصرِّح بعدم النقص والتحريف في القرآن خلافًا لما عليه الأئمة والعلماء وعامة أهل الطائفة إلا أربعة أشخاص على سبيل التقية. حيث من المعروف أن تكذيب الإمام، أو القول بخلاف ما يقوله ويراه، كفر في الدين ومحاربة للَّه رب العالمين في عقيدتهم لا يقدم عليه الشيعي إلا من باب التقية ويكون مع ذلك مأجوراً.

وشانؤوه ـ واللّه ـ على الحقيقة . . فحَشَرهم اللّهُ مع أبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من المكذِّبين للقرآن .

*** الخُميني، شيخ الكُفر، وكبير الإمَاميَّة الاثنا عَشْريةِ في عَصرِنا :**

*** نُكَفِّرُ الخُميني بتفضيله مَهديَّ الشيعة المنتظر على النبيِّ محمد ﷺ :**

◻ فقد قال الخُميني في خطابٍ له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهديِّ ـ كما يعتقدون ـ في الخامسَ عشَرَ من شهرِ شعبان ١٤٠٠هـ، وأُذيع من راديو طهران : «لقد جاء الأنبياءُ جميعًا من أجلِ إرساء قواعدِ العدالة، لكنهم لم ينجَحوا، حتى النبيُّ محمدٌ خاتمُ الأنبياء ـ الذي جاء لإصلاح البشرية ـ لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجحُ في ذلك هو المهديُّ المنتظر»[1] .

*** النُّبُوَّةُ عند الخُميني :**

أفرزت لَوثاتُ التصوُّفِ عند الخُميني دعوى غريبةً وكفرًا صريحًا، حيث يرسِمُ للسالك أسفارًا أربعة :

ينتهي السَّفرُ الأول إلى مقام «الفناء» .

وينتهي السَّفر الثاني إلى «الفناء عن الفناء»، وتتم دائرة «الولاية» .

أما في السَّفر الثالث، فإنه : «يَحصُلُ له الصَّحوُ التامُّ، ويبقى بإبقاءِ اللّه، ويُسافرُ في عالَم الجبروت والملكوت والناسوت، ويَحصُلُ له حظٌّ من النبوة، وليست له نبوةُ التشريع، وحينئذٍ ينتهي السَّفرُ الثالث، ويأخذُ في السفر الرابع»[2] .

---

(١) «مجلة المجتمع الكويتية» العدد (٤٨٨) في ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، و«نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشّار عوّاد (ص٤٥ ـ ٤٧) ـ دار عمّار للنشر .

(٢) «مصباح الهداية» (ص١٤٩) .

وبالسفر الرابع: «يكون نبيًّا بنبوةِ التشريع»[١].

فمراحلُ السفر عنده هي: «الفناء، والولاية ـ وفيها الفناء عن الفناء ـ، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة».

وقولُه هذا يتضمَّنُ أن النبوةَ مكتسَبَةٌ عن طريق «رياضات» و«مجاهدات» أهل التصوف.. ونحن نُكفِّرُهُ بقوله هذا.

◻ قال القاضي عياض: «نُكفِّرُ من ادَّعىٰ النبوةَ لنفسه، أو جَوَّزَ اكتسابَها والبلوغَ بصفاءِ القلب إلىٰ مرتبتها ـ كالفلاسفة وغُلاةِ الصوفية ـ»[٢].

◻ وقد ذكر الخُميني في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «أن الفقيهَ الرافضيَّ بمنزلةِ موسىٰ وعيسىٰ»[٣].

◻ وادَّعىٰ فَخرٌ الحجازي: «أن الخُميني أعظمُ من النبيِّ موسىٰ وهارون»، فعيَّنه نائبًا عن «طهران» ورئيسًا لمؤسسة المستضعَفين أعظم مؤسسةٍ مالية في البلاد[٤].

*** الخُمينيُّ ضالٌّ مُضِلٌّ:**

الخُميني ضالٌّ مُضِلٌّ، وارجع إلىٰ كتابه «الحكومة الإسلامية» أو «ولاية الفقيه»، وكتابِه «تحرير الوسيلة»، و«مختصره» «من هنا المنطلق»، وكتابه «جهاد النفس» أو «الجهاد الأكبر».

---

(١) «مصباح الهداية» (ص١٤٩).

(٢) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠ـ١٠٧١).

(٣) «الحكومة الإسلامية» (ص٩٥).

(٤) «الثورة البائسة» لموسىٰ الموسوي (ص١٤٧).

والأحاديثُ الواردةُ في الصِّحاح ـ والتي بدونها يضيعُ دينُنا ـ لا تَرِدُ علىٰ لسانه أبدًا، بل يَرِدُ في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٣٧ وما بعدها) أنه لا يعترف بها.

❑ يترحَّمُ الخُميني علىٰ «النوري» صاحب كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، والذي طُبع سنة ١٢٩٨هـ، وقد قال علماء الشيعة عنه: «إنه من أعظم علماءِ الشيعة وكبارِ رجالِ هذا القرن».

ويُحيل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» عند ذكرِه لأحد الأحاديث إلىٰ كتاب «دعائم الإسلام»، وهو الكتابُ الأكبر عند الإسماعيلية الباطنية الغلاة.

ويَرجعُ الخُمينيُّ إلىٰ كتاب «الكافي» للكلِّيني، وفيه من الكفريات والضلالات الشيءُ الكثيرُ، كالأحاديث الواردة فيه بنقضِ القرآن وتحريفه، وأنَّ الأئمةَ يوحَىٰ إليهم، وأنهم يعلَمون عِلمَ ما كان وما يكون، وأنه لا يَخفَىٰ عليهم شيء، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا علِموا، وأنهم يعلمون متىٰ يموتون، ولا يموتون إلاَّ باختيارٍ منهم، وفيه تكفيرُ أبي بكر وعمر وعمرو وعثمان، وعقيدةُ الكلِّيني في القرآن أنه ناقصٌ محرَّف.

*** الخُمينيُّ الضالُّ يَذهبُ إلى تحريفِ القرآن، ونحنُ نُكَفِّرْه بهذا:**

هناك إجماعٌ من الشِّيعة ـ وعلىٰ رأسهم الخميني ـ علىٰ تقدير «النوري»، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل»، ويترحَّمُ عليه، و«الكافي» للكلِّيني، و«الوسائل» للحر العاملي، و«الاحتجاج» لأحمد الطبرسي.. وكلُّها تقول بتحريفِ القرآن.

وبين أيدينا وثيقةٌ، وهذه الوثيقةُ كتابٌ باللغة الأُردية موثَّقٌ من عددٍ من آياتهم المعاصرة ـ ومنهم الخميني ـ، وهو طبقًا لما جاء في صدر الكتاب مراعِين في ذِكرهم النصَّ الأردي:

١ ـ آية اللَّه العظمىٰ.. محسن حكيم طباطبائي، مجتهد أعظم نجف أشرف.

٢ ـ آية اللَّه العظمىٰ.. أبو القاسم خوئي نجف أشرف.

٣ ـ آية اللَّه العظمىٰ.. روح اللَّه خميني.

٤ ـ آية اللَّه العظمىٰ.. محمود الحسيني.

٥ ـ آية اللَّه العظمىٰ.. محمد كاظم شعر يعتمداري.

٦ ـ مصدقة ماليجناب سيد العلماء علامة سيد علي تقي النقودي مجتهد لكهنو.

ويتضمن هذا الكتاب نصًّا بالعربية في حدود صفحتين، كلُّه يدورُ حولَ كيفيةِ لعنِ صنَمَيْ قريشٍ، وهما ـ حسب اعتقادهم ـ أبو بكر وعمر!! واتهامُهما بتحريفِ القرآن الكريم!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

◻ وسنكتفي من هذا النصِّ بموضع الشاهد لحديثنا:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. اللَّهم العَنْ صنَمْي قريشٍ وجِبْتَيْها وطاغُوتَيْها وإفكيها وابنتيهما، اللذين خالفا أمرَك، وأنكروا وَحيَك، وعصيا رسولَك، وقَلَبا دينك، وحرَّفا كتابك»[1].

---

(١) «تحفة العوام» مقبول جديد (ص٤٢٢).

□ الخميني: الذي يقول في كتابه «جهاد النفس» (ص١٨) عن معاوية رضي الله عنه: «معاوية ترأَّس قومَه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسِبْ لنفسه سوىٰ لعنةِ الدنيا وعذاب الآخرة».

□ ويقول في «الحكومة الإسلامية» (ص٧١): «ولم تكن حكومةُ معاويةَ تُمثِّلُ الحكومةَ الإسلامية أو تشبُهها من قريبٍ ولا بعيد».

ويتَّهمُ الصحابيَّ الجليلَ «سَمُرَةَ بنَ جندب» بأنه يفتري أحاديثَ تَمَسُّ من كرامة أمير المؤمنين[1].

□ يعتقد الخميني في نصوصِ «الكافي» للكلَيني، وقد ورد فيه أن الصحابة ارتدوا إلاَّ ثلاثة.

□ الخميني: الذي يتهجَّمُ علىٰ هارونَ الرشيد، فيصفُه بالجهل، فيقول: «وها هو التاريخ يحدثُنا عن جُهَّالٍ حكموا الناسَ بغير جَدارةٍ ولا لياقة، هارون الرشيد، أيةُ ثقافةٍ حازها؟ وكذلك مَن قبله ومَن بعده»[2].

□ الخميني: الذي يَطعنُ في خِيارِ الإمة، وينالُ من شرفِ رُوَّادِها، يُثني علىٰ الأقزام الملاحدة ـ مثل النصير الطُّوسي ـ، فيقول: «ويَشعرُ الناسُ بالخسارة أيضًا بفقدانِ الخواجة «نصير الدين الطوسي» وأمثالِه ممن قَدَّموا خِدماتٍ جليلةً للإسلام»[3].

والطُّوسيُّ هذا هو «محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسن الخواجة» نصير الدين

(١) «الحكومة الإسلامية» للخميني (ص٧١).

(٢) «الحكومة الإسلامية» (ص١٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص١٢٨).

الطوسي، المسؤول مع عدو اللَّه «ابن العَلْقَمِيِّ» ومستشارِه «ابنِ أبي الحديد» عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثنيُّ هولاكو في أمةِ محمدٍ ﷺ عند استيلائه على عاصمة الإسلام «بغداد» سنة ٦٥٥هـ، وكان الطُّوسيُّ قبلَ ذلك من ملاحدةِ الإسماعيلية.

◻ قال ابنُ القيم: «ولما انتهت النَّوبةُ إلى نَصيرِ الشِّرك والكفرِ المُلحِدِ وزيرِ الملاحدة «النصير الطوسي» وزيرِ هولاكو، شَفَى نفسَه من أتباعِ الرسول وأهلِ دينه، فعَرَضهم على السيف حتى شفى إخوانَه من الملاحدة واستشفى هو، فقَتل الخليفةَ والقضاةَ والفقهاءَ والمُحدِّثين.. ونَصر في كُتبه قِدَمَ العالم وبُطلانَ المعاد.. وبالجُملة فكان هذا المُلحِدُ هو وأتباعُه من الملحِدين الكافرين باللَّه وملائكتِه وكُتبِه ورُسلِه واليومِ الآخر»[1].

* **الخُميني الضالُّ المُضِلُّ المغالي في أئمته الاثنا عَشَر:**

◻ فيقول: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينيةً، تَخضعُ لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرَّات هذا الكون»[2].

◻ ويقول في (ص٥٢): «والأئمةُ كانوا قبلَ هذا العالَم أنواراً، فجعلهم اللَّهُ بعرشه مُحدِقِين، وجَعل لهم من المنزلة والزُّلفى ما لا يعلمُه إلاَّ اللَّه، وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ: لو دنوتُ أُنملةً لاحترقتُ».

◻ ويقول: «والأئمةُ الذين لا نتصوَّرُ فيهم السهوَ أو الغفلة»[3].

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ٢٦٣).

(٢) «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص٩١).

◻ ويقول في (ص٥٢): «وإن من ضروراتِ مذهبِنا: أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغُه مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسَل».

◻ قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: «ومَن اعتَقَد في غيرِ الأنبياء كونَه أفضلَ منهم ـ أو مساوِيًا لهم ـ فقد كفر، وقد نَقل على ذلك الإجماعَ غيرُ واحدٍ من العلماء»[1].

وهذا هو مذهبُ غلاةِ الرافضة ـ كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١/١٧٧) ـ.

◻ ونحن نقول عن الخميني إمام «حزب اللّه»: إنه إمامٌ من أئمة الكفر.

◻ جاء في بيان التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وصفُ حُكمِ الخميني بأنه «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم»[2].

◻ وقالت مجلة «الاعتصام»: «إن ردودَ الفعلِ التي أحدثتها «حركة الخميني» كان مبعثُها أن حركةَ الخميني حركةٌ إسلاميةٌ مئةٌ في المئة»[3].

* **ونحن نقول عن الخميني: إنه إمامٌ من أئمَّة الكفر:**

◻ ونُدلِّلُ على هذا بما سبق وقلناه عن عقيدته، وبالآتي أيضًا:

(١) الاتجاه الوثني عنده:

◻ في كتابه «كشف الأسرار» تحت عنوان «ليس من الشِّرك طلبُ

---

(١) «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام ابن عبدالوهاب (ص٢٣).

(٢) انظر «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» وهو من سلسلة الكتب التي تصدرها دار المختار الإسلامي (ص٥٢).

(٣) «مجلة الاعتصام» ـ العدد الخامس ـ السنة الثانية والأربعون ربيع أول ١٣٩٩هـ.

الحاجة من الموتى»، يقول: «يمكنُ أن يقال: إن التوسُّلَ إلى الموتى وطلبَ الحاجةِ منهم شرك؛ لأن النبيَّ والإمامَ ليس إلاَّ جَمَادَينِ، فلا يُتوقَّعُ منهما النفعُ والضرر؟!.

والجواب: إن الشرك هو طلبُ الحاجةِ من غيرِ اللَّه، مع الاعتقاد بأن هذا الغيرَ هو إلهٌ وربٌّ.

وأمَّا إذا طَلب الحاجةَ من الغير من غيرِ هذا الاعتقاد، فذلك ليس بشرك، ولا فَرقَ في هذا المعنى بين الحيِّ والميت، ولهذا لو طَلب أحدٌ حاجتَه من الحَجَر والمَدَر لا يكون شِركًا، مع أنه قد فَعل فعلاً باطلاً!!.

ومن ناحيةٍ أخرى، نحن نستمدُّ من أرواحِ الأنبياءِ المقدَّسةِ والأئمةِ الذين أعطاهم اللَّه قُدرةً.

لقد ثَبت بالبراهين القطعيةِ والأدلةِ العقليةِ المُحكمةِ: حياةُ الروح بعد الموت، والإحاطةُ الكاملة للأرواح على هذا العالم!!»[1].

(٢) اعتقادُه تأثيرَ الكواكبِ والأيامِ على حركةِ الإنسان، وهو قولُ الصابئة الكفار:

◻ يقول الخُميني: «يُكره إيقاعُه ـ يعني: عقدَ الزواج ـ والقمرُ في برج «العقرب»، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كلِّ شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم٥، ويوم ١٣، ويوم ١٦، ويوم ٢١، ويوم ٢٤، ويوم ٢٥ ـ وذلك من كل شهر ـ»[2].

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني (ص٣٠).

(٢) «تحرير الوسيلة» للخميني (٢/ ٢٣٨).

□ ويقول صاحبُ «التحفة الاثنا عشرية»: «إن الصابئين كانوا يحترِزون عن أيامٍ يكونُ القمرُ بها في العقرب، أو الطرف، أو المحاق، وكذلك الرافضة. . وكانت الصابئةُ يعتقدون أن جميعَ الكواكبِ فاعلةٌ مختارة، وأنها هي المدبِّرةُ للعالَم السُّفلي، وكذلك الرافضة»[1].

(٣) قولُه بالحلول والاتحاد:

وله كتابانِ خطيران في ذلك: «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، و«سر الصلاة».

*** قولُه بالحلول الخاص:**

□ يقول عن أميرِ المؤمنين عليٍّ ﷺ: «خليفتُه [يعني: خليفةَ الرسول ﷺ] القائمُ مقامَه في المُلكِ والملكوت، والمتَّحِدُ بحقيقته في حَضرةِ الجبروت واللاهوت، أصلُ شجرةِ طوبى، وحقيقةُ سِدرةِ المنتهى، الرفيقُ الأعلى في مقامٍ أو أدنى، مُعلِّمُ الرُّوحانيين، ومؤيِّدُ الأنبياءِ والمرسلين، عليٌّ أمير المؤمنين»[2].

□ ومِن منطلق دعوى حلولِ الرب بعليٍّ ـ كما يَفتري ـ يَنسبُ الخمينيُّ لأميرِ المؤمنين عليٍّ أنه يقول: «كنتُ مع الأنبياء باطنًا، ومع رسول اللَّه ظاهرًا»[3].

---

(١) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» (ص٢٩٩) لشاه عبدالعزيز الدهلوي، واختصره الشيخ محمد شكري الألوسي ـ المطبعة السلفية ـ.

(٢) «مصباح الهداية» للخميني (ص١).

(٣) «مصباح الهداية» (ص١٤٢).

◻ ويُعلِّقُ الخميني قائلاً: «فإنه عليه السلام صاحبُ الولاية المطلَقةِ الكُلِّية، والولايةُ باطنُ الخلافة.. فهو عليه السلام بمقامِ ولايته الكليةِ قائمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كسبت (!!) ومع كلِّ الأشياء مَعيَّةً قيُّوميةً ظِلِّيَّةً إلهيةً، ظِلَّ المعيةِ القيوميةِ الحقَّةِ الإلهية، إلاَّ أن الولايةَ لَمَّا كانت في الأنبياء أكثرَ، خَصَّهم بالذِّكر»[1].

* ويقول في قوله -عز وجل-: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، قال: «أي: ربُّكم الذي هو الإمام»[2].

ب: قولُه بالحلول والاتحاد الكُلِّي:

◻ يقول: «النتيجة لكلِّ المقاماتِ والتوحيداتِ عدمُ رؤيةِ فعلٍ وصفةٍ حتى من اللَّه تعالى، ونَفيُ الكثرةِ بالكلية، وشهودُ الوحدةِ الصرفة»[3].

◻ ثم ينقل عن أحدِ أئمته أنه قال: «لنا مع اللَّه حالاتٌ، هو هو، ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو»[4].

◻ ثم يُعلِّقُ على ذلك بقوله: «وكلماتُ أهلِ المعرفة -خصوصاً الشيخُ الكبير محي الدينَ مشحونةٌ بأمثالِ ذلك، مِثلُ قوله: الحقُّ خَلْق، والخَلقُ حق، والحقُّ حق، والخلق خلق».

ويستدلُّ على مذهبه في «وحدة الوجود» بقول «ابن عربي»، والذي يَصِفُه بالشيخ الكبير[5]، و«القونوي»، ويَصِفُه بـ «خليفة الشيخ

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٢).

(٢) «مصباح الهداية» (ص١٤٥).

(٣) «مصباح الهداية» (ص١٣٤).

(٤) المصدر السابق (ص١١٤).

(٥) المصدر السابق (ص٨٤، ٩٤، ١١٢).

الكبير محي الدين»[١] .

«وهكذا يتبيَّنُ أن الخُمينيَّ قد أخذ منهجَ أهلِ الحلول والاتحاد»[٢] .

* **الخُميني يُكفِّرُ صحابةَ رسولِ اللَّه ﷺ عامةً، ويُصرِّحُ بتكفيرِ الشيخين:**

◻ يُقرر الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» مشروعيةَ التبرِّي من أعداء الأئمة في الصلاة[٣] . . وأعداءُ الأئمةِ في قاموس الشيعة هم صحابةُ رسول اللَّه ﷺ إلا ثلاثةً أو سبعةً.

وهو في كتابه «كشف الأسرار» يُصرِّحُ بتكفيرِ الشيخين[٤] .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في ترجمته لبعض نصوص «كشف الأسرار» ما يتضمن مجاهرةَ الخميني بهذا الكفر[٥] .

* **تكفيرُ الأئمةِ للإماميَّة الاثنا عَشْريَّة الجعفرية «الرافضة»:**

◻ قال النووي: «إن المذهبَ الصحيحَ المختار الذي قاله الأكثرون والـمُحققُّون: إن الخوارجَ لا يَكفُرون كسائرِ أهلِ البدع»[٦] .

◻ قال الشيخ مُلاَّ علي القاري: «قلت: وهذا في غيرِ حقِّ الرافضةِ

(١) المصدر السابق (ص١١).

(٢) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري (٣/ ١١٥١).

(٣) «تحرير الوسيلة» للخميني (١/ ١٦٩).

(٤) «كشف الأسرار» (ص١١٢) وما بعدها، وانظر «صورتان متضادتان» لأبي الحسن الندوي (ص٥٧ـ٥٨).

(٥) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ـ ندوة العلماء ـ الهند.

(٦) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٥٠).

الخارجةِ في زماننا، فإنهم يعتقدون كُفرَ أكثرِ الصحابةِ ـ فضلاً عن سائرِ أهل السنة والجماعة ـ، فهم كَفَرَةٌ بالإجماع بلا نزاع».

وذَكَر النوويُّ في «شرح مسلم» أن الإماميَّةَ لا يُكفِّرون الصحابة، ويرىٰ أنَّ التكفير إنما هو عند غُلاة الشيعة.

فالإماميةُ في عصر النووي كانوا لا يُكفِّرون الصحابة، أو أن الإمامَ النوويَّ ـ رحمه اللَّه ـ لم يَعرِفْ ذلك عنهم.

□ وكُتب الشيعة الاثنا عشرية الرئيسية تطفحُ بهذا الرُّكام: «الكافي» للكلِّيني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه القُمِّي، و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي، و«وسائل الشيعة» للحر العاملي، و«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.

□ وقد ذهب إلىٰ كُفرهم الإمامُ مالكٌ، وأحمدُ، والبخاريُّ، وغيرهم ـ كالقرطبيِّ وابن تيميَّةَ والألوسي ـ:

□ **الإمام مالك:** رَوىٰ الخَلاَّلُ عن أبي بكر المَرُّوذي قال: «سمعت أبا عبداللَّه يقول: قال مالكٌ: الذي يَشتُمُ أصحابَ النبي ﷺ ليس لهم اسمٌ ـ أو قال: نصيب ـ في الإسلام»[1].

* قال ابن كثير عند قوله تعالىٰ: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ**

(١) «السُّنَّة» للخلاّل (٢/ ٥٥٧). وإسناده صحيح.

﴿الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

□ قال: «ومِن هذه الآية انتزَع الإمامُ مالك ـ رحمةُ اللَّه عليه ـ في روايةٍ عنه تكفيرَ الروافض الذين يُبغِضون الصحابة ﷺ قال: لأنهم يَغيظونهم، ومَن غاظه الصحابةُ ﷺ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفةٌ من أهل العلم»[1].

□ قال القرطبيُّ: «لقد أحسَنَ مالكٌ في مقالته، وأصاب في تأويله، فمَن انتَقَص واحداً منهم، أو طَعَن عليه في روايته، فقد رَدَّ على اللَّه ربِّ العالَمين، وأبطل شرائعَ المسلمين»[2].

□ **الإمام أحمد**: وردت عنه رواياتٌ عديدةٌ في تكفيرهم:

فقد روى الخَلاَّل عن أبي بكر المَرُّوذي قال: «سألت أبا عبداللَّه عمن يشتمُ أبا بكرٍ وعمرَ وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام».

□ وقد جاء في كتاب «السنة» للإمام أحمد قولُه عن «الرافضة»: «هم الذين يتبرؤون من أصحابِ محمد ﷺ ويَسُبُّونهم، وينتقصونهم، ويُكفِّرون الأئمةَ إلاَّ أربعة: عليٌّ وعَمَّارٌ والمِقدادُ وسَلْمان.. وليست الرافضةُ من الإسلام في شيء»[3].

□ **وقال البخاري ـ رحمه اللَّه ـ**: «ما أُبالي صَلَّيتُ خَلْفَ الجهميِّ والرافضي، أم صلَّيتُ خلفَ اليهود والنصارى، ولا يُسلِّمُ عليهم، ولا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٩)، وانظر «روح المعاني» للألوسي (٢٦/ ١١٦)، فقد ذهب إلى تكفيرهم، وانظر أيضًا في استنباط وجه تكفيرهم من الآية في «الصارم المسلول» (ص٥٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٧).

(٣) «السنة» للإمام أحمد (ص٨٢) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

يُعادون، ولا يناكَحون، ولا يُشهَدون، ولا تؤكَلُ ذبائحُهم»[1] .

◻ وقال عبدُالرحمن بنُ مَهدِي: «هما مِلَّتانِ: الجهمية والرافضة»[2] .

◻ وسأل رجلٌ الفريابيَّ عمن يشتمُ أبا بكر؟ قال: «كافر، قال: فيُصلَّىٰ عليه؟ قال: لا. وقال: لا تَمَسُّوه بأيديكم، ارفعوه بالخُشُب حتىٰ تواروه في حَفرته»[3] .

وممَّن كَفَّرهم: أحمدُ بن يونس، وأبو زُرعةَ الرازي، وابنُ قُتيبة.

◻ قال عبدُالقاهر البغدادي: «وأما أهلُ الأهواء من الجارودية والهِشامية والجهمية والإمامية ـ الذين أكفروا خيارَ الصحابة ـ، فإنا نُكفِّرُهم، ولا تجوزُ الصلاةُ عليهم عندنا، ولا الصلاةُ خَلْفَهم»[4] .

◻ وقال القاضي أبو يَعلىٰ: «وأما الرافضةُ، فالحكم فيهم: إن كَفَّر الصحابةَ أو فَسَّقهم بمعنًىٰ يستوجبُ به النار، فهو كافر».

◻ وقال ابنُ حزم: «وأما قولهم ـ يعني: النصارىٰ ـ في دعوىٰ الروافضِ تبديل القرآن، فإنَّ الروافضَ ليسوا من المسلمين.. وهي طائفةٌ تجري مجرىٰ اليهود والنصارىٰ في الكذب والكفر»[5] .

◻ ثم قال: «ومِن قولِ الإماميةِ قديمًا وحديثًا: إن القرآن مبدَّل».

◻ ثم قال: «القولُ بأن بين اللوحين تبديلاً كُفرٌ صريح، وتكذيبٌ

---

(١) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري (ص١٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٢٥)، و«مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ٤١٥).

(٣) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٥٧٠).

(٤) «الفرق بين الفرق» لعبدالقاهر البغدادي (ص٣٥٧).

(٥) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢١٣).

لرسول اللَّه ﷺ»[١].

◻ وقال الإسفرايني: «ليسوا في الحال على شيءٍ من الدين، ولا مزيدَ على هذا النوع من الكفر، إذ لا بَقاءَ فيه على شيءٍ من الدين».

◻ وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صَرَّح مصرِّحٌ بكفرِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد خالفَ الإجماعَ وخَرَقه، ورَدَّ ما جاء في حقِّهم من الوعد بالجنة والثناءِ عليهم والحُكمِ بصحةِ دينهم وثباتِ يقينهم وتقدُّمِهم على سائرِ الخَلق في أخبارٍ كثيرة».

◻ ثم قال: «فقائلُ ذلك - إنْ بَلَغَتْه الأخبارُ واعتَقَد مع ذلك كُفرَهم -، فهو كافر»[٢].

◻ وقال القاضي عياض - رحمه اللَّه -: «نقطعُ بتكفيرِ غُلاةِ الرافضة في قولهم: إن الأئمةَ أفضلُ من الأنبياء».

والشِّيعةُ المعاصرون يَعُدُّون هذا من ضروراتِ مذهبِهم، ومُنكِرُ الضروريِّ كافرٌ عندهم.

◻ وقال السَّمعاني: «واجتمعت الأُمةُ على تكفيرِ الإمامية؛ لأنهم يعتقِدون تضليلَ الصحابة، ويُنكِرون إجماعَهم ويَنسِبونهم إلى ما لا يَليقُ بهم»[٣].

◻ وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «مَن زَعَم أن الصحابةَ ارتدُّوا بعد

---

(١) «الفصل» (٥/ ٤٠).

(٢) «فضائح الباطنية» لأبي حامد (ص١٤٩).

(٣) «الأنساب» للسمعاني (٦/ ٣٤١).

رسولِ اللَّه ﷺ إلاَّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعةَ عَشَرَ نَفْسًا، أو أنهم فَسَّقوا عامتهم، فهذا لا ريبَ ـ أيضًا ـ في كُفرِهِ؛ لأنه مُكذِّبٌ لِمَا نصَّه القرآنُ في غيرِ موضعٍ من الرضىٰ عنهم والثناء عليهم.. بل مَن يُشكِّكُ في كفرِ مثلِ هذا؟ فإنَّ كُفْرَه متعيِّن»[1].

▫ وساق الإمامُ ابنُ كثير بعضَ الأحاديث الثابتة في السنة، والمتضمنةَ نَفْيَ دعوىٰ النصِّ والوصيةِ التي تدَّعيها الرافضةُ لعليٍّ، ثم قال بعدَها معقِّبًا: «ولو كان الأمرُ كما زَعموا، لَمَا رَدَّ ذلك أحدٌ من الصحابة، فإنهم أطوعُ للَّه ولرسوله في حياته وبعده وفاته مِن أن يفتاتوا عليه فيُقدِّموا غيرَ مَن قدَّمه، ويؤخِّروا مَن قدَّمه بنصِّه، وحاشا وكلاَّ، ومَن ظن بالصحابة ﷺ ذلك فقد نَسَبهم بأجمعِهم إلىٰ الفجور، والتواطُؤِ علىٰ معاندةِ الرسول، ومضادَّته في حُكمه ونصِّه، ومَن وَصَل من الناس إلىٰ هذا المقام، فقد خلَع رِبْقَةَ الإسلام، وكَفَر بإجماعِ الأئمةِ الأعلام، وكان إراقةُ دمِهِ أحلَّ مِن إراقةِ المُدام»[2].

▫ وكَفَّرهم شيخُ الإسلام ابنُ عبدالوهاب في رسالته «الرد علىٰ الرافضة»، والشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوي في «مختصر التحفة الاثنا عشرية» (ص٣٠٠).

▫ وكفَّرهم الإمامُ الشوكاني: فقال: «وبهذا يتبيَّنُ أن كلَّ رافضيٍّ خبيثٍ يصيرُ كافرًا بتكفيره لصحابيٍّ واحد، فكيف بمن كفَّر كلَّ الصحابةِ

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٥٨٦ـ٥٨٧).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٥٢).

واستثنى أفراداً يسيرة»[١] .

◻ وعندما جاء بعضُ آياتهم لمناظرةِ العالِمِ الربانيِّ الشيخ الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» قال لهم: «لو كنَّا نتَّفقُ علىٰ أصولٍ واحدة لناظرتُكم، ولكنْ لنا أصولٌ ولكم أصول، وبصورةٍ أوضح: لنا دينٌ ولكم دين»[٢] .

◻ وكَفَّرهم الشيخ تقيُّ الدين الهلالي في رسالته «مناظرتان بين رجلٍ سُنِّيٍّ وإمامين مجتهدَينِ شيعيين»[٣] .

* **سَلُوا التاريخ يُخبِرْكم عن الرافضة الإثني عشريَّة:**

◻ «مَن الذي تآمَرَ مع التتار حتىٰ استولَوا علىٰ بغداد وقَتلوا الخليفة المستعصِم، وقَتلوا معه غَدْراً وفي ساعةٍ واحدة ـ مئتي ألفِ شخصيةٍ من العلماءِ والوجهاء والقضاة، واستمرت المذابحُ فيها بضعاً وثلاثين يوماً، قُتِل فيها حوالَي ثمانمئةِ ألفِ مسلمٍ ومسلمة؟!.

◻ ومَن الذي تسبَّب في انحسارِ المَدِّ الإسلاميِّ العثماني في أرجاء أوربة، وطَعَن الخليفةَ العثمانيَّ في ظهرِه بزحفه علىٰ عاصمةِ الخلافة، بينما كان يتغلغلُ بجيوشه في أحشاءِ «النمسا» إلىٰ أن دَخَل قلب «فيينا»، وكادت أوروبا تدخلُ في حظيرة الإسلام، لولا اضطرارُ الجيشِ العثماني إلىٰ الانسحاب والرجوع إلىٰ الرافضة لدحرهم ودفعهم؟!»[٤] .

---

(١) «نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر» للشوكاني.

(٢) «وجاء دور المجوس» (ص١٥١).

(٣) المصدر السابق (ص١٤٨).

(٤) انظر «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور =

◻ ومَن الذي تحالَفَ مع مَلِكِ «المَجَر» ضدَّ الدولة العثمانية؟[1] .

◻ يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «كانوا من أعظم الأسباب في استيلاءِ النصارىٰ قديمًا علىٰ بيت المقدس، حتىٰ استنقَذَه المسلمون منهم»[2] .

◻ «ومَن الذي سَلَّم أرضَ المسلمين في «باكستان الشرقية» لُقمةً سائغةً للهندوس حتىٰ يُقيموا عليها الدولةَ المَسْخَ «بنجلاديش»؟»[3] .

◻ يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وها هي باكستانُ الشرقية، ذهبت ضحية بخيانةِ أحدِ أبناء «قزلباش» الشيعة «يحيىٰ خان» في أيدي الهندوس[3] .

◻ «وقد عارض شيوخُ الشيعة في باكستان تطبيقَ الشريعةِ الإسلامية، وقد قال زعيمُ الشيعة «مفتي جعفر حسين» في مؤتمر صحفي: بأن الشيعة يرفضون تطبيقَ الحدودِ الإسلامية؛ لأنها ستكون علىٰ مذهبِ أهلِ السُّنَّة»[4] .

* **نقولُ للمخدوعين في رافضة إيران والعراق، ولبنان[5] :**

◻ إنْ لم ترضَوا بأقوالِ هؤلاء العلماء الجهابذة من أساطين الإسلام،

= محمد عبداللطيف هريدي ـ دار الصحوة ـ القاهرة.

(١) مقدمة كتاب «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس والمقدمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم (ص٩ ـ ١٠) دار الإيمان.

(٢) «منهاج السنة» لابن تيمية (٤/ ١١).

(٣) مقدمة «حقبة من التاريخ» (ص١).

(٤) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير (ص١١).

(٥) «الأنباء الكويتية» ـ العدد ١٧ ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ (ص٧١، ٧٢).

(٦) رافضة لبنان هم «حزب اللَّه» وهو اثنا عشرية إمامية.

فاقرؤوا رسالة الشيخ «محب الدين الخطيب»: «الخطوطُ العريضةُ التي قام عليها دينُ الشيعة الإمامية الاثني عشرية»، والشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص١٣١)، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، والدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه: «السنة ومكانتها في التشريع» (ص١٧)، وهو شيخُ الإخوان في سوريا ـ رحمه اللَّه ـ، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، وشيخ علماء الجزائر البشير الإبراهيمي، وأحمد أمين، والدكتور محمد رشاد سالم.

*** الفلاسفة.. الفارابيُّ وابنُ سينا ومَن عَلَى شاكلتهم ويقولُ برأيهم:**

كان أبو حامد الغزالي واحداً من جُملةِ أولئك الذين أظهروا للناس فسادَ الفلسفة، بعد أن أمضى قريبًا من سَنَتَينِ يدرسُ غَوْرَ وغوائلَ هذا المذهبِ، حتى اطَّلع على ما فيه من خِداعٍ وتلبيسٍ وتخييل، ومِن ثَمَّ قسَّمهم إلى ثلاثةِ أصناف:

الصنف الأول: الدهريون.

والصنف الثاني: الطبيعيُّون.

والصنف الثالث: الإلهيُّون.

ثم قَطَعَ بتكفيرِ أصحاب الصِّنف الثالث ـ وهم الإلهيُّون ـ وتكفير متَّبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين ـ كابن سينا والفارابي وغيرهما ـ، حيث إن أحداً من المسلمين لم ينقل عِلمَ «أرسطاطاليس» كقيام هذين الرجلين[1]. [على حد قوله].

---

(١) «المنقذ من الضلال» للغزالي (ص١٨ ـ ٢٢).

والسببُ في تكفيرهم بالإلهيات قولُ الغزالي بأنه قد كثُرت فيها أغاليطُهم، فما قَدَروا على الوفاءِ بالبراهين على ما شرطوه في المنطق، ومجموعُ ما غَلِطوا فيه يرجعُ إلى عشرينَ أصلاً، يجبُ تكفيرهم في ثلاثةٍ منها، وتبديعُهم في سبعةَ عَشَر، وهذه الثلاثة هي كالآتي:

١ ـ قولُهم: «إن الأجسادَ لا تُحشر، وإنما المُثابُ والمعاقَبُ هي الأرواحُ المُجرَّدة، والمثوباتُ والعقوباتُ رُوحانيةٌ لا جُسمانية».

٢ ـ قولُهم: «إن اللَّه يَعلمُ الكلّيَّات دون الجزئيَّات».. وهذا أيضًا كفرٌ صريح.

٣ ـ قولهم بقِدَمِ العالَم وأزليَّته[1].

لقد كان هذا الموقفُ عظيماً من الغزالي، حيث استطاع مجابَهتَهم وتفنيدَ آرائهم، ثم أظهر تهافتها في كتابه المسمَّى بـ«تهافت الفلاسفة»[2]، في الوقت الذي لم يكن فيه الكثيرُ من النُّظَّار قادِرين على ذلك، إذْ كان لدى الفلاسفة من الحجج الباطلةِ والقواعدِ الجدليَّة ما يُلبس ثوبَ الشكِّ لدى خَصمِهم في القُدرة على مواجهتهم بذلك، حتى جاء الغزاليُّ وأبطل هذه الحجَج بقَدَمٍ ثابتة، وثقةٍ بالغة، وجُرأةٍ نادرة، وسَجَّل له التاريخُ الإسلاميُّ هذا الفضلَ العظيم[3، 4].

---

(١) نفس المصدر (٢٧ ـ ٢٨).

(٢) ذهب الغزالي إلى تكفير الفلاسفة بهذه المقولات الثلاثة في كتابه «تهافت الفلاسفة» ـ طبع دار المعارف.

(٣) «أبو حامد الغزالي والتصوف» (٦٨ ـ ٦٩) لعبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة الرياض.

(٤) أجاد الغزالي في الردّ على الفلاسفة، لكنه عاد وأظهرها في قالب التصوف والعبارت الإسلامية؛ وخاصةً في «الإحياء» و«مشكاة الأنوار» و«معارج القدس» و«ميزان العمل»، حتى رَدَّ عليه أخصّ أصحابه وهو أبو بكر بن العربي حيث قال: «شيخنا أبو=

□ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «إن الفلاسفةَ الإلهيينَ المشَّائين وغيرَهم متَّفِقون على الإقرارِ بواجبِ الوجود، وببقاءِ الرُّوح بعد الموت، وبأن الأعمالَ الصالحة تنفعُ بعد الموت، ويخالفُهم في ذلك فلاسفةٌ كثيرون من الطبيعيِّين وغيرهم، بل وبين الإلهيين من الفلاسفة خلافٌ في بعض ذلك، حتى الفارابي -وهو عندهم المعلِّمُ الثاني- يُقال: إنه اختلف كلامُه في ذلك.

فقال تارةً ببقاءِ الأنفُسِ كلِّها، وتارةً ببقاءِ النفوس العالِمة دون الجاهلة، كما قاله في آراء المدينة الفاضلة، وتارةً كَذَّب بالأمرين، وزَعَم الضالُّ الكافرُ: أن النُّبُوَّة خاصتُّها جَودَةُ تخييلِ الحقائق الرُّوحانية، وكلامُهم المضطربُ في هذا الباب كثير»[١].

□ وقال ابنُ تيمية في كتابه «النبوَّات»: «قد غَلِط في النبوة طوائفُ غيرُ الذين كَذَّبوا بها إما ظاهراً وباطنًا، وإمَّا باطنًا كالمنافق المَحْض، بل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزِل إلى الرسول وإلى مَن قَبْلَه -، وهم خَلْقٌ كثير فيهم شُعبةُ نفاقٍ - وإن لم يكونوا مُكذِّبين للرسول مِن كلِّ وجه -، بل قد يعظِّمونه بقلوبهم، ويعتقدون وجوبَ طاعته في أمورٍ دون أمور.

وأبعدُ هؤلاء عن النبوة: المتفلسِفةُ والباطنيةُ والملاحدة؛ فإن هؤلاء لم يَعرفوا النبوةَ إلاَّ من جهةِ القَدْرِ المشترك بين بني آدم - وهو المنام -، وليس في كلام أرسطو وأتباعِه كلامٌ في النبوة، والفارابيُّ جعَلها من جنس المنامات فقط، ولهذا يُفضِّلُ هو وأمثالُه «الفيلسوف» على «النبي»، وابنُ سينا عَظَّمها أكثرَ من ذلك، فجعل للنبيِّ ثلاث خصائص:

= حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر».

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٨٦).

◻ أحدها: أن يَنالَ العلمَ بلا تَعلُّم، ويُسمِّيها «القوَّة القُدْسيَّة»، وهي «القُوَّةُ الحَدْسِيَّة» عنده.

◻ والثاني: أن يتخيَّل في نفسه ما يَعلمُه، فيرىٰ في نفسه صُوراً نورانيَّةً، ويَسمعُ في نفسِه أصواتًا، كما يرىٰ النائمُ في نومه صُورًا تكلِّمُه، ويسمعُ كلامَهم، وذلك موجودٌ في نفسِه لا في الخارج.

فهكذا عند هؤلاء جميعُ ما يختصُّ بالنبي مما يراه ويَسمعُه دون الحاضِرين، إنما يراه في نفسِه ويسمعه في نفسه، وكذلك المرور عندهم.

◻ والثالث: أن يكون له قوَّةٌ يتصرَّفُ بها في هَيُولَىٰ العالم بإحداثِ أمورٍ غريبة وهي عندهم آياتُ الأنبياء.

وعندهم ليس في العالَمِ حادثٌ إلاَّ عن قوَىٰ نفسانيةٍ أو مَلَكيَّةٍ أو طبيعيَّةٍ، كالنفس الفلكية والإنسانية والأشكالِ الفلكية، والطبائع التي للعناصر الأربعة والمولَّدات، لا يُقرُّون بأن فوقَ الفَلَكِ نفسه شيءٌ يَفعلُ ولا يُحدِثُ شيئًا، فلا يتكلَّمُ ولا يتحرَّكُ بوجهٍ من الوجوه لا مَلَك ولا غير مَلَك فضلاً عن ربِّ العالم.

والعقولُ التي يُثبتونها عندهم ليس فيها تحوُّلٌ من حالٍ إلىٰ حالٍ ألبتة، لا بإرادةٍ ولا قولٍ ولا عملٍ ولا غير ذلك، وكذلك المبدأ الأول.

وهؤلاء عندهم جميعُ ما يحصلُ في نفوسِ الأنبياء إنما هو من فَيضِ «العقل الفعَّال»، ثم إنَّهم لَمَّا سَمِعوا كلامَ الأنبياء أرادوا الجَمَع بينه وبين أقوالهم، فصاروا يأخذون ألفاظَ الأنبياء فيضعونَها علىٰ معانيهم، ويُسمُّون تلك المعاني بتلك الألفاظِ المنقولة عن الأنبياء، ثم يتكلَّمون ويَصِفون الكتبَ

بتلك الألفاظ المأخوذةِ عن الأنبياء، فيَظنُّ مَن لم يعرفْ مُرادَ الأنبياء ومرادَهم أنهم عَنَوا بها ما عَنَته الأنبياءُ.. وضَلَّ بذلك طوائفُ، وهذا موجودٌ في كلام ابن سينا ومَن أخَذَ عنه، وقد ذَكَر الغزاليُّ ذلك عنهم تعريفًا بمذهبهم، وربَّما حَذَّر عنه، ووقع في كلامِه طائفةٌ من هذا في الكتب المضنون بها علىٰ غير أهلها وفي غير ذلك، حتىٰ في كتابه «الإحياء» يقول: «الملك والملكوت والجبروت»، ومقصوده الجِسمُ والنَّفسُ والعَقل الذي أثبتته الفلاسفة، ويَذكُرُ اللوحَ المحفوظ، ومرادُه به النفسَ الفلكية.. إلىٰ غير ذلك مما قد بُسط في غير هذا الموضع، وهو في «التهافت» وغيرِه يُكفِّرُهم، وفي «المضنون به» يذكرُ ما هو حقيقةُ مذهبِهم، حتىٰ يَذكرَ في النبوَّات عَينَ ما قالوه، وكذلك في الإلهيات، وهذه الصفاتُ الثلاثُ التي جَعلوها خاصةَ الأنبياء توجَدُ لعمومِ الناسِ، بل توجدُ لكثيرٍ من الكفار من المشركين وأهلِ الكتاب، فإنه قد يكونُ لأحدهم من العلمِ والعبادة ما يتميَّزُ به علىٰ غيره من الكفار، ويَحصلُ له بذلك حَدْسٌ وفراسةٌ يكون أفضلَ من غيره.

وأما التخييلُ في نفسه، فهذا حاصلٌ لجميعِ الناس الذين يَرَون في مناماتهم ما يَرَون، لكن هو يقولُ: إن خاصَّةَ النبيِّ أن يَحصُلَ له في اليقظةِ ما حَصَل لغيرِه في المنام، وهذا موجودٌ لكثيرٍ من الناس، قد يحصلُ له في اليقظة ما يَحصُلُ لغيرِه في المنام، ويكفيك أنهم جَعَلوا مثلَ هذا يحصلُ للممرور وللساحر، ولكن قالوا: الساحرُ قَصدُه فاسد، والممرور ناقصُ العقل.. فجعلوا ما يَحصلُ للأنبياء من جنسِ ما يحصُلُ للمجانين والسَّحَرة، وهذا قولُ الكفار في الأنبياء، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ

قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥١-٥٣].

وهؤلاء عندهم ما يحصلُ للنبيِّ من المكاشفة والخطاب هو من جنسِ ما يحصُلُ للساحر والمجنون، لكنَّ الفَرْقَ بينه وين الساحر: أنه يأمرُ بالخير، وذلك يأمر بالشر، والمجنون ما له عقل، وهذا القَدْرُ الذي فرَّقوا به موجودٌ في عامةِ الناس، فلم يكن عندهم للأنبياء مَزِيَّةٌ على السَّحَرة والمجانين إلاَّ ما يُشاركُهم فيه عمومُ المؤمنين، وكذلك ما أثبتوه من القوَّةِ الفعَّالةِ المتصرِّفة، هي عندهم تَحصلُ للساحر وغيرِه، وذلك أنهم لا يَعرِفون الجنَّ والشياطين، وقد أَخبروا بأمورٍ عجيبة في العالَم، فأحالوا ذلك على قوَّةِ نفسِ الإنسان، فما يأتي به الأنبياءُ من الآيات، والسَّحَرةُ والكُهَّانُ وما يُخبِرُ به المصروعُ والممرورُ: هو عندهم كلُّه من قوَّةِ نفسِ الإنسان، فالخبرُ بالغيب هو لاتِّصالها بالنفسِ الفَلَكية، ويُسمُّونها «اللوح المحفوظ»، والتصرُّفُ هو بالقوة النفسانية، وهذا حِذقُ ابن سينا وتصرُّفه لَمَّا أَخبر بأمورٍ في العالَم غريبة لم يُمكِنْه التكذيبُ بها، فأراد إخراجَها على أصولهم وصَرَّح بذلك في «إشاراته»، وقال: «هذه الأُمور لم نُثبتها ابتداءً، بل لَمَّا تحقَّقنا أن في العالَم أموراً من هذا الجنس أردنا أن نبيِّنَ أسبابها».

وأما أرسطو وأتباعُه، فلم يعرِفوا هذه الأمور الغريبة، ولم يتكلَّموا عليها ولا على آياتِ الأنبياء، ولكنْ كان السحرُ موجودًا فيهم، وهؤلاءِ من أبعدِ الأُمم عن العلومِ الكليَّة والإلهية، فإنَّ حُدوثَ هذه الغرائبِ من الجنِّ واقترانَهم بالسَّحَرةِ والكهَّان مما قد عَرَفه عامَّةُ الأمم وذكروه في كتبهم غيرُ العرب، مثل الهند والترك وغيرهم من المشركين وعُبَّادِ الأصنام وأصحابِ الطلاسم والعزائم، وعَرفوا أن كثيراً مِن هذه الخوارق هو مِن الجنِّ

والشياطين، وهؤلاء الجهَّالُ لم يعرفوا ذلك، ولهذا كان من أصلِهم أن النبوة مُكتسَبةٌ، وكان السُّهْرَوَرْديُّ المقتولُ يطلبُ أن يكون نبيًّا، وكذلك ابنُ سبعين وغيره، والنبوةُ الحقُّ هي أنباءُ اللَّه لعبدِه، ونبيُّ اللَّه مَن كان اللَّهُ هو الذي يُنبِّئُه، ووَحْيُه من اللَّه، وهؤلاء وحيُهم من الشياطين، فهم من جنسِ المتنبئين الكذَّابين كمسيلِمةَ الكذَّاب وأمثالِه، بل أولئك أحذقُ منهم، فإنهم كانت تأتيهم أرواحٌ فتكلِّمُهم وتُخبرُهم بأمورٍ غائبةٍ، وهي موجودةٌ في الخارج ـ لا في أنفسهم ـ، وهؤلاء لا يعرِفون مثلَ هذا، ووجودُ الجن والشياطين في الخارج وسماعُ كلامهم أكثرُ من أن يمكنَ سَطْرُ عُشرِه هنا، وكذلك صَرعُهم للإنس وتَكلُّمُهم علىٰ ألسنتِهم.

والفَرقُ بين النبي والساحر أعظمُ من الفرقِ بين الليل والنهار، والنبيُّ يأتيه مَلَكٌ كريم من عند اللَّه يُنبئه اللَّه، والساحرُ والكاهن إنما معه شيطانٌ يأمرُه ويُخبرُه، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

فلا الخبرُ كالخبر، ولا الأمرُ كالأمر، ولا مُخبِرُ هذا كمُخبِرِ هذا، ولا آمِرُ هذا كآمِرِ هذا، كما أنه ليس هذا مثلَ هذا، ولهذا قال تعالىٰ لَمَّا ذكر الذي جاء بالقرآن إلىٰ محمد، وأنه مَلَكٌ منفصلٌ ليس خيالاً في نفسه ـ كما يقوله هؤلاء ـ: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٧].

فالقرآنُ قولُ رسولٍ أرسله اللَّه ـ لَم يُرسِلْه الشيطانُ ـ، وهو مَلَكٌ كريم ذو قوةٍ عند ذي العرش مَكينٌ، مطاعٌ ثَمَّ أمين، فهو مطاعٌ عند ذي العرش في الملأ الأعلىٰ، والشياطين لا يُطاعون في السموات، بل ولا يَصعدون إليها»[1].

◻ وقال الذهبي: «قد سقتُ في «تاريخ الإسلام» أشياءَ اختصرتُها، وهو رأسُ الفلاسفة الإسلامية، لم يأتِ بعدَ الفارابيِّ مثلُه، فالحمدُ للَّه علىٰ الإسلام والسُّنَّة.

وله كتابُ «الشفاء» وغيرُه، وأشياءُ لا تُحتَمل، وقد كَفَّره الغزاليُّ في كتاب «المُنقِذ من الضلال»، وكفَّر الفارابي»[2].

◻ وقال ابنُ كثير عن أبي عليٍّ بن سينا، الحُسينِ بن عبداللَّه بن سينا: «وقد لَخَّص الغزاليُّ كلامَه في «مقاصد الفلاسفة»، ثم ردَّ عليه في «تهافت الفلاسفة» في عشرين مسألة، كفَّره في ثلاثِ مسائلَ مِنْهُنَّ؛ وهي قولُه بِقِدَمِ العالَم، وعدم المَعادِ الجُسْمَانيِّ، وأن اللَّهَ لا يَعْلمُ الجزئيات، وبَدَّعه في البواقي.. ويُقال: إنه تاب عندَ الموت.. فاللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم»[3].

◻ يقول شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» وهو بصدد البحث عن انحراف الفلاسفة: «ولهؤلاء في نصوصِ الأنبياء طريقتان: طريقةُ التبديل، وطريقةُ التجهيل:

---

(١) «النُّبوّات» لابن تيمية (ص١٦٨ ـ ١٧٠) ـ طبع مكتبة السُّنَّة المحمدية.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٣٥).

(٣) «البداية والنهاية» (١٥/ ٦٦٨) ـ دار عالم الكتب.

أما أهل التبديل: فهم نوعان: أهلُ الوهم والتخييل، وأهلُ التحريف والتأويل.

فأهلُ الوهم والتخييل هم الذين يقولون: إن الأنبياءَ أخبروا عن اللَّه وعن اليومِ الآخر، وعن الجنةِ والنار، وعن الملائكة، بأمورٍ غيرِ مطابقةٍ للأمر في نفسه، لكنهم خاطَبوهم بما يتخيَّلون به ويتوهَّمون به أن اللَّهَ جسمٌ عظيم، وأن الأبدانَ تُعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، وعقابًا محسوسًا ـ وإن كان الأمرُ ليس كذلك في نفسِ الأمر ـ، لأن من مصلحةِ الجمهور أن يخاطَبوا بما يتوهَّمون به ويتخيَّلون أن الأمرَ هكذا، وإن كان هذا كذِبًا فهو كذبٌ لمصلحة الجمهور، إذ كانت دعوتُهم ومصلحتُهم لا تُمكِنُ إلاَّ بهذه الطريق.

◻ وقد وَضح ابنُ سينا وأمثالُه قانونَهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذَكره في رسالته «الأضحوية» (ص٤٤ ـ ٥١)، وهؤلاء يقولون: «الأنبياءُ قَصَدوا بهذه الألفاظ ظواهرَها، وقصدوا أن يفهمَ الجمهورُ منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهرُ في نفس الأمر كذِبًا وباطلاً ومخالفةً للحق، فقصدوا إفهامَ الجمهور بالكذب والباطلِ للمصلحة».

ثم مِن هؤلاء مَن يقول: «النبيُّ كان يَعلمُ الحقَّ، ولكن أظهرَ خلافَه للمصلحة».

ومنهم من يقول: «ما كان يعلمُ الحقَّ كما يعلمُه نُظَّارُ الفلاسفة وأمثالُهم».

وهؤلاء يُفضِّلون الفيلسوفَ الكاملَ على النبي، ويُفضِّلون الوَلِيَّ الكاملَ الذي له هذا المشهَد على النبي، كما يُفضِّلُ ابنُ عربي الطائي خاتَمَ الأولياء ـ في زعمه ـ على الأنبياء، وكما يُفضِّلُ الفارابي ومبشِّرُ بنُ فاتك

وغيرُهما الفيلسوفَ على النبي.

وأما الذين يقولون: «إن النبي كان يعلمُ ذلك»، فقد يقولون: «إن النبي أفضلُ من الفيلسوف؛ لأنه عَلِم ما عَلِمه الفيلسوفُ وزيادةً، وأمكنه أن يخاطِبَ الجمهورَ بطريقةٍ يَعجِزُ عن مثلها الفيلسوفُ».. وابنُ سينا وأمثاله من هؤلاء.

وهذا في الجملة قولُ المتفلسفةِ والباطنية، كالملاحدة الإسماعيلية، وأصحابِ رسائل «إخوان الصفا»، والفارابي وابن سينا والسُّهْرَوَرْدي المقتول وابن رُشد الحفيد، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقةِ المشايخ المتقدِّمين من أهل الكتاب والسنة، كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة «حي بن يقظان»، وخَلْقٍ كثير غير هؤلاء»[1].

□ وقد خَصَّ شيخُ الإسلام قسمًا كبيرًا من هذا الكتاب العظيم في تتبُّعِ سَقَطاتِ ابنِ سينا وضلالاته، وبيان ما فيها من زيفٍ وانحرافٍ بالحُجَّة والبرهان على طريقةِ السلف الصالح من لدن صحابةِ رسول اللّه ﷺ ومَن تَبِعهم بإحسانٍ من الأئمة والعلماء المشهودِ لهم بالعلمِ والإيمان والاستقامة والعرفان.

□ وقال ابن تيمية عن تسمية ابن سينا للَّوح المحفوظ بالنفس الفلكيَّة: «وقد بيَّنا أن اللوحَ المحفوظَ الذي ذَكَره اللّه ورسولُه ليس هو «النَّفسَ الفلكية»، وابنُ سينا ومَن تبعه أخذوا أسماءَ جاء بها الشرعُ، فوضعوا لها مُسَمَّياتٍ مخالِفةً لمُسَمَّياتِ صاحبِ الشرع، ثم صاروا يتكلَّمون بتلك

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٨).

الأسماء، فيَظنُّ الجاهلُ أنهم يقصِدون بها ما قَصَده صاحبُ الشرع.. وهؤلاء أخذوا مُخَّ الفلاسفة، وكَسَوه لِحاءَ الشريعة»[١].

☐ وقال ابنُ سينا: «إن الشرائع واردةٌ لخطابِ الجمهور بما يفهمون بتقريب ما لا يفهمون إلىٰ إفهامهم بالتشبيه والتمثيل، ولو كان غيرُ ذلك لما أغنت الشرائعُ ألبتة»[٢].

✍ وهذه الدَّعْوىٰ من أخطر ما بنىٰ عليه الفلاسفةُ والقرامطةُ منهجَهم في هَدم الإسلام والإعراضِ عن القرآن والسُّنة، والاستغناءِ عنهما بالفلسفة وتعاليم الأئمة المعصومين.

☐ ويرىٰ ابنُ سينا أن النبيَّ له ثلاثُ قوَىٰ:

الأولى: قوةٌ قُدسيَّة، وهي تابعةٌ لقوَّةِ العقل النظري، ويَتمكَّنُ بها النبيُّ من إدراكِ الحدِّ الأوسط دَفعةً واحدة.

الثانية: قوَّةُ التخييل والحسِّ الباطن: بحيثُ يتمثَّلُ له ما يَعلمُه في نفسِه فيراه ويسمعه، فيرىٰ في نفسه صُوراً نورانيةً هي ملائكةُ اللَّه، ويسمعُ في نفسِه أصواتًا هي ـ عنده ـ كلامُ اللَّه، وذلك من جنسِ ما يحصلُ للنائم في منامه، ويحصلُ لغير الأنبياء بالرياضة.

الثالثة: قوةٌ نفسانيةٌ يتصرَّفُ بها في هَيولىٰ العالَم، ويتمكَّنُ بها النبي والوليُّ في التأثير في مادةِ العلم، وهو يزعمُ أنَّ خوارقَ العاداتِ التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النَّمَط»[٣].

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (١٠/ ٤٠٢).

(٢) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» (ص٣٩، ٥٠) لابن سينا تحقيق سليمان دنيا.

(٣) «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا (٢/ ٣٦٨) تحقيق د. سليمان دنيا ـ و«الشفاء» =

□ وابنُ سينا هو أول من سَمَّىٰ اللَّه بـ «واجب الوجود»[١] ، وهذا إلحادٌ منه في أسماء اللَّه، وابن سينا وأمثالُه يُثبِتون وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، والموجودُ المطلَقُ بشرط الإطلاق يُمتنعُ وجودُه خارجَ الذهن، فيكونُ وجودُ الربِّ وجودًا ذهنيًّا فقط[٢] .

□ وإنما راج كلامُ ابنِ سينا علىٰ مَن سَلَك طريقَ المتفلسفة؛ لأنَّه قرَّب لهم معرفةَ اللَّه والنبوَّات بحسب أصولِ الصابئة، لا بحَسَبِ الحقِّ في نفسه كما فعل «نسطور»، و«يحيىٰ بن عديٍّ» النصرانيَّان[٣] .

□ ولقد ركَّب ابنُ سينا فلسفتَه من كلام اليونان والجهميَّة والصوفية وسَلَك طريقةَ الإسماعيلية دِينَ أصحاب «رسائل إخوان الصفا»[٤] .

□ يقول الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٣١): «كان أبوه كاتبًا من دُعاة الإسماعيلية، فقال: كان أبي تولَّىٰ التصرُّفَ بقريةٍ كبيرة، ثم نزل «بُخاري»، فقرأتُ القرآن ـ وكثيرًا من الأدب ولي عشرٌ، وكان أبي ممَّن آخىٰ داعي المصريين، ويُعَدُّ من الإسماعيلية».

□ ولا يُعظِّمُ المتفلسفةَ ومذاهبَهم إلا أبعدُ الناسِ عن العقل والدين كالقرامطة والباطنية[٥] .

= «النفس» (ص٢٤٤)، وانظر «الصفدية» لابن تيمية (١/ ٦ـ٧)، و«النبوات» (ص١٦٨، ٢٤٠) ط. دار الفكر.

(١) انظر «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٩/ ١٤٨، ١٤٩).

(٢) انظر «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٢٢، ٢٣، ٢٦، ١٠٤ـ١٠٦، ١٧٩)، (٣/ ٧).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٥٨).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٨١)، (٣٢/ ١٤٠).

(٥) انظر «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٩/ ٩٥، ٩٦).

ـ فقد قالت الفلاسفةُ: «إن الملائكةَ هي العقولُ العَشَرةُ، وإنها قديمةٌ أزلية، وإن العقلَ ربٌّ ما سواه، وإن العقلَ الفَعَّال ـ وهو جبريلُ ـ مُبدعُ كلِّ ما تحت فَلَكِ القمر».

وهذا لم يَقُلْ مِثلَه اليهودُ والنصارىٰ ومشركو العرب ولم يَصِلْ إلَيه كفرهم[1].

*** أما أبو نصر محمد بن محمد الفارابيُّ: التركي الذي من كُتُبه تَفَقَّه ابنُ سينا:**

ـ قال عنه ابن كثير: «وكان يقولُ بالمَعادِ الرُّوحانيِّ لا الجُثمانيِّ، ويُخَصِّصُ بالمَعادِ الأرْواحَ العالمةَ لا الجاهلةَ، وله مَذاهِبُ في ذلك يُخالفُ المسلمين والفَلاسِفةَ مِن سَلَفِه الأقْدَمِين، فعليه ـ إن كان مات على ذلك ـ لَعْنَةُ ربِّ العالمين.

مات بدمشقَ ـ فيما قاله ابنُ الأثيرِ في «كامله»[2]، ولم أرَ الحافظَ ابنَ عساكرَ ذكَره في «تاريخِه» لنَتْنِه وقَباحتِه. فاللَّهُ أعْلَمُ»[3].

*** نظرية النُّبوَّة عند الفارابي:**

الفارابي: محمدُ بنُ محمدِ بنِ طَرْخانَ بنِ أولغ، شيخُ الفلاسفة، أخَذَ المنطقَ عن «متَّىٰ بنِ يونُس» النصراني، وسار إلىٰ «حرَّان»، فلزم بها «يوحنَّا ابنَ جيلان» النصراني، ومُصنَّفاتُه مَن ابتَغىٰ الهدىٰ منها ضَلَّ وحارَ، ومنها

---

(١) انظر «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٩/ ٥٨).

(٢) «الكامل» (٨/ ٤٩١).

(٣) «البداية والنهاية» (١٥/ ٢٠٧).

تخرَّج ابنُ سينا.

□ يقول الدكتور «إبراهيم مدكور»: «وقد كان فلاسفةُ الإسلامِ حريصين كلَّ الحرصِ على أنْ يُوفِّقوا بين الفسلفةِ والدِّين، وبين العقلِ والنقل.. وبيَّنوا الدينَ في اختصارٍ على أساسٍ عقليٍّ، فكوَّنوا نظريةَ «النبوَّة» التي هي أهمُّ محاولةٍ قاموا بها للتوفيق بين الفلسفةِ والدين.. والفارابيُّ هو أوَّلُ مَن ذَهَب إليها، وفَصَّل القولَ فيها، وقد كَتَب الفارابيُّ كتابًا سمَّاه «آراء أهل المدينة الفاضلة»، جارىٰ فيه أفلاطون في كتابه «الجمهورية» إلىٰ حَدٍّ كبير، ويَحوي كثيراً من الآراء الأفلاطونية التي ضمَّنها نظريتَه في النُّبوَّة»[1].

□ وتظهرُ تفاصيلُ هذه النظرةِ إلىٰ «النبوَّة» عند الفارابي فيما وَضعَه من شروطٍ لرئيسِ مدينتِه الفاضلة حيث يقول في ذلك: «وإذا جُعلتِ الهيئةُ الطبيعيةُ[2] مادةَ العقلِ المنفعل[3] الذي صار عقلاً بالفعل[4]، والمنفعلُ ماد

(١) «في الفلسفة الإسلامية.. منهج وتطبيق» للدكتور إبراهيم مدكور - (ص٦٩ - ٧٠) - دار المعارف.

(٢) هي النفسُ الناطقةُ القابلةُ للإدراك، والتي هي مادةُ العقلِ المنفعل.. انظر «المدينة الفاضلة» للفارابي (ص٧٤) تأليف الدكتور علي عبدالواحد، وهو عبارة عن نصوصٍ نقَلَها المؤلفُ من كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» للفارابي، ثم شرحها وعلَّق عليها.

(٣) العقلُ المنفعلُ عندهم هو العقلُ في حالةِ تقبُّلِه للصور الذهنية.. انظر «المعجم الفلسفي» (ص١٢٠).

(٤) ذهب أرسطو إلىٰ أن هناك عقلاً بالفعل وعقلاً بالقوة، فأحدُهما فاعل، والآخر منفعل، ولا يستغني واحدٌ منهما عن الآخر. وذهب شُرَّاحُ فلسفتِه المُتأخِّرون إلىٰ تسميةِ «العقل بالفعل «عقلاً فَعَّالاً»، وأغدقوا عليه صفاتٍ تسمُو به علىٰ عالَمِ المادة وتُبرِّئُه من الفناء.. وذهب «الفلاسفةُ المتنسبون إلىٰ الإسلام إلىٰ عَدِّ العقلِ الفعَّال في نهايةِ سلسلةِ العقـول =

المستفاد، والمستفادُ مادةَ العقلِ الفعَّال، وأُخذت جملةُ ذلك كشيءٍ واحد، كان هذا الإنسانُ هو الذي يَحُلُّ فيه العقلُ الفعَّال، وإذا حَصَلَ ذلك في كِلا جُزْئَيْ قُوَّته الناطقة ـ وهما النظريَّة والعَمَليَّة ـ[1] ، ثم في قُوَّته المُتخيِّلة، كان هذا الإنسانُ هو الذي يُوحَىٰ إليه، فيكونُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ يُوحي إليه بتوسُّطِ العقلِ الفَعَّال، فيكون ما يَفيضُ من اللَّه تبارك وتعالىٰ إلىٰ العقلِ الفَعَّال يُفيضُه العقلُ الفعَّالُ إلىٰ عقلِه المنفعل بتوسُّطِ العقلِ المستفاد، ثم إلىٰ قُوَّته المتخيِّلة؛ فيكونُ بما يَفيضُ منه إلىٰ عَقلِه المنفعل حكيمًا فيلسوفًا ومتعقِّلاً علىٰ التمام، وبما يَفيضُ منه إلىٰ قُوَّتِه المتخيِّلة نَبيًّا منذِراً بما سيكونُ، ومُخبراً بما هو الآن.. وهذا الإنسانُ هو في أكملِ مراتبِ الإنسانية وفي أعلىٰ درجاتِ السعادة، وتكونُ نفسُه مُتَّحدةً بالعقلِ الفَعَّال علىٰ الوجهِ الذي قلنا.. وهذا الإنسانُ هو الذي يَقِفُ علىٰ كلِّ فعلٍ يمكنُ أن يَبلغَ به السعادة، فهذا أولُ شرائطِ الرئيس»[2] .

□ فمِن ها النصِّ نلاحظ الآتي:

١ ـ يذهبُ الفارابي إلىٰ أنَّ الوحيَ إنما يكونُ لمن حَلَّ العقلُ الفعَّالُ في

= الفلكيَّة، وسَمَّوه «العقل العاشر» الذي يُديرُ شؤونَ الأرض.. قال الفارابي: «العقلُ الفعَّالُ صورةٌ مُفارِقة، لم تكن في مادةٍ ولا تكونُ أصلاً»، وعَدَّه ابنُ سينا حَلْقةَ الوصلِ بين عالَمِ الغيبِ وعالَمِ الشهادة».. انظر «المعجم الفلسفي» (ص١٢٠).

(١) يقصد «بالعملية»: الناحية النُّزُوعيةَ المتَّصلةَ بالفِكر، والتي تمثَّلُ في النزوعِ إلىٰ فهم شيءٍ ما.. أمَّا النواحي الأُخرىٰ من القوةِ العمليَّة النزوعية التي تمثَّل في عملِ شيءٍ ما أو إحساسِ شيءٍ ما، فليست من القوَّةِ الناطقة في شيء.. انظر «المدينة الفاضلة» للفارابي تأليف د. علي عبدالواحد وافي (ص٧٥).

(٢) المرجع السابق (ص٧٤ـ٧٥).

قوَّتَيْهِ الناطقة والمتخيِّلة. . ويَجعلُ هذه القوىٰ من خصائصِ النبوةِ التي تؤثِّرُ علىٰ العالَمِ الخارجيِّ، فتكونُ بذلك المعجزاتُ.

❏ وفي هذا يقول الفارابي: «النبوةُ تختصُّ في رُوحها بقوةٍ قُدْسيَّةٍ تُذعِنُ لها غريزةُ عالَمِ الخَلقِ الأكبر، كما تُذعِنُ لرُوحِك ـ عالَمِ الخلقِ الأصغر ـ، فتأتي بمعجزاتٍ خارجةٍ عن الحِيلة»[1].

٢ ـ يُسَوِّي في الرُّتْبة بين الفلاسفةِ والأنبياء من حيثُ الأخذُ عن العقلِ الفَعَّال، ثم يُقدِّمُ الفلاسفةَ علىٰ الأنبياء، حيث جَعَل إفاضةَ العقلِ الفَعَّالِ إلىٰ صاحبِ العقلِ المنفعلِ حكيمًا فيلسوفًا ومتعَقِّلاً علىٰ التمَّام، وبعد الإفاضة علىٰ العقلِ المنفعلِ ـ التي هي مرتبة الفلاسفة ـ، تأتي الإفاضةُ علىٰ القوَّةِ المُتَخَيِّلة ـ التي هي مرتبة الأنبياء ـ مُتراخيةً عن رتبة الفلاسفة، كذلك الإفاضةُ إذا كانت علىٰ العقولِ، فهي أوْلَىٰ من أن تكونَ علىٰ آلةِ الخيال.

٣ ـ يقول الدكتور «علي وافي» مُعلِّقًا علىٰ قول الفارابي: «فهذا أولُ شرائطِ الرئيس»: «ويلاحَظُ أنَّ هذا الشرطَ الرُّوحيَّ قد انفرد الفارابيُّ باشتراطه في رئيسِ المدينة الفاضلةِ دونَ فلاسفةِ اليونان الذين اغتَرَف فلسفتَهم مِن مَعِينِهم، فلم يَرِدْ لمثلِ هذا الشرطِ ذِكرٌ في «جمهوريَّةِ أفلاطون» التي اعتَمَد عليها الفارابيُّ اعتمادًا كبيرًا».

فظَهَر بهذا سُوءَ اعتقاد الفارابيِّ في «النُّبوَّة»، وأنه إذا وُجِد شخصٌ لديْه قوَّةُ تخيُّلٍ سيكون نبيًّا، وسيستمرُّ وجودُ أنبياءَ إلىٰ قيامِ الساعة.

وهذا ردٌّ واضحٌ لعقيدةِ «ختَمِ النُّبوَّة» بنبيِّنا محمدٍ ﷺ، بجانبِ اعتقادِه

---

(١) «فصوص الحكم» (ص٧٢) للفارابي.

عدمَ اصطفاءِ اللَّه تعالىٰ لأنبيائِه ورسُله ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ:

◘ وفي هذا المعنىٰ يُعَلِّقُ ابنُ طُفَيل[1] علىٰ مقالةٍ للفارابي حولَ السعادةِ الإنسانية قائلاً: «فهذا قد أيأسَ الخَلقَ جميعًا عن رحمةِ اللَّه تعالىٰ، وَصَيَّر الفاضلَ والشِّريرَ في رُتبةٍ واحدة؛ إذ جعَل مصيرَ الكُلِّ إلىٰ العَدَم، وهذه زَلَّةٌ لا تُقالَ، وعَثْرةٌ ليس بعدَها جَبْرٌ. هذا مع ما صَرَّح به مِن سُوءِ مُعْتَقَدِهِ في «النبوة»، وأنها ـ بزعمه ـ للقوةِ الخياليَّة، وتفضيله الفلسفةُ عليها»[2].

*** عليُّ بن مَسكُويه[3]:**

ومِمن تأثَّر بنظرية الفارابي في النُّبوَّة «عليُّ بن مَسكُويه»، فنَجدُه قد فصَّل تلك النظريةَ ورتَّبها ترتيبًا زاد في وضوحها.

◘ حيث يقول: «يرتقي الإنسانُ مِن قوةِ الحسِّ إلىٰ قوةِ التخيُّل، إلىٰ قوةِ الفِكر، ومِن قوَّةِ الفِكر إلىٰ إدراكِ حقائقِ الأمورِ التي في العقل، فيؤثِّرُ حينئذٍ العقلُ في القوةِ الفكرية، وتؤثِّرُ القوةُ الفكريةُ في القوة المُتخيِّلة، وتؤثِّرُ القوةُ المتخيِّلةُ في الحِسِّ، فيرىٰ الإنسانُ أمثلةَ الأمورِ المعقولة ـ أعني حقائقَ الأشياءِ ومباديَها وأسبابَها ـ كأنها خارجةٌ عنه، وكأنما يَراها بنظره ويَسمعُها بأذُنه، فإذا شاهد هذه الحالَ، ولاحظ تلك الأمورَ، لم يَشُكَّ في

---

(١) محمد بن عبدالملك بن طُفَيل الأندلسي، فيلسوف صاحب القصة الفلسفية «حي بن يقظان» ت ـ سنة ٥٨١هـ انظر «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٩).

(٢) حي بن يقظان: لأبي بكر بن طُفَيل الأندلسي (ص٦٢).

(٣) أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه.. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ت سنة ٤٢١هـ.. «الأعلام» (١/ ٢١١).

صحتَّها، وخَضَعت لها نفسُه، واعتَرفت بها.

وهذه رتبةٌ واسعةُ العرض، تتفاوتُ فيها دَرَجُ الأنبياء ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ ومنازلُهم، فربَّما ظَهَر لهم من الأمورِ ظهوراً بيِّناً، وربما كان فيه غموضٌ، فيَلُوحُ لهم ما يَلوحُ، وكأنَّ عليه ستراً من دُونه حِجابٌ.. وكذلك حالُ ما يَرَونه من الأمورِ المستقبَلةِ في عالَمنا هذا من الفتنِ والحروبِ وغيرِها، فإنهم ربَّما رَأَوُا الشيءَ الذي يكونُ إلى مئةِ سنةٍ فقط، وربما بَلَغ نظرُهم إلى ألفِ سَنةٍ»[1].

□ قال ابن تيمية: «فهؤلاء الفلاسفةُ ما قَدَروا النُّبوَّةَ حقَّ قَدْرِها، وقد ضلَّ بهم طوائفُ من المتصوِّفةِ المُدَّعين للتحقيق وغيرُهم، وابنُ عربي وابنُ سبعين ضَلُّوا بهم، فإنهم اعتَقدوا مذهبَهم وتصوَّفوا عليه؛ ولهذا يقول ابنُ عربي: «إنَّ الأولياءَ أفضلُ من الأنبياء، وإن الأنبياءَ ـ وسائرَ الأولياء ـ يأخذون عن خاتَمِ الأنبياءِ عِلمَ التوحيد، وأنه هو يأخذُ مِن المَعدنِ الذي يأخذُ منه المَلَكُ الذي يُوحِي به إلى الرسولِ»، فإنَّ المَلَكَ عنده، الخيالُ الذي في النفس ـ وهو جبريلُ عندهم ـ، وذلك الخيالُ تابعٌ للعقل، فالنبيُّ عندهم يأخذُ عن هذا الخيالِ ما يَسمعُه من الصوتِ في نفسه»[2].

* ابنُ الرَّاوَندي الزنديقُ المرتد:

□ قال ابن الجوزي: «كم من زنديقٍ في قلبه حِقدٌ على الإسلام، خَرَج فبالغ، واجتهد فزخرف دعاوىٰ يَلقَىٰ بها من يَصحبُه، وكان غَورُ قصدِهِ في

(١) «الفوز الأصغر»، لأبي علي أحمد بن مسكويه (ص١٠١ ـ ١٠٣).
(٢) «النبوات» لابن تيمية (ص٢٨٠).

الاعتقاد الانسلالَ من الدين، وفي العمل نيلَ الملذَّات، واستباحةَ المحظورات.

ومنهم مَن لم يَبْرَحْ علىٰ تعثيره، ففاتته الدنيا والآخرة؛ مثل ابن الراوَندي، والمَعرِّي.

◻ وعن التنُوخي قال: «كان ابن الراوَندي ملازمَ الرافضة، وأهلَ الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرفَ مذاهبَهم، ثم كاشَفَ وناظر».

◻ قال ابنُ الجوزي: «مَن تأمل حالَ ابنِ الراوندي، وَجَده من كبارِ المُلحِدة، وصنَّف كتابًا سماه «الدامغ»، زعم أنه يَدمغُ به هذه الشريعةَ؛ فسبحان مَن دَمَغه، فأخذه وهو في شرخ الشباب!!».

وكان يعترضُ علىٰ القرآن، ويدَّعي عليه التناقضَ وعدمَ الفصاحة، وهو يعلمُ أن فُصحاءَ العرب تحيَّرت عند سماعِه، فكيف بالألْكَن؟!»[1].

◻ قال ابنُ كثير: «أحدُ مشاهير الزندقة، كان أبوه يهوديًّا، فأظهر الإسلام، ويقال: إنه حَرَّف التوراة، كما عادىٰ ابنُه القرآن، وألحد فيه، وصنَّف كتابًا في الردِّ علىٰ القرآن سماه «الدامغ»، وكتابًا في الرد علىٰ الشريعة والاعتراضِ عليها سماه «الزمردة»، وكتابًا يقال له «التاج» في معنىٰ ذلك.

◻ قال الجُبَّائي: قرأتُ كتابَ هذا المُلحِدِ الجاهلِ السفيهِ ابنِ الراوندي، فلم أجِدْ فيه إلاَّ السَّفَهَ والكَذِبَ والافتراء، قال: وقد وَضع كتابًا في قِدَمِ العالَم، ونَفيِ الصانع، وتصحيحِ مذهب الدهرية، والردِّ علىٰ أهلِ التوحيد، ووَضَع كتابًا في الرد علىٰ محمدٍ رسول اللَّه ﷺ في سبعةَ عشَرَ موضعًا، ونَسَبه إلىٰ الكذب ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ، وطَعَن علىٰ القرآن، ووضع

---

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١١١ ـ ١١٢) ـ مطبعه الجزيرة ـ دار السلام ـ مصر.

كتابًا لليهود والنصارىٰ، وفَضَّل دينَهم علىٰ المسلمين والإسلام، يَحتجُّ لهم فيها علىٰ إبطالِ نبوَّةِ محمدٍ ﷺ، إلىٰ غيرِ ذلك من الكُتب التي تبيِّنُ خروجَه عن الإسلام. . نَقَل ذلك ابنُ الجوزي عنه.

◘ وقد أورد ابن الجوزي في «منتظَمه» طَرَفًا من كلامه وزندقته وطَعْنِه علىٰ الآيات والشريعة، وردَّ عليه في ذلك، وهو أقلُّ وأخسُّ وأذلُّ من أن يُلتفتَ إليه وإلىٰ جهله وكلامِه وهَذَيانِه وسَفَهِه وتموُّهِه، وقد أَسند إليه حكاياتٍ من المَسْخرة والاستهتارِ والكفرِ والكبائر؛ منها ما هو صحيحٌ عنه، ومنها ما هو مفتعَلٌ عليه ممن هو مثله، وعلىٰ طريقِه ومَسلكِه في الكفر والتستر في المسخرة، يُخرجونها في قوالبَ مسخرة، وقلوبُهم مشحونةٌ بالكفر والزندقة، وهذا كثيرٌ موجودٌ فيمن يَدَّعِي الإسلام، وهو منافقٌ، يتمسخرون بالرسول ودينِه وكتابه، وهؤلاء ممن قال اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ الآية، [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقد كان أبو عيسىٰ الورَّاق مصاحبًا لابن الراوندي - قبَّحهما اللَّه -، فلما عَلِم الناسُ بأمرهما طَلَب السلطانُ أبا عيسىٰ، فأُودعَ السجنَ حتىٰ مات. . وأما ابنُ الراوندي؛ فلجأ إلىٰ «ابن لاوي» اليهودي، وصنَّف له في مُدةِ مُقامِه عنده كتابه الذي سمَّاه «الدامغ»، فلم يلبث بعده إلاَّ أيامًا يسيرةً حتىٰ مات - لعنه اللَّه -، ويقال: إنه أُخِذَ وَصُلِبَ.

◘ قال أبو الوفاء بن عقيل: «ورأيتُ في كتابٍ مُحقَّقٍ أنه عاش ستًّا وثلاثين سنةً، مع ما انتهىٰ إليه من التوغُّل في المخازِي في هذا العمرِ

القصير ـ لعنه اللَّه ـ، وقبَّحه، ولا رَحِم عظامه»[١] .

◻ قال الذهبي عنه: «الملحد، عدوُّ الدِّين، الرِّويندي، صاحبُ التصانيف في الحطِّ على المِلَّة» .

◻ قال ابنُ الجوزي: «كنتُ أسمعُ عنه بالعظائم، حتى رأيتُ له ما لم يَخطُرْ على قلب، ورأيتُ له كتاب «نعت الحكمة»، وكتاب «قضيب الذهب»، وكتاب «الزمردة»، وكتاب «الدامغ»، الذي نَقَضَه عليه الجُبَّائي، ونَقَض عبدُالرحمن بنُ محمدٍ الخَيَّاطُ عليه كتاب «الزمردة» .

◻ قال ابن عقيل: «عَجَبي! كيف لم يُقتل؟ وقد صَنَف «الدامغ» يدمغُ به القرآن، و«الزمردة» يُزري فيه على النبوات؟!» .

◻ قال ابنُ الجوزي عن «الزمردة»: «فيه هَذَيانٌ بارد، لا يتعلَّقُ بشبهة، يقول فيه: «إن كلامَ أكثم بنِ صيفي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر، وإن الأنبياء وقعوا بطلاسم» .

وألَّف لليهود والنصارى يحتجُّ لهم في إبطالِ نبوَّة سيِّد البشر» .

◻ قال أبو العباس بنُ القاصِّ الفقيه: «كان ابنُ الراوندي لا يستقرُّ على مذهبٍ ولا نِحْلة، حتى صَنَّف لليهود كتابَ النصرة على المسلمين لدراهمَ أُعطيَها من يهود، فلما أَخذ المال، رام نقضَها، فأعطَوه مئتي درهم حتى سكت» .

قال في بعض المعجزات: «يقول المُنجِّمُ كهذا» .

وقال: «في القرآن لَحن» .

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٠ ـ ١٢١) .

وقال: «يقولون: «لا يأتي أحدٌ بمثل القرآن»، فهذا إقليدس لا يأتي أحدٌ بمثله، وكذلك بطليموس».

قيل: إنه اختلف إلى المُبرِّد، فقال المُبرِّد: لو اختلف إليَّ سنةً لاحتجتُ أن أقوم وأُجلسَه مكاني.

لعن اللَّه الذكاءَ بلا إيمان، ورَضِيَ اللَّه عن البلادة مع التقوىٰ»[1].

فكان جزاءُ الزنديق من جنسِ عمله، ودَمَغه اللَّه ولم يُمهِلْه بعدما ألَّف «الدامغ» جزاءً وفاقًا.

◻ قال ابنُ كثيرٍ بعدَ ذِكْرِه شيئًا مِن مَزَاعِمِ ابنِ الرَّاوَنْدِيِّ وافتراءاتِهِ وتُرَّهاتِهِ: «إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الكُتُبِ التي تُبَيِّنُ خُروجَهُ عن الإسلامِ».

◻ ثم قال: «وهُو أَقلُّ وأَخَسُّ وأَذَلُّ مِن أَنْ يُلْتَفَتَ إليهِ وإلىٰ جَهْلِهِ وكلامِهِ وهَذَيانِهِ وسَفَهِهِ وتَمْويهِهِ».

وكانتْ نهايةُ هذا المُلحدِ الزِّنديقِ أَنْ أَخَذَهُ أُولو الأمرِ وصَلَبوهُ؛ كما نَقَلَه ابنُ كَثيرٍ (١١/ ١١٣).

* وصدق اللَّه تعالىٰ القائل في أمثال ابن الراوندي: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر: ٢٥].

*** أبو العلاء المَعَرِّي المشهور بالزَّندقة:**

أحمدُ بنُ عبدِاللَّه بنِ سُليمانَ، أبو العلاء المَعَرِّي التَّنُوخِيُّ الشاعر،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٩-٦٢).

المشهور بالزندقة، اللُّغوي، صاحبُ الدواوين والمصنَّفات في الشعر واللغة[١] .

قال ابنُ الجوزي: «كم مِن زنديقٍ في قَلبِه حِقدٌ على الإسلام، خَرَج فبالغ، واجتهد فزَخرف دعاوىٰ يَلقَىٰ بها مَن يَصحبُه، وكان غَورُ قَصدِه في الاعتقادِ الانسلالَ من الدين، وفي العمل نَيلَ المَلذَّات، واستباحةَ المحظورات.

ومنهم مَن لم يَبرحْ علىٰ تعثيره، ففاتته الدنيا والآخرة؛ مثل ابن الراوَندي والمَعرِّي»[٢] .

وُلد المَعَرِّي سنةَ ثلاثٍ وستِّين وثلاثمِئة، وكانت وفاتُه بـ«مَعَرَّة» عن ستٍّ وثمانينَ سنةً إلاَّ أربعةَ عَشَرَ يومًا.

قال ابنُ الجوزي: «وأما أبو العلاء المَعَرِّي؛ فأشعارُه ظاهرةُ الإلحاد، وكان يُبالغُ في عَداوةِ الأنبياء، ولم يَزَلْ متخبِّطًا في تعثيرِه، خائفًا من القتل، إلىٰ أن مات بخُسرانه»[٣] .

وكلُّ صاحبِ فِريةٍ ذليل؛ جَزاءً وفاقًا، أعثَرُ الناس، وأَخْسَؤُهم قَدْرًا، وأردؤُهم عَيشًا.

قال ابن كثير[٤] : «قال الشِّعرَ وله إحدىٰ عشْرةَ أو ثِنْتا عشْرةَ سنةً،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٥/ ٧٤٥)، وانظر «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٣)، و«المنتظم» (١٦/ ٢٢)، و«وفيات الأعيان» (١/ ١١٣).

(٢) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١١١).

(٣) المصدر السابق (ص١١٢).

(٤) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٥/ ٧٤٥ـ ٧٥٣).

ودخلَ بغدادَ سنةَ تسع وتسعين وثلاثمئةٍ، فأقام بها سنةً وسبعةَ أشهرٍ، ثم خَرَج منها طَريداً مُنْهزِمًا؛ لأنه قال شِعراً يَدُلُّ على قِلةِ دينِه وعلمِه وعقلِه، وهو قولُه[1] :

تَناقُضٌ ما لنا إلاَّ السُّكوتُ له ... وأنْ نَعوذَ بمَوْلانا مِن النارِ
يدٌ بخمسِ مئينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَت في رُبعِ دينارِ!

يقولُ: اليدُ دِيَتُها خَمْسُمِئةِ دينارٍ، فما لكم تَقْطَعونها إذا سرَقَت ربعَ دِينارٍ؟! وهذا مِن قَلَّةِ عقلِه وعلمِه، وعَمَى بَصيرتِه؛ وذلك أنها إذا جُنِي عليها يُناسِبُ أن يكونَ دِيَتُها كثيرةً؛ لِيَنْزَجِرَ الناسُ عن العُدْونِ، وأما إذا جنَت بالسرقةِ فيُناسِبُ أن تَقِلَّ قيمتُها؛ لِيُنْزَجَرَ عن أخذِ الأموالِ، وتُصانَ أموالُ الناسِ، ولهذا قال بعضُهم[2] : «كانت ثمينةً لَمَّا كانت أمينةً، فلما خانَت هانَت».

ولَمَّا عَزَم الفُقهاءُ على أخْذِه بهذا الكلامِ، هَرب ورجَع إلى بلدِه، ولَزِمَ منزلَه، فكان لا يَخرُجُ منه».

◘ ويقول ابن كثير: «كان ذكيًّا، ولَم يكن زكيًّا، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ أكثرُها في الشعر، وفي بعضِ أشعارِه ما يَدُلُّ على زندقةٍ وانحلال، ومن الناس مَن يَعتذِرُ عنه، ويقول: «إنه إنما كان يقول ذلك مُجونًا ولَعِبًا، و يقول بلسانِه ما ليس في قلبِه، وقد كان باطنُه مُسلِمًا».

---

(١) «البيتان في اللزوميات» (١/ ٣٨٦).

(٢) هو القاضي عبدالوهاب المالكي.. انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٣).

قال ابنُ عَقيلٍ[١] : «وما الذي كان يُلجِؤه أن يقول في دارِ الإسلامِ ما يُكفِّرُه به الناسُ؟ قال: والمنافِقون مع قِلَّةِ عقلِهم وعلمِهم ودينِهم أجْودُ سِياسةً منه، حافَظوا على قَبائحِهم في الدنيا، وهذا أظهَرَ الكفرَ الذي تسلَّط به عليه الناسُ، واللَّهُ تعالى أعلمُ أن باطِنَه كظاهِرِه».

قال ابنُ الجوزي[٢] : «وقد رأيتُ لأبي العَلاءِ المَعَرِّي كتابًا سمّاه «الفُصول والغَاياتِ في مُعارَضةِ السُّوَرِ والآياتِ» على حُروفِ المُعْجَمِ في آخرِ كلماتِه، وهو في نهايةِ الرَّكاكةِ والبُرودةِ، فسبحانَ مَن أعمَى بصره وبَصيرتَه».

قال: «وقد نَظَرْتُ في كتابِه المُسَمَّى «لُزومَ ما لا يَلْزَمُ»..».

ثم أوْرَد ابنُ الجوزيِّ مِن أشعارِه الدالةِ على استِهْتارِه أشياءَ كثيرةً، فمِن ذلك قولُه[٣] :

إذا كان لا يَحْظَى برزقِك عاقلٌ ... وتَرزُقُ مَجنونًا وتَرْزُقُ أحْمقَا

فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على امرئٍ ... رأى منك ما لا يَشْتَهي فتزَنْدَقَا

وقولُه[٤] :

وهيهاتَ[٥] البَرِيَّةَ في ضَلالٍ ... وقد نظَر[٦] اللَّبيبُ لمَا اعْتَراها

تقَدَّم صاحبُ التَّوراةِ موسى ... وأوْقَع في الخَسارِ مَن افْتَراها

---

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (١٦/ ٢٣)، وابن عقيل هو أبو الوفاء علي بن عقيل شيخ الحنابلة.

(٢) «المنتظم» (١٦/ ٢٤).

(٣) المصدر السابق (١٦/ ٢٤، ٢٥).

(٤) في «اللزوميات» (٢/ ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧).

(٥) في نسخة «ألا إن».

(٦) في نسخة «فطن».

فقـال رجـالُـه: وحْـيٌ أتـاه ... وقـال الناظـرون: بلِ افْتَـراهـا
وما حَجِّـي إلى أحجـارِ بيـتٍ ... كـؤوسُ الخمـرِ تُشْرب في ذُراهـا
إذا رجَـع الحليـمُ إلى حِجـاه ... تهـاوَن بالمـذاهـبِ وازْدَراهـا

وقولُه[1] :

هَفَتِ الحَنيفةُ والنَّصارَى ما اهْتَدَتْ ... ويهـودُ حـارَت والمجوسُ مُضَلَّلَهْ
اثنانِ أهـلُ الأرضِ: ذو عقـلٍ بلا ... دينٍ وآخـرُ ديِّـنٌ لا عقـلَ لـهْ

وقولُه[2] :

فلا تَحْسَبْ مَقـالَ الرُّسْلِ حقًّا ... ولكـنْ قـولُ زُورٍ سـطَّـروهُ
فكـان النـاسُ في عَيـشٍ رَغيـدٍ ... فجـاؤوا بالمُحـالِ فـكـدَّروهُ

وقلت[3] أنا في مُعارَضةِ هذا:

فلا تَحسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ كذْبًا[4] ... ولـكـن قـولُ حَـقٍّ بـلَّغـوهُ
وكان الناسُ في جَهْـلٍ عظيـمٍ ... فجـاؤوا بالبَـيـانِ فـأذهبـوه[5]

ومن ذلك أيضًا قولُه[6] :

إنَّ الشَّرائـعَ ألْقَـت بينَنـا إحَـنًا[7] ... وأوْرَثَتْنـا أفانِـينَ العَـداواتِ

---

(١) في «اللزوميات» (٢/ ٢٠١).

(٢) في «المنتظم» (١٦/ ٢٥).

(٣) الكلام للإمام ابن الجوزي.

(٤) وفي نسخة: زوراً.

(٥) وفي نسخة: فأوضحوه.

(٦) في «اللزوميات» (١/ ١٨٦).

(٧) الإِحَن: جمع إحنة وهي الحقد.

وهل أُبيح[١] نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ ... للعُـرْبِ إلاَّ بأحكـامِ النُّبُـوَّاتِ

❏ وقولُه:

ومـا حَمْـدي لآدمَ أو بَنيـه ... وأشْهَـدُ أنَّ كلَّهـمُ خَسِيسُ[٢]

❏ ومن ذلك أيضًا قولُه[٣]:

أفيقـوا أفيقـوا يا غُـواةُ فـإنـما ... دِيانـاتُكـم مكـرٌ من القُـدَمـاءِ

قضى اللَّـهُ فينا بالـذي هو كائـنٌ ... فتَـمَّ وضاعـتْ حِكمـةُ الحكمـاءِ

❏ ومن ذلك أيضًا قولُه:

صَرْفُ الـزمـانِ مُفَـرِّقُ الإلْفَيْنِ ... فاحْكُـمْ إلهـي بـينَ ذاكَ وبينـي

أنَهَيْـتَ عن قتـلِ النفوسِ تَعَمُّـدًا ... وبعَثْتَ أنت لقَبْضِـها ملَكَيْـنِ؟!

وزعَمْـتَ أن لها مَعـادًا ثـانيًـا ... ما كان أغْنـاهـا عن الحـالَيْـنِ؟!

❏ ومن ذلك أيضًا قولُه[٤]:

ضحكْنا وكان الضِّحْكُ منا سَفاهةً ... وحُقَّ لسُكَّـانِ البَسيطـةِ أن يَبْكُـوا

تُحَطِّمُنـا الأيـامُ حتى كأنَّنـا[٥] ... زُجـاجٌ ولـكنْ لا يَعـودُ له سَبْكُ

❏ ومن ذلك أيضًا قولُه[٦]:

أمـورٌ تَسْتَخِـفُّ بهـا حُلـومٌ ... ومـا يَـدْري الفتـى لِمَن الثُّبـورُ

كتـابُ محمـدٍ وكتـابُ موسـى ... وإنْجيـلُ ابنِ مَـرْيَـم والزَّبُـورُ

---

(١) وفي نسخة: أُبيحت.

(٢) في «اللزوميات» (٢/ ١٨).

(٣) في «اللزوميات» (١/ ٦٤).

(٤) في «اللزوميات» (٢/ ١٤٣).

(٥) في الديوان: يحطمنا ريب الزمان كأننا.

(٦) في «اللزوميات» (١/ ٣٢٤).

▣ ومن ذلك أيضًا قولُه[1] :

قالت مَعاشِرُ: لم يَبْعثْ إلهكُمُ ... إلى البَرِيَّةِ عيساها ولا مُوسَا

وإنما جعَلُوا الرحمنَ مأكَلَةً ... وصيَّروا دينَهم في الناسِ ناموسَا

وذُكِر له أشياءُ غير ذلك، وكلُّ قِطْعةٍ مِن هذه تَدلُّ على كفرِه وانحلالِه وزندقتِه وضلالِه، ويقالُ: إنه أوْصَى أن يُكْتَبَ على قبرِه:

هذا جَناه أبي عليَّ ... وما جنَيْتُ على أحدْ

معناه أن أباه بتزوُّجِه لأمِّه أوْقَعه في هذه الدارِ، حتى صار بسببِ ذلك إلى ما إليه صار، وهو لم يَجْنِ على أحدٍ بهذه الجِنايةِ، وهذا كلُّه كفرٌ وإلحادٌ، قبَّحه اللَّهُ، وقد زعمَ بعضُهم أنه أقْلَع عن هذا كلِّه وتاب منه، وأنه قال قصيدةً يَعْتَذِرُ فيها مِن هذا كلِّه، ويَتَنَصَّلُ منه، وهي القَصيدةُ التي يقولُ فيها:

يا مَن يرَى مَدَّ البَعوضِ جَناحَها ... في ظُلْمةِ الليلِ البَهيمِ الألْيَلِ

ويَرَى مَناطَ عُروقِها في نحرِها ... والمخَّ في تلك العِظامِ النُّحَّلِ

امْنُنْ عليَّ بتوبةٍ تَمْحُو بها ... ما كان منِّي في الزمانِ الأوَّلِ

وقد كانت وفاتُه في ربيعٍ الأولِ من هذه السنةِ بمَعَرَّةِ النُّعمانِ، عن ستٍّ وثمانين سنةً إلا أربعةَ عشَرَ يومًا، وقد رثَاه جَماعةٌ مِن أصحابِه وتَلامذتِه، وأُنْشِدَت عندَ قبرِه ثمانون مَرْثاةً، حتى قال بعضُهم في مَرْثاتِه.

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماءَ زَهادةً ... فلقد أرَقْتَ اليومَ من جَفْني دمَا

▣ قال ابن الجوزي[2] : «وهؤلاء إمَّا جُهَّالٌ بأمرِه، وإمَّا ضُلَّالٌ على

---

(١) في «اللزوميات» (٢/ ٢٢، ٢٣).

(٢) «المنتظم» (١٥/ ٢٧).

مذهبِه وطريقتِه.

وقد رأىٰ بعضُهم في المنامِ رجلاً ضَريراً علىٰ عاتقيه حَيَّتانِ مُدلَّيتانِ إلىٰ صَدْرِه رافِعتانِ رُؤوسَهما، وهما يَنْهَشانِ مِن لَحْمه، وهو يَسْتَغِيثُ، وقائلٌ يقولُ: هذا المَعَرِّيُّ المُلْحِدُ.

وقد ذكَره ابنُ خلِّكانَ في «الوفيات»، فرفَع في نَسَبِه كما ذكَرْنا، وقد ذَكَر له مِن التصانيفِ كتبًا كثيرةً، وذكَر أن بعضَهم وقَف علىٰ المجلدِ الأولِ بعدَ المئةِ مِن كتابِه المُسَمَّىٰ بـ«الأيْكِ والغُصونِ».

وهو المعروفُ بـ«الهَمْزِ والرِّدْفِ» وأنه أخَذ العربيةَ عن أبيه، واشْتَغَل بحلَبَ علىٰ محمدِ بنِ عبداللَّهِ بن سعدٍ النَّحْويِّ، وأخَذ عنه أبو القاسم عليُّ ابنُ المُحَسِّنِ التَّنُوخيُّ، والخطيبُ أبو زكريا يَحْيَىٰ بنُ عليٍّ التِّبْرِيزيُّ، وذكَر أنه مكَث خمسًا وأربعين سنةً لا يأْكُلُ اللحمَ علىٰ طريقةِ الحكماءِ، وأنه أوْصَىٰ أن يُكْتَبَ علىٰ قبرِه:

هذا جَناه أبي عليَّ ... وما جَنَيْتُ علىٰ أحدْ

قال ابنُ خلِّكانَ[1] : «وهذا أيضًا مُتَعلِّقٌ باعْتقادِ الحُكماءِ، فإنهم يقولون: إيجادُ الولدِ وإخْراجُه إلىٰ هذا الوجودِ جِنايةٌ عليه، لأنه يَتَعرضُ للحَوادثِ والآفاتِ».

قلتُ[2] : «وهذا يَدُلُّ علىٰ أنه لم يَتَغَيَّرْ عن اعْتقادِ الحكماءِ إلىٰ آخرِ وقتٍ، وأنه لم يُقْلِعْ عن ذلك كما ذكَره بعضُهم، واللَّهُ أعلمُ بظَواهِرِ الأمورِ

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١١٥).

(٢) الكلام للإمام ابن كثير.

وبَواطنِها.

وذكَر ابنُ خلِّكانَ[1] أن عينَه اليمنىٰ كانت ناتِئةً، وعليها بَياضٌ، واليسرىٰ غائرةٌ، وكان نَحيفًا، ثم أوْرَدَ مِن أشعارِه الجيِّدةِ أبياتًا، فمنها قولُه:

لا تَطلُبَنَّ بآلةٍ لك رُتبةً ... قَلَمُ البَليغِ بغيرِ جَدٍّ مِغْزَلُ

سكَن السِّماكانِ[2] السماءَ كلاهما ... هذا له رُمْحٌ وهذا أعْزَلُ

◘ يقول عنه الذهبي: أبو العلاء، شيخُ الآداب، اللُّغويُّ الشاعر، صاحبُ التصانيف السائرة، والمتَّهمُ في نِحلَتِه.

ومِن أراد تواليفه: «رسالة الغفران» ـ في مجلد ـ، وقد احتَوَتْ علىٰ مَزْدَكةٍ وفراغٍ. و«رسالةُ الملائكةَ»، و«رسالة الطير» علىٰ ذلك الأنموذج.

◘ قال الباخرزي: أبو العلاء ضريرٌ ما له ضَريب، ومكفوفٌ في قَميصِ الفضل ملفوف، ومَحجوبٌ خَصْمُه الألدُّ مَحجوج، قد طال في ظِلِّ الإسلام آناؤه، ورَشَحَ بالإلحاد إناؤهُ، وعندنا خَبَرُ بصره، واللَّهُ العالمُ ببصيرته، والمطَّلعُ علىٰ سريرته، وإنما تحدَّثتِ الألسُنُ بإساءته، بكتابِه الذي عارَضَ به القرآن، وعَنْوَنَه بـ«الفصول والغايات في معارضة السور والآيات».

وقال غرس النعمة محمدُ بنُ هلال بن المحسن: له شِعرٌ كثير، وأَدبٌ

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان (١/ ١١٣).

(٢) السماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل ـ الوسيط (س م ك).

غَزير، ويُرمَى بالإلحاد، وأشعارُه دالةٌ على ما يُزَنُّ به[1] .

ويُظهِرُ الصومَ دائمًا، قال: ونحن نذكُرُ مما رُمي به، فمنه:

قِـرَانُ الْمُشْتَـرِي زُحَـلاً يُرَجَّـى ... لإيقَـاظ النَّـوَاظِـرِ مَنْ كَـرَاهَـا
تَقَضَّـى النَّـاسُ جِيـلاً بَعْدَ جيلٍ ... وَخُلِّفَـتَ النُّجُـومُ كَمَا تـرَاهَـا
تَقَـدَّمَ صَاحِـبُ التَّـوْرَاة مُوسَى ... وأوقعَ بالْخَسَـارِ مَـنِ اقْـتَـرَاهَا
وَمَا حَـجِّي إلَى أَحْجَـارِ بَيْـتٍ ... كُؤُوسُ الْخَمرِ تُشْرَبُ في ذُرَاهَا
إذَا رَجَـعَ الْحَـكِيـمُ إلى حِجَـاهُ ... تَهَـاوَنَ بِالْمَـذَاهِـبِ وَازْدَرَاهَـا

ومنه[2] :

قُـلتُـمْ لَنَـا خَـالِـقٌ قَـدِيـمٌ ... صَـدَقْتُـمْ هَـكَـذَا نَـقُـولُ
زَعَـمْتُـمُـوهُ بِـلاَ زَمَـانٍ ... ولاَ مَـكَـانٍ ألاَ فَـقُـولُـوا
هَـذَا كَـلاَمٌ لَـهُ خَـبِـيءٌ ... مَعْنَـاهُ لَيْسَـتْ لَكُـمْ عُـقُـولُ

ومنه[3] :

دِينٌ وَكُـفْـرٌ وَأَنْبَاءٌ تُقَالُ وَفُـرْ ... قَانٌ يَنُـصُّ وتَـوْرَاةٌ وإنْجِـيـلُ
في كُـلِّ جِيـلٍ أَبَاطِيـلٌ يُـدَانُ بِهَا ... فَهَلْ تَفَـرَّدَ يَوْمًـا بِالْهُـدَى جِيـلُ

فأجبته:

نَعَمْ أَبُـو الْقَاسِـمِ الْهَـادِي وأُمَّتُـهُ ... فَـزَادَكَ اللَّـهُ ذُلاً يَـا دُجَيْجِيـلُ

---

(١) ما يرمى به ويتهم.

(٢) «اللزوم» (٢/ ٢٧٠).

(٣) «اللزوم» (٢/ ٢٦٨)، وفيه: وأنباء تُقَصُّ بدل: تقال.

◻ ومنه[١] :

وإنَّمَا حَمَّلَ التَّوْرَاةَ قَارِئَهَا ... كَسْبُ الفَوَائِد لا حُبُّ التِّلاوَاتِ

وهَلْ أُبِيحَتْ نِسَاءُ الرُّومِ عَنْ عُرُضٍ[٢] ... للعُرْبِ إلاَّ بِأَحْكَامِ النُّبُوَّاتِ

◻ وعن التِّبريزي قال: لَمَّا قرأتُ على أبي العلاء:

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إلاَّ السُّكُوتُ لَهُ ... وأَنْ نَعُوذَ بِمَولاَنَا مِنَ النَّارِ

يَدٌ بِخَمْسِ مِيءٍ[٣] مِنْ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

سألتُه فقال: هذا كقولِ الفقهاءِ: «عبادةٌ لا يُعقَلُ معناها».

قال كاتبه: لو أراد ذلك، لقال: «تعبُّدٌ»، ولَمَا قال: «تناقضٌ»، ولَمَا أردفه بيتٍ آخَرَ يعترضُ على ربِّه.

وبإسنادي: قال السِّلَفيُّ: إنْ كان قاله معتقِدًا معناه، فالنارُ مأواه، وليس له في الإسلامِ نصيب، هذا ما يُحكى عنه في كتاب «الفصول والغايات»، فقيل له: «أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تَصقُلْهُ المحاريبُ أربعَمئةِ سنة».

◻ قال الذهبيُّ: «ويَظهرُ لي من حالِ هذا المخذولِ أنَّه متحيِّر، لم يَجزمْ بنِحلةٍ.. اللَّهم فاحفظ علينا إيمانَنا».

◻ قال الذهبي: «قد طال المَقالُ، وما على الرجلِ أُنسُ زُهَّادِ المؤمنين، واللَّهُ أعلم بما خُتم له.. ومن خبيث قوله[٤] :

أَتَى عِيسَى فَبَطَّلَ شَرْعَ مُوسَى[٥] ... وَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِصَلاَةِ خَمْسِ

---

(١) «اللزوم» (١/ ٢٢٨).

(٢) يضربون الناس عن عرض: لا يبالون من ضربوا.

(٣) ميءٍ بميم مكسورة وهمز منونة: من جمع المئة وفي «اللزوم» (١/ ٥٤٤) بخمس مئين.

(٤) «اللزوم» (٢/ ٥٥-٥٦).

(٥) في «اللزوم»: دعا موسى فزال وقام عيسى.

وَقَــالُــوا لاَ نَبِــيٌّ بَعْــدَ هَــذَا فَضَلَّ النَّاسُ بَيْنَ غَــدٍ وَأَمْــسِ[1]

ومَهْمَا عِشْتَ مِنْ دُنْيَاكَ هَــذِي فَمَا تُخْلِيكَ مِنْ قَمَــرٍ وَشَمْــسِ

إِذَا قُلْتُ الْمُحَالَ رَفَعْتُ صَوْتِي وإِنْ قُلْتُ الْيَقِينَ أَطَلْتُ هَمْسِي[2]

◻ قال طه حسين في «تجديد ذكرى أبي العلاء»: «أبو العلاء كان مُنكِراً للنبوَّات، جاحداً لصحَّتها، وقد نَصَّ على ذلك في «اللزوميات» صراحةً غيرَ مَرَّة، فَطوراً يُثبِتُ أنها «زُور»، وطوراً يجعلها «مصدر الشرور»، وافتَنَّ في ذلك افتناناً عجيباً، فلم يكتفِ بإنكارِ النبوَّات، حتى أنكر الدياناتِ عامةً.

◻ ويقول في التعريض بالإسلام خاصَّةً:

تَلَــوْا بَاطِــلاً وَجَلَــوْا صَــارِمًا وَقَــالُــوا صَــدَقْنَا فَقُلْنَــا نَــعَــمْ

◻ ويقول في التعريض بالنبي ﷺ:

وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْمًا لِبَعْثِ مُحَمَّدٍ جُعِلَتْ رُجُومَا

◻ ويقول في ذلك معرِّضًا بقصةِ «خيبر»:

ومحمــدٌ وهو المُنَبَّــأُ يَشتكي لِمكانِ أَكْلَتِه انقطاعَ الأَبْـهَرِ

◻ ويقول:

وَإِذَا مَا سَأَلْتَ أَصْحَـابَ دِينٍ غَيَّــرُوا بِالْقِيَــاسِ مَا رَتَّبُــوهُ

لاَ يَدِينُــونَ بِالْعُقُــولِ وَلَكِنْ بِأَبَاطِيــلِ زُخْرُفٍ كَذَّبُــوهُ

◻ ويقول:

بَنَتِ النَّصَارَى لِلْمَســيحِ كَنَائِسًا كَادَتْ تَعِيــبُ الْفِعْــلَ مِنْ مُنْتَابِهَا

---

(١) في «اللزوم»:

وَقِيــلَ يَجِــيءُ دِينٌ غَيْرُ هذا وَأَوْدَى النَّاسُ بَيْنَ غَدٍ وَأَمْسِ

(٢) وإن قلت الصحيح. . . «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٣-٣٩).

وَمَتَـى ذَكَـرْتَ مُحَـمَّداً وَكِتَـابَهُ ... جَـاءَتْ يَهُـودُ بِجَحْدِهَا وَكِتَابِهَا

❑ وانظر إلىٰ السخرية في قوله:

أَفَمِلَّةَ الإِسْـلاَمِ يُنْـكِرُ مُنْـكِـرٌ ... وَقَضَـاءُ رَبِّكِ صَاغَـهَا وَأَتَى بِهَا

❑ ويقول:

غَدَا أَهْـلُ الشَّرَائِعِ فِي اخْتِـلاَفٍ ... تُقَـضُّ بِهِ المَضَـاجِعُ وَالْمُهُـودُ

فَقَدْ كَذَبَتْ عَلَى عِيسَى النَّصَارَى ... كَمَا كَذَبَتْ عَلَى مُوسَى الْيَهُـودُ

❑ وانظر إلىٰ تعريضه بالإسلام:

وَلَمْ تَسْتَـحْدِثِ الأَيَّـامُ خَلْـقًا ... وَلاَ حَالَتْ مِنَ الزَّمَـنِ الْعُهُـودُ

ومثلُ هذا كثيرٌ في «اللزوميات»، لم نَشَأْ أن نُسرِفَ في روايتِه اتقاءَ الإطالة، وخشيةَ الإملال، وهو يدلُّ علىٰ أن رُوحَ الرجل لم يكن رُوحَ مؤمنٍ بالنبوَّات، ولا مُصدِّقٍ للأنبياء»[1].

❑ وقال أيضًا: «وقال في إنكار ما في القرآن من تقسيم فرائض الميراث:

حَيْـرَانُ أَنْتَ فَـأَيَّ النَّاسِ تَتْبَـعُ ... تَجْـرِي الْحُظُوظُ وَكُلٌّ جَاهِلٌ طَبِعُ

وَالأُمُّ بِالسُّدْسِ عَادَتْ وَهِيَ أَرْأَفُ مِن ... بِنْتٍ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسٍ لَهَا الرُّبُعُ

وقد أجمع المؤرِّخون علىٰ أنَّ أبا العلاء، عارَضَ القرآنَ بكتابٍ سماه: «الفصول والغايات في محاكاةِ السور والآيات»، وأبو العلاء نفسه لم يُنكِرْ هذا الكتاب، بل أثبته في ثَبَتِ كُتبه، الذي رواه القِفْطيُّ والذهبي، والناسُ يُكفِّرون أبا العلاء بهذا الكتاب، وبما في «رسالة الغفران» من سخريةٍ، وبما

(١) «تجديد ذكرىٰ أبي العلاء» لـ«طه حسين» طبع دار المعارف (ص٢٦٩ ـ ٢٧١).

في «اللزوميات» من إنكار النبوات»[١] .

* أمَّا مَوْقِفُهُ مِنَ الْبَعْثِ :

▫ فيقول طه حسين: «اضطرب رأيُ أبي العلاءِ في البَعْثِ اضطرابًا شديدًا، فمرةً أثبَتَه، فقال:

قال الْمُنَجِّـمُ وَالطَّبِيـبُ كِـلاَهُمـا ... لا تُحْشَـرُ الأَجْسَـامُ قُلْتُ إِلَيْكُمَـا

إن كَـانَ رَأْيُكُمَـا فَلَسْتُ بِخَاسِـرٍ ... أو صَحَّ قَوْلِي فَالْخسَارُ عَلَيْكُمَا»[٢]

وتَارةً يُنكِرُه نصًّا، بل نفاه أكثَرَ من ستِّينَ مرةً في «اللزوميات» ومِن أشنعِ قوله في ذلك:

وزَعَـمْـتَ أنَّ لَهَـا مَـعَـادًا ثَانِيًـا ... مَا كَـانَ أَغْـنَـاهَـا عَـنِ الْحَالَيْـنِ

وتَارةً يقفُ في أمرِ البعثِ موقفَ الشك فيقول:

يا مَرْحَبًـا بِالْمَـوْتِ مِن مُتَـنَظَّـرٍ ... إنْ كَـانَ ثَـمَّ تَـعَـارُفٌ وتَـلاَقِ[٣]

* الْجِنُّ والْمَلائِكَةُ :

قال طه حسين: «أبو العلاء أنكر الجِنَّ والملائكةَ في «اللزوميات» نصًّا، فقال:

قد عِشْتُ عُمْرًا طَوِيلاً ما عَلِمْتُ بِهِ ... حِسًّا يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ ولاَ مَـلَـكِ

وقال:

فاخْشَ الْمَلِيكَ ولا تُوجَدْ على رَهَبٍ ... إن أَنْتَ بِالْجِـنِّ في الظَّلْمَاءِ خُشِّيتَا

(١) «تجديد ذكرىٰ أبي العلاء» (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٢) «تجديد ذكرىٰ أبي العلاء» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٦) .

(٣) المصدر السابق (٢٦٩) .

فَإِنَّمـا تِـلْكَ أَخْبَـارٌ مُلَفَّـقَـةٌ لِخِدْعَـةِ الْغَافِلِ الْحَشَوِيِّ حُوشِيتَـا

و«رسالة الغفران» مملوءةٌ بالسخرية المؤلمةِ من الجنِّ والملائكةِ جميعًا، وقد نَظَم الشِّعرَ في «رسالة الغفران» على ألسِنَةِ الجنِّ الذين دَخلوا الجنة، فقال: ـ وإنما يُريدُ الهُزْءَ والسخرية ـ:

مَكَّـةُ أَقْوَتْ من بَنِـي الدَّرْدبسْ فَـمَا لِـجِنِّـيٍّ بِـهَا حَسِـيسْ

* أصل الإنسان: « شكَّ في أصل الإنسان، فقال:

جَـائِـزٌ أن يَـكُـونَ آدَمُ هَـذَا قَـبْـلَـهُ آدَمٌ عَـلَـى إِثْـرِ آدَمْ

ثم جزم بذلك، فقال:

وما آدَمٌ في مَذْهَبِ الْعَقْلِ وَاحِـدٌ وَلَكِـنَّـهُ عِـنْـدَ الـقِـيَاسِ أَوَادِمُ

وتمنَّى أبو العلاء لو أنَّ الإنسانَ لم يُوجَد؛ لأنه شريرٌ مُفسِدٌ في الأرض، فقال:

يا لَيتَ آدَمَ كَـانَ طَـلَّـقَ أُمَّهُـمْ أو كَانَ حَـرَّمَـهَـا عَلَيْه ظِـهَـارُ

وَلَدَتْهُـمُ في غَيْرِ طُهْـرٍ عـارِكًـا فَـلِذَاكَ تُفْقَـدُ فِيهِـمُ الأَطْهَـارُ

وهو لا يُفرِّقُ في حُكمِ العقل بين ابنِ الحُرَّةِ وابنِ الزانية، فيقول:

وسِـيَّـانِ مَـنْ أُمُّـهُ حُـرَّةٌ حَـصَـانٌ ومَـنْ أُمُّـهُ زَانِيَـهْ

ويقول:

ما مَـيَّزَ الأَطْفَـالَ في أَشْبَـاحِـهَـا لِلـعَـيْـنِ حِـلٌّ ولاَدَةٍ وَظِـهَـارُ

وبَالَغ أبو العلاء في كُرهِ الوجودِ حتى استَحسَنَ مِن وأْدِ البنات ما حَرَّمه اللَّه:

ودَفْـنٌ والحَـوَادِثُ فَاجِـعَـاتٌ لإِحْـدَاهُنَّ إِحْدَى المَكْـرُمَـاتِ

واستَحسنَ غيرَ مرةٍ تحريقَ الهند موتاهم وأحبَّه، وفي ذلك يقول:

فَاعْجَبْ لتَحْرِيقِ أَهْلِ الهِنْدِ مَيْتَهُمْ وَذَاكَ أَرْوَحُ من طُـول التَّبَـارِيحِ
إنْ حَـرَّقُوه فَمَا يَخْشَوْنَ من ضَبُعٍ تَسْرِي إِلَيْه ولا خَـفيٍّ وتَطْـرِيحِ
والنَّارُ أَطيَـبُ منْ كَافُـورِ مَيْتِنَـا غِبًّا وأَذْهَـبُ لِلنَّكْـراءِ والـرِّيـحِ

وذَهَب المَعرِّي إلىٰ تحريمِ أكلِ الحيوان وما يَخرجُ منه، فمن ذلك قوله:

غَدَوْتَ مَرِيضَ العَقْـلِ والدِّينِ فَالْقَنِـي لتَسْمَـعَ أَنْبَـاءَ الأُمُورِ الصَّحَائِـحِ
فَلاَ تَأْكلَنْ ما أَخْرَجَ الْبَحْـرُ ظَالمًا ولا تَبْغِ قُوتًا من عَرِيضِ الذَّبَائِـحِ
ولا بَيْـضَ أُمَّـات أَرَادَتْ صَرِيحَهُ لأَطفَالهَا دُونَ الْغَـوَانِي الصرَائِـحِ
ولا تَفْجَـعَنَّ الطَّيْرَ وهي غَـوَافِـلٌ بمَا وَضَعَتْ فَالظُّلْمُ شرُّ الْقَبَائِـحِ
وَدَعْ ضَرَبَ النَّحلِ الَّذي بكَرَتْ لَهُ كَـوَاسِبَ من أَزهَـارِ نَبْت فَـوَائِـحِ
فَمَا أَحْـرَزَتْهُ كَيْ يَكُـونَ لِغَـيْرِهَـا ولا جَمَعْـتهُ لِـلنَّـدَى والْمَـنَائِـحِ
مَسَحْـتُ يَدِي مِنْ كُلِّ هَذَا فَلَيْتَنِي أَبِهْتُ لِشَانِي قَبْلَ شَيْبِ المَسَائِـحِ

وجازاه اللَّهُ بنِحْلَتِه، وبما قال عن مِلَّتِه بحَبسِ الدنيا قبل الآخرة، فحَبَسَه في جَسَده، وهذا أشدُّ الحَبْس.

واللفظُ الذي اختاره لنفسه، وكان أن ينادَىٰ به «رهينَ المَحْبَسَينِ»، وإنما أراد بالمحسبين منزلَه الذي احتَجَب فيه، وبَصَرَه، علىٰ أنه ذكر لنفسه في «اللزوميات» سُجونًا ثلاثةً:

أحدها: منزله، والآخر: ذَهابُ بصره، والثالث: جِسمُه الماديُّ الذي احتَبَست فيه نَفْسُه أيامَ الحياة، وذلك حيث يقول:

أُرَانِي في الثَّـلاثَةِ مـن سُجُـونـي فَلاَ تَسْـأَلْ عنِ الْخَبَـرِ النَّبِيـثِ

لِفَقْـدِي نَاظِـرِي ولُـزُومِ بَيْتِـي وكَوْنُ النَّفْسِ فِي الجِسمِ الْخَبِيثِ

فهذه صورةُ الأديبِ الفليسوفِ الذي خُدع الناسُ به طويلاً، والذي أنكر النبُّوات، وعَرَّض بالتكليف، وعارض القرآن، وهَزَء بشيءٍ من أحكامه[1]:

سَيُسْأَلُ قَـوْمٌ مَا الحَجِيجُ ومكَّـةٌ كما قال قَوْمٌ ما جَدِيسٌ وما طَسَمْ

هذا الذي رأىٰ التَّقِيَّة:

لا تُـخْبِـرَنَّ بِكُنْـه دِيـنِكَ مَعْشَـرًا شُطُرًا وإنْ تَفْعَلْ فَأَنْـتَ مُغَـرَّرُ

وقال:

فَاكْتُمْ حَـدِيثَـكَ لا يَشْعُـرْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ رَهْطِ جِبْرِيلَ أو مِنْ رَهْطِ إبْلِيس

لقد حُبس في جسده ذليلاً في دارِ الدنيا، واللَّهُ الموعد، ويكفيك أنه رأىٰ أنَّ مِنَ الظُّلمِ أن يُضافَ إلىٰ التصعيد والعُلو، وإنما العَدلُ أن يُضافَ إلىٰ السقوطِ والهبوط، وبها نَطَقَ جزاءً وِفاقًا، فقال:

دُعِيـتُ أَبَا الـعَـلاَءِ وذَاكَ مَـيْـنٌ ولَكِـنَّ الصَّحِيـحَ أَبَا الـنُّـزُولِ

*** في «أباطيل وأسمار» يُفنِّدُ الشيخ محمود محمد شاكر خَبَرَ لقاء المَعرّيِّ بالراهب:**

يَذهبُ الشيخ محمود شاكر إلىٰ أنَّ خَبَرَ لقاءِ المَعَرِّيِّ بالراهب الذي أفسَدَ عليه دِينَه خَبَرٌ باطل، واستعان علىٰ ذلك بقولِ ثلاثةٍ من المعاصِرِين لأبي العلاء، وهم «الثعالبي» مُسنِدًا ذلك إلىٰ أبي الحسن الدُّلفيِّ المِصِّيصِي

(١) انظر «تجديد ذكري أبي العلاء» لـ «طه حسين» ـ دار المعارف.

الشاعر، و«الخطيب البغدادي»، والمعاصر الثالث وهو «الباخَرْزيُّ» (٤٦٧هـ): القائل عن المعري: «وقد طال في ظلال الإسلام آناؤه، ولكن ربَّما رَشَحَ بالإلحاد إناؤه»

ويَذهبُ الشيخ محمود شاكر إلىٰ أنه «إلىٰ أن كانت سنة ٣٩٨ من الهجرة علىٰ الأقلِّ، لم يكن دِينُ أبي العلاء موضعَ تُهَمةٍ، ولا كانت مقالةُ السُّوء قد سارت عنه في الناس، وهو يومئذٍ في الخامسةِ والعشرين شابًّا ملءَ شبابِهِ رُجولته، وفي أوَّل الطريقِ الأعظمِ إلىٰ الشهرة التي سوفَ تتردَّدُ في جَنَبات بلادِ الإسلام.

□ قال الثعالبيُّ في «تتِمَّة يتيمة الدهر» (٣٥٠ـ٤٢٩هـ): «كان حَدَّثني أبو الحسن الدُّلفيُّ المِصِّيصِيُّ الشاعر «والمِصِّيصة التي ينسب إليها ببلاد الشام»، وهو مِمَّن لقيتُه قديمًا وحديثًا في مدةِ ثلاثين سنةً، قال: لقيتُ بالمَعَرَّةِ عجبًا من العجب! رأيتُ أعمىٰ شاعراً، ظريفًا، يُكنىٰ «أبا العلاء»، يَلعبُ بالشِّطْرنج والنَّرْدِ، ويدخُلُ في كُلِّ فنٍّ من الجِدِّ والهَزْل، وسمعتُه يقول: أنا أحمدُ اللَّه علىٰ العمىٰ، كما يَحمَده غيري علىٰ البصَر، فقد صنع لي وأحسَنَ بي إذْ كفاني رؤيةَ الثقلاءِ البُغَضاء.. قال: وحضرتُه يومًا وهو يُملي في جوابِ كتابٍ وردَ عليه من بعضِ الرؤساء، ثم ذكر ثلاثةَ أبياتٍ أملاها الشاعرُ الأعمىٰ، ولم يَزِدْ علىٰ ذلك شيئًا، وهو خِلْوٌ «أي خالٍ خُلُوًّا تامًّا» من كلِّ إشارةٍ إلىٰ اتهامِ الرجُلِ في دينه[1] .

وتحايلُ خبرِ الثعالبيِّ المعاصر الأوَّل له مسنَدًا إلىٰ أبي الحسن الذي رآه

---

(١) «أباطيل وأسمار» (١/ ٤٥) للشيخ محمود محمد شاكر ـ مكتبة الخانجي.

بعينيهِ في «مَعَرَّة النعمان» مراراً، قد دلَّ دلالةً قاطعةً على أن هذه القالَة لم تكن إلاَّ بعدَ عودتِه من العراق، واعتزالِه، وتأليفه ما كَثُرت عليه فيه المآخذ، كلزوم ما لا يَلزم، و«استغفر واستغفري» بعد (سنة ٤٠٠ من الهجرة)[1] .

والعلم عند اللّه تعالى، وقد أفضى الرجل إلى ما قدَّم.

*** ابنُ المُقفَّع .. المشهورُ بالزندقة :**

أَعلى من شأنِه طه حُسين وأحمد أمين وبطرس البستاني، ويُقرِّرُ طه حسين كتابَ «كليلة ودمنة» مع ما فيهِ من سمومٍ على طُلاَّبِ المدارس الثانوية.

◻ قال الخليفة «المهديُّ» عن ابن المقفَّع: «ما وجدتُ كتابَ زندقةٍ قطُّ إلاَّ وأصلُه ابنُ المقفَّع».

ووصف دُعاةُ التغريب ابنَ المقفَّعِ بأنه من أعلام» الفِكر الحُرِّ، وأنه مُصلحٌ اجتماعيٌّ(!!).. وهم يَعلمون أنه أكبرُ طاعنٍ على الإسلام، قدَّم أولَ ما قَدَّمَ ـ للقضاء على نظامِ الإسلام الاجتماعي ـ «كتاب مَزْدك»، ثم كتاب« بروزيه»، لِيُثبِتَ تناقضَ الأديانِ ـ وبخاصةِ الإسلام ـ.

وكشف إبراهيمُ أبو القاسم في كتابه «الردُّ على اللعين عبدِاللّهِ بن المقفَّع» أنه كان يُعارض القرآن.

ويكفي لزندقته «باب بروزيه» الذي أضافه إلى كتاب «كليلة ودمنة» قاصداً به تشكيكَ الناسِ في دينهم.

---

(١) «أباطيل وأسمار» (١/ ٤٧) للشيخ محمود محمد شاكر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

ثم اتصالاتُه بخلفاء الشعوبيِّين والمُجَّانِ المتَّهمين بالزندقة من أمثالِ «إقبال البقلي» الذي أنكر البعثَ والقيامة، و«عمَّارِ بن حمزة»، و«أبانَ اللاحقي»، و«سهل بن هارون»، و«حمَّاد عجرد». . ولقد ارتبط اسمُ ابن المقفَّع بالزندقة عند ابن خَلِّكان والبَيروني والصَّفَدي(١).

* أبو بكر الرَّازي الزنديق:

نَبَش المستشرق «باول كراوس» في كتابات «أبي بكر الرازي» وهي تفوقُ الحَصْرَ في الطبِّ والعلوم حتىٰ عثَر فيها علىٰ أقوالٍ فيها زندقةٌ، فنَشَرَها سنةَ ١٩٣٩م في القاهرة تحت عنوان «رسائل فلسفية» تحدَّث فيها عن كتابَينِ من الميراثِ الإلحاديِّ للرازي هما «مخاريق الأنبياء» و«نقض الأديان».

◻ يقول أبو بكر الرازي مشكِّكًا في الدين: «من أين أوجَبْتُم أنَّ اللَّهَ اختَصَّ قومًا دون قومٍ، وفَضَّلهم علىٰ الناس، وجَعَلهم أدلَّةً لهم، وأحوَجَ الناسَ إليهم؟ ومن أين أجَزْتُم في حكمةِ الحكيم أن يختارَ لهم ذلك ويُعلي بعضَهم علىٰ بعض، ويؤكِّدُ بينهم العداوات، ويُكثِرُ المحارَبات، ويُهلِكُ بذلك الناسَ؟!».

◻ ويقول أبو بكر الرازي أيضًا: «إنكم تَدَّعون أنَّ المعجزةَ قائمةٌ موجودة وهي القرآن، وتقولون: من أنكر ذلك فليأتِ بمِثلِه».

◻ ثم قال: «إن أردتُم «مِثلِه» في الوجوه التي يتفاضلُ بها الكلام، فعلينا أن نأتيكم بألفٍ مِثلِه من كلامِ البُلغاء والفُصَحاءِ والشعراء، وما هو

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» للأستاذ أنور الجندي (١/ ٥١٧).

أطلقُ منه ألفاظًا، وأشدُّ اختصاراً في المعاني، وأبلغُ أداءً وعبارةً، وأشكَلُ سَجعًا؛ فإن لم ترضَوا بذلك، فإنا نُطالبُكم بمِثلِ الذي تطالبونا به».

◘ ويقول: «وايمُ اللّه، وأقسِمُ باللّه لو وَجَبَ أن يكونَ كتابٌ حجةً لكانت كُتُبُ أصول الهندسة والمجسطي «كتاب الفلك تأليف بطليموس» الذي يؤدِّي إلىٰ معرفةِ حركاتِ الفَلَكِ والكواكب، وكُتبُ المنطق، وكتبُ الطبِّ التي فيها علومُ مصلحةِ الأبدان: أولىٰ بالحُجَّة ممَّا لا يُفيدُ نَفعًا ولا ضَرًّا، ولا يَكشِفُ مَستوراً». . «يعني القرآن الكريم».

◘ ويقول أيضًا: «مَن ذا يَعجزُ عن تأليفِ الخرافاتِ بلا بيانٍ ولا برهان إلاَّ دعاوَىٰ أن ذلك حُجَّةٌ؟! وهذا بابٌ إذا دعا إليه الخَصْمُ سلَّمناه وتركناه وما قد حَلَّ به من سَكْرةِ الغَفلةِ والهوىٰ، مع أننا نأتيه بأفضلَ منه من الشِّعر الجيِّد، والخُطَب البليغة، والرسائلِ البديعة ممَّا هو أفصحُ وأطلقُ وأسجعُ منه، وهذه معاني تفاضلِ الكلامِ في ذاته، فأما تفاضُلُ الكلامِ علىٰ الكتاب، فلأمورٍ كثيرةٍ، فيها منافع كثيرة وليس في القرآن شيءٌ من ذلك الفضل، إنما هو في باب الكلام والقرآن خِلْوٌ من هذه التي ذكرناها».

لولا أن ناقلَ الكفرِ ليس بكافر، ولولا أن كَشفَ ما يفعلُه المستشرقون يستلزمُ تقديمَ نماذجَ ممَّا يقولون وما يَستنِدون إليه من كتاباتِ الزنادقةِ المسلمين، لَمَا وجدتُ في نفسي الجُرأةَ علىٰ كتابةِ مثلِ هذا الكلام السفيه، وتعالىٰ اللّه عما يصفون.

*** قسطا بن لوقا:**

ولكنْ مُسيلِمةُ الكذابُ وابنُ المقفَّع والرازي لم يكونوا وحدَهم،

ولكن هناك غيرُهم مثل «قسطا بن لوقا» (٨٢٠-٩١٢).

☐ يقول ابن أبي أُصيبعة عنه في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: «قسطا بن لوقا البَعْلُبَكِّيُّ، قال سليمانُ بنُ حسانَ: إنه طبيبٌ حاذقٌ نبيلٌ، فيلسوفٌ، مُنجِّمٌ عالِمٌ بالهندسةِ والحسابِ، وكان في أيامِ «المقتدر باللَّه».. ونَقَلَ كُتبًا كثيرةً من كُتبِ اليونانيين إلىٰ اللغة العربية، وكان جيِّدَ النقل، فصيحًا باللسان اليونانيِّ والسُّريانيِّ والعربيِّ، وأصلح نقولاً كثيرةً، وأصلُه يونانيٌّ، وله رسائلُ كثيرةٌ في صناعةِ الطبِّ وغيرها، وكان حَسَنَ العبارةِ جيِّدَ القريحة. وكَتَبَ أبو عيسىٰ «يحيىٰ بن المنجِّم» إلىٰ قسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق رسالةً في إثباتِ نبوَّةِ محمد ﷺ، فكيف كان رَدُّ قسطا بن لوقا علىٰ هذه الرسالة؟ لقد سعىٰ إلىٰ التشكيكِ في أُسسِ الإسلام متهكِّمًا علىٰ نظريةِ إعجازِ القرآن، مهاجمًا لغةَ الوحي، طاعنًا في صِحَّةِ الإسلام».

☐ يُقارِنُ قسطا بن لوقا بين النصِّ القرآنيِّ من ناحية وشِعر «هوميروس» من ناحيةٍ أخرىٰ، في محاولةٍ للتشكيك في إعجازِ القرآن، ويقول: «لَمَّا كان «لهوميروس» قدرةٌ علىٰ تأليفِ الشِّعر، ولا يمكنُ لأحدٍ أن يأتيَ بمثلِ شِعر «هوميروس»، يكون هوميروس عندك نبيًّا، سيما وقد أتىٰ فيه بمعانٍ جليلةِ القَدْرِ جدًّا، ومِن أجلِّ الصناعات، حتىٰ ذَكَر فيه معانيَ في الطبِّ عجيبةً».

☐ إلىٰ أن يقول: «ولم أرَ الأمرَ في كتابك - القرآن - جاريًا علىٰ هذا المجرىٰ، فإنك لا تَرجعُ فيه إلىٰ صَنعةٍ من الصناعات، فيقول مِن حِفظِه وفهمِه أقصىٰ فهم: إنَّ أخبارَه جَعَلته في تلك الصناعةِ رئيسًا، فإنك إنْ

ذَكَرتَ الإعرابِ كان الذي يُفادُ عن الأعراب من كتاب سيبويه وغيره من كتب العرب أكثرَ مِمَّا يُفاد منه «أي: من القرآن»، وإن ذَكَرت الفقهَ كان الذي يُعلَمُ من كتبِ أبي حنيفة وابن عُلَيَّةَ وغيرِهما من الفقهاءِ أكثرَ مِن الذي يُفادُ منه «القرآن»، وإن ذَكَرت الشِّعرَ والخُطَبَ كان الذي يُفادُ مِن علمهما من الكتبِ بهما أكثرَ مِن الذي يُفاد منه «القرآن»، وإن ذَكَرت الأخبارَ كان في التوراةِ والمُسنَد وغيرِ ذلك من كتبِ الأخبارِ أكثرُ مِمَّا فيه «القرآن». . ».

◻ ويواصِلُ طَعْنَه في القرآن، فيقول قسطا بن لوقا: «على أني رأيتُ قومًا يأتون بلفظٍ من هذا الكتاب «القرآن»، ويُقيمون لفظًا آخَرَ بحِذائِه، ويقولون: لو حَصَلَت هذه اللفظةُ لكان أحسَنَ وأليقَ بالمعنى، مِن ذلك قولُهم: «لو كان مكان قوله «تعالى» ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، يقول: «والنجم إذا علا» لكان ذلك أقربَ إلى المعنى، لأن ذلك حَلِفٌ، ولا يُحلَفُ بالنجم في هُوِيِّهِ، بل في أحسنِ حالاته، أعني علوَّه وارتفاعَه».

ومثل هذه الأقوالُ يَبحثُ عنها المستشرقون ليستخدموها في تعميقِ الكراهيةِ والعِداءِ للإسلامِ في الغرب.

*** إبراهيمُ الفَزَارِيُّ، الشاعرُ الزنديق، عدوُّ رسولِ اللَّه ﷺ، يتحوَّلُ عن القِبلة عند الموت:**

◻ نَقَل القاضي عياض من كتاب «المُعْرِب عن أخبار المغرب» أنه في أيام أبي العبَّاسِ عبدِ اللَّه بنِ طالبِ التَّميميِّ ـ قاضي «القيرُوان» ـ، تمَّ إعدامُ إبراهيمَ الفَزَارِيِّ».

◻ ثم قال: «وكان إبراهيمُ شاعراً متفنِّنًا في كثيرٍ من العلوم، مع استهزاءِ

وطَيشٍ، وكان يَحضُرُ مجلسَ ابنِ طالبٍ لِمُناظرةِ الفقهِ، فقِيل: إنه كان يُزرِي به، ويتضاحكُ بأمره، ونَمَتْ عنه أمورٌ منكَرة، فانتهى ذلك إلى ابنِ طالب، فطَلَبه وحَبَسه، وشَهِد عليه أكثرُ من مِئتينِ بالاستهزاء باللَّه وبكتابِ اللَّه وأنبيائِه وبنبيِّنا ﷺ.. قيل: وكانِ منهم ثلاثون عدلاً.

فجَلَس له ابنُ طالب، وأحضَرَ العلماءَ - يحيى بنَ عُمرَ وغيرَه -، وأُمَر بقَتله، فطُعِن بسكِّينٍ في حَنجرته، وصُلِب مُنكَّسًا، ثم أُنزِل بعد ذلك، وأُحرِق بالنَّار.

وحكى بعضُهم أنَّه لَمَّا رُفِعت خَشبتُه، وزالت عنه الأيدي استدارت وتحوَّلتْ عن القِبلةِ، فكانت آيةً للجميع، فكبَّر الناس، وجاء كَلبٌ فولَغ في دَمِه، فقال يحيى بنُ عمر: صَدَق رسولُ اللَّه ﷺ.. وأسند حَديثًا عنه ﷺ أنه قال: «لا يَلِغُ الكلبُ في دَمِ المُسْلم»..»[1].

* * *

* الحَلاَّج، زنديقُ الصوفية، ورأسُ أهلِ الحلول والاتحاد:

هو الحُسينُ بنُ منصورِ بنِ مَحْمِيٍّ الحَلاَّجُ أبو مُغيث، رأسُ أهلِ الحلول والاتحاد.

◻ قال سفيانُ بن عيينة: «مَن فَسَد من علمائنا كان فيه شَبَهٌ من اليهود، ومَن فَسَد من عُبَّادِنا كان فيه شَبَهٌ من النصارى».

ولهذا دَخَل على الحلاَّج الحُلول، فصار من أهل الانحراف.

---

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٣١٣).

◘ صَحَّ عنه أنه دَخَل إلىٰ الهند، وتعلَّم بها السِّحر، وقال: «أدعو به إلىٰ اللَّه».

◘ وكان أهلُ الهند يكاتبونه «بالمُغيث»، ويكاتبُه أهلُ سركسان بـ «المُقيت»، وأهلُ خراسان بـ «المميز»، وأهل فارس بـ «أبي عبداللَّه الزاهد»، وأهل خُوزستان بـ «حلاَّج الأسرار»، وكان بعضُ البغاددة يقولون له: «المصطلَم»، وأهل البصرة يقولون له: «المحيَّر».

◘ ومن شعره:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ ... سِرُّ سَنَا لاَهُوتِهِ الثَّاقِبِ

ثُمَّ بَدَا فِي خَلْقِهِ ظَاهِراً ... فِي صُورَةِ الآكِلِ وَالشَّارِبِ

حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ ... كَلَحْظَةِ الحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

◘ قال عمرُو بن عثمان المكي: «كنت أُماشي الحلاَّجَ في بعض أزِقَّةِ مكة، وكنتُ أقرأُ القرآن، فسمع قراءتي، فقال: يمكنني أن أقولَ مثلَ هذا؛ ففارقته».

◘ وقال القُشيري في «رسالته» في باب «حفظ قلوب المشايخ»: «إن عمرو بن عثمان دخل علىٰ الحلاَّج، وهو بمكة، وهو يكتبُ شيئًا في أوراق، فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أُعارِضُ القرآن».

وكَتَب عمرو بن عثمان إلىٰ الآفاق كتبًا كثيرةً يلعنه فيها، ويُحذِّرُ الناسَ منه، فشَرَدَ الحلاَّجُ في البلاد، فعاث يمينًا وشمالاً، وجَعَل يُظهرُ أنه يدعو إلىٰ اللَّه، ويستعينُ بأنواعِ من الحِيَل، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَه وشأنَه حتىٰ أحَلَّ اللَّهُ به بأسَه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرعِ الذي

لا يقعُ إلاَّ بين كَتِفَيْ زنديقٍ، واللَّهُ أعدلُ مِن أن يُسلِّطه علىٰ صِدِّيقٍ، فكيف وقد تَهجَّم علىٰ القرآن العظيم، وقد أراد معارضتَه في البلد الحرام؛ حيث نزل به جبريل، وقد قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]! ولا إلحادَ أعظمُ من هذا.

وقد أشبه الحلاجُ كفارَ قريش في معاندتهم، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(١) [الأنفال: ٣١].

▫ قال الذهبي: «كان يُصحِّحُ حالَه ابنُ عطاء، ومحمدُ بنُ خفيف، وإبراهيمُ أبو القاسم النصر آباذي، وتبرأ منه سائرُ الصوفية والمشايخ والعلماء؛ لسُوءِ سيرته ومُروقِه، ومنهم مَن نَسَبه إلىٰ الحلول، ومنهم مَن نَسَبه إلىٰ الزندقة، وإلىٰ الشَّعبذة والزُّوكرة، وقد تستَّر به طائفةٌ من ذوِي الضلال والانحلال، وانتحلوا وروَّجوا به علىٰ الجهال.

▫ وقال له الجُنيد يومًا: «أيُّ خشبةٍ تفسدها؟ يريدُ أنه يصلب».

▫ وقال عنه إبراهيمُ بن شيبان: «مَن أحبَّ أن ينظرَ إلىٰ ثمراتِ الدعاوىٰ الفاسدة، فلينظرْ إلىٰ الحلاج، وما صار إليه».

▫ وكان يقول: «ما انفصلت البشريةُ عنه، ولا اتَّصلت به».

لَمَّا أحضَره الوزيرُ عليُّ بنُ عيسىٰ فلم يجده يُحسِنُ القرآنَ والفقهَ ولا الحديث، فقال: تعلُّمُك الفرضَ والطُّهور، أجدىٰ عليك من رسائلَ لا

---

(١) ترجمة الحلاج كاملة مفصلة في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥٥)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٤١ ـ ١٥٤)، وهنا سأجمع بين الكتابين، وأنقل مقتطفات.

تدري ما تقول فيها، كم تكتبُ ـ ويلك ـ إلى الناس: «تباركُ ذو النور الشعشعاني»؟! ما أحوجَك إلى أدب! وأمر به فصُلب، ووُجد في كتبه: «إني مُغرِقُ قومِ نوح، ومُهلِكُ عادٍ وثمود».

◻ وكان يقول للواحد من أصحابه: «أنت نوح»، ولآخر: «أنت موسى»، ولآخر: «أنت محمد».

◻ قال ابنُ عقيل: «قد قُتل بإجماعِ فقهاء عصره، فأصابوا، وأخطأ هو وحدَه».

* صِفَةُ مَقْتَلِ الْحَلاَّجِ:

◻ قال الخطيبُ البغدادي: «كان الحلاجُ قد قَدِمَ آخِرَ قَدْمةٍ إلى بغداد، فصَحِبَ الصوفيةَ وانتسب إليهم، وكان الوزيرُ إذ ذاك «حامدَ بن العباس»، فبَلَغه أن الحلاجَ قد أضلَّ خلقًا مِن الحَشَم والحُجَّاب في دارِ السلطان، ومِن غلمانِ «نصر القشوري» الحاجب، وجعل لهم في جُملةِ ما ادعاه أنه يُحيي الموتى، وأن الجنَّ يَخدِمونه، ويُحضِرون له ما شاء، وقال: إنه أحيا عدةً من الطير، وسُلِّم إلى الوزير حامد بن العباس، فحَبَسه في قيودٍ كثيرة في رِجليه، وجَمَع له الفقهاء، فأجمعوا على كُفره وزندقته، وأنه ساحرٌ مُمَخْرِق.

ولَمَّا كان آخِرُ مجلس، أَحضر الوزيرُ حامدُ بنُ العباس القاضي أبا عُمرَ محمدَ بنَ يوسف، وجِيء بالحلاج، وقد أَحضر له كتابًا من دُورِ بعض أصحابه، وفيه: «ومَن أراد الحجَّ، ولم يتيسَّرْ له، فلْيَبْنِ في داره بيتًا، لا ينالُه شيءٌ من النجاسة، ولا يُمكِّنْ أحدًا من دخوله، فإذا كان في أيام

الحج، فليَصُمْ ثلاثةَ أيام، ولْيَطُفْ به كما يُطافُ بالكعبة، ثم يَفعلُ في دارِه ما يفعلُه الحجيجُ بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيمًا؛ فيُطعِمُهم من طعامه، ويتولَّىٰ خِدمتَهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصًا قميصًا، ويُعطِي كلَّ واحدٍ منهم سبعةَ دراهم، فإن فَعَل ذلك قام له مَقامَ الحج.. وإنَّ مَن صامَ ثلاثة أيام لا يُفطِرُ إلاَّ في اليوم الرابع علىٰ وَرقاتِ هُندُبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان.. ومَن صلَّىٰ في ليلةٍ ركعتين مِن أول الليل إلىٰ آخرِه أجزأه ذلك عن الصلاةِ بعد ذلك.. وأنَّ مَن جاور بمقابِرِ الشهداء، وبمقابرِ قريشٍ عَشَرةَ أيام يُصلِّي ويدعو ويصوم، ثم لا يُفطِرُ إلاَّ علىٰ شيءٍ من خُبزِ الشعير، والمِلحِ الجريش، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره.

فقال له القاضي أبو عمر: مِن أين لك هذا؟ فقال: من كتاب «الإخلاص» للحسن البصري».

فقال له: كذبتَ يا حَلالَ الدم، قد سمعنا كتاب «الإخلاص» للحسن بمكة، ليس فيه شيءٌ من هذا، فأقبل الوزيرُ علىٰ القاضي، فقال له: قد قلتَ: «يا حلال الدم»، فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألَحَّ عليه، وقَدَّم له الدواةَ، فكتب ذلك في تلك الورقة، وكَتَب مَن حَضَر خُطوطَهم فيها، وأنفذها الوزيرُ إلىٰ المقتدر.

فجاء الجوابُ بأن يُسلَّمَ إلىٰ محمدِ بنِ عبدِالصمد، صاحبِ الشرطة، ولْيَضْرِبْه ألفَ سَوط، فإن مات، وإلاَّ ضُربت عُنقه.

وبُعث به إليه، وهو راكبٌ علىٰ بَغلٍ عليه إكاف، وحَولَه جماعةٌ من السيَّاسة، علىٰ مِثل شكله، فاستقرَّ منزلُه بدارِ الشرطة في هذه الليلة، فذُكر أنه بات يُصلِّي تلك الليلة، ويدعو دعاءً كثيراً.

وقالوا: ولَمَّا أُخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه لِيذهبَ إلىٰ القتل أَنشد:

طَلَبْتُ الْمُسْتَقَــرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ ... فَـلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضٍ مُـسْتَقَـرّاً
وَذُقْتُ مِنَ الزَّمَـــانِ وَذَاقَ مِنِّي ... وَجَدْتُ مَذَاقَهُ حَـلْوًا وَمُــرّاً
أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي ... وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَعِشْتُ حُــرّاً

فلمَّا أُخرج للصَّلْب مَشىٰ إليه، يتبختر في مشيته، وفي رِجليه ثلاثةَ عَشَر قيداً وجعل ينشد ويتمايل:

نَــدِيمِــي غَيْــرُ مَنْسُــوبٍ ... إِلَى شَــيْءٍ مِــنَ الْحَيْــفِ
سَــقَانِـي مِثْـلَ مَا يَشْـرَبُ ... فِعْــلُ الضَّيْــفِ بِالضَّيْــفِ
فَــلَـمَّــا دَارَتِ الْكَــأْسُ ... دَعَــا بِالنِّطْــعِ وَالسَّيْــفِ
كَــذَا مَنْ يَشْــرَبُ الــرَّاحَ ... مَــعَ التِّنِّــينِ فِي الصَّيْــفِ

ثم قُدِّمَ، فضُرب ألفَ سوط، ثم قُطعت يداه ورِجلاه، وهو في ذلك كلِّه ساكت، ما نَطَق بكلمة، ولم يتغيَّر لونه.

◻ وقال الخطيب: قال لنا أبو عمر بن حيُّويه: «لَمَّا أُخرج الحسينُ بنُ منصور الحلاَّج؛ لِيُقْتَلَ مَضَيْتُ في جُملة الناس، ولم أزل أزاحِمُ عليه حتىٰ رأيتُه، فدنوتُ منه، فقال لأصحابه: «لا يَهولَنَّكم هذا الأمرُ، فإني عائدٌ إليكم بعد ثلاثينَ يومًا».. ثم قُتل فما عاد!.

◻ قال الذهبي: «هذه حكايةٌ صحيحة، توضِّحُ لك أن الحلاجَ مُمَخْرِقٌ كذَّاب، حتىٰ عند قتله»[1].. ثم قُطعت يداه ورجلاه، وحُزَّ رأسه، وأُحرقت

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٤٦).

جُثَّته، وأُلقي رَمادُها في «دِجْلة»، ونُصب الرأسُ يومين ببغداد على الجِسر، ثم حُمل إلى خُراسانَ، وطِيف به في تلك النواحي».

◻ قال الإمامُ الفقيه المُحَدِّثُ بقية السلف ـ كما يقول الذهبي ـ ابن أيوب: «لا شك أن الحَجَّاجَ قَتَل من العلماء خلائقَ يتعسَّرُ حَصْرُهم، وشَتَّت شملَهم وأبادهم، وقَتل سعيدَ بن جبير، وأهلُ الأرض محتاجون إلى عمله، وخَلَعه العلماء، وخَرَجوا عليه، وقاتلوه، ومع هذا كلِّه لم يَقُلْ أحدٌ منهم: «إنه كافر»، بل قالوا: إنه من عُصاة المسلمين؛ لا تَحِلُّ إمرتُه لذلك، والحَلاَّجُ ما تعرَّض لأحدٍ من أهل العلم بأذًى في دنياه، وأجمع أهلُ زمانه منهم على كُفره، واستباحةِ دمه، فلو كان العلماءُ يقولون بالهوى، لقالوا في الحجاج الذي ما تَرك نوعًا من الأذى حتى رماهم به، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى» اهـ.

◻ ورَد في «الطواسين» للحلاج أنه قال:

أَلاَ أَبْلِـغْ أَحِبَّـائي بِأَنِّي ... رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَانْكَسَرَ السَّفِينَهْ
عَلَى دِينِ الصَّلِيبِ يَكُونُ مَوْتِي ... فَلاَ الْبَطْحَا أُرِيدُ وَلاَ الْمَدِينَـهْ

فَصُلِبَ؛ جزاءً وفاقًا.

◻ مِن كلمات هذا الزنديق: «أُنَزِّهُك عما قَرَفَك به عِبادُك، وأَبرأُ إليك مما وَحَّدك به الموحِّدون».

◻ قال الذهبي: «هذا عينُ الزندقة».

◻ وجدوا كتابًا للحلاَّج عنوانه: «من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان»، فوُجِّه إلى بغداد، فأُحضِر وعُرض عليه، فقال: «هذا خَطِّي وأنا

كتبته، فقالوا: كنتَ تدَّعي النبوة، صرتَ تدَّعي الربوبية؟! قال: لا، ولكن هذا عَينُ الجَمعِ عندنا، هل الكاتبُ إلاَّ اللَّهُ وأنا؟ فاليدُ فيه آلة».

بات الحلاَّجُ في جامع «الدِّينَور» ومعه جماعة، فسأله واحدٌ منهم، فقال: «يا شيخُ، ما تقول فيما قال فرعون؟ قال: قال كلمةَ حقٍّ، قال: فما تقولُ فيما قال موسىٰ عليه السلام؟ قال: قال كلمةَ حق؛ لأنهما كلمتان جرَتا في الأبد، كما أُجرِيَتَا في الأزل»[1].

◻ وقال: «ما وَحَّد اللَّهَ غيرُ اللَّه».

◻ وقال: «الكفرُ والإيمان يفترقانِ من حيث الاسم، فأما من حيثُ الحقيقة، فلا فرقَ بينهما».

◻ عن جُندبِ بنِ زاذانَ تلميذِ الحلاَّج قال: «كتب الحسينُ إليَّ: السلام عليك يا ولَدي، ستَر اللَّهُ عنك ظاهرَ الشريعة، وكَشف لك حقيقةَ الكفر، فإن ظاهرَ الشريعة كفر، وحقيقةَ الكفرِ معرفةٌ جليلة، وإني أُوصيك ألاَّ تغترَّ باللَّه، ولا تيأسَ منه، ولا ترغبَ في محبَّته، ولا تَرْضَ أن تكونَ غيرَ مُحِب، ولا تقلْ بإثباته، ولا تَمِلْ إلىٰ نَفيِه، وإياك والتوحيدَ، والسلام»[2].

*** ابنُ عربيٍّ، دَجَّالُ الصوفية، القائلُ بتفضيلِ خاتم الأولياء[3] على خاتم الأنبياء ﷺ:**

مُحيي الدين بنُ عربي الحاتمي الذي تُطلِقُ عليه الصوفية لقبَ «الشيخ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٥٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٣) يعني نفسه.

الأكبر»[١] والذي «كانت ولايته أعلىٰ قمةٍ بلغها التصوفُ»[٢] عندهم، حتىٰ عُدَّ رئيسَ مدرسةِ التصوف المتأخرِ[٣] .

وقد كانت ولادته بـ «مَرَسية» في الأندلس عام ٥٦٠هـ، وانتقل إلىٰ «أشبيلية»، وقام برحلةٍ زار فيها الشامَ وبلادَ الروم والعراقَ والحجازَ، واستقرَّ أخيراً بدمشق، وتُوفي بها عام ٦٣٨[٤] .

◻ يقول ابنُ عربي في «الفتوحات المكيَّة»: «وختَم بمحمدٍ ﷺ جميعَ الرسل عليهم السلام، وختَم بشرعه جميعَ الشرائع، فلا رسولَ بعده يُشرِّع، ولا شريعةَ بعد شريعتِه تنزلُ من عند اللَّه»[٥] .

ونلاحظُ في هذه الجمل الأربع التي عَرَض بها عقيدته أنه يحتاطُ في كلِّ جملةٍ منها بلفظ يُوهِمُ مشاركتَه للأمة في عقيدتها، ولكنه في الواقع غيرُ ذلك، وبتحليلِ ذلك يتضحُ الأمر في الأذهان:

(١) قوله: «وختم بمحمد ﷺ جميع الرسل»، نعم هذا صحيح، ولكنه هنا يَستبدلُ لفظ «الرسل» بلفظ «النبيين» الذي ورَد في الآية ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقد ورد كما سبق في حديث رسول اللَّه ﷺ: «وخُتم بي النبيون» فلماذا يفعلُ ابنُ عربي ذلك؟ يفعلُه لأن النبيَّ أعمُّ من الرسول، ونَفْيُ النبوة يعني: نَفْيَ الوحي ـ كما تقدم ـ، أما نفيُ الرسالة فلا

---

(١) «هذه هي الصوفية» للوكيل (ص٢٣).

(٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص٣٧٦) للدكتور كامل مصطفىٰ.

(٣) المصدر السابق (ص٣٧٨).

(٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٥٦)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٥٨).

(٥) «الفتوحات المكية» (٤/ ٧٥).

يلزمُ منه نَفيَ الوحي؛ لأنه قد يَنزلُ الوحيُ فيُكسِبُ صاحبَه صفةَ النبوة، ولا يُكسِبُه صفةَ الرسالة، وذلك إذا لم يطالَبْ بالتبليغ، وابنُ عربي يفهمُ ذلك ويُدرِكُه حقَّ الإدراك، فلو التزم باللفظ القرآني لَقَطع علىٰ نفسِه منزلة الولاية كما يتصورَّها هو، والتي يتلقَّىٰ صاحبُها الوحيَ من اللَّه سبحانه.

(٢) قوله: «وختم بشرعه جميع الشرائع»، وهذه كذلك لازمةٌ للخَتم الذي انقطع به الوحي، فكأنه يُكثِّرُ العباراتِ للدلالة علىٰ إيمانه بالختم ـ كما يريده هو ـ، لأنه لا يدَّعي هو نزولَ شرعٍ جديد.

(٣) قوله: «فلا رسول بعده يُشرِّع»، وهذا تأكيدٌ ثالثٌ لصورةِ تلك العقيدة التي يؤمن بها، فيكرِّرُ نفيَ الرسالة مرةً أخرىٰ، ثم يؤكد بصفةٍ أخرىٰ يُغني عنها لفظُ الرسول؛ لأن الرسول لا يكونُ إلا مشرِّعًا، ولكنْ لعله يريدُ أن يدَّعي الرسالةَ التي لا شَرعَ معها ـ كذلك ـ، فيُمهِّدُ بهذا القَيد.

◻ فقد قال في «الفتوحات»: «اعلم ـ وفقنا اللَّه واياك ـ أنه من كرامةِ محمدٍ ﷺ علىٰ ربِّه أنْ جَعَل مِن أُمته رُسلاً، ثم إنه اختص من الرسل مَن بَعُدت نسبتُه من البشر، فكان نصفُه بشراً، ونصفُه الآخرُ رُوحًا مطهَّرةً مَلَكًا؛ لأن جبريلَ وَهَبه لمريمَ بشراً سويًّا..»[1] إلخ قوله ذلك الذي بدأه بإثباتِ الرسل بعد رسول اللَّه ﷺ.

فهذه هي عقيدتُه، لم يَنْفِ نزولَ الوحي، بل كلُّ عبارةٍ فيها تُمهِّدُ لِمَا سيدَّعيه من الاتصال بخبر السماء.

وبعد هذه المقدمة لعقيدته في «ختم النبوة»، نعرضُ طريقتَه في فهم

(١) «الفتوحات المكية» (٤/ ٥٨).

النصوص النبوية المتعلقةِ بهذه العقيدة، لنرىٰ مدىٰ محاولاتِه المتنوِّعة في تطويعِ كلِّ شيءٍ في هذه العقيدة لفكره الصوفي، فهو عندما يَرَىٰ النصَّ النبوي: «لا نبيَّ بعدي» يُسارعُ في تقييده بقوله: «إنما ارتفعت نبوةُ التشريع»[١].

□ ويؤكِّدُ ذلك وَيزيدُه إيضاحًا بقوله: «أي: لا شرعَ خاصةً، لا أنه لا يكونُ بعدَه نبيٌّ»[٢].

وكأنه يستدركُ علىٰ اللفظ النبويِّ في صورةِ النفي التي وَردت باستعمالِ نفي النبوة، وقد صَرَّح بأن هذا الحديثَ قد أزعج إخوانَه الأولياء، فقال: «إن حديثَ «لا نبيَّ بعدي» قد قَصَم ظهورَ الأولياء»[٣].

فلماذا يقصمُ ظهورهم؟ ألاَ يَرضَون ما رَضِيَه اللَّهُ لهم ورسولُه؟ ألاَ يكفيهم ما تركه لهم رسولُ اللَّه ﷺ من الكتاب والسنة؟ ولكنَّ الفيلسوفَ الصوفيَّ يُطمئنُهم، ويُخفِّفُ من انزعاجهم بإخبارهم: «أنَّ اللَّه لَطَف بعباده، فأبقىٰ لهم النبوةَ العامةَ التي لا تشريعَ فيها»[٤].

□ والمرادُ بعباده هنا هم الأولياء، كما ذكر ذلك في موطنٍ آخَرَ بقوله: «واعلم أن الولايةَ هي الفَلَكُ المحيطُ العامُّ، ولهذا لم تنقطعْ، ولها الإنباءُ العام، أما نبوةُ التشريع والرسالة، فمنقطعة»[٥].

---

(١) «الفتوحات المكية».

(٢) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

(٣) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

(٤) «فصوص الحكم» (ص٤٨).

(٥) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

فالأولياء هم الذين لهم الإنباءُ العام، وبهذا يتضحُ أنه يعتقدُ بقاءَ النبوةِ بعد رسول اللَّه ﷺ.

وليس لأحدٍ أن يسألَه؛ لأن علومَ الأولياء لها مَصدرٌ فوق النقدِ، كما وَرَدَ عن أحدِ أسلافه من أقطابِ الصوفية وهو يَزيدُ البِسْطامي، حيث قال: «أخذتم علمكم ميتًا عن مَيْتٍ، وأخذنا عِلمنا عن الحيِّ الذي لا يموت»[(١)] .

□ وبعد هذا التقرير النظري الذي انتهى منه ابنُ عربي إلى إثباتِ النبوة العامة، يَشْرَعُ هو في دعوى الاتصال باللَّه، وأنه كَتَب كتابه «فصوص الحكم» «تحت تأثيرٍ من الوحي والإلهام فأنزل في سطورها ما أُنزل به عليه، لا ما قَضى به منطقُ العقل»[(٢)] كما ورد نصُّ ذلك في مقدمة «الفصوص» حيث قال: «فما أُلقي إلاَّ ما يُلقَى إليَّ، ولا أُنزل في هذا المسطورِ إلاَّ ما يُنزل به عليَّ»[(٣)] .

□ ولَمَّا كان يدَّعي أن الولاية كالنبوة لها خاتم «واحد لا في كلِّ زمان، بل هو واحدٌ في العالَم يَختمُ به اللَّه الولاية المحمدية، فلا يكونُ في الأولياء المحمَّديين أكبرُ منه»[(٤)] .

□ فإنه يزعمُ أنه هو ذلك الخاتمُ بقوله: «فإني أنا الخَتمُ، لا وَلِيَّ بعدي ولا حاملَ لعهدي بفقدي، تذهبُ الدول وتلتحقُ الأُخريات بالأول»[(٥)] .

---

(١) «الفتوحات المكية» (٢/ ١٣٥).

(٢) «محقِّق الفصوص» أبو العلا عفيفي (ص١٠).

(٣) «فصوص الحكم» (٤٨).

(٤) «الفتوحات» (٢/ ١١).

(٥) «عنقاء مغرب» (ص١٥) من «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص٤٧٣).

ثم يدَّعي أنه مَصدرُ عِلمِ الرسل، وأنهم لا يقتبسونه «إلاَّ من مشكاة خاتمِ الأولياء»[١] ؛ وذلك لأنه أخذ عِلمَه «من المعدنِ الذي يأخذُ منه المَلَكُ الذي يوحَىٰ به إلىٰ الرسل»[٢] .

ولذلك فإن الوليَّ بَلَغ درجةً من العلم الصحيحِ دونه كلُّ الرسل، بل حتىٰ خاتمُ الرسل محمدٌ ﷺ؛ لأن الوليَّ يَرىٰ العلومَ علىٰ صُورتها الصحيحة كما هي في عِلمِ اللّه، أما الرسلُ، فقد يَرَون الظواهرَ ولا يَصِلُون إلىٰ بواطنِ الأمور، حتىٰ لو كان ذلك سيِّدَ البشر ﷺ !! . . وذلك يتضح بما يأتي :

● قال ﷺ: «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياءِ قَبْلي كَمَثَلِ رجلٍ بني بيتًا، فأحسَنه وأجمَله إلا موضعَ لَبنةٍ من زاوية، فَجعل الناسُ يَطوفون به ويتعجَّبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعَتْ هذه اللبنةُ! قال: فأنا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»[٣] .

فهو يُقرِّرُ في هذا الحديثِ أن الدارَ التي مَثَّل بها كَمُل بناؤها، ولم يَبْقَ فيها إلا موضعٌ واحدٌ فقط لا يتَّسعُ إلاَّ للبنةٍ واحدة، ثم كان ﷺ هو تلك اللبنةَ.

وابنُ عربي يرىٰ أن تلك الرؤيـةَ منه ﷺ رؤيةٌ ناقصـة ـ وحاشـاه ﷺ ـ، وأن الواقع أن الدارَ بَقِيَ فيها موضعُ لبنتينِ: إحداهما فضة، والأخرىٰ ذهب. . والرسولُ هو اللبِنةُ الأقل ثمنًا وقيمةً، والوليُّ هو اللبنةُ

---

(١) «الفصوص» (ص٦٢).

(٢) السابق (ص٦٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والحميدي.

الأكثر ثمنًا وقيمةً، وهذا هو كلامُه بعد ذِكر الحديث ورؤية النبيِّ ﷺ لها، قال: «والوليُّ يراها مَوضعَ لبنتينِ! لبنةَ فضةٍ ـ وهو النبيُّ ﷺ ـ، وأخرىٰ ذهب ـ وهو الوليُّ ـ»[1] .

◘ ولذلك فالوليُّ مستقلٌّ في الشريعة وإن كان يبدو «أنه تابعٌ لشرعِ خاتمِ الرسل في الظاهر»[2] ؛ لأنه ـ بناءً علىٰ تلك النظرةِ السابقة ـ أعلىٰ مكانًا من الرسل وأصحُّ عِلمًا منهم، وإنْ بدا للناس أن متَّبعٌ للشرع ظاهرًا، فالصحيحُ أنه «أخذ عن اللّه في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متَّبعٌ فيه»[3] .

وهكذا ينتهي ابنُ عربي في تدرُّجه ذلك إلىٰ «الخروج علىٰ عقيدةِ ختم النبوة» التي قَرَّرها اللّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسولُه ﷺ، وأجمعتِ الأمةُ عليها، ثم لا يكتفي بذلك الخروجِ فقط، بل ويَصِلُ به الأمرُ إلىٰ أنْ جَعَل الأولياءَ يستدرِكون علىٰ الأنبياء، ويُصحِّحون علومَهم؛ لأن رؤيةَ الأولياء هي المطابِقةُ للواقع الذي خَفِيَ علىٰ الرسل؛ وذلك لأنَّ الأولياءَ يتلقَّون العلومَ تلقِّيًا مباشرًا. . أما الأنبياء، فيأتيهم بالعلوم وُسطاءُ بينهم وبين اللوح المحفوظ. . ولذلك، فإنَّ الوليَّ ـ وإنْ بدا أنه متبعٌ في الظاهر للرسول ﷺ ـ، فهو في الحقيقة مستقِلٌّ في التشريع لاستقلالِه في تلقِّي العلوم. . وأما المتابعة، فإنما هي للعوامِّ الذين لم يَبلُغوا ذلك، فيكفيهم تلك الظواهرُ التي أخذوها عن الأموات، ومرةً أخرىٰ ندرك معنىٰ «أخذتم علمكم ميتًا عن

(١) «الفصوص» (ص٦٣).

(٢) «الفصوص» (ص١٦٣).

(٣) «الفصوص» (ص١٦٣).

مَيتٍ، وأخذنا عِلمَنا عن الحيِّ الذي لا يموت»!!.

◻ وذلك التدرُّجُ وتلك النهايةُ التي وصل إليها ابنُ عربي هي التي جَعلت ابنَ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ففي هذا الكلامِ من أنواعِ الإلحاد والكفرِ وتنقيصِ الأنبياء والرسل ما لا تقولُه لا اليهودُ ولا النصارىٰ، وما أشبَهَه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل: «فخرَّ عليهم السقف من تحتهم»: «إنَّ هذا لا عقْلَ ولا قرآن»، وكذلك ما ذكر هنا من أن الأنبياءَ تستفيدُ من خاتمِ الأولياء الذي بعدَهم هو مخالفٌ للعقل، فإنَّ المتقدِّمَ لا يستفيدُ من المتأخِّر، ومخالفٌ للشرع، فإنه معلومٌ بالاضطرار من دينِ الإسلام أن الأنبياءَ والرسلَ أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا أنبياءَ ولا رُسلاً»[1].

* **مناقشةُ ابنِ عربي:**

في هذا العَرضِ الموجَز لكلام ابن عربي تتبيَّن لنا عقيدتُه في بقاءِ النبوة بعد رسول اللَّه ﷺ، حيث يَرىٰ أن النبوَّةَ لا تزالُ باقيةً، ولا يزالُ هناك أنبياء.. ولما كانت تلك العقيدةُ تتعارضُ مع عقيدةِ ختم النبوة بنبوةِ محمدٍ ﷺ ـ كما رأينا ذلك من قبل ـ، فإنه لا بد من وقفةٍ مع عقيدةِ ابن عربي تلك التي تخالفُ عقيدةَ الإسلام وتُناقضُه.

أولاً: العبارة التي يُبيِّنُ بها ابنُ عربي عقيدتَه في ختم النبوة، حيث قال: «وختَم بمحمد ﷺ جميع الرسل» عبارةٌ قاصرةٌ عن أداءِ المعنىٰ الشرعي كما وردت به النصوص، ففي القرآن الكريم: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:

(١) من رسالة حقيقة مذهب الاتحادية ضمن مجموع «المسائل والرسائل» (٤/ ٨٥).

٤٠]، وفي الحديث: «وخُتِم بي النبيون»، إذ في هذه النصوص أن الرسولَ ﷺ خاتمُ النبيين، والنبوَّةُ أعمُّ من الرسالة، ونفيُها نَفيٌ لها وللرسالة.. ولهذا فالنصوصُ الشرعيةُ لا تتركُ مَنفذًا لدعوىٰ نبوةٍ جديدة أو رسالةٍ جديدة.. أما ابنُ عربي، فلا يَنفي النبوةَ، وإنما ينفي الرسالة، فيبقىٰ احتمالُ وجودِ النبوة، وهذا ما أراده هو بهذه العبارة، وذلك ليتسنَّىٰ له فيما بعدُ أن يدَّعيَ بقاءَ النبوة ـ وقد فعل ـ، حيث زَعَم بقاءَ النبوة العامة.

ثانيًا: تقييدُه نصَّ الحديث النبوي: «لا نبيَّ بعدي» بنفي النبوةِ التشريعية تقييدٌ باطل، وذلك أن نفيَ النبوة ـ كما رأينا من قبلُ مِرارًا ـ أعمُّ من نفي الرسالة، والذي يتلقَّىٰ النبوةَ قد يؤمرُ بتبليغ ما أُوحىٰ إليه من تشريعٍ أو غيره، فيصبح نبيًّا رسولاً، وقد لا يؤمرُ بذلك، فيكون نبيًّا فقط، والنصوصُ الشرعية قد نَفَت كِلتا الحالتين، وذلك بنفي الأعمِّ ـ وهو النبوةَ ـ وانتفاءُ النبوة يعني انقطاعَ الوحي، وهذه هي عقيدةُ الأمة الإسلامية من عهدِ الصحابة ﷺ إلىٰ اليوم، ولَمَّا قيل لابن عمر: «إن المختار يزعمُ أنه يوحَىٰ إليه. قال: صدق: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]»، فهو يَرىٰ أن الوحيَ الربَّانيَّ قد انقطع، وإنما هو الوحيُ الشيطانيُّ.. ولو لم يكن كذلك لَمَا سارعَ بذلك الرد.

ثالثًا: قولُ ابن عربي: «إن حديث: «لا نبيَّ بعدي»، قد قَصَم ظهورَ الأولياء»، يكشفُ لنا عن موقفِ أولياء الصوفية من النصوص الشرعية، وهو موقفٌ لا يتفقُ مع الولايةِ الصحيحة.. وإلاَّ فأيُّ ولايةٍ تلك التي لا تَرضىٰ ما قَضَىٰ اللَّه به ـ عزَّ وجلَّ ـ؟ واللَّهُ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ

إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والله يقول كذلك: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فهو التحكيمُ إلىٰ رسول الله ﷺ، ثم انتفاءُ الحرج من النفس، وأخيراً التسليمُ الكاملُ الذي ينتفي معه حَظُّ النفسِ، وإلاَّ فقد عَرَّض نفسَه لنقصِ الإيمان أو نقضِه، وقد كان ينبغي عليهم - وهم يزعمون الولاية - أن يستقبِلوا شرعَ الله وقضاءَه بقلوبٍ طائعةٍ راضية، وذلك ما يستقيمُ مع دعوىٰ الولاية.

ثم إن ابن عربي يُخفِّفُ علىٰ الأولياء بأنَّ الله لَطَفَ بعباده فأبقىٰ لهم النبوة العامة!! يا لها من جُرأةٍ تلك التي أقدم عليها ابنُ عربي!! فمِن أين له تلك القَولة؟! فالقرآنُ والسُّنَّةُ وإجماعُ الأمة، كلُّها تثبتُ انقطاعَ النبوةِ مطلقًا، فكيف أقدم ابنُ عربيٍّ علىٰ هذه القولةِ العظيمة التي تُعارضُ كلامَ الله سبحانه وتعالىٰ وكلامَ رسوله ﷺ؟! إذ يخبرُنا اللهُ ورسولُه بانقطاعِ النبوة، وابنُ عربي يدَّعي بقاءَها واستمرارَها! فهل استجدَّ في علمِ الله سبحانه وتعالىٰ جديدٌ، ثم أخبر به ابنَ عربيٍّ بعد أن قَضَىٰ علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ أنْ لا نبوةَ بعدَه، وأنه آخرُ الأنبياء؟! اللَّهم إنها قَولةٌ كاذبة لا تصدرُ مِن مُسلمٍ عاقل، بَلْهَ أن يكون وليًّا يزعمُ أنه خاتمُ الأولياء.

رابعًا: ادَّعىٰ أنه كَتب كتابه «الفصوص» بوحيٍ من الله، حيث قال: «فما أُلقِي إلاَّ ما يُلقىٰ إليَّ، ولا أُنزل في هذا المسطور إلاَّ ما يُنزَلُ به عليَّ».

فهذا الكتابُ المذكور أأُنزل موافقًا للقرآن أم مخالفًا له؟ فإنْ كان موافقًا فما الحاجةُ إليه؟ وإن كان مخالفًا، فهل هو مخالفٌ للأحكام أم للأخبار؟ فإنْ كان مخالفًا للأحكام فهذا نَسخٌ، وقد ادَّعىٰ هو أنه يعتقدُ أنْ لا شرعَ بعد

شرعِ الإسلام.. وإن كان في الأخبار، اقتضىٰ تكذيبَ القرآن والقرآنُ وحيُ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ إلىٰ محمد ﷺ، والوحيانِ الثابتانِ لا يتناقضان.

ثم ما يُدرينا صِدقَ تلك الدعوة؟ وما الفرقُ بينها وبين دعوىٰ أيِّ كاتبٍ آخَرَ ادَّعىٰ أن كتابَه وحيٌ من اللَّه؟ فلابدَّ إذن من برهانٍ مُعجزٍ ليضمنَ لنا صِدقَ دعواه.. وذلك لم ـ ولن ـ يتمَّ؛ لأنه من خصائصِ الأنبياء فقط، والنبوةُ قد انقطعت، والمعجزةُ هي التي تؤكِّد لصاحبها ولغيرِه صِدقَ دعواه تلك.. وإلا فما يُدرينا أن ذلك الوحيَ من وحيِ الشياطين.. وهو الوحيُ الذي لم يُختَمْ بعد.

خامسًا: ابتدع ابنُ عربي اصطلاحَ «خاتم الأولياء»، وأحاطه بهالاتٍ من التقديس والتعظيم حتىٰ جعَلَه مصدرَ علومِ الرسل.. وتلك بدعةٌ لا أصلَ لها في شرعِ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، وهو إحدىٰ حلقاتِ تلك السلسلة من الأدِّعاءات المجرَّدة من الأدلة الشرعية، ويكفي ذلك إبطالاً لها، ثم إن دعواه تلك تعني انتهاءَ بقاءِ أولياءِ بعده كما صرَّح بذلك بنفسه، حيث يقول: «بفقدي تذهبُ الدولُ، وتَلحقُ الأُخريَاتُ بالأول».

يعني أن تنتهي الحياةُ وتنتهي الولاية، وهذا واضحُ البطلان، إذ لم تذهب الدول، ولم تَنتهِ الولاية، وذلك تحقيقًا لنبوةِ نبينا محمدٍ ﷺ الذي يقول: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي يُقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة**»، أي: تبقىٰ طائفةٌ من المؤمنين المجاهدين إلىٰ انتهاءِ العالَم، فالعالمُ موجودٌ، والمجاهدون في سبيل اللَّه في كلِّ مكان، وكلُّ مؤمنٍ متَّقٍ فهو من أولياءِ اللَّه، كما أخبر اللَّه بذلك، حيث يقول: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، ولم

يقل: «إن أولياءَ اللَّه الذين كان يُوحَىٰ إليهم». . فالمؤمنون المجاهدون في الحديث لا شك أنهم متَّقون، وهم على الحق، وقد وَعَد الرسولُ ﷺ ببقائهم، وهي نبوةُ صدقٍ وحقٌّ.

□ يقول ابنُ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وخاتمُ الأولياء كلمةٌ لا حقيقةَ لفضلها ومرتبتها، وإنما تكلم أبو عبداللَّه الترمذي بشيءٍ من ذلك غلطًا لم يُسبق إليه، ولم يتابَعْ عليه، ولم يَستندْ فيه إلى شيءٍ، ومسمًّى هذا اللفظِ هو آخرُ مؤمنٍ يبقى، ويكون بذلك خاتمَ الأولياء، وليس ذلك أفضلَ الأولياء باتفاقِ المسلمين، بل أفضلُ الأولياء سابقُهم وأقربُهم إلى الرسول، وهو أبو بكر، ثم عمر، إذ الأولياءُ يستفيدون من الأنبياء، فأقربُهم إلى الرسول أفضلُهم، بخلاف خاتمِ الرسل، فإن اللَّه أكرمه بالرسالة ولم يُحِلْها على غيره، فقياسُ مسمَّى أحدِ اللفظين على الآخَرِ في وجوب كونه أفضلَ، من أبعد القياس»[1] .

سادسًا: وأما زَعمُه بأن الرسلَ لا يقتبسون عِلمَهم إلا من مشكاته

فهذا في غايةُ السَّفَهِ والإزراء بمقامِ الأنبياء، كما أنه مخالفٌ للعقل أن يَتلقَّى الحيُّ الموجود من إنسانٍ لم يُخلق بعد، ويكفي ردًّا على هذا الادعاء ما سبق من قول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ.

سابعًا: دعواه أن سيدَ الخَلقِ محمداً ﷺ لم يَرَ إلا موضعَ لبنةٍ واحدة، مع أنه موضعُ لبنتين ـ كما يراها الوليُّ ـ، بل ويدَّعي أنه لبنةُ الذهب والنبيَّ لبنةُ الفضة.

---

(١) «بغية المرتاد» (ص٨٤)، «ضمن الفتاوى الكبرى» (ج٥).

دعوىٰ ابنِ عربي هذه يَصِلُ بها إلىٰ آخرِ درجاتِ الهبوط العقلي التي يُصاب بها كلُّ مَن تجارت به الأهواء وعَبَثت بخياله الشياطين.. إذ كيف يكونُ أشرفُ البشر علىٰ الإطلاق وسيدُ ولد آدم وقائدُ الأنبياء وأكرمُهم علىٰ اللَّه، والذي أُعِدَّ له في أعلىٰ الجنة مكانٌ لا يَصِلُ إليه سواه؛ لِمَا له عند اللَّه من المكانة والتكريم: كيف يكونُ أقلَّ من أحدِ أتباعه مِمَّن يزعُمون لأنفسِهم الولاية والتي لا تُنالُ إلاَّ بمتابعته ﷺ، فلا يَرىٰ الأمورَ علىٰ حقيقتها حتىٰ يأتي ابنُ عربي في أعقابِ الزمن ينعىٰ عليه ﷺ رؤيته ويتَّهِمُه بفسادها.. وإنها تهمةٌ تتعدَّىٰ مقامَ النبي ﷺ إلىٰ مقامِ اللَّه سبحانه وتعالىٰ الذي أخفىٰ عن رسوله الصورةَ الصحيحة وأراه خلافَها.

وإن ذلك الاتهامَ ليهدمُ الإسلامَ من أساسه، إذ مَن يَعجِزُ عن رؤيةِ أحدِ أصولِ العقيدة علىٰ حقيقته عاجزٌ عن أن يَرىٰ بقيةَ أمورِ الشريعة علىٰ حقيقتها، فلا يؤمَنُ جانبُه في تبليغ شرع اللَّه.. هذا ما تَعنيه تلك القولةُ الآثمةُ التي تَحُطُّ من قَدرِه ﷺ ـ وحاشاه عن ذلك ـ.

ثامنًا: يدَّعي ابنُ عربي أن الوليَّ متبعٌ ظاهرًا مستقلٌ باطنًا، حيث قال: «أخذ عن اللَّه في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه»، وهذه نتيجةٌ طبيعيةٌ يَصِلُ إليها ابنُ عربي بعد تلك الضلالات المتراكمة، فمادام أن الوليَّ يتلقَّىٰ الوحيَ من اللَّه، وأن رؤيته أصحُّ من رؤيةِ النبي، فلا حاجةَ له إلىٰ الأخذِ عن النبي؛ لأنه أصحُّ رؤيةً وأصدقُ تصوراً منه.

تاسعًا: إن جميعَ هذه المصطلحات التي جاء بها ابن عربي: «من قوله: «إنما ارتفعت نبوةُ التشريع»، وقوله: «لا شَرعَ خاصة، لا أنه يكون بعده نبي»، وقوله: «إن اللَّه لطف بعباده فأبقىٰ لهم النبوَّةَ العامةَ التي لا تشريع

فيها»، وقوله: «إني أنا الختمُ لا وليَّ بعدي»، بعد أن ذَكَر أن هناك خاتمًا للأولياء، وزَعْمِه أن الرسلَ لا يقتبِسون علومَهم «إلا من مشكاةِ خاتمِ الأولياء»، وزعمه أن الوليَّ يرىٰ موضعَ لبنتينَ لا كما رآها النبيُّ موضعَ لبنةٍ واحدةٍ، وأن أحدهما فضةٌ ـ هي النبي ـ، والأخرىٰ ذهب ـ وهي الولي ـ.

ثم أخيرًا الوليُّ مستقلٌّ بـ «أخذ عن اللَّه في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه».. إن هذه المصطلحات التي أحدثها ابنُ عربي، وبَنىٰ عليها مذهبه في القول بتجدُّدِ الوحي باطلةُ الأساس لا يثبتُ عليها بناء.. وهي مصطلحاتٌ مبتدَعةٌ دخيلة علىٰ التصوُّر الإسلامي لا تصدرُ عن مسلمٍ يحترمُ عقلَه ودينه.. إذ كلٌّ واحدةٍ منها تكفي لتكفيرِ صاحبها وإخراجه من دينِ الإسلام؛ لأنها تعارضُه فيما قرَّره من الأصول الثابتة التي تُعرفُ من دينِ الإسلام بالضرورة، فكيف بها إذا اجتمعت؟!.

◻ ولابن عربي بعضُ العبارات الأخرىٰ التي توحِي لقارئها بأنه سَلَفيٌّ متبعٌ يقفُ عند كلِّ حدٍّ من حدودِ اللَّه لا يتجاوزُه ولا يتعدَّاه، ومِن ذلك قوله في أول كتاب «الفصوص»: «ومن اللَّه أرجو أن أكونَ ممن تأيَّد فتأيَّد، وقُيِّد بالشرع المحمدي المطهَّر فتقيد وقُيِّد»[1].

ولكنه لم يُقيَّد ولم يتقيَّد، وإلا لَمَا اشتَطَّ به الفكرُ والهوىٰ إلىٰ تلك الضلالات المخالفةِ لعقيدة الإسلام.. وإن هذا التناقضَ قد يؤيِّدُ قولَ الذهبيِّ فيه: إنه «أثَّرت فيه تلك الخَلَواتُ والجوعُ فساداً وخيالاً وَطَرفَ جُنون»[2].

---

(١) «فصوص الحاكم» (ص٤٨).

(٢) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٦٥٩).

إذ الرجل كان من أربابِ التصوف والرياضاتِ النفسيه.

وإنا لنرجو أن يكونَ قد تاب مِن هذه الشطحات، ومات على حالٍ أخرى[1].

◻ قال شيخُ اليمن الإمامُ ابنُ المُقرئِ الشافعيُّ مبيِّنًا حالَ ابنِ عربيٍّ زنديقِ الصوفية وإمامِ لقائلين بوحدة الوجود:

ألاَ يا رسولَ اللَّه غَـارَةَ ثـائـر ... غَيُـورٍ على حُرُمَـاته والشَّعائرِ

يُحاطُ بها الإسلامُ مِمَّن يَكيدُهُ ... ويَرميهِ مِن تلبيسـه بالفـواقـرِ

فقد حَدَثَـتْ بالمسـلمين حَوادثٌ ... كبارُ المعـاصي عندها كالصغائـرِ

حَوَتْهُنَّ كُتْبٌ حارَبَ اللَّهَ ربُّهـا ... وغَـرَّ مَن غُـرَّ بين الحـواضـرِ

تجاسَرَ فيها ابنُ عربيٍّ واجتَرَى ... على اللَّه فيما قـال كلَّ التجاسُـرِ

فـقـال بأنَّ الـربَّ والعَـبـدَ ... واحدٌ فربِّي مربوبي بغيـرِ تغايُرِ

وأنكر تكليفًا، إذ العبـدُ عنـدَه ... إلهٌ وعبدُه، فهو إنكـارُ فاجـرِ

وخَطَّأَ إلاَّ مَن يَـرى الخَلْقَ صورةً ... وهُـويـةً للَّه عنـدَ التنـاظُـرِ

وقال: وتَجلَّى الحقُّ في كلِّ صورةٍ ... تجلَّى عليها فهـي إحدى المَظاهرِ

وأنكر أنَّ اللَّه يَـغنى عن الـورى ... ويَغْنَـون عنـه لاستواءِ المقادرِ

كما ظلَّ في التهليلِ يَهـزءُ بنَفيِه ... وإثباتـه مستجـملاً للمغايـرِ

وقـال: الذي يَنفيـه عـينُ الذي ... أتى به مثبتًا لا غيرَ عند التجاورِ

فأفسدَ معنى ما بِهِ الناسُ أسلموا ... وألغـاه إلغًا بيِّنـاتِ التهاتـرِ

(١) «عقيدة ختم النبوة» (ص١٥٧ ـ ١٦٦) لأحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ـ دار طيبة الرياض.

فسبحان ربِّ العرشِ عما يقولُه — أعاد به من أمثالِ هذي الكبائرِ

فقال: عذابُ اللَّه عَذبٌ وربُّنا — يُنَعِّمُ في نيرانِه كلَّ فاجرِ

وقال بأنَّ اللَّهَ لَم يُعصَ في الورى — فما ثَمَّ مُحتاجٌ لعافٍ وغافرِ

وقال: مرادُ اللَّه وِفقٌ لأمرِهِ — فما كافرٌ إلاَّ مُطيعُ الأوامرِ

وكلُّ امريءٍ عند المهيمنِ مرتَضًى — سعيدٌ فما عاصٍ لديه بخاسرِ

وقال: يموتُ الكافرون جميعُهم — وقد آمنوا غيرَ المفاجأ المبادَرِ

وما خَصَّ بالإيمان فرعونَ وحدَه — لدى موتِه بل عمَّ كلَّ الكوافرِ

فكذِّبْه يا هذا تكنْ خيرَ مؤمنٍ — وإلاَّ فصَدِّقْه تكنْ شرَّ كافرِ

وأثنى على مَن لَم يُجبْ نُوحًا إذ دعا — إلى تَركِ وُدٍّ أو سُواعَ وناسرِ

وسَمَّى جهولاً مَن يطاوعُ أمرَه — على تركِها قولَ الكفورِ المُجاهرِ

ولَم يَرَ بالطوفان إغراقَ قومِه — وردَّ على مَن قال رَدَّ المُناكرِ

وقال: بلى قد أُغرِقوا في معارفَ — من العلم والباري لهم خيرُ ناصرِ

كما قال: فازت عادٌ بالقُربِ واللِّقا — منَ اللَّه في الدنيا وفي اليومِ الاخرِ

وقد أخبَرَ الباري بلعنتِه لهم — وإبعادهم فاعجَبْ له من مكابرِ

وصَدَّق فِرعونًا وصَحَّح قولَه — أنا الربُّ الأعلى وارتَضى كلَّ سامرِ

وأثنى على فرعونَ بالعلم والذكا — وقال: بموسى عَجّلَةَ المتبادرِ

وقال: خليلُ اللَّه في الذبح واهمٌ — ورؤيا ابنِه تحتاجُ تعبيرَ عابرِ

يُعظِّمُ أهلَ الكفرِ، والأنبياءُ لا — يعامِلُهم إلاَّ بحطِّ المقادرِ

ويُثني على الأصنامِ خيراً ولا يَرى — لها عابداً ممن عَصَى أمرَ آمرِ

وكم من جَراءاتٍ على اللَّه قالها — وتحريفِ آياتٍ لسُوءِ تفاسُرِ

ولَم يَبْقَ كفرٌ لَم يُلابِسْه عامدًا ... ولَم يتورَّطْ فيه غيرَ مُحاذِرِ

وقال: سيأتينا مِنَ الهين خاتَمٌ ... من الأولياء للأولياء الأكابرِ

له رُتبةٌ فوقَ النبيِّ ورُتبةٌ ... له دُونَه فاعْجَبْ لهذا التنافُرِ

فرُتبتُه العَليا تقولُ لأخذِه ... عن اللَّه لا وحيًا بتوسيطِ آخَرِ

ورُتبتُه الدنيا تقول لأنه ... من التابعيَّةِ في الأمورِ الظواهرِ

وقال اتِّباعُ المصطفى ليس واضعًا ... لمقدارِه الأعلى وليس بحاقرِ

فإنْ تَدنُ منه لاتِّباعٍ فإنه ... يُرى منه أعلى من وجوهٍ أواخرِ

ترى حالَ نُقصانٍ له في اتِّباعه ... لأحمدَ حتى جاء بهذي المعاذرِ

فلا قدَّس الرحمنُ شخصًا يُحِبُّه ... على مَن يرى مِن قُبحِ هذه المَخابرِ

وقال بأنَّ الأنبياءَ جَميعَهم ... بمشكاةِ هذا تستضيءُ في الدياجرِ

وقال: فقال اللَّه لي بعدَ مُدةٍ ... بأنك أنت الخَتمُ ربُّ المَفاخرِ

أتاني ابتداءً بيضاءَ سطَّر ربُّنا ... بإنقاذه في العالَمين أوامري

وقال: فلا تَشْغَلْك عنِّي ولايةٌ ... وكنْ كلَّ شهرٍ طُولَ عُمرِك زائري

فرِفْدُك أجزلْنا وقَصدُك لَم يَخِبْ ... لدينا، فهل أبصرتَ يا ابنَ الأخايرِ

بأكذبَ مِن هذا وأكفرَ في الورى ... وأجرأَ على غَشَيانِ هذي الخواطرِ؟!

فلا يدعو مَن صدَّقوه ولايةً ... وقد خُتمت فلْيؤخَذوا بالأقادرِ

فيا لَعبادِ اللَّه ما ثَمَّ ذو حجًى ... له بَعضُ تمييزٍ بقلبٍ وناظرِ؟!

إذا كان ذو كفرٍ مطيعًا كمؤمنٍ ... فلا فَرْقَ فينا بين برٍّ وفاجرِ

كما قال هذا: إنَّ كلَّ أوامرٍ ... مِنَ اللَّه جاءت فهي وفقُ المقادرِ

فلِمَ بُعثت رُسْلٌ وسُنَّت شرائعٌ ... وأُنزل قرآنٌ بهذي الزواجرِ؟!

أيخلَعُ منكم رِبْقةَ الدينِ عاقـــلٌ بقَولِ غريــقٍ في الضـلالة جـائرِ
ويَتركُ ما جاءت به الرُّسلُ من هُـدًى لأقوالِ هــذا الفيلسـوفِ المُغــادرِ
فيا مُحسِني ظنًّا بما في «فصوصه» وما في «فتوحات» الشرورِ الدوائرِ
عليكم بدينِ اللَّه لا تُصبحوا غـدًا مسـاعرَ نــارٍ قُبِّحَتْ من مساعرِ
فليس عذابُ اللَّه عذابًا كمثلِ مـا يُمنِّيكم بعضُ الشـيوخِ المَدابـرِ
ولكنْ أليـــمٌ مِثــلُ ما قال ربُّنـا بــه الجِـلدُ إن يَنْضَـجْ يُبدَلْ بآخرِ
غدًا يعلمون الصادقَ القولَ منهما إذا لَم يتوبوا اليومَ عِلـمَ مُباشِــرِ
ويَبدُو لكم غيرُ الذي يَعدُونـكــم بأن عـــذابَ اللَّه ليس بضائــرِ
ويَحكم ربُّ العرش بيِّنَ لمحــمدٍ ومَن سَنَّ عِلمَ البـاطـلِ المُتهـاترِ
ومَن جاء بدينٍ مُفترًى غيرِ دينـه فأهلَكَ أغمــارًا به كالأبــاقــرِ
فلا تَخدَعَنَّ المسلمين عن الهـدى وما للنبيِّ المصطفـى من مـآثــرِ
ولا تؤثِروا غيرَ النبيِّ على النـبـيِّ فليس كنورِ الصبحِ ظَلماءُ الدياجرِ
دَعُوا كـلَّ ذي قـولٍ لقولِ مُحمَّدٍ فما آمنٌ في دينِــه كمُخــاطـرِ
وأمَّا رِجالاتُ «الفصوص» فإنهم يَعُــومــون في بحرٍ للكفر زاخرِ
إذا راح بالرِّيح المتابِــعُ أحمــدًا على هَديِه راحُوا بصفقـــةِ خاسرِ
سيَحكي لهم فرعونُ في دارِ خُلدهِ بإسلامه المقبـول عنـد التجـاورُ
ويا أيها الصوفيُّ خَفْ من «فصوصه» خواتِــمَ سَـوءٍ غيرها بالخناصرِ
وخُذْ بنهجِ سَهلٍ والجُنيدِ وصالِحٍ وقومٍ مَضَوا مِثلَ النجومِ الزواهـرِ
على الشرع كانوا ليس فيهم لوِحدةٍ ولا لحلول الحــقِّ ذِكرٌ لـذاكرِ
رجالٌ رأوا ما الدارُ دارُ إقــامــةٍ لقــومٍ ولكن بُلْغــةٌ للمســافرِ

فأحيَوا لياليَهم صلاةً وبيَّتوا — بها خوفَ ربِّ العرشِ صومَ البواكرِ
مَخافَةَ يومٍ مستطيرٍ بشرُّه — عَبوسِ المُحيَّا قمطريرِ المظاهرِ
فقد نَحِلَتْ أجسادُهم وأذابَها — قيامُ لياليهم وصومُ الهواجرِ
أولئك أهلُ اللَّه فالزَمْ طريقَهم — وعُذْ عن دواهي الابتداعِ الكوافرِ[1]

* كلامُ ابنِ عربيٍّ في الأخذ عن اللَّه مباشرةً بدون وساطةِ النبي ﷺ:

◻ قال العلاَّمة المَقْبَليُّ ـ رحمه اللَّه ـ في «العَلَم الشامخ» (٥٥٧) ما نصه: «ومِن نصوصهم على الأخذِ عن اللَّه بجميع الشريعة بدون واسطةِ النبي: قولُ ابن عربي في «الفصوص» قال: «دقيقةٌ لا يعلمُها إلاَّ أمثالُنا، وذلك في أخذِ ما يَحكُمون به مما شُرِع للرسول ﷺ، فالخليفةُ عن الرسول يأخذُ الحُكمَ بالنقلِ عنه ﷺ، وبالاجتهادِ الذي أصلُه أيضًا منقولٌ عنه ﷺ، وفينا مَن يأخذُه عن اللَّه تعالىٰ، فيكونُ خليفةً عن اللَّه بعينِ ذلك الحُكم، فتكونُ المادةُ له من حيثُ كانت المادةُ لرسول ﷺ، فهو في الظاهرِ متَّبعٌ لعدمِ مخالفته في الحُكم، كعيسىٰ ﷺ إذا نزل فيَحكمُ كالنبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]».

◻ إلىٰ أن قال هذا المارق الزنديق: «وكذلك أَخذُ الخليفةِ عن اللَّه غيرُ ما أَخَذه منه الرسولُ، فنقول فيه بلسانِ الكشف: «خليفة اللَّه»، وبلسان

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي (٢/ ١٩٢) ـ نشر محمد سرور الصبان ـ مكة المكرمة، و«كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» لعبد القادر بن حبيب اللَّه السندي (ص٨٤ـ٨٦) ـ نشر دار البخاري ـ بريدة.

الظاهر: «خليفة رسول اللَّه ﷺ»، ولهذا مات رسولُ اللَّه ﷺ وما نصَّ بخلافةٍ عنه إلىٰ أحدٍ، ولا عيَّنه لعلمِه أنَّ في أُمتِه مَن يأخذُ الخلافةَ عن ربِّه فيكونُ خليفةً عن اللَّه مع الموافقة بالحُكم المشروع، فلما عَلِم ذلك ﷺ لَم يُحجِّرِ الأمرَ، فللَّه خلفاءُ في أرضه يأخذون عن معدِنِ الرسول ﷺ..»اهـ.

▫ قال العلامة عبدالقادر بن حبيب السِّندي: «قلت: هذا نصٌّ كلامِ ابن عربي نقله عن «فصوصه»، وكلامُه هذا واضحٌ ومُبينٌ في الإلحاد والزندقة والكفرِ بجميعِ معانيه الظاهرةِ والباطنة، وكما أنه صرَّح أن الخليفةَ يأخذُ عن اللَّه غيرَ ما أَخَذه منه الرسولُ ﷺ، وهذا يُبيِّنُ ويوضِّحُ ما عندهم من الكفرِ والإلحاد، ثم يَنسبونه إلىٰ اللَّه تعالىٰ ظُلمًا وعدوانًا وبهتانًا، وإلىٰ هذا يشير قول ربنا جل وعلا في عِدَّةِ سُورٍ قرآنية، ومنها قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

هكذا فَصَّل القرآن الكريم ووضَّح وبيَّن كُفرَهم وزَندقَتَهم وإلحادَهم في القول علىٰ اللَّه كذبًا وزورًا وبهتانًا بجميعِ ألوانه وأشكالِه وأنواعه دونَ حياءٍ ولا خجل.. واللَّه أعلم»[1].

(١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (١٣٥-١٣٦).

* تفضيلُ نفسِه على الأنبياء:

□ ثم قال العلامة الشيخ صالح المَقْبَلي في «العَلَم الشامخ» (ص٥٥٥) في ابن عربي هذا: «ولَمَّا كَثُر تبجُّحُ ابنِ عربيٍّ وادعاؤه لِمَا فوق الفوق، كما يَخافُ المؤمنُ من إملاءِ كلامِه الخَسْفَ ـ نعوذ باللَّه من الضلال ـ، ولَمَّا خاف من التشنيعِ ونُفْرةِ مَن بَقِيَ فيه رائحةٌ من الإسلام مِن حظٍّ ما رَفَع اللَّه من درجاتِ الأنبياء، قال ما معناه: «إنَّ رَفْعنَا على الأنبياءِ تابعٌ لرفعِ مَن نحنُ تَبَعٌ له، ومثالُه: أن يكون للمَلِكِ وزيرٌ فوقَ جميع رعيته، وهذا الوزيرُ يَستخلفُ وزراءَ، فإذا جاء المستخلَفون ورَفَع مقامَهم على سائرِ الأمراء وأدخَلَهم حَضْرَته ـ والأمراءُ خارجَ الحضرة ـ كان ذلك مناسبًا».

وهذا المثالُ إنما قُرِّر لرِفعةِ أصحابه على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، على أنهم متحجِبون بذلك لفظًا ومعنى» اهـ[1].

* قولُ ابنِ عربي في الولايةِ والنبوة:

□ ثم قال العلاَّمة المَقْبَلي في «العَلَم الشامخ» (ص٥٥٨) ـ مشيراً إلى أنَّ ابن عربي كان يُفضِّلُ الولايةَ على النبوة ـ: «إذ قال ـ عامَلَه اللَّه تعالى بما يستحقه، كما نُقل عنه من «فصوصه» في «الكلمة العزيزية» ـ: واعلمْ أن الولايةَ هي الفَلَكُ المُحيطُ العامُّ، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباءُ العام، وأما نبوةُ التشريعِ والرسالةِ فمنقطعةٌ، وفي محمدٍ ﷺ قد انقطعت، فلا نبيَّ بعدَه ـ يعني مشرِّعًا ـ، أو مشرَّعًا له، ولا رسولَ وهو المشرِّع». . إلى قوله: «واللَّهُ لم يَتَسَمَّ بنبيٍّ، ولا رسول، وتسمَّى بالولي». . إلى قوله: «إلاَّ أن اللَّه

---

(١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (١٣٤).

لطيفٌ بعباده، فأبقى لهم النبوةَ العامةَ التي لا تشريعَ فيها. .»، إلى سائر ما ذكره من هذا النمط من الحطِّ على الأنبياء، حتى في الكتاب المذكور: «أنه لا شيءَ لهم ـ أي: الأنبياء ـ من النظر، بل عقولُهم ساذجة»، قال: «يدلُّك على سذاجتها قولُ عُزير: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ليس لهم إلاَّ ما يتلقَّونه من المَلَك ثم يُلقُونه»[1] . .» اهـ.

◻ قال عبدالقادر السندي: «قلت: هذا الكفرُ الصريح لمَ يصدُرْ عن أحدٍ من الفِرَقِ الكفريةِ الضَّالَّة مِثلُه إلاَّ هذا الزنديقِ المارقِ، كما ترى قولَه واضحًا جليًّا ـ الذي نقله العَلاَّمة المَقْبَليُّ من «فصوصه» ـ بهذه الجُرأة الكافرة الفاجرة التي اتَّسم بها في تفضيلِه الولايةَ التي في نظرِه ونظرِ أتباعِه ـ أهلِ الزيغ والفساد ـ بذلك الدليلِ الباطل الذي ساقه في تفضيل الولاية على النبوة، ثم طَعنِه في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بقوله: « إن عقولَهم ساذجة».

ربمَّا يَقصِدُ ابنُ عربي من كلمتِه الخبيثة مشيرًا إلى الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والتي نَقَلها عن «فصوصه» الكفريِّ والإلحادي العلامةُ المَقْبَليُّ في «العَلَم الشامخ»: «لا شيءَ لهم من النظرِ، بل عقولُهم

---

(١) لعن اللَّه من يقول: إن عقول الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والرسل ساذجة، بل إنهم أرفع وأعظم منزلة وأسمى مكانة أعطاهم اللَّه تعالى إياهم، وقد اختارهم واصطفاهم ربهم جل وعلا على حمل هذه الأمانة المقدسة التي أدُّوها بالوفاء والتمام والشمول لما علم منهم جل وعلا بعلم أزلي أبدي صفاء العقول والضمائر ونقاء قريحتهم الفطرية، لم يسبق أحد إليها قبلهم ولا بعدهم، مع تفضيله إياهم على سائر الكائنات، وابن عربي هو القائل: «وخُضْنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله. .».

ساذجة، فقال: يدلُّ على سذاجتها قولُ عُزير . . »إلخ.

وقد قَصَد منها بأن عقولَ الأنبياء فارغةٌ وخاليةٌ من أيِّ فقهٍ أو رُشدٍ أو عقلٍ أو إدراكٍ وغيرِ ذلك، وهذا هو الكفرُ الصريحُ، والإلحادُ الظاهرُ، والزندقةُ العلمانية اللادينية التي اتصف بها هذا الرجل.

وأما قوله واستدلالُه بأن اللَّه لَم يَتَسَمَّ بنبيٍّ ولا رسولٍ، وتسمَّى بالولي، فهذا يدلُّ على تفضيلِ الولي على النبي والرسول، وهو وليٌّ -حسب زعمه-.

□ فأقول لهؤلاء الذين قد يتمسَّكون باستدلاله هذا على ما ذهب إليه من الباطل والفساد والتحريفِ والتبديل والتغيير لمعاني الكتاب الكريم -كما نُقل سابقًا من قول العَلاَّمة المِزِّي وغيره من أئمة السنة والحديث والتفسير في هذا التحريف الخطير-:

لقد استَعمل ربُّنا -عز وجل- في كتابه الكريم «الولي» بمعنيين:

١ - الولي: هو الذي يتولَّى اللَّهَ سبحانه وتعالى بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيه التي جاءت على لسانِ نبيِّه محمد ﷺ كتابًا وسُنَّةً، وقد وَضَّح القرآنُ الكريم في عِدَّةِ آياته وسُوره هذا المعنى، ومنها قوله تعالى في سورة «البقرة» إذا قال -جل وعلا-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فهذه الآية الكريمة جَمَعت المعنيين للوليِّ الذي زَعَمه ابنُ عربي بأن اللَّه تسمَّى به -أي: بالولي وحده-، ومع أن هذا الأمرَ واضحٌ جَلِيٌّ لا يَخفى على أحدٍ إلاَّ مَن

كان جاهلاً بعيداً عن العلم، أو كان زنديقًا ملحِدًا معاندًا ومكابرًا، فاللَّه تعالىٰ قال في هذه الآية: بأنه «وليٌّ للذين آمنوا» سواءٌ كانوا أنبياءَ أو رسلاً، أو كانوا صالحين أو صديقين أو شهداء، وحسن أولئك رفيقًا، ثم ثَنَّىٰ اللَّهُ تعالىٰ في هذه الآية الكريمة، إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، فالكافر وليُّه الطاغوتُ ـ وهو الشيطان.

* ومِن هنا عرفنا تمامًا بأنَّ الوليَّ يُستعمل في المعنيين معًا: «وليٌّ للَّه تعالىٰ»، و«ولي للشيطان»، وهكذا الوَلايةُ التي زعمها ابنُ عربي، وهي ولايةُ الشيطان لمن تمسَّك بالشيطان خُلقًا وعقيدةً وكفرًا وشركًا وانحرافًا وإلحادًا وزندقةً ـ وغير ذلك من المعاني السيئة ـ، وأصرحُ من هذه الآية الكريمة ما قاله ـ جلا وعلا ـ في سورة «الجاثية» إذ قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

* وقد سبَق أن قال ـ جلا وعلا ـ في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٦ ـ ١١٩]، والشاهد في هذه الآيات الكريمات وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ

اللهِ..﴾ الآية.

وهنا في هذه الآيةِ الأخيرة قد نَسَبَ اللَّه تعالىٰ الولايةَ للشيطان اللعين فابنُ عربيٍّ قد اتخذ الشيطانَ وليًّا دونَ أن يشعر به أو يُحِسَّ، وقد فَقَد عقلَه ورُشدَه وبصيرته في هذا التحريف أو المغالطة كما ترىٰ واضحًا جليًّا.

* وهكذا وَضَّح القرآن الكريم هذا المعنىٰ علىٰ لسانِ نبيِّه وخليلِه إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام، كما في سورة «مريم»، إذ قال ـ جلا وعلا ـ: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥].

فكلُّ من يخالفُ طريقَ الحقِّ والصواب والرشدِ ـ وهي طريق سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلىٰ دعوتهم إلىٰ توحيد اللَّه تعالىٰ الذي خالفه هؤلاء الزنادقة ـ، فسمَّاه اللَّه تعالىٰ وليًّا للشيطان اللعينِ أو الطاغوت، فسَمَّىٰ الشيطانَ وليًّا أيضًا لأولئك الذين يتبعونه في غَيِّه وضلاله وكفرِه وإلحاده بجميع معانيه الظاهرة والباطنة، فلم يَبْقَ أيُّ إشكالٍ أثاره ابنُ عربي كما نَقل عن «فصوصه» ـ الخبيث ـ العلامةُ الشيخُ صالح المَقْبَلي اليماني في «العَلَم الشامخ» كما مضىٰ نقله وبيانه.. واللَّه أعلم»(١).

*** عودةٌ إلى كلامِ المَقْبَليِّ في ابن عربي:**

□ ثم قال العلامة المَقْبَليُّ في ابن عربي هذا في «العلم الشامخ» (ص٥٥٨): «وعلىٰ الجُملة، فقد رَفع أعداءَ الأنبياء عليهم السلام، لتصويبه السامريَّ، وتخطئة هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكذلك قومُ

(١) «كتاب ابن عربي» (ص١٣٦ ـ ١٣٩).

نوحٍ وقومُ هود، وأبو جهل وأصحابه، فتتبَّعْ كتابَه تعلمْ ما قلنا ـ إن كنت من المسلمين ـ.

□ وقد حَطَّ في أول الكتاب على الملائكةِ أشدَّ الحط، ثم دار كلامُه إلىٰ رَفعِ أهلِ نِحلتِه، ثم رَفعَ نفسه بأنه «الختامُ الذي لا يستضيءُ الأنبياءُ والأولياءُ إلاَّ مِن مِشكاته، وما بَقِي إلاَّ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ بعد، فأخذ ينازعُه في مُلكِه»، فادَّعىٰ أنه فَوَّضه في العالمين، ثم في أُلوهيته، فإنه تقدس ليس يستقلُّ بكماله، فقال في «المقالة الإبراهيمية» كلامًا فظيعًا، ثم عَقَده بقوله:

فيَحمَدُني وأَحْمَـــدُهُ ويَعبُــدُني وَأَعْبُــدُهُ
ففي حـــالٍ أُقرِّبُـــهُ وفي الأحوالِ أَجحَدُهُ
فيعرفُنـــي وأُنكِـــرُهُ وأعرفُـــهُ فأَشـــهَدُهُ
فأنَّـــى بالغنَـــى وأنـــا أُســـاعدُه وأُســـعِدُهُ
لذاك الحـــقُّ أوجَدَني فأَعْلَمُـــه فأُوجِـــدُهُ
بذا جاء الحديثُ لنـــا وحُـــقِّـــق فِيَّ مَقصِدُهُ

□ وانظر قوله: «فأنىٰ بالغنىٰ»، أي: من أين للَّه الغنىٰ، تعالىٰ اللَّه عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا. اهـ.

□ قال الشيخ عبدالقادر السندي: «قلت: هذا كلامُ ابنِ عربي الزنديق، نَقَله عن «فصوصه» الكفرية العلاَّمةُ الشيخ صالح المَقْبلي ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ في كتابه «العَلَم الشامخ» وهو ثقةٌ وفَهِمٌ وعَدْلٌ فيما ينقُلُه عن هؤلاءِ الملاحدة والزنادقة، وانظر بدقةٍ وتعمُّقٍ في هذا الكلام الكفري في

أبياته ونثره، وهو نصٌّ وظاهرٌ على الكفر والإلحاد لَم يَسبق له أحدٌ من الكفار الأوَّلين من اليهود والنصارىٰ والمجوس ـ عليهم لعائن اللَّه تعالىٰ ـ في هذا الكفرِ فيما علمتُ، وعَلِمَ معي آلافٌ من المسلمين في مشارقِ الأرض ومغاربها.. إلىٰ أن قال العلاَّمة المَقْبَلي في «العَلَم الشامخ» (٥٥٩): وحاصلُ زعمِه الخبيثِ احتياجُ الباري تعالىٰ إلىٰ المُظهِر، وإنما يتعلَّقُ عِلمُه مثلاً بمعلومٍ علىٰ ما المعلومُ عليه في نفسه.. فالحكمُ عليه ونحو ذلك، وهو مُصرِّحٌ بهذه الجهالات متبجِّحٌ بها، وحاصلُها مبارزةُ اللَّه بأنه يحتاجُ إليه، مع تصريحه أيضًا بأن العالَم قديمٌ، فيكونُ مستغنيًا عن العالَم، إذ لا ظُهورَ له، فلا يَحتاجُ إلىٰ مُظهِرٍ كما كان في حقِّه تعالىٰ، ومقالة هذا المريد ولوازمِها السخيفةِ أطولُ وأوسعُ، وعباراتُه أقطعُ ممَّا يَحكي الحاكي وأشنع، فانظرها ـ إن شئت ـ وطَهِّرْ قلبَك من دُخَانِها بكلمةِ الإسلام: أشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ»[1] اهـ.

*** كفرُ ابنِ عربي لِحُكمه بإيمانِ فرعونَ وتفضيلِه السامِريَّ على هارونَ، وتصويبِه قولَ فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ :**

◻ قال ابنُ عربي في «فصوص الحكم» ـ وهو الكُفرُ ظاهرًا وباطنًا، وهو واللَّهِ فصوصُ الكفر ـ، قال بعد ذِكرِ أخذِ فرعونَ لتابوت موسىٰ عليه السلام وأنه أراد قتلَه، وأن امرأته رضي الله عنها قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، فبه قرَّت عينُها بالكمال الذي حَصَل لها كما قلنا قال: «وكان قرَّةَ عينٍ لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللَّهُ عند الغرق، فقَبَضه طاهرًا مُطَهَّرًا، ليس فيه شيءٌ

(١) «كتاب ابن عربي الصوفي» (ص١٤٠ ـ ١٤١).

من الخَبَث؛ لأنه قَبَضه عند إيمانه قبل أن يكتسبَ شيئًا من الآثام، والإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَه، وجَعَلَه آيةً على عنايته سبحانه وتعالى بمَن شاء، حتى لا ييأسَ أحدٌ من رحمة اللَّه، فإنه ﴿لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]»[1].

* وكلُّ مَن شمَّ رائحة العلمِ من المسلمين ـ أو غيرهم ـ يعلمُ كُفرَ فرعونَ بالمتواتر من كتاب اللَّه ـ عز وجل ـ، وقولِ اللَّه تعالى في دعاء موسى عليه السلام: ﴿فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ﴾ الآية [يونس: ٨٨] مع قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الآية [يوسف: ٨٩]، وقوله تعالى مُنكرًا على فرعون ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].

● وأمَّا السُّنَّة: فعن ابنِ عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال جبريلُ: لوْ رأَيْتَني وأنا آخِذٌ مِنْ حَمَاءِ البَحْرِ، فَأَدُسُّهُ في فِيْ فِرْعَونَ؛ مخافةَ أن تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[2].

---

(١) «فصوص الحكم» (ص٢٠١)، وانظر «مصرع التصوف» أو «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» (ص١٢٧ ـ ١٢٨) لبرهان الدين البقاعي ـ تحقيق عبدالرحمن الوكيل.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والحاكم عن ابن عباس، ورواه الطيالسي، والترمذي، وابن جرير والخطيب وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٥٣).

* فرعونُ عند ابن عربي ربُّ موسى وسيِّده:

□ قال ابنُ عربي في «فصوص الحكم»: «وهنا سِرٌّ كبير، فإنه ـ أي موسى عليه السلام أجاب بالفعل لمن سألوه عن الحدِّ الذاتي ـ أي: بقوله: وما ربُّ العالمين؟ ـ، فجعل الحدَّ الذاتي عينَ إضافتِه إلى ما ظَهَر به من صُورِ العالم، أو ما ظَهَر فيه مِن صُور العالم[1]، فكأنه قال في جواب قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] قال: الذي تظهرُ فيه صورةُ العالمين مِن عُلوٍّ ـ وهو السماء، وسُفْلٍ ـ وهو الأرض ـ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]»[2].

□ ثم قال: «فلمَّا جَعَل موسى المسؤولَ عنه عينَ [صور] العالَم، خاطَبَه فرعونُ بهذا السؤال ـ والقومُ لا يشعرون ـ، فقال له: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، والسين في «السِّجن» من حروف الزوائد، أي: لأسترنَّك، فإنك أجبتَ بما أيَّدتَني به، أن أقولَ لك مثلَ هذا القول، فإن قلت لي: فقد جهلتَ يا فرعونُ بوعيدك إيايَ ـ والعين واحدة ـ فكيف فرَّقت؟ فيقول فرعونُ: إنما فرَّقتُ المراتبَ العينَ، ما تفرَّقت [العين] ولا انقسمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التحكمُ فيك يا موسى بالفعل، وأنا أنت بالعين، وغيرُك بالرُّتبة»[3].

□ ثم قال: «ولَمَّا كان فرعونُ في مَنصبِ التحكُّمِ صاحبَ الوقت، وأنه الخليفةُ بالسيف، وإن جار في العُرف الناموسيِّ، لذلك قال: ﴿أَنَا

---

(١) يفتري هذا الزنديق العربيد على موسى بأنه أجاب أن الله عين كل شيء.

(٢) «فصوص الحكم» (ص٢٠٨).

(٣) نفس المصدر السابق (ص٢٠٩).

رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أي: وإنْ كان الكلُّ أربابًا بنسبةٍ ما، فأنا الأعلىٰ منهم، بما أُعطيتُه في الظاهر من التحكم فيكم، ولمَّا علِمَت السحرةُ صِدقَه فيما قاله، لم يُنكروه، وأقرُّوا له بذلك، فقالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢] فالدولةُ لك، فصحَّ قوله: «أنا ربكم الأعلىٰ»، وإنْ كان عينَ الحق، فالصورةُ لفرعون، فقطع الأيدي والأرجل، وصلَّب بعين حق في صورة باطل. . »[١] .

◻ ويقول ابن عربي في تعليله لإنكار موسىٰ علىٰ السامِريِّ: «وكان موسىٰ يُربِّي هارونَ ـ عليهما السلام ـ تربيـةَ عِلمٍ ـ وإنْ كان أصغَرَ منه في السنِّ ـ، ولذلك لما قال له هارونُ ما قال، رجع السامريُّ، فقال له: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]، يعني: فيما صنعتَ من عُدُولِك إلىٰ صورةِ العِجْل علىٰ الاختصاص، وصُنْعِك هذا الشَّبَحِ من حُلِيِّ القوم، حتىٰ أخذتَ بقلوبهم من أجلِ أموالهم[٢] ، وليس للصور بقاءٌ، فلابدَّ من ذهابِ صورةِ العِجل ـ لو لم يستعجل موسىٰ بحرقه ـ، فغلبت عليه الغَيرة، فحرَّقه، ثم نَسَفَ رَمَادَ تلك الصورة في اليمِّ نَسْفًا، وقال له: انظر إلىٰ إلهك،

---

(١) «فصوص الحكم» (ص٢١٠).

(٢) «يريد هذا الزنديق بتصويب عبادة العجل، فيزعم أن السامري لم يخطئ إلا في أنه فهم أن الذات الإلهية تعيَّنت في العجل وحده، فدعا قومه إلىٰ عبادته لهذا، علىٰ حين أن كل شيء ـ لا العجل وحده ـ هو اللَّه!! فلو أن السامري كان عارفًا مكمِّلاً لأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل!! بيْدَ أن السامري عند ابن عربي أعرف بالحقيقة من هارون، إذ علم ـ وهارون جهل!! ـ أن العجل إله حق يجب أن يُعبد؛ لأنه مجلىٰ إلهي!! . . » قاله الشيخ عبدالرحمن الوكيل في هامش (ص١٢٤) من «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي».

فسمَّاه[1] «إلهًا» بطريق التنبيه، للتعليم؛ لِمَا عَلم أنه بَعضُ المجالي الإلهية[2]، ﴿لأُحَرِّقَنَّهُ﴾ فإن حيوانية الإنسانِ لها التصرُّفُ من حيوانية الحيوان..»[3].

□ قال الشيخ زَينُ الدين العراقي: «قوله في قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]: أنه صحَّ قولُه ذلك، مستدلاً عليه بأنَّ السَّحَرة صدَّقوه، كَذِبٌ وافتراء على السحرة، فلقد كَذَّبوه، وخالفوه، ودعواه كاذبة، وبها أخذ اللَّهُ فرعونَ وأهلكه، فقال تعالىٰ حكايةً عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٥]».

□ ثم قال: «ولا شك أن مَن صَحَّ عنه أنه قال هذا؛ واعتقدَه مع وجود عقلِه، وهو غير مُكْرَه، ولا مُجْبَرٍ الإجبار المُجَوِّزَ للكُفر، فهو كافر، ولا يُقبَل منه تأويلُها على ما أراد، ولا كرامة، كما قدمنا ذِكرَه، وهذا ما لا نعلمُ فيه خِلافًا بين العلماء بعلومِ الشريعة المطهَّرة في مذاهبِ الأئمةِ الأربعة، وغيرهم من أهلِ الاجتهاد الصحيح. والله أعلم»[4].

□ قال ابن عربي في «فصوص الحكم» (ص١٩٢): «وكان موسىٰ عليه السلام أعلمَ بالأمرِ من هارون؛ لأنه عَلِم ما عَبَده أصحابُ العِجل، لِعِلْمه بأن اللَّه قد قضىٰ ألاَّ نعبُدَ إلاَّ إيَّاه، وما حكَم اللَّهُ بشيءٍ إلاَّ وقع، فكان عَتْبُ

(١، ٢) الضمير راجع إلىٰ عجل السامريّ.

(٣) «فصوص الحكم» (ص١٩٢).

(٤) «مصرع التصوف» (ص١٣٤).

موسىٰ أخاه هارون؛ لَمَّا وقع الأمرُ في إنكاره وعدمِ اتساعه، فإنَّ العارفَ مَن يرىٰ الحقَّ في كلِّ شيءٍ، بل يراه عينَ كلِّ شيء».

* **تكفير شيخ الإسلام العراقي لابن عربي:**

◻ قال الشيخ زينُ الدين العراقي: «هذا الكلامُ كُفْرٌ مِن قائله مِن وُجُوه:

أحدها: أنه نَسَبَ موسىٰ عليه السلام إلىٰ رضاه بعبادةِ قومه للعجل.

الثاني: استدلالُه بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] علىٰ أنه قَدَّر أن لا يُعبَدُ إلاَّ هو، وأن عابدَ الصنمِ عابدٌ له.

الثالث: أن موسىٰ عليه السلام عَتَبَ علىٰ أخيه هارونَ ـ عليهما السلام ـ إنكارَه لِمَا وقع، وهذا كذبٌ علىٰ موسىٰ عليه السلام، وتكذيبٌ للَّهِ فيما أَخبرَ به عن موسىٰ من غَضبهِ لعبادتهم العجلَ.

الرابع: أن العارفَ يَرىٰ الحقَّ في كلِّ شيء، بل يراه عَينَ كلِّ شيء، فجَعَل العجلَ عينَ الإله المعبود.

فلْيَعْجَب السامعُ لمثلِ هذه الجُرأة التي تصدرُ ممن في قلبه مثقالُ ذرَّة من إيمان»[1].

* **تحريفُ ابنِ عربي لآيات اللَّه:**

وانظر إلىٰ زنديقِ الصوفية وهو يُكَذِّب صريحَ القرآن ويُحَرِّفه:

◻ قال ابن عربي في «فصِّ حِكمةٍ أحديةٍ في كلمةٍ هُودية»: ﴿مَّا مِن

---

(١) «مصرع التصوف» للبقاعي (ص١٢١ ـ ١٢٢).

دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]: «فكلُّ ماشٍ [فعلىٰ] صراطِ الربِّ المستقيم، فهم غيرُ مغضوبٍ عليهم من هذا الوجه، ولا ضالُّون، فكما كان الضلالُ عارضًا، فكذلك الغضبُ الإلهي عارضٌ، والمآلُ إلىٰ الرحمةِ التي وسعت كل شيء»[1] .

◻ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «وابنُ عربي يُكذِّب بها البهتانِ قولَه سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ وغيرَها من الآيات، فالقرآنُ يقرِّر أن الناسَ بالنسبةِ إلىٰ الحقِّ ثلاثةُ أقسام:

قومٌ عَرَفوا الحقَّ وآمنوا به، وهم الذين وَصَفهم اللَّهُ بأنهم علىٰ صراطٍ مستقيم.

وقومٌ عرفوا الحقَّ وأعرضوا عنه كُفْرًا وجحودًا، وهم المغضوبُ عليهم[2] .

وقومٌ لم يحاوِلوا معرفة الحقِّ فلم يهتدوا، وهم الضالُّون[3] .

وقد خَصَّ اللَّهُ الفريقَ الأول برضاه ورحمتِه، والآخَرينِ بغضبه ولعنته، ولكنَّ ابنَ عربي يجعلُ الجميعَ سواءً، هادفًا من وراءِ ذلك إلىٰ تقريرِ أسطورةِ «وحدة الأديان» التي تَزعمُ أن الأديانَ ـ سماوِيَّها وَوَضْعِيَّها ـ واحدٌ، وأن الحقَّ والهدىٰ فيها جميعًا، لا يختصُّ بها دينٌ عن دين، فالشِّركُ عينُ

---

(١) «فصوص الحكم» (ص١٠٦).

(٢) وهو اليهود كما جاء في حديث رسول اللَّه ﷺ.

(٣) وهم النصارىٰ كما جاء في الحديث الصحيح.

التوحيد، والمجوسيةُ عين الإسلام، فعابدُ العِجلِ عندَهم كعابدِ اللَّه، يقول لك الصوفية[1] : كنْ مشركًا، كنْ بوذيًّا، كن يهوديًّا، فأنت على صراط مستقيم».

▫ وانظر إلى تحريف هذا الزنديق الفاحشِ لكلام اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[البقرة: ٦ ـ ٧].

▫ قال أبو زرعة العراقي: «سمعتُ والدي ـ رحمه اللَّه ـ غيرَ مرةٍ يقول: سمعتُ قاضي القضاة برهان الدين بنَ جَماعة يقول: نقلتُ من خطِّ الحافظ جمالِ الدين المِزِّي قال: نقلتُ من خطِّ ابن عربي في الكلامِ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية: ستَروا محبَّتهم، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ استوى عندهم إنذارُك وعدمُ إنذارك، لِمَا جَعلنا عندهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بك ولا يأخذون عنك، إنما يأخذون عنَّا، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فلا يعقِلون إلاَّ عنه، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، فلا يسمعون إلاَّ منه، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فلا يُبصِرون إلاَّ منه، ولا يلتفتون إليك وإلى ما عندك بما جَعلناه عندهم، وألْقَيْنا إليهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾، من العذوبة ﴿عَظِيمٌ﴾ انتهى» اهـ.

---

(١) يعني فلاسفة الصوفية كابن عربي وابن الفارض والعفيف التلمساني القائلين بوحدة الوجود أو الاتحاد وليس كل الصوفية.

(٢) هامش (ص٨٨) من «مصرع التصوف».

◘ وكلام هذا الزنديق يخالفُ تفسيرَ ابنِ عباسٍ لهاتين الآيتيْن؛ إذ قال ﷺ: «نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهدِ رسول اللَّه ﷺ توبيخًا لهم في جُحودهم نبوةَ محمدٍ ﷺ وتكذيبِهم به مع عِلمِهم به ومعرفتِهم بأنه رسولُ اللَّه ﷺ إلى الناس كافةً».

◘ وساق ابنُ جرير بإسنادِه عن ابن عباس ﷺ: «أن صَدْرَ سورة البقرة إلى المئة منها نزل في رجالٍ سمَّاهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبارِ اليهود ومن المنافقين من الأوسِ والخزرج»[1].

*** ذمُّ ابنِ عربيٍّ لنبي اللَّه نوح عليه السلام:**

◘ قال ابنُ عربي: «لو أنَّ نوحًا جمع لقومه بين الدعوتيْن لأجابوه، فدعاهم جِهاراً، ثم دعاهم إسْراراً، ثم قال لهم: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿ .. إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴾، وذَكَر عن قومه أنهم تصامَمُوا عن دعوته، لِعلمهم بما يجبُ عليهم من إجابةِ دعوته، فعِلمُ العلماءِ باللَّه ما أشار إليه نوحٌ عليه السلام في حقِّ قومِه من الثناءِ عليهم بلسانِ الذمِّ[2]، وعَلِم أنهم إنما لَم يُجيبوا دعوته لِمَا فيها من الفرقان، والأمرُ قرآنٌ لا فرقان، ومَن أُقيم في القرآنِ لا يُصغِي إلى الفرقان، وإنْ كان فيه، فإن القرآنَ[3] يتضمَّنُ الفرقانَ، والفرقانَ

(١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (ص٨١، ٨٢)، و«تفسير ابن جرير» (١/ ١٠٨ ـ ١١٥).

(٢) لعن اللَّه القائل هذا، فهو بهذا يذهب إلى ثناء نوح عليه السلام على قومه بعبادتهم للأوثان!!.
وفي هذا من الكفر باللَّه ما فيه.. فحاشا لنبي اللَّه نوح عليه السلام أن يفعل هذا، وقاتل اللَّه ابن عربي الأفاك الزنديق.

(٣) يريد ابن عربي بالقرآن: الجمع بين الحق والخلق، أي: إدراك أنهما وجهان لحقيقة =

لا يتضمَّنُ القرآن، ولهذا ما اختصَّ بالقرآن إلاَّ محمد ﷺ، وهذه الأمةُ التي هي خير أمة أخرجت للناس، فـ ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يَجمعُ الأمرين في أمر واحد، فلو أن نُوحًا أتىٰ بمثلِ هذه الآية لفظًا أجابوه، فإنه شَبَّه ونَزَّه في آيةٍ واحدة، بل في نصف آية، ونوحٌ دعا قومه «ليلاً» من حيث عقولهم، ورُوحانيَّتهم، فإنها غَيبٌ، و«نهاراً» دعاهم أيضًا من حيث ظاهرِ صُورِهم وحسِّهم، وما جمع في الدعوة مِثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فنَفَرت بواطنُهم لهذا الفرقان [فزادهم] فِراراً، ثم قال عن نفسه: إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشفَ لهم، وفهِموا ذلك منه ﷺ، لذلك ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾، وهذه كلُّها صورةُ السِّتر التي دعاهم إليها، فأجابوا دعوتَه بالفعل، لا بلبَّيك، ففي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إثباتُ المِثْلِ ونَفيه، وبهذا قال عن نفسه ﷺ: «إنه أوتي جوامعَ الكَلِم»، فما دعا محمدٌ قومه ليلاً ونهاراً، بل دعاهم ليلاً في نهار، ونهاراً في ليل، فقال نوحٌ في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]، وهي المعارفُ العقليَّةُ في المعاني والنظرِ الاعتباري، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ﴾، أي: بما يَميلُ بكم إليه، فإذا مال بكم إليه، رأيتم صورتَكم فيه، فمن تَخيَّل منكم أنه رآه فما عَرَف، ومَن عَرَف منكم أنه رأىٰ نفسه، فهو العارفُ، فلهذا انقسم الناس

= واحدة سُمِّيت حقًا باعتبار باطنها، وخَلْقًا باعتبار ظاهرها.

ويريد بالفرقان: التفرقة بينهما.

ولهذا يبهت نوحًا عليه بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى اللَّه سبحانه، أو أنه مكر بقومه في دعوته؛ إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجرَّدًا عن الخلق. «قاله الشيخ عبدالرحمن الوكيل هامش (ص٤٦) من «مصرع التصوف» للبقاعي.

إلىٰ غيرِ عالِمٍ، وعالمٍ، ﴿وَوَلَدُهُ﴾ وهو ما أنتجه لهم نظرُهم الفكريُّ، والأمرُ موقوفٌ عِلْمُه علىٰ المشاهَدة، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ لأن الدعوةَ إلىٰ اللَّه تعالىٰ مَكْرٌ بالمدعُوِّ؛ لأنه ما عُدِم من البداية، فيُدعىٰ إلىٰ الغاية ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ فهذا عينُ المكر»[1] .

◻ قال الإمام البقاعي: «فهذا، وأشكالٌ من قوله ـ كما يأتي في الفصِّ اليُوسفي ـ يُدَنْدِن به علىٰ تصحيحِ قولِ الكفار: «إن القرآن سحر»، ولا يقدر علىٰ التصريح به»[2] .

◻ ثم يقولُ ابن عربي: «فقالوا[3] في مكرهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، فإنهم إذا تركوهم جَهِلوا من الحقِّ علىٰ قَدْرِ ما تركوا من هؤلاء، فإن للحقِّ في كلِّ معبودٍ وجهًا يعرفُه مَن عرفه، ويجهلُه مَن جَهِله في المحمديِّين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي: حكَم[4] ، فالعالِمُ يعلمُ مَن عبَد، وفي أيِّ صورةٍ ظَهَر حتىٰ عبد، وإن التفريقَ والكثرة كالأعضاءِ في الصور المحسوسة، وكالقوىٰ المعنويَّة في الصورة الرُّوحانية، فما عُبد غيرُ اللَّه في كلِّ معبود»[5].

◻ وقالُ ابن عربي الزنديق في «الفصِّ النوحي» أيضًا: « ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أيْ: حيَّروهم في تعدادِ الواحد بالوجوه والنِّسب، ﴿وَلا تَزِدِ

---

(١) «فصوص الحكم» (ص٧٧٢).

(٢) «مصرع التصوُّف» (ص٥٠).

(٣) يعني قوم نوحٍ الوثنيين.

(٤) بل أمر ووصَّىٰ.

(٥) «فصوص الحكم» (ص٧٢).

الظَّالِمِينَ﴾[1] لأنفسهم «المصطفَيْن» الذين أُورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة، فقدّمه على المقتصد والسابق ﴿إِلاَّ ضَلالاً﴾ إلاَّ حيرة المُحَمَّدي: «زِدْني فيك تحيُّرًا»[2].

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾[3] فهي التي خَطَت بهم، فغرقوا في بحارِ العلم بالله، وهو الحيْرة.. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾، فكان الله عينَ أنصارِهم، فهلكوا فيه إلى الأبد..»[4].

فأيُّ زندقةٍ وإفكٍ وفجورٍ يحوي كلامُ ابن عربي!!.

◻ قال البقاعيُّ في «مصرع التصوف»: «وقال شيخُ شيوخنا الإمامُ

---

(١) يقصد ويشير إلى الثلاثة الذين ذُكروا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقد سوّى ابن عربي بين مفهوم «الظلم» هنا، وبين مفهوم «الظلم» في قوله: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾، يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عُبَّاد الأصنام من قوم نوح من الذين اصطفاهم الله سبحانه!! ناسيًا عن عمدٍ كفور أن الظلم في قوله سبحانه: ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٥] مُقَيَّد، وأنه هناك مطلق، وأن الظالم لنفسه في الآية مذكور في مقام ثناء بخلاف الظالمين من قوم نوح ذُكروا في مقام الذم.

(٢) لا يصح: قال ابن تيمية في «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٤٥): «لم يرو هذا الحديث أحدٌ من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث».

(٣) يقصد قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، ويُمجِّد الفاجر الزنديق خطايا الوثنيين من قوم نوح، ويزعم أنها خَطَت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة، فعرفوا أنهم أرباب تُعَبد آلهة، ويُفسِّر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم بالله!.

(٤) «فصوص الحكم» (ص٧٢-٧٤).

القدوة العارف شيخ الإسلام حافظُ عصره الشيخ زَينُ الدين عبدُالرحيم بنُ الحُسين العراقي في كرَّاسةٍ أجاب فيها سؤالَ مَن سأله عن بعضِ كلام ابن عربي هذا: «وقوله في قوم نوحٍ ﴿لا تذرُنَّ آلهتكُمْ..﴾ إلى آخره، كلامُ ضلالٍ وشركٍ واتحادٍ وإلحاد، فجَعَلَ تَرْكَهم لعبادةِ الأوثان التي نهاهم نوحٌ عن عبادتها جَهْلاً يُفوِّت عليهم من الحقِّ بقَدْرِ ما تركوا» انتهى[1].

◻ وانظر إلى تحريفه لِمُحكَمِ الذِّكر، ولصريح القرآن، قال: «ألاَ ترى عاداً قومَ هودٍ كيف قالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فظنُّوا خيراً بالله تعالى ـ وهو عند ظنِّ عبده به ـ، فأضرب لهم الحقُّ عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أَتَمُّ وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم، فذلك حظُّ الأرض، وسَقْيُ الحَبِّ، فما يَصلون إلى نتيجةِ ذلك المطر إلاَّ عن بُعد، فقال لهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجعل الريحَ إشارةً إلى ما فيها من الراحة؛ فإنَّ بهذهِ الرِّيح أراحهم مِن هذه الهياكل المظلِمة، والمسالكِ الوَعْرة، والسُّدَفِ المدلهمة، وفي هذه الريحِ عذاب، أي: أمرٌ يستعذبونه، إذا ذاقوه، إلا أنه يُوجِعُهم لغرقةِ المألوف».

وهو يُكذِّبُ أصدقَ القائلين في قوله: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩ ـ ٦٠].

---

(١) «مصرع التصوف» (ص٥٢).

*** كَذِبُ ابنِ عربيٍّ وإفكُه على رسول اللَّه ﷺ:**

◻ انظر إلىٰ بُهتانِ ابن عربي وإفكِه وكَذِبِه أنه يَنسبُ الأقوالَ الكُفرية التي جاء بها في «فصوص الحكم» إلىٰ إذنِ رسول اللَّه ﷺ الماحي لجميعِ الإشراك، المُخَلِّص لِمُتَّبعيه من حبائلِ سائر الأشراك، فقد قال ابن عربي في خُطبةِ كتاب «فصوص الحكم»: «أما بعد، فإني رأيتُ رسول اللَّه ﷺ في مُبَشِّرةٍ [أُريتُها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستِّمئة بمحروسة دمشق] وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتابُ «فصوص الحكم»، خُذْه، واخرجْ به إلىٰ الناس ينتفعوا به، فقلت: السمعُ والطاعة للَّه ولرسوله وأولِي الأمر منَّا كما أُمِرْنا، فحَقَّقتُ الأمنية، وأخلصتُ النيَّة، وجرَّدتُ القصدَ والهمة إلىٰ إبرازِ هذا الكتاب كما حَدَّه لي رسولُ اللَّه ﷺ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصان.. فمِن اللَّه فاسمعوا.. وإلىٰ اللَّه فارجعوا..» انتهىٰ.

ولاشك أن النومَ والرؤيا في حدِّ ذاتهما في حيِّز الممكن، لكن ما أصَّله من مذهبِه الباطل ألزمه أن يكونَ ذلك مُحالاً، وذلك أن عنده أن وجودَ الكائناتِ هو اللَّه، فإذن الكلُّ هو اللَّه لا غير، فلا نبيَّ ولا رسول، ولا مُرسِل، ولا مُرسَل إليه، فلا خفاءَ في امتناعِ النوم علىٰ الواجب، وفي امتناعِ افتقارِ الواجب إلىٰ أن يأمرَه النبيُّ بشيءٍ في المنام، فمن هنا يُعلم أنه لا يتحاشىٰ من التناقضِ لهدمِ الدين بنوعٍ مما أَلِفه أهلُه.. نبَّه علىٰ ذلك الإمام علاء الدين البخاري «فاضحة الملحدين، وناصحة الموحِّدين»..»[1].

---

(١) «مصرع التصوف» (ص٣٧).

* **طَعنُ أبو زُرعَة أحمدَ بنِ شيخ الإسلام العراقي في ابن عربي:**

◻ قال العلامة الفاسي المكي في «العقد الثمين»: «وسئل شيخنا العلاَّمة المحقِّق، الحافظ المفتي، المصنِّف أبو زرعة أحمدُ ابنُ شيخنا الحافظ العراقي الشافعي ـ أبقاه اللَّه تعالىٰ ـ، فقال: لا شكَّ في اشتمالِ «الفصوص» المشهورة علىٰ الكفر الصريح الذي لا يُشَكُّ فيه، وكذلك «فتوحاته المكيَّة»، فإن صحَّ صدورُ ذلك عنه واستمر إلىٰ وفاتِه، فهو كافر مُخَلَّد في النار بلا شك»[1] اهـ.

* **قولُ عزِّ الدين بن عبدالسلام في ابن عربي:**

◻ حكىٰ العلامة ابنُ دقيق العيد أنه سمع الشيخ عزَّ الدين ابنَ عبدالسلام يقول عن ابن عربي أنه: «شيخُ سوءُ كذَّاب، يقول بقِدَم العالَم ولا يُحرِّمُ فَرْجًا».

◻ وقال ابنُ دقيق العيد أيضًا: «سمعت الشيخ عزَّ الدين ـ وجَرَىٰ ذِكرُ ابنِ عربيٍّ الطائي ـ، فقال: هو شيخُ سوء مقبوحٌ كذَّاب»[2] اهـ.

* **قول الذهبي عن ابن عربي:**

◻ «أثَّرَتْ فيه تلك الخَلَواتُ والجُوع فساداً وطَرَفَ جُنون، وصَنَّف التصانيف في تصوُّف الفلاسفة وأهلِ الوحدةِ، فقال أشياء مُنكرة عَدَّها طائفةٌ من العلماء مُروقًا وزندقةً».

◻ ثم قال: «وكذلك من أمعن النظر في «فصوص الحِكَم» أوْ أمعن التأمُّلَ

---

(١) «العقد الثمين» للفاسي (٢/ ١٩٠).

(٢) كتاب «ابن عربي الصوفي» (ص١١٠).

لاح له العَجَب، فإن الذكيَّ إذا تأمَّل في تلك الأقوالِ والنظائر والأشباه، فهو أحدُ رجلين: إمَّا من الاتحادية في الباطن، وإمَّا من المؤمنين باللَّه الذين يَعُدُّون أن هذه النِّحْلةَ من أكفرِ الكفر.. نسأل اللَّهَ العفو، وأن يكتبَ الإيمانَ في قلوبنا، وأن يُثبِّتنا بالقولِ الثابت في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة، فواللَّهِ لأنْ يعيشَ مُسْلِمٌ جاهِلاً خَلْفَ البقر لا يَعرِفُ من العِلمِ شيئًا سوى سُورٍ من القرآن يُصلِّي بها الصلوات ويؤمنُ باللَّه واليوم الآخر: خيرٌ له بكثيرٍ من هذا العِرْفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مئةَ كتاب أو عمل مئة خلوة»[1] اهـ.

◘ وقال عنه في «سير أعلام النبلاء»: «تَزَهَّد، وتفرَّد، وتعبَّد، وتوحَّد، وسافر، وتجرَّد، وأَتْهَمَ، وأَنْجَدَ، وعَمِلَ الخَلَوات، وعلَّق شيئًا كثيرًا في تصوُّفِ أهلِ الوحدة، ومَن أراد تواليفه فعليه بكتاب «الفصوص»، فإنْ كان لا كُفرَ فيه، فما في الدنيا كُفر، نسأل اللَّه العفوَ والنجاة، فواغوثاه باللَّه، وقد عظَّمه جماعةٌ، وتكلَّفوا لِمَا صَدَر منه ببعيد الاحتمالات»[2].

◘ ثم نقل قولَ عزِّ الدين بن عبدالسلام عنه بأنه «شيخُ سُوءٍ كذَّابٌ، يقول بقدَمِ العالم ولا يُحرِّمُ فَرْجًا».

◘ وقال الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» بعد خطِّ الحافظ سيف الدين ابن المجد علي الحريري المتصوِّف: «فكيف لو رأىٰ الشيخُ كلامَ ابنِ عربيٍّ الذي هو مَحضُ الكفرِ والزندقة، لقال: «هذا الدجَّال المنتظَر»، ولكن كان ابنُ عربي منقطِعًا عن الناس، إنما يجتمعُ به آحادُ الاتحادية، ولا يُصرِّح بأمرِهِ لكلِّ أحد، ولم تُشتَهَرْ كُتُبه إلاَّ بعد موته، ولهذا تمادَىٰ أمرُه، فلما كان

---

(١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٦٥٩-٦٦٠) ترجمة (٧٩٨٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٤٨-٤٩) ترجمة (٣٤).

علىٰ رأس السَّبعمئة جَدَّد اللَّهُ لهذه الأمة دينَها بهتْكِه وفضيحتِه، ودار بين العلماء كتابُه «الفصوص»، وقد حَطَّ عليه الشيخُ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد الجُعْبَري فيما حَدَّثني به شيخُنا ابنُ تيمية عن التاج البارنباري أنه سمع الشيخ إبراهيم يذكر ابن عربي: كان يقولُ بقِدَم العالَم، ولا يُحرِّمُ فرْجًا، وحكىٰ عنه ابنُ تيمية أنه لما اجتمع بابن عربيٍّ قال: رأيتُ شيخًا نَجِسًا يُكذِّب بكلِّ كتابٍ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيٍّ أرسله اللَّه»[1] .

* رأيُ شيخ الإسلام البُلقِيني في ابن عربي:

◻ قال الإمام البقاعي بعد نقله طائفةً ممَّن كفَّروا ابن عربي: «ومنهم شيخُنا شيخُ الإسلام حافظُ عصرِه قاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر، وشيخُه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رَسْلان البُلقيني، فقال في ترجمة عمرَ بنِ الفارضي في «لسان الميزان» بعد أن ذكر ترجمة الذهبيِّ له بأنه شيخُ الاتحادية، وأنه يَنعِقُ بالاتِّحاد الصريح في شِعره: «وقد كنتُ سألتُ شيخَنا سراجَ الدين البُلقِيني عن ابن عربي، فبادَرَ بالجواب بأنه كافر، فسألتُه عن ابنِ الفارض، فقال: لا أحبُّ التَّكَلُّمَ فيه، فقلتُ: فما الفرقُ بينهما، والمَهْيَعُ واحد؟! وأنشدتُه من «التائية»، فقطع عليَّ بعد إنشادِ عِدَّةِ أبياتٍ بقوله: هذا كُفرٌ، هذا كفر». . »[2] .

* قول الحافظ ابن حجر العسقلاني فيه:

◻ قال الحافظُ ابنُ حجر في «اللسان» بعد أن نَقَل قولَ الذهبي في

(١) «تاريخ الإسلام»، و«مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٤/ ٧٦)، و«مصرع التصوف» للبقاعي (ص١٧٨).

(٢) «لسان الميزان»، و«مصرع التصوف» (ص١٧٦).

«ميزان الاعتدال»: «وكان ظاهريَّ المذهب في العباداتِ، باطنيَّ النظر في الاعتقادات..».

◻ إلى أن قال: «وله مصنَّفاتٌ عديدة وشِعرٌ كثير، وله أصحابٌ يعتقدون فيه اعتقادًا عظيمًا مُفرِطًا يتغالَون فيه، وهو عندهم نحوُ درجةِ النبوة، ولم يَصحَبْه أحدٌ إلاَّ وتغالى فيه، ولا يَخرجُ عنه أبدًا، ولا يُفضِّل عليه غيرَه، ولا يُساوِي به أحدًا من أهل زمانه، وتصانيفُه لا يُفهم منها إلاَّ القليل، وفي تصانيفه كلماتٌ ينبو السمعُ عنها، وزَعَم أصحابُه أن لها معنًى باطنيًّا غيرَ الظاهر»[1] اهـ.

* **دعاءٌ ومباهلة:**

◻ قال البِقاعيُّ بعد انتهائه من نَقدِ «فصوص الحكم»: «هذا آخِرُ الكتاب، المباعِدِ للصواب، المرادِ للشكِّ والارتياب، لَعنةُ اللَّه على معتقِده، ورحمةُ اللَّه على منتقِده، قد تم ـ ولِلَّه الحمد ـ ما أردتُ انتقاده منه، مُتَرْجِمًا بسُوء السيرة وقُبحِ السريرة عنه، وانتهى ما وَقَع انتقادي عليه، وأدَّاني اجتهادي إليه: من واضحِ كُفره، ودقيقِ مَكْرِه، وَجَلِيِّ شره، أعاذنا اللَّه بحولِه وقوَّته من شُكوكه، وعَصَمَنا مِن زَيغِ طريقه، وباعَدَنا من سُلوكه، ورأيتُ أن أختم ذلك بحكايةٍ طالَما حدَّثَنا بها شيخُنا شيخُ الإسلام حافظُ العصر، قاضي القضاة، أبو الفضل شهابُ الدين أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ حَجَرَ الكناني، العسقلاني الأصل، المصري الشافعي، ثُم رأيتُها منقولةً عن كتابِ الحافظ تقيِّ الدين الفاسي في تكفيرِ ابن عربي، وقد أصلَحَ شيخنا بعضَها

(١) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني (٥/ ٣١١ـ٣١٥).

بخطِّه، قال: كان في أيام الظاهر برقوق شخصٌ يقال له: «ابنُ الأمين»، شديدُ التعصُّبِ لابن عربي صاحبِ هذا «الفصوص»؛ وكنتُ أنا كثيرَ البيانِ لعَوَاره، والإظهارِ لعارِه وعِثاره، وكان بمصرَ شيخ يقال له: «الشيخ صفا»، وكان مقرَّبًا عند الظاهر، فهدَّدني المذكورُ بأنه يُعرِّفه بي، ليذكرَ للسطان أن بمصرَ جماعةً ـ أنا منهم ـ يذكرون الصالحين بالسوء، ونحو ذلك، وكانت تلك الأيامُ شديدةَ المظالمِ والمصائبِ والمغارم، وكنتُ ذا مالٍ، فخِفتُ عاقبتَه، وخَشِيتُ غائلتَه، فقلتُ: إنَّ هنا ما هو أقربُ مما تريد، وهو أن بعضَ الحُفَّاظِ قال: إنه وقع الاستقراءُ بأنه ما تَباهَلَ اثنان على شيء، فحال الحَولُ على المُبْطِلِ منهما، فَهَلُمَّ، فلنتباهلْ، لِيُعْلَم المُحِقُّ منا من المُبطِل، فتباهلتُ أنا وهو، فقلت له: قل: اللَّهمَّ إنْ كان ابنُ عربيٍّ على ضلال، فالْعنِّي بلعنتك، فقاله، فقلتُ أنا: اللَّهم إن كان ابنُ عربيٍّ على هُدًى فالعني بلعنتك.. وافترقنا، وكان يسكن «الرَّوضة»، فاستضافه شخصٌ من أبناء الجُند جميلُ الصورة، ثم بدا له أن يتركَهم، فخرج في أولِ الليل، فخرجوا يُشيِّعونه فأحسَّ بشيء مَرَّ على رِجله، فقال لأصحابه: مَرَّ على رِجله شيءٌ ناعم، فانظروا ما هو؟ فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فذهب، فما وصل إلى منزلِه إلاَّ وقد عَمِيَ، ولَم يُصبِحْ إلاَّ وهو مَيتٌ، وكان ذلك في ذِي القَعدة سنةَ سبعٍ وتسعين وسَبْعمئة، وكانت المباهلةُ في رمضانَ منها، قال: وكنتُ عند وقوعِ المباهلة عرَّفتُ مَن حضَر أنَّ مَن كان مُبْطِلاً في المباهلة لا تمضي عليه السَّنة، فكان وللَّه الحمد ذلك، واسترحتُ من شرِّه، وأَمِنتُ من عاقبةِ مكره»[1].

---

(١) «مصرع التصوف» (ص١٤٩ـ ١٥٠).

☐ وقال العلاَّمة الإمامُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: «محيي الدين ابنُ عربي صاحبُ «الفصوص» وغيره».. ثم ذكر اسمه ونسبه، ثم قال: «طاف البلاد، وأقام بمكة مدَّةً، وصَنَّف فيها كتابَه المسمَّىٰ بـ «الفتوحات المكية» في نحو عشرين مُجَلَّدًا منها ما هو يُعْقَل، وما لا يُعقَل، وما يُنكَرُ وما لا يُنكَر، وما يُعرَف وما لا يُعرَف، وله كتابُه المسمَّىٰ بـ «فصوص الحكم» فيه أشياءُ كثيرةٌ ظاهرُها كفرٌ صريح»[1] .

☐ وقال ابنُ طولون[2] في «القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصالحية»[3] عن العلماءِ الذين يعتقدون ضلاله: «وفرقةٌ تعتقدُ ضلالَه، وتَعُدُّه مبتدعًا اتحاديًّا كافرًا، وهم غالبُ فقهاءِ أبناء العرب وجميعُ المحدِّثين، وقد سَمِعَتُ ـ وعدَّهم بعضُ المتأخِّرين إلىٰ نحو خَمْسِمئةٍ ـ، ومنهم: قاضي القضاة تقيُّ الدين عبدُالرحمن بن قاضي القضاة تاجِ الدين عبدِالوهَّابِ بنِ بنتِ الأعزِّ المصري، والعلاَّمةُ شهابُ الدين أحمدُ بنُ حَمْدان الحرَّاني نزيلُ حلَب، وعلاَّمةُ زمانِه تقيُّ الدين ابن تيميَّة، والعلاَّمةُ كمالُ الدِّين جعفرُ الإِدْفَوي، والعلاَّمة شهابُ الدين أحمدُ بنُ يحيىٰ بنِ أبيٍّ، والحافظُ عمادُ الدينِ بنُ كثير، ونادَرةُ زمانِه عِلمًا وعملاً علاءُ الدِّين محمد البخاري، وقاضي القضاة وليُّ الدين أبو زُرعةَ أحمد العراقي، وقاضي القضاء بَدرُ الدين محمودٌ العَيني، وشيخُ الإِسلام شمسُ الدين البلاطنسي، والعلاَّمة محمدُ ابنُ إمام الكاملية الصُّوفي، وحافظُ العصر شهابُ الدين أحمدُ بنُ حجر،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٥٦).

(٢) المتوفىٰ سنة ٩٥٣هـ.

(٣) (٢/ ٥٣٨ـ٥٣٩).

والفقيهُ الأصوليُّ تقيُّ الدين بنُ الصلاح، وقاضي القضاة تقيُّ الدين بنُ دقيق العيد، وقاضي القضاة بَدرُ الدين بن جَماعة، وشيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكي»[1] اهـ.

◻ ومِمَّن كفَّره من العلماء الشيخُ العلامة محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ ابنِ عليِّ بنِ يوسف المعروف بابن الجَزَري الشافعي[2] .

◻ وممن تابعهم في الإنكار الشيخُ الإمامُ بركةُ الإسلام قُطبُ الدين ابنُ القُسْطَلاَّني، وحَذَّرَ الناسَ من تصديقه، وبيَّن في مصنَّفاته فسادَ قاعدتِه، وضلالَ طريقهِ في كتابٍ سماه بـ: «الارتباط»، ذَكر فيه جماعةً من هؤلاء الأغماط، ومنهم قاضي القضاة قُدوةُ أهلِ التصوف إمامُ الشافعية بدرُ الدين محمد بن جَماعة قال: «وحاشا رسولَ اللَّه ﷺ أن يأذنَ في المنامِ فيما يُخالفُ، أو يضادُّ قواعدَ الإسلام[3] ، بلْ ذلك من وساوسِ الشيطانِ ومِحنته، وتلاعُبِه برأيه وفِتنته، وأمَّا إنكارُه ـ يعني ابن عربي ـ ما وَرَد في الكتاب والسُّنة من الوعيد، فهو كافرٌ به عند علماءِ التوحيد، وكذلك قولُه في نوح وهود ـ عليهما السلام ـ قولٌ لَغوٌ باطلٌ مردودٌ»[4] .

◻ والقدوةُ العارفُ عمادُ الدين أحمدُ بنُ إبراهيم الواسطي[5] ، وقال:

---

(١) نقلاً عن «مصرع التصوف» (ص١٥١).

(٢) وُلِد بدمشق سنة ٧٥١هـ، وتُوفي سنة ٨١٤هـ.

(٣) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول ﷺ في النوم، وأنه قال له: هذا كتاب الفصوص خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائية الكبرى.

(٤) انظر نص هذه الفتوى في «العلم الشامخ» للمقبلي (ص٤٩٤).

(٥) ولد سنة ٦٥٧ وتُوفي سنة ٧١١هـ.

«إنه عَلَّق في ذَمِّ هذه الطائفة[1] ثلاثَ كراريس، الأول سماه: «البيان المفيد في الفَرق بين الإلحاد والتوحيد»، والثاني: «لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد»، والثالث: «أشعة النصوص في هَتك أستار الفصوص».

كلُّ ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرةٍ، يَحذَرون مِن طُرُقِهم وزَندقتِهم، وحاصل ذلك كلِّه بكلامٍ وجيزٍ مختصر: «أن هؤلاء جَميعَ ما يُبدونه من الكلامِ الحَسَن في مصنفاتهم إنما هو ربطٌ واستجلاب، فإن الدعاةَ إلى البدعةِ إنْ لم يكونوا ذَوِي بصيرةٍ يَستدرِجون الخَلْقَ في دَعوتهم، حتى يَحُلُّوهم عن أديانهم لا يستجابُ لهم.

هذا ابنُ عربي، عنده في أصوله: أنه يَجعلُ المعدوماتِ أشياءَ ثابتةً - عُلويَّها وسُفْليَّها - قبلَ وجودِها، فهي عنده ثابتةٌ في القِدم، لكن ليس لها وجود، ثم أفاض الحقُّ عليها من وجوده الذاتيِّ، فقَبِلَ كلُّ موجودٍ مِن وجودِ عينِ الحقِّ بحسب استعداده، فظهر الكونُ بعينِ وجودِ الحق، فكان الظاهرُ هو الحق، فعنده: أنه لا وجودَ إلا للحقِّ، ويستحيلُ عنده أن يكونَ ثَمَّ وجودٌ مُحدَث، كما يقولُه أهلُ الحق، فإنهم يقولون: «وجودٌ قديم، ووجودٌ حادث»، وهذا عنده، وعند أصحابه: أنه ليس بوجود حادث، وليس ثَم إلاَّ وجودُ الحقِّ الذاتي، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات، وهو من حديثُ الوجودِ عينُ الموجداتِ، ومَن شك أنَّ هذا اعتقاده، فليراجع كتابَه «الفصوص»[2] وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ

---

(١) طائفة ابن عربي ومن دان دينه.

(٢) «فصوص الحكم» (ص٧٦).

وجودِ الحق، كان هو الظاهرَ فيها بحكم الوجود، وكانت هي الظاهرَ فيه بحكم الأسماء، فإنها كثيرةٌ متعدِّدة[١]، وعنده أن الكونَ افتقَر إلى الحقِّ بسبب إفاضةِ الوجود، وأن الحقَّ أيضًا افتَقر إلى الكونِ لظهورِ أسمائه، وكلٌّ منهما يَعبدُ الآخر».

▫ ومِن جوابه: «وقولُه في قومِ هود كفرٌ؛ لأن اللَّه تعالىٰ أخبَرَ في القرآن العظيم عن عادٍ: أنهم كَفَروا بربهم، والكفارُ ليسوا علىٰ صراطٍ مستقيم، فالقول بأنهم كانوا عليه، مكذِّبٌ لصريحِ القرآن، ويأثمُ مَن سَمِعه، ولَم ينكِرْه إذا كان مكلَّفًا، وإنْ رَضِيَ به كَفَر».

*** ومنهم أبو حيَّان الأندلسي:**

الإمام أبو حيانَ محمدُ بنُ يوسفَ الأندلسي[٢]، ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالىٰ: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة: ١٧] الآية في أوئلها: «ومِن بعضِ اعتقادِ النصارىٰ استَنْبَطَ مَن أقرَّ[٣] بالإسلامِ ظاهرًا، وانتمىٰ إلىٰ الصوفية: حلولَ اللَّه في الصورِ الجميلة، ومَن ذهب مِن ملاحِدَتهم إلىٰ القولِ بالاتِّحاد والوحدة: كالحلاَّج

(١) قال القاشاني في «شرح الفصوص»: «للذاتِ بحسب كلِّ عينٍ اسمٌ، وتلك الأعيانُ أيضًا أسامٍ، لكونها عينَ الذات مع التعين»، ويقول ابن عربي: «فأسماؤنا أسماء اللَّه تعالىٰ».

(٢) ولد سنة ٦٥٤هـ. قال عنه الذهبي: «حجة العرب وعالم الديار المصرية»، كان من خلصاء ابن تيمية، حتىٰ لقد امتدحه بقصيدة منها:

قام ابنُ تيميةٍ في نَصرِ شرْعتِنا ... مقامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إذ عَصَت مُضَرُ

وفي مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيبويه، فلم يطقها منه أبو حيان، فكان أن بَهَتَه أبو حيان في تفسيره «البحر».

(٣) في «البحر»: تستر.

والشُعوذي وابنِ أحلى وابن عربيٍّ المقيم بدمشق، وابنِ الفارض، وأتباعِ هؤلاء كابن سبعين، والتُّستري تلميذِه، وابن مطرف المقيم بمرسية، والصَّفَّار المقتول بغرناطة، وابنِ اللبَّاج، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة، ومَن رأيناه يَرمي بهذا المذهب الملعون: العفيفُ التِّلمساني، وله في ذلك أشعارُ كثيرة، وابنُ عياش المالقي الأسودُ الأقطعُ المقيم كان بدمشق، وعبدُالواحد بنُ المؤخَّر المقيم كان بصعيد مصر، والأيكي العَجَمي الذي كان تولَّى المشيخة بخانقاه سعيدِ السعداء بالقاهرة من ديارِ مصر، وأبو يعقوب بن مبشِّر تلميذُ التسْتَري المقيم كان بحارة زويلة، والشريف عبدُالعزيز المنوفي، وتلميذُه عبدُالغفار القُوصي.

وإنما سَردتُ هؤلاء نُصحًا لدين اللَّه، يَعلمُ اللَّه ذلك، وشَفقةً على ضُعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شرٌّ من الفلاسفة الذين يُكذِّبون اللَّهَ ورُسُلَه، ويقولون بقِدَمِ العالَم ويُنكرون البعث، وقد أولع جَهَلَةٌ ممن يَنتمي إلى التصوُّفِ بتعظيمِ هؤلاء، وادِّعائهم أنهم صَفوةُ اللَّه وأولياؤه، والردُّ على النصارى، والحلوليةِ والقائلين بالوحدة هو من علمِ أصول الدين»[1].

* ومنهم شيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكي:

◻ قال العلاَّمة قاضي القضاة شيخُ الإسلام تقيُّ الدين عليُّ بنُ عبدِالكافي السُّبكي الشافعي: «ومَن كان مِن هؤلاءِ الصوفيةِ المتأخِّرين كابنِ عربيٍّ وغيره، فهم ضُلاَّلٌ جُهَّال، خارِجون عن طريقةِ الإسلام، فضلاً عن العلماء».

(١) انظر تفسير سورة المائدة من «البحر» لأبي حيَّان.

قال ذلك في «باب الوصيَّة» من «شرح المنهاج»، ونَقَله الكمالُ الدُّمَيْري، والتقيُّ الحصني.

◻ وقال الحافظ تقيُّ الدين الفاسي في كتابه فيه: «وقد أحرقتُ كتبَ ابنِ عربيٍّ غيرَ مرَّةٍ».

◻ ومنهم العلاَّمة القاضي شَرَفُ الدين عيسىٰ بنُ مسعود الزواوي[1] المالكي شارح «صحيح مسلم»، فقال[2]: «وأما ما تضمَّنه هذا التصنيفُ من الهذيان، والكفرِ والبهتان، فهو كلُّه تلبيسٌ وضَلال، وتحريفٌ وتبديل، فمن صَدَّق بذلك واعتقد صحَّته كان كافرًا ملحدًا، صادًّا عن سبيل اللَّه، مخالفًا لسُنَّةِ رسولِ اللَّه ﷺ، مُلحِدًا في آيات اللَّه، مُبَدِّلاً لكلماته، فإنْ أظهرَ ذلك، وناظَرَ عليه، كان كافرًا يُستتاب، فإن تاب، وإلاَّ قُتِل، وإن أَخفىٰ ذلك، وأسرَّه كان زنديقًا، فيُقتل متىٰ ظَهَر عليه، ولا تُقبل توبتُه إن تاب؛ لأن توبتَه لا تُعرف، فقد كان قَبلَ أن يظهرَ عليه يقولُ بخلافِ ما يُبطِن، فعُلم بالظهور عليه خُبثُ باطنِه، وهؤلاء قومٌ يسمَّون «الباطنية»، لَم يزالوا من قديمِ الزمان ضُلاَّلاً في الأمة، معروفِين بالخروج من المِلَّة، يُقتلون متىٰ ظَهَر عليهم، ويُنفَون من الأرض، وعادتُهم التَّمَصْلح والتديُّن، وادعاءُ التحقيق، وهم علىٰ أسوإ طريق، فالحذرَ كلَّ الحذرِ منهم، فإنهم أعداءُ اللَّه، وشرٌّ من اليهودِ والنصارىٰ؛ لأنهم قومٌ لا دينَ لهم يتَّبِعونه، ولا ربَّ

---

(١) ولد سنة ٦٦٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٣هـ، وانتهت إليه رئاسة الفتوىٰ في المذهب المالكي بمصر والشام، وقد شرح «صحيح مسلم» في اثني عشر مجلَّدًا وسماه «إكمال الإكمال».

(٢) انظر نص الفتوىٰ في «العلم الشامخ» (ص٤٩٨).

يَعبُدونه، وواجبٌ على كلٍّ مَن ظَهَر على أحدٍ منهم أن يُنهِيَ أمرَه إلى ولاة المسلمين، ليحكموا فيه بحكمِ اللَّه تعالى، ويجبُ على مَن وَلِيَ الأمر إذا سَمِع بهذا التصنيف البحثُ عنه، وجَمْعُ نُسَخِه حيثُ وَجَدها وإحراقُها، وأدَّب مَن اتُّهم بهذا المذهب، أو تسبَّب إليه، أو عُرِف به، على قَدْرِ قُوَّةِ التهمةِ عليه؛ حتى يعرفَه الناسُ ويَحذروه».

▫ ومنهم الشيخ الإمامُ المحقِّق الزاهدُ القدوةُ العارفُ نورُ الدين عليُّ ابنُ يعقوب البكري الشافعي، قال: «وأما تصنيفٌ تُذكر فيه هذه الأقوال، ويكون المرادُ بها ظاهرُها، فصاحبُها ألعَنُ وأقبحُ مِن أن يُتَأَوَّل له ذلك، بل هو كاذبٌ فاجر، كافرٌ في القول والاعتقاد، ظاهراً وباطنًا، وإن كان قائلُها لَم يُرِد ظاهرها، فهو كافرٌ بقوله، ضالٌّ بجهله، ولا يُعذَرُ في تأويلِه لتلك الألفاظ إلاَّ أن يكون جاهلاً بالأحكام جَهلاً تامًّا عامًّا، ولا يُعْذَرُ في جهلِه لمعصيته، لعدمِ مراجعةِ العلماءِ والتصانيفِ على الوجهِ الواجبِ من المعرفةِ في حقِّ مَن يَخوضُ في أمرِ الرُّسُل ومُتَّبعيهم، أعني معرفةَ الأدبِ في التعبيرات، على أنَّ في هذه الألفاظِ ما يتعذَّر، أو يتعسَّرُ تأويله، بل كلُّها كذلك، وبتقديرِ التأويل على وجهٍ يصحُّ في المراد، فهو كافرٌ بإطلاقِ اللفظ على الوجهِ الذي شرحناه.. وأما دلائلُ ذلك، فهي مذكورةٌ في تصانيفِ العلماء، وفيما أَلَّفتُه أيضًا في بعض المسائل، وليست هذه الورقةُ مما تَسَعُ الكلامَ على أقوالِ هذا المصنَّف[1] لفظةً لفظة».

---

(١) يعني: «فصوص الحِكَم».

* **ابن هشام النحوي:**

◻ ومنهم العلاَّمة جمالُ الدين عبداللَّه بن يوسف بن هشام[1] صاحبُ «المغني» وغيره من المصنفات البديعة، وكَتَب على نُسخةٍ من كتاب «الفصوص»:

هذا الذي بـضـلالـه ضلَّت أوائلُ معْ أواخرْ
مَن ظنَّ فيه غيـرَ ذا فلْيناْ عني، فـهـو كافرْ

هذا كتاب فصوص الظُّلَم، ونَقِيضُ الحِكَم، وضلالُ الأمم، كتابٌ يَعجزُ الذمُّ عن وصفِه، قد اكتنفه الباطلُ من بين يديه ومن خَلفه، لقد ضَلَّ مؤلِّفُه ضلالاً بعيداً، وخَسِر خُسرانًا مبينًا؛ لأنه مُخالفٌ لِمَا أرسل اللَّه به رُسُلَه، وأنزل به كُتُبَه، وفَطَر عليه خَليقتَه» اهـ.

* **ابنُ خلدون:**

◻ ومنهم العلاَّمة قاضي القضاة أبو زيد عبدُالرحمن بنُ خلدون[2] ، حيث قال: «إنَّ طريقَ المتصوِّفةِ منحصرٌ في طريقتَيْن:

الأولى: وهي طريقة السُّنَّة، طريقةُ سَلَفِهم الجاريةُ على الكتاب والسُّنَّة[3] ، والاقتداءِ بالسَّلف الصالح من الصحابة والتابعين.

---

(١) ولد سنة ٧٠٨هـ وتوفي سنة ٧٦١هـ، يقول عنه ابن خلدوان: «ما زلنا ـ ونحن بالمغرب ـ نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له: ابن هشام، أنحى من سيبويه».

(٢) ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ تولى قضاء المالكية بمصر، يقول عنه المستشرق ديبور في كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام»: «مفكر متزن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية، وكثيراً ما يعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة بمبادئ الدين».

(٣) لم يُسَمَّ واحد من الصحابة ولا التابعين «صوفيًا»، وهذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة

والطريقة الثانية: وهي مَشُوبةٌ بالبدع، وهي طريقةُ قومٍ من المتأخِّرين، يجعلون الطريقةَ الأولىٰ وسيلةً إلىٰ كشفِ حِجابِ الحِسِّ؛ لأنها من نتائجها.

ومن هؤلاء المتصوِّفة: ابن عربي، وابن سبعين، وابن بَرْجان وأتباعُهم ممَّن سَلَكَ سبيلَهم، ودانَ بنِحْلتِهم، ولهم تواليفُ كثيرةٌ يتداولونها مشحونةٌ بصريحِ الكفر ومستهجَنِ البدع، وتأويلِ الظاهر لذلك علىٰ أبعدِ الوجوه، وأقبحها مما يَستغربُ الناظرُ فيها من نِسبتها إلىٰ المِلَّة، أوْ عَدِّها في الشريعة، وليس ثناءُ أحدٍ علىٰ هؤلاء حُجَّة، ولو بَلَغ المُثني ما عَسَىٰ أن يَبلغَ من الفضلِ؛ لأن الكتاب والسنَّة أبلغُ فضلاً أو شهادةً من كل أحد.

وأما حُكم هذه الكتب المتضمِّنة لتلك العقائد المُضِلَّة، وما يوجَدُ من نُسخها بأيدي الناس مثل «الفصوص» و«الفتوحات المكية» لابن عربي و«البد» لابن سبعين ، و«خلع النَّعْلَيْن» لابن قسي، و«عين الرجاء» لابن برجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني، وأمثالهما أن يُلحَقَ بهذه الكتب، وكذا شرحُ ابن الفرغاني للقصيدة «التائية» من نَظْم ابنِ الفارض، فالحكمُ في هذه الكتب وأمثالِها إذهابُ أعيانها متىٰ وُجِدَت بالتحريق بالنار، والغسلِ بالماء، حتىٰ يمنحيَ أثرُ الكتاب؛ لِمَا في ذلك من المصلحةِ العامَّةِ في الدين بمَحْوِ العقائد المُختَلَقه، فيتعيَّنُ علىٰ وليِّ الأمر إحراقُ هذه الكتبِ دَفْعًا للمَفْسَدةِ العامَّةِ، ويتعيَّنُ علىٰ مَن كانت عنده

= في الملة كما يقول ابن خلدون. ولكن ابن خلدون يعني هنا أولياء الرحمن كالجنيد وإبراهيم بن أدهم وسهل بن عبدالله التستري، وقد أثنىٰ عليهم ابن تيمية وعلماء الأمة.

التمكينُ منها للإحراق»[1] .

*** عزُّ الدين بنُ عبدالسلام:**

□ قال شيخُ الإسلام عمادُ الدين إسماعيلُ بن كثير من لفظه غيرَ مرة: «حدَّثني شيخُ الإسلام العلاَّمة قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِالكافي السُّبكي، حَدَّثنا الشيخُ العلاَّمة شيخُ الشيوخ قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الفتح مُحمدُ بنُ عليٍّ القُشيريُّ المعروف بابن دقيق العيد القائلُ في آخرِ عمره: لي أربعون سنةً ما تكلَّمتُ بكلمةٍ إلاَّ أعددتُ لها جوابًا بين يدي اللَّه تعالى، قال: سألت شيخَنا سلطانَ العلماء عزَّ الدين أبا مُحمدٍ عبدَالعزيز بنَ عبدِالسلام الدمشقيَّ عن ابن عربي، فقال: شيخُ سَوءٍ كذَّاب، يقولُ بقِدَمِ العالَم، ولا يُحرِّمُ فرجًا».

□ وقال ابنُ تيمية في جوابِ السيف السعودي: «فكفَّره الفقيه أبو محمدٍ بذلك، ولَم يكن بَعْدُ ظَهَرَ من قوله: إنَّ العالَم هو اللَّه، والعالَمَ صورةُ اللَّه، وهُوِيَّةُ اللَّه».

*** شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة يَكشِفُ عَوَارَ ابنِ عربيٍّ ومَن تابَعَه مِن أهلِ وِحدة الوجود:**

□ سُئِل ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «ما تقولُ السادةُ العلماءُ أئمةُ الدين وهُداةُ المسلمين، في كتابٍ بين أظهرِ الناس، زَعَم مُصنِّفُه أنه وَضَعه وأخرجه للناس بإذن النبيِّ ﷺ، في منامٍ زَعَم أنه رآه، وأكثَرُ كتابِه ضدٌّ لِمَا أنزله اللَّه مِن كُتبه المنزَّلة، وعكسٌ وضدٌّ عن أقوالِ أنبيائه المرسَلة؛ فمما قال

---

(١) «العلم الشامخ» (ص٥٠٠)، و«مصرع التصوف» (١٦٥ـ١٦٨).

فيه: «إن آدم عليه السلام إنما سُمِّي «إنسانًا» لأنه للحقِّ تعالى بمنزلة إنسانِ العينِ من العين، الذي يكون به النظر».. وقال في موضعٍ آخر: «إنَّ الحقَّ المنزَّه هو الخَلْقُ المُشبَّه».. وقال في قوم نوح عليه السلام: «إنهم لو تركوا عبادتَهم لوُدٍّ، وسُواعٍ، ويَغوثَ، ويَعُوقَ، ونَسرٍ: لَجَهِلوا من الحقِّ بقَدْرِ ما تركوا من هؤلاء»، ثم قال: «فإن للحقِّ في كلِّ معبودٍ وجهًا، يعرفُه مَن عَرَفه، ويَجهلُه مَن جَهِله، فالعالِمُ يعلم مَن عَبَد، وفي أيِّ صورةٍ ظَهَر حتى [عُبِد]، وإن التفريق والكثرة: كالأعضاء في الصورة المحسوسة».

ثم قال في قوم هود عليه السلام: «بأنهم حَصَلوا في عينِ القُرب، فزالَ البُعد، فزال مسمَّى «جهنم» في حقِّهم، ففازوا بنعيمِ القُرب من جهةِ الاستحقاقِ بما أعطاهم هذا المَقامُ الذوقيُّ اللذيذ من جِهةِ المِنَّة، فإنما أخذوه بما استحقَّته حقائقُهم من أعمالِهم التي كانوا عليها، وكانوا على صراطِ الربِّ المستقيم».

ثُم إنه أنكر فيه حُكمَ الوعيد، في حقِّ كلِّ مَن حقَّت [عليه] كلمةُ العذاب من سائر العبيد، فهل يَكفُرُ مَن يُصدِّقُه في ذلك أم لا، أو يَرضى به منه أم لا؟ وهل يأثمُ سامعُه إذا كان عاقلاً بالغًا ولم يُنكِرْه بلسانِه أو قلبه أم لا؟.

أفتونا بالوضوح والبيان، كما أُخذ الميثاق للتبيان، فقد أضرَّ الإهمالُ بالضعفاءِ والجُهَّال، وباللَّه المستعان، وعليه الاتكالُ أن يُعجِّل بالملحدين النَّكال؛ لصلاحِ الحال، وحَسْم مادة الضلال.

☐ فأجاب: الحمد للَّه، هذه الكلماتُ المذكورة المنكورة، كلُّ كلمةٍ منها هي من الكفر، الذي لا نِزاعَ فيه بين أهلِ المِلل؛ من المسلمين؛ واليهود

والنصارىٰ؛ فضلاً عن كونِه كفراً في شريعة الإسلام.

فإن قولَ القائل: «إن آدمَ للحقِّ تعالىٰ بمنزلةِ إنسانِ العَين من العين، الذي يكونُ به النظر»: يقتضي أن آدمَ جُزءٌ من الحقِّ تعالىٰ وتقدَّس، وبعضٌ منه، وأنه أفضلُ أجزائِه وأبعاضِه؛ وهذا هو حقيقةُ مذهبِ هؤلاء القوم، وهو معروفٌ من أقوالهم.

الكلمةُ الثانية: تُوافِقُ ذلك، وهو قوله: «إن الحقَّ المنزَّه، هو الخَلقُ المشبَّه».

ولهذا قال في تمام ذلك: «فالأمرُ الخالقُ المخلوق، والأمرُ المخلوقُ الخالق، كلُّ ذلك من عينٍ واحدة، لا بل هو العينُ الواحدة، وهو العيونُ الكثيرة ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ والولدُ عينُ أبيه، فما رَأَىٰ يَذبحُ سوىٰ نفسِه ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فظهر بصورة كبش: مَن ظَهَر بصورةِ إنسان وظَهَر بصورةٍ؛ لا بحكم ولدِ مَن هو عينُ الوالد، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فما نكح سوىٰ نفسه».

وقال في موضع: «وهو الباطنُ عن كلِّ فهم، إلاَّ عن فهمِ مَن قال: إن العالَم صورتُه وهُويته».

وقال: «ومن أسمائه الحسنىٰ «العَلِيُّ»، علىٰ مَن! وما ثَم إلاَّ هو، وعن ماذا! وما هو إلاَّ هو، فعُلُوُّه لنفسه، وهو من حيثُ الوجودِ عينُ الموجودات، فالمسمَّىٰ مُحدَثات هي العليَّة لذاتها، وليست إلاَّ هو»، إلىٰ أن قال: «فهو عينُ ما ظَهَر، وهو عينُ ما بَطَن في حالِ ظُهوره، وما ثم مَن يراه غيرُه، وما ثَم مَن يَنطِقُ عنه سواه، فهو ظاهرٌ لنفسِه باطنٌ عنه ـ وهو المسمَّىٰ

أبو سعيد الخراز ـ وغير ذلك من أسماء المُحدَثات».

إلى أن قال: «فالعَلِيُّ لنفسه: هو الذي يكونُ له الكمال، الذي يَستغرقُ به جميعَ الأمور الوجودية، والنِّسبِ العَدَميَّة، سواءٌ كانت محمودةً عُرفًا وعقلاً وشَرعًا، أو مذمومةً عُرفًا وعقلاً وشَرعًا، وليس ذلك إلاَّ لمسمَّى اللَّه خاصةً». وقال: «ألاَ ترى الحقَّ يظهرُ بصفاتِ المُحدَثات؟ وأَخْبَر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص والذمِّ، ألاَ ترى المخلوقَ يَظهرُ بصفاتِ الحق؟! فهي مِن أوَّلِها إلى آخرِها صفاتٌ له، كما هي صفاتُ المُحدَثات حقٌّ للحق». وأمثالُ هذا الكلام.

فإنَّ صاحبَ هذا الكتاب المذكور الذي هو «فصوص الحكم» وأمثالُه مثل صاحبه القونوي، والتلمساني، وابن سبعين، والششتري، وابن الفارض وأتباعهم، مذهبُهم الذي هم عليه: أن الوجودَ واحدٌ، ويُسمَّون «أهل وِحدة الوجود»، ويدَّعون التحقيقَ والعرفان، وهم يجعلون وجودَ الخالق عينَ وجودِ المخلوقات، فكلُّ ما يتَّصفُ به المخلوقاتُ مِن حُسنٍ، وقُبحٍ، ومَدحٍ، وذَمٍّ، إنما المُتَّصِفُ به عندَهم: عينُ الخالق، وليس للخالق عندهم وجودٌ مبايِنٌ لوجودِ المخلوقات منفصِلٌ عنها أصلاً؛ بل عندهم ما ثَمَّ غيرٌ أصلاً للخالق، ولا سواه.

ومِن كلماتهم: «ليس إلا اللَّه».. فعُبَّادُ الأصنام لَم يعبُدوا غيرَه عندهم؛ لأنه ما عندهم له غيرٌ؛ ولهذا جعلوا قولَه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] بمعنى «قَدَّرَ ربُّك أنْ لا تعبدوا إلاَّ إياه»، إذ ليس عندهم غيرٌ له تُتصورُ عبادتُه، فكلُّ عابدِ صنمٍ إنما عَبَدَ اللَّه.

ولهذا جَعل صاحبُ هذا الكتاب: عُبَّادَ العِجلِ مُصيبين، وذَكر أن

موسىٰ أنكر علىٰ هارونَ إنكارَه عليهم عبادةَ العجل، وقال: «كان موسىٰ أعلمَ بالأمرِ من هارون؛ لأنه عَلِمَ ما عَبَدَه أصحابُ العجل؛ لِعلمه بأن اللَّه قد قَضَىٰ أنْ لا يعبدوا إلاَّ إياه، وما حكَم اللَّهُ بشيءٍ إلا وَقَع؛ فكان عَتبُ موسىٰ أخاه هارون، لِمَا وَقَع الأمرُ في إنكاره وعدمِ اتِّباعه، فإن العارفَ مَن يرىٰ الحقَّ في كلِّ شيء، بل يراه عينَ كلِّ شيء».

ولِهذا يجعلون فرعونَ من كبارِ العارفين المحقِّقين، وأنه كان مُصيبًا في دعواه الربوبية، كما قال في هذا الكتاب: «ولَمَّا كان فرعونُ في مَنصبِ التحكُّمِ صاحبَ الوقت، وأنه جارٍ في العُرفِ الناموسيِّ لذلك، قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أي: وإنْ كان الكلُّ أربابًا بنسبةٍ ما: فأنا الأعلىٰ منهم؛ بما أُعطِيتُه في الظاهر مِن الحكم فيهم.. ولَمَّا عَلِمتِ السحرةُ صِدقَ فرعون فيما قاله: لَم يُنكروه، بل أقرُّوا له بذلك وقالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، فالدولةُ لك، فصحَّ قولُ فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾، وأنه كان عينَ الحق»!!.

ويكفيك معرفةً بكفرهم: أنَّ مِن أخفِّ أقوالِهم: «إنَّ فرعونَ مات مؤمنًا؛ بريًّا من الذنوب»، كما قال: «وكان موسىٰ قُرَّةَ عَينٍ لفرعون بالإيمان، الذي أعطاه اللَّه عند الغَرَق، فَقَبضه طاهرًا مطهَّرًا، ليس فيه شيءٌ من الخبث؛ لأنه قَبَضه عند إيمانه قبلَ أن يكتسبَ شيئًا من الآثام، والإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْله».

وقد عُلم بالاضطرار من دينِ أهلِ المِلل ـ المسلمين، واليهود، والنصارىٰ ـ: أن فرعونَ مِن أكفرِ الخَلقِ باللَّه؛ بل لَم يَقُصَّ اللَّهُ في القرآنِ قِصَّةَ كافرٍ باسمه الخاصِّ، أعظمَ من قصةِ فرعون، ولا ذَكَر عن أحدٍ من

الكفار مِن كُفرِه، وطُغيانه وعُلوِّه: أعظمَ مما ذُكر عن فرعون.

وأخبَر عنه وعن قومهِ أنهم يدخُلون أشدَّ العذاب، فإن لفظَ «آل فرعون» كلفظ «آل إبراهيم»، و«آل لوط»، و«آل داود»، و«آل أبي أوفى»، يدخلُ فيها المضافُ باتِّفاقِ الناس، فإذا جاؤوا إلى أعظم عدوٍّ للَّه من الإنس، أو مَن هو مِن أعظم أعدائه: فجعلوه مصيبًا، محقًّا فيما كفَّره به اللَّه: عُلم أن ما قالوه أعظمُ من كفرِ اليهود والنصارى، فكيف بسائر مقالاتهم؟.

وقد اتَّفق سَلَفُ الأمةِ وأئمتُها: على أن الخالقَ تعالى بائنٌ من مخلوقاته، ليس في ذاتِه شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته.

والسلفُ والأئمةُ كَفَّروا الجهميَّة لَمَّا قالوا: «إنه في كلِّ مكان»، وكان مما أنكروه عليهم: أنه كيف يكونُ في البطون، والحشوشِ، والأخلِية؟ تعالى اللَّه عن ذلك.. فكيف بمن يَجعلُه نَفْسَ وجودِ البطونِ، والحشوش، والأخلية، والنجاسات، والأقذار؟!.

وكان عبدُاللَّه بنُ المبارك يقول: «إنا لَنحكِي كلامَ اليهود والنصارى، ولا نستطيعُ أن نحكيَ كلامَ الجهميَّة»، وهؤلاء شرٌّ مِن أولئك الجهميَّة؛ فإن أولئك كان غايتُهم القولُ بأن اللَّه في كلِّ مكان، وهؤلاء قولُهم: إنه وجودُ كلِّ مكان، ما عندهم موجودانِ؛ أحدُهما حالٌّ والآخر مَحِل.

ولهذا قالوا: «إن آدمَ من اللَّه بمنزلةِ إنسانِ العَينِ من العين»، وقد عَلم المسلمون، واليهودُ، والنصارى؛ بالاضطرار من دينِ المرسلين: أن مَن قال عن أحدٍ من البشر: «إنه جزءٌ من اللَّه»، فإنه كافرٌ في جميعِ الملل، إذ

النصارىٰ لَم تَقُل هذا ـ وإن كان قولُها مِن أعظم الكفر ـ لَم يقُلْ أحدٌ: إن عينَ المخلوقاتِ هي جزءُ الخالق، ولا أنَّ الخالقَ هو المخلوق، ولا الحقُّ المنزَّه هو الخَلقُ المشبَّه.

وكذلك قولُه: «إن المشركين لو تَركوا عبادةَ الأصنام لجهلوا من الحق بقَدر ما تركوا منها»: هو من الكفرِ المعلوم بالاضطرار من جَميع المِلل، فإنَّ أهلَ المِللِ متَّفِقون علىٰ أن الرسلَ جميعَهم نَهَوا عن عبادةِ الأصنام، وكفَّروا مَن يفعلُ ذلك، وأن المؤمنَ لا يكونُ مؤمنًا حتىٰ يتبرأ من عبادةِ الأصنام، وكلِّ معبودٍ سوىٰ اللَّه، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال الخليلُ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال الخليل: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال الخليل ـ وهو إمامُ الحنفاءِ الذي جَعل اللَّه في ذريَّته النبوةَ والكتابَ، واتَّفق أهلُ المِللِ علىٰ تعظيمه لقوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩].

وهذا أكثرُ وأظهرُ عند أهل الملل من اليهود والنصارىٰ ـ فضلاً عن

المسلمين ـ مِن أن يَحتاجَ أن يُستشهدَ عليه بنصٍّ خاصٍّ، فمن قال: إن عُبَّادَ الأصنامِ لو تركوهم لَجَهِلوا من الحقِّ بقَدْرِ ما تركوا من هؤلاء، فهو أكفرُ من اليهود والنصارىٰ، ومَن لَم يُكفِّرْهم فهو أكفرُ من اليهود والنصارىٰ؛ فإن اليهودَ والنصارىٰ يُكفِّرون عُبَّادَ الأصنام، فكيف مَن يَجعلُ تاركَ عبادةِ الأصنام جاهلاً من الحق بقَدْرِ ما تَرَك منها؟ مع قوله: «فإن العالِمَ يَعلمُ مَن عَبَد، وفي أيِّ صورةٍ ظَهَر حتىٰ عَبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاءِ في الصورة المحسوسة، وكالقُوىٰ المعنوية في الصورة الرُّوحانية، فما عُبد غيرُ اللَّه في كلِّ معبود»، بل هو أعظمُ من كُفرِ عُبَّاد الأصنام؛ فإن أولئك اتَّخذوهم شُفعاءَ ووسائطَ، كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

* وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

* وكانوا مُقرِّين بأن اللَّه خالقُ السماوات والأرض، وخالقُ الأصنام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

▫ قال ابنُ عباس ﷺ: «تسألُهم: مَن خَلَق السماواتِ والأرضَ؟ فيقولون: اللَّه. . ثم يعبدون غيره»، وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريكَ لك، إلاَّ شريكٌ هو لك، تَملِكُه وما مَلَك»، ولهذا قال تعالىٰ:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨].

وهؤلاء أعظمُ كفرًا، مِن جهةِ أن هؤلاءِ جَعلوا عابدَ الأصنامِ عابدًا للَّه لا عابدًا لغيره، وأنَّ الأصنامَ من اللَّه؛ بمنزلةِ أعضاءِ الإنسان من الإنسان، وبمنزلةِ قُوىٰ النفسِ من النفس؛ وعُبَّادُ الأصنام اعترفوا بأنهم غيرُه، وأنها مخلوقة، ومِن جهةِ أن عُبَّادَ الأصنامِ من العرب كانوا مُقرِّين بأن للسماوات والأرض ربًّا غيرَهما خلَقَهما، وهؤلاء ليس عندهم للسماوات والأرض ـ وسائر المخلوقاتِ ـ ربٌّ مُغايِرٌ للسماوات والأرض وسائرِ المخلوقات، بل المخلوقُ هو الخالق!.

ولهذا جَعل قومَ عاد ـ وغيرَهم من الكفار ـ علىٰ صراطٍ مستقيم، وجَعَلهم في عَينِ القرب، وجَعَل أهلَ النار يتمتَّعون في النار، كما يتمتَّعُ أهلُ الجنةِ في الجنة.

وقد عُلم بالاضطرار مِن دِينِ الإسلام: أن قومَ عادٍ وثمودَ وفرعونَ وقومَه ـ وسائرَ مَن قَصَّ اللَّه قصَّته من الكفار ـ أعداءُ اللَّه، وأنهم معذَّبون في الآخرة، وأن اللَّه لَعَنهم وغَضِبَ عليهم، فمن أثنىٰ عليهم وجَعَلهم من المقرَّبين ومن أهل النعيم: فهو أكفرُ من اليهودِ والنصارىٰ، مِن هذا الوجه.

وهذه الفتوىٰ لا تَحتملُ بَسْطَ كلامِ هؤلاء وبيانَ كُفرِهم وإلحادهم، فإنهم من جِنسِ القرامطة الباطنية والإسماعيلية، الذين كانوا أكفرَ من اليهود والنصارىٰ، وإن قولَهم يتضمَّنُ الكفرَ بجميع الكتب والرسل، كما قال الشيخ إبراهيمُ الجعبري، لَمَّا اجتَمَع بابن عربي ـ صاحبِ هذا الكتاب ـ فقال: «رأيتُه شيخًا نجسًا، يُكذِّبُ بكلِّ كتابٍ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيٍّ

أرسَلَه اللَّه».

وقال الفقيه أبو محمد بن عبدالسلام ـ لَمَّا قَدِمَ القاهرة وسألوه عنه ـ قال: «هو شُيخُ سَوءٍ كذَّابٌ مقبوح، يقول بقِدَمِ العالَم، ولا يُحرِّمُ فَرجًا».

فقوله: «يقول بقِدَمِ العالَم»؛ لأن هذا قولُه، وهذا كُفرٌ معروف، فكَفَّره الفقيهُ أبو محمد بذلك، ولم يكن بعدُ ظَهَر مِن قوله: «إن العالَم هو اللَّه، وإنَّ العالَم صورةُ اللَّهِ وهُويَّةُ اللَّه»، فإنَّ هذا أعظمُ من كُفرِ القائلين بقِدَمِ العالَم، الذين يُثبِتون واجبَ الوجود، ويقولون: «إنه صَدَر عنه الوجودُ المُمكن».

▫ وقال عنه مَن عايَنه من الشيوخ: «إنه كان كذَّابًا مفترِيًا»، وفي كتبه ـ مثل «الفتوحات المكية» وأمثالها ـ من الأكاذيب ما لا يَخفىٰ علىٰ لبيب، هذا وهو أقربُ إلىٰ الإسلام من ابنِ سَبعين، ومن القونوي، والتلمساني، وأمثالِه من أتباعه، فإذا كان الأقربُ بهذا الكفر ـ الذي هو أعظمُ من كفرِ اليهود والنصارىٰ ـ، فكيف بالذين هم أبعدُ عن الإسلام؟ ولَم أَصِفْ عُشْرَ ما يذكرونه من الكفر.

ولكن هؤلاء التَبَس أمرُهم علىٰ مَن لَم يَعرِفْ حالَهم، كما التبس أمرُ القرامطةِ الباطنيةِ لَمَّا ادَّعَوا أنهم فاطِميُّون، وانتَسبوا إلىٰ التشيُّع، فصار المتَّبِعون مائلين إليهم، غيرَ عالِمين بباطنِ كُفرهم.

ولهذا كان مَن مال إليهم أحدَ رجلين: إما زنديقًا منافقًا؛ وإما جاهلاً ضالاً.

وهكذا هؤلاء الاتِّحادية: فرؤوسُهم هم أئمةُ كُفرٍ يَجبُ قَتلُهم، ولا

تُقبلُ توبةُ أحدٍ منهم ـ إذا أُخذ قَبل التوبة ـ، فإنه من أعظمِ الزنادقة الذين يُظهِرون الإسلام، ويُبطِنون أعظمَ الكفر، وهم الذين يَفْهَمون قولَهم، ومُخالفتهم لدينِ المسلمين، ويجبُ عقوبةُ كلِّ مَن انتسَبَ إليهم، أو ذَبَّ عنهم، أو أثنىٰ عليهم، أو عَظَّم كُتبَهم، أو عُرِف بمساعدتِهم ومعاونتهم، أو كَرِهَ الكلامَ فيهم، أو أَخَذ يعتذرُ لهم بأن «هذا الكلامَ لا يُدرىٰ ما هو؟» أو: «من قال: إنه صنَّف هذا الكتاب؟»، وأمثالُ هذه المعاذير، التي لا يقولُها إلاَّ جاهل، أو منافق؛ بل تجبُ عقوبةُ كلِّ مَن عَرَف حالَهم، ولَم يعاونْ علىٰ القيام عليهم، فإن القيامَ علىٰ هؤلاءِ من أعظمِ الواجبات؛ لأنهم أفسَدوا العقولَ والأديان علىٰ خَلْقٍ من المشايخِ والعلماء، والملوك والأمراء، وهم يَسْعَون في الأرض فساداً، ويصدُّون عن سبيل اللَّه.

فضررُهم في الدين أعظمُ من ضَررِ من يُفسِدُ علىٰ المسلمين دنياهم، ويتركُ دِينَهم كقُطَّاعِ الطريق، وكالتتارِ الذين يأخذون منهم الأموال، ويُبقُون لهم دينهم، ولا يستهينُ بهم مَن لَم يعرفهم، فضلالُهم وإضلالُهم أعظمُ مِن أن يوصَف، وهم أشبهُ الناس بالقرامطة الباطنية.

ولهذا هم يريدون دولةَ التتار، ويختارون انتصارَهم علىٰ المسلمين، إلاَّ مَن كان عامِّيًّا مِن شيَعهِم وأتباعهم؛ فإنه لا يكونُ عارفًا بحقيقةِ أمرهم.

ولهذا يُقرُّون اليهودَ والنصارىٰ علىٰ ما هم عليه، ويَجعلونهم علىٰ حقٍّ، كما يَجعلون عُبَّادَ الأصنام علىٰ حقٍّ، وكلٌّ واحدةٍ من هذه مِن أعظمِ الكفر، ومَن كان مُحسنًا للظن بهم ـ وادَّعىٰ أنه لَم يعرفْ حالَهم ـ عُرِّف حالَهم، فإنْ لم يباينْهم ويُظهِرْ لهم الإنكار، وإلاَّ أُلْحِقَ بهم وجُعل منهم.

وأمَّا مَن قال: «لكلامهم تأويلٌ يوافقُ الشريعة»؛ فإنه من رؤوسهم

وأئمتهم؛ فإنه إن كان ذكيًّا فإنه يَعرِفُ كَذِبَ نفسه فيما قاله، وإن كان معتقِدًا لهذا باطنًا وظاهرًا فهو أكفرُ من النصارىٰ، فمن لم يُكفِّرْ هؤلاء، وجَعل لكلامهم تأويلاً كان عن تكفيرِ النصارىٰ بالتثليث والاتحاد أبعدَ. . والله أعلم»[1] .

☐ ومذهبُ ابنِ عربيٍّ له أصلان:

أولهما: أن المعدومَ شيءٌ ثابتٌ في العدم.

الثاني: أن وجودَ الأعيانِ نفسُ وجودِ الحقِّ.

*** بعضُ ألفاظ ابن عربيٍّ التي تُبيِّنُ مذهبَه الذي قد لا يَفهمُه أكثرُ الناس:**

☐ قال في «فص يوسف» ـ بعد أن جَعل العالَم بالنسبة إلىٰ الله كظِلِّ الشخص، وتناقَضَ في التشبيه ـ: «فكلُّ ما تُدرِكُه فهو وجودُ الحقِّ في أعيانِ الممكِنات، فمن حيث هُوِيَّةِ الحقِّ هو وجوده، ومِن حيثُ اختلافِ الصُّور فيه هو أعيانُ الممكنات، فكما لا يزولُ عنه باختلافِ الصور اسمُ «الظل»، كذلك لا يَزولُ عنه باختلافِ الصور اسمُ «العالَم» أو اسمُ «سوىٰ الحق»، فمن حيث أَحَدِيَّةِ كونِه ظلاً هو الحقُّ؛ لأنه الواحدُ الأحد، ومِن حيث كثرةِ الصُّور هو العالَم، فتفطَّنْ وتحقَّقْ ما أوضحناه لك.

وإذا كان الأمرُ علىٰ ما ذكرتُه لك: فالعالَم متوَهَّمٌ ما له وجودٌ حقيقي، وهذا معنىٰ الخيال، أي: خُيِّل لك أنه أمرٌ زائدٌ قائم بنفسه، خارجٌ عن الوجود الحق، وليس كذلك في نفسِ الأمر؛ ألاَ تراه في الحسِّ متَّصلاً بالشخص الذي امتدَّ عنه، يستحيل عليه الانفكاكُ عن ذلك الاتصال؛ لأنه

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢/ ١٢١ ـ ١٣٣).

يستحيلُ على الشيءِ الانفكاكُ عن ذاته، فاعرِفْ عَيْنَك ومَن أنت وما هُويتك؟ وما نسبتُك إلى الحق، وبما أنت حقٌّ، وبما أنت عالَم، وسوًى، وغيرٌ؟ وما شاكَلَ هذه الألفاظ».

◘ وقال في أول «الفصوص» - بعد «فص: حكمة إلهية في كلمة آدمية»، وفص: حكمة نفسية، في كلمة شَيثية» -: «وقد قُسم العطاءُ بأمرِ اللَّه، وإنما يكون عن سؤالٍ وعن غير سؤال - وذَكَر القِسمَ الذي لا يُسأل -؛ لأن شيئًا هو هِبةُ اللَّه».

◘ إلى أن قال: «ومِن هؤلاء مَن يَعلمُ أن عِلمَ اللَّه به في جميعِ أحوله: هو ما كان عليه في حالِ ثُبوتِ عينهِ قبل وجودِها، ويَعلمُ أن الحقَّ لا يُعطيه إلاَّ ما أعطاه عينَه من العِلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته، فيَعلمُ عِلمَ اللَّه به مِن أين حصل، وما ثَمَّ صِنفٌ من أهلِ اللَّه أعلا وأكشفُ من هذا الصِّنف، فهم الواقفون على سِرِّ القدر، وهم على قسمين:

منهم مَن يعلمُ ذلك مُجمَلاً، ومنهم مَن يعلمُ ذلك مفصَّلاً.

والذي يعلمُه مفصَّلاً أعلا وأتمُّ من الذي يَعلمُه مُجمَلاً، فإنه يَعلمُ ما تَعيَّن في علم اللَّه فيه، إمَّا بإعلامِ اللَّه إياه بما أعطاه عَينَه من العلم به، وإمَّا بأن يَكشفَ له عن عينهِ الثابتة، وعن انتقالاتِ الأحوالِ عليها إلى ما لا يتناهى، وهو أعلا، فإنه يكونُ في عِلمه بنفسه بمنزلةِ عِلمِ اللَّه به؛ لأنَّ الأخذَ من معدِنٍ واحد، إلا أنه من جِهةِ العبدِ عنايةٌ من اللَّه سَبَقَتْ له، هي من جُملةِ أحوالِ عَينه، يعرفُها صاحبُ هذا الكشف إذا أَطْلَعه اللَّهُ على ذلك - أيْ على أحوال عَينه -، فإنه ليس في وُسعِ المخلوق إذا أطْلَعَه اللَّهُ على أحوالِ عينه الثابتة - التي تقعُ صورةُ الوجودِ عليها - أن يَطَّلعَ في هذه الحال

علىٰ اطِّلاع الحقِّ علىٰ هذه الأعيانِ الثابتة في حال عَدَمِها؛ لأنها نِسَبٌ ذاتية لا صورةَ لها.

فبهذا القَدْر نقول: إن العناية الإلهيةَ سَبَقت لهذا العبدِ بهذه المساواة في إفادتها العلم، ومن هنا يقول اللَّه: «حتىٰ نعلم» وهي كلمةٌ محقَّقةُ المعنىٰ، ما هي كما يَتوهَّمُ مَن ليس له هذا المَشْرَب، وغايةُ المُنزِّه أن يجعلَ ذلك الحدوثَ في العلم للتعلُّق، وهو أعلا وجهٍ يكونُ للمتكلِّم يعقِلُه في هذه المسألة، لولا أنه أَثبت العلم زائدًا علىٰ الذات، فجَعل التعلُّقَ له لا للذات، وبهذا انفصل عن المحقِّقِ من أهل اللَّه صاحبُ الكشف والشهود.

ثم نرجعُ إلىٰ الأُعطيات فنقول: إن الأُعطيات إما ذاتيةٌ أو أسمائية، فأما المِنَحُ والهِبات، والعطايا الذاتية، فلا تكونُ أبدًا إلاَّ عن تَجَلٍّ إلهيٍّ، والتجلِّي من الذات لا يكونُ أبدًا إلاَّ لصورةِ استعدادِ العبدِ المتجلَّىٰ له، وغير ذلك لا يكون، فإذن المتجلَّىٰ له ما رأىٰ سِوىٰ صورتِه في مِرآةِ الحق، وما رأىٰ الحقَ، ولا يمكنُ أن يَراه مع عِلمِه أنه ما رأىٰ صورتَه إلاَّ فيه، كالمِرآة في الشاهد، إذا رأيتَ الصورَ فيها لا تراها مع عِلمِك أنك ما رأيتَ الصورَ أو صورتَك إلا فيها.

فأبرَزَ اللَّهُ ذلك مثالاً نَصَبه لتجلِّيه الذاتي، لِيعلم المتجلَّىٰ له أنه ما رآه، وما ثَمَّ مثالٌ أقربُ ولا أشبهُ بالرؤية والتجلِّي من هذا، واجهَدْ في نفسِك عندما ترىٰ الصورةَ في المرآة أن ترىٰ جِرْمَ المِرآة، لا تراه أبدًا ألبتة، حتىٰ إن بعضَ مَن أدرك مثلَ هذا في صورةِ المرئيِّ: ذَهَب إلىٰ أن الصورةَ المرئيةَ بين بصرِ الرائي وبين المرآة، هذا أعظمُ ما قَدَر عليه من العلم، والأمرُ كما قلناه وذهبنا إليه.

وقد بيَّنَّا هذ في «الفتوحاتِ المكيَّة»، وإذا ذُقتَ هذا: ذُقتَ الغايةَ التي ليس فوقَها غايةٌ في حقِّ المخلوق، فلا تطمعْ ولا تُتعِبْ نفسَك في أنْ تَرْقَىٰ أعلا من هذا الدَّرَج، فما هو ثَمَّ أصلاً، وما بعده إلاَّ العدمُ المَحض، فهو مِرآتُك في رؤيتك نفسَك، وأنت مِرآتُه في رؤيتِه أسماءَه وظهورِ أحكامها، وليست سِوىٰ عَينِه، فاختلَطَ الأمرُ وانْبَهَم، فمنا مَن جَهِل في عِلمه، فقال: «والعجزُ عن دَرَكِ الإدراك إدراك»، ومنَّا مَن علم فلم يقل مثلَ هذا القول، وهو أعلا القول، بل أعطاه العلمُ السكوتَ ما أعطاه العجز، وهذا هو أعلا عالِمٍ باللّٰه.

وليس هذا العِلمُ إلاَّ لخاتَم الرسل، وخاتَمِ الأولياء، وما يراه أحدٌ من الأنبياء والرسل إلاَّ من مِشكاةِ الرسول الخاتم، ولا يراهُ أحدٌ من الأولياء إلاَّ من مِشكاةِ الوليِّ الخاتم، حتىٰ إن الرسلَ لا يَرَونه متىٰ رَأَوْه إلا من مشكاةِ خاتمِ الأولياء، فإن الرسالةَ والنبوة ـ أعني نبوةَ التشريع ورسالته ـ ينقطعانِ، والولايةَ لا تنقطع أبداً.

فالمرسَلون من حيثُ كونُهم أولياء: لا يَرَون ما ذكرناه إلا من مشكاةِ خاتمِ الأولياء، فكيف مَن دونَهم من الأولياء؟ وإن كان خاتَمُ الأولياء تابعًا في الحُكم لِمَا جاءَ به خاتمُ الرسل من التشريع، فذلك لا يَقدحُ في مقامِه، ولا يُناقضُ ما ذَهَبْنا إليه، فإنه مِن وجهٍ يكون أنزَلَ، كما أنه من وجهٍ يكون أعلا.

وقد ظَهَر في ظاهرِ شرعنا: ما يؤيِّدُ ما ذَهَبْنا إليه في فَضلِ عمر: في أُسارىٰ بدرٍ بالحُكم فيهم، وفي تأبيرِ النخل؛ فما يَلزمُ الكاملَ أن يكونَ له التقدُّمُ في كلِّ شيء وفي كلِّ مرتبة، وإنما نَظَرُ الرجالِ إلىٰ التقدم في مرتبة العلم باللّٰه، هنالك مَطلبُهم.. وأما حوادثُ الأكوانِ، فلا تَعلُّقَ لخواطِرِهم

بها، فتحقَّقْ ما ذكرناه.

☐ ولَمَّا مَثَّل النبيُّ ﷺ النبوةَ بالحائطِ من اللَّبِن وقد كَمُل سِوىٰ موضعِ لبنةٍ، فكان النبيُّ ﷺ تلك اللبنة، غيرَ أنه ﷺ لا يراها ـ إلاَّ كما قال ـ لبنةً واحدة.

☐ وأمَّا خاتمُ الأوليـاء: فلابدَّ له من هذه الرؤية، فيَرىٰ ما مَثَّل به رسولُ اللَّه ﷺ، فيرىٰ في الحائط موضعَ لبنتين، واللَّبِن من ذَهَبٍ وفضةٍ، فيرىٰ اللبنتين اللتين يَنقصُ الحائطُ عنهما ويَكمُلُ بهما لَبنةَ ذهبٍ ولبنةَ فضةٍ، فلا بد من أن يَرىٰ نفسَه تنطبعُ في موضعِ تَينِكَ اللبنتينِ، فيكون خاتمُ الأولياء تَينِكَ اللبنتين، فيَكملُ الحائط.

والسببُ الموجِبُ لكونه رآها لَبِنَتَينِ: أنه تابعٌ لشرعِ خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضعُ اللبنةِ الفِضةِ وهو ظاهره، وما يَتبعُه فيه من الأحكام كما هو آخِذٌ عن اللَّه تعالىٰ في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة مُتَّبع فيه؛ لأنه رأىٰ الأمرَ علىٰ ما هو عليه، فلابُّد أن يراه هكذا، وهو موضعُ اللبنةِ الذهبيةِ في الباطن، فإنه آخِذٌ من المعدنِ الذي يأخذُ منه المَلَك، الذي يوحِي به إلىٰ الرسول.

فإن فهمتَ ما أشرتُ به، فقد حَصَل لك العلمُ النافع، فكلُّ نبيٍّ مِن لدن آدمَ إلىٰ آخرِ نبيٍّ، ما منهم أحدٌ يأخذُ إلا من مِشكاةِ خاتمِ النبيين، وإنْ تأخَّر وجودُ طِينتهِ، فإنه بحقيقته موجود، وهو قولُه ﷺ: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين»، وغيرُه من الأنبياء ما كان نبيًّا إلاَّ حينَ بُعث.

وكذلك خاتمُ الأولياء، كان وليًّا وآدمُ بين الماء والطين، وغيرُه مِن الأولياء ما كان وليًّا إلاَّ بعد تحصيلِه شرائطَ الولاية، مِن الأخلاق الإلهية،

والاتصافِ بها من أجلِ كَونِ اللَّهِ يسمَّىٰ بالولي الحميد.

فخاتم الرسل من حيثُ ولايتِه، نِسبتُه مع الختم للولاية مِثلُ نسبةِ الأنبياء والرسلِ معه، فإنه الوليُّ الرسولُ النبي.

◘ وخاتمُ الأولياء: الوليُّ الوارث، الآخِذُ عن الأصلِ المشاهِد للمراتب، وهو حَسنةٌ من حسنات خاتم الرسلِ محمدٍ ﷺ، مقدَّمِ الجماعة، وسيِّدِ ولدِ آدمَ في فتح باب الشفاعة؛ فعيَّن بشفاعته حالاً خاصًّا ما عمم؛ وفي هذه الحال الخاص تقدَّم علىٰ الأسماءِ الإلهية؛ فإنَّ الرحمنَ ما شَفَع عند المنتقم في أهلِ البلاء إلاَّ بعد شفاعةِ الشافعين، ففاز مُحمَّدٌ بالسيادة في هذه المقام الخاص.

فمن فَهم المراتبَ والمقامات لَم يَعسُرْ عليه قبولُ مثلِ هذا الكلام» اهـ.

* **بطلانُ مذهب ابن عربي:**

فهذا «الفصُّ» قد ذَكر فيه حقيقةَ مذهبِه التي يبني عليها سائرَ كلامه، فتدبر ما فيه من الكفر الذي: ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** ﴾ [مريم: ٩٠]، وما فيه من جَحدِ خلقِ اللَّه وأمره، وجُحودِ ربوبيتِه وألوهيتِه وشَتمِه وسَبِّه، وما فيه من الإزراء برُسُله، وصِدِّيقِيه، والتقدُّمِ عليهم بالدعاوَىٰ الكاذبة، التي ليس عليها حُجَّة، بل هي معلومةُ الفساد بأدنىٰ عقلٍ وإيمانٍ وأيسرِ ما يُسمَعُ من كتابٍ وقرآن، وجَعَل الكفارَ والمنافقين والفراعنةَ هم أهلُ اللَّه وخاصتَّه أهلَ الكشوف، وذلك باطلٌ من وجوه:

أحدها: أنه أثبت له عَينًا ثابتةً قبلَ وجودِه ولسائرِ الموجودات، وإن ذلك ثابتٌ له ولسائرِ أحوالِه، وكلُّ ما كان موجودًا من الأعيان والصفات

والجواهر والأعراضِ، فعينُه ثابتةٌ قبلَ وجوده.. وهذا ضلالٌ قد سبق إليه كما تقدم.

الثاني: أنه جَعل عِلمَ اللَّهِ بالعبد إنما حَصَل له مِن علمِه بتلك العينِ الثابتةِ في العَدَم التي هي حقيقةُ العبد، لا من نفسِه المقدَّسة، وأن عِلمَه بالأعيانِ الثابتةِ في العدمِ وأحوالِها تمنُعه أن يَفعلَ غيرَ ذلك، وأنَّ هذا هو سرُّ القَدَر.

فتضمَّن هذا وصفَ اللَّهِ تعالىٰ بالفقرِ إلىٰ الأعيانِ وغِناها عنه، ونَفْيَ ما استحقَّه بنفسه مِن كمالِ عِلمِه وقُدرته، ولزومَ التجهيل والعجيز، وبعضُ ما في هذا الكلام مضاهاةٌ لِمَا ذَكَره اللَّهُ عمَّن قال فيه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية، فإنه جَعَل حقائقَ الأعيان الثابتةِ في العدم غَنِيَّةً عن اللَّه في حقائقها وأعيانها، وجَعَل الربَّ مفتقِراً إليها في علمِه بها، فما استفاد عِلمَه بها إلاَّ منها، كما يستفيدُ العبدُ العلمَ بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غِنَىٰ تلك المُدركات عن المدرِك.

والمسلمون يعلمون أن اللَّهَ عالِمٌ بالأشياء قبلَ كونها بعلمه القديم الأزليِّ الذي هو من لوازمِ نفسِه المقدَّسة، لَم يستفِدْ عِلمَه بها منها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، فقد دلَّت هذه الآية، علىٰ وجوبِ عِلمِه بالأشياء.

الثالث: أنه زَعَم أن من الصنفِ الذي جَعَله أعلا أهلِ اللَّه مَن يكونُ في علمِه بمنزلةِ علم اللَّه؛ لأن الآخذَ مِن مَعدنٍ واحدٍ إذا كُشف له عن أحوالِ

الأعيانِ الثابتة في العدم، فيَعلمُها من حيث عَلِمَها اللَّه، إلاَّ أنه من جهة العبد عنايةٌ من اللَّه سَبَقت له، هي من جُملةِ أحوالِ عينه، يعرفُها صاحبُ هذا الكشف إذا أَطْلَعَه اللَّه على ذلك، فجعل عِلمَه وعِلمَ اللَّه من مَعدنٍ واحد.

الرابع: أنه جَعل اللَّهَ عالِمًا بها بعد أن لَم يكن عالِمًا، واتَّبعَ المتشابِهَ الذي هو قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]، وزَعَم أنها كلمةٌ محقَّقةُ المعنىٰ، بِناءً علىٰ أصلِه الفاسد أن وجودَ العبدِ هو عينُ وجودِ الربِّ، فكلُّ مخلوقٍ عَلِمَ ما لَم يكن عَلِمَه، فهو اللَّهُ عَلِم ما لَم يكن عَلِمَه.

وهذا الكفرُ ما سبقه إليه كافر، فإنَّ غايةَ المكذِّبِ بقَدَرِ اللَّه أنْ يقول: إن اللَّهَ عَلِم ما لَم يكن عالِمًا؛ أمَّا أنه يَجعلُ كلَّ ما تجدَّد لمخلوقٍ من العلم فإنما تجدَّد للَّه، وأنَّ اللَّهَ لم يكنْ عالِمًا بما عَلِمه كلُّ مخلوق، حتىٰ عَلِمَه ذلك المخلوقُ، فهذا لم يَفْتَرِه غيرُه.

الخامس: أنه زَعم أن التجلِّي الذاتي، بصورةِ استعداد المتجلِّي والمتجلَّىٰ له، ما رأىٰ سوىٰ صورتِه في مرآةِ الحق، وأنه لا يمكنُ أن يَرىٰ الحقَّ مع عِلمِه بأنه ما رأىٰ صورتَه إلاَّ فيه، وضَرَبَ المَثَلَ بالمِرآة؛ فجَعَل الحقَّ هو المرآة، والصورةَ في المِرآة هي صورته!.

وهذا تحقيقُ ما ذكرتُه من مذهبه: أنَّ وجودَ الأعيانِ عنده وجودُ الحق، والأعيانُ كانت ثابتةً في العدم، فظَهَر فيها وجودُ الحق، فالمتجلَّىٰ له ـ وهو العبدُ ـ لا يرىٰ الوجودَ مجرَّدًا عن الذوات، ما يَرىٰ إلاَّ الذواتِ التي ظَهر فيها الوجودُ، فلا سبيلَ له إلىٰ رؤيةِ الوجود أبدًا، وهذا عنده هو الغايةُ التي ليس فوقَها غايةٌ في حقِّ المخلوق، وما بعدَه إلاَّ العدمُ المَحضُ، فهو مِرآتُك

في رؤيتِك نفسَك، وأنت مِرآتُه في رؤيتهِ أسماءَه وظهورِ أحكامِها.

وذلك لأنَّ العبدَ لا يَرىٰ نفسَه - التي هي عينُه - إلاَّ في وجودِ الحق، الذي هو وجودُه، والعبدُ مِرآتُه في رؤيته أسماءَه وظهورِ أحكامها؛ لأنَّ أسماءَ الحقِّ عنده هي النِّسَبُ والإضافات، التي بين الأعيان وبين وجودِ الحق؛ وأحكامُ الأسماء هي الأعيانُ الثابتةُ في العدم، وظهورُ هذه الأحكام بتجلِّي الحقِّ في الأعيان.

والأعيانُ التي هي حقيقةُ العِيان: هي مِرآةُ الحقِّ، التي بها يَرىٰ أسماءَه؛ وظهورَ أحكامها، فإنه إذا ظَهَر في الأعيان، حَصَلت النسبةُ التي بين الوجود والأعيان - وهي الأسماء -، وظهرت أحكامُها - وهي الأعيان -، ووجودُ هذه الأعيان هو الحق؛ فلهذا قال: «وليست سوىٰ عينِه»، فاختلط الأمر وانبهم.

فتدبر هذا من كلامِه وما يناسبه؛ لِتعلمَ ما يعتقدُه مِن ذاتِ الحقِّ وأسمائِه، وأن ذاتَ الحقِّ عنده هي نفسُ وجودِ المخلوقات وأسماءَه هي النِّسَبُ التي بين الوجودِ والأعيان، وأحكامُها هي الأعيان، لتعلمَ كيف اشتَمل كلامُه علىٰ الجحودِ للَّه ولأسمائِه ولصفاتِه وخَلْقِه وأمرِه، وعلىٰ الإلحادِ في أسماءِ اللَّه وآياته! فإن هذا الذي ذَكَرَه غايةُ الإلحاد في أسماءِ اللَّه وآياته؛ الآياتِ المخلوقة والآياتِ المَتْلُوَّة، فإنه لَم يُثبِتْ له اسمًا ولا آيةً، إذ ليس إلاَّ وجودًا واحدًا؛ وذاك ليس هو اسمًا ولا آيةً، والأعيانُ الثابتةُ ليست هي أسماءَه ولا آياته؛ ولَمَّا أثبتَ شيئينِ فَرَّق بينهما بالوجودِ والثبوت - وليس بينهما فرقٌ - اختلط الأمرُ عليه وانبهم.

وهذا حقيقةُ قوله وسرُّ مذهبه؛ الذي يدَّعي أنه به أعلمُ العالَم باللَّه،

وأنه تقدَّم بذلك على الصِّدِّيق، الذي جَهِل فقال: «العجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ»؛ وتقدَّم به على المرسلين، الذين ما عَلِموا ذلك إلاَّ من مِشكاته، وفيه مِن أنواع الكفرِ والضلال ما يطولُ عدُّها:

منها: الكفرُ بذات اللَّه، إذ ليس عنده إلاَّ وجودُ المخلوق.

ومنها: الكفر بأسماءِ اللَّه، فإنها ليست عنده إلاَّ أموراً عَدَميَّةً، فإذا قلنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فليس الربُّ عنده إلاَّ نِسبةً إلى الثبوت.

السادس: أنه قال: «فاختلط الأمرُ وانبهم»، أو هو على أصلِه الفاسد مختلِطٌ منبهِم، وعلى أصلِ الهدى والإيمان متميِّزٌ متبيِّن، قد بيَّن اللَّهُ بكتابه الحقَّ من الباطل والهُدى من الضلال.

قال: «فمنا مَن جَهِل في عِلمِه، فقال: العجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ»، وهذا الكلامُ مشهورٌ عندهم نسبتُه إلى أبي بكر الصديق، فجعله جاهلاً، وإن كان هذا اللفظُ لَم يُحفظ عن أبي بكر، ولا هو مأثورٌ عنه في شيءٍ من النقول المعتمَدة، وإنما ذَكر ابنُ أبي الدنيا في كتاب «الشكر» نحواً من ذلك عن بعضِ التابعين غيرَ مُسمًّى، وإنما يرسَلُ عنه إرسالاً من جهةِ مَن يَكثُرُ الخطأُ في مراسيلِهم.

* **تفضيلُه نفسَه على الرسل:**

السابع: أنه قال: «ومنَّا مَن عَلِم فلم يَقُلْ مثلَ هذا، وهو أعلى القول، بل أعطاه العلمَ والسكوتَ ما أعطاه العَجْز، وهذا هو أعلا عالِمٍ باللَّه، وليس هذا العِلمُ إلاَّ لِخاتَم الرسلِ وخاتَمِ الأولياء، وما يراه أحدٌ من الأولياء

والرسل إلاَّ من مِشكاةِ الرسول الخاتم، ولا يراه أحدٌ من الأولياء إلاَّ من مِشكاةِ الوليِّ الخاتم؛ حتىٰ إن الرسلَ لا يَرَونه متىٰ رأوه، إلاَّ من مشكاة خاتَمِ الأولياء.

فإنَّ الرسالةَ والنبوةَ ـ أعني نبوةَ التشريع ورسالتَه ـ ينقطعانِ، والولايةَ لا تنقطعُ أبدًا؛ فالمرسَلون مِن كونهم أولياءَ: لا يَرَون ما ذكرناه إلا من مِشكاةِ خاتم الأولياء، فكيف مَن دونَهم من الأولياء؟ وإن كان خاتَمُ الأولياء تابعًا في الحُكم لِمَا جاء به خاتمُ الرسل من التشريع، فذلك لا يَقدحُ في مَقامِه، ولا يناقِضُ ما ذهبنا إليه، فإنه من وجهٍ يكونُ أَنْزَلَ، كما أنه من وجهٍ يكون أعلا».. إلىٰ قوله: «ولَمَّا مَثَّل النبيُّ ﷺ النبوةَ بالحائطِ من اللَّبِن..».

ففي هذا الكلامِ من أنواعِ الإلحاد والكفر، وتنقيصِ الأنبياء والرسل ما لا تقولُه لا اليهودُ ولا النصارىٰ: وما أشبَهَه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل: «فَخَرَّ عليهم السقفُ مِن تحتهم»: «إن هذا لا عقلَ ولا قرآن».

وكذلك ما ذَكره هنا ـ من أن الأنبياءَ والرسلَ تستفيدُ من خاتم الأولياء الذي بعدَهم ـ هو مخالفٌ للعقل، فإنَّ المتقدِّمَ لا يستفيدُ من المتأخِّر، ومُخالفٌ للشرع، فإنه معلومٌ بالاضطرار من دينِ الإسلام: أن الأنبياءَ والرسلَ أفضلُ من الأولياء، الذين ليسوا أنبياءَ ولا رُسلاً.

وقد يزعُمُ أنَّ هذا العِلمَ ـ الذي هو عنده ـ أعلىٰ العلم «وهو القول بوحدة الوجود»، وأن وجودَ الخالقِ هو وجودُ المخلوق، وحقيقتُه تعطيلُ الصانع وجَحدُه، وهو القولُ الذي يُظهِرُه فرعون، فلم يَكفِهِ زعمُه أن هذا حَقٌّ، حتىٰ زعم أنه أعلا العِلم، ولَم يَكفِهِ ذلك حتىٰ زَعَم أن الرسلَ إنما

يَرَونه من مشكاةِ خاتمِ الأولياء.

فجعل خاتَمَ الأولياء أعلمَ باللَّه من جميعِ الأنبياء والرسل، وجعَلَهم يَرَون العلمَ باللَّه من مِشكاته.

ثم أخذ يُبيِّنُ ذلك، فقال: «فإنَّ الرسالةَ والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالتَه - ينقطعانِ والولايةُ لا تنقطعُ أبدًا، فالمرسَلون من كونهم أولياءَ لا يَرَون ما ذكرناه إلاَّ من مشكاةِ خاتمِ الأولياء، فكيف بالأولياء الذين ليسوا أنبياءَ ولا رُسلاً؟»، وذلك أنه لم يُمكِنْهم أن يَجعلوا بعد النبي ﷺ نبيًّا ورسولاً، فإن هذا كفرٌ ظاهر، فزعموا أنه إنَّما تنقطعُ نبوةُ التشريع ورسالته، يعني وأمَّا نبوةُ التحقيق ورسالةُ التحقيق - وهي الولاية عندهم - فلم تنقطع، وهذه الولايةُ عندهم هي أفضلُ من النبوةِ والرسالة، ولهذا قال ابنُ عربيٍّ في بعض كلامه:

مقـــامُ النبـــوَّةِ في بَرزَخٍ فُويقَ الرسولِ ودُونَ الوليِّ

❑ وقال في «الفصوص» في: «كلمة عُزَيريَّة»: «فإذا سمعتَ أحدًا من أهلِ اللَّه تعالىٰ يقولُ أو ينقُل إليك عنه، أنه قال: «الولايةُ أعلىٰ من النبوة»، فليس يريدُ ذلك القائلُ إلاَّ ما ذكرناه.

أو يقول: إن الوليَّ فوقَ النبيِّ والرسول؛ فإنه يعني بذلك في شخصٍ واحدٍ، وهو أن الرسول عليه السلام من حيثُ هو وليٌّ - أتمُّ منه من حيثُ هو نبيٌّ ورسولٌ، لا أنَّ الوليَّ التابعَ له أعلا منه، فإنَّ التابعَ لا يُدرِكُ المتبوعَ أبدًا فيما هو تابعٌ له فيه، إذ لو أدركه لَم يكن تابعًا له».

وإذا حُوققوا علىٰ ذلك قالوا: «إن وَلايةَ النبيِّ فوقَ نبوَّته، وإن نبوَّته

فوقَ رسالته؛ لأنه يأخذ بولايتهِ عن اللَّه».

ثم يَجعلون مِثلَ ولايتِه ثابتةً لهم، ويَجعلون ولايةَ خاتم الأولياء أعظمَ من ولايته، وأن ولايةَ الرسول تابعةٌ لولاية خاتمِ الأولياء الذي ادَّعوه».

وفي هذا الكلامِ أنواعٌ قد بيَّناها في هذا الموضع:

منها: ما ادَّعاه من «خاتم الأولياء» الذي يكون في آخرِ الزمان، وتفضيلِه وتقديمِه على من تقدَّم من الأولياء، وأنه يكونُ معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء. وهذا ضلالٌ واضح؛ فإنَّ أفضلَ أولياءِ اللَّه من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وأمثالُهم من السابقين الأوَّلين مِن المهاجرين والأنصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة.

ثُم إنَّ «خاتم الأولياء» هذا صار مرتبةً موهومةً لا حقيقةَ له، وصار يدَّعيها لنفسِه أو لشيخِه طوائفُ، وقد ادَّعاها غيرُ واحد، ولَم يَدَّعِها إلاَّ مَن في كلامه من الباطل ما لَم تَقُلْه اليهودُ ولا النصارى، كما ادَّعاها صاحب «الفصوص»، وتابعه صاحبُ «الكلام في الحروف»، وشيخٌ من أتباعهم كان بدمشق، وآخَرُ كان يزعمُ أنه «المهديُّ» الذي يُزوِّجُ بنتَه بعيسى بن مريم، وأنه خاتمُ الأولياء، ويدَّعي هؤلاءِ وأمثالُهم مِن الأمور ما لا يصلحُ إلاَّ للَّه وحده، كما قد يدَّعي المُدَّعي منهم لنفسِه أو لشيخه ما ادَّعته النصارى في المسيح.

ثم صاحب «الفصوص» وأمثالُه بَنَوُا الأمرَ على أنَّ الوليَّ يأخذُ عن اللَّه بلا واسطة، والنبيُّ يأخذُ بواسطةِ المَلَك؛ فلهذا صار خاتمُ الأولياء أفضلَ عندهم من هذه الجهة، وهذا باطلٌ وكذب، فإنَّ الوليَّ لا يأخذُ عن اللَّه إلاَّ

بواسطةِ الرسول إليه، وإذا كان مُحدَّثًا قد أُلقِيَ إليه شيءٌ: وجب عليه أن يَزِنَه بما جاء به الرسولُ من الكتاب والسُّنَّة.

ومِن الأنواع التي في دعواهم أن خاتمَ الأولياء أفضلُ من خاتم الأنبياء، من بعضِ الوجوه، فإن هذا لَم يَقُلْه أبو عبدالله الحكيمُ الترمذي، ولا غيرُه من المشايخ المعروفين، بل الرجلُ أجلُّ قَدْرًا، وأعظمُ إيمانًا، من أن يَفتريَ هذا الكفرَ الصريح، ولكن أخطأ شبرًا، ففرَّعوا على خَطئِه ما صار كُفرًا.

وأعظمُ من ذلك: زَعمُهم أن الأولياءَ والرسلَ من حيثُ وَلايتِهم تابعون لخاتم الأولياء، وآخِذون من مِشكاته، فهذا باطلٌ بالعقل والدين، فإنَّ المتقدِّمَ لا يأخذُ من المتأخر، والرسلُ لا يأخذون من غيرهم.

وأعظم من ذلك: أنه جَعلهم تابعين له في العِلم بالله ـ الذي هو أشرف علومهم ـ، وأظهرُ من ذلك أنه جَعل العِلمَ بالله هو مذهبُ أهلِ وحدة الوجود، القائلين بأن وجودَ المخلوق هو عينُ وجودِ الخالق.

فلْيتدبَّرِ المؤمنُ هذا الكفرَ القبيح درجةً بعد درجة، واستشهادَه على تفضيلِ غيرِ النبي عليه بقِصةِ عمر، وتأبيرِ النخل، فهل يقولُ مسلمٌ: «إن عمرَ كان أفضلَ من النبي ﷺ برأيه في الأسرىٰ؟!! أو إن الفلاحين الذين يُحسِنون صناعةَ التأبير أفضلُ من الأنبياء في ذلك؟»!!.

ثم ما قَنع بذلك حتىٰ قال: «فما يلزمُ الكاملَ أن يكونَ له التقدُّمُ في كلِّ علمٍ وكلِّ مرتبة، وإنما نَظَرُ الرجالِ إلىٰ التقدُّم في مرتبةِ العلم بالله، هنالك مطلبُهم».

فقد زَعَم أنه أعلمُ بالله من خاتمِ الأنبياء، وأن تقدُّمَه عليه بالعلم بالله،

وتقدُّمَ خاتمِ الأنبياء عليه بالتشريع فقط؛ وهذا من أعظمِ الكفرِ الذي يقعُ فيه غاليةُ المتفلسفة، وغاليةُ المتصوِّفة، وغاليةُ المتكلِّمة، الذين يزعُمون أنهم في الأمور العِلميَّة أكمل من الرسل، كالعلمِ باللَّه ونحو ذلك، وأن الرُّسُلَ إنما تقدَّموا عليهم بالتشريع العامِّ، الذي جُعل لصلاحِ الناس في دنياهم.

وقد يقولون: «إن الشرائعَ قوانينُ عَدْليَّةٌ، وُضعت لمصلحةِ الدنيا»، فأمَّا المعارفُ والحقائقُ والدرجاتِ العاليةُ في الدنيا والآخرة: فيُفضِّلون فيها أنفسَهم، وطُرُقَهم على الأنبياء وطُرُقِ الأنبياء.

وقد عُلم بالاضطرار من دينِ المسلمين أن هذا من أعظمِ الكفر والضلال، وكان ذلك من سببِ جَحدِ حقائقِ ما أخبرت به الرسلُ، مِن أمرِ الإيمانِ باللَّه واليوم الآخر، وزَعْمِهم أن ما يقولُه هؤلاء في هذا الباب هو الحق.

وصاروا في أخبارِ الرسل، تارةً يُكذِّبونها، وتارةً يُحرِّفونها، وتارةً يُفوِّضونها، وتارةً يزعُمون أن الرُّسُلَ كذَبوا لمصلحةِ العموم.

ثم عامَّةُ الذين يقولون هذه المقالات: يُفضِّلون الأنبياءَ والرسلَ على أنفسهم، إلاَّ الغاليةَ منهم ـ كما تقدم ـ، فهؤلاء من شرِّ الناس قولاً واعتقاداً.

وقد كان عندنا شيخٌ من أجهلِ الناس، كان يُعظِّمُه طائفةٌ من الأعاجم، ويُقال: «إنه خاتمُ الأولياء»، يَزعمُ أنه يُفسِّرُ العلمَ بوجهين، وأن النبيَّ ﷺ إنما فسَّره بوجهٍ واحد، وأنه هو أكملُ من النبي ﷺ، وهذا تلقَّاه من صاحب «الفصوص»، وأمثالُ هذا في هذه الأوقات كثيرون، وسببُ ضلالِ المتفلسفةِ وأهلِ التصوفِ والكلامِ: الموافقةُ لضلالهم، وليس هذا

موضعَ الإطنابِ في بيان ضلالِ هذا، وإنما الغرضُ التنبيهُ علىٰ أن صاحب «الفصوص» وأمثالَه قالوا قولَ هؤلاء.

فأمَّا كُفرُ مَن يُفضِّلُ نفسَه علىٰ النبي ﷺ ـ كما ذَكر صاحب «الفصوص» ـ فظاهر؛ ولكنْ مِن هؤلاء مَن لا يرىٰ ذلك؛ ولكنْ يرىٰ أنَّ له طريقًا إلىٰ اللَّه غيرَ اتِّباعِ الرسول، ويُسَوِّغُ لنفسِه اتِّباعَ تلك الطريقِ ـ وإنْ خالَفَ شَرْعَ الرسول ـ، ويحتجُّون بقصةِ موسىٰ والخَضِر.

الوجه الثامن: أنه قال: «ولَمَّا مَثَّل النبي ﷺ النبوَّةَ بالحائط..»، إلىٰ آخرِ كلامه وهو متضمِّنٌ أنَّ العلمَ نوعان:

أحدهما: عِلمُ الشريعة، وهو يأخذُ عن اللَّه كما يأخذُ النبيُّ، فإنه قال: «والسببُ الموجِبُ لكونه رآها لَبِنَتَينِ أنه تابعٌ لشرع خاتَمِ الرُّسُلِ في الظاهر وهو موضعُ اللبنةِ الفضيَّة، وهو ظاهرُه، وما يَتبعُه فيه من الأحكام، كما هو آخِذٌ عن اللَّه في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متَّبِعٌ فيه؛ لأنه يَرىٰ الأمر علىٰ ما هو عليه، فلابدَّ أن يراه هكذا».

وهذا الذي زَعَمه ـ من أن الولِيَّ يأخذُ عن اللَّهِ في السرِّ ما يَتبعُ فيه الرسلَ كأئمةِ العلماء مع أتباعهم ـ فيه من الإلحادِ ما لا يَخفَىٰ علىٰ مَن يؤمنُ باللَّه ورُسُلِه، فإن هذا يدَّعي أنه أُوتِيَ مثلَ ما أُوتي رُسلُ اللَّه، ويقول: «إنه أُوحِيَ إليَّ»، ولم يُوحَ إليه شيء، ويَجعلُ الرسُلَ بمنزلة معلم الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عَرف المتعلِّمُ الدليلَ الذي قال به مُعلِّمُه، فينبغي موافقتُه له لمشاركتِه له في العلم، لا لأنه رسولٌ وواسطةٌ من اللَّه إليه في تبليغِ الأمر والنهي.

وهذا الكفرُ يُشبِهُ كُفرَ مُسيلِمةَ الكذَّاب ونحوه ممن يدَّعي أنه مشارِكٌ للرسول في الرسالة، وكان يقولُ مؤذِّنه: «أشهدُ أن محمداً ومسيلِمةَ رسولاَ اللَّه».

والنوع الثاني: عِلمُ الحقيقة، وهو فيه فوقَ الرسول، كما قال: «هو موضعُ اللبنةِ الذهبيةِ في الباطن، فإنه أخذٌ من المعدِنِ الذي يأخذُ منه المَلَك، الذي يوحَىٰ به إلىٰ الرسول».

فقد ادَّعىٰ أن هذا العلمَ الذي هو موضعُ اللبنةِ الذهبيةِ ـ وهو علمُ الباطن والحقيقة ـ هو فيه فوقَ الرسول؛ لأنه يأخذُه من حيثُ يأخذ المَلَكُ العلمَ الذي يُوحِي به إلىٰ الرسول، والرسولُ يأخذُه من المَلَك، وهو يأخذُه من فوقِ المَلَك، من حيثُ يأخذُه المَلَك، وهذا فوقَ دعوىٰ مسيلِمة الكذَّاب، فإنَّ مسيلمةَ لَم يَدَّعِ أنه أعلا من الرسول في علمٍ من العلومِ الإلهية، وهذا ادَّعىٰ أنه فوقَه في العلم باللَّه.

ثم قال: «فإن فهمتَ ما أشرتُ به: فقد حَصَل لك العلمُ النافع».

ومعلومٌ أن هذا الكفرَ فوقَ كفرِ اليهود والنصارىٰ، فإن اليهودَ والنصارىٰ لا ترضَىٰ أن تجعلَ أحداً من المؤمنين فوق موسىٰ وعيسىٰ، وهذا يزعمُ أنه هو وأمثالُه ـ ممن يدَّعي أنه خاتمُ الأولياء ـ أنه فوقَ جميعِ الرسل، وأعلمُ باللَّه من جميعِ الرسل؛ وعقلاءُ الفلاسفة لا يَرْضَون بهذا، وإنما يقولُ مثلَ هذا غُلاتُهم وأهلُ الحُمقِ منهم، الذين هم من أبعدِ الناس عن العقلِ والدين.

التاسع: قوله: «فكلُّ نبيٍّ مِن لَدُن آدم. . » ـ إلىٰ آخرِ الفصل ـ، تضمن

أن جميعَ الأنبياءِ والرسلِ لا يأخذون إلاَّ من مشكاةِ خاتمِ النبيين، ليوطِّنَ لنفسه بذلك أن جميعَ الأنبياء لا يأخُذون إلاَّ من مشكاةِ خاتمِ الأولياء، وكلاهما ضلال، فإنَّ الرسلَ ليس منهم أحدٌ يأخُذُ من آخَر، إلا مَن كان مأموراً باتباع شريعته، كأنبياءِ بني إسرائيل والرسلِ الذين بُعثوا فيهم الذين أُمِروا باتباع التوراة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ الآية [المائدة: ٤٤].

وأمَّا إبراهيم: فلم يأخُذْ عن موسىٰ وعيسىٰ، ونوحٌ لَم يأخذ عن إبراهيم، ونوحٌ وإبراهيمُ وموسىٰ وعيسىٰ لَم يأخذوا عن محمدٍ، وإن بشَّروا به وآمنوا به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلاَّ أَخَذَ عليه العهدَ في أمرِ محمدٍ، وأَخَذَ العهدَ علىٰ قومِهِ ليؤمنُنَّ به، ولئن بُعث وهم أحياءٌ لَيَنصرُنَّه».

العاشر: قوله: «فإنه بحقيقته موجود، وهو قولُه: «كنت نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين»، بخلافِ غيره من الأنبياء، وكذلك خاتمُ الأولياء، كان وليًّا وآدمُ بين الماءِ والطين»: كذبٌ واضح، مخالفٌ لإجماعِ أئمة الدين، وإن كان هذا يقولُه طائفةٌ من أهلِ الضلال والإلحاد.

فإنَّ اللَّه عَلِمَ الأشياء، وقَدَّرها قبل أن يُكوِّنها، ولا تَكونُ موجودةً بحقائقِها إلاَّ حين تُوجد، ولا فَرْقَ في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكنْ حقيقتُه ﷺ موجودةً قبلَ أن يُخلق، إلاَّ كما كانت حقيقةُ غيرِه، بمعنىٰ أن اللَّه عَلِمها وقدَّرها.

لكن كان ظُهورُ خَبَرِهِ واسمِه مشهوراً أعظمَ من غيره، فإنه كان مكتوبًا في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روىٰ الإمام أحمد في «مسنده»، عن العِرباض بنِ سارية، عن النبي ﷺ قال: «**إني لَعبدُاللَّه، مكتوبٌ «خاتمَ النبيين» وإن آدم لَمُنْجَدلٌ في طِينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورؤيا أُمِّي، رأت حين وَلَدَتْني كأنه خَرَج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام**».

وحديثُ مَيْسَرَةَ الفجرِ: قلت: يا رسول اللَّه، متىٰ كنتَ نبيًّا؟ ـ وفي لفظٍ: متىٰ كُتبت نبيًّا؟ ـ قال: «**وآدمُ بين الروح والجسد**»، وهذا لفظُ الحديث.

وأما قوله: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماءِ والطين»، فلا أصلَ له، لَم يَرْوِهِ أحدٌ من أهلِ العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطلٌ، فإنه لم يكنْ بين الماء والطين، إذ الطينُ ماءٌ وتراب، ولكن لَمَّا خَلَق اللَّه جَسَدَ آدمَ قبل نَفخِ الروح فيه: كَتَبَ نبوَّةَ محمدٍ ﷺ وقدَّرَها، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود، قال: حَدَّثَنا رسولُ اللَّه ﷺ ـ وهو الصادق والمصدوق ـ: «**إنَّ خَلْقَ أحدكم يُجعل في بطنِ أُمِّه أربعينَ يومًا نطفة، ثم يكونُ عَلَقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثُم يُبعث إليه المَلَكُ، فيؤمَرُ بأربعِ كلمات، فيقال: اكتبْ رزقَه، وعَمَلَه، وأَجَلَه، وشقيًّا أو سعيدًا، ثُم يُنفخ فيه الروحُ**».

فأين الكتابُ والتقديرُ من وجود الحقيقة؟ .

الحادي عشر: قوله: «وخاتم الأولياء كان وليًّا وآدمُ بين الماء والطين. . »، إلىٰ قوله: «فخاتمُ الرسلِ من حيثُ ولايته، نِسبتُه مع الخَتم للولاية، كنسبة الأولياءِ والرسل معه. . » إلىٰ آخر الكلام.

ذَكَر فيه ما تقدَّم من كونِ رسول اللَّه ﷺ مع هذا الختمِ المدَّعىٰ كسائرِ الأنبياء والرسل معه، يأخذُ من مشكاته العلمَ باللَّه ـ الذي هو أعلىٰ العلم، وهو وحدةُ الوجود ـ، أنه مقدَّمُ الجماعة، وسيِّدُ ولدِ آدم في فتح باب الشفاعة، فعيَّن حالاً خاصًّا ما عَمَّم. . إلىٰ قوله: «ففاز محمدٌ بالسيادة في هذا المَقامِ الخاصِّ».

فكَذَبَ علىٰ رسول اللَّه ﷺ في قوله: «إنه قال: أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ في الشفاعة خاصةً»، وألْحَدَ وافترىٰ من حيثُ زَعَم أنه سيِّدٌ في الشفاعة فقط، لا في بقيةِ المراتب؛ بخلافِ الختمِ المفترَىٰ، فإنه سيِّدٌ في العلمِ باللَّه، وغيرِ ذلك من المقامات.

ولقد كنتُ أقول: لو كان المخاطِبُ لنا ممَّن يُفضِّلُ إبراهيمَ أو موسىٰ أو عيسىٰ علىٰ محمدٍ ﷺ، لكانت مُصيبةً عظيمة، لا يَحتملُها المسلمون، فكيف بمن يُفضِّلُ رجلاً من أُمَّةِ محمدٍ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ جميعِ الأنبياء والرسل في أفضل العلوم؟! ويدَّعي أنهم يأخذون ذلك من مِشكاته؟. . وهذا العلمُ هو غايةُ الإلحاد والزندقة.

وهذا المُفضِّل مِن أضلِّ بني آدم، وأبعدِهم عن الصراط المستقيم، وإن كان له كلامٌ كثير، ومصنَّفاتٌ متعدِّدة، وله معرفةٌ بأشياء كثيرة، وله استحواذٌ علىٰ قلوبِ طوائفَ من أصنافِ المتفلسفة، والمتصوِّفة، والمتكلِّمة، والمتفقِّهة، والعامة، فإن هذا الكلامَ من أعظمِ الكلام ضلالاً، عند أهل العلم والإيمان واللَّه أعلم.

وقد تبيَّن أن في هذا الكلام من الكفرِ، والتنقيصِ بالرسل، والاستخفافِ بهم، والغَضِّ منهم؛ بل والكفرِ بهم، وبما جاؤوا به: ما لا

يَخفىٰ علىٰ مؤمن، وقد حدَّثني أحدُ أعيانِ الفضلاء: أنه سَمع الشيخَ إبراهيمَ الجعبري ـ رحمة اللَّه عليه ـ يقول: «رأيتُ ابنَ عربي ـ وهو شيخٌ نجس ـ يُكذِّبُ بكلِّ كتابٍ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيٍّ أرسله اللَّه»، ولقد صدق فيما قال؛ ولكنَّ هذا بعضُ الأنواع التي ذَكرها من الكفر.

◻ وكذلك قولُ أبي محمد بنِ عبدِالسلام: «هو شيخُ سَوءٍ، مقبوحٌ كذاب، يقول بقِدَم العالَم، ولا يُحرِّمُ فَرْجًا»، هو حقٌّ عنه؛ لكنه بعضُ أنواعِ ما ذكره من الكفر، فإن قوله [هذا حين] لم يكن قد تبيَّن له حالُه وتحقَّق، وإلاَّ فليس عنده ربٌّ وعالَم، كما تقوله الفلاسفة الإلهيُّون، الذين يقولون بوجبِ الوجود، وبالعالم الممكن، بل عنده وجودُ العالَم هو وجودُ اللَّه، وهذا يطابقُ قولَ الدهرية الطبائعية، الذين يُنكِرون وجودَ الصانعِ مطلقًا، ولا يُقِرُّون بوجود واجبٍ غيرِ العالَم ـ كما ذَكر اللَّهُ عن فرعون وذَوِيه ـ، وقولُه مطابقٌ لقول فرعون، لكنَّ فرعونَ لم يكن مقرًا باللَّه، وهؤلاءُ يقرُّون باللَّه، ولكن يُفسِّرونه بالوجود الذي أقرَّ به فرعون، فهم أجهلُ من فرعونَ وأضلُّ، وفرعونُ أكفرُ منهم: إذ في كُفرِه من العنادِ والاستكبارِ ما ليس في كفرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال له موسىٰ ﷺ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

◻ وجُمَّاعُ أمرِ صاحبِ «الفصوص» وذَوِيه: هدمُ أصولِ الإيمان الثلاثة؛ فإن أصول الإيمان: «الإيمان باللَّه؛ والإيمان برُسُله، والإيمان باليوم الآخر».

◘ فأما الإيمانُ باللَّه: فزَعموا أن وجودَه وجودُ العالَم، ليس للعالَم صانعٌ غيرُ العالَم.

◘ وأما الرسول: فزعموا أنهم أعلمُ باللَّه منه، ومن جميعِ الرسل، ومِنهم من يأخذُ العلم باللَّه ـ الذي هو التعطيلُ ووحدةُ الوجود ـ من مِشكاته، وأنهم يُساوُونه في أخذِ العلمِ بالشريعة عن اللَّه.

◘ وأما الإيمان باليومِ الآخر، فقد قال:

فَلم يَبْقَ إلاَّ صادقُ الوعدِ وحدَه ... وبالوعيدِ الحقِّ عينٌ تُعاينُ

وإنْ دَخَلوا دارَ الشقاء فإنهم ... على لذَّةٍ فيها نعيمٌ يُباينُ

فهذه أقوالُ الزنديقِ الفاجرِ، نقلناها لنُبيِّنَ عَوَارَ دجَّالِ الصوفيَّة[1] الأكبر.

* **العفيفُ «أو الفاجر» التِّلمِساني.. شيطانُ وحدة الوجود:**

◘ قال ابنُ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «حَدَّثني الشيخُ العالمُ العارفُ، كمالُ الدين المَرَاغي شيخُ زمانه، أنه لَمَّا قَدِم وبَلَغه كلامُ هؤلاء في التوحيد قال: قرأتُ على العفيفِ التلمساني من كلامهم شيئًا، فرأيته مخالفًا للكتاب والسُّنَّة، فلمَّا ذكرتُ ذلك له قال: «القرآن ليس فيه توحيد، بل القرآن كلُّه شرك، ومَن اتَّبع القرآنَ لم يَصِلْ إلى التوحيد، قال: فقلتُ له: ما الفرقُ عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت، الكلُّ واحد؟!. قال: لا فرقَ بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجُوبون اعتقدوه حرامًا، فقلنا هو حرامٌ عليهم عندنا، وأما عندنا، فما ثَمَّ حرام».

---

(١) انتهى ملخصًا من «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٢٠٦ـ ٢٤٢).

وحدَّثني كمالُ الدين المراغي، أنه لما تحدَّث مع التلمساني في هذا المذهب قال: «وكنتُ أقرأُ عليه في ذلك، فإنهم كانوا قد عَظَّموه عندنا، ونحن مشتاقون إلىٰ معرفة «فصوص الحكم»، فلما صار يشرحُه لي أقولُ: هذا خلافُ القرآنِ والأحاديث، فقال: ارمِ هذا كلَّه خلفَ الباب، واحضُرْ بقلبٍ صافٍ، حتىٰ تتلقَّىٰ هذا التوحيد ـ أو كما قال ـ ثم خاف أن أُشيعَ ذلك عنه، فجاء إليَّ باكيًا وقال: استُرْ عنِّي ما سمعتَه مني».

وحدَّثني أيضًا كمالُ الدين، أنه اجتمع بالشيخ أبي العباس الشاذلي ـ تلميذ الشيخ أبي الحسن ـ، فقال عن التمساني: «هؤلاء كُفَّارٌ، هؤلاء يعتقدون أن الصَّنعةَ هي الصانع»[1].

◻ قال ابنُ تيمية: «أما الفاجرُ التلمساني، فهو أخبثُ القومِ وأعمقُهم في الكفر؛ فإنه لا يُفرِّق بين الوجودِ والثُبوت كما يُفرِّقُ ابنُ عربي، ولا يُفرِّقُ بين المطلَق والمعيَّن كما يُفرِّقُ الرُّومي[2]، ولكن عنده ما ثَمَّ غيرٌ ولا سِوًىٰ بوجهٍ من الوجوه، وإن العبدَ إنما يشهدُ السِّوَىٰ ما دام محجوبًا، فإذا انكشف حِجابُه رأىٰ أنه ما ثَمَّ غيرٌ يُبيِّنُ له الأمر.. ولهذا كان يَستحِلُّ جميعَ المحرَّمات.

وكان يقولُ: «القرآن كلُّه شركٌ ليس فيه توحيد، وإنما التوحيدُ في كلامنا».

وكان يقول: «أنا ما أُمسِكُ شريعةً واحدة، وإذا أحْسَنَ يقول: «القرآن

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢/ ٢٤٤ـ٢٤٥).

(٢) أي الصدر الرومي.

يُوصِّلُ إلىٰ الجنة، وكلامُنا يُوصِّلُ إلىٰ اللَّه تعالىٰ».. وصنَّف للنصيرية عقيدة»[1] .

◻ ويقولُ أيضًا ابنُ تيمية: «وقد قال مرةً شيخُهم الشِّيرازي، لشيخه التلمساني ـ وقد مرَّ بكلبٍ أجربَ ميِّتٍ ـ: هذا أيضًا مِن ذاتِ اللَّه؟ فقال: وثَمَّ خارجٌ عنه؟ ومرَّ التلمسانيُّ ومعه شخصٌ بكلبٍ، فرَكَضَه الآخرُ برِجلِه، فقال: لا تَرْكُضِيهِ فإنه منه».

وهذا من أعظمِ الكفر والكذب الباطل في العقل والدين»[2] .

◻ وقال ابنُ تيمية: «وهذا الرجلُ وابنُ عربيٍّ يشتركانِ في هذا ـ أي: في القول بوحدة الوجود ـ، ولكن يفترقانِ من وجهٍ آخَرَ: فإن ابن عربيٍّ يقول: وجودُ الحقِّ ظَهَر في الأعيان الثابتة في نفسها، فإنْ شئتَ قلتَ: «هو الحق»، وإن شئت قلت: «هو الخَلْق»، وإن شئت قلت: «هو الحق والخلق». وأما التلمساني، فإنه لا يُثبت تعدُّدًا بحالٍ، فهو مِثلُ يَعَاقِبَةِ النصارىٰ، وهم أكفُرهم»[3] .

◻ وقال: «إن هذا الملحِدَ في أسماءِ اللَّه جَعَل هذه العُقدةَ ـ التي سمَّاها «عقدة حقيقة النُّبُوَّة» ـ، وجَعَلها صورةَ عِلمِ الحقِّ بنفسه، وجَعَلها مرآةً لانعكاسِ الوجود المطلَق ـ: محلاً لتميُّز صفاتِه القديمة، وأنَّ الحقَّ ظَهَر فيه بصورته واصفًا يَصِفُ نفسَه، ويُحيط به، وهو المُسَمَّىٰ بالرحمن، ثم ذَكر أنه

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٠٩).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ١٨٥).

أعطى محمداً هذه العُقدة.

* ومعلوم أن المسمَّى بالرحمن هو المسمَّى باسم اللَّه، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فيكون هو سبحانه هذه العُقدة التي أعطاها لمحمد، وإنْ كانت صفةً له أو غيره، فتكونُ هي الرحمن، فهذا المُلحِدُ دائرٌ بين أن يكونَ الرحمن هو خَلْقٌ مِن خَلقِ اللَّه أو صفةٌ من صفاتِه، وبين أن يكونَ الرحمنُ قد وَهَبَه اللَّهُ لمحمد، وكلٌّ من القسميْن من أسمج الكفر وأبشعِه»[1].

فلعنةُ اللَّه على الفاجر التلمساني زنديقِ الصوفية.

*** ابنُ الفارض، صاحب «التائيَّة» الكُفْرِيَّة:**

أبو حفص وأبو القاسم عمرُ بنُ عليِّ بنِ المرشِدِ بنِ علي، حَمَوِيُّ الأصل، مِصريُّ المَولدِ والدارِ والوفاة، وُلد في الرابع من ذِي القَعدة سنةَ ٥٧٦هـ، وتُوفِّي في الثاني من جُمادىٰ الأولىٰ سنة ٦٣٢هـ[2].

▫ وقال الذهبي عنه: «شاعرُ الوقت، شرفُ الدِّين عمرُ بنُ عليِّ بنِ مُرشدٍ، الحَمَويُّ ثم المِصريُّ، صاحب الاتحاد[3] الذي قد ملأ به «التائية». . فإنْ لم يكن في تلك القصيدةِ صريحُ الاتحاد الذي لا حِيلةَ في وجودِه، فما في

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ١٨٢).

(٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٢٣، ٤٠) للدكتور محمد مصطفىٰ حلمي ـ دار المعارف..

(٣) يعني: وحدة الوجود وهو نفس مذهب ابن عربي. . أما الحلول والاتحاد فمذهب ابن الفارض.

العالم زَندقةٌ ولا ضلال، اللَّهم ألهِمْنا التقوىٰ، وأعِذْنا من الهوىٰ، فيا أئمةَ الدِّين، ألاَ تغضبون للَّه؟! فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللَّه»[1].

▫ وقال في «ميزان الاعتدال»: «حَدَّث عنه القاسمُ بنُ عساكر، يَنعِقُ بالاتحاد الصريح في شِعره، وهذه بليَّةٌ عظيمة، فتدبَّر نَظْمَه ولا تستعجلْ، ولكنك حَسَنُ الظن بالصوفيَّة، وما ثَمَّ إلا زِيٌّ الصوفية وإشاراتٌ مُجملَةٌ، وتحت الزيِّ والعبارةِ فلسفةٌ وأفاعٍ فقد نصحتُك، واللَّه الموعِد»[2].

▫ وقال الحافظُ ابن كثير: «ابنُ الفارض، ناظم «التائية في السلوك» علىٰ طريقةِ المتصوِّفة المنسوبين إلىٰ الاتحاد، كان أبوه يكتبُ فروضَ النساء والرجال، وقد تكلَّم فيه غيرُ واحدٍ من مشايخنا بسبب قصيدتِه المشار إليها، وقد ذَكَره شيخُنا أبو عبداللَّه الذهبي في «ميزانه» وحَطَّ عليه»[3].

▫ وحين تكلَّم عن ابنِ إسرائيلٍ الحَريري قال: «ولكن في كلامه ونَظمه ما يُشيرُ إلىٰ نوعٍ من الحلول والاتحاد علىٰ طريقة ابنِ عربيٍّ وابنِ الفارض وشيخه الحريري»[4].

▫ وقال عنه الحافظ ابنُ حَجَر العسقلاني بعد أن نَقَل كلامَ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «وابنُ الفارض المذكورُ له صورةٌ كبيرة عند الناس، لِمَا كان فيه من الزهد والانقطاع، قد عَمِلَ له سِبْطُه ترجمةً حكىٰ فيها أشياءَ عجيبةً من أموره، وكان أبوه يتلو الفروضَ بالقاهرة».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨).

(٢) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي (٣/ ٢١٤ـ ٢١٥).

(٣) «البداية والنهاية» (١٧/ ٢٢٢).

(٤) «البداية والنهاية» (٤/ ٥٥٠).

- وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «كان سيِّدَ شعراءِ عصرِه وشيخَ الاتحادية».

- وقال المنذري: «سمعتُ منه من شِعره».

- وقال في «التكملة»: «كان قد جَمَعَ في شِعره بين الحوالة والحلاوة».

- قال الذهبي: «إلاَّ أنه شابَهُ بالاتحاد في ألذِّ عبارةٍ وأرقِّ استعارةٍ كفالوذجٍ مسمومٍ» ثم أنشد من التائية التي سَمَّاها «نظم السلوك» أبياتًا منها:

لها صلواتي بالمَقام أُقيمُها ... وأَشْهَدُ فيها أنها لي صَلَّتِ
كِلانا مُصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقتُه بالجَمْعِ في كُلِّ سَجْدَةِ

- ومنها:

وها أنا أُبدِي في اتِّحادي مبدأي ... وأُنهِي انتهائي في مواضعِ رِفعتي
وفي موقفي لا بَلْ إلى توجُّهي ... ولكنَّ صلاتي لي ومِنِّي كعبتي

- ومنها:

ولا تكُ مِمَّن طَيَّشَتْهُ دُروسُه ... بحيث استقلَّتْ عَقْلَه واستفزَّتِ
فثَمَّ وراءَ العقلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عن ... مَدَارِكِ غاياتِ العقولِ السَّلِيمةِ
تلقيتُه عنِّي ومني أخذتُه ... ونفسي كانت من خَطَاتي مَحيدتي

- ومنها:

وما عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكمًا سوى يَدِي ... وإنْ حَلَّ بالإقرار فهي أحلَّتِ
وإنْ خَرَّ للأحجار في البُدِّ عاكفٌ ... فلا تَعْدُ بالإنكار بالعَصَبِيَّةِ
وإن عَبَدَ النارَ المجوسُ ومَا انطَفَتْ ... فما قصدوا غيري لأنوارِ عِزَّتي

قلتُ[١] : ومن هذه القصيدة :

وَجُد في فنـــونِ الاتِّحادِ ولا تَحِدْ إلى فئةٍ في غُــرَّةِ العمـــرِ أَصْبَتِ

ومنها :

إليَّ رســولاً كنتَ مِنِّــي مُرْسَــلاً وذاتي أمــانيــيُّ عليَّ اسـتَقَلَّت

وفي قصائده من هذا النمط فيما يتعلَّقُ بالاتحاد شيءٌ كثير، وقد كنتُ سألتُ شيخَنا الإمامَ سِراجَ الدِّينِ البُلقينيَّ عن ابن عربي، فبادَرَ الجواب بأنه كافر، فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحبُّ أن أتكلَّم فيه. قلتُ: فما الفرقُ بينهما والموضعُ واحد ـ وأنشدتُه من «التائية» ـ، فقطع علَيَّ بعدَ إنشادِ عِدَّةِ أبياتٍ بقوله: «هذا كفرٌ هذا كفر».

ورأيتُ في كتاب «التوحيد» للشيخ عبدالقادر القوصي قال: حكىٰ لي الشيخُ عبدُالعزيز بنُ عبدِالغنيِّ المُنوفي قال: كنتُ بجامعِ مصرَ وابنُ الفارض في الجامع وعليه حَلَقةٌ، فقام شابٌّ من عندِه وجاء إلىٰ عندي، وقال: جرَىٰ لي مع هذا الشيخ حكايةٌ عجيبة ـ يعني ابن الفارض ـ قال: دفَعَ إليَّ دراهمَ، وقال: اشتر لنا بها شيئًا للأكل، فاشتريتُ، ومَشَيْنا إلىٰ الساحل، فنزلنا في مَركبٍ حتىٰ طَلَع النهنسا[٢] فطرق بابًا، فنزل شخصٌ، فقال: «بسم اللّه»، وطَلَع الشيخ، فطلعت معه، وإذا بنسوةٍ بأيديهم الدُّفوفُ والشَّبَّابات وهم يغنُّون له، فرقص الشيخُ إلىٰ أن انتهىٰ وفرغ، ونزلنا وسافرنا حتىٰ جئنا إلىٰ مصر، فبَقِيَ في نفسي، فلما كان في هذهِ الساعة جاءه الشخصُ الذي فَتَح له الباب، فقال له: يا سيدي، فلانة ماتت ـ وذَكَر واحدةً من أولئك

---

(١) الكلامُ السالف كلُّه للحافظ ابن حجر، وما يأتي أيضًا.

(٢) قرية بصعيد مصر بمحافظة المنيا.

الجواري ـ، فقال: اطلبو الدَّلاَّل، وقال: اشترِ لي جاريةً تُغَنِّي بَدَلَها، ثم أمسك أُذُني، فقال: لا تُنْكِر على الفقراء»[1] .

*** كَذِبُ ابنِ الفارض على رسول الله ﷺ:**

◘ هذه «التائية» وأبياتُها تطفحُ بالكفر والقولِ بوحدةِ الوجود، يدَّعي ابنُ الفارض أن النبيَّ ﷺ هو الذي اختار له اسمَها ـ كما هو مذكور في «ديباجة ديوانه» ـ: «سأل النبيُّ ﷺ ابنَ الفارض مرَّةً أخرى في المنام عن قصيدته «التائية الكبرى»: «ماذا سمَّاها؟»، فأجابه بأنه سمَّاها «لوائح الجَنان وروائح الجِنان»، فقال له النبيُّ: لا، بل سَمِّها «نظم السلوك». . »[2] .

ومن هنا كانت شهرةُ هذه القصيدةِ بهذا الإسم.

فكيف يَفتري على رسول اللَّه ﷺ أنه هو الذي سمَّى له هذه الكلماتِ الكفريةَ؟! حاشاه.

*** وحدةُ الأديانِ عند ابنِ الفارض:**

فبي مجلسُ الأذكار سَمْعُ مطالعٍ ... ولي حانةُ الخَمَّارِ عَينُ طليعةِ
وما عَقَدَ الزنَّارَ[3] حُكمًا سوى يَدِي ... وإن حُلَّ بالإقرار بي، فهْي حَلَّتِ
وإن نَارَ بالتنزيلِ محرابُ مسجدٍ ... فما بارَ بالإنجيل هَيكلُ بيعةِ
وأسفارُ توراةِ الكليمِ لقومِه ... يناجي بها الأحبارَ في كلِّ ليلةِ
وإن خَرَّ للأحجارِ في البُدِّ عاكفٌ ... فلا تَعْدُ بالإنكارِ بالعصبيةِ

---

(١) «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣١٧ـ ٣١٩) مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٢) «ديباجة ديوان ابن الفارض» لسبط ابن الفارض (ص٦ ـ ٧).

(٣) الزنَّار: ما على وسط النصارى والمجوس.

فما زاغت الأبصـارُ من كلِّ مِلَّـة ... وما رَاغَتِ الأفكارُ مِن كلِّ نِحْـلةِ

وما اختار مَنْ للشمـس عن غُرَّة صبا ... وإشراقُها من نـورِ إسـفارِ غُرَّتـي

وإنْ عَبَدَ النـارَ المجـوسُ وما انطَفَتْ ... كما جاء في الأخـبار في ألف حِجةِ

فما عَبَدوا غـيرِي، وإنْ كان قَـصدُهـم ... سواي وإنْ لَم يَعقِـدوا عَقْـدَ نِيَّتـي

رأَوا ضـوءَ نـارِي مـرةً فتوهمـو ... هُ فضَلُّوا فـي الهُـدى بالأشِـعَّـةِ

□ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «يحكمُ سلطانُ الزنادقة بأن أولئك جميعًا ـ وهم المجوسُ، والوثنيون، واليهود، والنصارىٰ ـ مؤمنون موحِّدون، لم يَعبُدوا غيرَ اللَّه، إذ كلُّ ما ـ أوْ مَن ـ عبدوه ليس شيئًا غيرَ اللَّه».

* الوحدةُ عند ابن الفارض:

□ قال ابن الفارض:

فلا تَـكُ مفتـونًا بحسك مُعْجَبًا ... بنفسـك موقـوفًا على لَبْسِ غِـرةِ

وفارِقْ ضلالَ الفَرْقِ فالجمعُ مُنْتِجٌ ... هُـدَى فُرْقَـة بالاتحـاد تَـحَدَّت

وصَرِّح بإطلاقِ الجمال ولا تَقُـلْ ... بتقييده مَيْـلاً لزخـرف زينـة

فكلُّ مليـحٍ حُسْنُه من جَمـالها ... مُعَـارٌ له، أو حُسْـنُ كلِّ مليحـة

بها قيسُ لُبْنى هام، بل كلُّ عاشقٍ ... كمجنونِ ليلى، أو كُثَـيِّرِ عَـزَّةَ

فَكُلٌّ صَبَا منهم إلى وصفِ لَبْسها ... لصورةِ حُسْنٍ لاح في حُسْنِ صورةِ

وما ذاك إلاَّ أنْ بَـدَتْ بمظـاهرٍ فظنُّـوا سواها، وهْي فيها تجلَّت
بَدَتْ باحتجابٍ، واختفت بمظاهرٍ على صبَغِ التلوينِ في كلِّ بَرْزَةِ[1]
ففي النشأة الأولى تـراءت لآدمٍ بمظهرِ حوَّاً قبل حُكم الأمومـة
فهام بهـا كيما يصيـرُ بهـا أبًا ويظهَـرُ بالزَّوجَينِ حكمُ البُنُوَّةِ
وما برحَتْ تبدو وتَخفَى لعلَّـةٍ على حَسَبِ الأوقاتِ في كلِّ حقْبَة
وتَظـهرُ للعشَّاقِ في كلِّ مَظهـرٍ من اللَّبْسِ في أشكالِ حُسنٍ بديعة
ففي مرةٍ لُبْنَى، وأخـرى بثينـةٌ وآونـةً تُـدْعى بِعَـزَّةَ عـزَّتِ
ولَسْنَ سواها، لا ولا كُنَّ غـيرَها وما إنْ لها في حُسنها من شريكة[2]
كذلك بحكمِ الاتِّحـاد بحُسنها كما لي بَدَتْ في غيرها، وتَـزَيَّتِ
بَـدَوْتُ لها في كلِّ صَبٍّ متيَّـمٍ بأيِّ بديـعٍ، حسـنُه وبأَيَّتِ[3]
وليسـوا بغيري في الهوى لِتَقَدُّمٍ عَلَيَّ لسبْقٍ في الليـالي القديمـة
وما القومُ غيري في هـواها وإنما ظهرتُ لهم لِلَّبْسِ في كلِّ هيئـة
ففي مرة قيسًـا، وأخـرى كُثَيِّرًا وآونـةً أبدو جميـلَ بُثَينـة
تَجلَّيتُ فيهم ظاهرًا واحتجبتُ با طِنًا بهمُ فاعجَبْ لِكَشْفٍ بِسُـتْرَة
أسامٍ بها كنتُ المسـمَّى حقيقـةً وكنتُ ليَ البـادي بِنَفْسٍ تَخَفَّت

---

(١) البَرْزَة: المرَّة من البروز، أو المرأة العفيفة تَبرُزُ للرجال، وتتحدَّثُ معهم.

(٢، ٣) يفتري سلطانُ الزنادقة أن الذاتَ الإلهيةَ تتجلَّى في صورِ النساء الجميلات، ويَفتري أنها تجلَّت في صورِ «ليلى وبُثينة وعزَّة»، وقَدْ رَمَزَ بِهِنَّ عن كلِّ امرأةٍ جميلةٍ عاشقةٍ معشوقة، ثم يفتري أيضًا بأن العاشقَ ليس غيرَ العشيقة، بل هو هي!.

وما زِلتُ إِيَّاها، وإِيَّـاي لَم تَـزَلْ ... ولا فَـرْقَ، بل ذاتي لذاتي أَحَبَّت[١]

وليس معي في الكونِ شيءٌ سواي وال ... مَعِيـةُ لَم تخطـر على أَلمِعيَّتي[٢]

* إفكٌ على اللّه:

□ يقول ابنُ الفارض في ضلالِه:

وجـاء حديثٌ في اتِّحـادي ثابتٌ ... روايتُه في النَّـقـلِ غيرُ ضَعيـفةِ

مشيرًا بحـبِّ الحقِّ بعـد تقـرُّب ... إليه بنـفْـلٍ أو أداء فـريضـة

وموضعُ تنبيهِ الإشـارةِ ظاهـرٌ ... بـ «كنتُ له سَمعًا كنورِ الظَّهيرة»

فَكُلِّي لكُـلِّي طالـبٌ متـوجِّـهٌ ... وبَعضي لبعض جـاذبٌ بالأعِـنَّـةِ

---

(١) هذا وما قبلَه بيِّن الدلالةِ على إيمان ابنِ الفارض بالوحدة، لا بالاتحاد، فإنه حين عبَّر بقوله: «وما زلتُ إياها» خَشِيَ أن يقال عنه: إنه ما زال يستشعرُ إثنينيةً ما ـ لوجودِ محمولٍ وموضوع في تعبيره، وإن كان الحملُ صُوريًا، إذ المحمولُ عَينُ الموضوع ـ، أقول: خَشِيَ أن يقال عنه هذا، فعقَّبه بقوله: «ولا فرق»، حتى لا تَفهمَ أن الذاتَ المعبَّرَ عنها بضميرِ المتكلِّم، وهو التاء في «ما زلتُ» غيرُ المعبَّرِ عنها بضمير الغائب في «إياها»، وإنما هي هي.

وزاد ابنُ الفارض إيغالاً في كفره، فقال: «بل ذاتي لذاتي»، ليُجرِّدَ الذاتَ الإلهية من وجودِها الخاص، وليؤكِّدَ أنْ ليس لها من وجودٍ إلاَّ هذا الوجودُ المقيَّدُ المتعيِّن في هذا أو ذاك من أفرادِ الخَلْق، ولإثباتِ الوحدة التامة بين الحقِّ والخلق ـ لا في الباطنِ فحسب ـ بل في الظاهر، ثم لغرضٍ آخر، وهو أن الذاتَ الإلهية، نالت كمالَها بتعيُّنها في صورةِ ابن الفارض.

هذا هو دينُ مَن لا يزالُ كِبارُ الشيوخ ـ بَلْهَ الزنادقة الصوفية ـ يُلقِّبونه: «سلطان العاشقين».

(٢) هذا توكيدٌ لِمَا يَدينُ به من الوحدة، ولذا يُلِحُّ في نَفْيِ المعيَّة، نَفْيِ أن يكونَ ثَمَّ في الكون «غيرٌ أو سِوىً» إذ ما ثَمَّ إلاَّ حقيقةٌ واحدة، هي هُوِيَّةُ الحقِ، تكثرت بمظاهرِها الخَلْقية والألمعية: الذكاة والفطنة.

ومنِّــي بَــدَا لي ما عَلَيَّ لَبســتُه   وعنِّي البــوادي بي إليَّ أُعيــدَتِ
وفيَّ شَهِدَتُ الساجِدِين لَمظْهَـري   فحقَّـقْتُ أني كنتُ آدمَ سَجْدَتِي[1]

تعانَقَتِ الأطرافُ[2] عنــدي وانطــوى
بِساطُ السِّوى عَدلاً بحُــكمِ السَّوِيَّــةِ

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «وأقولُ في قصة آدم، وأمرِ الملائكةِ بالسجود له، وطاعتِهم لهذا الأمر، وتمرُّدِ إبليس عليه: في كلِّ هذا ما ينقضُ دعاوىٰ الصوفيةِ في الحلولِ والوحدةِ والاتحاد؛ لأنها ـ أي القصة ـ تُثبِتُ ربًا آمرًا بالسجود، وتثبت أغياراً كثيرين هم: آدم، والملائكة، وإبليس، لهذا يُحاولُ ابنُ الفارض تصويرَ القصة، بما يتواءمُ وهوىٰ زندقته، أي: بما يرفعُ في زَعمِه هذا التعدُّدَ في الوجودِ والذوات، ويرفعُ المُغايرةَ بين الماهيات، فيقول: لا تحسبَنَّ الآمرَ بالسجودِ غيرَ من أُمروا به، أو غيرَ مَن وقع الملائكةُ له ساجدين، أو غيرَ مَن تمرَّد علىٰ هذا السجود، فإنهم جميعًا عينٌ واحدة، هي الذاتُ الإلهية، فالآمرُ هو اللَّه باعتبارِ الهُويةِ المجرَّدةِ عن التعيُّن، وآدمُ هو مَظهرُ تعيُّنِ الذات أو الهوية، والملائكة هم تعيُّنات الصفات، وكذلك إبليسُ، فلا تعدُّدَ في الوجود، ولا غَيرِّيَةَ في الماهيات، فآدم هو الذاتُ، والملائكةُ وإبليسُ هم الصفات، وما كان السجودُ الذي وقع سجودَ ذاتٍ لغيرها، بل كان من صفاتٍ لموصوفها.. ثم ينتقل ابنُ الفارضُ من هذا التصوير الصوفيِّ إلىٰ تقريرِ أنه كان عينَ آدم، وكان عينَ الملائكة، أي: عينَ الذات الإلهية، وعينَ صفاتها! هذا هو دينُ سلطان العاشقين، أو قلْ: هذه زندقةُ شيخ الصوفين!!» انتهىٰ بتصرف.

(٢) يزعمُ أنه ليس في الوجود متناقضاتٌ، ولا أضدادَ ولا أغيارَ ـ بل ولا أمثال ـ، إذ الوجودُ كلُّه حقيقةٌ واحدة، والحقيقةُ الواحدةُ لا يقالُ عنها: إنها تُناقِضُ أو تُضادُّ، أو تغايِرُ، أو تُماثِلُ نفسَها، ولهذا يؤمنُ الزنديقُ أن القِدَمَ عَينُ الحدوث والفوقَ عينُ التحت، والنورَ عينُ الظلمة، والأولَ عينُ الآخِرِ، والأزلَ عينُ الأبد، والآنَ عينُ الماضي وعينُ المستقبل، وهذه هي الأطرافُ الوجوديةُ والمكانيةُ والزمانيةُ التي يزعمُ ابنُ الفارض أنها تعانقت عنده، والتي يقولُ بعدَها: إنه حين رأىٰ النقيض عينَ نقيضه، والضدَّ والغَيْرَ نفسَ ضدِّه وغيرِه، انجَلَت عن بصيرته أوهامُ السِّوية، والغَيرية، فبَدَت له الحقيقةُ التي غَلَّفتها بالسِّتر

وليس «ألستُ»[1] الأمسِ غَيْراً لمن غَـدَا
وجُنْحِي غَدًا صُبْحِي ويَـومـي لَيـلتي

وسِـرُّ «بلى» للّه مِـرآةُ كشـفِها
وإثباتُ معنَى الجمعِ نَفْيُ المعيَّة[2]

ظهورُ صِفاتي عن أسامي جَوارحي
مجازاً بها للحُكمِ نفسي تَسَمَّتِ

رُقومُ علومٍ في سُتورِ هيـاكلٍ
على ما وراءَ الحسِّ في النَّفْسِ ورَّتِ

وأسماءُ ذاتِي عن صفاتِ جوانحي
جَوازَ الأسرارِ بها الرُّوحُ سَرَّتِ

مظـاهرُ لي بَـدَوتُ فيـها، ولَم أكنْ
عَلَيَّ بخاف قَبْـلَ موطـنِ بَـرزَتي

ولَمَّا شَعَبْتُ الصَّدْعَ، والتـامَتْ فطـو
رُ شملٍ بفَـرقِ الوصف غيـرُ مشتَّت[3]

تحقَّقتُ أنَّا في الحقيقـةِ واحـدٌ
وأثْبَتَ صحوُ الجَمعِ محوَ التَّشتُّتِ[4]

= أوهامه، تلك هي أن الوجود حقيقةٌ واحدة، وأن الخالقَ عينُ الخلق!!! هذا دينُ سلطانِ العاشقين ـ كما يُسمُّونه ـ.

(١) يعني قولَه سبحانه: ﴿ألستُ بربكم قالوا بلى﴾ ويريدُ بالغد في هذا البيت «يوم القيامة» في عُرف الشرع.

(٢) يشيرُ بـ «بلى» في قوله: «وسر بلى» إلخ إلى قوله سبحانه: ﴿ألستُ بربكم قالوا بلى﴾: الجوابُ بـ «بلى» يستلزم وجودَ سائلٍ ومُجيب، أعني يستلزمُ الإثنية، بيدَ أن ابنَ الفارض يدَّعي هنا أن السائلَ عينُ المجيب، وهذا في قوله: «وإثباتُ معنى الجمع نفي المعية».

(٣، ٤) يقول: لَمَّا جَمَعتُ ما تفرَّق في الوجود، من صفاتٍ وأسماءٍ وأفعال، تيقَّنتُ أنَّ كلَّ شيءٍ هو عينُ الذاتِ الإلهية، وأن الوجودَ عينُ وجوده، ثم ينتقلُ إلى نفسه، فيقرِّرُ أنه آمَنَ عن بيِّنةٍ، ويقظةٍ بصيرة: أنه هو اللّه ذاتًا وصفةً واسمًا وفعلاً، ومشاعرَ وجوارح!.
وهكذا يـؤكِّدُ ما قرَّرتُه من قبلُ، وهو أنَّ ابنَ الفارض ممن يَدينون بالوحدة، لا بالاتحاد، ألاَ تراه يكرِّرُ دائمًا أنه آمَنَ عن يقينٍ أنه ما كان في حالٍ ما، ولا زمانٍ ما غيرٌ ولا سوى! =

وإني، وإنْ كُنتُ ابنَ أدم صـــورةً فلي فيـــه معنًى شـــاهدٌ بأُبـوتي

* دِينُ ابنِ الفارض:

□ يقول ابن الفارض:

وَجُلْ في فنــونِ الاتحاد، ولا تَحِدْ إلى فـئـــةٍ في غيرِه العمــرَ أَفْنَت

فواحدُه الجمُّ الغفيـــرُ ومَن عَـدا ه شرذمةٌ في غيره العمـــرَ أفنت

فمُتْ بمعناه، وعِشْ فيه، أو فمُتْ معناه، واتَّبِـــعْ أُمـــةً فيه أُمَّت

فأنت بهذا المَجد أجدَرُ من أخي اجـ ـتهاد،مُجِـدٍّ عن رجـاء وخيفة

فألغِ الكُنى عنِّي[1] ولا تُلغِ الكُنى بها، فهي من آثـــار صيغة صنعتي

وأيَّ بـــلادِ اللَّه حَلَّت بهـا، فمـا أراها، وفي عيني حَلَّتْ غَيـرَ مكة

وأيَّ مــكانٍ ضمَّـها حَـــرَمٌ، كذا أرى كلَّ دارٍ أوطنت دارَ هــجرة

وما سكنتُه، فهـــو بيتٌ مَقَـدسٍ بقُـرَّةِ عيـنـــي، فيه أحشايَ قَرَّت

ومَسجدِي الأقصى مَساحِبُ بُرُدِها وطيبي ثَـرَى أرضٍ عليـهـا تمشَّت

وشُكري لي، والبـِرُّ منِّي واصِـلٌ إليَّ، ونفسي باتحــادي اسـتبدَّت

= وإنما كان ثَمَّ حقيقةٌ واحدةٌ هي الذات الإلهية تجلَّت في صور خَلْقية، أما الاتحاد، فيستلزمُ أنه كان قبلُ وجودان، ثم اتحد أحدُهما بالآخر، وهذا ما يُنكرُه ابنُ الفارض ويَنفيه نفيًا باتًا.. قد يقال: وما لابن الفارض إذن يُعبِّرُ عن مُعتقَده بالاتحاد؟ أقول: مما يُفصِّلُ به ابنُ الفارض في «التائية الكبرىٰ» نجزمُ بأنه يستعملُ الاتحادَ بمعنى الوحدة، والعبرةُ بمعانيه، لا بألفاظه.

(١) هذا كفر يُنابذُ الشرع، ولهذا يُلِحُّ ابنُ الفارض في البيت الذي قبلَ هذا في تحذيرِ أتباعه مِنَ المَيلِ إلى الأئمة المُجِدِّين المجتهدين الذين يَعبدون اللَّهَ وحده، وتمتلئُ قلوبُهم بالخَوفِ والرجاء من اللَّه وحده.

وثَمَّ أمـــورٌ تَمَّ لي كَشفُ سترِها بصحـو مفيقٍ عن سواي تَغَطَّت
بها لَم يَبُحْ مَن لم يُبِحْ دَمَـه، وفي الإشـارة معنى مـا العبارةُ حَـدَّت
وقلبـي بيتٌ فيـه أسكـنُ دونَـه ظهـورُ صِـفاتي عنه من حَجْبيَّتي
ومنها يَميـنـي فيَّ رُكنٌ مقبَّــلٌ ومِن قبِلـتي للحكم في فيَّ قِبلَتي
وحَـــولِي بالمعـنى طـوافي حقيقـةً
وسَـعي لوجهـــي من صفائي لِمَرْوَتي[١]
وفي حَــرَمٍ من باطـنـي أمــنُ ظـاهـري
ومـن حَـوله يُخشـى تخطُّف جيرتــي[٢]
وشَفْعُ وجُودي في شُهودي ظَلَّ في اتـحـادي وِتـراً في تيقُّظِ غَفْوَتي[٣]

---

(١) يقصد: الصفا والمروة، يريدُ أن يقول: إنه إذا طاف فإنما يطوفُ حولَ نفسه، وإذا سعى بين الصفا والمروة، فإنما يسعى لوجهه، ذلك لإيمانه بأن العابدَ والمعبودَ عينٌ واحدة، ولقد أقسَمَ لي صوفيٌّ: أنه ليس ممن يَطُوفُون حولَ الكعبة، بل هو ممن تطوفُ حولهم الكعبة!!.

(٢) يريد أن يقول: إنه هو الحَرَم، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾، يا لزنديقٍ يزعمُ أن باطنَه الخبيثَ هو هذا القُدسُ الطَّهور!.

(٣) الشَّفعُ عند الصوفية: وجودُ الربِّ شُفِّع بوجود العبد، والوِترُ عندهم وجودُ الربِّ فردًا باقيًا بعد فناءِ وجودِ العبد، ولِمَا يستلزمُه الشفعُ من الإثنينية راح ابنُ الفارض يَنفيه هنا نفيًا باتًا، ثم يؤكِّدُ أنه تجلَّى له عن شهودٍ جليٍّ، ويقظةٍ شاعرةٍ تمامَ الشعور أن الوجود- وجود الرب، ووجودَ العبد- واحدٌ في أزليَّته وأبديَّته وأنه ما ثَمَّ إلاَّ عينٌ واحدة سُميت باعتبارِ الباطن «حقًا أو ربًّا»، وباعتبارِ الظاهر «خلقًا أو عبدًا». تلك هي الذاتُ الإلهية، ويؤكِّدُ الزنديقُ كذلك أن ما كان يُضيفُه من سماتِ الوجود وصفاتِه لنفسه، ويَحسبُه غيرَ الوجود الإلهي، كان وهمًا من الأوهام استبدَّ بخياله الغافلِ المغرور، هذا لأنه أدركَ تمامَ

ولَم ألْهُ باللاهوتِ عن حُكمِ مَظهرَي ... ولم أنْسَ بالناسوت مَظْهَرَ حكمتي

وقد جاءني منِّي رسولٌ عليه ما ... عَنِتُّ عزيزٌ بي، حريصٌ لِرأفةِ

ومن عَهدِ عهدِي قبلَ عَصرِ عناصري ... إلى دارِ بَعثٍ قبلَ إنذارِ بَعثةِ

إليَّ رسولاً كنتُ منِّي مُرسلاً ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّتِ

◻ وقال ابن الفارض:

ولا تَحسبَنَّ الأمرَ عنِّي خارجًا ... فما ساد إلاَّ داخلٌ في عُبودتي

ولولايَ لَم يوجدْ وجودٌ، ولَم يكن ... شهودٌ، ولَم تُعْهَد عهودٌ بذمَّةِ

وفي عالَم التركيب في كلِّ صورة ... ظَهَرْتُ بمعنًى عنه بالحُسنِ زِينتي

وضربي لك الأمثالَ منِّي منَّةٌ ... عليك بشأني مرةً بعدَ مرَّةِ

تأمَّلْ مقاماتِ السُّرُوجِي[(١)] واعتبِرْ ... بتلوينه، تَحْمِلْ قبولَ مَشورتي

وتَدْرِ التباسَ النفسِ بالحسِّ باطنًا ... بمَظهرِها في كلِّ شكلٍ وصورةِ

وشاهِدْ إذا استجليتَ نفسَك ما ترى ... بغيرِ مِراءٍ في المَرَائي الصَّقيلة[(٢)]

= الإدراك أنه ما ثَمَّ غيرٌ ولا سوىٰ، بل وِحدةٌ مطلقة تشملُ كلَّ مظاهرِ الوجود، هذا وغيرُه يجعلُنا نوقنُ أن ابنَ الفارض ممن يؤمنون بالوحدة، لا بالاتحاد؛ لأن الاتحادَ «افتعالٌ» يستلزمُ ثبوتَ وجودَينِ اتَّحد أحدُهما بالآخر، في حين أنه هنا ـ وفي مواضعَ كثيرةٍ ـ يقرِّرُ وحدةَ الوجودِ في أزلٍ وأبدٍ وسَرمدٍ وآنٍ، وأنه ما كان في حالٍ ما ولا آنٍ ما ثنائيًّا أبدًا، بل كان دائمًا هو الوجودَ الواحد.

(١) اسم الشخص الذي بنىٰ عليه الحريري «مقاماته».

(٢) يَرُدُّ الشيخُ الجليلُ ابنُ تيميَّة على هذا المَثَلِ الذي يُمثِّلُ به ابنُ الفارض الوحدةَ بين الحقِّ والخلق، فيقول: «فلو قُدِّرَ أن الإنسانَ يَرىٰ نفسَه في المرآة، فالمرآةُ خارجةٌ عن نفسه، فرأىٰ نفسَه، أو مثالَ نفسِه في غيره، والكونُ عندهم ليس فيه غيرٌ ولا سِوًىٰ، فليس هناك مَظهرٌ مخالفٌ للظاهرِ، ولا مرآةٌ مغايرةٌ للرائي، وهم يقولون: إن الكونَ مَظاهرُ الحقِّ، =

أَغَيْرُكَ فيها لاحَ، أم أنت ناظــــرٌ ... إليك بها عند انعكاسِ الأشــعَّـة
وأَصْغِ لِرَجْعِ الصوت عند انقطاعه ... إليك بأكناف القُصــورِ المَشــيدة
أَهَلْ كان مَن ناجاك ثَمَّ ســواك، أم ... سمعتَ خطابًا عن صداك للمُصَوِّت؟
وقل لي: مَن ألقى إليك عُلــومَه ... وقد رَكَدَتْ منك الحواسُّ بغفــلة
وما كنتَ تدري قبل يومِك ما جرى ... بأمسك، أو ما سوف يَجرِي بغَدْوَة
فأصبحتَ ذا علمٍ بأخبارِ مَن مضى ... وأسرارِ مَن يـأتي مُـدِلاً بخـبــرة
أتحسَبُ مَن جاراك في سِنَةِ الكَرَى ... ســواك بأنــواعِ العلــومِ الجليـلة
وما هي إلاَّ النفسُ عند اشتــغالها ... بعالَمِـهـا عن مَظـهـرِ البشريـة
تَجلَّت لها بالغَيب في شكلِ عالَمٍ ... هَداها إلى فَهــمِ المعــاني الغريـبة
ولا تــك ممَّــن طيَّشَـــتْهُ دُروسُه ... بحيث استـقلَّت عقلَه واسـتفزَّت
فثَمَّ وراءَ النقــــلِ عِلمٌ يَدِقُّ عن ... مَدارِكِ غاياتِ العقولِ السليمة[1]

= فإن قالوا: «المظاهرُ غيرُ الظاهر»، لَزِم التعدُّد وبَطَلت الوحدة، وإن قالوا: «المَظاهر هي الظاهر»، لم يكن قد ظَهَر شيءٌ في شيء، ولا تجلَّى شيءٌ في شيء، ولا ظَهَر شيءٌ لشيء، وكان قوله ـ يعني: ابن الفارض ـ «ومشاهد إذا استجليت..» إلخ، كلامًا متناقضًا؛ لأن هنا مخاطِبًا، ومخاطَبًا، ومرآة تُستجلى فيها الذات، فهذه ثلاثةُ أعيان، فإنْ كان الوجودُ واحدًا بالعين، بَطَلَ هذا الكلام، وكلُّ كلمةٍ يقولونها تَنقضُ من أصلهم» (١/ ٨٧) «مجموعة الرسائل والمسائل».

(١) يقصدُ بالنقل نصوصَ الشرائع السماوية.. أي دعْ عنك عِلمَ الظاهرِ عند ابن عربي ليس فيه أثارةٌ من الحقِّ ولا لُمَعٌ من الهداية، ولا إشراقٌ من الحقيقة وتعالَ إليَّ أعلِّمْك عِلمًا دقيقًا جليلاً يُهيمنُ على الهُدى والحقِّ!! وهو العلمُ الذي يقول عنه زنديقُهم الأكبر:

يا رُبَّ جَوهرُ عِلمٍ لوْ أبـــوحُ به ... لَقيلَ لي أنتَ مِمَّنْ يعبدُ الوثنَا
ولاستحَلَّ رجالٌ صالحون دَمِي ... يَرَوْن أقبحَ مـا يأتونَهُ حسـنًا =

تلقيتُه[1] مني، وعنِّي أخذتُه ... ونَفسي كانت من عَطائي مُمِدَّتي
ولا تكُ باللاهي عن اللهوِ جُملةً ... فَهَزْلُ المَلاهي جِدُّ نفسٍ مُجِدَّةِ

وقال ابن الفارض:

أَمَّمتُ أمامي في الحقيقة، فالورى ... وَرائي وكانت حيثُ وَجَّهتُ وجهتي
يراها أمامي في صلاتي ناظري ... ويَشهدُني قلبي إمامَ أئمتي
ولا غَرْوَ أنْ صَلَّى الأنامُ إليَّ، أنْ ... ثَوَتْ بفؤادي وهي قِبلةُ قبلتي
لها صلواتٌ بالمَقامِ أُقيمها ... وأشهدُ فيها أنها ليَ صَلَّتِ
كِلانا مُصَلٍّ ساجدٌ إلى ... حقيقتِه بالجَمعِ في كلِّ سجدةِ
وما كان لي صَلَّى سواي، ولَم تكن ... صلاتي لغَيري في أدَا كلِّ ركعةِ
إلى كم أُواخِي[2] السِّتْرَ، ها قد هَتكتُه ... وحلُّ أَواخي[3] الحُجْبِ في عَقدِ بَيعتي
أفاد اتخاذي حبَّها لاتِّحادنا ... نَوادر عن عادِ المُحبِّين شَذَّتِ
وفي الصَّحْوِ بعد المَحْو[4] لم أَكُ غيرَها ... وذاتي بذاتي إذ تَحلَّتْ تَجلَّتِ

= وإذا كان علِمُ ابنِ الفارض يَدِقُّ عن مَدارك العقولِ المُشرِقة، فمَن للدراويش؟ مَنْ للذين هم ليسوا بأقطاب؟.

ولازمُ كلامِه ـ وهو يقول بوحدة الوجود ـ أنَّ أولئك الذين لا يَعلمون عِلمَه همُ اللّهُ في عُرْف زندقته؟ أليسَ معنى هذا أن له عِلمًا يَدِقُّ حتى عن اللّهِ سبحانه؟ ومعناه أن زندقتَه أبرُّ بالحق والهدىٰ من شرائع اللّه سبحانه؟!.

(١) يعني: ابن عربي.

(٢) من المواخاة يعني: المُلازَمة.

(٣) جَمْع آخِيَة، وهي ما يَبرُزُ ـ كالحَلْقة ـ من الحَبْل المدفونِ طرفاه في الأرض ـ وتُشَدُّ إليها الدابة، ويُرادُ بها الحُرْمةُ والذِّمَّة.

(٤) الصحو عند الصوفية: هو رجوعُ العارف إلى الإحساس بعد غَيبته وزوالُ إحساسه.. =

فوصفي إذ لم تَدْعُ باثنين وَصفُها ... وهيئتُها ـ إذ واحدٌ نحن ـ هيئتي

فإنْ دُعيتُ كنتُ المُجيبَ، وإن أكن ... منادِي أجابت مَن دعـانـي ولَبَّتِ

وإن نَطَقَـتُ كنتُ المنـاجي، كذاك إن ... قصصتُ حديثًا، إنمـا هـي قَصَّتِ

فقـد رفعتُ تـاءَ المخاطَبِ بيننا ... وفي رَفعِها عن فِرْقة الفَرْقِ رِفعتي

فجاهِدْ تُشاهِدْ فيك منك وراءَ مـا ... وَصفتُ سكوتًا عن وجودِ سكينةِ

فمِن بعد ما جاهدتُ، شـاهدتُ مَشهَدي ... وهـاديَّ لي إيـايَ، بـل بي قُـدوتي

فبي موقفي، لا، بل إليَّ توجُّهـي ... كذاك صلاتي لي، ومـنِّي كَعبتـي

* خَطَرُ صَرفِ الكلامِ عن ظاهره:

◘ قال الغزَّاليُّ في أولِ «الإحياء» من كتاب «العلم» ما حاصله: «إن الكلامَ إن كان ظاهراً في الكفر بالاتحاد، فقَتلُ واحدٍ ممن يقولُ به أفضلُ من إحياءِ عَشَرةِ أنفُس، وإن كان فَهمُه مشكِلاً، فلا يَحِلُّ ذِكرُه».

= والمحو: إسقاطُ إضافة الوجودِ إلى الأعيان، ولا موجودَ عندهم إلاَّ الحقُّ سبحانه وحده، فهو العابدُ باعتبارِ تعيُّنه وتقيُّده بصورِالعبدِ التي هي شأنٌ مِن شؤونه الذاتية، وهو المعبودُ باعتبارِ إطلاقه.. انظر «التعريفات» للجرجاني، و«جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانلي تحت مادتي «الصحو والمحو».. وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة، فيزعمُ أنه هو الله، لا في حال المَحو فحسب، بل في حال الصحو أيضًا، وهذا يؤكِّدُ لك أنه يعني ما يقول، ويؤمنُ بالوحدة صحواً ومحواً، فما هي شطحات، ولكنها عقيدةٌ يَنبُتُ عليها قلبُه ودينُه، وما هو بهَذيانِ سكرانَ كما يهرفُ الصوفية، ليقولوا: وكلامُ السكرانِ معفوٌّ عنه، فيُطوىٰ، ولا يُروىٰ!!.

▫ وقال: «إن الألفاظ إذا صُرفت عن مقتضىٰ ظواهرها بغير اعتصامٍ بنقلٍ عن صاحب الشرع، وبغير ضرورةٍ تدعو إلىٰ ذلك منِ دليلِ العقل، اقتَضىٰ ذلك بُطلانَ الثقةِ بالألفاظ».

▫ ثم قال: «والباطنُ لا ضَبْطَ له، بل تتعارَضُ فيه الخواطر».

▫ ثم قال: «وبهذا الطريق توصَّل الباطنيةُ إلىٰ هَدمِ جميعِ الشريعة»[(١)].

*** «التائية» و«الفصوص»:**

لا فرق بين «التائية» و«الفصوص» إلا بكونه نثرًا، وكونِها نظمًا.

▫ ورَوىٰ ابنُ المِقَّرِي أن ابنَ عربيٍّ طَلَب إلىٰ ابن الفارض أن يَضَعَ شرحًا لتائيته الكبرىٰ، فأجابه ابنُ الفارض بقوله: «كتابك «الفتوحات المكية» شرحٌ لها»[(٢)].

▫ قال الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي: «هذه الروايةُ ليست من الوضوح بحيث نتبيَّنُ منها أكان ما طَلَبَه ابنُ عربيٍّ إلىٰ ابن الفارض بطريقِ الاتصالِ الشخصي، أم كان بطريقٍ آخَرَ كإيفادِ رسولٍ أو إرسالِ كتاب»[(٣)].

▫ وقد حُكي عن صَدرِ الدين محمدِ بنِ إسحاقَ القُونوي ـ وهو تلميذ ابن عربي ـ، أنه عَرَض لهذا الأخيرِ في شرح «التائية»، فقال ابنُ عربي للصدر: «لهذه العروس بَعْلٌ مِن أولادك»، فَشَرَحها الفَرغاني وعفيفُ الدين سليمان بن علي التلمساني، وكلاهما من تلاميذِ صدر الدين[(٤)]،

(١) «مصرع التصوف» (ص٦٧ ـ ٦٨).

(٢) «نفح الطيب» (١/ ١٠٠).

(٣) «ابن الفارض والحب الإلهي» للدكتور محمد مصطفىٰ حلمي (ص٤١).

(٤) «كشف الظنون» (٢/ ٨٥ ـ ٨٦).

الذي كان بدورِه تلميذاً لابن عربي، كما كان القاشَاني والنابلسي تلميذَينِ من تلاميذِ مدرسته، غير أن الأستاذ «نلِّينو» يرىٰ أن القاشاني أكثرَ أمانةً في شرحه من النابلسي، وذلك لأن القاشاني تُوفِّي بعد ابن الفارض بقرنٍ من الزمان، في حين أن النابلسي تُوفِّي بعده بأكثر من خمسةِ قرون[1] .

◘ ورُوي أن الفَرغاني قرأ «التائية» علىٰ جلالِ الدين الرومي وشَرَحها بالفارسية، ثم بالعربية، وسَمَّىٰ شرحه «منتهىٰ المدارك»[2] .

وقد بدأ ابنُ عربي كتابة «فصوص الحكم» في أوائل سنة ٦٢٧هـ وانتهىٰ منه سنة ٦٢٨هـ، فإنْ صَحَّ هذا التاريخُ كان معناه أن كتاب الفصوص تَمَّت كتابته قبلَ وفاةِ ابن الفارض بأربعة أعوام، وإذن فلا يَبعُدُ أن يكون ابنُ الفارض قد اطَّلع علىٰ هذا الكتاب عندما أخذ يُملِي ديوانَه بـ «القاهرة» فيما بين سنتي ٦٢٨ أو ٦٢٩هـ و٦٣٢هـ، وأن تكون بعضُ العناصرِ الموجودة في «الفصوص» قد امتَزَجَت ببعضِ أبياتِ «التائية الكبرىٰ»، غير أننا لا نعتقدُ مع ذلك ما يعتقدُه بعضُ القدماء ـ كالشيخ مدين وغيره ـ من أن «التائية» هي «الفصوص» لا فرقَ بينهما إلاَّ في أنَّ هذه نثرٌ وتلك شِعرٌ[3] ؛ وإنما الذي نعتقدُه هو أن يكونَ ابنُ الفارض قد استعان ببعضِ الألفاظِ والعباراتِ والأمثلةِ التي وَرَدَت في «الفصوص» إلىٰ هذا ذهب الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي في كتابه[4] .

(١، ٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٩٨، ١٠٠).

(٣) «تنبيه الغبي» (ص١٢).

(٤) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٣٣٩ـ٣٤٠).

أعاذنا اللَّهُ من اعتقادِ ابنِ الفارض، وابن عربي، والعفيفِ التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذِه الشيشتري، وابن مظفَّر، والصفَّار، وعامرِ البوصيري، ونجمِ الدين بن إسرائيل، وأوحد الدين الكِرماني.

◻ وإني لأعجبُ مما كَتَبه شيخ الأزهر «مصطفىٰ عبدالرازق» من مقدمة لكتاب الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي عن «ابن الفارض والحب الإلهي» وقوله عنه: «ولكنْ واضعُ الكتاب قد وُفِّق في كثير من الأمور إلىٰ أن يكشفَ وجهَ الحقِّ عن هذه الطعون التي وُجِّهت إلىٰ ابنِ الفارض، وأن يخلقَ منها تمجيداً لهذا الصوفيِّ ورَفعًا لشأنه»[1] .

◻ وابنُ الفارض عند ابن تيمية من القائلين «بوحدة الوجود» التي يَصدُرُ فيها أصحابُها عن أصلَينِ باطِلَينِ يُخالفانِ دينَ المسلمين واليهود والنصارىٰ مخالفتَهما للمعقول والمنقول:

وأحدُ هذين الأصلين: هو الحلولُ والاتحاد، وما يقاربُهما من قولٍ بوحدة الوجود، وهو مذهبُ القائلين بأن الوجودَ واحدٌ لا فرقَ في ذلك بين الوجود الواجبِ للخالق، والوجودِ الممكن للمخلوق[2] .

وعند ابن تيمية أن مَثَلَ القائلين: بـ «وحدةِ الوجود» كمَثَل النصارىٰ وغاليةِ الشِّيعة في القول: بـ «الاتحاد والحلول»؛ إلاَّ أن هؤلاء يقولون: بـ «الحُلولِ المقيَّد الخاصِّ» الذي ينتهي بتأليه المسيح أو عليٍّ، وأولئك

(١) «ابن الفارض والحب الإلهي» ـ المقدمة (ص٨).

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ٦٦ ـ ٦٧).

يقولون: بـ «الحلول المطلَق العام»، ولا يشكُّ ابنُ تيميةَ في أنَّ في قولِ هذا الفريقِ الأخير من الكفر والضلال ما هو أعظمُ مما في قولِ اليهود والنصارىٰ(١) .

أما ثاني الأصلين: فهو الاحتجاجُ بالقَدَر علىٰ فِعل المحظور، والقَدَرُ ـ في رأي ابن تيمية ـ يجبُ الإيمانُ به، ولا يجوزُ الاحتجاجُ به علىٰ مخالفةِ أمرِ اللَّه ونهيه، ووعدِه ووعيده(٢) .

▫ قال ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦): «وكذلك ما في شِعرِ ابنِ الفارض في قصيدته التي سمَّاها «نظم السلوك» كقوله:

لها صَلواتي بالمَقــــام أُقيمُهــــا ... وأَشــهَدُ فيهــا أنهــا لي صلَّتِ

كِلانا مُصَلٍّ واحــدٌ ســاجد إلى ... حقيقتِه بالجمــعِ في كلِّ سـجدةِ

وما كان لي صَلَّى سِواىَ، ولم تكنْ ... صلاتي لغيرِي في أدا كُلِّ سَجدةِ

▫ وقوله:

وما زلتُ إيَّاهــا، وإيَّـاي لم تَزَلْ ... ولا فَرْقَ، بل ذاتي لذاتــي أَحبَّتِ

▫ وقوله:

إليَّ رسولاً، كنتُ منــي مُرْسَــلاً ... وذاتي بآيــاتــي عليَّ اســتدلَّتِ

▫ فأقوالُ هؤلاء ونحوها: باطنُها أعظمُ كُفرًا وإلحادًا من ظاهرها؛ فإنه قد يُظنُّ أن ظاهرها من جنسِ كلام الشيوخ العارفين، أهلِ التحقيق والتوحيد، وأما باطنُها فإنه أعظمُ كفرًا وكَذِبًا وجهلاً من كلامِ اليهود

(١) المرجع نفسه (١/ ٦٨).
(٢) المرجع نفسه (١/ ٧٢).

والنصارىٰ وعُبَّادِ الأصنام»[١] .

◻ وممن كَفَّر ابنَ عربيٍّ وابنَ الفارض الإمامُ بُرهانُ الدين إبراهيم البِقاعي المتوفَّىٰ سنة ٨٥٨هـ، فقد أفرد كتابيْن تناولَ فيهما ابنَ عربي وابنَ الفارض، وأبان عن ضلالِ مذهبهما، وفسادِ عقيدتهما، وانحلالِ خُلقُهما، هذان الكتابان هما: «تنبيهُ الغبيِّ علىٰ تكفير ابن عربيٍّ»، و«تحذير العِباد من أهل العناد، ببدعة الاتحاد»، وقد جَمَع البقاعيُّ أسماءَ طائفةٍ كبيرةٍ من علماءِ الدين، وذَكَرَ كثيراً من الكتب إلىٰ كلٍّ أولئك في إثباتِ ما يقولُه عن ابن عربيٍّ وابن الفارض من مطاعن تَنالُ من خُلقهما وعقيدتهما الدينية ومذهبِهما الصوفي، وتَضعُهما في زُمرةِ الكَفَرةِ أو الزنادقة أو المُلحِدين، فهو ينقلُ مثلاً عن عَضُدِ الدين الإيجي صاحب «المواقف» قولَه عن ابن عربي وهو: «أنه كان كذَّابًا حشَّاشًا كأوغاد الأوباش»[٢] ، وقوله عن ابن الفارض الذي يُبيِّنُ فيه أن الشاعرَ كان متابعًا لابنِ عربي في ذلك وهو: « . . وقد تَبِعه في ذلك ابنُ الفارض حيث يقول: «أَمَرني النبي ﷺ بتسميةِ التائية: نظم السلوك»، إذ لا يَخفىٰ علىٰ العاقل أن ذلك من الخيالاتِ المتناقضة الحاصلة من الحشيش، إذ عندهم أن وجودَ الكائناتِ هو اللَّه تعالىٰ، فإذن الكلُّ هو اللَّه، فلا نبيَّ ولا رسول، ولا مُرسِلَ ولا مرسَلَ إليه. . »[٣] .

ويحاول البقاعيُّ في كتابيه المشارِ إليهما أن يوازِنَ بين «فصوص الحكم» لابن عربي وبين «تائية» ابن الفارض الكبرىٰ، وتنتهي به الموازنة إلىٰ أن المذهبَ الذي يُقرِّرُه الرجلانِ في هذين الأثرين هو مذهبُ وحدةِ

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢، ٣) «تنبيه الغبي علىٰ تكفير ابن عربي» (ص٥٣).

الوجود، وأنه لا فرقَ بين «الفصوص» و«التائية» إلاَّ في أن هذه شِعر، في حين أن تلك نثر: فابنُ الفارض من هذه الناحيةِ كابنِ عربي مِن القائلين بـ «وِحدة الوجود». . وذهب إلىٰ أن ابنَ الفارض لم يُوجَد لأحدٍ من أهلِ عصره ـ الخبيرِينَ بحاله ـ ثناءٌ عليه بعدالةٍ أو ولاية، ولا ظَهَر عنه علمٌ من العلوم الدينية، ولا مَدَح النبي ﷺ بقصيدةٍ واحدة علىٰ كثرةِ شِعره، فدلَّ ذلك علىٰ سُوء طويته، وأن القَدْحَ قد نُقل فيه نقلاً قطعيًّا عن مُحبِّيه ومبغضيه: فقد قال شُرَّاح «تائيته»، التابعون لطريقته، والمنتقِدون عليه من أهل السُّنة: «إن أهلَ زمانه ـ وكلُّهم من أهلِ الشريعة ـ رَمَوه بالفِسق والإباحة»[1]، وقد أيَّد البِقاعيُّ مذهبَه في ابنِ الفارض، فعدَّد نحواً من أربعين عالِمًا، هم دعائمُ الدينِ من عصرِ ابن الفارض إلىٰ عصرِ البقاعي، وكلُّهم يَرمي الرجلَ بما يَنظمُه في سِلك الكَفَرة أو الزنادقة أو الملحِدين أو الإباحيين، ويجرِّح مذهبَه فيجعلُه في عِدادِ المذاهب الضالَّة، والعقائدِ الفاسدة[2]، ومن هؤلاء العلماء عزُّ الدين بنُ عبدالسلام، وابنُ دقيق العيد، وتقيُّ الدين السُّبكي، وبَدرُ الدين ابنُ جَماعة وزينُ الدين الحَنَفي، وشرفُ الدين الزواوي المالكي، وسعدُ الدين الحنبلي[3].

ولم يَقِفِ البقاعيُّ عند هذا الحدِّ من ذِكرِ أسماء العلماء، بل تجاوَزَه إلىٰ ذِكرِ أسماءِ الكتب التي لأصحابها رأيٌ في كلٍّ مِن ابنِ عربيٍّ وابنِ الفارض ومذهبيهما: فهو يذكرُ من هذه الكتب «الميزان» و«لسان الميزان» وكلاهما

(١) «تحذير العباد» للبقاعي (ص٦٤).

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) «تنبيه الغبي» (ص٤٨).

لابن حجر العسقلاني، و«تاريخ ابن كثير» و«ناصحة الموحدين وفاضحة الملحدين» للعلاء البخاري، و«الفتاوىٰ المكية» للعراقي، و«تاريخ العيني»، و«شرح التائية» للبساطي، و«كشف الغطاء» لابن الأهدل.

وهكذا يَتَّهِمُ البقاعيُّ ابنَ الفارض وابنَ عربي في خُلقهما، ويؤيِّدُ اتهامَه بما زَعَمه صاحبُ «المواقف» من أنهما كانا يصطنعانِ الحشيش، ومِن أن ما انتهيا إليه من تقريرِ «الوحدة» ونفيِ الإثنية والكثرة إنما هو ضربٌ من الوهم والخيال الذي يحصلُ في العقل من فعل الحشيش.

◻ ويقولُ العلاَّمة صالح بن مهدي المَقْبَليُّ اليمني صاحب كتاب «العَلَم الشامخ، في «إيثارِ الحق علىٰ الآباء والمشايخ»: «.. يكفيك في كلامِ ابن الفارض الذي أذعنوا له طرًّا ما ظاهرُه الاتحاد، والتزامُ الكفر، والتَرفُّعُ علىٰ الأنبياء، وعلىٰ الجُملة فلم يَبْقَ ما يمكنُ دعواه من المقاماتِ الرفيعة، ولا ما تأتي به الخلاعةُ من البَذاءة الشنيعة إلاَّ ادَّعاه»[1].

◻ يقول ابن الفارض:

خَلَعتُ عذاري واعتذارِي لابِسَ الـ ... خلاعةِ مسروراً بخَلْعي وخَلْعَتي

وخَلْعُ عذاري فيك فرضي وإنْ أبى اقـ ... ـترابي قومي والخلاعةُ سُنَّتي

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتُّكي ... فأبدَوا قِلًى واستَحسَنوا فيك جَفْوَتي

وأهلي في دينِ الهوى أهلُه وقد ... رَضُوا لي عارِي واستطابوا فضيحتي

◻ وقد دافع السيوطي عن ابنِ الفارض، وألَّف في ذلك كتابه «قمع المُعارِض بنصرة ابن الفارض»، ولا عِبرةَ بكلامه ـ رحمه اللَّه ـ، إذ يقول عن

(١) «العلم الشامخ» (ص٣٧٨).

ابن الفارض: «أَلَم يجتمعْ به الشهابُ السُّهْرَوَرْدي، وحَلاَّه بالطراز اللازوردي، ومقامُه في علم الشريعة والحقيقة معروف، ومَحِلُّه في العَظَمة والجلالة مرسومٌ وموصوف؛ وقد كان داعيًا مرشداً، ومَسْلكًا به يُقتدي، فلا أنكَرَ عليه، أو حَذَّر الناسَ مما لديه، بل شَهِد له بالمحبَّة، ودَلَّ عليه تلامذتَه وصَحبَه؟! ألم يجتمع به حافظُ عصرِه وزاهدُه الشيخ زكي الدين المنذري وغيرُه من حُفَّاظِ الحديث؟.

وكم إمامٍ كان في عصره، في حجازِه وشامِه ومصره، فما منهم أحدٌ وجَّه إليه إنكاراً، ولا حطَّ مقداراً، ولا هَدَمَ له مَنَاراً، وذلك لِمَا شاهَدوه من سَنِيِّ أحوالِه، وتواتَرَ عندَهم من أنه مُحِبٌّ عاشقٌ واله»[1].

هذا قولُ السيوطي!!!.

◻ وانظر ما قاله الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه «ابن الفارض والحب الإلهي»: «هناك قصةٌ أخيرةٌ تُظهِرُنا على أن ابن الفارض: انتهى في آخرِ لحظاتِ حياتِه إلى رؤية اللَّه، وهي عند القومِ غايةُ الكرامة: فقد قصَّ بُرهانُ الدين الجَعبري على ولدِ ابنِ الفارض قصةً وَصَفَ فيه الشاعرَ وما وَقَع له عند احتضارِه، وقد كان الجعبريُّ أحدَ الذين حَضَروا ذلك الاحتضارَ من الأولياء، ومِن هذه القصة تتبيَّنُ أن ابنَ الفارض عندما حَضَرته الوفاةُ تمثَّلت له الجنةُ أمامَ عينيه، ولكنه ما كاد يراها حتى تأوَّه وصَرَخَ صرخةً عظيمةً وبكى بكاءً شديداً وتغيَّر لونه وقال:

إن كان منزلتــي في الحُبِّ عندكمُ ... ما قــد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

(١) «قمع المعارض بنصرة ابن الفارض».

أمنيـةٌ ظَـفِرَتْ رُوحــي بها زمنًا   واليــومَ أحسبُها أضغاثَ أحـلامِ

وهنا قال له الجعبري: إن هذا مقامٌ عظيم، فردَّ عليه ابنُ الفارض قائلاً: «يا إبراهيم، رابعة العدوية تقول وهي امرأة: وعزَّتِك ما عَبَدتُك خوفًا من نارك ولا رغبةً في جنتك، بل كرامةً لوجهك الكريم ومحبةً فيك، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبُه، وقَضيتُ عُمري في السلوك إليه.

قال الجعبري: فسمعتُ قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمعُ صوتَه ولا أرىٰ شخصه: يا عمر، فما تروم؟ فقال:

أرومُ وقـد طال المَدَى منك نظـرةً   وكم من دمـاءٍ دونَ مرمايَ طَـلَّتِ

قال الجعبري: ثم بعد ذلك تهلَّل وجهه وتبسَّم وقَضَىٰ نَحْبَه فَرِحًا مسروراً، فعَلِمتُ أنه أُعطىٰ مرامه»[1].

فإن صحَّ فَهمُ الجعبري لهذا المرام على أنه رؤيةُ اللَّه، وظَفِر ابنُ الفارض بهذه النظرةِ التي طالما رامها، وسُفكت في سبيلها الدماء، فإنه ينبغي علىٰ ذلك أن يكون شاعرُنا قد تحقَّق أخيراً بأسمىٰ الكرامات وأرقىٰ خوارق العادات، ومع هذا فإنَّ هناك فريقًا من الصوفية قد أجمع علىٰ أن اللَّه لا يُرىٰ في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلاَّ من جهـةِ الإيقـان؛ لأنه غايةُ الكرامة وأفضلُ النِّعم، ولا يجوزُ أن يكونَ ذلك إلاَّ في أفضلِ المكان، ولو أُعطىٰ القومُ في الدنيا أفضلَ النِّعم، لَم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فَرقٌ، ولَمَّا مَنَع اللَّهُ سبحانه كليمَه عليه السلام ذلك في الدنيا، كان مَن هو دونه أحرىٰ؛ وأخرىٰ أن الدنيا دارُ فنـاء، ولا يجـوزُ أن يُرىٰ الباقي في

(١) «ديباجة الديوان» (ص١٢).

الدار الفانية[١] .

وهذا الإنكارُ لرؤيةِ اللَّه في الدنيا، إن صَحَّ بالقياس إلىٰ مَن يَدَّعي هذه الرؤية من الصوفية وهو ما يزالُ غارقًا في بحرِ الحياة، فإنه لا يصحُّ بالقياسِ إلىٰ حالِ ابنِ الفارض كما تُصوِّرُها القصةُ المذكورة آنفًا: فهو هنا قد ولَّىٰ من الحياة وتولَّت عنه الحياة بما فيها من متاعٍ دنيويٍّ ماديٍّ، وأقبل عليه الموتُ، وأصبح من العالَم العلويِّ قابَ قوسين أو أدنىٰ؛ فليس ثَمَّةَ ما يمنعُ إذًا من أن يُكرمَه اللَّه برؤيته في هذه اللحظةِ الأخيرة من حياته التي ستصعدُ رُوحُه فيها إلىٰ السماءِ، وستَنعمُ في ظلِّ بارئها بكلِّ ألوانِ النعيم والسعادة والسَّناء»[٢].

فإن كان هؤلاء الناسُ يَجهلون ما يعرفُه عوامُّ المسلمين من أن اللَّه لا يُرَىٰ في الدنيا لأحدٍ من البشر، إن كان لم يَرَه موسىٰ وهو كليمُه فكيف يراه ابنُ الفارض؟!! ثم يتكلَّمون بعدَ هذا في دينِ اللَّه -عز وجل-.

◘ ولكنِ انظر إلىٰ الثقةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية ما يقول في موت ابن الفارض: «حدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلِّم، عن الشيخ إبراهيم الجعبري أنه حَضَر ابنَ الفارض عند الموت وهو ينشد:

إنْ كان منـزلتي في الحُبِّ عندكمُ ... ما قدْ لَقِيتُ فقـد ضيَّعت أيَّـامي

أمنيـةٌ ظَفَـرتْ نفسـي بها زَمَنًـا ... واليومَ أحسبُها أضغـاثَ أحــلامِ

وحدَّثني الفقيهُ الفاضل تاجُ الدين الزنباري، أنه سمع الشيخَ إبراهيم الجعبري يقول: «رأيتُ في منامي ابنُ عربي، وابنَ الفارض، وهما شيخانِ

(١) «التعرف لمذهب أهل التصوف».

(٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٧٧-٧٨).

أعْمَيانِ يَمشيانِ ويتعثَّران، ويقولان: كيف الطريق؟ وأين الطريق؟».

◻ وحدثني شهابُ الدين المِزِّي، عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين ابن الحكيم عن أبيه أنه قال: قَدِمتُ دمشقَ، فصادفت موتَ ابن عربي، فرأيتُ جنازتَه كأنما ذُرَّ عليها الرماد، فرأيتُها لا تشبُهُ جنائزَ الأولياء»[1].

◻ وقال ابنُ تيمية: «وقد صنَّف بعضُهم ـ أي: أهل الاتحاد ـ كُتُبًا وقصائدَ على مذهبِه، مِثْلِ قصيدةِ ابنِ الفارض المُسمَّاه بـ «نظم السلوك»، يقول فيها:

لها صلواتي بالمقام أُقيمها ... وأشهَدُ فيها أنها لي صَلَّت

كلانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقتِه بالجمع في كُلِّ سجْدَةِ

وما كانَ لي صَلَّى سوايَ ولمْ تكُن ... صلاتي لغيري في أدا كُلِّ ركعةِ

ثم قال: إلى مثلِ هذا الكلام ـ أي: الدالِّ على الاتحاد ـ، ولهذا كان عند الموت يُنشِدُ:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندكمُ ... ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

أُمْنِيةٌ ظفِرتْ رُوحي بها زمَنًا ... واليوم أحسَبُها أضغاثَ أحلامِ

فإنه كان يظنُّ أنه اللَّه، فلمَّا حَضَرت ملائكةُ اللَّه لقبضِ روحه، تبيَّن له بطلانَ ما كان يظنه»[2].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٤٦).

(٢) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٨٣) وما بعدها، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٧٦).

*** عبدُالكريم الجَيْلي، يَزعمُ ويفتري أن الرسول ﷺ يظهرُ في الكنائس وفي صُورِ مشايخه:**

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «وبالجُملة فهو - يعني: ابنَ عربيٍّ - لم يَتَّبعِ النبيَّ ﷺ في شيءٍ، فإنه أَخذَ - بزعمه - عن اللَّه ما هو متابعٌ فيه في الظاهر، كما يوافق المجتهدُ الرسولَ، فليس عنده شيءٌ من اتِّباعِ الرسولِ ﷺ والتلقِّي عنه شيءٌ أصلاً، لا في الحقائقِ الخَبَرِيَّة، ولا في الحقائقِ الشرعيَّة»(١).

فَبعَد أن زَعَم ابنُ عربيٍّ وجودَ أنبياءَ بعد النبي ﷺ سَمَّاهم «أنبياء الأولياء»، لا يَتَّبِعون الرسولَ ﷺ في شيءٍ ممَّا جاء به.. جاء بعده عبدُالكريم الجَيْلي بفِرْيةٍ أعظمَ مما جاء به ابنُ عربيٍّ، فليس جميعُ بني آدم يمكنُ أن يكونوا أنبياءَ فحسب، بل يمكنُ أنْ تتقمَّصَ روحُ النبيِّ الخاتمِ ﷺ أرواحَ مشايخِ الصوفية، ويَتصوَّرُ بصورِهم، بحيث إذا قال هذا الصوفيُّ: «أنا رسولُ اللَّه»، يجبُ أن يُصَدَّق، بل وَصَل عند الجَيليِّ الاستهزاءُ والاستخفافُ بشخصِ الرسولِ ﷺ حيث جَعَل النبيَّ ﷺ يَظهرُ في الكنائسِ.. إلى غير ذلك من أنواعِ الكفرِ والإلحاد.

يقول الجَيْلي: «أعلَمْ - حَفظك اللَّه - أن الإنسانَ الكاملَ هو القُطبُ الذي تدورُ عليه أفلاكُ الوجودِ من أوَّله إلى آخره، وهو واحدٌ منذ كان الوجود إلى أبدِ الآبدين، ثم تَنوَّع في ملابس، ويَظهرُ في كنائس، فيُسمَّى به باعتبارِ لباس، ولا يُسمَّى به باعتبارِ لباسٍ آخر؛ فاسمُه الأصليُّ الذي هو له

(١) «نقض المنطق» لابن تيمية (ص١٤١).

«محمد» وكُنْيتُه «أبو القاسم»، ووصفه «عبدالله»، ولَقَبُه «شمس الدين»، ثم له باعتبارٍ بملابسَ أُخرىٰ أسامٍ، و له في كلِّ زمانٍ اسمٌ ما يَليقُ بلباسِه في ذلك الزمان، فقد اجتَمعتُ به ﷺ وهو في صورةِ شيخي الشيخ «شرف الدين إسماعيل الجبرتي»، ولَستُ أعلمُ أنه النبيُّ ﷺ، وكنتُ أعلمُ أنه الشيخ، وهذا من جُملةِ مشاهدَ شاهدتُه فيها بـ «زَبِيد» سنةَ ستٍّ وتسعين وسَبْعِمِئة، وسِرُّ هذا الأمرِ تمكُّنه ﷺ من التصوُّرِ بكلِّ صورة، فالأديبُ إذا رآه في صورتِهِ المحمَّدِيَّة ـ التي كان عليها في حياته ـ، فإنه يُسمِّيه باسمِه، وإذا رآه في صورةٍ ما من الصُّور ـ وعَلِم أنه محمد ـ، فلا يُسَمِّيه إلاَّ باسم تلك الصورة، ثم لا يُوقع ذلك الاسمَ إلاَّ علىٰ الحقيقةِ المحمديَّة، ألاَ تراه ﷺ لَمَّا ظهر في صورة «الشِّبلي» رضي الله عنه قال الشِّبْليُّ لتلميذه: «أشهدُ أني رسولُ اللَّه» ـ وكان التلميذُ صاحِبَ كَشْفٍ فعرفه ـ، فقال: «أشهد أنك رسول اللَّه»، وهذا أمرٌ غيرُ منكور، وهو كما يرىٰ النائمُ فلانًا في صورةِ فلانٍ، وأقلُّ مراتبِ الكشفِ أن يَسوغَ به في اليقظة كما يَسوغُ به في النوم، لكنْ بين النومِ والكشفِ فرقٌ، وهو أنَّ الصورةَ التي يُرىٰ فيها محمدٌ ﷺ في النوم لا يُوقَعُ اسمُها في اليقظة علىٰ الحقيقة المحمديَّة؛ لأن عالَمَ المثالِ يَقعُ التعبيرُ فيه، فيعبِّرُ عن الحقيقةِ المحمديَّةِ إلىٰ حقيقةِ تلك الصورة في اليقظة، بخلافِ الكشفِ، فإنه إذا كُشف لك عن الحقيقةِ المحمديَّة أنها متجلِّيةٌ في صورةٍ من صُوَرِ الآدميِّين، فيلزَمُك إيقاعُ اسمِ تلك الصورة علىٰ الحقيقة المحمديَّة، ويجبُ عليك أن تتأدَّبَ مع صاحبِ تلك الصورة تأدُّبَك مع محمدٍ ﷺ لِمَا أعطاك الكشفُ أنَّ محمداً ﷺ مُتَصوِّرٌ بتلك الصورة، فلا يجوزُ ذلك ـ بعد شهودِ محمدٍ ﷺ فيها ـ أن تُعامِلَها بما كنتَ تعاملُها مِن قبل».

فهذا الكلام يلزمُ منه لوازمُ باطلةٌ، منها :

١ ـ قوله : «إن الإنسانَ الكامل ـ الذي يَعْنون به النبيَّ ﷺ ـ تدورُ عليه أفلاكُ الوجود . . . وهو واحدٌ منذ أن كان الوجودُ إلىٰ أبدِ الآبدين» . . هذا كلُّه مُفرَّعٌ عن نظريةِ «الفيض» وما فيها من مفاسد»[1] .

٢ ـ قوله : «له التصوُّرُ بكلِّ صورةٍ» ، يُفسِّر قوله : «ويَظهرُ في كنائس» فيلزمه أن النبي ﷺ يظهر في صورة النَّصارىٰ مِن رهبان وقساوسة ، وهو علىٰ هذه الصورة ، إمَّا أن يدعوَ الناسَ إلىٰ الإسلام ـ وهذا ما لا يُتصوَّر ـ ، وإما أن يدعوهَم إلىٰ النصرانية ـ وهذا هو القريبُ من فهْم الجَيْلي ـ .

٣ ـ كما لا يلزمُ من قوله : «يُتصوَّرُ بكلِّ صورة» ، اختصاصُه ﷺ بخصائصَ لم تكنْ عنده من قبلُ ، وإنما خاصيَّةُ «التشكُّل» أو «التصوُّر» ثَبَتَتْ للملائكة عليهم السلام والشياطين .

٤ ـ كما يَلزمُ مِن قوله : «يَتصوَّرُ بكلِّ صورة» : العمومُ من لفظِ «كل» ، فيَشملُ التصوُّرَ بالصورِ الآدميَّةِ وغيرِ الآدميَّةِ من الكائناتِ والمخلوقاتِ الأخرىٰ .

* ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾[2] [النور : ١٦] .

والحمدُ للَّه أنْ حَفِظَ عقولَنا عن تُرهَّاتِ فلاسفةِ الصُّوفيةِ ودَجَلِهم وكُفرِهم .

---

(١) «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» للجيلي (٢/ ٧٤ ـ ٧٥) ـ دار الفكر ـ بيروت .

(٢) «خصائص المصطفىٰ ﷺ بين الغلوّ والجفاء» تأليف د . الصادق محمد إبراهيم (ص٢١٩ـ ٢٢١) ـ مكتبة دار المنهاج ـ الرياض .

* السُّهْرَوَرْدي المقتول:

شهابُ الدين السُّهروردي - يحيىٰ بن حبِش بن أميرك -، ولد بين سَنَتي ٥٤٥ - ٥٥٠هـ، وَصَلَ إلىٰ حَلَب بعد أن طَوَّفَ بعددٍ من مُدنِ إيرانَ والعراق، وبعد أن دَرَسَ فلسفةَ التصوُّفِ الإشراقية في علومِ الأوائل ولدىٰ حُكماءِ الفُرسِ قبل الإسلام، وهي ما يُعرَف بـ«الأفلاطونية الحديثة» (فلسفة أفلوطين ومن تابعه).

كان السُّهْرَوَرْديُّ يقول بمذهبِ «الإشراق»، أي أن ظاهرةَ إشعاعِ النور الأصيلِ هي الظاهرةُ المولِّدةُ الأصليَّةُ للوجودِ والكشفِ عن الوجود.. وفكرةُ «الإشراقِ» تقومُ في صميم الحكمةِ الأفلاطونية الحديثة واللاهوتِ المنبثقِ عنها.. والذي يَختلطُ فيه الفِكرُ الهِلينستي بالزرادشتيَّة، ويدخلُ عن هذا الطريقِ إلىٰ الفِكر الإسلامي.

وللسُّهْرَوَرْديِّ كتبٌ ورسائلُ كثيرةٌ في صورةِ أمثالٍ ورموزٍ، وهي منظوماتٌ فكريَّةٌ تدخلُ في باب «الميتافيزيقا الروحية»، علىٰ أنه في شطحاتِه الفِكريةِ كان يلامسُ - أو يخترقُ - حدودَ الإيمان.

من ذلك: أنَّ الذي يقرأ القرآنَ لا يكونُ «هو» الذي يقرؤه؛ ولكنَّ اللَّهَ هو الذي يتلُوه من خلاله، فعلىٰ المؤمنِ الذي مُنِحَ - مؤقَّتًا - حقَّ قراءتِه ألاَّ يَنسِبَ القراءةَ إلىٰ نفسِه، وألاَّ يُعميَه «أناه» الخاص، وألاَّ يَضَعَ نفسَه موضعَ «هو».

وقوله: «إنَّ التوحيدَ لا يُقصَدُ به ما انتَشَر عن إدراكِ اللَّهِ بالوحدانيةِ الذاتية والقيُّوميَّةِ، وإنما يَعني بتجريد الكلمة «أي: النفس» عن علائقِ الأجسامِ في المكانِ حتىٰ يَنطويَ في الربوبيَّةِ القيُّوميَّةِ كلُّ نظرٍ في مبادئِ الوجودِ ومراتبِه، ولا مقامَ فوقَ هذا المقام».

وثَمَّ درجاتٌ أربعٌ تتدرَّجُ حتى الكمالِ النهائيِّ للتوحيد الذي هو الدرجة الخامسة:

أولاً: مَن يقولون: «لا إله إلا اللَّه» وهي درجةُ سائر الناس.

ثانيًا: مَن يقولون: «لا إله إلاَّ هو»، وهؤلاء يَنفُون عن «الهُوَ» الإلهيِّ كلَّ أنواعِ «الهُوَ».

ثالثًا: مَن يقولون: «لا إله إلاَّ أنت»، وهم يُسَمُّون اللَّهَ بضميرِ الغائب، ويُنكرون كلَّ «أنت» تريدُ أن يشهدَ على نفسِها بهذا.

رابعًا: كلُّ مَن يُخاطَبُ، تقومُ بينه وبين من يُخاطِبُه مسافةٌ، وهو لهذا مُشركٌ؛ لأنه يقولُ بوجودِ «الثُّنائية» وجودًا فعليًّا، ولهذا فإن الصيغةَ التي يَكمُلُ بها التوحيدُ هي: «لا أنا إلا أنا».

مِثلُ هذه المقالاتِ والصِيَغِ الفكريَّةِ تُعَدُّ كُفرًا عند الفقهاءِ والعلماءِ الذين لا يمكنُ أن يَفهموا أنَّ «الأنا» عند الصوفيِّ هي توحُّدُ الإنسانِ في اللَّه.

والمتقدِّمون في الطريق «الصوفية» يُغرِقُون هذه الكلماتِ الثلاث «هو، أنت، أنا» في بحرِ «الفَناء».

في هذه القضايا وأمثالِها جرَت مجاولاتٌ متزايدةُ العُنفِ بين السُّهْرَوَرْديِّ والعلماءِ والفقهاء، وعُقِدت مجالسُ للجَدَل، لعلَّ «الظاهر» ـ حاكمَ حَلَب ـ حَضَرها وتأثَّر بها.

☐ وسببُ الخلافِ أن الطرفَين يتكلَّمانِ بلغتينْ مختلفتيْنِ، ويتناقشانِ وفي ذِهنِ كلٍّ منهما صورةٌ منِ التفكيرِ مختلفة، ويبدو أن السُّهْروردي قد

خَلَعَ مع الفقهاء والعلماء الذين يناقشونه كلَّ تحفُّظ؛ لأنه يَحتقرهُم، ولأنه كان يتحدَّاهم مستندًا إلىٰ ما صار له من تقديرٍ لدىٰ «الظاهر»، ولهذا صَرَّح في نوعٍ من التحدِّي الخاطئ بكلِّ ما في أعماقِ فِكره.. مستخدمًا تعبيراتٍ شائكةً تَمَسُّ ـ مِن وجهةِ نظرِ العلماء ـ قناعاتِهم الإيمانية؛ فما أسرعَ ما ضَجَّ هؤلاء! وتحدَّثوا مع «الظاهر» عن كُفره؛ وظاهرُ قوله كفرٌ.. وبلَغ الأمرُ حَدَّه حين وَجَّه الفقهاءُ إلىٰ السُّهرورديِّ التهمةَ بأنه قال في كتبه: «إنَّ اللَّهَ يَملكُ إنْ شاء أن يخلق نبيًّا، فهو قادرٌ علىٰ كل شيء»؛ وقال العلماء: «إلاَّ علىٰ خَلْقِ نبيٍّ، فالرَّسولُ الأعظمُ خاتمُ الأنبياء».

فقال السُّهْرورديُّ: «هل هذه الاستحالةُ هنا مطلقةٌ أو غيرُ مطلقة؟ فقالوا: أنت كافر».

وزعموا أنه ادَّعىٰ النُّبُوَّة! ولَمَّا لم يَستجِبِ «الظاهر» لغضبِ العلماء، كَتَبوا لصلاحِ الدين يطلبون قتلَ الكافرِ الملحِدِ؛ ولم يَستَجِبِ «الظاهرُ» أوَّل الأمرِ لأبيه، فأعاد العلماءُ الكَرَّةَ، وكتبوا في دعواهم أنَّ السهروردي إذا تُرِك حَيًّا أفسَدَ عقيدةَ المَلِكِ «الظاهر»، وإذا أُطْلِق سراحُه عَمَّ فسادُه البلاد، مِمَا جَعَل صلاحَ الدين يأمرُ ابنَه بقتلِ الرجل، ويُهدِّدُه بخَلعِه عن إمارةِ حَلب إنْ لم يفعل.

وهكذا قُتِل السُّهرورديُّ بشكلٍ غير معروف، بعضُهم يقول: مخنوقًا، وبعضُهم يقول: بالسيف؛ وبعضهم يقول: امتَنع عن الطعام حتىٰ مات جوعًا.

والواقعُ أن مقتلَ السُّهرورديِّ كان نتيجةَ تَهوُّرِه واستهتارِه، ونتيجةَ كلامِه مع العلماءِ بلغةٍ لا يَفهمونها أبدًا.. ونتيجةَ عقيدتِه التي تَختبرُ الموتَ

أقصى التوحُّد مع اللَّهِ وتسعى إليه.

ولم يكن بُوسعِ صلاحِ الدين أن يتركَ هذا الزَّيغَ ينتشرُ في الناسِ، لا سيما وهو غارقٌ في الحروبِ مع الكفَّارِ، وكان تراصُّ الجبهةِ الإسلاميةِ ضرورةً مطلقةً لدَحرِ الاحتلال الصليبي[1].

◻ وفي «عيون الروضتين» لأبي شامة في ذكر صلاحِ الدين أنه كان «مُبغضًا للفلاسفة والمعطِّلة والدَّهْريَّة، ومَن يُعاندُ الشريعةَ المُطَهَّرة.

وقد أَمَر ولده «الظاهر» صاحبَ حلب بقَتلِ شابٍّ كان نَشأَ يُقال له السُّهْرَوَرْدي، قيل عنه: إنه كان معانداً للشرائع مُبْطلاً، وكان قد قَبَض عليه ولدُه المذكور لِمَا بلغه مِن خَبَرِه، وعَرَّفَ السُّلْطَانَ به، فأمَر بقتله وصَلْبه أيَّامًا، فقتَلَه»[2].

◻ وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» عن «صلاح الدين»: «كان كثيرَ التعظيم لشرائع الدين.. كان قد صَحِبَ ولدَه «الظاهر» وهو بحلب شابٌّ يقال له «الشهاب السُّهروردِيُّ»، وكان يَعرف الكيميا وشيئًا من الشَّعْبذة والأبوابِ النيرنجيات، فافتُتِن به ولدُ السلطان «الظاهرُ» وخالَفَ فيه حَمَلَةَ الشرع، فكتب إليه أنْ يَقتُلَه لا محالة، فصلَبه عن أمرِ والدِه وشَهَرَه.. ويُقال: بل حبَسه بين حَيطَيْنِ حتى مات كمداً، وذلك في سنة ستٍّ وثمانين وخَمْسمِئة»[3].

---

(١) انظر «صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المُفْترىٰ عليه» (ص٥٦ ـ ٦١) لشاكر مصطفىٰ ـ دار القلم ـ دمشق. و«شخصيات قلقة»» للدكتور عبدالرحمن بدوي.

(٢) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٤/ ٣٨٥) ـ مؤسسة الرسالة.

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ٦) ـ دار الريّان ـ للتراث.

*** الكَوْجلي وغيرُه من المنتسبين إلى الشيخ يونس القَتَّات:**

□ سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن يقول: إن يونس القَتَّات يُخلِّص أتباعَه ومُريديه من سُوءِ الحساب وأليم العقاب.. ومنهم مَن يَدَّعي النبوة..

فأجاب: «أما المنتسبون إلى الشيخ يونس: فكثيرٌ منهم كافرٌ باللَّه ورسوله، لا يُقرّون بوجوب الصلوات الخمسِ وصيامِ شهر رمضان، وحجِّ البيتِ العتيق، ولا يُحرِّمون ما حَرَّم اللَّهُ ورسولُه؛ بل لهم من الكلام في سَبِّ اللَّهِ ورسولِه والقرآنِ والإسلامِ ما يعرفُه مَنْ عرَفهم.

وأما مَن كان فيهم من عامَّتهم لا يَعرفُ أسرارَهم وحقائقهم، فهذا يكونُ معه إسلامُ عامَّةِ المسلمين، الذي استفاده من سائرِ المسلمين لا منهم؛ فإن خواصَّهم مثلَ الشيخ «سلول، وجهلان، والصهباني» وغيرهم، فهؤلاء لم يكونوا يُوجِبون الصلاة؛ بل ولا يشهدون للنبيِّ ﷺ بالرسالة.

وفي أشعارهم ـ كشِعر الكوْجلي وغيرِه ـ من سبِّ النبي ﷺ، وسَبِّ القرآنِ والإسلامِ ما لا يَرضى به لا اليهودُ ولا النصارى، ثم منهم مَن يقول هذا الشعر ليونس، ومنهم من يقول: هو مكذوبٌ على يونس، لكن من المعلوم المشاهَد أنهم يُنشِدون الكفرَ ويتواجَدون عليه، ويَبولُ أحدُهم في الطعام، ويقول: يَشرح كبدي يونس، أو ماءُ ورْدِ يونس، ويَستحلُّون الطعامَ الذي فيه البولُ، ويَرَوْن ذلك بركةً!.

وأما كُفريَّاتُهم، مثلُ قولهم: «وأنا حَمَيتُ الحمى، وأنا سكنتُ فيه، وأنا تركتُ الخلائقَ في مجارِي التِّيه، موسى على الطور لَمَّا خرَّ لي ناجَا، وصاحب أقرب أنا جنبوه حتى جا، يوم القيامة يرى الخلائق أفواجًا، إلى نبيه عيسى يقضي لهم حاجًا».

ويقولون: تعالوا نُخرِّبُ الجامع ونجعلُ منه خمَّارة، ونكسرُ خَشَبَ المِنبرَ ونَعمَلُ منه زُنَّارة، ونحرقُ وَرَقَ ونعملُ منه طُنبارة، نَنتِفُ لحيةَ القاضي ونعملُ منه أوتاره، أنا حملتُ علىٰ العرش حتىٰ صَجّ، وأنا صرخت في محمد حتىٰ هَجّ، وأن البحار السبعة من هيبتي ترتَجّ»[1] .

*** الإسحاقيَّة من غُلاة الشِّيعة:**

◻ قال الشيخ عبدُالرحمن الوكيل: «أحدثَها إسحاقُ بنُ زيدِ بنِ الحَرَّاث من القائلين بالإباحة وإسقاطِ التكاليف، وأنَّ لِعَليٍّ شركةً مع الرسول ﷺ، ثم تطوَّرت، فقالت بـ«الحلول» كـ«النُّصيرية». . »[2] .

*** ابنُ أبي العَزاقِر[3] ـ لعنه اللَّه ـ:**

هو أبو جعفر محمدُ بن عليٍّ الشَّلْمَغانيُّ، ويُقال له: ابنُ أبي العَزَاقِر.

◻ قال الحافظُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: «ذُكِر عنه أنه يدَّعي ما كان يدَّعيه الحَلاَّجُ من الإلهيَّةِ، وكان قد مُسِك في دَولةِ «المقتدر» عند حامدِ ابنِ العباس، واتُّهِمَ بأنه يقول بالتناسخ، فأنكر ذلك. . ولَمَّا كانت هذه المرَّةُ أحْضَره «الراضي»، وادَّعىٰ عليه بما ذُكِر عنه، فأنكر، ثم أقرَّ بأشياء، فأفتىٰ قومٌ أنَّ دَمَه حَلالٌ، إلاَّ أن يتوب من هذه المقالة، فضُرب ثمانينَ سوطًا، ثم ضُرِبت عنقُه وصُلِب، وأُلْحِق بالحلاَّج ـ قبَّحهما اللَّه ـ، وقُتِل معه صاحبه ابنُ

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢/ ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧).

(٢) هامش (ص٨٠) من كتاب «تنبيه الغبي».

(٣) وفي «المنتظم» (١٣/ ٣٤٢): «العزاقير»، وفي «الكامل» (٨/ ٢٩٠): «القراقر»، وفي «تنبيه الغبي» «الغراقيد».

أبي عَون ـ لَعَنه اللَّه ـ، وكان هذا اللعينُ من جُملةِ طائفةٍ قد اتبعوه وصَدَّقوه فيما يزعمُه من الكُفر ـ لعنهم اللَّه ـ».

وقد بَسط ابنُ الأثير في «كامله»[1] مذهبَ هؤلاء الكفرة بسْطًا جيِّدًا، وشَبَّه مذهبَهم بمذهب النُّصيرية ـ لعنهم اللَّه أجمعين ـ»[2، 3].

◘ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل عنه: «كان يعتقدُ أنه إلهُ الآلهة، وأنَّ اللَّهَ سبحانه يَحُلُّ في كلِّ شيءٍ على قَدْرِ ما يَحتمل، وأنه قد حَلَّ في آدم، وفي إبليس، وأن اللَّهَ تعالى إذا حلَّ في جسدٍ أظهر من القُدرة والمعجزة ما يدلُّ على أنه هو اللَّهُ، له كتابٌ اسمه «الحاسَّة السادسة»، صَرَّح فيه برفضِ الشريعة، وإباحةِ اللواط، وزَعَم أنه إيلاجُ نور الفاضل في المفضول، ولذا أباح أتباعُه نساءَهم له، طمعًا في إيلاجِ نورِه فيهنَّ، وكان يُسَمِّي محمدًا وموسى «بالخائنيْنِ»، زَعمًا منه أن هارونَ أَرسَل موسى، وأن عَليًا أَرسل محمداً فخاناهما»[4].

◘ يقول الحافظُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (١٥/ ٢٠٨) أحداث سنة أربعين وثلاثِمئة: «وفيها رُفع إلى الوزير أبي محمد المُهَلَّبي رجلٌ من أتباع أبي جعفر محمدِ بنِ عليِّ بنِ أبي العَزاقِرِ الذي كان قُتِل على الزندقة

---

(١) «الكامل» (٨/ ٩٠، ٩٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٢).

(٣) وفي أحداث هذه السنة (٣٢٢هـ) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٢): «وادَّعى رجلٌ ببلاد الشاس النُّبوَّة، وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحِيَل فجاءته الجيوش، فقاتلوه، فقتلوه واضْمَحلَّ أمره».

(٤) هامش (٥) (ص٢٩ ـ ٣٠) من «تنبيه الغبي»، وانظر «الشذرات» (٢/ ٢٩٣).

كما قُتل الحلاَّج، وقد اتَّبعَه جماعةٌ من الجَهَلة ببغداد، وصَدَّقوه في دَعْواه الرُّبوبية، وأن أرواحَ الأنبياءِ والصدِّيقين انتقلت إليهم، ووُجِد في منزله كتبٌ تدلُّ علىٰ ذلك».

* **قُرَّةُ العين، غانيةُ «البابية»، والداعيةُ إلى نَسخِ الشريعة المحمدية:**

هذه البَغِيُّ الكافرةُ أولُ مَن دَعَتِ البابيِّين إلىٰ نَسخِ الشريعة، وخَطَبت بذلك في مؤتمرَ «بدشت».

❑ وذَكَر خُطبتَها «محمد مهدي خان» في كتابه «تاريخ البابية» أنها خَطَبت بذلك قائلةً: «أيها الأحباب والأغيار، اعلَموا أن أحكامَ الشريعةِ المحمَّدية قد نُسِخت الآنَ بظهورِ الباب، وأن أحكامَ الشريعةِ الجديدةِ البابية لم تَصِلْ إلينا، وأنَّ اشتغالَكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة ـ وسائرِ ما أتىٰ به محمدٌ كلُّه ـ عملٌ لَغوٌ وفعلٌ باطل، ولا يَعملُ بها بعدَ الآن إلاَّ كلُّ غافلٍ وجاهل.. إنَّ مولانا «الباب» سيَفتحُ البلادَ، ويُسخِّرُ العبادَ، وستَخضعُ له الأقاليمُ السَّبعةُ المسكونة، وسيُوحِّد الأديانَ الموجودةَ علىٰ وجهِ البسيطة، حتىٰ لا يَبقىٰ إلاَّ دينٌ وحد، وذلك الدينُ هو دينُه الجديد وشَرعُه الحديث الذي لم يَصِلْ إلينا إلىٰ الآن منه إلاَّ نَزْرٌ يسير، فبِناءً علىٰ ذلك أقولُ لكم: لا أَمْرَ اليومَ ولا نَهْيَ ولا تعنيف، وإننا نحنُ الآنَ في زمنِ الفترة، فاخرُجوا من الوحدة إلىٰ الكثرة، ومَزِّقوا هذا الحجابَ الحاجزَ بينكم وبين نسائِكم بأن تشارِكُوهنَّ بالأعمال، وتُقاسِمُوهنَّ بالأفعال، وواصِلُوهُنَّ بعد السَّلْوَة، وأخرِجُوهنَّ من الخَلْوة إلىٰ الجَلْوة، فما هُنَّ إلاَّ زهرةُ الحياة الدنيا، وإنَّ الزَّهرة لابدَّ من قَطْفِها وَشمِّها؛ لأنها خُلِقت للضَّمِّ وللشَّمِّ، ولا ينبغي أنْ

يُعَدَّ ولا يُحَدَّ شامُّوها بالكيف والكم؛ فالزهرةُ تُجنَى وتُقطف، وللأحباب تُهْدَىٰ وتُتْحَف، وأمَّا ادخارُ المال عند أحدِكم وحرمانُ غيرِكم من التمتُّعِ به والاستعمال، فهو أصلُ كلِّ وِزْرٍ، وأساسُ كلِّ وَبَال، ساوُوا فقيرَكم بغنيِّكم، ولا تَحجُبوا حلائِلَكم عن أحبابكم، إذْ لا رَدْعَ الآن ولا حَدَّ ولا مَنْعَ ولا تكليفَ ولا صدَّ، فخذوا حظَّكم من هذه الحياة، فلا شيء بعد الممات»[1].

و«قرة العين» اسمها الحقيقي «أمُّ سَلمىٰ»، وُلدت في «قَزْوين» سنة ١٢٣١هـ[2] أو ١٢٣٣هـ أو ١٢٣٥هـ.. وُلدت للمُلاَّ «محمد صالح القزويني» أحدُ علماءِ الشيعة، وأخٌ أصغرُ لعالِمٍ شيعيٍّ معروفٍ، وإمامِ الجمعة لمدينة «قزوين» المُلاَّ «محمدِ تقيٍّ القزويني»، وأخٌ أكبر لملاَّ «علي الشيخي» تلميذ «الرشتي».

فدَرَستِ العلومَ من والدها «محمد صالح» وعمِّها «محمد تقي»، ومالت إلىٰ «الشيخية» بوساطة عمِّها الأصغر «الملاَّ علي»، تعلَّقت بتعاليمها، وتأثَّرت بها إلىٰ الغاية، وبدأت تُكاتبُ السيد «كاظم الرشتي»، وتُدافع عن أفكارِه وعقائدِ «الشيخية» بحماسةٍ وقوَّة، واشتُهرت بذكائها المدهش وفصاحتِها وطلاقةِ لسانها، بجانب الجمالِ الفائقِ والحُسنِ البارع والشبابِ المتوقِّد، وكانت تُلقَّب بـ«الزرين تاج» «أي: التاج الذهبي» لجمال شَعْرِها الذهبيِّ اللون.

---

(١) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٨٠)، و«البابية» (ص١٨٧ ـ ١٨٨) لإحسان إلهي ظهير.

(٢) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص٦٠).

◘ ويقول «هيوارت»: «زرين تاج الملقَّبة بقرة العين، وهي ابنةُ المُلاَّ صالح، كانت فائقةَ الجمال، شديدةَ الذكاء»[١] .

◘ ويقول الكونت «جوبينو الفرنسي» وهو يذكرها في كتابه: «وكانت هذه من مدهشاتِ العصر لعِلمِها وفَضلِها وحماستِها الدينية «الشيخية والبابية بعد ذلك»، وفصاحتِها المتدفِّقة، وجمالِها البارع»[٢] .

◘ ويقول «البستاني» نقلاً عن السيد «جمال الدين الأفغاني»: «فُتَيَّةٌ بارعةُ الجمال، متوقِّدةُ الجَنان، فاضلةٌ عالِمة، تُسمَّىٰ باسم «سلمىٰ» (والصحيح: أم سلمىٰ) من بنات أحدِ المجتهدِين في العلم»[٣] .

ولَقَّبها الرشتي بـ «قُرَّة العين»[٤] .

فخاف عليها أبوها وعمُّها، علىٰ جمالِها اللامع، وشبابِها الوحشيِّ في المراهقة، والذكاء المُفرِطِ، والإحساسِ المرهَف، فزوَّجوها مبكرًا من ابن عمِّها الملاَّ محمد ابن الملاَّ تقيٍّ إمام الجمعة[٥] .

ولَم تَبلغِ الثالثةَ عَشْرَةَ من عُمرها يومَ ذاك[٦] .

فولَدت له ثلاثةً من الأولاد ـ ذَكَرَينِ وأنثىٰ ـ، ولَمَّا بَلَغَتِ الرشدَ، وأدركت قوَّةَ تأثيرِها الكلاميِّ، وفتنةَ شبابِها النَضِرِ، تنفَّرت من الجوِّ،

---

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» (٣/ ٢٢٨).

(٢) «الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطىٰ» نقلاً عن «دائرة المعارف» لوجدي (٢/ ٦).

(٣) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨).

(٤) «الكواكب» (ص٦١) لعبد الحسين آواره.

(٥) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص٦٠) ط فارسي.

(٦) «قرة العين» (ص٣٢) لمارتاروت ط باكستان.

واحتَقرت الملأَ محمد زوجَها، وبدأت تشعرُ الاشمئزازَ من قُربه، فلجأت إلىٰ بيت أبيها، وتركت بيتَها بيْتَ الزوج، فلم تهدأ ثورتُها، بل زاد جنونُها بمرورِ الأيام وكَرِّ الليالي، وأَحسَّت بأنها تَحتاجُ إلىٰ مَن يُهدِّيءُ ثورتَها المشتعلة، ويُعبِّدُها عبادةَ الوَلْهانِ والعبدِ راكعًا وساجدًا أمام صَنَمِه ومعبودِه مُرغِمًا أنفَه ومُذِلاً وجهَه.

ولكنَّ البيئةَ التي نشأت فيها كانت لا تزالُ محافظةً علىٰ القِيمَ الرُّوحيةِ وبَقيَّةِ الأخلاق الإنسانية والإسلامية، فالتجأت منها إلىٰ الشِّعرِ الغَزَليِّ الفاجرِ السافل، تشكو فيه اشتعالَ الحُسنِ، ووَهَجَ الشباب، والثورةَ الراعنةَ التي أحاطت وجودَها، والرغبةَ المُجتاحة، ولوعةَ الحبِّ والعشق، وظُلْمَ البيئةِ، وقَسوةَ الحرمان، فاشتُهرت قصائدُها بالغزلِ المشبوبِ باللهفة، والمُهيِّجِ للعواطفِ الشَّهْوانيةِ الحيوانية، وشَعُرت أنْ لا سبيلَ إلىٰ قَضَاءِ شهواتها وطلبِ رغباتِها والفسقِ والفجورِ إلاَّ برفعِ القيودِ الإسلاميةِ والحدودِ الأخلاقية، فبدأت تُفكِّرُ في كَسرِ القيود وحَلِّ الحدود.

وهاهنا في هذا المقام أُريدُ تنبيهَ القُرَّاءِ والتفاتَ الباحثين إلىٰ أن «أم سلمىٰ» «زرين تاج» «قرة العين» الطاهرة هذه هي المُوجِدةُ الحقيقةُ والمؤسِّسةُ الأصليةُ للديانة البابية، ومُحركِّتُها ومُحَرِّضَتُها علىٰ ذلك الإلحاد والفساد، لتضايُقِها عن تلك القِيَم والتعاليمِ التي تَفرضُ عليها التسُّتَرَ والحِجابَ، والكفَّ عن الخلاعة والمجون في الشِّعرِ والقولِ، والردعَ عن الفسق والفجور.

□ ولأجل ذلك كانت تُردِّدُ ذلك القولَ كثيرًا: «يا أوَّاه.. متىٰ يَطلُعُ ذلك اليومُ الذي تَظهرُ فيه شريعةٌ جديدة؟! ومتىٰ يأتي ربِّي وإلهي بتعاليمه

الحديثةِ وأتشرفُ بأن أكونَ أولَ نساءِ العالَمِ التي تَعتنقُها وأُلَبِّي دعوتَه؟!»[1].

▫ وأيضًا: «كانت تُفكِّرُ كثيرًا في ظهورِ ذلك المَظْهَرِ الجديدِ الذي سيَظهرُ، وكانت تقولُ لعمِّها الشيخي الملاَّ علي: لأَكونَنَّ أنا أولَ المؤمناتِ به»[2].

▫ وعبارةٌ أخرىٰ عن مؤرِّخ البابيين والبهائيين «عبدالحسين آواره»، حيث يَروي: «أن قُرةَ العين توقَّفت في سَفَرِها بكربلاء، وامتَنعت عن الرجوع إلىٰ أهلها، ناظِرةً ومنتظرةً ظهورَ وبلوغَ ذلك الجمالِ المقصود»[3].

▫ وعبارةٌ أخرىٰ عن «الزرندي البهائي»: «إن المرزة «محمد علي القزويني» ـ زوج أخت قرة العين ـ لَمَّا أرادَ السفرَ من قزوين إلىٰ كربلاء، أعطته القرةُ رسالةً مختومةً مُغلقةً قائلةً له: إنه سيجدُ في سَفَرِه ذلك الموعودَ المعهودَ المنتظَرَ، وإنْ وَجَدَه أو لَقِيَه فيُقدِّمُ إليه رسالتَها، ويُبلغُه أشواقَها»[4].

▫ وذكر البروفسور «إدوارد براؤن» ـ المستشرق الإنجليزي المعروف والمُحبُّ للبابيين وراويتهم في أوروبا ـ، ذَكَر معلِّقًا علىٰ التاريخ الجديد: «إن تلامذة «الرشتي» لَمَّا سافروا إلىٰ الجهاتِ المختلفة والأطرافِ المتفرِّقةِ للبحث عن غائبِهم المنتظر، أَعطت قرةُ العين رسالةً للملاَّ «حسين البشروئي»، قائلةً له: إنك أنت الذي ستجدُ الذاتَ الموعودةَ وتَلتقي بحَضْرَتِه، فتَقَدَّمْ إليه

(١) «قرة العين» (ص٣٩) ط المحفل الملي البهائي الباكستاني عام ١٩٦٦م.
(٢) نفس المصدر (ص٣٩).
(٣) «الكواكب» (ص٦١).
(٤) «مطالع الأنوار» للزرندي البهائي نقلاً عن «قرة العين» (ص٤٣).

برسالتي واعتقادي وإيماني به قبل إعلانه»[١] .

✍ فهذه النقولُ كلُّها والنصوصُ والعباراتُ تدلُّ على لَهفتها واضطرابها في الخروج على الإسلام والانسلاخِ منه ومن حُدوده وقيوده، كما تبيَّن أهميتُها ودَوْرُها واهتمامُها في تكوين نِحْلةٍ جديدةٍ ودينٍ جديد.

✍ وقبلَ أن ننتقلَ من كلامِنا هذا، نَسرُدُ بعضَ أبياتها الشِّعرية الغَزَلِيَّةَ، ليأخذَ القارئُ والباحثُ فكرةً عن حقيقةِ هذه الفاجرة الباغية وعما قُلنا عنها:

❑ ونبدأ بغَزَلها الذي قالته باللغة العربية:

يا نَديمي قُمْ فإنَّ الديكَ صاح ... غَنِّ لي بيتًا وناوِلْ كأسَ رَاحْ

لستُ أصبرُ عن حبيبي لحظةً ... هل إليه نظرةٌ منِّي تُباحْ؟

بَذْلُ رُوحي في هواه هيِّنٌ ... تَحْمدُ القومُ السُّرى عند الصباحْ

قاتَلَتْني لَحْظةٌ من غيرِ سيفٍ ... أسكرتْني عَينُه من دونِ راحْ

قد كَفَتْني نظرةٌ منِّي إليه ... مِن بهائي في غَدَاةٍ في رَوَاحْ

هام قلبي في هواه كيف هام ... راح رُوحي في قفاه أين راح؟!

لَم يُفارِقْني خيالٌ منه قطُّ ... لَم يَزَلْ هو في فؤادي لا بَرَاحْ

إن يشاءُ يَحرقُ فؤادي في النَّوَى ... أو يشاءُ يَقتل، له قتلي مباح[٢]

❑ ولها قصيدةٌ غزليةٌ أخرىٰ صَدرُ أبياتها في اللغة الفارسية وعَجُزُها

---

(١) «تاريخ جديد» ط كيمبردج تعليقة براؤن، و«نقطة الكاف» (ص١٤٠) و«الكواكب» (ص١٦١).

(٢) أبيات لقرة العين البابية المنقولة من كتاب بهائي «ظهور الحق» (ص٣٦٦).

باللغة العربية، نُورد بعضًا منها هاهنا مترجَمةً بصَدْرِها بالنصِّ العربي:

يُريدون وَصْلَكَ ويَتيهون فيه ... افتَحْ يا مُفتِحَ الأبوابْ

متى يَحصلُ لهمُ اللقاءُ ... كم بَقُوا ناظِرِينَ خَلْفَ البابْ

إلى متى الصبرُ والحرمانُ؟ ... طال تِطوافُهم وراءَ حِجابْ

ليس مَطلَبُنا ومَقصدُنا غيرَك ... ما لديهم سِوى لِقاكَ ثوابْ

إلى متى تَبقَى وراءَ الحَسَراتِ ... أَرِهِمْ نظرةً بلا جِلبابْ[1]

□ ومن أبياتها في اللغة الفارسية:

يا حبيبي إن حَصَلَ الوِصالُ يومًا ما لأُخبِرَك
بما حَصَلَ لي من المصائبِ والمَشَاقِّ في سبيلِ رُؤيتك
يا حبيبي تجوَّلتُ بيتًا بيتًا وزُقًّا زُقًّا وقريةً قريةً ومدينةً مدينةً
لرؤيتكَ مثلَ الصَّبا لرؤيةِ خَدِّكْ
حبيبي في فِراقِك جَرَت عيونُ الدمِ من العيون
وأُصبِغَت مياهُ دِجْلة وعيونٌ وبُحور
حبيبي رُموشُ عيونِك قَتَلَتْني وخالُ خدِّك أَسَرَني
وحُبُّك خَتَمَ على قلبي وسَمْعِي وبَصَري

□ ومنها:

يا صَنَمي عِشقُك أوقَعَني في المعاصي
أَهَجَرْتَني وقَتَلْتَني وأخذتَني بجنايتي

---

(١) «ظهور الحق» (ص٣٦٦) ط فارسي.

والآنَ لَم يَبْقَ لي قوةُ الصبرِ وطاقةُ الانتظارِ إلى متى فِراقك
إن جِسمي بجميعِ أجزائه صار كالناي يَحكِي عن هَجْرِك
يا ليتَ تضعُ قَدَمَكَ على فِراشي ليلةً ما فَجْاءةً بكرمك
فأطيـــــرُ فَـرَحًا وسـرورًا بـدونِ أجنـحـة[١]

فهذا موجزُ ما أردنا إيرادَه ها هنا، لأَخْذِ الفكرةِ السريعة عن مُجونها واستهتارها في شِعْرِها الغَزَليِّ السافر، وقد أوردناها من كُتبهم هم.

فهذه هي قرةُ العين، وقد أَرغَمَتْ أهلَها على السماح لها بسفرِها من «قزوين إيران» إلى «كربلاء العراق» لزيارة «العتبات المقدسة» ـ على زعم القوم ـ، وفراراً من الضِّيقِ العائلي، وهَرَبًا من التقاليد، وذلك قبلَ موتِ «كاظم الرشتي» بقليل، ووصلت إلى كربلاء مع زوجِ أُختها الشاب «محمد علي القزويني» الذي لَم يبلُغ العشرينَ ـ وهي أيضًا في رَوعة الشباب وأَوْجِه ـ في العشرين أو زيادةً عليه بسَنَة ـ، فمكثت مدةً فيها وفي النجف، ودَرَسَتْ على السيد كاظم الرشتي وخاصةً في الإلهيات»[٢] .

❑ وبعد موت الرشتي جَلست على مَسنَدِ الشيخية، وبدأت تُدرِّسُ تلامذةَ الرشتي، «وتمكَّنت من الجلوسِ في مَقام الرشتي، وأبهرت عقولَ الدراويش في تلك المدرسةِ بخَطاباتها الرنَّانة الفتَّانة، وخَلَبت قلوبَهم بجمالها المدهشِ وشبابِها القاتلِ المُحرِق، فبدؤوا يظنُّونها رُكنًا رابعًا للشيخية

(١) قصيدة قرة العين لمنقولة من كتاب بهائي «قرة العين» (ص١٣٨) ط باكستان.
(٢) «مقالة سائح» لعباس أفندي ابن حسين علي المازندراني البهاء، (ص٢٦) ط لاهور ١٩٠٨م.

وزعيمتهم»[١] .

وآثَرَتِ المكوثَ هنالك بين الشباب الشيخيين المتحرِّرين أكثَرَ من الآخرين في ذلك الزمان، حيث إن النساءَ والفَتَياتِ كنَّ يَحضُرْنَ دُروسَ الرشتي معهم.

◻ وأنكرت الرجوعَ إلى أهلها، ولَبِثَ المرزةُ محمد علي القزويني معها أولَ الأمر، ثم تَرَكها وحدَها بين الطلاَّب والرجال، فأفتت أول ما أفتت: «يجوزُ للمرأة أنْ تتزوَّجَ تِسعةَ رجال»[٢] .

◻ ثم رَفعت الحجاب، «وكانت تظهرُ سافرةً في الأماكن العامة، وتختلطُ بالرجال وتُدرِّسُهم وتَخطُبُهم بدون حاجزٍ بينها وبينهم»[٣] .

◻ ويُروى عنها أنها كانت تقول: «بحِلِّ الفروجِ ورفعِ التكاليف بالكليَّة»[٤] .

◻ مستندةً بقول الرشتي أنه قال في كتابه «رسالة في الفروع»: «إن نظرةَ آلِ اللَّه تُطهِّرُ الأشياء، وآلُ اللَّه في الحقيقة هم المعصومون الأربعةَ عَشَرَ ـ أي النبي والوَصِيُّ وزوجتُه فاطمةُ وأولادُهُما الأئِمَّةُ الأحَدَ عشر حَسْبَ زعمهم ـ، ونظرةُ آلِ اللَّه إرادتُهم، وإرادتُهم هي عينُ إرادةِ اللَّه وأمرِه، والحلالُ والحرامُ موقوفٌ على إرادةِ اللَّه، وهو موقوفٌ بإرادتهم

---

(١) «نقطة الكاف» للكاشاني، (ص١٤٠، ١٤١).

(٢) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٧٦).

(٣) «مطالع الأنوار» (ص٢١٤) على الهامش.

(٤) «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص٢٤) ط القاهرة.

هم بهذا المعنىٰ .

◻ فاحتجَّت بأنها مَظهَرُ فاطمة «بنت النبيِّ وزوجةُ عليٍّ» ـ عليها السلام ـ، وقالت: «حُكمُ عيني حُكمُ عينِها، وكلُّ شيءٍ أَلقيتُ عليها نظرتي ورأيتُها بعيني طَهُرت وحَلَّت مع حُرمتها ونجاستِها»، وأيضًا: «فأتُوا إلىٰ الأشياء حتىٰ أحِلَّها وأُطَهِّرَها بنظرتي إليها»[1] .

ولَمَّا أعلن الشيرازي ـ بإيعازٍ من البشروئي وتحريضًا منها هي ـ مَهْدَوِيَّته وقائميَّته، أدخلها في حُروفِ الحيِّ مع رفيقِ سفرِها وخائنِ أُختِها ومَحْرَمِ سِرِّها المرزةِ «محمد علي القزويني»[2] .

«ولُقِّبت بـ «الطاهرة» مِن قِبَلِه هو»[3] .

فبَلَغَتْ إلىٰ أمنيَّتِها القديمةِ من إيجادِ شريعةٍ جديدة، مُنحَلَّةٍ عن جميعِ القيود والحدود، ثم سافرت من كربلاء إلىٰ بغداد في جَمْعٍ خَليطٍ من الرجال، «مثل صالح العرب، وطاهر الواعظ، وإبراهيم المحلاَّتي، ومحمد المليح»[4] .

◻ ومن النساء: «خورشيد خانم، وأخت البشروئي وغيرهن، ولَمَّا خرجت من كربلاء مع أصحابها ورفيقاتِها كان أهالي كربلاء يرمُونهنَّ وهم بالأحجار»[5] .

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٤١) ط مطبعة بريل لندن ١٩١٠م.

(٢) «قرة العين» (ص٤٣).

(٣) «الكواكب» (ص٦٢) ط فارسي.

(٤) «نقطة الكاف» (ص١٤١).

(٥) «قرة العين» (ص٤٦).

وعَمِلَتِ المنكرات، وارتكبت الفواحش، وأطلَقت نفسَها للشهوات، وقَدَّمَتْها فريسةً لكلِّ مفترسٍ، وصيداً لكلِّ مصطاد، فتهتَّكت، ونزلت في السَّفالةِ والوَضَاعةِ إلىٰ أدنىٰ حدٍّ، واقتَرَفت من المعاصي والمآثم إلىٰ غاية، حتىٰ اضْطَرَبَ رِفاقُها وزملاؤها في السفر، وصرخوا بأعلىٰ الصوت من لهيبها واحتراقِها وطُغيانها، «فسَبُّوها ولَعنوها وقَدَّموا الشكاوىٰ منها إلىٰ مقام الحَضْرة «الشيرازي»، فردَّ عليهم «الشيرازي»: «ماذا عسىٰ أن أقولَ فيمن سَمَّاها لسانُ العظمة والقدرة: «الطاهرة»؟!»[1]، «ولا تُرَدُّ الطاهرةُ في حُكمها، فإنها أدرىٰ بمواقعِ الأمر من غيرها»[2].

وذَمَّ «الشيرازيُّ» الذين كَتبوا الشكاوىٰ ضِدَّها، وخاصةً السيد «علي» الذي خَطَّ الرسالةَ بقلمه، فَلمَّا رأىٰ هؤلاء الأمورَ منعكسةً، ورأَوُا النجاسةَ طهارةً والحرامَ حلالاً، لعنوها ومَن لَقَّبها بـ«الطاهرة».

وارتدَّ عن البابية السيد علي، والسيد طه، والكاظم، والسيد حسن جعفر وغيرهم[3].

«وطَلَّقت نفسَها من زوجِها «عليٍّ» خلافَ حُكمِ شريعة الإسلام»[4].

وأثناء سفرِها هذا لَمَّا نَزلت في «كرمانشاه» مع أحبائها ـ وهذا هو عينُ التعبير البهائي ـ ورفاقِها مُصَعِّرةً أسواقَ الفُحشِ والمنكرِ والبَغْي، «انكبَّ عليهم أهلُ تلك المدينة، وهاجموهم، وأخرجوهم من مدينتهم، وطهَّروها

(١) «نقطة الكاف» (ص١٤١) ط فارسي.

(٢) «الكواكب الدرية» (ص١١٢) ط فارسي.

(٣) المصدر السابق (ص١٢٢).

(٤) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨).

من نجاستهم ورِجْسِهم»[١] .

وكانت تَجمعُ حولَها المراهقين خاصةً، وتفتحُ لهم قلبها وأحضانها .

□ فمثلاً المرزة «يحيىٰ صُبح الأزل» الذي وصفه المؤرِّخون بأنه كان شابًّا وسيمًا جذَّابًا طويلَ القامة أنيقًا رشيقًا في السابعةَ عَشْرةَ من عمره. . يَكتبُ عنه وعنها أولُ المؤرِّخين البابيين المرزة «جاني الكاشاني» : «كان المرزة «يحيىٰ» مركزُ الجَمال والجَلال يتكرَّرُ إلىٰ «الطاهرة»، وكانت - وهي في الثانيةِ والعشرين من عُمرها - شابةً ملتهبة - أُمَّ الإمكان تحتضنُ ذلك الطفلَ الأزلي - وهو في السابعة عَشْرة من العمر - عُمرِ المراهقةِ والفتوَّةِ والشباب المُقبل -، وتُرضِعُه من لَبَنٍ لَم يتغيَّرْ طَعمُه، وتُربِّيه في مَهْدِ الآداب الحَسَنةِ والأخلاقِ الطيِّبة، (فيا لها من تربية؟) وتُلبِسُه ملابسَ أهلِ الفكرةِ المستقيمة، إلىٰ أن قَوِيَتْ بِنيتُه»[٢] .

□ وعَمِلت من المنكرت، واقترفت من الذنوب، وارتكبت من الفواحش في بيداءِ «بدشت» إلىٰ أنِ اضطُرَّ البشروئي بأن يقول: «إني أُقيمُ الحدَّ علىٰ شُركاءِ مؤتمر بدشت»[٣] .

وقد مرَّ تفاصيلُ تلك الفضائحِ سابقًا[٤] ما تُغني عن إعادتِها، اللَّهم إلاَّ لَفتُ الأنظارِ إلىٰ أمرٍ هام، ألاَ وهو إعادةُ القول بأنَّ قرة العين كانت هي المؤسِّسةَ الحقيقيَّةَ للبابية كما ذكرنا قريبًا مُستندِين إلىٰ شهاداتِ القوم

---

(١) «الكواكب» (ص١١٥).

(٢) «نقطة الكاف» (ص٢٤١) نص الترجمة حرفيًا.

(٣) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٤) انظر «مقال البابية تاريخها ومنشؤها» و«الشيرازي ودعواه».

أنفسِهم، وأيضًا مؤتمر «بدشت» بتفاصيله أكبرُ دليلٍ وسَنَدٍ على ذلك الأمر، حيث إن المؤرِّخين قاطبةً - بابيِّين كانوا أو مسلمين، مسيحيين أو بهائيين - اتَّفقوا على أن أولَ مَنِ اقترَح بنَسخِ شريعةِ الإسلام ورَفعِ أحكامِها كانت هي الفاتنةُ الفاجرة، فلقد كانت تُوجِبُ نَسْخَ تلك الشريعةِ الغرَّاءِ التي طالَمَا مَنَعَتْها ورَدَعَتْها عن الجَرْي وراءَ الشهواتِ واللذاتِ النفسية الخبيثة، وأرغمَتْها على قَهْرِ نفسِها عن وطئِها الرجال وتمرُّغِها في أوحال الذنوب والخطايا، وأجبرَتْها بالبقاءِ مع زوجها، والإقناعِ والاكتفاءِ به وحدَه، وكفِّها عن الارتماءِ والاحتضان كلَّ يومٍ بين قَدَمَيْ رجلٍ جديدٍ وزوجٍ جديد.

وكان صَدرُها مليئًا بالبُغضِ والانتقامِ من ذلك الناموس الإلهيِّ السَّماويِّ الذي كان يَردعُها مِنِ استبدالِ زوجٍ مكانَ زوجٍ، وعَشيقٍ مكانَ عشيقٍ، وحبيبٍ مكانَ حبيبٍ في كلِّ ليلةٍ ويومٍ، معتقِدةً بأن النساءَ ما هنَّ إلاَّ زهرةَ الحياة الدنيا، «وإن الزهرة لابدَّ مِن قَطْفِها وشَمِّها؛ لأنها خُلقت للضمِّ والشمِّ. فالزهرةُ تُجنَى وتُقطف، وللأحباب تُهدَى وتُتحَف»[1]، «ولا تَحجِبوا حلائلَكم عن أحبابكم، إذ لا رَدْعَ الآنَ، ولا حَدَّ، ولا مَنْعَ، ولا تكليفَ، ولا صدَّ، فخُذوا حظَّكم من هذه الحياةِ، فلا شيءَ بعد الممات»[2].

ولقد أَحبَّت الملأَ «محمد البارفروشي» حبًّا جنونيًّا، وقدَّمت له نفسَها وكلَّ ما تَملكُ، وسَمَحتْ له أن يستذِلَّها ويُمرِّغَها ويَستعبدَها، ولكنها لَم تَكتفِ به وحدَه، وسَخَت بنفسِها، وجادت للمرزة «حسين علي

(١) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٨١) من خطبة قرة العين في مؤتمر بدشت.

(٢) المصدر السابق، وقد مر تفاصيل ذلك في مقال «الشيرازي ودعواه».

المازندراني» ـ البهاء ـ، مع امتصاصِ أخيه الصغير المرزة «يحيىٰ صُبح الأزل».

ووَهَبَها المرزة «حسين علي» لشابٍّ شيرازي اسمه المرزة «عبداللَّه» في «نيالا» ـ موضع من مواضع مازندران ـ، وذهب بها إلىٰ «النور» ـ قرية حسين علي[1] ـ، لما كان عارفًا لعاصفتها وهيجانها.

فقُرَّةُ العين هذه هي التي كانت تُملِي عليَّ الشّيرازي ـ البابَ ـ، وتأمرُه أن يعملَ هذا وذاك، وحتىٰ هي التي أمَرَتْه باعتلاءِ عرشِ الربوبية، واستوائِه عليه، وادعائه الألوهية.

◻ ولقد ذَكَرَتِ المبشِّرةُ البهائية مس «مارتا روت» وغيرها من المؤرِّخين البابيين البهائيين، أنها كَتبت إلىٰ المرزة «علي محمد الشيرازي» ـ الباب ـ وهو سجينٌ في قلعة «ماه كو» في قصيدةٍ غَزَلِيَّةٍ طويلةٍ هذه الأبيات، بعضُها في الفارسية، وبعض منها في العربية الركيكة:

لَمَعاتُ وَجهِك أشرقت وشُعاعُ طَلْعَتك اعتلى

جَذَباتُ شَوقك ألجمت بسلاسل الغمِّ والبَلا

وإذا رأيتُ جمالَه طَلَعَ الصباحُ كأنما

◻ إلىٰ أن قالت في اللغة الفارسية:

فلماذا لا تقول: ألستُ بربِّكم؟! فنقول: بلىٰ بلىٰ»[2].

وعلىٰ إثْرِ ذلك ادَّعىٰ المأفونُ المجنونُ الألوهيَّةَ والربوبيةَ.

---

(١) «مطالع الأنوار» (ص٢٩٩) ط إنجليزي.

(٢) «قرة العين» لمس مارتروت (ص٤٣).

وأخيراً، اشتركت في مؤامرة قَتلِ عمِّها ورحيمِها «أب الزوج» الملاَّ «تقي» إمام الجمعة بقزوين لَمَّا أرادَ الحيلولةَ بينها وبين لَهوِها واستهتارها عام ١٢٦٣هـ، فسُجنت في قزوين، ولكنها استطاعت الفرارَ من السِّجن مع أصحابها وعُشَّاقها، وخاصةً بمساعدةِ ومعونةِ المرزة حسين علي البهاء[١].

ثم «اشتركت في مؤامرة اغتيال الشاه «ناصر الدين القاجاري» بعد قَتلِ الشيرازي، وقَبَض عليها، وحَكم بأن تُحرقَ حيةً، ولكنَّ الجلاَّدَ خَنَقَها قبل أن تَلعَبَ النارُ بالحطب الذي أُعِدَّ لإحراقها»[٢].

«ورُميت جُثَّتها في حفرةٍ بعدما مُلئت بالحجارة والتراب»[٣]، وكان ذلك «في أول ذي القعدة سنة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م»[٤]، أي: بعد سَنَتَينِ وشَهرَينِ من قَتلِ الشيرازي، وكان عمرُها آنذاك من اثنين وثلاثين إلىٰ سَبع وثلاثين علىٰ مختلفِ الأقوال.

ولقد أطَلْنا الكلامَ في سيرتها، وفَصَّلْنا القولَ في حياتها، لِمَا لها من أهميةٍ خاصةٍ في الديانة البابية والبهائية أيضًا.

◻ ولقد كَتب المستشرق الإنجليزي «إدوارد براؤن» في مقال له: «إن الشخصيةَ الجذَّابةَ الخلاَّبةَ لأنظارِنا وانتباهِنا في تكوينِ الديانة البابية - غيرَ الباب الشيرازي - هي الجميلةُ الذكيةُ التي وُهبت حظًّا وافراً وقِسطًا وافيًا من الحُسن والجمال والعقل والذكاء «قُرَّةُ العين»، التي كانت شاعرةً وعالِمةً

(١) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص١٢٥) ط فارسي.

(٢) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨) ط طهران.

(٣) «الكواكب» (ص٣٢٢) ط فارسي و«قرة العين» (ص٩٧).

(٤) «الكواكب» (ص٣٢٠).

وخَطيبةً، ولُقِّبت بالطاهرة»[١] .

◻ ويقول السير «فرانسيس ينج» في كتابه: «إن أقوىٰ الشخصيات في الحركة البابية وأَمْيَزَها من الجميع هي «قرة العين» التي كانت شاعرةً ممتازةً وخطيبةً بليغةً مؤثِّرةً»[٢] .

◻ وقال «ويلينيتائن»: «ما كان لأحدٍ تأثيرٌ ونفوذٌ في البابيين مثلَما كان لشاعرة قزوين قُرة العين الطاهرة»[٣] .

* **الرَّجُلُ الصَّنَمُ مُصْطَفَى كَمَال أَتَاتُورْك ـ عدوُّ اللَّهِ ورسولِه ـ[٤]:**

◻ لا تَعْجَبْ من قولِ كثيرٍ من المؤرِّخين: «إن أتاتورك كان صربيًّا أو بلغاريًّا»!!.

لم يتحدَّثْ عن والدِه يومًا، وروايات كثيرةٌ ـ لا تَقِلُّ نسبتُها عن تسعينَ في المئة من الروايات ـ أنه كان من سِفاحٍ.

تناظُرٌ مدهش وعادل بين كون مصطفىٰ كمال ثَمَرةَ حرام من الناحية الرُّوحية، وبين كونِه ثَمَرةَ حرامٍ من الناحية المادية، يَحملُ في طيَّاته معنىً كبيرًا، كيف أن هذه الرُّوحَ السافلةَ كانت تستندُ في عالَمِ المادة إلىٰ أساسٍ سافلٍ؟ وأن هذه السَّفالةَ في الروحِ والمادة تأتي في الحقيقة مِن كون «مصطفىٰ

(١) «جرنل آف دي راتيل ايشياتيك سوسايتي» (٢١/ ٩٣٤).

(٢) «دي جليم» (ص٢٠٢).

(٣) «سؤال الشرق الأوسط» (ص١٣٢).

(٤) هذه الترجمة مأخوذة بتصرف من كتاب «الرجم الصنم» تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبداللَّه عبدالرحمن ـ مؤسسة الرسالة ـ.

كمال» عدوًّا للّه، وعدوًّا لرسول اللّه ﷺ.

◻ مصطفىٰ كمال القائل: «لقد انتهىٰ العهدُ الذي كان الشَّعبُ فيه يُخدعُ بكلماتٍ، هي خاصةٌ بالطبقاتِ الدنيا، أمثال: كربلاء، حفيد الرسول، الإيمان، السيف، القدس».

◻ مصطفىٰ أتاتورك الذي أَلغىٰ الخلافةَ العثمانية سنة ١٩٢٢م، وقال عن الذين يقولون: «إن الخلافةَ والسَّلطنةَ وِحدةٌ لا يمكن تجزئتها»؛ قال: «إنها سَفَسطةٌ معهودة».

وفي اليوم الأول من شهر «تشرين الثاني»، سنة ١٩٢٣م، تُعْلَنُ الجمهورية، وانتخابُ مصطفىٰ كمال أتاتورك رئيسًا للجمهورية التركية.

◻ وبعد ٤ أشهر من انتخابه رئيسًا يُوفِّي لأسياده الإنجليز وللحاخام «نعوم»، مُنفِّذِ الخُطَّةِ اليهودية لهدم الخلافة العثمانية، فيُعطي قرارَه: «لقد آن وقتُ إلغاءِ الخلافة، وتُلغىٰ معها وَزارةُ الشرعية، ووزارةُ الأوقاف، ولن نَدَعَ هناك مدرسةً دينيةً».

يتقرَّرُ إخراجُ الخليفةِ مع جميعِ أفراد عائلتِه من البلاد، وبعد ذلك يُجبِرُ الأتراكَ علىٰ ارتداء القُبَّعة، وهي العلامةُ الثالثة عند النصارىٰ بعد الصليب والزُّنَّار، كانت علامةً دينيةً وُضعت من قِبَلِ المسيحين أثناءَ المعارك الصليبية، ثم أصبحت قوميةً، وقد اعتُبرت القبعةُ كعلامةٍ للكفر بفتوىٰ من الإمام النووي، وتُنصَبُ المشانقُ من أجلِ المعارِضين لارتدائها، ويَفرضُ العِلمانيةَ علىٰ تركيا، ويقول عنها: «إنها تعني أن نكونَ آدميين آدميين»، ويُغيِّرُ أحرُفَ الكتابة إلىٰ الأحرف اللاتينية.

مصطفىٰ أتاتورك الذي باع أذْرَبيجان للروس، عندما طَلب من الأذربيجانين السماحَ بدخولِ الجيوشِ الروسيةِ بحُجَّةِ أنها متوجِّهةٌ إلىٰ مساعدةِ تركيا، وبعد أن دَخل البلاشفةُ إلىٰ أذْرَبيجان لم يَخرجوا منها، ولم يُرسِلوا جيوشًا إلىٰ تركيا.

مصطفىٰ أتاتورك علىٰ مائدةِ الخمر، وَسَطَ الدَّعارةِ والفجور، يشيرُ إلىٰ راقصةٍ داعرة «نبيلة هانم»، فتقرأ أذانَ الفجر.

* **عدوُّه الأكبرُ رسولُ ﷺ:**

◻ كان في فندق «بارك»، وكان المؤذِّنُ يقرأُ الأذانَ في المسجد الصغير الكائنِ أمامَ الفندق مباشرةً، يلتفتُ أتاورك لمن حوله قائلاً: «مَن قال بأننا مشهورون؟ وما شهرتُنا نحن؟ انظروا إلىٰ هذا الرجل[1] كيف أنه وَضَع اسمًا وشُهرةً بحيث أن اسمَه يتكرَّرُ في كلِّ لحظة، وفي جَميعِ أنحاءِ العالَم إذا أخذنا فَرْقَ الساعاتِ بنظرِ الاعتبار!! ليهدِموا هذه المنارة».

مصطفىٰ أتاتورك الذي أراد أن تكونَ لُغةُ الصلاة التركية!!.

مصطفىٰ أتاتورك الذي مِن علىٰ مائدةِ الخَمْرِ يُصدِرُ أمرًا بتحويل مسجدِ «أيا صوفيا» إلىٰ متحف.

أما فُحشُه وشُذوذُه وعَرْبدتُه وسُكرُه ومُجونُه؛ فحَدِّثْ ولا حَرَج، وحَدِّث عن ليالي «جانقايا» ولا حرج.

◻ يقول شاعره:

لا عنكبوتَ ولا سِحر..

---

(١) يعني: رسول اللَّه ﷺ.

لتبقى الكعبـةُ لدى العـــرب..

لأن جـانـقـايـا تـكـفـيـنــا..

◻ يتزوَّجُ من «لطيفة هانم»، وتَجِدُه رجلاً سكيرًا، ويشاءُ اللَّهُ أن يَفضَحَه على لسان زوجته؛ فهو عديمُ الرجولة وعِنِّين؛ بل وشاذٌّ، وشذوذُه مع «وَدَّاد ابن خالد ضياء» معروفٌ، وكان سببًا لطلاق زوجتِه منه؛ قائلةً له: «لقد رأيتُ كلَّ شيءٍ فيك، وتحمَّلتُ كلَّ شيءٍ، ولكني لا أستطيعُ تحمُّلَ هذا!».. بعدما رأته مع هذا الشابِّ الأمرد.

هذا الفاجرُ الذي حاول الاعتداءَ على المَحارم؛ فقد حاول الاعتداءَ على شقيقةِ زوجتِه الصغرى، ولكنَّ البنتَ تخلَّصت من يديه بصعوبة، وهَرَعت إلى غُرفةِ شقيقتها، ودَخَل مصطفى كمال إلى الغرفة ـ وفي يده مسدَّس ـ، واحتضنت زوجتُه شقيقتَها، وأصبَحَتْ سترًا بينهما، وسَحَبَ مصطفى كمال الزناد، ولكنْ لِحُسْنِ الحظ؛ فإن خادمه «بكر» أسرع إليه، وأمسك بيده، فطاشَتِ الرصاصاتُ الثلاث.

◻ كانت حياته شرابًا شرابًا للخمر وللعَرَق، لا يَكادُ يُفيقُ منه، يقتربُ من صبيٍّ ويسألُه: «لو وُضع أمامَ حِمارٍ دلوانِ، في أحدهما ماء، وفي الآخر عَرَق[1]، فمن أيهما يشرب؟ فقال له الصبي: من العَرَق يا سيدي».

◻ وكان يقول: «إن هذا العَرَق يُعطي النشوةَ للإنسان».

الغازي أتاتورك الذي كان يَذهبُ إلى دار المعلِّمات، ويأخذُ جَبْرًا بناتِ الأمة البريئات؛ ليفسُقَ بهنَّ؛ إنه يَخطفُ البنات مثلَ قُطَّاعِ الطرق.

---

(١) خمر.

وكان يستعملُ وزيرَ خارجيته توفيق رشدي سمساراً لشهواته.

أما عشيقاتُه؛ فحدِّث ولا حَرَج، «صالحة»، و«فكرية»، و«آفة هانم» عشيقته الدائمة، التي أوصىٰ لها عند موته؛ زِدْ علىٰ ذلك كانت ما بين ٢٠ إلىٰ ٣٠ من النساء والفتيات الشاباتِ المختارَات بشكلٍ خاصٍّ، وأطلَقَ عليهنَّ: «بناته بالتبنِّي»، ويُوصِي لهنَّ عند موته بمقاديرَ ثابتةٍ طيلةَ حياتِهِنَّ، وكُنَّ يَقُمْنَ بالرقص في حفلاته، وهنَّ شِبْهُ عاريات!.

بل في قصره كانوا يُلبِسون الجَرسونات الرجالَ ملابسَ النساء ويُرَقِّصُونهم، كانت رائحةُ الغَلْمَنةِ والشذوذ حتىٰ أمامَ أنظارِ النساء.

وفي مرضِ موته - في قَصْره - ابتلاه اللّٰه بحشراتٍ صغيرةٍ حمراء، لا تُرىٰ بالعين، حتىٰ اضطرته إلىٰ الحَكِّ، والحكُّ الشديدِ أمامَ زُوَّاره، حتىٰ ظَهرت علىٰ وجهِه، وأَمَر بتعقيم البيت بأقوىٰ الأدوية وأكثرِها فاعليةً.

ويَكتب مستشارُ وزارةِ الصحَّة ما يلي: نعم صحيح أنه وُجد نملٌ في بعضِ أرجاء القصر، حتىٰ إن المختصِّين أثبتوا أنه نوعٌ من النمل المهاجِر من الصين إلىٰ أوروبا، ولم يكن يَخطُرُ ببالِ أحدٍ احتمالُ أن هناك وراءَ الحَكةِ سببًا آخر؛ لذلك فقد رُوجعَتْ هيئةُ الأركان العامة؛ حيث أُحيلَ الأمرُ إلىٰ متخصِّصين من القوَّة البحْرية، ويَحضُرُ طاقمٌ من مدمِّرة «ياووز»؛ لِتَصيُّدِ النمل الذي في القصر، مُدمرة «ياووز» الموجودة في ميناء «أزميت» يا للجنون!! فلِمَ لَم يطلبوه من حاميةِ أنقرة؟! جنودٌ ومدمِّرةٌ لسَحقِ النمل!!.

* قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ

(١) أي: من بطنه.

لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

وانظر إلىٰ حِكمة اللَّهِ؛ فإنه بالرغم من كونه مُحاطًا بالأطباء والأخصائيين وأساتذةِ الطبِّ، لم يكتشِفوا أنه كان مريضًا بالكبد، وذَاقَ مرَّ العذاب من سنة ١٩٣٦ حتىٰ اكتشفوا المرض سنةَ ١٩٣٨، الذي يَعرفُه أقلُّ الأطباء معرفةً بالطب، وابتلاه اللَّهُ بتليُّفِ الكبد الذي أدَّىٰ إلىٰ الاستسقاء، واحتاج إلىٰ سَحبِ الماء من بطنه بالإبَر، وكان يَصيحُ بمن حولَه والأطباء: «اسحبوا المياه[1] حالاً، اسحبوها كلَّها، لا تَدَعوا شيئًا منها».

وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر، يَرحلُ إلىٰ مزبلةِ التاريخ، يرحلُ عن هذا العالَم، ويَدورُ جِدالٌ حولَ الصلاةِ عليه، وكان مِن رأي رئيسِ الوزراء ألاَّ يُصلَّىٰ عليه، وحَدَث خلافٌ مع قائدِ الجيش الأول، وأخيراً -وبعدَ جَدَلٍ- وافقوا أن يُصلَّىٰ عليه، ولكن مَن الذي أمَّ الناس؟..

إِذَا كَانَ الْغُرَابُ دَلِيلَ قَوْمٍ فَلاَ فَلَحُوا وَلاَ فَلَحَ الْغُرَابُ

إنه مديرُ الأوقاف «شرف الدين أفندي»، الذي أصبح رئيسًا للشؤون الدينية في عهد «أينونو»، حاولَ إقناع« أينونو» بالقيام بكُفرٍ لم يستطع أتاتورك نفسُه القيامَ به، وهو جَعلُ الترجمةِ التركيةِ للقرآن الكريم لغةً للعبادة، وفَرْضُ قراءتِها في الجوامع، بقوَّةِ القانون، وياللَّه! أتاتورك يُصلِّي عليه «شرف الدين» هذا.. وافَقَ الشَّنُّ الطبق.

* وَعَرَضُوا جُثْمَانَهُ لِزِيَارَةِ النَّاسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا:

ومات نتيجةَ الازدحامِ الشديد أربعةَ عَشَرَ شخصًا، وفَقَدت بعضُ

(١) أي: من بطنه.

البناتِ بكارَتَهُنَّ بأصابع عديمي الحياء، مارسوا هذا أمامَ تابوته الرصاصي؛ كعادة الصليبيين.

* **أتاتورك الجبان:**

◻ «مَن خاف اللَّه أخافَ منه كلَّ شيء، ومَن لم يَخَفِ اللَّهَ أخافه اللَّهُ من كلِّ شيء».

كان في مدرسة الزراعة على إحدى القِمم، وكانت الرياحُ شديدة، وكانت تُثيرُ الغبارَ؛ ولأجلها تُحرِّك الأبواب، فتُحدِثُ أصواتًا، ويَهبُّ الغازي من مكانه مذعورًا قلقًا، قائلاً: «أليس هذا صوت رشَّاشة؟»، ولم يحدث هذا مرةً واحدةً فقط، بل عِدَّةَ مرات، فيقولون له: «إنه صوتُ البابِ المندفعِ بسببِ الريح»، ولكنه لا يُصدِّقُ، فيقومُ ويتطلَّعُ من النافذة، ثم يُرسِلُ مَن يُحقِّقُ السبب، وأخيرًا حاوَلَ في أحدِ الأيام الهروب من هذا المكان بعدَ أن جَمَع جميعَ ملابسه، ولكنَّ «جلال عارف» وآخرين وقفوا أمامه ومنعوه، هذا عِلمًا بأن حرَّاسًا له كانوا موجودِين على الدوام في خَيمةٍ في الحديقة الخلفية للمدرسة.

◻ وقصةٌ أخرى يَحكيها المارشال «فوزي جاقماق»: «في أحد الأيام، وبينما كانوا جلوسًا في مجلسِ الأمة الأعلى، ظَهَرت عَبْرَ النافذةِ الخلفيَّة للبِناء سحابةٌ كبيرة من الغُبار؛ وكأنها صادرةٌ من عشراتِ الألوف من الأقدام المُسرِعة في ناحية السَّهْل، وعندما رأى أتاتورك هذا المنظرَ تهيأ للهرب قائلاً: «هذه جيوشُ الخليفة آتية»، ثم ظَهَر بأنه لم يكن هناك سِوى قطيعٍ كبيرٍ من الغنم، فأُرسل رجلٌ خلفَ الغازي؛ لتأمين رجوعه».

إيهٍ يا أتاتورك، يا مَسْخرةَ التاريخ.. نملٌ وغنمٌ.. فلِمَ التطاول؟ والجزاءُ من جنس العمل.

أتاتورك الذي ألغى أعيادَ الفطرِ والأضحى، وجَعَل يومَ الأحد هو يومَ العُطلةِ الأسبوعية بدلاً من الجمعة، ومَنَعَ الحَج، بل وأغرب من هذا، أن هذا الذي رمرم من فُتات الغرب قُوتًا، له واقعةٌ مثيرةٌ تنقلُها جريدة «الأهرام» التي قامت بنقلها من جريدة: «صنداي تايمز» في يوم الخميس ١٥ فبراير سنة ١٩٦٨، تحت عنوان: «كمال أتاتورك رَشَّح سفير بريطانيا ليخلُفه في رئاسة الجمهورية التركية».

هل بعد هذا تبعيةٌ وولاءٌ لبريطانيا، التي أسقطت دولةَ الخلافة على يدِ عميلها أتاتورك.

وأخيراً: «**لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعلِنوا بها، إلاَّ فَشَا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافهم**»[1].

وأيُّ ظهورٍ للفاحشةِ أكثرُ من الرقص، والعُهر، والاغتصاب، والعشيقات، والبنات بالتبنِّي لِمُمارسةِ الرذيلة، ورَقصِ النساء عاريات وَسَطَ موائدِ الخمر؟!.

أراد أتاتورك أن يُمتِّعَ نفسَه بالشهوة الحرام، فابتلاه اللّهُ بالأوجاع والأسقام.. والجزاء من جنس العمل.

وحَرَمه اللّهُ من الرجولة، ونِعمةِ الأولاد؛ لأنه كان عقيمًا بسبب إصابتِه بالزُّهري، وبسببه أُصيبت زوجتُه بالسَّيلان المزمن، ولم تتورع امرأتُه

(١) حديث صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم.

عن إذاعة سرِّ عقمه.

والجزء من جنس العمل.

هذه صفحةٌ سوداء لقزمٍ دجَّال، ألغى الخلافةَ، هذا الماسونيُّ الذي جَعله علمانيُّو العرب مَثَلَهم الأعلى!!..

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نُواحِ ... ونُعِيتِ بَيْنَ مَعَالِمِ الأَفْرَاحِ
كُفِّنْتِ فِي لَيْلِ الزِّفَافِ بِثَوْبِهِ ... ودُفِنْتِ عِنْدَ تَبلُّجِ الإِصْبَاحِ
شُيِّعْتِ مِنْ هَلَعٍ بِعَبْرَةِ ضَاحِكٍ ... فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وسَكْرَةِ صَاحِ
ضَجَّتْ عَلَيْكِ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ ... وَبَكَتْ عَلَيْكِ مَمَالِكٌ وَنَوَاحِ
الْهِنْدُ وَالِهَةٌ وَمِصْرُ حَزِينَةٌ ... تَبْكِي عَلَيْكِ بِمَدْمَعٍ سَحَّاحِ
وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسٌ ... أَمَحَى مِنَ الأَرْضِ الْخِلافَةَ مَاحٍ؟!
أتتْ لَكِ الجمعُ الجَلائِلُ مَأْتَمًا ... فَقَعَدْنَ فِيهِ مَقَاعِدَ الأَنْوَاحِ
يَا لَلرِّجَالِ لِحُرَّةٍ مَوْؤُودَةٍ ... قُتِلَتْ بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ وَجُنَاحِ
إِنَّ الَّذِينَ أَسَتْ جِرَاحَكِ حَرْبُهُمْ ... قَتَلَتْكِ سَلْمُهُمُو بِغَيْرِ جِرَاحِ
هَتَكُوا بِأَيْدِيهِمْ مُلاءَةَ فَخْرِهِمْ ... مَوْشِيَّةً بِمَوَاهِبِ الْفَتَّاحِ
نَزَعُوا عَنِ الأَعْنَاقِ خَيْرَ قِلادَةٍ ... وَنَضَوْا عَنِ الأَعْطَافِ خَيْرَ وِشَاحِ
حَسَبٌ أَتَى طُولُ اللَّيَالِي دُونَهُ ... قَدْ طَاحَ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ
وَعَلاقَةٌ فُصِمَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا ... كَانَتْ أَبَرَّ عَلائِقِ الأَرْوَاحِ
جَمَعَتْ عَلَى الْبِرِّ الْحُضُورَ وَرُبَّمَا ... جَمَعَتْ عَلَيْهِ سَرَائِرَ النُّزَّاحِ
نَظَمَتْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَخَطْوَهُمْ ... فِي كُلِّ غَدْوَةِ جُمْعَةٍ وَرَوَاحِ
بَكَتِ الصَّلاةُ، وَتِلْكَ فِتْنَةُ عَابِثٍ ... بِالشَّرْعِ عِرْبِيدِ الْقَضَاءِ وَقَاحِ

أَفْتَى خُزَعْبَلَةً وَقَالَ ضَلالَةً ... وَأَتَى بِكُفْرٍ فِي البِلاَدِ بُوَاحِ
إِنَّ الغُرُورَ سَقَى الرَّئِيسَ بِرَاحِه ... كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي صَرِيعِ الرَّاحِ؟
نَقَلَ الشَّرَائِعَ وَالْعَقَائِدَ وَالْقُرَى ... والنَّاسَ نَقْلَ كَتَائِبٍ فِي السَّاحِ
تَرَكَتْهُ كالشَّبَحِ الْمُوَلَّهِ أُمَّةٌ ... لَمْ تَسْلُ بَعْدُ عِبَادَةَ الأَشْبَاحِ
هُمْ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمُو ... حَتَّى تَنَاوَلَ كُلَّ غَيْرِ مُبَاحِ
غَرَّتْهُ طَاعَاتُ الْجُمُوعِ وَدَوْلَةٌ ... وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَوَى الْمُرتَاحِ
فَلَتَسْمَعَنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ دَاعِيًا ... يَدْعُو إِلَى الْكَذَّابِ أَوْ لِسَجَاحِ
وَلَتَشْهَدَنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فِتْنَةً ... فِيهَا يُبَاعُ الدِّينُ بَيْعَ سَمَاحِ
يُفْتِي عَلَى ذَهَبِ الْمُعِزِّ وَسَيْفِهِ ... وَهَوى النُّفُوسِ وَحِقْدِهَا الْمِلْحَاحِ

* * *

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلاَمُ ... هَوَتِ الخِلاَفَةُ عَنْكِ وَالإِسْلاَمُ
نَزَلَ الْهِلاَلُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا ... طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظَلاَمُ
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ ... قَدَرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ
خَفَتَ الأَذَانُ فَمَا عَلَيْكِ مُوَحِّدٌ ... يَسْعَى وَلاَ الْجُمَعُ الحِسَانُ تُقَامُ
وَخَبَتْ مَسَاجِدُ كُنَّ نُورًا جَامِعًا ... تَمْشِي إِلَيْهِ الأُسْدُ وَالآرَامُ(١)
وعَفَتْ قُبُورُ الفَاتِحِينَ وَفُضَّ عَنْ ... حُفَرِ الخَلاَئِفِ جَنْدَلٌ وَرِجَامُ(٢)

* * *

(١) الرئم: الظبي الأبيض.

(٢) الجندل: الحجارة، والرجام: ما يُبنى على البئر، وتعرض فوقه الخشبة للدلو.

* عليُّ بنُ عبدالرازِق وكتابُه القبيح الأسود «الإسلام وأصول الحكم»:

أزهريٌّ سَوَّد كتابَه «الإسلام وأصول الحكم»، يدَّعي أن الشريعةَ الإسلاميةَ لا عَلاقةَ لها بالحكم في أمور الدنيا!! وكان قرارُ هيئةِ كبار العلماء بإخراجِ الشيخ عليٍّ من زُمْرتهم قرارًا صحيحًا، وقد حَصَرت الهيئةُ الموقَّرةُ مواضعَ مؤاخذتها العلميَّة في هذه النِقاط:

١ ـ القولُ بأنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ شريعةٌ رُوحيَّةٌ محضةٌ، لا علاقةَ لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

٢ ـ القولُ بأن الدينَ لا يَمنعُ مِن أنَّ جهادَ النبي ﷺ كان في سبيلِ المُلْك لا في سبيل الدين، ولا لإبلاغِ الدعوة إلى العالمين.

٣ ـ القولُ بأن نظامَ الحُكمِ في عهدِ النبي ﷺ كان مَوضعَ غموضٍ وإبهامٍ واضطرابٍ ونقصٍ، ومُوجِبًا للحَيْرة.

٤ ـ القولُ بأنَّ مهمَّةَ النبيِّ ﷺ كانت بلاغًا للشريعة مُجرَّدًا عن الحُكم والتنفيذ.

٥ ـ إنكارُ إجماعِ الصحابة على وجوبِ نَصْبِ الإمام، وعلى أنه لابُدَّ للأُمَّة ممن يقومُ بأمرها في الدين والدنيا.

٦ ـ إنكارُ أن القضاءَ وظيفةٌ شرعية.

٧ ـ القولُ بأن حكومةَ أبي بكر والخلفاءِ الراشدين مِن بَعدِه كانت حكومةً لا دينيَّة[1].

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٦ صفر ١٣٤٤هـ، و«كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميـــزان» للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي (ص٣٢) ـ هدية مجلة الأزهر صفر ١٤١٤هـ.

* سعد زغلول ينقدُ كتاب «الإسلام وأصول الحكم»:

قال الأستاذ: «محمد إبراهيم الجزيري» السكرتير الخاص لسعد زغلول الزعيم المصري: «قلت له: ما رأيكم في كتاب «الإسلام وأصول الحكم»؟ فقال مُهْتمًّا كمن يستعدُّ لإلقاء محاضرة: «لقد قرأتُه بإمعان، لأعرفَ مَبْلَغَ الحَمَلات عليه من الخطإ والصواب، فَعَجِبتُ أوَّلاً: كيف يكتبُ عالمٌ دينيٌّ بهذا الأسلوب في مثلِ هذا الموضوع؟! وقد قرأتُ كثيراً للمستشرقين، ولِسِواهُم، فما وَجدتُ مِمَّن طَعَن منهم في الإسلام حِدَّةً كهذه الحِدَّةِ في التعبير، على نحوِ ما كتب الشيخ علي عبدالرازق، فقد عَرَفتُ أنه جاهلٌ بقواعدِ دينه؛ بل بالبسيط من نظريَّاته، وإلاَّ فكيف يدَّعي أن الإسلامَ ليس مدنيًّا، ولا هو بنظامٍ يَصلُحُ للحُكم؟ فأيُّ ناحيةٍ مَدَنيَّةٍ من نواحي الحياة لم ينصَّ عليها الإسلام؟ هل البَيعُ أو الإجارة أو الهِبة؟ أو أيُّ نوعٍ آخَرُ من المعاملات؟ ألم يدرُسْ شيئًا من هذا في الأزهر؟ أولَم يقرأْ أنَّ أُممًا كثيرةً حكَمَتْ بقواعد الإسلام ـ فقط ـ عهوداً طويلة كانت أنضرَ العصور؟! وأنَّ أُممًا لا تزالُ تحكمُ بهذه القواعد، وهي آمِنةٌ مطمئنةٌ؟! فكيف لا يكونُ الإسلامُ مَدَنيًّا ودِينَ حُكْم؟!.

وأعجبُ من هذا ما ذَكَرَه في كتابه عن الزكاة!.

أين كان هذا الشيخُ من الدراسة الدينيَّة الأزهريةِ؟.

إني لا أفهمُ معنًى للحَمْلةِ المتحيِّزة التي تُثيرُها جريدةُ «السياسة» حولَ هذا الموضوع، وما قرارُ هيئةِ كبارِ العلماء بإخراجِ الشيخ عليٍّ من زُمرتهم، إلاَّ قرارٌ صحيحٌ لا عَيْبَ فيه؛ لأنَّ لهم حقًّا صريحًا ـ بمقتضى القانون، أو

بمقتضى المنطقِ والعقلِ ـ أن يُخرجوا مَن يَخرُجُ على أنظمتِهم من حظيرتهم؛ فهذا أمرٌ لا علاقةَ له مُطلَقًا بحُرِّيةِ الرأيِ التي تعنيها السياسة»[1] .

* **سعد يُلقِمُ العلمانيون حجراً :**

◻ إن كلام رئيس الوزراء المِصريِّ الذي صرَّح بما لم يَستطع أيُّ مسؤولٍ مصريٍّ قبلَه أن يقولَه غيرُ السادات ، فقد قال الدكتور أحمد نظيف في حديث إلى قناة «العربية» الفضائية ، على هامش مُنتدى دافوس في شرم الشيخ : «إنَّ مصرَ دولةٌ عِلمانية تفصلُ الدينَ عن السياسة ، لكنها تعتمدُ الشريعةَ مصدراً أساسيًّا للتشريع» ، ثم يعودُ بعدها في اليومِ التالي ويُدلي بتصريحٍ إلى «وكالةِ أنباءِ «الشرق الأوسط» يقول فيه حَرْفِيًّا : «إنَّ مصر دولةٌ إسلامية طِبْقًا للدستور ، وإنَّ مبادئ الشريعة الرسلامية هي مصدرٌ أساس للتشريع ، ومع ذلك فإن ممارسة الحقوقِ والواجباتِ العامة في مصر لا تُميِّزُ بين المواطنين بسبب الجنسِ أو الأصلِ أو اللغة أو الدينِ أو العقيدة»[2] .

◻ وسَوَّد أحمدُ بهاء الدين مؤلَّفًا سَمَّاه «أيام لها تاريخ» تحدَّث فيه عن كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لا يَمُتُّ إلى الحقيقة بصِلَةٍ ، وما هو إلاَّ تخيُّلاتٍ موهومة ، إلى أن قال : «والتقط الإنجليزُ فكرةَ الخلافةِ الواقعة على الأرض ، نعم! لماذا لا يُنشِؤون هم خلافةً إسلاميةً جديدةً تنمو تحتَ رعايتِهم ، وأنَّ الخلافةَ لَحُجَّةٌ قديمة للتغريرِ بالمسلمين ، وخَلْفَ عباءتها خَرَجَتْ من مكة (كذا!!) وتَنقَّلت بين دمشقَ وبغدادَ والقاهرة واستامبول ،

---

(١) «سعد زغلول ـ ذكريات تاريخية» للأستاذ الجزيري (ص٩٢) ـ كتاب اليوم .

(٢) جريدة الأسبوع ـ العدد (٤٧٩) (ص١) .

ويَمتطيها الحاكمُ الذي يستبدُّ بالمسلمين»(١) .

وكتب الدكتور محمد ضياء الريِّس كتابَه الرائع «الإسلام والخلافة في العصر الحديث ـ نَقَد كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، وفنَّد فيه ـ رحمه اللَّه ـ الأباطيلَ الموهومة.

◻ ثم يأتي العِلمانيُّ «التقدُّميُّ المستنير» د. جابر عصفور، فيُعيد نشر كتاب علي عبدالرازق في سلسلة «المواجهة والتنوير»، ويَكتبُ له مقدِّمةً ويُزكِّي هذه المقدمةَ العِلمانيُّ الكارهُ لحكم الشريعة، والكاتبُ الكريهُ أحمد عبدالمعطي حجازي، فيُسوِّدُ سُطوراً في مدحِ هذه المقدِّمة في مقالٍ نَشَره بـ «الأهرام» في ٢٦/ ٥/ ١٣٩٣هـ، يكذِبُ فيه الكَذِبَ الصَّراح، ويَنقلُ باطلاً عن باطلٍ دون التفاتٍ حتىٰ إلىٰ حقائقِ التاريخ ووقتِ كتابة علي عبدالرازق لكتابه.. ثم يدَّعي بعد ذلك البحثَ العلميَّ!!..

دَعْــوَى إذا حَقَّقتَـها أَلْفَيْتَهـا ... أَلقابَ زُورٍ لُفِّقَتْ بِمُحــالِ

◻ كَتب الدكتور جابر عصفور في مقدمة طبعةِ الكتاب: «بعد أن قامَ كمال أتاتورك بحركته الإصلاحيَّة(١) في تركيا، وما ترتَّب عليها من إلغاءِ الخلافة العثمانية وإعلانِ الجمهورية، بدأت محاولاتٌ متعدِّدةٌ لإقامةِ الخلافة في أكثرَ من قُطْر، بعضُ هذه المحاولاتِ حَدَثت في القاهرة، وكانت مرتبطةً بدافعِ تنصيبِ المَلِك «فؤاد» خليفةً للمسلمين، وبينما كانت محاولاتُ أنصارِ المَلِك فؤاد قائِمةً متَّصِلةً، وفي الوقتِ الذي كان فيه الحوارُ دائراً حولَ معنىٰ «الخلافة» في عصرنا، أصدر علي عبدالرازق القاضي الأزهري ـ الذي

---

(١) «أيام لها تاريخ» لأحمد بهاء الدين (ص١٥٣).

يَعملُ رئيسًا للمحكمة الشرعية في المنصورة ـ كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، الذي فرغ منه في مَطْلَع إبريل عام ١٩٢٥م، وطُبع في العام نفسه أكثرَ من مرَّة، وكان الكتابُ قنبلةً بكلِّ معنَى الكلمة، وعلى مستوياتٍ متعدِّدة، نَسَفَ الكتابُ فكرةَ «الخلافة الإسلامية» التي كان يَحلُمُ بها الملكُ فؤاد وأعوانُه، ونَسَفَ الكتابُ كثيراً من الرَّواسبِ العالقةِ في أذهانِ القُرَّاء عن الدولة الدينية، ونسَفَ الكتابُ السَّطوةَ التي يَزْعُمُها بعضُ رجالِ الدين عندما يتحدَّثون عن الحكم، وكان الكتابُ بمثابةِ تأكيدٍ من أزهريٍّ مستنيرٍ لدعائمِ الدولةِ المدنيَّة، وفي الوقتِ نفسِه كان ثورةً هائلةً على المفاهيمِ السائدةِ عند أقرانه من المشايخ، وكان من الطبيعيِّ أن يُحارَبَ الكتابُ، وأن يعاقَبَ صاحبُه، واتَّفَقَ القصرُ مع لجنة كبار العلماء على العقاب، صَدَر قرارٌ بسَحبِ «العالِمِية» من الرجل، وتَبِع هذا القرارَ فَصْلُه من عَمَله بالقضاء، وقامت الدنيا ولم تَقعُد، وتولَّت الدفاعَ عن الكتاب كلُّ قُوىٰ الاستنارةِ في مصر، وكلُّ الفصائلِ السياسية المؤمنةِ بالديمقراطية، وكلُّ دعاةِ الدولةِ المدنية والمجتمعِ المدني».

▫ إلى أن يقول: «وبَقِيَ الكتابُ نفسُه وثيقةً رائعةً من وثائقِ التنوير».

عامَلَكَ اللَّهُ بما تستحقُّ يا جابر عصفور!!.

*** علي بن عبدالرازق تلميذُ «مرجليوث وأرنولد» الوَفيُّ:**

▫ نال عليُّ بنُ عبدالرازق عالِمِية الأزهر سنة ١٩١١، وقضى بـ «الأزهر» عامًا واحدًا يُدرِّسُ مادةَ «البلاغة»، وقد ألَّف فيها كتابًا عن عِلمِ البيان سمَّاه «الأمالي»، ثم سافر إلى «إنجلترا» سنة ١٩١٢ ليدرس السياسةَ أو الاقتصاد، فعاد عند نُشوبِ الحربِ العالَمية سنة ١٩١٤م ليُعيَّن بعدَ وقتٍ

قصير قاضيًا شرعيًّا، وفي هذا الوقت رَحَّبَتْ صحافةُ أوربا بالهجوم على الخلافة، وكان «مرجليوث» ـ المستشرقُ الإنجليزي ـ بالذات من أكبر أعداءِ الخلافةِ الإسلامية، وقد أخذ يُقرِّرُ: «أن مبدأَ الحكومة الأتوقراطية ـ أي: الاستبدادية ـ قد ظَلَّ مُسَلَّمًا به لا يُجادِلُ أحدٌ فيه في الأقطار الإسلامية حتى القرن التاسعَ عَشَر! وذلك حين وَصَلت المَوجةُ التي صدرت عن الثورة الفرنسية عن طريق تركيا إلى المنطقة الحارة!»[1] .

❑ «كذلك كان المستشرق الإنجليزي «أرنولد» الذي قَرَّر أن الحكومةَ الإسلاميةَ أتوقراطية ادَّعي لها أنها مبنيَّةٌ على الوحيِ الإلهيِّ، وقد جُعِل واجبًا دينيًّا على الفردِ المسلم أن يُطيعَ الحكومةَ الاستبداديةَ التي يقومُ على رأسِها الخليفة»[2] .

❑ وقد كان الأستاذان «مرجليوث، وأرنولد» من كبار أستاذة «أكسفورد» التي التَحَقَ بها الأستاذ علي عبدالرازق على مدى عامَيْنِ متتابِعَيْن! وموضوعُ حديثهما في الجامعة هو «السياسة الإسلامية»، فاستجاب الأستاذُ لِمَا سمع! وهذا موضعُ العَجَب؛ لأنه أزهريٌّ، يُفترضُ فيه أن يكون قد ذَرَسَ أصولَ الحكم في الإسلام، وقرأ ما كَتَبه أساطينُ العلماء! ولكنَّ كتابَه الذي أَلَّفه يَنطِقُ بأنه لم يُلِمَّ بما قاله هؤلاء الأعلامُ، فكان فريسةً سهلةَ الوقوع!!.

---

(١) كتاب «النظريات السياسية الإسلامية» للدكتور الريِّس (ص٢٩٢).

(٢) المصدر السابق (ص٢٧٤).

* هَذَيان علي عبدالرازق ودَجَلُه:

◻ يقول علي عبدالرازق: «ولايةُ الرسولِ علىٰ قَومِه ولايةٌ رُوحيَّة، منشؤُها إيمانُ القلبِ وخضوعُه خضوعًا تامًّا يَتبعُه الجِسم، وولايةُ الحاكمِ ولايةٌ ماديَّة تعتمدُ علىٰ إخضاعِ الجسمِ من غيرِ أن يكون له بالقلوب اتصال، تلك ولايَةُ هدايةٍ إلىٰ اللَّهِ وإرشادٍ إليه، وهذه ولايةُ تدبيرٍ لصالحِ الحياة، وعَمَارِ الأرض، تلك للدِّين، وهذه للدنيا، تلك للَّه، وهذه للناس، تلك زعامةٌ دينيةٌ، وهذه زعامةٌ سياسية، ويا بُعدَ ما بين السياسة والدِّين»[1].

◻ ويقول أيضًا: «والدنيا مِن أوَّلها إلىٰ آخرِها، وجميعُ ما فيها من أغراضٍ وغاياتٍ أهونُ عند اللَّه من أن يُقيمَ علىٰ تدبيرها غيرَ ما رُكِّب فينًا من عقول، وحَبَانا مِن عواطِفَ وشهوات، وعَلَّمنا من أسماءَ ومسمَّيات، هي أهونُ عند اللَّه من أن يَبعثَ لها رسولاً!! وأهونُ عند رُسُلِ اللَّه ـ تعالىٰ ـ من أن يَشتغِلوا بها، ويَنصَبوا لتدبيرها»[2].

◻ وقال: «إنَّ كلَّ ما جاء به الإسلامُ من عقائدَ ومعاملاتٍ وآدابٍ وعقوبات، فإنما هو شرعٌ دينيٌّ خالصٌ للَّه تعالىٰ، ولمصلحةِ البشرِ الدينيةِ لا غير، وسِيَّانِ بعد ذلك أن تتَّضحَ لنا تلك المصالحُ الدينية أم تَخفىٰ علينا؟ وسِيَّانِ أن يكونَ منها للبشرِ مصلحةٌ مدنيةٌ أم لا؟ فذلك ما لا ينظرُ الشرعُ السماويُّ إليه، ولا ينظر إليه الرسول»[3] !!.

---

(١) «الإسلام وأصول الحكم» (ص٦٩) ـ الطبعة الأولىٰ.

(٢) «الإسلام وأصول الحكم» (ص٧٨) ـ الطبعة الأولىٰ.

(٣) المصدر السابق (ص٨٥).

* هل يرىٰ علي عبدالرازق والعلمانيُّون معه أن تدبيرَ أمورِ الدنيا وسياسةَ الناس أهونُ عند اللَّه مِن مِشْيَةٍ يقول اللَّه في شأنها: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]؟ وأهونُ عند اللَّه من صاعِ شعيرٍ أو رَطْلِ مِلحٍ يقول اللَّه في شأنهما: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء ١٨١، ١٨٢]؟.

* وماذا يَعملُ الشيخ علي في مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾؟.

[النساء: ١٠٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾؟.

[المائدة: ٤٩].

*** دعواه أن جهادَه ﷺ كان في سبيلِ المُلْك، لا في سبيل الدين:**

◘ قال علي عبدالرازق: «وظاهرٌ أولَ وهلةٍ أنَّ الجهادَ لا يكونُ لمجرَّدِ الدعوة إلىٰ الدين، ولا لِحَمْلِ الناس علىٰ الإيمانِ باللَّه ورسوله»[1].

◘ ثم قال: «وإذا كان النبيُّ ﷺ قد لَجأَ إلىٰ القوةِ والرَّهْبة، فذلك لا يكونُ في سبيل الدعوة إلىٰ الدين، وإبلاغِ رسالته إلىٰ العالمين، وما يكونُ لنا أن نفهمَ إلاَّ أنه كان في سبيلِ المُلك»[2].

◘ ويقول: «قلنا: إنَّ الجهادَ كان آيةً من آياتِ الدولة الإسلامية، ومثالاً من أمثلةِ الشؤون المَلَكيَّة.. وإليك مثلاً آخرَ: كان في زَمَنِ النبيِّ ﷺ

---

(١) المصدر السابق (ص٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص٥٣).

عَمَلٌ كبيرٌ متعلِّقٌ بالشؤون الماليَّة من حيثُ الإيراداتُ والمصروفات، ومِن حيثُ جَمعُ المالِ من جهاتِه العديدة ـ الزكاة والجزية والغنائم ـ إلخ . . ومن حيث توزيعُ ذلك كلِّه بين مصارفه، وكان له ﷺ سُعَاةٌ وجُبَاةٌ يتولَّوْن ذلك له، ولا شكَّ أن تدبيرَ المالِ عَمَلٌ مَلَكيٌّ، بل هو أهمُّ مقوِّماتِ الحكومات»[1].

□ ثم قال: «إذا ترجَّح عند بعضِ الناظرين اعتبارُ تلك الأمثلة، واطمأنَّ إلىٰ الحُكمِ بأنه ﷺ كان رسولاً ومَلِكًا، فسوف يَعترِضُه حينئذٍ بحثٌ آخَرُ جديرٌ بالتفكير، فهل كان تأسيسُه للمَملكة الإسلامية وتصرُّفُها في ذلك الجانبِ شيئًا خارجًا عن حدودِ رسالته ﷺ؟ أم كان جُزءًا مِمَّا بعَثَه اللَّهُ له وأوحىٰ به إليه؟ .

فأمَّا أنَّ المملكةَ النبويَّةَ عَمَلٌ منفصلٌ عن دعوة الإسلام وخارجٌ عن حدودِ الرسالة، فذلك رأيٌ لا نَعرِفُ في مذاهبِ المسلمين ما يُشاكِلُه، ولا نَذكُرُ في كلامِهم ما يدلُّ عليه، وهو علىٰ ذَلك رأيٌ صالح لأنْ يُذهَبَ إليه، ولا نَرىٰ القولَ به يكونُ كفرًا ولا إلحادًا، وربما كان محمولاً علىٰ هذا المذهبِ ما يراه بعضُ الفِرَقِ الإسلامية من إنكارِ الخلافة في الإسلام مرةً واحدة، ولا يَهُولَنَّك أن تسمعَ أن للنبي ﷺ عملاً كهذا خارجًا عن وظيفةِ الرسالة، وأن مُلْكَه الذي شيَّده هو من قَبيلِ ذلك العملِ الدنيويِّ الذي لا عَلاقةَ له بالرسالة، فذلك قولٌ إنْ أنكرَتْه الأُذنُ لأنَّ التشدُّقَ به غيرُ مألوفٍ في لغةِ المسلمين، فقواعدُ الإسلامِ ومعنىٰ الرسالة ورُوحُ التشريع وتاريخُ النبي ﷺ، كلُّ ذلك لا يُصادِمُ رأيًا كهذا ولا يَستفظِعُه، بل ربُّما وَجَد ما

(١) المصدر السابق (ص٥٤).

يَصلُحُ له دِعامةً وسَنَدًا، ولكنه على كلِّ حالٍ رأيٌ نراه بعيدًا»[1] .

◻ وقال: «إنَّ الجهادَ كان مثالاً مِن أمثلةِ الشؤون المَلَكيَّة، فهو إذن في سبيلِ المُلْكِ لا الدين»[2] .

* فأين علي عبدالرازق من قول اللَّه تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ . [النساء: ٨٤] .

* وقول اللَّه تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]؟ .

* وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾؟ . [البقرة: ١٩٣] .

* وقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]؟ .

* وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]؟ .

*** دَعوى أن نِظامَ الحُكمِ في عهدِ النبي ﷺ كان مَوْضِعَ غموضٍ أو اضطرابٍ أو نَقصٍ:**

◻ فقد قال في (ص٤٠): «لاحَظْنا أنَّ حالَ القضاءِ زَمَن النبي ﷺ

---

(١) المصدر السابق (ص٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥٤).

غامضةٌ ومبهمةٌ في كلِّ جانب».

□ وقال في (ص٤٦): «كلَّما أمْعَنَّا تفكيراً في حالِ القضاء في زَمَنِ النبي ﷺ وفي حال غيرِ القضاء من أعمالِ الحُكمِ وأنواعِ الولاية، وَجَدْنا إبهامًا في البَحثِ يتزايدُ، وخَفَاءً في الأمرِ يَشتدُّ، ثم لا تَزالُ حَيرةُ الفِكرِ تَنقُلُنا مِن لَبْسٍ إلىٰ لَبْس، وتَرُدُّنا من بَحثٍ إلىٰ بحثٍ، إلىٰ أن ينتهيَ النظرُ بنا إلىٰ غايةِ تلك المجال المشتبهِ الحائر».

□ وقال في (ص٥٧): «إذا كان رسولُ اللَّه ﷺ قد أسَّس دولةً سياسية، أو شَرَعَ في تأسيسِها، فلماذا خَلَتْ دولتُه إذنْ من كثيرٍ من أركانِ الدولةِ ودعائمِ الحُكم؟ ولماذا لم يُعرف نظامُه في تعيين القُضاةِ والوُلاة؟ ولماذا لم يَتحدَّث إلىٰ رَعيَّته في نظامِ المُلْكِ وفي قواعدِ الشُّورىٰ؟ ولماذا تَرَك العلماءَ في حَيرةٍ واضطرابٍ من أمرِ النِّظام الحُكوميِّ في زمنه؟ ولماذا ولماذا؟

نريدُ أن نعرفَ مَنْشَأَ ذلك يبدُو للناظر كأنه إبهامٌ أو اضطرابٌ أو نقصٌ أو ما شئت فَسَمِّه في بِناءِ الحكومةِ أيامَ النبيِّ ﷺ . . وكيف كان؟! وما سِرُّهُ؟!».

* فأين علي عبدالرازق من قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]؟.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؟.
[النحل: ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟.

*** دعواه أنَّ مهمةَ النبي ﷺ كانت بلاغًا للشريعةِ مجرَّدًا عن الحُكم والتنفيذ:**

□ قال علي عبدالرازق في (ص٧١): «ظواهرُ القرآنِ المجيدِ تُؤيِّدُ القولَ بأن النبي ﷺ لم يكنْ له شأنٌ في المُلكِ السياسي، وآياتُه متضافرةٌ على أنَّ عَمَلَه السماويَّ لم يتجاوزْ حدودَ البلاغِ المجرَّد من كلِّ معاني السلطان».

□ ثم عاد فأكَّد ذلك، فقال (ص٧٣): «القرآنُ صريحٌ في أنَّ محمداً ﷺ لم يكن من عَمَلِه شيءٌ غيرُ إبلاغِ رسالةِ اللَّه تعالىٰ إلىٰ الناس، وأنه لم يُكلَّف شيئًا غيرَ ذلك الإبلاغ، وليس عليه أن يأخذَ الناسَ بما جاءهم به، ولا أن يَحمِلَهم عليه».

ولو كان الأمرُ كما زعم هو، لكان ذلك رفضًا لجميعِ آياتِ الأحكامِ الكثيرةِ في القرآن الكريم، ودُونَ ذلك خَرْطُ القَتَاد!!.

*** هل تراجع علي عبدالرازق عن قوله؟:**

□ قال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي: «كتبتُ في مجلة «الثقافة المصرية» (١٩٧٨م) مقالاً تحت عنوان «يرجعان إلىٰ الحق»[1] وقد جاء فيه فيما يختصُّ بالأستاذ علي عبدالرازق ما نقلته عن مجلة «رسالة الإسلام» التي كانت تُصدِرُها جماعةُ التقريب، حيث وَجدتُ في العدد

---

(١) أعاد الأستاذ الكتور محمد رجب البيومي نشر المقال في الجزء الثاني من كتابه «قضايا الإسلام» (ص١٢٣) وما بعدها، وانظر «كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان» (ص٦٢ ـ ٦٤).

الثالث من السَّنة الثالثة الصادرِ في رمضان ١٣٨٠هـ الموافق يوليو ١٩٥١م مقالاً لحضرة صاحب السعادة علي عبدالرازق باشا ـ كما وصفته المجلة ـ يقعُ في صفحتيْ ٢٤٦، ٢٤٧ تحت عنوان: «الاجتهادُ في نظر الإسلام»، وفيه يقول: «قرأتُ بحثًا قيِّمًا لصاحب العزَّة الكاتبِ الكبير الأستاذ الدكتور أحمد أمين، جاء في صدره أنه كان يتجادلُ معي، فقلتُ: إنَّ دواءَ ذلك أن نَرجعَ إلىٰ ما نشرتُه قديمًا مِن أنَّ رسالةَ الإسلام رُوحيةٌ فقط، ولنا الحقُّ فيما عدا ذلك من مسائلَ ومشاكلَ، وقد وَقَفْتُ أمامَ كلمةِ «رسالة روحانيَّة» ولم تَشَأْ أن تَمُرَّ مِن غيرِ أن تُثيرَ ذكرىٰ قِصَّةٍ قديمةٍ لهذه الكلمة معي، فقد زَعَم الطاعنون أنني في هذا البحثِ قد جَعَلتُ الشريعةَ الإسلامية شريعةً روحانيَّةً مَحضةً، ورتَّبوا علىٰ ذلك ما طوَّعت لهم أنفُسُهم أن يَفعلوا.. أمَّا أنا، فقد رَدَدتُ عليهم أنني لم أَقُلْ ذلك مطلقًا ـ لا في هذا الكتاب ولا في غيره ـ، ولا قلتُ شيئًا يُشْبِهُ ذلك الرأيَ أو يُدانيه، أسوقُ هذا الحديثَ ليذكُرَ الأستاذُ الكبير أن فِكرة «رُوحانيَّة الإسلام» لم تكنْ لي رأيًا يومَ نَشَرتُ البحثَ المشارَ إليه، وأنِّي رفضتُ يومئذٍ رفضًا باتًّا أن يكون ذلك رأيي».

◘ قرأتُ هذا الكلامَ، فزادت حَيرتي؛ لأني أعرفُ أن الرجلَ قد قال هذ الكلامَ بمضمونه إنْ لمْ يكنْ بلفظِه، فكيف يقول: «إنه لم يقُلْ ذلك ولا شيئًا يدانيه؟!» ولو كانَ يُنكرُ صُدورَ كلمة «رُوحانيَّة»، فإن مادَّتها صريحةٌ في قوله في الطبعة الأولىٰ (ص٦٩) «ولايةُ الرسول علىٰ قومه ولايةٌ رُوحيَّة، منشؤُها إيمانُ القلب..».

◘ ويقول (ص٧٨) من الطبعة الأولىٰ: «والدنيا مِن أوَّلها إلىٰ آخرِها.. أهـونُ عند اللَّه مِن أن يَبـعثَ لها رسـولاً، وأهونُ عند رُسُـلِ اللَّه

ـ تعالىٰ ـ مِن أن يَشتغلوا بها، ويَنْصَبوا لتدبيرها».

□ ويقول كثيراً مِن أمثالِ ذلك ممَّا يُثبِتُ أنَّ الشريعةَ لا صِلَةَ لها بالحياة، وأنها مسألةٌ رُوحيَّة بين العبدِ وربِّه، فكيف يُنكِرُ الأستاذُ ما قالَه للأستاذ أحمد أمين، مدَّعِيًا أن كلمة «روحانيَّة الإسلام» تسرَّبت علىٰ لسانِه خطأً، ولم يُرِد مَعْنَاها؟! ولعلَّ الشيطانَ مَن ألقَىٰ في حديثه بتلك الكلمة!!.

الحقُّ الذي لا مِرْيَةَ فيه أن الرَّجُلَ يتراجعُ عمَّا قال، وكان عليه أن يكونَ صريحًا في التراجع، دون أن يَلُفَّ تراجُعَه في أقنعةٍ تكشِفُ عمَّا تَسْتُرُ، وحَسْبُنا منه أن نعرفَ أن رأيَه الأخيرَ بمجلة «رسالة الإسلام»، قد عَصَفَ بما سَبَق أن زعم!! هذا ما عَنَّ لي ولا أزيدُ». انتهىٰ.

□ ونختمُ بما قال علي عبدالرازق في وصفِه للخلافة بأنها: «خُطَطٌ دنيويَّةٌ صِرفة، لا شأنَ للدين بها.. وليس لنا حاجةٌ إليها في أمورِ ديننا ولا دنيانا، ولو شئتُ لقلنا أكبرَ من ذلك، فإنَّما كانت الخلافةُ ـ ولَم تَزَلْ ـ نكبةً علىٰ الإسلام والمسلمين، ويُنْبُوعَ شرٍّ وفساد»[1].

*** العلمانيُّون الفاسدون المُفْسِدون وزُبالةُ أذهانهم، هم ـ واللَّهِ ـ من شانِئِي محمد ﷺ:**

□ يقولُ العَصرانِيُّون العلمانيُّون الآن أكثَرَ مما قال علي عبدالرازق، ويَدَّعون ـ وهم أهلُ الفساد المفسِدون ـ أنهم أصحابُ الفكرِ الديني المستنير، وأهلُ العقولِ الراجحةِ المواكِبةِ للتطوُّر والرُّقيِّ.. وتطفحُ أذهانُهم بزُبالتِها،

---

(١) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» (٢/ ٨٣) للدكتور محمد محمد حسين.

وتَقِيءُ أفكارُهم السَّوداءُ كلَّ خبيثٍ. . فتعال معي:

*** محاولاتُ تنحيةِ الشريعة:**

◻ ما كان أحدٌ يظنُّ أنَّ المسلمين قد يتنازلون عن تحكيمِ شريعتهم بعد أن سادت أحكامُها ثلاثةَ عشَرَ قرنًا، وما كنَّا نظنُّ أن يَنبرِيَ نَفَرٌ من أبناءِ جِلدتنا - ممَّن يتكلَّمون لُغتَنا - لهدمِ شرعِ اللَّهِ واستبدالِه بقوانينَ أرضيةٍ وافدة، باسم «التجديد والتطوير»، «على أنَّ هنالك اتفاقًا عامًّا بين أصحابِ «الفِكرِ الديني المستنير»!! على ضرورةِ تجديدِ الإسلام ذاتِه، بمعنى تعديلِ أحكامِه وتشريعاتِه، أو نَسْفِها واقتلاعِها من الجذور»[1] .

◻ فالدكتور محمد أحمد خلف اللَّه: «يرى ضرورةَ انعتاقِ الأحكام من إسارِ الشريعة إلى بُحبُوحةِ القوانين الوضعيَّة، التي تُحقِّقُ لها الحُرِّيَّةَ والتقدُّمَ المذهِلَين، وأنَّ خروجَ المعاملات من نِطاقِ الشرعِ إلى نِطاقِ القانون، قد حَقَّق لها ألوانًا من الحُريَّةِ والانطلاق، لم يكن لهم بها عَهدٌ مِن قبلُ»[2] .

◻ «ويَرى أن العدلَ الإسلاميَّ أُمنيةٌ من الأمانيِّ، وليس واقعًا يتحقَّقُ، وذلك أن هذه المعاييرَ - معاييرَ العَدلِ الإسلامي - مِنَ القِدَمِ بحيثُ تَعجِزُ عن أن تُحِقَّ حقًّا أو تُبطِلَ باطلاً! وأن تُقيمَ عَدْلاً في العصر الذي نَعيشُ فيه. . ».

◻ «ولذلك فهو يَعْجَبُ من هؤلاء الجامدين الذين يتمسَّكون بتلك المعاييرِ البالية، لمجردِ أنها وَرَدت في القرآن والسُّنَّة»[3] .

---

(١) ينظر: «غزو من الداخل» جمال سلطان (ص٣٤ - ٣٥).

(٢) من مقال بعنوان: المعاملات بين الشرع والقانون - الطليعة القاهريَّة فبراير ١٩٧٦م.

(٣) الطليعة القاهرية - نوفمبر ١٩٧٥م، بعنوان العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق؟!.

إنَّ دُعاةَ «التغريب» قد انتَهَوا من المجاملات، وصارت طُروحاتُهم صريحةً واضحةً؛ لأنَّ قرنًا من التخريبِ والتشكيك قد آتىٰ ثِمارَه هذه الأيام.

◻ فالتبجُّحُ في مخالفةِ الأحاديث الصحيحة أصبحَ لا يُحرِّكُ ساكنًا عند هؤلاء المتغرِّبين، وحُجَّةُ تحقيقِ المصلحةِ هي الأساسُ لديهم ـ حتىٰ لو خالفت الأحاديثَ الصحيحة ـ.

◻ يقول محمد عمارة: «نحن مطالَبون ـ حتىٰ نكونَ متَّبِعينَ للرسولِ بالتزامِ سُنَنِه التشريعية ـ أي: تفسير القرآن ـ لأنها دِين، أما سُنَّتُه غيرُ التشريعية ـ ومنها تصرُّفاته في السياسة والحَرب والسِّلْم والاجتماع والقضاء ومِثلِها ما شابهها من أمور الدنيا ـ!!، فإن اقتداءَنا به يتحقَّقُ بالتزامِنا المِعيارَ الذي حَكَمَ تصرُّفَه ﷺ، فهو كقائدٍ للدولة كان يَحكمُ منها على النحو الذي يُحقِّقُ «المصلحة»، للأُمَّة، فإذا حَكَمنا «كساسةٍ» بما يُحقِّقُ مصلحةَ الأمة، كنَّا مُقتَدِينَ بالرسول، حتىٰ ـ ولو خالَفَتْ نُظُمُنا وقوانينُنا ما رُوِي عنه في السياسة من أحاديث ـ، لأن المصلحةَ ـ بطبيعتها ـ متغيِّرةٌ ومتطوِّرة»[1].

◻ بل يُعبِّرُ «عمارة» بصراحةٍ أشدَّ عن عَدمِ مُلائمَةِ الشريعةِ لقضايا العصر، عندما يقول: «فإنَّ أحدًا لن يستطيعَ الزعمَ بأنَّ الشريعةَ، يمكنُ أن تَثْبُتَ عند ما يُقرِّرُه نبيٌّ لعصره»[2].

◻ ويدعو عمارة كذلك إلىٰ مدنيَّةِ السُّلْطة، وجَعْلِ حقِّ التشريع في يدِ

(١) «الإسلام وقضايا العصر» محمد عمارة (ص٢٥).

(٢) «المعتزلة وأصول الحكم» (ص٣٣٠) ـ محمد عمارة سلسلة الهلال العدد (٤٠٠) ١٩٨٤م.

جمهورِ الأُمَّة عندما يقول: «فأصحابُ السُّلطةِ الدينيةِ قد احتَقَروا جمهورَ الأمة، عندما سَلَبوها حَقَّها في التشريع، وسُلطاتِها في الحكم».

◘ على حينِ قرَّر القائلون بمدنيَّةِ السُّلطة: «أنَّ الثِّقةَ ـ كلَّ الثقةِ ـ بمجموعِ الأمة، بل جَعَلوها مَعصومةً من الخطأ والضلال»[1].

فأبواقُ التغريب من اليمين إلىٰ اليسار، قد تنادَوا من كلِّ وادٍ لهَدمِ مُقوِّماتِ الإسلام من الداخل، متعاونِين مع أساتذتِهم من الشرق والغرب.

◘ فالدكتور «أحمد كمال أبو المجد» يرفضُ رفضًا باتًّا تلك «النظرة الشُّموليَّة للدين، والتي تستغرقُ أحوالَ الفردِ والجماعة»، ويرىٰ «أن الدينَ ـ والإسلامَ بصفةٍ خاصةٍ ـ يمتدُّ اختصاصُه إلىٰ جميعِ جوانبِ الحياة الفرديةِ والجماعيةِ للمؤمنين به، ولكنه امتدادُ عنايةٍ وتوجيهٍ، وليس ـ بالضرورةِ ـ اختصاصَ تدخُّلٍ مباشرٍ بالتنظيم، وتقديمِ الحلولِ النهائيةِ الثابتة».

◘ «ولذلك فهو يتعجَّبُ ويتأفَّفُ من هؤلاء المُسرفين الذين يَرَون ضرورةَ إسقاطِ القوانين الوضعية، ويدعو مِن ثَمَّ إلىٰ زَلزلةِ قواعدِ الشريعة، حيث لا يَقْصُرُ الاجتهادَ علىٰ الفروعِ فحسب، بل والأصولِ أيضًا»[2].

◘ ويَعتبر الدكتور «زكي نجيب محمود» أن الشريعةَ «شريعةَ الأسلاف» لم تَعُدْ تصلحُ لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نَبنيَ حضارتَنا علىٰ النموذجِ الغربيِّ الماديِّ الحديث، دونَما التفاتٍ إلىٰ أيِّ أُسسٍ أخلاقيةٍ أو قِيمةٍ ثقافيةٍ

---

(١) «الإسلام والسلطة الدينية» (ص٧).

(٢) «حوار لا مواجهة» أحمد كمال أبو المجد (ص١٠ ـ ١٣)، وانظر «غزو من الداخل» جمال سلطان (ص٤١ ـ ٤٢).

أو عقَدية.

□ ويقول: «وتسألُني: ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنونِنا ومعارفِنا التقليدية؟! فأُجيبُك بأنها مادةٌ للتسلية في ساعاتِ الفراغ.. لم أَعُدْ أقولُ: إنها خليقةٌ بأن يُقذَفَ بها في النار»[1].

وهكذا فقد تَوصَّل هؤلاءِ الكُتَّابُ إلىٰ أن يَهدِموا تراثَ أُمَّتِهم الدينيِّ والثقافي، بما في ذلك إلغاءُ شريعةِ الإسلام، وفي ذلك مَخاطِرُ علىٰ عقيدتِهم ودينِهم، ورِدَّةٌ شديدةٌ في اتباع أحكامِ الجاهلية.

* سقوطُ الخلافةِ في منظورِ العصرانيين:

□ لقد تكالَبَ أعداءُ هذا الدين علىٰ إسقاطِ الخلافة؛ وكان من أهمِّ شروطِ اتفاقية «سايكس بيكو» ١٩١٥م، عندما خَرَجت تركيا مهزومةً من الحرب: «أنِ اشترطَ الحُلفاءُ إلغاءَ نظامِ الخلافة وطَرْدَ السلطانِ العثمانيِّ خارجَ الحدودِ ومصادرةَ أمواله، ثم إعلانَ عِلمانيَّةِ الدولة»[2].

وركَّز العصرانيُّون حَمْلَتَهم للتشكيكِ بنظامِ الخلافة، متَّبِعين في ذلك كبيرَهم الشيخ «علي عبدالرازق»، وجاء العصرانيُّون العلمانيُّون الجُدد ليُكمِلوا المِشوارَ ضمنَ حَلْقاتٍ من التآمُرِ ضدَّ الإسلام، وضِدَّ نظامِ الخلافة، وتحكيمِ الشريعة[3].

□ ويقول «محمد أحمد خلف اللَّه»: «نِظامُ الحكم في الإسلام نظامٌ

---

(١) «غزو من الداخل» جمال سلطان (ص٤٠) وانظر كتاب «التراث والتجديد» حسن حنفي (ص٦٩) طبعة ١٩٨٠ القاهرة.

(٢) انظر «تاريخ الدولة العثمانية» علي حسون. المكتب الإسلامي بيروت ودمشق.

(٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» د. محمد محمد حسين (٢/ ٨٣).

مصدرُه الاجتهاد وليس النصّ. . وعلى الجماعاتِ الدينية أن تتركَ هذه القضيةَ لتكونَ مَحلّ اجتهادٍ جديد، والفِكرُ السياسيُّ في نظامِ الحُكمِ هو فِكرٌ بشريٌّ خالص، وتستطيعُ المؤسَّساتُ العِلميةُ ـ من أمثالِ كلياتِ العلومِ السياسيةـ أن تجتهدَ فيه»[1] .

ويَرىٰ أنَّ النظامَ الملائمَ والحُكمَ الحضاريَّ هو «الديمقراطية»، والديمقراطيةُ التي نَقصِدُ هي الديمقراطيةُ الغربية، التي وَفَدت إلينا كعنصرٍ حضاريٍّ من عناصرِ الثقافةِ الإسلامية[2] .

◻ ويزعُم الدكتور «محمد عمارة»: «أنَّ اشتراطَ قُرَشيَّةِ الخليفةِ كان تعبيراً عن موقفٍ قوميٍّ عربيٍّ ضدَّ عُجْمَةِ الدولة، مُمَثَّلةً في رأسِ سُلطتِها وقائدِها الأعلىٰ.

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ هذا الشرطَ لم يَظهرْ في الفِكرِ السياسيِّ الإسلاميِّ إلاَّ عندما بَدَأ تَغَلُّبُ الأُسَرِ الأعجميَّةِ والاتجاهاتِ الشُّعوبيةِ علىٰ الخلافةِ العربيةِ العباسية، وظَهَرت السيطرةُ المملوكيةُ التركيةُ علىٰ الدولة منذ عصرِ «المتوكِّل» العباسي»[3] .

وهذه مُغالطاتٌ عجيبة، إذ يناقِضُ صاحبُها حقائقَ التاريخ ونُصوصَ الحديثِ النبويِّ الشريف.

---

(١) «الاجتهاد والحكم في الإسلام» محمد أحمد خلف الله ـ مجلة العربي العدد ٣٠٧ ـ رمضان ـ ١٤٠٤هـ.

(٢) مجلة اليقظة العربية القاهرية: العدد الأول السنة الأولىٰ ـ نقلاً عن كتاب: «غزو من الداخل» (ص٤٧) لجمال سلطان.

(٣) «الإسلام والعروبة والعلمانية»: محمد عمارة (ص١٨) ـ دار الوحدة بيروت ١٤٠٥هـ.

● قال ﷺ: «الأئمةُ مِن قريش»[١] .

● وجاء في الحديث الشريف: «فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الراشِدِين المهديِّين مِن بَعدِي»[٢] .

وبعدَ كلِّ هذه الأحاديثِ يَفتري الدكتور «عمارة» فيقول: «إن اشتراطَ قُرَشِيَّةِ الخليفةِ كان تعبيراً عن موقفٍ قوميٍّ عربيٍّ ضدَّ الشُّعوبية»!! .

* **حقيقةُ دعوتهم في الحُكم: عِلمانية جديدة:**

يُصرِّحُ بعضُ العصرانيِّين بحقيقةِ دعوتهم في الحُكم وفَصلِ الشريعةِ عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويَدْعُون إلىٰ عِلمانيةٍ مصبوغةٍ بمفهومهم عن الإسلام.

فالدكتور «حسن حنفي» يرىٰ أنَّ العلمانيةَ هي أساسُ الوحي(!!).

❑ ويقول: «نشأت العلمانيةُ استرداداً للإنسان، ولحُرِّيَّتِه في السلوكِ والتعبير، وحُرِّيَّتِه في الفهمِ والإدراك، ورَفضٍ لكلِّ أشكالِ الوِصايةِ عليه، ولأيِّ سُلطةٍ فَوقيَّةٍ، إلاَّ من سُلطةِ العقل والضمير(!!).

العلمانية إذن هي أساسُ الوحي، فالوحيُ عِلمانيٌّ في جوهره، والدينيةُ طارئةٌ عليه مِن صُنع التاريخ تظهرُ في لحظاتِ تخلُّفِ المجتمعاتِ وتوقُّفِها عن التطوُّر»[٣] .

---

(١) صحيح: رواه الإمام مسلم «كتاب الإمارة».

(٢) حسن صحيح: رواه أبو داود والترمذي وقال: «حسن صحيح».

(٣) «التراث والتجديد» (ص٦٩) د. حسن حنفي.

والإسلامُ عند د. «محمد عمارة» هو العِلمانيةُ ذاتُها، لا شأنَ للدينِ فيها بالحكمِ والقضاءِ والإمامةِ والسياسة.

◘ يقول: «إنَّ للدين مَفاهيمَ عُليا ومُثُلاً عليا، ثم للناس أن يُحدِّدوا ويُشرِّعوا ويطوِّروا حياتَهم وِفقَ المصلحةِ بعد ذلك»[1].

ومِن ثَمَّ يرىٰ كذلك أنَّ الإسلامَ قد قرَّرَ الفصلَ بين «أُمَّةِ الدِّين» و«أُمَّةِ الدولة»، وأنَّ سُنَّته ﷺ تنقسمُ إلىٰ «سنَّةٍ دينيةٍ مُلزِمة» و«سُنَّةٍ دنيويةٍ غيرِ مُلزِمة».

«فالإسلامُ الدِّين» عند الدكتور عمارة: تَمثَّلَ ويَتمثَّلُ في النصِّ القرآني، وفي السُّنةِ النبويةِ التشريعية التي جاءت تفصيلاً لمجملِ القرآن وشَرْحًا لمُوجَزِه، وهذان المصدرانِ هما اللذان تجسَّدَا ثمرةً «للاجتهاد» في علومِ الوحيِ ـ أي: العلوم الشرعية ـ.

هذا هو الإسلام الدين (!!).

وهناك «الإسلام الحضارة» كما تَمثَّل ويَتَمثَّلُ في ثمراتِ «العقل المسلم وتجربةِ المسلمين في مختلفِ نواحي الحياة الدنيا».

◘ ثم يقول: «فلم تكن الدولةُ هدفًا من أهدافِ الوحي، ولا مُهمةً من مهامِّ النبوَّة والرسالة، ولا رُكنًا من أركانِ الدين، وإنما اقتَضَتْها ضرورةُ حمايةِ الدعوةِ الجديدة، والدفاعِ عن المؤمنين ضدَّ اضطهادِ المشركين.

فكان تأسيسُها وتدعيمُها إنجازاً سياسيًّا وحضاريًّا وقوميًّا حَفِظَ الدين، وساعَدَ علىٰ انتشاره، علىٰ الرغم من أنه ليس جُزءً أصيلاً من مهامِّ النبوَّةِ

(١) «المعتزلة وأصول الحكم» د. محمد عمارة (ص٢٩٥).

والرسالة، ولا هو أصلٌ من أصول الدين»[١] .

هذه نفسُ آراءِ علي عبدالرازق وسادتِه من المستشرقين.

◘ ومن ثَم يقول: «إنَّ موقفَ «الإسلام الحضارة»، كان هو التطبيقَ في مجالِ السياسةِ والدولة لموقف «الإسلام الدين» الذي يُنكِرُ وجودَ «سُلطةٍ دينية» لبَشَرٍ خارجَ نطاقِ الموعظةِ والإرشادِ، والذي لم يُحدِّدْ نِطاقًا معيَّنًا للحكم»[٢] .

* هذه تقسيماتٌ لم يَقُلْ بها أحدٌ قبلَ أن يَطْلُعَ علينا أصحابُ «الاستنارة والتجديد»، وإلاَّ؛ فما الفرقُ بين مقولةِ النصارىٰ: «دَعْ ما لقيصرَ لقيصر، وما للَّه للَّه» وبين مقولتهم؟! وما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]؟!.

◘ قال ابن كثير: «أخبَرَهم أنَّ الحُكمَ والتصرُّفَ والمشيئةَ والمُلْكَ كلَّه للَّه»[٣] .

وهذا يَشملُ شؤون الحياة كلِّها ـ سياسةً أو غيرَ سياسية ـ، حتىٰ الأعداءُ لم يُنكِروا أنَّ الإسلامَ دينٌ ودولة.

◘ قال المستشرق «فيتز جرالد»: «ليس الإسلامُ دينًا فحسب، ولكنه نظامٌ سياسيٌّ أيضًا.. وإنَّ صَرْحَ التفكيرِ الإسلاميِّ كلَّه قد بُني علىٰ أساسِ أنَّ الجانبَينِ متلازمانِ لا يمكنُ أن يُفصَلَ أحدُهما عن الآخر»[٤] .

(١) «الإسلام والعروبة والعلمانية» (ص٥).

(٢) المصدر السابق (ص٦٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٩٦).

(٤) «النظريات السياسية في الإسلام» محمد ضياء الريس.

فالعصرانيون بفَصْلِهِمُ الدينَ عن شؤون الدولة والحياة، يَدْعُون إلى علمانيةٍ قد يُسمُّونها «إسلامية»، ولكنها في الحقيقة أشدُّ بُعداً عن الدينِ من العلمانية اللادينية ـ كما اتَّضح من تصريحاتهم السابقة واللاحقة ـ، إذ هنالك كُتَّابٌ معاصِرون حَمَلوا لواءَ العِلمانيةِ باسم «الإسلام» أيضاً.. من هؤلاء:

* **محمد سعيد العشماوي**[١] ، **صاحب كتاب «أصول الشريعة» الذي خَصَّصه لإثباتِ أن الشريعةَ الإسلامية قد أصابها التحريفُ والتغييرُ، ولذلك فهي لا تصلُحُ للحكم في هذا العصر (!!):**

* **ويتلخَّصُ مضمونُ الكتاب فيما يأتي**[٢] :

١ ـ في أنَّ كلمة «الشريعة» غيرُ واضحةٍ في أذهانِ المسلمين، فهم يطالِبون بتطبيقها دونَ أن يَفهَموها، وقد وَقَع التغييرُ في مفهومِ الشريعة بين أهلِ الإسلام، مِثلَما وَقَع في مفهومِ التوراة لدى اليهود (!!).

٢ ـ الارتدادُ عن الإسلام يأتي ضِمْنَ حُرِيَّةِ الاعتقاد، فلا يصحُّ إقامةُ الحدِّ على المرتدِّ، كما أنَّ رَجْمَ الزاني المُحصَنِ ليس من أحكامِ الدين الثابتة الباقية كحدٍّ شرعي (!!).

٣ ـ الدينُ كاملٌ منذ «أوزوريس»، ومِن قَبلِ أن يُبعثَ محمدٌ ﷺ، والمرادُ بالآية القرآنية بإكمالِ الدين[٣] إكمالُ شعائرِ الحجِّ ـ لا الدينِ نفسه ـ، والشريعةُ تكتملُ بتطوُّرِها، ومُسايَرَتِها للتطوُّرِ الإنساني (!!).

---

(١) العشماوي: هو رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر، والأستاذ المحاضر في «كلية أصول الدين والشريعة».

(٢) ينظر: مجلة البلاغ، في ـ ٨ صفر ـ ١٤٠٤هـ (ص ٣٧ ـ ٣٨).

(٣) أي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

٤ ـ الخَمرُ مأمورٌ اجتنابُها فقط، دون التنصيص بتحريمها في القرآن(!!).

٥ ـ إنَّ قَطْعَ اليدِ وَبتْرَ الأعضاءِ في العقوبة لا يُلائمُ رُوحَ الشريعةِ الإسلامية (!!).

ولاشكَّ أن إطلاقَ هذه الأحكامِ كُفرٌ صريح ـ كما سيأتي بيانه ـ.

□ وممن سار على النهج نفسه: «فرج فودة» في كتابه «قبل السقوط» ومما جاء في هذا السقوط:

ـ فصلُ الدينِ عن الدولة، باعتبار أن هناك فرقًا بين «الإسلام الدين» و«الإسلام الدولة» ـ كما يرى الكاتب ـ.

ـ تعطيلُ الحدودِ الشرعية، حيثُ إن تطبيقَ الشريعةِ يَقودُ إلى دولةٍ دينية تحكُمُ بالحقِّ الإلهيِّ، فتطبيقُ حدِّ الزنا ـ مثلاً ـ يترتَّبُ عليه مَنْعُ ملاهي شارع الهرم (!!).

ـ خُصِّص الإسلامُ بالقضايا الرُّوحية، ويرفضُ الكاتبُ أن يكونَ الدينُ موجِّهًا للسياسة باسم الإسلام[1] (!!).

يريدُ هؤلاء الكُتَّابُ حُكمًا علمانيًا، وفي أحسنِ أحوالِه ديمقراطيًّا برلمانيًّا على طريقةِ الغرب في أن يكون للأُمَّةِ حقُّ التشريع. يريدون أن يتلهَّوا بلُعبةِ الديمقراطية التي وضعها «تشرشل» حين ثار المصريُّون ثَورتَهم الوطنية عام (١٩١٩)، وكان وزيرًا في حكومةِ المحافِظين آنذاك، عندما سأل: «ماذا يريدُ المصريون؟! قيل له: يريدون أن يكونَ لهم برلمان

---

(١) انظر: مجلة منار الإسلام ـ عدد رمضان ـ ١٤٠٦هـ (ص ١٥٠ ـ ١٥٢).

ودستور. فقال ساخراً: أعطوهم لُعبةً يتلهَّون بها»!![1].

ها هو واقعُ «الديمقراطية الغربية» يَشهدُ بإفلاسِ شِعاراتِها عند التطبيق في مَنبعِها، فما بالُك بتطبيقِها في ديارِ المسلمين؟!.

إنَّ فَصْلَ الدينِ عن الدولة كان هَدَفًا أساسيًّا من أهدافِ حَمْلةِ التنصير والاستشراق، وها هو يُحقَّقُ على أيدي الأجيال التي رُبِّيت في محاضنِ مدارسهم وساستِهم، منذ أوائل هذا القرن.. وكان إبعادُ هيمنةِ الدينِ عن الحياة من أخطرِ ما انزلق إليه المسلمون، حتى وَصَلوا إلى مَهاوِي الذُّلِّ والتمزُّقِ والهوان.. «ولن يَصلُحَ آخِرُ هذه الأُمَّةِ إلاَّ بما صَلَح عليه أوَّلُها»، وهو الإسلام، ولعلَّ دُعاةَ الإسلامِ الصادقِين يُعيدون الأُمَّةَ إلى رُشدِها، ويُرجِعونها إلى التمسُّكِ في دينِها في جميعِ مجالاتِ الحياة»[2] اهـ.

وانظر إلى قَبْحِ أفكارِهم وقُبْحِ كلامهم:

◻ يقول «حسن حنفي»: «إنَّ المصلحةَ أصلٌ مستقلٌّ في التشريع، وإنه لا سُلطةَ إلاَّ لضرورةِ الواقعِ الذي نعيشُ فيه، لقد أصبَحَ الواقعُ هو المجدِّدُ للاختياراتِ والقوانين، أما دَورُ الشرع، فثانويٌّ.. لأنَّ اختياراتِنا هي التي تُحدِّدُ طبيعةَ القوانين، وذلك يعني أنَّ القوانينَ والأحكامَ المُنَزَّلةَ في القرآن، والواردةَ في السُّنَّة قابلةٌ للتأويل والتعطيل، ونحن في كلِّ ذلك نَستلهِمُ رُوحَ الشريعةِ ومقاصدَها.. ولَعلَّنا لا نكونُ بَعيدِينَ عن المادِّيَّة التاريخيَّة إنْ لم

---

(١) عن كتاب: «هلم نخرج من ظلمات التيه» للأستاذ محمد قطب. نشر دار الوطن للنشر - ١٤١٥هـ (ص٤٧).

(٢) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» (ص٢٧٤ ـ ٢٨٤) لمحمد حامد النَّاصِر - مكتبة الكوثر.

نكنْ من أكبرِ ممثِّليها والداعِينَ إليها»[١] .

◻ ويقول «حسن حنفي» عن التمسُّك بالنصوص من قرآنٍ وسُنَّةٍ: «لقد احتَمَيْنا بالنصوصِ، فجاءنا اللصوص»[٢] .

والعبارةُ استعارها حنفي من الشاعر الماركسي الفلسطيني محمود درويش[٣] .

وصار المهمُّ عنده مُسايرةُ روحِ العصر فقط، وتساوَتْ لديه النصوصُ الدينية في حُجِّيَتها مع الأمثالِ العاميَّةِ والأغاني الشَّعبية (!!).

◻ يقول حسن حنفي: «ما يُهِمُّنا هو رُوحُ العصر، وما نَهتمُّ به هي مشاكلُ العصر؛ لذلك نَهتمُّ بالأمثالِ العاميَّةِ وبسِيَرِ الأبطال، كما نفعلُ تماماً مع النصوص الدينيَّة، ونهتمُّ بالأغاني الشعبية»[٤] .

◻ وانظر إلىٰ كفريَّات الدكتور حسن حنفي في كتابه «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر»، فقد بَثَّ فيه الشكوكَ والإلحاد، ودعا إلىٰ أن «الفِكرَ الغَيْبيَّ» أقربُ إلىٰ الأساطير منه إلىٰ الفِكر الديني، وأنَّ قَصصَ آدمَ وحوَّاء والملائكةِ والشياطينِ كلُّها رموزٌ، أو جُزءٌ من الأدبِ الشَّعبي، ويَرىٰ أن العقلَ ما كان في حاجةٍ إلىٰ الشرع؛ لأن الإنسانَ لا يَحتاجُ إلىٰ الوحي، وأن ابنَ تيميَّة وابن القيم يؤمنانِ بوجودِ الجنِّ والشياطين، وهذا هو أحدُ وجوهِ

---

(١) مجلة «اليسار الإسلامي» ـ العدد الأول (ص١٥ ـ ٢١) حوار مع د. حسن حنفي.
(٢) «التراث والتجديد» (ص١١٩ ـ ١٢٠) لحسن حنفي ـ نشر مكتبة الجديد ـ تونس.
(٣) انظر «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي (ص٥٣ ـ ٥٥).
(٤) «ما يعني اليسار الإسلامي» مقال لحسن حنفي ـ مجلة اليسار الإسلامي ـ العدد الأول.

الضَّعفِ في هذه المدرسة، وأنَّ الإنسانَ لا يحتاجُ لكونه مُسْلِمًا إلىٰ الإيمانِ بالجنِّ والملائكة»(١) .

◘ يقول حسن حنفي: «يُمكِن للمسلمِ المعاصر أن يُنكِرَ كلَّ الجانبِ الغَيبِيِّ في الدين، ويكون مسلمًا حقًّا في سلوكه»(٢) .

◘ ويدعو إلىٰ التجديد علىٰ مستوىٰ اللغة والمصطلحات، ويرىٰ حسن حنفي أن اللغةَ التقليديةَ في تُراثنا قاصرة، وتتضمَّن عيوبًا كثيرةً منها:

أنها لغةٌ إلهيَّة، تدورُ الألفاظُ فيها حَولَ «اللَّه». . بل إنَّ لفظ «اللَّه» لا يُعبِّرُ عن معنًىٰ مُعيَّنٍ، فهو «صَرخةٌ وجوديَّة». . إذ أن «اللَّه» عند الجائع هو الرغيف، وعند المُستعبَدِ هو الحريَّة، وعند المظلوم هو العَدْل، أي: أنه في مُعظَمِ الحالات «صرخةُ المضطهدين».

ثم ينتهي «حنفي» إلىٰ أنه لا يمكنُ إيصالُ أيِّ معنًىٰ بلفظِ «اللَّه»؛ لأن «اللَّه» حوَىٰ كثرةً من المعاني لدرجةِ أن يَدُلَّ علىٰ معانٍ متعارضة(٣) .

فلا داعيَ إذن ـ طبقًا لهذا الكلام ـ إلىٰ استعمالِ لفظ الجلالة، لِتَحُلَّ مَحِلَّها كلماتُ: «الخبز، والحرية، والعَدْل، والحب، والإشباع، والإنسان الكامل»!!!.

◘ يقول: «إن اللغةَ القديمةَ لغةٌ دينيَّةٌ تشيرُ إلىٰ موضوعاتٍ دينيَّةٍ خالصةٍ مثل: «دين، ورسول، ومُعجِزة، ونبوة». . وهي لغةٌ عاجِزةٌ عن إيصالِ

---

(١) «قلاع المسلمين مُهدَّدة من داخلها» للدكتور محمد عبدالقادر هنادي (ص٤٢).

(٢) «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» للدكتور حسن حنفي (ص٩١ ـ ٩٣) ـ دار التنوير بيروت.

(٣) «التراث والتجديد» (ص١٢٩) وما بعدها.

مضمونِها في العصرِ الحاضر (!!)، وهي ـ كذلك ـ لُغةٌ تاريخيةٌ صُوريَّةٌ مُجَرَّدةٌ.. ولذلك فاليسار يرومُ تأسيسَ لغةٍ جديدة تَستعملُ الألفاظَ التي يقبلُها العصر»!!.

◻ ويقول: «إنَّ في العصر ألفاظًا تجري مجرىٰ النارِ في الهشيم، مثل: «الأيديولوجيا، والتقَدم، والحركة، والتغيُّر، والتحرُّر، والجماهير، والعدالة».. وهي ألفاظٌ لها رصيدٌ نفسيٌّ لدىٰ الجماهير، والتي يُمكنُ أن تُعبِّرَ عن ثقافةٍ وطنية»[1].

◻ «وهذه اللغةُ مفتوحةٌ وعقلانيةٌ، أما ألفاظ «اللَّه» و«الجنة» و«النار» و«الحساب» و«العقاب»، فهي ألفاظٌ قطعيَّة صِرفة لا يمكنُ التعاملُ معها دونَ فهمٍ أو تفسير أو تأويل».

◻ ويضيف قائلاً: «بأن الألفاظَ يَجبُ أن يكونَ لها مُقابِلٌ في الواقع الحِسِّي، فألفاظُ «الجن، والملائكة، والشياطين؛ بل والخَلْق، والبَعث، والقيامة» ألفاظٌ تَجاوزَها الحِسُّ والمُشاهَدة، ولا يمكنُ استعمالُها؛ لأنها لا تُشيرُ إلىٰ واقعٍ، ولا يَقبلُها كلُّ الناس.

وفي نظر «اليسار» أنَّ ذلك سينقُلُ عصرَنا من مرحلةِ التمركز حولَ «اللَّه» إلىٰ مرحلة التمركز حول «الإنسان»، وتلك مُهِمَّةُ التراث والتجديد في أوَّلِ محاولاتِه من أجلِ إعادةِ بناءِ علمِ أصولِ الدين، علىٰ أنه علمُ الإنسان»[2].

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٠) وما بعدها.

(٢) «التراث والتجديد» (ص١٤٠).

◻ أما المستشار «سعيد العشماوي» الكارهُ لشرعِ اللَّه، المحطِّمُ لثوابتِ الإسلام، فإنه هو المُتولِّي كِبْرَ العِلمانية في عصرنا.

◻ إنه «العشماوي» الدالُّ على الموت لفظًا ومعنًى.. الذي يُصرِّحُ بأن ما في القرآن الكريم من آياتِ الأحكام والتشريع هو من الضآلةِ بحيث يَنفي عن الإسلامِ وشريعتِه الاهتمامَ بالتشريع والقانون.. وبنصٍّ عبارته قال العشماوي: «فإنَّ القرآن الكريم سِتَّةُ آلافِ آيةٍ، وما يتضمَّنُ منها أحكامًا للشريعة أو «تشريعات» في العبادات أو في المعاملات لا يَصِلُ إلى سَبْعمِئةِ آيةٍ، منها حَوالَي مِئتي آيةٍ فقط هي التي تُقرِّرُ أحكامًا للأحوالِ الشخصيَّة والمواريثِ أو للتعامل المَدَنِّي أو الجزاءِ الجِنائي، أي أنَّ الآياتِ التي تُعَدُّ تشريعاتٍ «قانونية» للمعاملات هي مجردُ جزءٍ من ثلاثين جزءً من آيات القرآن (٢٠٠/ ٦٠٠٠) بعضُها منسوخٌ ولا يُعْملَ به، أي أن الأحكامَ السارية أقلُّ من واحدٍ على ثلاثين، وعلى وَجْهِ التحديد (٨٠ آية)، أي (٨٠/ ٦٠٠٠ = ١/ ٧٥)»[1].

◻ ويقول: «كانت شريعةُ موسى هي الحق، فهي تَضَعُ الحدودَ مع الواجبات، وتُحدِّدُ الجزاءَ لكلِّ إثم، وشريعةُ عيسى هي الحبُّ، وشريعةُ محمدٍ هي الرحمة»[2].

◻ ويقول: «فرسالةُ محمدٍ ليست كرسالةِ موسى - رسالةَ تشريعَ -، وإنما هي رسالةُ رحمة، ورسالةُ أخلاق، بحيث يُعَدُّ التشريعُ صفةً تاليةً

(١) «الإسلام السياسي» للعشماوي (ص٣٥)، و«معالم الإسلام» للعشماوي (ص١١٩، ١٦٨، ١٧٠).

(٢) «أصول الشريعة» للعشماوي (١٧٩، ١٨٠).

ثانويةً غير أساسية.. وإنَّ دَفْعَ رسالةِ محمدٍ لتكونَ رسالةَ تشريعٍ أصلاً وأساساً ـ مع أنها ليست كذلك.. هو اتجاهٌ يَجعلُ من الإسلام صِيغةً عربيةً لليهودية، أو اتجاهًا يَفهمُ الإسلامَ بمنطقِ الإسرائيليات»[1].

وهذا جهلٌ منه، فإنَّ هذه الآياتِ ليست كلَّ آياتِ الأحكام، وإنما هي الآياتُ التي دلالتها على الأحكام دلالةٌ ظاهرة، لا التي تَحصرُ الأحكام في القرآن الكريم».

□ وبعبارةِ الزَّركشي: «لعلَّهم قَصَدوا بذلك الآياتِ الدالةَ على الأحكامِ دلالةً أوَّليَّةً بالذات، لا بطريق التضمُّنِ والالتزام».

□ يقول شيخُ الإسلام ابن دقيق العيد: «إنَّ الأمرَ غيرُ منحصرٍ في هذا العدد، بل هو مختلِفٌ باختلاف القرائحِ والأذهان، وما يَفتحُه اللَّهُ على عبادِه من وجوهِ الاستنباط»[2].

□ ولقد صِيغَ هذا المعنى صياغةً واضحةً وحاسمةً، قالت عن القرآن الكريم: «إنه لا يخلو شيءٌ منه عن حُكمٍ يُستَنبط منه؛ ذلك لأنَّ الذين ذكروا أن الآيات التي تتعلَّقُ بالأحكام خَمْسُمئةِ آية، كأنهم أرادوا ما هو مقصودٌ به الأحكامُ بدلالةِ «المطابقة»، أم بدلالةِ «الالتزام» فغالبُ القرآن، بل كلُّه؛ لأنه لا يخلو شيءٌ منه عن حُكمٍ يُستنبَطُ منه»[3].

---

(١) «الإسلام السياسي» (ص٤٥).

(٢) «البحر المحيط» للزركشي (٦/ ١٩٩) تحرير د. عبدالستار أبو غُدّة ـ طبع وزارة الأوقاف ـ الكويت.

(٣) «شرح الكوكب المنير» لابن النجار (٤/ ٤٦٠) ـ تحقيق د. محمد الزحيلي، د. نزيه حمّاد ـ السعودية ـ.

ﻪ ومحمد عركون: العِلمانيُّ الجزائري، الذي يدعو إلى التعامُلِ مع الإسلام والقرآنِ والسُّنَّةِ بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطَيَاتِ التي خَلّفها «ماركس ونيتشه» وغيرهما.

ﻪ يقول هذا المأفون: «إنَّ الفِكرَ الإسلاميَّ لا يمكنُه أن يتهرَّبَ طويلاً!!! إنَّ فِعلَ الإيمانِ «الأرثوذكسي»[1] المحتسِب دومًا يقومُ على التأكيد بأن الدين يَرتكزُ على الوحيِ الذي أنزله اللَّه للناس بواسطةِ الأنبياء، لكنَّ الواقعَ العِلميَّ الحديث يَنزِعُ إلى أن فَرضَ فكرةِ أن الدين كلَّه من المجتمع، اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بذاته بحاجةٍ إلى شهادةِ الإنسان له!!!».

هل بعد هذا الكفرِ والوقاحة والجرأة على اللَّه وقضاءٍ على الدين يتكلَّمون باسم «التنوير»؟!.

ﻪ ويقول مُسيلِمة العصر محمد عركون: «إن أشكالَ الإسلام المدعوَّة «مستقيمة أو أرثوذكسية» (هكذا واللَّه) كالاتجاه السُّنِّيِّ والشِّيعيِّ والخارجي(!!) الذي يدَّعي كلٌّ منها أنه يَحتكِرُ الإسلامَ الصحيح دونَ غيره، هي عبارةٌ عن انتقاءات اعتباطية (!!) واستخداماتٌ أيديولوجية لمجموعةٍ من الأفكارِ والعقائدِ والممارسات المُقدَّمةِ والمُصَوَّرة على أساسِ أنها دينيَّة محضة»[2].

ﻪ ويُلمِّحُ «عركون» إلى أن الماركسيةَ لم تأخذ حَظَّها في تقييمِ الإسلام والحُكمِ عليه!! وأنها ينبغي أن تكون منطلقًا لِعَلْمَنَةِ الإسلام، فيقول:

---

(١) يقصد السنّي الملتزم بالنصوص القرآنية المُقدِّس لها.

(٢) مجلة «الفكر العربي المعاصر» ـ (العدد ٣٩).

«نلاحظُ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لا في الفكر العربيِّ المعاصر، ولا في الفكر الإسلاميِّ بشكلٍ عامٍّ، نفسُ الشيءِ يُمكنُ أن يُقالَ بخصوصِ نقدِ القِيَمِ التي قام به «نيتشه» تُجاهَ المسيحية، وهذا النقدُ قابلٌ للتطبيق على الإسلام(!!) وإذا ما نَظَرْنا للتاريخ بكليَّة ضِمْنَ هذا المنظور، فإنه يُصبحُ ممكنًا تعبيدُ الطريق وتمهيدُه نحو ممارسةٍ علمانيةٍ للإسلام.. يمكنُ للعلمنة عندئذٍ أن تنتشرَ في المجتمعاتِ التي اتخذت الإسلامَ دينًا»[1] .

* ويصرِّح بإنكاره لأصول الإسلام:

❑ يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني: «ومن اللافت للنظر أيضًا إيهامُهم للقارئ أن الإسلامَ سَلَّم بكثيرٍ من التقاليد الجاهلية المتخلِّفة وقَبِلَها، لذلك فهم يَرفضونها... وهذا واضحٌ في كلام «حسين أحمد أمين»، وفي كلام «محمد عركون» في أكثرَ من موضعٍ حين فسَّر بعضَ القرآن الكريم بطريقتِه الخاصَّة، واعتَبَر وضعَ المرأةِ وقضايا الجنس والميراث من الجاهلية، ويُطالِبُ بإعادةِ النظر فيها بمعاييرَ جديدةٍ تُخالفُ المعاييرَ الجاهلية التي أقرَّها القرآن»(!!!).

❑ يقول في حديثٍ له بمجلة «لونوفيل أوبزر فاتور ٧/ ٢/ ١٩٨٦»: «إنَّ التفسير يَبقى دائمًا جائزًا، على شرطِ أن يُعادَ التفكيرُ في مسألةِ التنزيل على ضوءِ التاريخانية (!!) الحجاب مثلاً ـ ككلٍّ ما يَمُتُّ إلى الجِنس، وإلى وضع المرأة في الإسلام ـ ينتمي إلى قانونٍ عِرقيٍّ سابقٍ على الإسلام،

(١) «تاريخية الفكر العربي المعاصر» لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي ١٩٨٦ .

الإسلامُ صادَقَ على تقاليدَ قديمةٍ متعلِّقةٍ بأسُسٍ قَبْلَه، وأعطاها بُعْداً مُقَدَّساً (!!) ويتعلَّقُ الأمرُ اليومَ بإعادةِ التفكير في هذه المفاهيم في ضوءِ التاريخ، وللأسف فإنَّ هذا العملَ في بدايةِ الإسلام يُحكِمُ سيطرة الأيديولوجيا».

*** ويَدعو إلى قراءة القرآن قراءةً نقديَّةً من خلال منظورِ «نيتشه، وفرويد، وكارل ماركس»:**

◻ يقول مسيلِمةُ العصر «محمد عركون»: «إنَّ إعادةَ قراءةِ القرآن من جديد قراءةً نقديَّةً متخصِّصةً ـ لا قراءةً أيديولوجيَّةً تقليديَّةً ـ هي الخُطوةُ الأولى التي لا بد منها من أجل فَهمِ المُناخِ الفكريِّ والنفسي للشخصيةِ العربية الإسلامية.. إنَّ هذه القراءةَ مضطرةٌ لأنْ نأخذَ في الاعتبارِ كلَّ المسارِ الفلسفيِّ والنقديِّ الذي قَطَعه الفِكرُ الغربي، ابتداءً من «نيتشه»، وانتهاءً «بفرويد»، مروراً بطبيعة الحال «بكارل ماركس»..»[1].

◻ وعلى نَفْسِ الخطِّ العلماني سار الماركسي «حسين أحمد أمين» مؤلف كتاب «دليل المسلم الحزين» ومفسِّرُ القرآن تفسيراً ماركسيًّا والطاعنُ في ثوابتِ الأحكام الشرعية يقول: «لجأ الفقهاءُ والعلماءُ إلى تأييد كلِّ رأيٍ يَرَونه صالحًا ومرغوبًا فيه؛ فهم يَصنعون أو «يُفَبْركون» الأحكامَ ويختلقونها بحديثٍ يرفعونه إلى النبي ﷺ»[2].

◻ ويقول هذا «المستنير»: «ومع أن رسولَ اللَّه ﷺ لم يَدَّعِ قطُّ أنه معصومٌ من الخطأ إلاَّ حينَ يُملِي أو يتلو آياتِ ربِّه (!!) بل ونَبَّه القرآنُ إلى

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٤١ ـ ٤٢).

(٢) انظر «اليسار الإسلامي» (ص٣٣)، و«جولة في فكر محمد عركون» (ص٢٦٦).

أخطاءٍ بَدَرَتْ منه؛ فقد افترض أنصارُ الالتزام بالسُّنَّة[1] أن العنايةَ الإلهيَّة إنما كانت توجِّه كلَّ عملٍ أتىٰ به، وكلَّ كلمةٍ صدرت عنه، منذ بَعَثه اللَّهُ رسولاً إلىٰ قومه، إلىٰ أن مات، ومن ثَمَّ فقدَّ رأوا أنَّ أحكامَ السُّنَّةِ ملزِمةٌ في الحالاتِ التي لم يَرِدْ بصددِها نصٌّ قرآني».

*** محمد عابد الجابري وإنكار الوحي:**

◻ ويرىٰ الدكتور محمد عابد الجابري: «أن الوحي سُلطةٌ مرجعيةٌ تُضايقُ الحاضر، وتُنافِسُ المستقبلَ والجديد»، فهو ينكرُ أن يكون هناك وحيٌ ـ وإن آمن به ـ، فهو يعتبرُه وليدَ زمانه، أي هو جزءٌ من التاريخ أو تجربةٌ تاريخية[2].

*** والدكتور محمد فتحي عثمان صاحب كتاب «الفكر الإسلامي والتطور»:**

◻ يقول عن كتابه: «إنه محاوَلةٌ لمناقشةِ قابليَّةِ الإسلام في أصوله للتطوُّر، ورصيدِ المسلمين التاريخيِّ في التطور، وللواقعِ المعاصر، واحتياجنا للوعي بحقيقةِ التطوُّر عندنا وعند غيرنا»[3].

ويدعو إلىٰ تقييد الطلاق، وتقييد تعدُّد الزوجات، وإلىٰ الاختلاط، وتَرْكِ الحِجاب، والضابطُ لذلك كلِّه هو «الظروف وواقع العصر» (!!).

◻ يقول: «إن قضيةَ المرأة وأشباهَها وثيقةُ الارتباط بواقعِ البيئةِ

---

(١) يقصد جمهور أهل السنة والجماعة عن عصر الصحابة إلىٰ أيامنا هذه.

(٢) انظر «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري (ص٥٥ ـ ٥٦) نقلاً عن «ظاهرة اليسار الإسلامي» (ص١٣٢).

(٣) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٧٥، ٣٩) للدكتور محمد فتحي عثمان ط٢ الكويت ـ الدار الكويتية (١٩٦٩م).

الاجتماعيَّةِ، والمجتمعُ الواحدُ يختلفُ من زمنٍ لآخر.. ولذلك يجبُ ألاَّ يُحمَّلَ «الدينُ» عِبءَ هذه الفوارقِ الطبيعيةِ الحتميَّة، بل أولىٰ للجميعِ أن ينسبوا هذه الأحكامَ الاجتهاديةَ لواقعِ العصر والبيئة»[1].

*** هؤلاء في ميزان الإسلام:**

*** محمد علي باشا، مؤسِّسُ العلمانية بمصر الحديثة:**

◻ كتب محمد عبده في «المنار» ١٩٠٢م/ ١٣٢٢هـ بمناسبة مرور مئةِ سَنةٍ علىٰ تأسيس مُلكِ هذه الأسرة قال: «إن لمحمد علي ثلاثةَ أعمالٍ كبيرة، كان كلٌّ منها موضعَ خلافٍ ـ نافعًا كان أو ضارًّا ـ بالمسلمين في سياستهم العامة:

١ ـ تأسيسُ حكومةٍ مدينة في مصر «أي: علمانية»، كانت مقدِّمةً لاحتلالِ الأجانب لها..».

◻ وكتب الشيخ محمد عبده في العدد التالي مقالةً بإمضاء «مؤرِّخ» قال: «هذا يعني أن محمد عبده ومدرستَه لا ينسَون مساوئَ محمد علي في نسخ الأحكام الشرعية وإعلانَه «العلمانية» في مصر، وهو أولُ مَن تجرَّأ في العالمِ الإسلاميِّ علىٰ استبدالِ القوانين الأوربيَّة بالشريعة الإسلامية، ولا ينسَون قِتالَه لخليفة المسلمين ممَّا يُعَدُّ «حِرَابة»، ولا ينسَون قضاءَه علىٰ دَولةِ السعوديين العربيَّةِ المسلمةِ المُصلِحة السَّلفية..»[2].

*** عبدالرحمن الكواكبي، أول مَن نادىٰ بفكرة «العلمانية» حسبَ مفهومها الأوربيِّ الصريح:**

◻ يقول الكواكبي: «يا قومُ ـ وأعني بكم الناطقين بالضادين غير

---

(١) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٢٢).

(٢) «معالم تاريخ الإسلام المعاصر» لأنور الجندي (ص١٨٤) ـ دار الاعتصام.

المسلمين ـ، أدعوكم إلىٰ تناسِي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباءُ والأجداد، فقد كَفَىٰ ما فَعَل ذلك علىٰ أيديْ المثيرين، وأُجِلُّكم من أن لا تهتدوا لوسائلِ الاتحادِ وأنتم المتنوِّرون السابقون فهذه أممُ «أوستريا وأمريكا» قد هداها العلمُ لطرائقِ الاتحاد الوطنيِّ دون الدينيِّ، والوفاقِ الجنسيِّ دون المَذْهبيِّ، والارتباطِ السياسيِّ دون الإداري . . » .

□ «دَعُونا نُدبِّر حياتَنا الدنيا، ونجعلُ الأديانَ تحكُمُ الآخرة فقط (!!) دَعُونا نجتمعُ علىٰ كلماتٍ سواء، ألاَ وهي: فلتحيا الأُمَّة، فليحيا الوطن، فلنحيا طُلَقاءَ أعِزَّاء»[1] .

* ساطع الحُصري، فيلسوفُ القوميَّة العربيَّة الزائفة:

هو أول مسؤول عن التعليمِ العالي التركيِّ في الوزارة التي شَكَّلها الاتحاديُّون بعد سقوطِ الخلافة مباشرةً، وأوَّلُ مَن صَرَّح بأن قوميَّة إسرائيل تقومُ علىٰ الدين، وأنَّ الإسلامَ دينُ تعبُّدٍ . . ويُنكِرُ أنه نظامُ حياةٍ ومجتمعٍ، والحقيقةُ أنه ما ذَنْبُ العروبةِ والإسلام إذا كان ساطعُ الحُصري غَربيَّ الفِكر والذَّوقِ، أعجميَّ النطق، يتجاهلُ أن لُغتَنَا لغةُ فِكرٍ وعقيدةٍ، وأن دِينَنا يجمعُ بين المادة والروح، وبين العقلِ والقلب، وبين الدنيا والآخرة.

□ يقول الأستاذ أنور الجندي: «حَدَّثني الدكتور مختار الوكيل ـ مدير مكتب «الجامعة العربية» في «جنيف» ـ وهو رجل صادق مؤتَمَن ـ، أنه في خلال عَمَلِه زار الأستاذ ساطعَ الحصري في «سويسرا»، ورأىٰ السيد «عبدالفتاح حسن» السفير المصري دَعْوَتَه إلىٰ طعامٍ للغداء، فلمَّا قَدِم مع

---

(١) «طبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبي (ص١١٢ ـ ١١٣).

الدكتور الوكيل حيَّاه السفيرُ المصري فقال: «مرحبًا بالمناضلِ الكبير في خدمةِ العروبة والإسلام»، وقد عَجِبَ الرجلان من ساطع الحصري الذي رَدَّ ي عنفٍ وحِدَّةٍ: «عرب نعم.. إسلام لا.. أنا لاييك».. وكلمة «لاييك» تعني: أن صاحبَها علِماني أو لا ديني»[1] .

ولا تَعجَبْ، فقد كان أكبرُ أساتذته في مفهومِ القوميَّات «ماكس مولر» و«نوردو» وهما فيلسوفان يهوديَّان قَصَدَا من وراءِ نظريةِ اللغة إلى إحياء القوميَّة اليهودية[2] .

*** طه حسين ومحوُ الهُويَّة الإسلامية والتشكيكُ في القرآن والحكومة الإسلامية:**

◻ طه حسين القائل: «لأمرٍ ما اقتَنَع الناسُ أن النبيَّ يجبُ أن يكونَ من صفوةِ بني هاشم، ولأمرٍ ما شَعُروا بالحاجة إلى إثباتِ أنَّ القرآنَ كتابٌ عربيٌّ مطابقٌ في ألفاظه للغة العرب».

◻ طه حسين التلميذُ الوفيُّ لـ «كازانوفا» الذي يَنسبُ القرآنَ إلى النبي ﷺ، ويُنكِرُ الوحيَ والنبوَّة.. فإذا بطه حسين يسيرُ على نفس الخطِّ، ويقولُ في كتابه «الشِّعر الجاهلي» مشكِّكًا في القرآن: «ونحن لا نستطيعُ أن نَظْفَرَ بشيءٍ واحدٍ يُؤيِّدُ ما أشَرْنا إليه هو: أن الكتابَ شيءٌ غيرُ القرآن، كان موجودًا قبلَ إنزال القرآن، والقرآنُ صورةٌ عربية منه، وقد أخَذ صُورًا من قبلُ كالتوراة والإنجيل».

---

(١) انظر «جيل العمالقة» للأستاذ أنور الجندي (ص١٥١ ـ ١٥٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

❑ ويقول: «وإذن فالقرآنُ دِينٌ مَحلِيٌّ، لا إنسانيٌّ عالَمي، قيمتُه وخَطَرُه في هذه المحليَّة وحدها، قاله صاحبُه متأثِّرًا بحياته التي عاشها وعاش فيها، ولذلك يُعَدُّ تعبيراً صادقًا عن هذه الحياة، أمَّا أنه يُمثِّلُ غيرَ الحياة العربيَّة، أو يرسُمُ هدفًا عامًّا للإنسان، فليس ذلك بحقٍّ، إنه دينٌ بشريٌّ وليس وحيًا إلهيًّا، والقرآنُ مُؤَلَّف، ومؤلِّفُه نبيُّه محمد، ويُمثِّل تأليفُه بأنه يمثِّل حياةَ العربِ المحدودةَ في شِبه الجزيرة في اتجاهاتِ حياتها المختلفة ـ السياسية والاقتصادية والدينية ـ».

❑ ويقول في محاضرةٍ له بكلية الآداب بقَصْرِ الزعفران (١٩٢٧ ـ ١٩٢٨) بعد ضَجَّةِ «الشِّعر الجاهلي»: «ليس القرآنُ إلاَّ كتابًا كَكُلِّ الكتب الخاضعةِ للنقد، فيجبُ أن يُجرَىٰ عليه ما يُجرَىٰ عليها، والعِلمُ يُحتِّمُ عليكم أن تَصرِفوا النظرَ نهائيًّا عن قَدَاستِه التي تتصوَّرونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًّا، فتقولوا فيه كلمتكم.. ويجبُ أن يختصَّ كلٌّ واحدٍ منكم بنقدِ شيءٍ من هذا الكتاب، ويُبيِّنُ ما يأخذُه عليه».

❑ ويقول: «لاشكَّ أن الباحثَ الناقدَ والمفكرَ الحُرَّ الذي لا يُفرِّقُ في نَقدِه بين القرآن وبين أيِّ كتابٍ أدبيٍّ آخَرَ، حيث يلاحِظُ أن في القرآن أسلوبَينِ متعارضَيْن لا يَربطُ الأولَ بالثاني صِلةٌ ولا عَلاقة، ممَّا يَدفُعنا إلىٰ الاعتقادِ بأن هذا الكتابَ قد خَضَع لظروفٍ مختلفةٍ وتأثيرِ بيئاتٍ متباينة».

فهو يقول ببشريَّةِ القرآن، وهذا كفرٌ أكبرُ مُخرجٌ من المِلَّة بعد قيامِ الحُجَّة علىٰ صاحبه من قِبَلِ عُلماءِ الأمة.

❑ ومِن أخطرِ مَزَاعِمِه أنَّ النبي ﷺ قد أَحَبَّ «زينبَ بنتَ جَحْش»،

وهي زوجةٌ لزيدٍ، وهذا بهتانٌ عظيم(١) .

* «على هامش السيرة» تهكُّمٌ صريح :

وَصَفَ الأستاذ «مصطفى صادق الرافعي» كتاب «على هامش السيرة» بأنه «تَهكُّمٌ صريحٌ».

□ وقال الدكتور محمد حسين هيكل: «في رأيي أن لا تُتَّخَذَ حياةُ النبي ﷺ مادَّةَ الأدبِ الأسطوري، وإنما يُتَّخَذُ من التاريخ وأقاصيصِه مادةً لهذا الأدب، والنبي ﷺ وسيرتُه وعَصرُه تتصل بحياةِ ملايين المسلمين جميعًا، بل هي فَلْذَةٌ من هذه الحياة، ومِن أعزِّ فَلَذاتِها عليها وأكبرِها أثرًا، واعلمْ أن هذه الإسرائيلياتِ قد أُريدَ بها إقامةُ «ميثولوچية إسلامية» لإفسادِ العقول والقلوب من سواد الشعب، ولتشكيكِ المستنيرين ودفعِ الرِّيبة إلى نفوسهم في شأنِ الإسلام ونبيِّه ﷺ، وقد كانت هذه غايةَ الأساطير التي وُضِعت عن الأديانِ الأخرى، مِن أجل ذلك ارتفعت صيحةُ المُصْلِحين الدينيِّين في جميعِ العصور لتطهير العقائدِ من هذه الأوهام»(٢) .

وهذا اتهامٌ صريحٌ من الدكتور محمد حسين هيكل للدكتور طه حسين في اتجاهه، وتحميلٌ له لمسؤوليةٍ من أخطرِ المسؤوليات، وهي إعادةُ إضافةِ الأساطير التي حَرَّر العلماءُ سيرةَ الرسول منها طوالَ العصور، وإعادتُها مرةً أخرى لِخَلْقِ جوٍّ مُعَيَّنٍ يُؤدِّي إلى إفسادٍ في عقولِ سواد الشَّعب، وتشكيكِ المستنيرين ودفعِ الرِّيبة إلى نفوسِهم في شأن الإسلام ونبيِّه ﷺ.

---

(١) «محاكمة فكر طه حسين» (ص١٨٥ ، ١٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٩).

ولقد أشار الدكتور «محمد برادة» إلىٰ أن طه حسين كَتَب علىٰ «هامش السيرة» تقليداً لكتاب «علىٰ هامش الكتب القديمة» لـ «جيل لومتير».

وقد ذكر الأستاذ عبداللَّه كنون في كتابه «التعاشيب» بأن كتاب طه حسين وُضع علىٰ نمط كتاب غَرْبيٍّ كتبه «ألفريد أورشيم» الأستاذ بجامعة أكسفورد تحت عنوان «علىٰ هامش سيرة المسيح».

□ ويقول الأستاذ غازي التوبة: «إنَّ طه حسين يُنَصِّبُ نفسَه إماماً للأساطير اليونانية، ويَضعُ السيرةَ في مصافِّ «الإلياذة»، ويَطلبُ من المؤلِّفين والكُتَّابِ أن يَفتتِنوا في الحديثِ عنها افتتانَ أوربا بأساطيرِ اليونان، كي يُرضُوا مُيولَ الناس إلىٰ السَّذاجة، ويُمتِّعوا عواطفَهم وأَخْيِلَتَهم، ولكن هل يتساوىٰ الأثَرَانِ في المجتمعَيْنِ: «الإلياذة» في المجتمع اليوناني، و«السيرة» في المجتمع الإسلامي؟! وهل كانت «السيرة» يوماً ما في التاريخ موضوعاً لتسليةٍ قصصيَّةٍ أو مباراةٍ لفظيَّة؟!»[1].

□ ونَشرت مجلة «الشباب الجزائرية» (ذي القعدة عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م) تحت عنوان «دسائس طه حسين» قالت: «ألَّف طه حسين كتاباً أسماه «علىٰ هامش السيرة» - يعني السيرةَ النبوية الطاهرة -، فملأه من الأساطير اليونانيَّة الوثنيَّة، وكتب ما كَتَب في السيرة الكريمة علىٰ مِنوالها، فأظهرها بمَظْهَرِ الخرافات الباطلةِ وأساطيرِ الخيال، حتىٰ يُخيَّل للقارئ أن سِيرةَ الرسول ﷺ ما هي إلاَّ أسطورةٌ من الأساطير، وفي هذا من الدَّس والبُهت ما فيه»[2].

(١) «محاكمة فكر طه حسين» (ص١٨٨ - ١٨٩).

(٢) المصدر السابق ١٨٩.

* **موقف طه حسين العِلمانيِّ من الشريعة الإسلامية :**

إن مقالَ طه حسين «بين العلم والدين» الذي نشره في مجلة «الحديث» عام ١٩٢٧ هو بمثابة تقريرٍ كَتَبه الدكتور إلىٰ أساتذته عُتاة التغريب، ليكشفَ لهم عن الخَطَرِ الذي يُواجِهُه تحتَ مادَّةِ «دِينِ الدولة الرسمي الإسلام»، وفيه يكشفُ مفهومَه للإسلام بأنه لا يَزيدُ عن أن يكونَ صلاةً وصِيامًا واحتفالاً بالمولد النبويِّ والأعيادِ الرسميَّةِ وإطلاقِ المدافعِ في رمضان وقيامِ المحمل إلخ.. (!!).

أمَّا بالنسبةِ للنُّظُمِ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإنه يدعو مصرَ إلىٰ اعتناقِ النظرية الغربية، يرىٰ أنه لا سبيل غير ذلك.

◻ يقول طه حسين في عِدائه للحكومة الإسلامية والتشريع الإسلامي: «لقد اعتَزَمْنا أمامَ أوروبا أن نذهبَ مذهبَها في الحُكمِ، ونسيرَ سِيرتَها في الإدارة، ونَسلُكَ طريقَها في التشريع، والتَزَمْنا هذا كلَّه أمامَ أوربا، وهل كان إمضاءُ معاهدةِ الاستقلال ومعاهدةِ إلغاء الامتيازات إلاَّ التزامًا صريحًا قاطعًا أمام العالَم المتحضرِّ بأننا سنسيرُ سِيرةَ الغربيِّين في الحُكم والإدارة والتشريع؟! فلو هَمَمْنا الآن أن نعودَ أدراجَنا وأن تُحيَا النُّظُمُ العتيقة، لَمَا وَجَدْنا إلىٰ ذلك سبيلاً».

◻ ويقول في «الفتنة الكبرىٰ»: «ليس من شكٍّ أن عَليًّا قد أخفَقَ في بَسْطِ خلافته علىٰ أقطارِ الأرضِ الإسلامية، ثم هو لم يُخْفِقْ وحدَه، وإنما أخْفَقَ معه نظامُ الخلافةِ كلُّه»[1].

---

(١) «الفتنة الكبرىٰ» لطه حسين (٢/ ١٥٥).

□ وقال: «إنَّ الإسلام لم يُغيِّرْ حياةَ العرب، وإنه بَقِيَ على هامشِ حياةِ المسلمين، وإنه لم يستطعْ أن يَفرِضَ حياةَ المسلمين بين أصحابِ الحضاراتِ الأخرى».

* **أما توفيق الحكيم:**

□ فقد قال عنه الأستاذ محمد المجذوب: «كُتُبُه أكبرُ شاهدٍ على تنكُّره لِمُثُلِ أُمَّتِه، حتى ما كان منها متَّصِلاً بالسيرة النبوية، ككتابه «محمد ﷺ»، أو مسرحية «أهل الكهف»، وبه مَواطنُ دسائسِه على الرسول».

وتوفيق هذا أنكر رؤية اللَّه يوم القيامة، وروَّج لنظرية «وحدة الوجود»، كما حاول أن يُسقِطَ إسقاطاتٍ عِلمانيةً وإلحاديةً رَوَّجَ لها الفِكرُ الوافد منذُ منتصفِ القرنِ الرابعَ عشَرَ الهجريِّ، انطلاقًا من المفاهيمِ الكَنَسيَّة التي لا تتطابقُ بحالٍ مع فِكرنا الإسلامي.

توفيق الحكيم الذي قَصَرَ الإيمانَ على المعرفةِ، وألغى التلفُّظَ بمنطوقِ الشهادة، فهو عنده إيمانٌ تعبُّديٌّ لفظيٌّ لا معنى له.

□ وتوفيق الحكيم الذي خَوَّل لنفسِه أن يتكلَّمَ باسم اللَّه «قُلْ على لساني ما تشاءُ على مسؤوليتك»[1].

* **زكي نجيب محمود:**

يَسخَرُ من الشريعة، ويَنتقِصُ من شأنِها، ويَصِفُها بأنها «قاصرةٌ ومجافية للعصر»، ويُطالِبُ بتخطِّيها في سبيل تحقيق المعاصَرة.

□ وكتابه المعروف «خرافة الميتافيزيقا» إنكارٌ صريحٌ لمفهوم الغَيب الذي

(١) انظر «جيل العمالقة» (٢٠٥-٢١٧).

جاء به الإسلام، والادعاءُ بأنه خرافة.. وهو يفاخرُ بأنه يُمثِّلُ مدرسة الفيلسوف الأوربي الملحد المنكر للأديان «أوجست كُونْت».

وأثنىٰ «زكي نجيب محمود» علىٰ «ابن الراوَندي» و«مَزْدك» و«ماني» و«الحَلاَّج» و«الباطنية» و«الشُّعوبية» و«إخوان الصفا وتلاميذهم».

◻ وزكي نجيب محمود يَعتبرُ عُقوبةَ قطعِ اليدِ أمرًا وَحْشِيًّا يُهدِّدُ كرامةَ الآدميِّين.. ويُهاجمُ حجاب المرأة المسلمة.

◻ يقول الأستاذ أنور الجندي: «وإني لأسألُ الدكتور زكي نجيب محمود: هل يُؤمِنُ بالوحي؟ هذا هو مَقْطَعُ المفاصَلة بيننا وبينه، وإذا كان يُؤمنُ به فلماذا لم يُعلِن فسادَ منهجِ كتابه «خرافة الميتافيزيقا»؟!.

ولماذا لا يؤمنُ بهذا الوحي الذي جاء به القرآنُ شريعةً ومنهجَ حياة؟»[1].

*** الدكتور زكي مبارك يشارك طه حسين في التشكيك في القرآن الكريم، وذلك في كتابه «النثر الفني»:**

لقد لَمَزَ زكي مبارك القرآنَ، وجارىٰ المستشرقينَ الفرنسيين الذين دَرَسَ وأخذ عنهم في جامعة «السوربون» بباريس أثناءَ تحضيرِ أُطروحته للدكتوراة المُسمَّاة «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، حين ذهب الدكتور مبارك يُجاري آراءَ أساتذته، خاصةً منهم «المسيو مرسيه» و«ديموبين».. فلم يَلبثْ زكي مبارك أن أعلنَ في «أطروحته» أن القرآنَ كتابٌ أرضيٌّ لا سماوي (كذا والله).. فالقرآنُ عنده «أثَرٌ نثريٌّ جاهلي»!!!

---

(١) انظر «جيل العمالقة» (١٨٨ ـ ٢٠١).

وأنا هنا لا أَتحاملُ عليه أو أُقَوِّلُه ما لم يَقُلْ، بل أكتفي بنقلِ أسطرٍ قليلةٍ مُوثَّقةٍ من كتابه «النثر الفني».

◻ قال: «فلْيعلمِ القارئُ أن لدينا شاهداً من شواهدِ النثرِ الجاهلي يَصِحُّ الاعتمادُ عليه ـ وهو القرآن ـ، ولا ينبغي الاندهاشُ مِن عَدِّ القرآنِ أثراً جاهليًّا، فإنه من صُورِ العصرِ الجاهلي، إذ جاء بُلغتِه وتَصَوُّراتِه وتقاليدِه وتعابيره، وهو ـ بالرغم مِمَّا أجمع عليه المسلمون من تفرُّدِه بصفاتٍ أدبيةٍ لم تكن معروفةً في ظنِّهم عند العرب ـ يُعطينا صورةً للنثر الجاهلي»[1].

◻ ويقول: «القرآنُ شاهدٌ من شواهِدِ النثر الفنيِّ، ولو كَرِه المُكابِرون، فأين نَضعُه من عهود النثر في اللغة العربية؟ أنضعُه في العهد الإسلامي؟ كيفَ والإسلامُ لم يكن موجوداً قبلَ القرآن حتىٰ يغيِّر أوضاعَ التعابير والأساليب؟ فلا مفرَّ إذن من الاعترافِ بأن القرانَ يُعطي صورةً صحيحةً من النثر الفني لعهد الجاهلية»[2].

◻ قال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: «أراد الدكتور زكي مبارك أن ينالَ إجازتَه العلميَّةَ من «باريس»، فكيف يَصنعُ الدكتور الذَّكيُّ؟؟ رأىٰ أن يَسوقَ ألفَ دليلٍ علىٰ أنه وَعَىٰ جيِّداً دروسَ أساتذته، وأنه اقتنع بالفكرةِ التي يُصرِّحون بها حيناً، ويلمِّحُون بها حيناً آخَرَ، فكرةِ أن القرآنَ مِن وَضْعِ محمد، وأنه ليس وَحْيًا مصوناً كالإنجيل أو التوراة «كذا»، فاسمَع العبارات

(١) «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك (١/ ٤٣) ـ دار الجيل ـ بيروت.

(٢) المصدر السابق (ص٤٤).

التي بَثَّها بَثًّا دنيئًا وسط مئتي صفحةٍ من كتابه «النثر الفني»، وتَملَّقَ بها مشاعرَ السادةِ المستشرِقين الذين يوجِّهون العلمَ والأدبَ لخدمةِ المستعمِرين ونُصرةِ الصليبيِّين»[1].

☐ يقول الشيخ محمد الغزالي: «ولا ندري هل رَجَع الدكتور زكي إلىٰ اللَّه بعد هذا الكُفران المبين؟ أم مات علىٰ زَيغه؟ لقد كَتَب بعد هذا كتاباتٍ حسنةً في التصوُّف! وإن كان الرجلُ ظلَّ يُدمِنُ الخمرَ حتىٰ صرَعه «السُّكْر»، فقَضىٰ علىٰ حياته وهو نشوان»[2].

والقارئُ المسلمُ لا يَغُضُّ طَرْفَه، ولا يَنْسىٰ إذا تَعلَّقَ الأمرُ بلَمْزِ كتابِ ربِّه والحطِّ من منزلة الوحي الكريم[3].

إنَّ هذا تكذيبٌ صريحٌ للَّه ولرسوله ﷺ.

☐ ولقد انبرىٰ للردِّ علىٰ الدكتور زكي مبارك الدكتور محمد أحمد الغمراوي ردًّا في فصولٍ مطوَّلةٍ نشرتها الرسالةُ المصرية في مجلد عام ١٩٤٤ وفنَّد فيها ما قاله الدكتور زكي مبارك مِن:

أولاً: دعوتِه إلىٰ نقد القرآن.

ثانيًا: إنكارِه إعجازَ القرآن.

ثالثًا: أنه يكادُ يُصرِّحُ بأن القرآن من كلام البشر.

---

(١) «الاستعمار أحقاد وأطماع» للشيخ محمد الغزالي (ص٢٢٨) ـ دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة.

(٢) المصدر السابق (ص٢٣١).

(٣) مقالة بعنوان «زكي مبارك شارك طه حسين التشكيك في القرآن الكريم» ـ المجلة العربية ـ العدد ٣١٥ ـ السنة ٢٨ ـ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ يونيو ٢٠٠٣م (ص٣٤ـ٣٥).

رابعًا: أنَّ الأديانَ كلَّها من نَبْتِ البيئة ومِن وَضْعِ الأنبياء.

❑ يقول زكي مبارك محاولاً أن يصِفَ القرآنَ بكلِّ ما لا يُصَدَّق، وأنه نِتاجُ البيئةِ - كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من فِيهِ إن يقولُ إلاَّ كَذِبًا -: «فمن الواجبِ أن يَتركَ الباحثون ذلك المَيدانَ الذي أولعوا بالجَرْي فيه - وهو عصر الدولة العباسية -، وأن يَجعلوا مَيدانَ النِّضال «عصرَ النُّبوَّة» نفسَه، وأن يُحدِّثونا ما هي الصِّلاتُ الأدبيةُ والاجتماعيةُ التي وَصَلت إلىٰ العرب من الخارج فأعطت نَثْرهم تلك القوَّة وذلك الزُّخرفَ اللذَيْن تراهما مُجَسَّمَيْنِ في القرآن؟ هُنالك نعرفُ بالبحث: أكان القرآنُ صورةً عبقريَّةً أم تقليديةً».

فهذا الكلامُ الصريحُ الذي لا يَقبلُ الشكَّ ولا التأويلِ أن زكي مبارك يرىٰ أن القرآنَ من كلامِ العرب تأثَّر بما تأثروا به، أو يصحُّ أن يكونوا تأثَّروا به من صِلاتٍ أدبيةٍ واجتماعيةٍ أتتهم من الخارج، وأنَّ ما امتلأ به - في زعمه - من «الزخرف والصنعة المحُكمة، ليس طبيعيًّا، ولكنه مُكتَسَبٌ مجلوبٌ من الخارج».

❑ وما معنىٰ قول زكي مبارك: «ولا يُنكِرُ مُتَعَنِّتٌ أن القرآنَ وَضع للصلوات والدعوات ومواقفِ البكاء والخوفِ والرجاء سُوراً مسجُوعةً تُماثِلُ ما كان يُرتِّله المتديِّنون من النصارىٰ واليهود والوثنيِّين، ولا تَنْسَ أن الوثنيةَ كانت دينًا يؤمِنُ به أهلُه في طاعةٍ وخشوع، وكانت لهم طقوسٌ في هياكلهم، وكانت تلك الطقوسُ تؤدَّىٰ علىٰ نحوٍ قريب ممَّا يفعلُ أهلُ الكتابِ من النصارىٰ واليهود».

❑ وانظر إلىٰ ما يقوله زكي مبارك: «انتفَعَ الصوفيةُ بسماحةِ الإسلام، وهو دينٌ يأبىٰ أن يكونَ بين المسلم وربِّه وسيطٌ، فقرَّروا أنهم أرفعُ من

الأنبياء.. وهذا كفرٌ بظاهر القول، ولكنه في الجوهر غايةُ الإيمان»!!!!.

*** محمد عبدالله عَنان متطرِّفٌ في تأييده لأتاتورك والهجوم على الشريعة الإسلامية:**

كشف الشيخ مُحِبُّ الدين الخطيب في مجلة «الفتح» وِجهة محمدِ عبدالله عنان في تأييدِه للصهيونية وتأييدِه لكمال أتاتورك، واشتراكه مع «سلامة موسىٰ» في إنشاء أولِ حِزبٍ شيوعيٍّ في مصر.

❑ يقول محمد عبدالله عنان مهاجمًا موقف الشريعة الإسلامية من المرأة ـ كما يدَّعي ـ في «مجلة الثقافة» (٧ يوليو ١٩٥٢) حيث يقول تحت عنوان: «المرأة والحقوق الدستورية»: «لا محلَّ للاحتكامِ بشأنها إلىٰ الدين». تقول الحقيقة: إن هذا الاتجاهَ خاطئٌ من أساسِه، ولا مَحِلَّ له علىٰ الإطلاق، إنَّ تنحيةَ الدينِ أساسٌ في هذا الموضوع، سواءٌ لتوكيد التحريم أو الإباحة، وإذا كانت مصرُ دولةً إسلاميةً، فليس معنىٰ هذا أنها دولةٌ دينية، أو أنها دولةٌ تُطبِّق أحكامَ الدِّين في سائرِ النواحي، فالنُّظُمُ الأساسيةُ والقوانينُ المدنيةُ والجنائيةُ المصريةُ كلُّها نُظُمٌ وقوانينُ تَطبَعُها الصفةُ الأوربية، ولا يُطبَّقُ في مصرَ شيءٌ من أحكامِ الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات أو الحدودِ بصورةٍ جبريَّةٍ، والقضاءُ الشرعي يُعتبر قضاءً استثنائيًّا بالنسبةِ للقضاء الوطني العام».

❑ ويَصلُ من هذه السمومِ والمغالَطاتِ كلِّها إلىٰ أن يقول: «لا مَحِلَّ لأنْ يَحتلَّ الدينُ حُكمًا في مسائِلَ لا علاقةَ لها بالدين، ولا يَمَسُّ العقيدة، ولا مَحِلَّ إذًا لنرجعَ بمطالبِ المرأةِ السياسية والاجتماعية لأحكامِ الدين».

ولا ريبَ أن رأيَ عنان هذا فاسدٌ على إطلاقه؛ فإنَّ الإسلام ليس دينًا بالمعنى اللاهوتي، ولكنه نظامُ مجتمعٍ ومنهجُ حياة؛ ولذلك كان له حقُّ تنظيمِ العلاقات الاجتماعية، وخاصةً ممَّا يتعلقُ بالمرأة والأسرة[1].

*** حُسين فوزي من غلاة التابعين للحضارة الغربية:**

◻ مُجمَلُ دعوتِه التي رَدَّدَها أكثرَ من أربعين عامًا هي على الوجه الآتي كما لَخَّصَها لمجلة «الآداب» (إبريل ١٩٦٢): «دَرَجتُ على حُبِّ الغرب والإيمانِ بحضارةِ الغرب، واستحالَ الحبُّ والإعجابُ إيمانًا بكلِّ ما هو غربيٌّ، لم يَعْتَوِرْ إيماني ضَعفٌ بضرورةِ الحياة الغربية.. وسِمةُ الحضارةِ الغربيةِ أن العقلَ فيها مطلَق».

◻ ويقول: «لا صِلَةَ للعقيدةِ الدينيَّةِ بمسائلِ الأمم».

◻ والدكتور حسين فوزي عِلمانيٌّ خبيثٌ مِن غُلاةِ التَبعيَّةِ للحضارةِ الغربية، وهو يُركِّزُ على جانبها الخاصِّ بالفنون والمسارح والموسيقى والرَّقص.. ويتابعُ طه حسين في الدعوة إلى نَقلِ كلِّ ما تُمثِّله هذه الحضارةُ «خيرِها شرِّها، وحُلوِها ومُرِّها، وما يُحمد منها وما يُعاب»[2].

*** اليساري محمد مندور رئيس تحرير مجلة «الشرق» الشيوعية ودعوتُه إلى فَصل الدين عن الدولة:**

◻ كتب محمد مندور اليساري مقالاً بعنوان «الدين والتشريع» عام ١٩٤٤ في جريدة «المصري» التي كان يعملُ بها، دعا فيه صراحةً إلى فصلِ

---

(١) «جيل العمالقة» (ص٥٣٨ـ٥٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص٥٤٢ـ٥٤٣).

الدين عن الدولة، وضرورةِ سَنِّ القوانينِ الوضعيةِ التي لا ترتبطُ بالشريعةِ الإسلامية، ولكنَّ الجريدة رَفَضَت نَشْرَه، ويُعَلِّق لويس عوض على دعوة مندور قائلاً: «وواضحٌ أن هذا الكلامَ الذي نَشَره مندور في ١٩٤٤ مُؤَسَّسٌ على ذلك الركن الركين في الفلسفة الديمقراطية الليبرالية، وهو فصلُ الدين عن الدولة، وإقامةُ فِقهٍ دستوريٍّ وفقهٍ تشريعيٍّ على أساسٍ وضعيٍّ بدلاً من الأساس الثيوقراطي الذي كانت تقومُ عليه المجتمعاتُ الإقطاعية في العصور الوسطى».

ونحن نرفضُ محمد مندور لرفضه للشريعة.. نرفضُه ونرفضُ فكره.

* **نجيب محفوظ: والإساءة إلى «قاسم» في أولاد حارتنا:**

بالرجوع إلى كتاب «جُوَّانيات الرموز المستعارة لكبار «أولاد حارتنا» أو «نقض التاريخ الديني النبوي» للدكتور عبدالعظيم المطعني، يَرمِزُ نجيبُ محفوظ إلى محمد ﷺ بـ«قاسم» وإلى خديجة رضي الله عنها بـ«قمر».

◻ وأكبرُ المدافعين عن محفوظ وهو الأستاذ محمد جلال كشك يقول: «ولاشك أن قاسم يرمز إلى الرسول ﷺ»[1].

فماذا قال نجيب عن «قاسم»:

نَسَبَتْ إليه الروايةُ اختلاسَ ثمارِ الجوافة، والجَرْيَ في الطريقِ العامِّ وهو عارٍ تمامًا من ملابسه، مع تضاحُكِ الأطفال عليه!!!.

وهذا افتراءٌ مَحضٌ وكذبٌ صارخ على مَن أرسله اللَّهُ رحمةً للعالمين، وصانَه من «العبث» في جميع مراحلِ عُمره المبارك قبلَ البَعثةِ وبعدَها.

(١) «أولاد حارتنا فيها قولان» لمحمد جلال كشك (ص٥٨) ـ الزهراء للإعلام العربي.

☐ ثم جَعَلَتْه الرواية «بيَّاع بطاطة» يُنادِي على بضاعتِه ويقول وهو «يَزُق» عربة يد «كارو»: «بطاطة العمدة». . «بطاطة الفرن»!!.

وهذا كذلك افتراءٌ خالص، وليس له سَنَدٌ من الواقع ولا من الوهم!!.

ـ وجعلته الروايةُ مُغْرمًا بمعاكسةِ الفتياتِ، يترصَّدُهُنَّ في الطريق العامِّ قُبيلَ الغروب!!.

ـ وجعلته الروايةُ كسولاً لا يُحِبُّ العمل، ويَخلُدُ إلى الراحةِ والدَّعَةِ حتى أكرهته السيدةُ «قمر» على العملِ في إدارة أملاكها!!.

ـ ثم أجلسَتْه الروايةُ على «المقاهي» وسَقَته الـ. . على الجُوزة.

ـ ووصفت الروايةُ حَفلَ زفافه إلى «قمر» وصفًا مُزرِيًا للغاية، كانت الخمورُ تجري فيه أنهارًا، وكلُّ المدعوِّين كانوا سُكارى ومساطيل!!.

ـ وجَعلت الروايةُ «قاسمًا وقمرًا» يسيرانِ في ليلةِ زفافهما خلفَ راقصةٍ تتمايلُ وتهتزُّ وكأنها تُلقِي عليهما الدرس الأخير في العلاقات الـ. . !!.

ـ وعَيَّرَتْهُ الروايةُ مرَّاتٍ بأنه راعي غَنَم لليهود والنصارى وغيرهم!!.

هكذا صَنعت الروايةُ مع خير خلق اللَّه ﷺ، وهي تعلمُ عمَّن تتحدَّثُ جلالاً وعظمةً، وهيبةً ووقارًا؟!.

إن الرواية تُجارِي العلمانية في تفسيرها الماديِّ للتاريخ ـ رَضِيَ المؤلِّفُ أم لَم يرضَ ـ، وهي تُترجم في وضوح أنَّ كاتِبَها ساعةَ كَتَبَها كان زاهدًا في «الدين» كلَّ الزهد، مُعرضًا عنه كلَّ الإعراض، ضائقًا به صدره، أعجميًا به لسانُه، فراح يَشفِي نفسَه الثائرة، ويُعبِّرُ عن آرائه في وحيِ اللَّه الأمين، بهذه الأساليب الرمزية الماكرة، والحِيَلِ التعبريَّةِ الغادرة، رافعًا من شأن العِلمِ

الحديث إلىٰ مكانِ الثريَّا، واثِقًا فيه كلَّ الثقة، حتىٰ أجلَسَه في روايتِه علىٰ «عرْش الديَّان» مناصراً للعلمانية الجاهلة علىٰ دينِ اللَّه القيِّم، ورسالتِه السامية[1].

ونحن نُحيل القارئ إلىٰ ما قاله سكرتير لجنة الجائزة في حفلِ التسليم باستوكهولم عام ١٩٨٨ حيث أشار في غضون إطرائه علىٰ الرواية إلىٰ ما تضمَّنته من مفهومِ «موت الإله»[2].

* **أحمد لطفي السيد «أستاذ الجيل»!!:**

خَصْمُ العروبةِ والوحدةِ الإسلاميَّة، وصاحبُ شعار «مصر للمصريين» والنَّعرةِ الفرعونيَّة، ويكفىٰ في بيانِ عِدائه للهُويَّةِ الإسلاميَّة أنه كان يَصِفُ نصَّ الدستور علىٰ أنَّ الدينَ الرسميَّ للدولة هي الإسلامُ بأنه: «النص المشؤوم»[3].

ويكفيه هذا عاراً يُلاحِقُه إلىٰ يومِ الدِّين.

❑ لقد ضاعت الأمةُ بين أستاذِ الجيل هذا وبين عميدِ الأدب العربي الذي قال: «إنَّ الدينَ الإسلاميَّ يجبُ أن يُعلَّمَ فقط كجزءٍ من التاريخ القوميِّ، لا كدينٍ إلهيٍّ نزَل بَيِّنَ الشرائعَ للبشر، فالقوانينُ الدينيةُ لَم تَعُدْ تصلحُ في الحضارةِ الحديثة كأساسٍ للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوزُ أن يَبقىٰ الإسلامُ في صميمِ الحياة السياسية! أو يُتَّخذ كمنطلقٍ لتجديدِ

---

(١) «جوانيات الرموز المستعارة» (ص٢٠٨-٢٢٩).

(٢) «الطريق إلىٰ نوبل عبر حارة نجيب محفوظ» لمحمد يحيىٰ ومعتز شكري (ص٦) - أمة برس للطباعة والنشر.

(٣) «هويتنا أو الهاوية» للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

الأمَّة (!!)، فالأمة تتجدَّدُ بمعزلٍ عن الدين»[1] .

*** عبدالرزاق السَّنْهوري، واضعُ القانون المَدَنيِّ الوَضْعي الذي حَجَب نُورَ الشريعة:**

قَبْلَ وضعِهِ للقانون المَدَنيِّ والعملِ به منذ سنة ١٩٤٩، فإنَّ القانونَ المدنيَّ المصريَّ القديمَ الذي حَكَمَ مِصرَ قُرابةَ سبعين عامًا من سنة (١٨٨٣م) إلى سنة (١٩٤٩) هو قانون نابليون الفرنسي.

◻ ثم أتى عبدُالرزَّاق السَّنهوري ليضعَ هذا القانون الذي انتَقل إلى كثيرٍ من الدولِ العربيَّة ليتولَّى السنهوريُّ كِبْرَ هذا، ويبوءَ بإثمِ هذا التشريع الوضعي.

◻ قال السَّنهوري: «إنَّ القانونَ المصريَّ الجديدَ لَيُؤذِنُ بعهدٍ جديد، لا في مصرَ فحسب، بل أيضًا في البَلَدَينِ الشقيقَيْنِ العَرَبيَّينِ: «سورية والعراق»، ويكفي أن يكونَ هذا الشرحُ للقانون المِصريِّ الجديد في الوقت ذاتِه شرحًا للقانون السُّوريِّ الجديد»[2] .

◻ ومصادر هذا القانونِ المدني: القانون المدني الذي وَضَعه الصَّليبي «مانوري»، والتقنيناتُ التي أُخذ منها القانونُ الجديد كثيرة: «التقنينات اللاتينية ـ قديمها وحديثها ـ، فالقديمُ يأتي على رأسِهِ التقنينُ الفِرنسيُّ، ومعه التقنينُ الإيطاليُّ القديم، والتقنينُ الأسبانيُّ، والتقنين البرتغاليُّ، والتقنينُ الهولندي، والتقنينات اللاتينيةُ الحديثةُ تَشتملُ على التقنينِ التونسيِّ والمَرَاكِشِيِّ، والتقنينِ اللبناني، والمشروعِ الفرنسيِّ الإيطاليِّ، والتقنينِ

---

(١) «علل وأدوية» للشيخ محمد الغزالي (ص٧٩ـ٨١).

(٢) «الوسيط» لعبدالرزاق السنهوري (١/ ٩).

الإيطاليِّ الجديد، وتشتملُ على التقنينات الجِرْمانية وأهمها: التقنينُ الألمانيُّ، والتقنينُ السويسري، والتقنين النِّمساوي.. ورَجَع أيضًا إلى التقنينِ البُولوني، والتقنينِ البرازيلي، والصِّيني، والياباني، وهذه التقنيناتُ استَقَتْ من المدرسة اللاتينية والجِرمانية»[1] .

▫ ويقولُ واضع القانون: «مِن كلِّ هذه التقنينات المختلفةِ النزعةِ، المتباينةِ المناحي ـ ويبلغ عددُها عشرين تقنينًا ـ استَمدَّ المشروعُ ما اشتَمل عليه من النصوص، ولم يُوضع نصٌّ إلاَّ بعد أن فُحصت النصوصُ المقابِلة في كلِّ هذه التقنينات المختلفة، ودُقِّق النظر فيها».

*** ومسائلُ من الفقه الإسلامي.**

وهذا القانونُ لا يُمثِّلُ الشريعةَ الإسلاميةَ بحالٍ من الأحوال:

١ ـ لأن التشريعَ الإسلاميَّ واضعُه ربُّ العالمين، أما هذا القانونُ، فواضعُه الدكتور «عبدالرزاق السنهوري» المصري، والأستاذُ «إدوارد لامبير» الصليبي الفرنسي، وقد عاوَن في وضعه الصليبيَّانِ «استويت» و«ساس».

٢ ـ أخذ واضعو هذا القانونِ أكثرَ من ٨٥٪ من نصوصِه من قوانينِ الكُفَّار الصليبيِّين ـ كما سبق بيانه ـ، ولذلك نراه يُبيحُ أحكامًا حَرَّمتها الشريعةُ حُرمةً قطعيَّةً كالرِّبا والقِمار.

٣ ـ النصوصُ القليلةُ التي أُخذت من الشريعةِ الإسلامية والفقهِ الإسلاميِّ رُوعِيَ فيها أن تكونَ متَّفقةً مع المبادئِ التي قام عليها القانونُ، فالقانونُ هو المُهيمِنُ على الشريعة الإسلامية، يأخذُ منها ما يوافقُه، ويَرفضُ

ما لا يتَّفقُ مع مبادئِه.

□ يقول الدكتور السنهوري في هذا: «يُراعَىٰ في الأخذِ بأحكامِ الفقه الإسلامي التنسيقُ بين هذه الأحكامِ والمبادئِ العامَّةِ التي يقومُ عليها التشريعُ المدني في جُملته، فلا يجوزُ الأخذُ بحكمٍ في الفقهِ الإسلامي يتعارضُ مع مبدإٍ من هذه المبادئِ، حتىٰ لا يَفقِدَ التقنينُ المَدنيُّ تَجانُسَه وانسجامَه»(١).

□ وفي ضَوءِ كلامِ الدكتور السنهوري يمكنُنا أن نَفهمَ مرادَه من جوابه علىٰ سؤالِ الشيخ «عبدالوهاب طلعت» باشا، فقد سأله الشيخ: «هل رجعتُم إلىٰ الشريعة الإسلامية؟»، فقال السنهوري: «أوكِّدُ لك أننا ما تركنا حُكمًا صالحًا في الشريعة الإسلامية يمكنُ أن يوضَعَ في هذا القانون إلاَّ وضعناه»(٢).

فمَدىٰ صلاحِ الحُكمِ الموجودِ في الشريعةِ الإسلاميةِ للقانونِ المدنيِّ مبنيٌّ علىٰ موافقتِه للمبادئ التي بُني عليها القانونُ الوضعي!! وهل يَليقُ بالدكتور السنهوري أن يُقسِّمَ أحكامَ الشريعةِ إلىٰ أحكامٍ صالحةٍ وأحكامٍ غيرِ صالحة، ويُنَصِّبَ نفسَه حَكَمًا يأخذُ منها ما يشاء ويَدَعُ ما يشاء!!.

ولاحِظْ قوله: «يمكنُ أن يُوضَعَ في هذا القانون»، لِتعلمَ أنَّ بَعضَ الأحكامِ التي يُمكنُ أن تكونَ صالحةً في رأيه لم يأخُذْ بها؛ لأنه لا يُمكنُ وَضعُها في ذلك القانونِ لمعارضةِ مبادئِ القانونِ لها.

□ وفي إجابةٍ أخرىٰ للدكتور السنهوري علىٰ سؤالٍ من الشيخ

(١) «الوسيط» (١/ ٦١).

(٢) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ١٥٩).

عبدالوهاب طلعت قال الدكتور السنهوري: «لقد أخَذْنا كلَّ ما يُمكنُ أخْذُه عن الشريعةِ الإسلاميةِ، مع مراعاةِ الأصولِ الصحيحةِ في التقنينِ الحديث»[1].

لاحِظْ في الإجابة قولَه: «كلَّ ما يُمكنُ أخذَه»، وقوله: «مع مراعاةِ الأصولِ الصحيحة في التقنين الحديث»؛ لتعلمَ أنه أقام نفسَه وأصولَ التقنين الحديثِ حاكمًا على شريعةِ اللَّه، يأخذُ منها ما وَافَقَ أصولَ التقنينِ الحديث، ويتركُ ما خالَفَه، كأنما حُكْمُ اللَّه وشَرعُه متروكٌ لأحكامِ البشر وأهوائهم.

* قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

◻ وقد اقترح الدكتور السنهوري أن تكونَ المادَّةُ الأولى في القانونِ هكذا: «تَسري النصوصُ التشريعيةُ على جميعِ المسائلِ التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظِها أو في فحواها.

فإذا لم يُوجَدْ نصٌّ تشريعيٌّ يمكنُ تَطبيقُه، حَكَم القاضي بمقتضى «العُرف»، فإذا لم يوجَد، فبمقتضى مبادئِ الشريعةِ الإسلاميةِ الأكثرِ ملاءمةً لنصوصِ هذا القانون..»[2].

فهو يريدُ تقييدَ القاضي عندما لا يجدُ نصًّا في القانون ولا في العُرف فيأخذُ من الشريعةِ، أن يكونَ أخذُه من الشريعة محكومًا بالمبدإ الأكثرِ

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٩٠).

ملاءمةً لنصوصِ القانون، فيَجعلُ القانونَ هو الحاكمَ والمهيمنَ على الشريعةِ الإسلامية، وفي هذا ما فيه.

◘ والمادّةُ الأولى من القانونِ المدنيِّ تقول: «تَسري النصوصُ التشريعيةُ على جميعِ المسائل التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظِها أو في فحواها، فإذا لم يوجَدْ نصٌّ تشريعيٌّ يُمكن تطبيقُه، حكَم القاضي بمقتضى «العُرف»، فإذا لم يوجد فبمقتضى الشريعةِ الإسلامية، فإذا لم يوجَد فبمقتضى القانونِ الطبيعيِّ وقواعِدِ العدالة»[١].

وهذه المادةُ تُحرِّمُ على القاضي الرجوعَ إلى الشريعة الإسلامية التي ألزَمَ اللَّهُ الحُكَّامَ المسلمينَ بتحكيمِها ـ ما دام الحكمُ منصوصًا عليه في القانون المدنيِّ الوضعي ـ، فإذا لم نَجِدِ الحكمَ في نصوصِ القانونِ، فيُوجِبُ علينا واضعُه الرجوعَ إلى «عُرف البشر»، ويَجعلُ أعرافَ البشر مقدَّمةً على أحكامِ الشريعةِ الإلهيَّة!! ثم يَمُنُّ علينا واضعُ القانونِ بأنْ جَعَل الشريعةَ الإسلاميةَ المَصْدَرَ الثالثَ، ويَمُنُّ علينا أنه قَدَّمها على القانونِ الطبيعيِّ وقواعِدِ العدالة!!.

◘ يقول الدكتورُ السنهوري في هذا: «الشريعةُ الإسلاميةُ هي المصدرُ الثالثُ للقانونِ المَدَنيِّ المِصري، وهي إذا أتت بعدَ النصوصِ التشريعيةِ والعُرف، فإنها تَسبقُ مبادئَ القانونِ الطبيعيِّ وقواعد العدالة»[٢] !!.

وكونُها تَسبقُ مبادئَ القانونِ الطبيعيِّ وقواعِدَ العدالة ليس مبرِّرًا لأَنْ يسبقَها التشريعُ الذي أُخذت معظمُ نصوصِه من القوانين الوَضْعيَّة وأعرافِ

(١) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ١٨٢).
(٢) «الوسيط» (١/ ٥٩).

البشر التي كثيراً ما تكونُ أعرافًا خاطئةً.

◻ ونحنُ نَرفضُ قولَه بعد ذلك: «ولا شكَّ أن ذلك يَزيدُ كثيراً في أهميَّةِ الشريعة الإسلامية»(١).

◻ ونرفضُ قولَه: «ويَجعلُ دراستَها دراسةً علميةً في ضَوءِ القانون المقارَن أمراً ضروريًا، لا من الناحيةِ النظرية فحسب، بل كذلك من الناحية العلمية التطبيقية»(٢)!!.

أمَّا أولاً: فلأَنَّ جَعْلَ الشريعةِ الإسلاميةِ المَصْدَرَ الثالثَ ظُلْمٌ للشريعة الإسلامية وانتقاصٌ من حقِّها، وتقديمٌ لقوانينِ البشر وأعرافِهم على شريعةِ ربِّهم، لا كما يقول السنهوريُّ من أنه يَزيدُ من أهميتها!!.

ثانيًا: لأنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ لا تُدْرَسُ في ضَوءِ القانونِ المقارَن بحيث يُهيمنُ عليها، ويَنتقصُ منها، وهي الشريعةُ التي أُنزلت حاكمةً على الشرائع كلِّها والقوانينِ والكُتبِ السماويةِ السابقةِ وغيرِ السماوية.

وثالثًا: لأنَّ النتيجةَ التي يُمكنُ تَحقيقُها من وراءِ كلِّ هذا محدودةُ الأهمية، بل تكادُ تكونُ سَرابًا ـ كما يقول الدكتور «توفيق فرج» أحد رجال القانون ـ، ويُعلِّلُ ذلك بقوله: «ذلك أن التشريعَ في الدولةِ الحديثةِ يكادُ يَستوعبُ كلَّ شيء، وإذا وُجد مجالٌ يُحتمل أن تقومَ فيه بعضُ الثغرات، فإن العُرفَ من وراءِ التشريعِ مُحيطٌ به في شِبْهِ شُمولٍ، ولا يَبقى لمبادئِ الشريعةِ إلاَّ النَّزْرُ اليسير»(٣).

(١، ٢) المصدر السابق.

(٣) «المدخل للعلوم القانونية» للدكتور توفيق فرج (ص٢٧٩).

ويَرىٰ أيضًا: «أنَّ الدَّورَ الذي يُتركُ لمبادِئِ الشريعةِ يزدادُ انكماشًا - إذا أُخِذَ بما يَتَّجهُ إليه البعضُ مِن أنه لا يُلْجأُ إلىٰ مبادئِ الشريعةِ الإسلامية كمصدرٍ للقانون - إلاَّ إذا لم تكن تلك المبادئُ تتعارضُ مع المبادِئِ العامةِ التي يقوم عليها التشريعُ المَدنيُّ في جُملته»[1] .

◻ ثم يَنقُلُ عبارةَ الدكتور السنهوري الذي يَرىٰ هذا الرأيَ، والتي يقول فيها: «فلا يجوزُ الأخذُ بحكمٍ في الفقه الإسلاميِّ يتعارَضُ مع مبدإٍ من تلك المبادئ، حتىٰ لا يَفقِدَ التقنينُ المَدَنيُّ تجانُسَه وانسجامَه»[2] .

*** كيف جُعلت الشريعةُ الإسلاميةُ المصدرَ الثالث؟!:**

◻ علىٰ الرَّغم من أنَّ جَعْلَ الشريعةِ الإسلاميةِ المصدَرَ الثالث الذي يَرجعُ إليه القاضي غيرُ مقبولٍ بحالٍ من الأحوال، فإنَّ واضِعِي القانونِ لم يتكرَّموا بوضعها ابتداءً، فقد كان نصُّ المادَّةِ في المشروع التمهيديِّ هكذا: «تَسري النصوصُ التشريعيةُ علىٰ جميعِ المسائلِ التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظِها أو في فحواها. فإذا لم يُوجَدْ نصٌّ تشريعيٌّ يمكنُ تطبيقُه، حكَمَ القاضي بمقتضىٰ «العُرف»، فإذا لم يَوجد، فبمقتضىٰ مبادئِ القانونِ الطبيعيِّ وقواعدِ العدالة.

ويَستلهِمُ في ذلك الأحكامَ التي أقرَّها والفقهَ - مصريًّا كان أو أجنبيًّا -، وكذلك يَستلهمُ مبادئَ الشريعةِ الإسلامية»[3] .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الوسيط» للسنهوري (١/ ٤٩).

(٣) «القانون المدني - الأعمال التحضيرية» (١/ ١٨٢).

وهذه المادةُ جَعلت الشريعةَ الإسلامية في الذيلِ كما ترىٰ!!.

وعندما طُبع مشروعُ القانون، ووُزِّعَ علىٰ الهيئاتِ القضائيةِ والقانونية، وتَحدَّثتْ عنه الصحفُ في الديار المصرية: طالَبَ الشعبُ المصريُّ أن تُجعلَ الشريعةُ الإسلاميةُ المصدَرَ الرسميَّ الوحيدَ لكلِّ تشريعٍ يَصدُرُ في البلاد.. ولَم تُستَجَبْ رَغبةُ الشَّعب، وفُرض عليه القانونُ الذي أُخذ أربعةُ أخماسِهِ ـ أو أكثرُ ـ من القوانينِ الكافرة، وحاولَ الذين وضعوه وناقَشوه استرضاءَ الرأيِ العامِّ، بجَعلِ الشريعةِ الإسلاميةِ المصدَرَ الثالث، يَرجعُ إليها القاضي حينما لا يَجِدُ مرادَه في نصوصِ القانونِ ولا العُرف[1] !!.

* **دعوى موافقةِ القانونِ المَدَنِيِّ للشريعةِ الإسلامية!!:**

زَعم واضعُ القانونِ المَدَنيِّ أنَّ نصوصَه موافقةٌ للشريعةِ الإسلامية، ولا تعارُضَ بينهما!!.

◻ يقول في «المذكرة الإيضاحية للمشروع التمهيدي»: «ما وَرَد في المشروعِ من نصوصٍ يُمكنُ تخريجُه علىٰ أحكام الشريعةِ الإسلاميةِ دونَ كبيرِ مشقَّةٍ، فسواءٌ وُجد النصُّ أم لم يُوجَدْ، فإنَّ القاضيَ بين اثنين، إما أنه يُطبِّقَ أحكامًا لا تتناقَضُ مع مبادِئِ الشريعةِ الإسلامية، وإمَّا أنه يُطبِّقُ الشريعةَ الإسلاميةَ ذاتَها»[2].

والدكتور السنهوري يتناقَضُ مع نفسِه، ففي المناقشة التي جرَت بينه وبين الأستاذ الدكتور «حامد بك زكي» أستاذِ القانون المَدَني في كلية الحقوق

---

(١) «المدخل» لعلي علي منصور (ص١٠٣).

(٢) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٢٠).

بجماعة فؤاد، قال الدكتور السنهوري: «المشروعُ في أساسِه وفي بعضِ نصوصه يَتَّفقُ مع أحكامِ الشريعة الإسلامية»[١].

فهو هنا يقول: «إنَّ القانونَ متَّفقٌ مع الشريعة في بعضِ أحكامِه لا كلِّها».

☐ وأُحِبُّ أن أنقُلَ للقارئِ الكريمِ شيئًا من المناقشة التي جرَت بين «حامد بك» و«السنهوري» في «مجلس الشيوخ المصري».

ـ قال حامد بك زكي: إن الجزءَ العامَّ في القانون خاصٌّ بنظريةِ الالتزامات ومصادرها، وهذا الجزءُ ـ على ما أذكُر ـ قد تناولته المواد من (٩١ إلى ٤٥٠)، فهو كلُّه أوربيٌّ أي: رُومانيٌّ.

ـ معالي السنهوري باشا: إنه قضاءٌ مِصريٌّ متَّفقٌ مع الشريعة الإسلامية[٢].

ـ حامد بك زكي: أنا عندما أقول: «إنه أوربي»، إنما أعنِي بذلك أنه رُوماني.

ـ معالي السنهوري باشا: قلْ ما شئت، والمهمُّ أنني أقول: إن هذا إنما هو قضاءٌ مصري.

ـ حامد بك زكي: أُريدُ أن أصلَ إلى القولِ بأن الأحكامَ الخاصةَ

---

(١) المصدر السابق (١/ ٩٠).

(٢) هذا الاتفاق لا قيمةَ له، فإن الشريعةَ الإسلاميةَ وِحدةٌ منسجمة مستقلَّة، وما يلاحَظُ بينها وبين غيرها فإنما هو اتفاقٌ عَرَضي، ثم إن هذه القوانين ـ كما يقول الدكتور محمد عبدالجواد ـ مهما نُقلت أو اقتُبست من الشريعة لا تزال تحتفظُ بأصولها الأجنبية، راجع «بحوث في الشريعة والقانون» (ص٣٩).

بالعقودِ إنما هي تطبيقاتٌ للأحكامِ الواردة في باب الالتزامات تحت اسم «العقود»، وأنا ـ من هذه الناحية ـ أُعلِنُ صراحةً أن المشروعَ إنما هو مشروعٌ أوربيٌّ بَحْتٌ، وأُعلِنُ أنني أوافقُ على هذه الفِكرة، ولكنْ أُريدُ أن أَصِلَ إلى القولِ بأنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ قد رُجِعَ إليها في بعضِ المسائِلِ الخاصَّة باستلهامٍ بعض أحكامها.

ـ الرئيس: إذا نظرنا إلى العلاقاتِ بين الأفراد منذ الخليقةِ الأبديَّة، نَجِدُ أن فلسفةَ الحياة الموضوعيةَ تتقارب[1].

لقد كان حامد زكي صريحًا عندما أَعلن أمرين:

الأول: أن القانونَ المدنيَّ قانونٌ أوربيٌّ رومانيٌّ بَحْتٌ.

والثاني: أنه راضٍ عن هذا، وأنه لا يَرضى بأن تكونَ الشريعةُ الإسلاميةُ مصدراً للتشريع، وقد وَضَّح رأيه هذا في بقية المناقشة.

أما الدكتور السنهوري، فإنه يريدُ أن يَجعلَ القانونَ المأخوذَ من القوانين الأوربية موافقًا للشريعة الإسلامية[2].

لقد كان رجالُ القانونِ الذين وَضعوا هذا القانونَ يَعرِفون أن القانونَ بعيدٌ عن الشريعة الإسلامية، ولكنهم كانوا يخافُون من ثورةِ الأُمةِ وانتقادِ العلماء.

---

(١) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٩١).

(٢) هذا الذي قام به السنهوري لا يأبى أضل أهل الأرض عن القيام به، فالكفار لا يمتنعون من الاقتباس من الشريعة، فالمستشرق «سانتيدانا» وضع الكثير من قواعد فقه المذهب المالكي في «مجلة الالتزامات والعقود التونسية» التي صدرت سنة ١٩٠٦ في عهد الاحتلال الفرنسي.

□ يقول رئيس: «اللجنة القانونية لمجلس الشيوخ» لدىٰ مناقشةِ مشروع القانون[1]: «وقد قُلنا كلُّنا: إنَّ إغفالَ الشريعةِ الإسلاميةِ من شأنِه أن يَعملَ هيجانًا كبيرًا في الأفكار، ولَمَّا وَجَدْنا أن المشروعَ لا يقولُ بما يخالِفُ الشريعةَ الإسلامية قلنا: نُقدِّمُ الشريعةَ الإسلاميةَ علىٰ القانون الطبيعي»[2].

فالتقديم للشريعة إنما كان خَشيةَ هياج الأفكار!!.

*** العلماءُ الأوربيُّون يُقرِّرون ألاَّ لِقاءَ بين القانونِ الأوربيِّ والإسلاميِّ:**

لا يَجوزُ لِمُنْصِفٍ صادقٍ في حديثِه أن يَزعُمَ أن قانونًا أُخذت أصولُه من القانونِ الرومانيِّ، وأُخذت نصوصُه مِن أكثرَ من عشرينَ قانونًا أوروبيًّا: أنه قضاءٌ يَتَّفقُ مع الشريعةِ الإسلامية، يقول «فتزجيرالد» Fitz Gerald ـ وقد كان أستاذَ القانونِ الإسلاميِّ في مدرسة «الدراسات الشرقية والإفريقية بلوندرا» ـ، يقول في مقالٍ نَشَره في مجلة «القانون الفَصْلية الإنكليزية» عدد يناير ١٩٥١م: «الواقعُ أن النِّظامَين ـ الروميَّ والإسلاميَّ ـ متضادَّانِ إلىٰ حدٍّ لا يمكنُ معه التوفيقُ بينهما فيما يتعلَّقُ بالمسائل الأساسية، وهي المأخَذُ الصحيحُ للقانون، فالقانونُ الإسلاميُّ هو قانونُ اللَّهِ المُشرِّعُ الوحيد، ولا سُلطةَ لأيِّ أميرٍ في وَضْعِ القوانين، ومَشيئةُ العوامِّ لا اعتبارَ لها، إلاَّ إذا مَثَّلت إجماعًا عامًّا كافيًا»[3].

---

(١) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٩٢).

(٢) هذا هو الدافع لوضع المادة التي جعلت الشريعة المصدر الثالث، أفيليق بالسنهوري ورجال القانون أن يملئوا الدنيا ضجيجًا بأنهم أنصفوا الشريعة؟! ولسان حالهم بل لسان المقال يقول: مُكرهٌ أخاك لا بطل.

(٣) انظر كتاب «هل للقانون الرومي تأثير علىٰ الفقه الإسلامي» (ص١٦٥).

ﷻ ويقول أيضًا: «الشريعةُ ـ كما ذكرنا مِن قبلُ ـ تختلفُ اختلافًا أساسيًّا عن القانون الرومي ـ سـواءٌ في طبيعـتِها، أو في غَرَضِها ـ، فالقانونُ الروميُّ ـ حتىٰ في خالِصِ ناحيتِـه المجـرَّدة والعِلميَّـة ـ ليس إلاَّ قانـونَ العلماءِ القانونيين، أو كما يُقال في المثل اللاتيني: «كلُّ قانونٍ وُضع، فإنه وُضع بسببِ إنسان»، أمَّا القانونُ الإسلاميُّ، فهو ـ أولاً وقبلَ كلِّ شيءٍ ـ نظامُ أهلِ دينٍ يُطبِّقُون الأحكامَ (الموجودة) علىٰ الوقائع، وغَرَضُهم وَصْلُ كلِّ نَفْسٍ إنسانيةٍ باللَّه تعالىٰ..»[1].

إنَّ الفقهَ الإسلاميَّ ـ وهو قانونُ المسلمين ـ جُزءٌ من الدينِ الإسلاميِّ لا يَنْفَكُّ عنه.. أمَّا القانونُ الوضعي، فهو عِلمٌ ماديٌّ من أمورِ الدنيا.

ﷻ يقول المستشرق الإيطالي «نالينو» Nallino: «جَعَل المسلمون الفِقهَ جزءً من عِلمِ الدين لا يَنفكُّ عنه، ولم يَجعلوه عِلْمًا ماديًّا من أمورِ الدنيا»[2].

ﷻ ولقد تَصَدَّىٰ الشيخُ حَسن الهُضيبي ـ رحمه اللَّه ـ لهذا القانون في «مجلس الشيوخ المصري» لدىٰ مناقشته سنة ١٩٤٨م، وكان فارسَ الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وقال: «اعتقادِي في أنَّ التشـريعَ في بـلادنـا كلِّها ـ وفي حياتِنا جميعًا ـ يجبُ أن يكونَ قائمًا علىٰ أحكامِ القرآن، وإذا قلتُ: «القرآن»، فإنِّي أعنِي كذلك ـ بطبيعةِ الحال ـ سُنَّةَ الرسولِ ﷺ؛ لأن طاعته من طاعةِ اللَّه».

نعم، يجبُ أن يكونَ هذا المصدران هما المصدرانِ لكلِّ تشريعٍ، فإذا ما

---

(١) المرجع السابق (ص١٦٦).

(٢) المرجع السابق (ص٢١).

أَرَدْنا أن نأخذَ شيئًا من التشريعات أو النُّظُمِ الأجنبية، فيجبُ أن نردَّها أولاً إلى هذين المصدرين.

* قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

فإذا كان هذا التقنينُ صادراً عن أحكامِ القرآن والسُّنة، كان بها، وإلاَّ فيجبُ أن نرفضَه رفضًا باتًّا، ونَردَّ أنفُسَنا إلى الحدودِ التي أَمَر اللَّهُ بها»[1] اهـ.

□ وخلاصةُ القول في هذا القانون: «إنه قانونٌ بعيدٌ عن الشريعة الإسلامية، وإنه قد أقرَّ أعيُنَ الكافرين، وأدمى قلوبَ المؤمنين، لقد خَدَعَنا أعداءُ الإسلام عندما سَمَحوا لنا أن نُغيِّرَ القانونَ الفرنسيَّ، وقالوا لنا: خُذُوا قوانينَكم من أيِّ قانونٍ شئتم، إلاَّ أن يكونَ القانونُ المُحَكَّمُ هو الشريعةَ الإسلامية، فظنَنَّا أننا بذلك نِلْنا استقلالَنا.

لقد سَمَح الكُفَّارُ لنا بصياغةِ قوانيننا بعد أن وَجدوا رِجالاً رَضَعوا ثقافتَهم وأُعجِبوا بقوانينهم، وبعد أن رضينا بإقصاءِ شريعة اللَّه.

لقد حَكَّم السنهوريُّ ـ واضعُ القانون المدني ـ «في رقابِ المسلمين قانونًا وَضَعَه هو، واستمدَّه من أكثرَ من عشرينَ قانونًا، بعد أن كان يَحكُمُ في رقابنا قانونٌ مترجَمٌ هو قانون «نابليون»، والقوانينُ الوضعيةُ عندنا سواءٌ الذي يضعُه نابليون، أو أبو جهل العربي، أو السنهوري، فكلُّ القوانين الوضعية تُحادُّ شريعةَ اللَّه، ونحن نريدُ أن نتحاكَمَ إلى ما أنزله اللَّهُ لا إلى ما

---

(١) انظر «الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية» للشيخ عمر الأشقر (ص١٢٣ ـ ١٤٦) ـ دار النفائس.

وَضَعه البشرُ.

قد يكونُ في القوانين الوضْعيَّةِ قانونٌ أفضلُ من قانون، ولكنها جميعًا مرفوضةٌ عند المسلم الصادق؛ لأنها اعتداءٌ على ألوهيَّةِ اللَّه وحُكمِه»[1].

◻ ونختمُ بما قال السنهوري: «السيادةُ في القانونِ الإسلاميِّ للَّهِ وحده، ولكنه يُفوِّضُها للأُمَّة ـ كلِّ الأمة ـ، وليس لشخصٍ، ولا لأيِّ مجموعة من الناس أيًّا كانت».

◻ قال الدكتور عمر الأشقر بعد أن رَدَّ شُبَهَ السنهوري وأمثالِه: «لا يَخفى على المسلم ما في هذه الأقوالِ من كفرٍ وضلال»[2].

*** أحمد بهاء الدين الماركسي: تشريعاتُ الإسلام لا تَلْزَمُ عصرَنا ومجتمعَنا:**

ومن شانئي النبيِّ ﷺ: شانئُ الشرع الذي جاء به أحمد بهاء الدين الصحفي الماركسي الذي صال وجال في «الأهرام» أيامَ الفترة الناصرية، هو و«هيكل ولويس عوض وتوفيق الحكيم وحسين فوزي ونجيب محفوظ»!!.

◻ يقول أحمد بهاء الدين: «لابدَّ من مواجهة الدعواتِ الإسلاميَّةِ في أيَّامنا مواجهةً شُجاعةً بعيدًا عن اللفِّ والدوران، وإنَّ الإسلامَ ـ كغيرِه من الأديان ـ يَتضمَّنُ قِيمًا خُلُقيَّةً يُمكن أن تُستَمَدَّ كنوعٍ من وازعِ الضمير، أما ما جاء فيه من أحكامٍ وتشريعات دنيويةٍ، فقد كانت من قَبيلِ ضَرْبِ المَثَل، ومن بابِ تنظيمِ حياةٍ نزلت في مجتمعٍ بدائيٍّ إلى حدٍّ كبير، ومِن ثَمَّ فهي لا تَلْزَمُ عَصْرَنا ومجتمعَنا»اهـ.

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص١١١) ـ الطبعة الثانية.

ولا تعليقَ على هذا الكفرِ الصارخ.

*** محمد أحمد خلف يَسيرُ على درب أستاذه أمين الخولي، ويَزعُمُ أن القرآنَ يحوِي الأساطير، ويهاجمُ الشريعة:**

▢ محمد أحمد خلف اللَّه هو القائل: «ما عدا القرآن - يَقصِدُ السُّنَّةَ المشرَّفةَ - فِكرٌ بَشَرِيٌّ نتعاملُ معه بعقولنا، وتفسيرُ رسولِ اللَّه للقرآن قولُ بشر»[1].

▢ محمد أحمد خلف اللَّه هو القائل: «إنَّ النصَّ القرآنيَّ إنْ لم يكن قادراً على تحقيق المصلحةِ تَرَكْناه، ولجأنا إلى الفِكرِ البشري، فإنَّ مَدَارَ النصوصِ على المصالحِ، فهي أصلٌ والنصوصُ فرع»[2].

كتب محمد أحمد خلف اللَّه «الفن القصصي في القرآن الكريم» بتوجيهٍ ومباركةٍ من شيخه أمين الخولي، فوصف قَصصَ القرآنَ بالخرافة، وزَعَم أن القرآنَ نفسَه لا يَنفِي أنه يحوي أساطير!!!.

▢ «ومِمَّا يُذكَرُ أنَّ محمد أحمد خلف اللَّه قد خاض بعد ذلك في مَيدانٍ آخَرَ يهاجِمُ فيه الإسلامَ، وهو موضوعُ الشريعةِ الإسلامية»[3].

▢ يقول محمد أحمد خلف اللَّه: «إنَّ القرآنَ يتقوَّلُ على اليهود، ويُنطِقُهم بما لَم يَنطِقوا به، ويتقوَّلُ أموراً لم تَحدُث، ويُقرِّرُ أمراً خُرافيًّا أو أسطوريًّا، ثم يعود فيقرِّرُ نقيضَه ويُغيِّرُ الواقعَ، ويُبدِّلُ ويَزيدُ ويَنقصُ،

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٤٠).

(٢) «اليسار الإسلامي» (ص٣٤).

(٣) «محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» «المجلد الرابع» للأستاذ أنور الجندي (ص٥٣٥ - ٥٣٦) - دار الأنصار - القاهرة.

بحكمِ هذه الحريَّة الفنيَّة».

ومِن مفاسِدِ هذه الرسالة اعتبارُها أنَّ مصادرَ القصصِ القرآني هي التوراةُ والإنجيلُ والأقاصيصُ الشعبيةُ، وما امتَزَج بها من عناصرَ فارسيةٍ وإسرائيليةٍ، وأنه جرَىٰ خَلْفَ قساوسةِ المستشرقين أمثال «مرجليوث»، حتىٰ إنه لم يُدرِكْ ما هنالك من تناقضٍ بين نسبةِ القرآن إلىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ والحكمِ علىٰ قَصصِ القرآن بأن أكثَرَه غيرُ صحيح.

◻ يقول الأستاذ أحمد الشايب في دراسة عن حياته العلمية (١٩١٣ - ١٩٧٠): «أُشيرُ في إيجازٍ إلىٰ هذه المعركة العلميَّة التي دارت في «كلية الآداب»، عام ١٩٤٧ حولَ مشروعِ رسالة «الفن القصصي في القرآن الكريم» تقدَّم به طالبٌ يُدعىٰ محمد أحمد خلف اللَّه، بإشراف الأستاذ الشيخ أمين الخولي، وتأييدِه والدفاعِ عنه.

وقد قام هذا المشروعُ علىٰ أساسٍ أن محمداً ﷺ مؤلِّفُ القرآن، وأنَّ القرآنَ في قَصَصِه لم يَتحرَّ الصدقَ، وأنه كان يُغيِّرُ ويُبدِّلُ في القَصص نزولاً علىٰ ظروفِه الخاصَّةِ التي كانت تحيطُ بالدعوة الإسلامية، وأنَّ محمداً ﷺ في القَصص القرآني الكريم كان يَخلُقُ من الحوادثِ ما لم يَقَعْ، ويُصوِّرُه علىٰ أنه الواقعُ التاريخيُّ.. إلىٰ نحوِ ذلك ممَّا لَم يستنِدْ إلىٰ برهانٍ علميٍّ، وإنَّما كان مُجاراةً للمبشِّرين.

وقد شَغلت هذه المسألةُ الجهاتِ الجامعيَّةَ والأزهريَّةَ والبرلمانيَّة، والصحافةَ، ومجلسَ الدولة، وقد رَفَض أحمد الشايب هذا المشروعَ، إذْ كان مُعيَّنًا لفحصِه، وبرأيه أَخَذَتْ كلُّ الهيئاتِ المذكورة، وقد أُبعد صاحبُه عن الجامعة».

◻ عامَلَك اللّه ـ يا محمد أحمد ـ بما تستحقُّ، إذ تقول بالنصِّ في رسالتك: «إنَّ القَصَصَ القرآنيَّ لَم يُراعِ الحقيقةَ التاريخيَّة»!!.

◻ وقولُك (ص٢٦ سطر ١٠): «إنَّ القرآن أنطَقَ اليهودَ بما لم ينطِقوا به، وذلك في قوله تعالىٰ في سورة «النساء»: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ [النساء: ١٥٧]».

◻ وفي (ص٦٦) تُقرِّرُ عن قوله تعالىٰ في سورة «المائدة»: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أن هذا القولَ وهذا الحوارَ تصويرٌ لموقفٍ لم يحدُثْ بعدُ، بل لعلَّه لن يحدث!!.

◻ وفي (ص٨٩) تُقرِّر أن قصَّة موسىٰ عليه السلام في سورة «الكهف» لم تَعتمِدْ علىٰ أصلٍ في واقعِ الحياة!!.

وفي هذا مخالفةٌ ظاهرة لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]، ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١].

◻ لقد لَقِيَ قولُ محمد أحمد خلف اللّه «دَعْمَ وإعجابَ كثيرٍ من المشبوهين ومن المستشرقين الذين انبَرَوْا للدفاعِ عنه وتقريظِه، حتىٰ إنَّ «ج بالجون»، و«ج ـ جومييه» ـ من القساوسة الدومينيكان ـ وصَفَاه بأنه البحثُ الوحيدُ الذي يُمَثِّلُ «الاستنارةَ الحقيقيةَ في الفكر الإسلامي عن حركةِ المجتمع العربيِّ المعاصر»، وقَصَرَ القرآنَ علىٰ العبادات والمساجدِ كضرورةٍ حتميةٍ لتقدُّم المجتمع العربي»[1] !!.

(١) انظر «الوعي الإسلامي» من مقالة للأستاذ جمال سلطان، و«اليسار الإسلامي» (ص٣٤ ـ ٣٥).

◻ يقول محمد أحمد خلف اللَّه عن الأنبياء: «إنهم أبطالٌ وُلِدوا في البيئة، وتأدَّبوا بآدابها، وخالَطوا الأهلَ والعشيرةَ، وقَلَّدوهم في كلٍّ ما يُقال ويُفعَل، وآمنوا بما تؤمِن به البيئةُ من عقيدة، ودانوا بما تَدِينُ به من رأيٍ، وعَبَدوا ما تعبُدُ من آلهةٍ».

◻ ويقول الشيخ محب الدين الخطيب: «ما ذهب إليه المؤلِّفُ في هذه الرسالة تلميحٌ بتكذيبِ النبيِّ ﷺ في أنَّ القرآنَ مُوحًى إليه من اللَّه عزَّ وجلَّ، وزَعْمٌ أنه من تآليفِ محمدٍ ﷺ، وأن ما فيه من القَصَصِ عملٌ فنيٌّ خاضعٌ لِمَا يَخضعُ له الفنُّ مِن خَلْقٍ وابتكارٍ، مِن غير التزامٍ بصدقِ التاريخ!!.

والواقع أن محمداً ﷺ «فنَّانٌ» بهذا المعنى، وأن الأنبياءَ «أبطال» وُلِدوا في البيئة وتأدَّبوا بأدبها، وخالَطوا الأهلَ والعشيرةَ، وقَلَّدُوهم في كلٍّ ما يُقال ويُفعَل، وآمنوا بما تؤمن به البيئةُ من عقيدة، ودانوا بما تَدينُ به مِن رأيٍ، وعَبَدوا ما تَعبُدُ مِن إلهٍ، هذا ما ذهب إليه المؤلِّف، وكَذَب».

كما زَعَم أنَّ القرآنَ مُتناقِضٌ، فكان يُقرِّرُ أولاً أنَّ الجنَّ تَعلمُ بعضَ الشيءِ، ثم لَمَّا تقدَّم الزمنُ قَرَّر أنهم لا يَعلَمون شيئًا!!، وأنَّ قصةَ موسى في سورة «الكهف» لم تَعتَمِدْ على أصلٍ من واقعِ الحياة، بل ابتُدِعت على غيرِ أساسٍ من التاريخ»!! اهـ.

◻ وقد طَلَب الدكتور عبدالرزاق السنهوري ـ وزيرُ المعارف حينذاك ـ إلى الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه اللَّه ـ فَحْصَ هذه الرسالةِ، وكتابةَ تقريرٍ عنها؛ فإذا بهذا التقريرِ يَدْمَغُها بالكفرِ والجَهلِ والفسادِ؛ لأنها قامت على أُسسٍ فاسدةٍ وأنها غارقةٌ في تكذيبِ القرآن، وأنَّ كاتبَها افترى على العلماء، وأنه جاهلٌ لا يَفهمُ النصوص.. وخَتَم تقريرَه: بأَنْ تُطهِّرَ الجامعةُ

من هذه الدراسةِ التي تُنافِي الحريةَ العِلميَّة وتنتهي إلى الفوضى، وتَهدِمُ الأصولَ الإسلاميةَ في هذا البلد الإسلامي.

كما أفتى أكثرُ من مئةِ عالمٍ أزهريٍّ في طائفةٍ كثيرةٍ من نصوصِ هذه الرسالة بأنها مُكفِّرةٌ يَخرجُ بها صاحبُها عن الدين الإسلامي.

*** تغريد عنبر، ثمرةٌ مُرَّةٌ من شجرة الحنظل - مدرسة أمين الخولي - ورسالتُها «أصوات المَدِّ في تجويد القرآن»:**

زَعَمت «تغريد عنبر» أن رسول اللَّه ﷺ كان يُغيِّرُ ويُبَدِّلُ في القَصَصِ القرآنيِّ، وأن النصَّ القرآنيَّ لم يتعرَّضْ للتغيير والتبديل على يدِ رسولِ اللَّه وحدَه، بل تَعَرَّض لهذا التغيير والتبديلِ على أيدِي الصحابة، ولَمَّا طالَبَ الدكتور محمد محمد حسين الجامعةَ بالتوقُّفِ عن مَنْحِ الدرجة واستجابت الجامعة، شنَّعَ أعوانُ الشرِّ على الدكتور محمد محمد حسين، وتولَّى كِبْرَ هذه الحملة مجلة «المصوِّر» التي يُشرف عليها محمود أمين العالم، وتزَّعَمَت الحملةَ «أمينة السعيد» بمقالاتٍ بدأت في «مجلة المصور» في ١٩٦٦/٥/٢٧.

◻ وزعمت تغريد عنبر أن القرآن ليس مُنَزَّلاً من عند اللَّه بلفظِه، ولكنه مُنَزَّلٌ بمعناه، فجاء في (ص١٠ سطر ٤): «ويبدو ليَ الأمرُ على النحو التالي: حين نَزَلَ القرآنُ في أولِ عَهدِه، كان الهدفُ الأولُ للمسلمين نَشْرَ الدعوةِ الإسلامية، وطبيعيٌّ أن يتركَّزَ الاهتمامُ على الفِكرةِ، وأنْ يَنشغلَ بها الجميع، فكان الرسولُ يَقرأُ النصَّ ويُغيِّرُ فيه حَسْبَ الظروف(!!)، ويَسمحُ لِمَنْ يَقدِرُ عليه بقَدْرٍ من المخالفة، وكذلك الأمرُ فيما يتعلق بالأداء» (!!).

◻ ويقول الدكتور محمد محمد حسين: «زَعَمت الطالبةُ أن المسلمين لم يَتَّفِقوا على نص موحَّدٍ للقرآن، وكلُّ ما وَصَلوا إليه - في زعمها - هو شيءٌ يُشبِهُ النصَّ المُوَحَّد، فكانوا حين يُردِّدُون القرآنَ يَحرِصون - حَسْبَ تعبيرها - على الاتفاقِ على ما يُشبِهُ النصَّ الموحدَّ، وقَبِلَ منهم الرسولُ ﷺ ذلك؛ لأنه كان مُطمئنًّا إلى أنَّ التحريفَ لن يدخلَ القرآنَ، فلُغَتُه العربية بين قومٍ يتكلَّمون بها، وفي الغالب لم يَكُنِ الفردُ من الصحابةِ ليُغيِّرَ النصَّ في كلِّ مرَّةٍ يَقرأ بها» (ص١٣ سطر ١٤).

◻ وتعودُ الطالبةُ إلى تأكيدِ تلك المزاعِمِ الفاسدة، فتقول (ص٣٧ سطر٧): «وعَرْضُ الأمرِ على هذا النحو يُساعِدُ على هَدْمِ فكرةِ التوقيف في قراءةِ القرآن، تلك الفكرةُ التي لا يُقرِّهُا الدرسُ اللغويُّ أو الواقعُ التاريخي، ومن الواضحِ أن نَفْيَ فكرةِ التوقيفِ هو نفيٌ لتواتُرِ القرآن»[1].

*** الدكتور صادق العَظْم، من كِبارِ المنكِرين لثوابتِ الدينِ في كتابه «نقد الفكر الديني»:**

◻ يقولُ هذا القِزمُ في كتابه: «نقد الفكر الديني» وكلُّه كُفريَّاتَ: «إنَّ الملائكةَ والجنَّ وإبليسَ كائناتٌ أسطوريَّة، وإنَّ الإسلامَ نقيضُ العلم، وإنَّ قصَّةَ آدَمَ وحوَّاءَ في القرآن أسطورة».

◻ يقول: «هل يُفترَضُ في المسلم - في هذا العصر - أن يَعتقِدَ بوجودِ كائناتٍ مثلِ الجنِّ والملائكةِ وإبليسَ وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وجودًا حقيقيًا غيرَ مرئيٍّ باعتبارِها مذكورةً كلِّها في القرآن؟!، أم يَحِقُّ له أن يعتبرَها كائناتٍ أسطوريةً، مَثَلُها مَثَلُ آلهةِ اليونان وعَروسِ البحر والغُول

(١) «حصوننا مهددة من الداخل» للدكتور محمد محمد حسين (ص٢٥٢، ٢٦٧، ٢٦٨).

والعنقاء؟ يا حبَّذا لوْ عالج المُوَفِّقون بين الإسلامِ والعِلمِ مِثلَ هذه القضايا المُحَدَّدة، وأعطَونا رأيَهم فيها بصراحةٍ ووضوحٍ بدلاً من الخطابة حول الانسجام الكاملِ بين العلمِ والإسلام».

▫ ويقول في كتابه «الشيطاني» (ص٣٦): «يُشدِّدُ القائلون بالتوافق التامِّ بين الإسلامِ والعلمِ على أن الإسلامَ دينٌ خالٍ من الخرافات والأساطير، باعتبار أنه هو والعلمُ واحدٌ في النهاية.. لِنمحِّصْ هذا الادعاءَ التوفيقيَّ بشيءٍ من الدِّقةِ بإحالته إلى مسألةٍ محدَّدةٍ تمامًا.

جاء في «القرآن» مثلاً: أنَّ اللَّه خلَقَ آدمَ من طين، ثم أَمَر الملائكةَ بالسجود له، فسجدوا إلاَّ إبليسَ، مما دعا اللَّهَ إلى طردِه من الجنة.. هل تُشكِّل هذه القصَّةُ أسطورةً أم لا؟!.. نُريدُ جوابًا مُحَدَّدًا وحاسمًا من المُوَفِّقين ـ وليس خطابةً ـ.. هل يُفترض في المسلم أن يعتقدَ في «النصف الثاني من القرن العشرين» بأنَّ مِثلَ هذه الحادثةِ وَقَعت فعلاً في تاريخِ الكَون؟ إنْ كانت هذه القصةُ القرآنيةُ صادقةً صِدْقًا تامًّا، وتَنطبقُ على واقعِ الكون وتاريخِه، فلابدَّ من القولِ: إنها تتناقضُ تناقضًا صريحًا مع كلِّ معارفِنا العِلمية، ولا مَهْرَبَ عندئذٍ من الاستنتاج بأنَّ العِلمَ الحديث على ضلالٍ في هذه القضية، وإنْ لم تنطبِقِ القصةُ القرآنيةُ على الواقع، فماذا تكونُ إذن «في نظر الموفِّقين» إن لم تكن أسطورةً جميلة»[1].

وهذا القولُ الكُفريُّ هو قولُ المشركين قديمًا، الذين قالوا عن القرآن: إنه أساطير الأولين!!.

---

(١) «كلهم سلمان رشدي» (ص٢٣ ـ ٢٤).

* صلاح چاهين، الماركسِيُّ العِلمانيُّ، الكارهُ للإسلام:

يومَ أن وَقَفَ الشيخ الغزالي في المؤتمر القوميِّ العامِّ الذي عُقِد سنة ١٩٦٢م في القاهرة، ودعا الشيخُ إلىٰ وجوب التحريرِ من الاستعمار التشريعيِّ بالرجوع إلىٰ أحكامِ الشريعة، وعَرَّج الشيخُ في نهايةِ كلمتِه علىٰ ضرورة التخلُّصِ من التقليد والتَّبَعيَّةِ في الأزياء، وأن يكونَ للأمةِ أزياؤها الخاصَّةُ بها، سواءٌ ما يتعلَّقُ بالرجالِ أو النساء، وضرورةِ عودةِ المرأةِ إلىٰ الاحتشام(١).

◻ «وهنا ثارت ثائرةُ الشيوعيِّين والمنحلِّين وأعداءِ الإسلام المتسترِّين بالثورة والمحتمِين بحماها، وكتب رَسَّامُ الكاريكاتير الملحد المعروف بـ «صلاح چاهين»، المحرِّر بـ «الأهرام» ما كَتَبَ من سخريةٍ بالشيخ وكلامه، وما يرمزُ إليه من بقاءِ الإسلام والأزهر.

◻ نَشَر صلاح چاهين المعروف بانتمائه الشيوعيِّ ١٤ رسمًا ساخرًا تحت عنوان «تأمُّلات كاريكاتورية في المسألة الغزالية»، إنْ دلَّتْ علىٰ شيء، فإنما تَدُلُّ علىٰ أن كلمةَ الغزالي قَلَبَتْ موازينَهم، وأصابت منهم مقتلاً، وهو فردٌ، وهم ألوفٌ معهم الدولة والسلطانُ والصحافةُ والإعلام.

◻ وقد بَلَغَ التبجُّحُ بصلاح چاهين أن بعضَ الناس قالوا له: «كيف تهاجمُ الإسلامَ ورجالَه، وهو دينُ الدولةِ الرسميِّ؟ فقال لهم: إذا كان الإسلامُ دينَ الدولةِ فسأحاربُ الدولة».

◻ ولقد غاظ الجماهيرَ المسلمةَ أن يتعرَّض شيخُها لهذه السخرياتِ من

(٢) «الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٥٩ ـ ٦٠) للشيخ القرضاوي.

صحفيٌّ مُلحدٍ أثيم، فخرجت يومَ الجمعة ١/٦/١٩٦٢م من «الجامع الأزهر» في صورةِ مظاهرٍ شعبيةٍ غاضبة مزمجِرة، ضَمَّت عشراتِ الألوف، وقد اتَّجَهتِ الجموعُ الصاخبةُ إلىٰ دار «الأهرام» القديمة تُعلِنُ احتجاجَها وسُخْطَها.

◻ لقد سَخِرَ الشيوعيُّ جاهين من عِمامةِ الشيخ الغزالي، ولكنَّ الشيخ وقف في المؤتمر في اليوم التالي يقول جَهْرةً: «إن تحتَ هذه العمامةِ رأسُ مُفكِّرٍ، كان يُحارِبُ الظُّلمَ والإقطاع، أيامَ كان أمثالُ هذا الكاتبِ قَوَّادينَ لفاروق».

*** عبدُالرحمن الشرقاوي، يُسوِّدُ كتابه «محمد رسول الحرية»، ويَنسِبُ القرآنَ إلى رسول الله ﷺ:**

قَدَّم الشيخُ محمد أبو زهرة تقريراً إلىٰ المسؤولين، وسَجَّل فيه تعمُّدَ إساءةِ عبدالرحمن الشرقاوي إلىٰ الرسالة المحمدية وجوهرِ العقيدة، وبرغمِ خطورةِ ما ورد في التقرير، لم يَلْقَ حَظَّه من النشرِ في وسائل الإعلام علىٰ نطاقٍ واسع، ولم يَلتفتْ إليه المسؤولون.. وبَقِيَ الكتابُ ـ المذكور أعلاه ـ متداوَلاً بالأسواق إلىٰ وقتنا الحاضر، وعلىٰ الصفحاتِ التاليةِ نَعرِضُ الحقائقَ التي تَعمَّد عبدُالرحمن الشرقاوي بها الإساءَة إلىٰ الرسالة وصاحبِ الرسالة، وذَكَرها الشيخ أبو زهرة في تقريره[1].

وللأمانة التاريخية، فإنَّ تقريرَ الشيخ أبي زهرة أولُ مَن حَصَلَ عليه

---

(١) انظر «جيل العمالقة» لأنور الجندي (ص٢٢٦ ـ ٢٤٠)، و«أبو زهرة إمام عصره» (ص١٦٣ـ١٧٢).

الأستاذ «محمد نعيم» من الشيخ أبي زهرة قبلَ وفاته، وقد احتَفظ به حتى أُتيحت له فرصةُ نشره في «الاعتصام» عام ١٩٧٥م، وهو الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن:

* **اتّجاهٌ غيرُ ديني!:**

◻ يقول الشيخ أبو زهرة في مستهلِّ تقريره: «أن الكتابَ لم يَسْلَمْ من الخطأ، أو بالأحرىٰ كان له اتجاهٌ غيرُ دِينيٍّ، وفي دراستِه فهو ما دَرَس محمداً ﷺ علىٰ أنه رسولٌ يُوحَىٰ إليه، بل علىٰ أنه رجلٌ عظيمٌ له آراءُ اجتماعيةٌ، فسَّرها الكاتبُ علىٰ ما يُريد، وقد تكونُ هذه الكتابةُ مفيدةً لقومٍ يُصغِّرون من شأنِ محمدٍ، ويُهوِّنون من أمره، فتُزيلُ عنه ما يتوهَّمون، وتُبيِّنُ أن له شأنًا ومقامًا في تفكيرِه ومنحاه، وإذا لم تكنِ الكتابةُ صادقةً من كلِّ الوجوه، فهي في ذاتها تصويرٌ حَسَنٌ في الجُملة لغيرِ المسلمين، وفي هذه الحال فقط.

وأما نَشرُ هذه الكتابة بين المسلمين الذي يَعرِفون مَقامَ النبيِّ ﷺ عند اللَّه، ومقامَ الرسالةِ الإلهيةِ التي يَحمِلُها النبيُّ ﷺ، والتي هي مَصدرُ عِلمِه، فإنه لا فائدةَ فيها من جهةٍ، وتوهينٌ للعقيدةِ الإسلامية من جهةٍ ثانية، وهي غيرُ صادقةٍ من جهةٍ ثالثة.. وإذا بُرِّر نَشرُها بين غير المسلمين لتقريبِ نفوسِهم من مبادئ محمد، فنَشرُها بين المؤمنين باعثٌ علىٰ الفتنة، ومُنفِّرٌ للقلوب، ومُضعِفٌ للإيمان.

* **لماذا يقتطعُ جُملةً من آية؟!:**

وإنَّ أولَ ما يَلمَحُه القارئُ من الكتاب ـ بعد استيعابِه جُملةً وتفصيلاً ـ،

أنَّ الكاتِبَ يَقطعُ النبيَّ ﷺ عن الوحي، فكلُّ ما كان من النبيِّ من مبادئَ وجهادٍ في سبيلها، إنما هي مِن عنده، لا بوحيٍ من اللَّه تعالىٰ، وهي به بمقتضىٰ بشريَّتِه، لا بمقتضىٰ رسالته، ولعلَّ العنوانَ الذي اختاره للكتاب ـ مع إرادفِه بعنوانٍ آخرَ صغيرٍ ـ يُشيرُ إلىٰ بشريةِ النبيِّ ﷺ فقط، وهذا العنوان قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، فقد اختار هذه الجملةَ لِيُعلِنَ أنَّما وَصَلَ إليه النبيُّ ﷺ من مبادئَ جَاهَدَ لأجلها، إنما هو صادرٌ عن بشريةٍ كاملةٍ، لا عن نبوة!!.

ولكي يَتِمَّ له الاستشهادُ، اقتَطَع الجملةَ اقتطاعًا مِمَّا قَبْلَها ومِمَّا بَعْدَها، فإن هذه الجملة وردت في نَصَّينِ من نصوصِ القرآن الكريم، أولُهما: في سورة «الكهف»، وهو قول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وثانيها: في سورة «فُصِّلَت»، وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

ونرىٰ النصَّ الذي اختاره شِعارَ كتابِه مقطوعًا عمَّا قبلَه وما بعدَه، فما قبلَه هو قولُه تعالىٰ ـ يُخاطِبُ النبيَّ ﷺ بقوله ـ: ﴿قُلْ﴾، وهو يُصرِّحُ بخطابِ اللَّه تعالىٰ للنبي ﷺ، وما بعدَه هو قوله تعالىٰ: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، وقد أبعدَه ولم يأتِ به؛ لأنه لا يتَّفقُ مع غَرَضِه لأنه يَنفِي الوَحْيَ عن الحياةِ المحمَّدية.

*** الوحيُ في الغار كان مناميًّا:**

◻ وإن القارئ لَيسيرُ قليلاً في الكتاب، حتى يَجِدَ الكاتِبَ يَنفي الخطابَ السماويَّ للرسول، لا يَذكرُ أن جبريلَ خاطَبَ النبيَّ ﷺ في العِيان، فهو يقول عن أولِ نزولِ الوحي بالقرآن ما نصه: «ولكنه في تلك الليلةِ من رمضانَ أغفَى قليلاً ثم نام، فرأى مَن يَعرِضُ عليه كتابًا، ويَطلبُ منه أن يقرأَ، فقال: «ما أنا بقارئ»، ولكنه ألَحَّ عليه أن يقرأ، فسأله: «ماذا أقرأ؟»، فقال له: ﴿ **اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١: ٥]، وعندما استيقظ من نَومه كان يَحفظُ ما سَمِعه في النوم، ويَستوضحُ حُلْمَه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به هو بين اليقظةِ والنومِ كأنه يَسمعُ صوتًا بعيدًا يقول له: «أنت رسول اللَّه وأنا جبريل»..». (ص٦٨، ٦٩).

وإن تصويرَ الوحي بِالحُلْمِ في النوم يُخالِفُ ما أجمَعَ عليه المسلمون من أن جبريلَ عليه السلام كان يُخاطِبُ النبيَّ ﷺ بالعِيانِ لا في المنام.. نعم، قبلَ ذلك الخطابِ بقوله: «اقرأ» ونزولِ سورة «القلم»، كان الوحيُ يجيءُ إليه في رؤيا منامية، حتى إنه كان يَرى الرؤيا تَجيءُ في الصَّحْوِ مِثْلَ فَلَقِ الصبح - كما صرح البخاري -، ولكنْ لم تكن تُعتبر خطابًا من السماء، حتى نزولِ الوحي ومخاطبةِ جبريل الأمين عليه السلام الذي تردَّد ذكره في القرآن الكريم على أنه رسولُ اللَّه إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية إلى الأرض.

* **نسبةُ القرآن إلى النبيِّ ﷺ:**

وإنه إذ يَقطعُ الرسالةَ عن الرسول، ويَقطعُ الوَحْيَ عنه، يتَّجهُ إلىٰ القرآن، فيَذكرُ عباراتِه أحيانًا منسوبةً إلىٰ النبي ﷺ علىٰ أنها من تفكيرِه ومِن قوله ـ لا أنها قرآنٌ موحًىٰ بها، قائلُه هو اللَّه سبحانه وتعالىٰ ـ، وإن ذلك مبثوتٌ في الكتاب بكثرةٍ، ولْنضرِبْ علىٰ ذلك بعضَ الأمثلة:

* **إنذارُه عشيرتَه الأقربين:**

◻ ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه: «رأىٰ محمدٌ أن يَجمعَ أُسرتَه من بني عبدالمطلب، وأن يدعوَهم إلىٰ الإيمان بما جاء به، فليس أحبٌّ إليه من عشيرته الأقربين».

ونراه يذكرُ ذلك علىٰ أنه رأيٌ ارتآه، ويُغفِلُ الأمرَ القرآنيَّ الثابتَ، وهو قولُه تعالىٰ: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥].. فنراه في هذا الكلام الذي قاله يَنسِبُ كلَّ ما يكونُ بوحيٍ قرآنيٍّ إلىٰ أن رأيٌ رآه النبي ﷺ!!.

◻ وفي هـذا المَقـام اعترَض أبو لهـب عـمُّ النبـي ﷺ، فيَـذكُرُ ما نصَّـه في ذلك: «فاسمع يا أبا لهب، اسمع إذن ـ سمِعتَ الرعدَ ـ، تبًا لك أنت، تبًّا لك سائرَ يومِك وسائرَ حياتك، تَبَّت يدا أبي لهب وتب» (ص٨٣).

فنراه في هذا يَنسِبُ إلىٰ النبيِّ ﷺ قولَه تعالىٰ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾.

◻ وبهذا نرىٰ أنه ينسب هذه السورةَ إلىٰ النبيِّ ﷺ، لا إلىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ، ومثلُ ذلك جاء في (ص٨٧) من الكتاب، ففيها ما نصه: «تبًّا لها «أي لامرأة أبي لهب» كما تبَّت يدا أبي لهب، وتبَّت يدا أبي لهب، وتب، وأمرأته حمَّالةَ الحطب».

* **القتال في الشهر الحرام:**

◻ يذكرُ استنكارَ المشركين لأمرِ النبي ﷺ بأنه قاتَلَ في الأشهُرِ الحُرُم، ويَذكرُ الردَّ على أنه للنبيِّ ﷺ، فيقول في صفحة (١٨٣): «إنها لكبيرةٌ أنْ يقتل عبدُاللَّه ـ أي: ابنُ جحش ـ أحدًا في الشهر الحرام، ولكنَّ الفتنةَ أكبرُ من القتل، وصَدٌّ الناس عن البيت العتيق وإخراجُ أهلِه منه أكبر».

يذكرُ هذا الكلامَ منسوبًا إلىٰ النبي ﷺ علىٰ أنه من عنده، مع أنه من القرآن الكريم، واللَّه تعالىٰ يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* **أسرى بدر:**

◻ استشار النبيُّ ﷺ بعدَ غزوة «بدر» أصحابَه في شأنِ الأسرىٰ، فأشار عمرُ ﷺ بقتلهم، وأشار أبو بكر ﷺ بالعفو، وتوسَّطَ النبيُّ ﷺ، فاختار أن يُفتَدَوْا من أهلهم، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنبيِّه الحُكْمَ في أخذِه أسرىٰ والمعركةُ دائمةٌ مستمرةٌ؛ لأنه لا أسرىٰ إلاَّ بعد أن يَعجزَ العدوُّ عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧ـ٦٨].

◻ هناك في القضية عَمَلٌ من النبي ﷺ ولومٌ وتوجيهٌ من اللَّه، ولكنَّ الكاتِبَ يقولُ: إن النبيَّ ـ بعد تأمُّلٍ وتدبُّرٍ قرَّر خطأَ الفِداء، وهذا نصُّ كلامِهِ: «قد أطلَق كثيراً من الأسرىٰ، ولم يَعُدْ ـ أي: لم يَبْقَ ـ غيرُ قليل، فانقطع يُفكِّر، وخَرَج علىٰ أصحابِهِ يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يستمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يتركَ لقريشٍ أَسْرَاها لتستعينَ بهم علىٰ حَرْبه مرةً أخرىٰ، ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يُثخِنَ في الأرض» (ص٢٠٣ـ٢٠٤).

وبهذا يتبيَّنُ أنه يَرىٰ أنَّ هذا ليس وحيًا، ولكنه من تأمُّلاتِ النبيِّ ﷺ، وأنَّ القرآنَ من عندِ محمدٍ، لا من عند اللَّه!!.

* إبطالُ التبنّي من النبي ﷺ؟!:

◻ يَنسِبُ إبطالَ التبنِّي إلىٰ النبيِّ ﷺ، ولا يَنسِبُه إلىٰ اللَّه، مع أنه قد حُرِّم التبنِّي بقولِ اللَّه تعالىٰ في نصٍّ قرآني، إذ يقول سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤ـ٥].

* ويقول سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن

رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

◻ فهو يَذكرُ قصةَ «زيدِ بنِ حارثة» مع زوجِه «زينب بنت جحش»، وشكواه منها، وقولَ النبيِّ له: «أمسكْ عليك زَوْجَك»، ويُبيِّنُ أن الزوجَينِ أصبحا لا يُطيقانِ الاستمرارَ، ويَذكرُ إشاعةَ أن النبيَّ ﷺ طَمعَ في جَمالها، وما كان للنبيِّ أن يتزوَّج زَوْجَـةَ متبـنَّاه ـ لأنه ابنه ـ، ثم يقول: «ولكنَّ محمداً خَرَج يقول لهم: إنَّ المتبنَّىٰ ليس كالابن تماماً، فالولـدُ شـيءٌ آخَـر، وإنه إنما تزوَّج لكي يُدرِكوا هذا، ولكيلا يكون علىٰ المؤمنين حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم، فلا حاجةَ له بجمالِ زينب، ولديه عائشةُ وحفصة» (ص٢١٦).

فهو في هذا يدَّعي أن التحريمَ للتبنِّي مِن محمدٍ ﷺ، ويدَّعي أنَّ محمداً تزوَّج «زينبَ» مِن تلقاءِ نفسِه، مع أنه بأمرٍ من اللَّه تعالىٰ في قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا.. ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فنراه يَنسِبُ التحريمَ إلىٰ النبيِّ؛ ويَنسِبُ الزواجَ لرأيٍ ارتآه الرسولُ، مع أنه ثابتٌ بالقرآن، ولكنه يَنسِبُ القرآنَ دائماً إلىٰ النبي ﷺ.

وإنَّا لَنحمدُ له أنه لم يَسِرْ وراءَ المستشرقين في ادِّعائهم ـ كما جاء في روايةٍ ضعيفةٍ عن بعض التابعين ـ أن النبيَّ ﷺ فُتِن بجمال «زينب» ـ وكان الطلاقُ لذلك ـ فله منَّا التقديرُ لهذا!!.

* **عِبرةُ «أُحُد»:**

◘ ذَكر ـ بعد أنْ قَصَّ أخبارَ موقعةِ «أُحد» ـ العِبَرَ فيها على أنها من قولِ محمد، مع أنها من قولِ اللَّه تعالىٰ، فهو يقول: «.. وأقبل محمدٌ على الناس يُحدثُهم عن محِنةِ «أُحد»، ويَستخلصُ العِبرةَ من أخطائهم، عسىٰ أن تُضيءَ التجربةُ القاسيةُ طريقَ المستقبل».

وإن العِبرةَ في «أُحد» كانت بقولِ اللَّه تعالىٰ في آياتٍ كثيرةٍ من سورة «آل عمران» في مثلِ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٣].

ولكنه دائمًا يَنسِبُ ما جاء في القرآن إلىٰ النبيِّ ﷺ، مما يدلُّ علىٰ أنه يَرىٰ أن القرآنَ من قولِ النبي، ولم يُذكرْ في الصحيح من السنن أن النبيَّ ﷺ بيَّن العِبَرَ في «أُحد» بغير تلاوةِ القرآن عليهم.

* **تقسيمُ أموال بني النضير:**

◘ يَذكرُ أن تقسيمَ أموالِ «بني النضير» كان بقولِ النبي ﷺ، ويقول في ذلك، قال لهم: «إنَّ إخوانَكمُ المهاجرين ليس لهم مالٌ، فإنْ شِئتُم، قَسَمتُ أموالَ بني النضير وأموالَكم بينَكم جميعًا، وإن شئتُم أمسكتُم أموالَكم وقَسَمتُ هذه فيهم خاصة».

* والحقُّ أنه لا يُوجَدُ ذلك التخييرُ، وأن النصَّ القرآنيَّ في صريحه يُبيِّنُ هذا، فاللَّهُ سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الحشر: ٨-٩].

ولكنه - كمنهاجه - يَنسِبُ ما في القرآن دائمًا إلىٰ النبي ﷺ، وزاد هنا مسألةَ التخيير التي لا نَعلمُ لها مصدراً تاريخيًا.. (ص٢٥٥).

*** معاني القرآن وأحكامُه يَنسِبُها للنبي ﷺ:**

▫ وهكذا نَجِدُه يذكرُ كثيراً من معاني القرآن، ويَنسِبُها للنبيِّ ﷺ، فهو يذكر سورة «الكافرون»: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ علىٰ أنها من كلامِ النبي ﷺ.. (ص١٠٨).

ويَنسِبُ تحريمَ الخمرِ علىٰ أنه للنبي ﷺ، ويُشيرُ إلىٰ تدرُّجِ التحريم في القرآن الكريم.. ويتركُ الآياتِ المختلفةَ الدالةَ علىٰ ذلك.

*** أين ذِكرُ اللَّه في الكتاب؟!:**

▫ ويقول الشيخ أبو زهرة في تقريره: «هذه أمثلةٌ سُقناها، وإنها لَكثيرةٌ في الكتاب، وهي تدلُّ علىٰ أنه يَرىٰ - أي: الكاتِبُ - أن القرآنَ من كلامِ محمدٍ، وفي الحقيقة إنه لم يَذكُرْ - قطُّ - أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ مُنزِلُ القرآن، وباعثُ محمدٍ بالرسالة، بل إنَّ ذِكْرَ اللَّه تعالىٰ يَندُرُ في الكتاب، بل

لا تَجِدُ له ذِكراً قط . . ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ » .

* القرآنُ من هَمْهَمَةِ الرسول ! ! :

لم يَذكُرِ «القرآنَ» إلاَّ نادراً ، بل إنك تقرأُ الصفحاتِ الكثيرةَ التي تَبلغُ مِئتَينِ أو أكثر ، فلا تَجِدُ ذِكْراً لكلمةِ «القرآن الكريم» ، بل لكلمةِ «القرآن» فقط ، وأذكرُ آيةً ذَكَر أنها هَمْهَمَةُ نَفْسِ النبيِّ ﷺ ، ولْنضرِبْ لذلك مثلاً . . لقد ذَكَر أن النبيَّ ﷺ أَذِنَ لبعضِ الناس بالعَودةِ من حيثُ خَرَجوا ، وكان ذلك في بعضِ الغزوات ، ثم يقول : «فأَذِنَ لمن يريدُ أن يعودَ إلىٰ بيتِه أن يعودَ فهذا خيرٌ من أن يَبقىٰ في الصفوف لِيُشيعَ الانهزامَ ، ويَثْبُتَ في الصفوفِ من يَجِدُ في نفسِه القُدرةَ علىٰ مواجهةِ الخَطَرِ والرَّغبةَ الصادقةَ في الاستشهاد دفاعًا عما يؤمنُ به ، وهَمْهَمَ لنفسِه وهو يتقدَّمُ الصفوف : «عفا اللَّهُ عنك لِمَا أَذِنْتَ لهم» ، ولكنه عاد فرأىٰ الخيرَ في تخليص صفوفِه من العناصر الحائرة ، ثم أخذ يتلو عليهم : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب : ١٦]» (ص٢٨٨) .

فهو يذكر الهمهمةَ ، ثم يَقرِنُها بآيةٍ علىٰ أنها من هَمْهَمَتِه ، ثم يتلو آيةً أخرىٰ غيرَ ناسِبِها للَّه ـ ولا لأحدٍ ـ ، فهي ـ بمقتضىٰ منطقِه ـ من هَمْهَمتِه أيضًا ، ثم يُشيرُ إلىٰ نوعٍ من التشكيك ؛ لأنَّ الآيتَينِ يبدو بينهما تعارضٌ ، مع أنَّ الآيتَينِ مختلفتانِ من حيثُ موضعِ قولِهما ، فآية ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ كانت في غزوة «تبوك» ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ

يَثْرِبَ﴾ كانت في غزوة «الأحزاب»!!.

وختَم الشيخ أبو زهرة ـ رحمه اللَّه ـ تقريرَه بطلبِ منْعِ تداوُلِ الكتاب؛ لأنه يُسِيءُ إلىٰ الناس في دينهم.

*** د. نصر أبو زيد، يقول عن القرآن: «إنه نصٌ بشريٌّ، ومُنتَجٌ ثقافيٌّ لا قداسةَ له»، ويرفضُ الاحتكامَ إلى الشريعة:**

□ يقول هذا القِزمُ المرتدُّ عن القرآن: «إنه نصٌّ بشريٌّ، ومُنْتَجٌ ثقافيٌّ.. لا قداسةَ له! وإن بينَه وبين الشِّعرِ الجاهليِّ ـ وخاصةً شِعرَ الصعاليك ـ شَبَهًا كبيرًا»!، وبنصِّ عباراته ـ التي لا تحتاجُ إلىٰ تعليق يقول: «مِن الواقع تكوُّنُ النصِّ «القرآن»، ومن لُغتِه وثقافته صِيغَتْ مفاهيمُه، فالواقعُ هو الذي أنتجَ النصَّ. الواقعُ أوَّلاً، والواقعُ ثانيًا، والواقعُ أخيراً.

لقد تشكَّل القرآنُ مِن خلالِ ثقافةٍ شفاهيَّةٍ.. وهذه الثقافةُ هي الفاعل، والنصُّ مُنفعِلٌ ومفعول.. فالنصُّ القرآنيُّ في حقيقتِه وجوهرِه مُنْتَجٌ ثقافيٌّ، والمقصودُ بذلك أنه تَشكَّل في الواقعِ والثقافةِ فترةً تَزيدُ علىٰ العشرين عامًا.. فهو «ديالكتيك صاعد»، وليس «ديالكتيكًا هابطًا».. والإيمانُ بوجودٍ ميتافيزيقيٍّ سابقٍ للنص يَطمِسُ هذه الحقيقة.. والفِكرُ الرَّجعيُّ في تيارِ الثقافةِ العربية هو الذي يُحَوِّلُ النصَّ من نصٍّ لُغويٍّ إلىٰ شيءٍ له قَداستُه.

والنصُّ القرآنيُّ منظومةٌ من مجموعةٍ من النصوص، وهو يتشابَهُ في تركيبته تلك مع النصِّ الشِّعريِّ، كما هو واضحٌ من «المعلَّقاتِ الجاهلية» مثلاً، والفارقُ بين القرآن وبين المعلَّقة ـ مِن هذه الزاوية المَحَدَّدَةَ ـ يتمثَّلُ في

المَدَىٰ الزَّمَنِيِّ الذي استغرقه تكوُّنُ النصِّ القرآني. . فهناك عناصرُ تَشَابُهٍ بين النصِّ القرآني ونصوصِ الثقافة عامةً، وبينه وبين النصِّ الشِّعْري بصفةٍ خاصة. . وسياقُ مخاطبةِ النساء في القرآن ـ المُغايرُ لسياقِ مخاطبةِ الرجال ـ هو انحيازٌ منه لنصوص الصعاليك»!!.

*** النبوَّةُ عند نصر أبو زيد ثمرةٌ لقوَّةِ «المُخَيِّلة»:**

☐ «النبوة» و«الرسالة» و«الوحي» عند هذا الحَدَاثيِّ الماركسيِّ: ظواهرُ إنسانية، وثَمَرَةٌ لقوة «المُخيِّلةِ» الإنسانية، وليس فيها إعجازٌ ولا مفارقةٌ للواقعِ وقوانينه. . فالأنبياءُ مِثلُ الشعراءِ والمتصوِّفة، مع فارق في درجةِ «المُخيِّلة» فقط لا غير. . وهذا نصُّ عبارته: «إنَّ الأنبياءَ والشعراءَ والعارِفين قادرون ـ دون غيرِهم ـ علىٰ استخدامِ فاعليَّةِ «المُخيِّلة» في اليقظة والنومِ علىٰ السواء. . ومِن حيثُ قُدرةِ «المخيِّلة» وفاعليَّتها، فالنبيُّ يأتي علىٰ رأسِ قمَّةِ الترتيب، يليه الصوفيُّ العارف، ثم يأتي الشاعرُ في نهاية الترتيب.

وتفسيرُ النبوة اعتماداً علىٰ مفهومِ «الخيال» معناه أن ذلك الانتقالَ من عالَمِ البَشَرِ إلىٰ عالَم الملائكة انتقالٌ يَتِمُّ من خلال فاعليةِ «المُخيِّلةِ» الإنسانيةِ التي تكونُ في «الأنبياء» أقوىٰ منها عند سواهم من البشر. . إنها حالةٌ من حالاتِ الفاعليَّةِ الخلاَّقة، فالنبوَّةُ في ظلِّ هذا التصوُّر، لا تكونُ ظاهرةً مفارِقةً. . وهذا كلُّه يؤكِّدُ أن ظاهرةَ «الوحي» لم تكن ظاهرةً مفارِقةً للواقع، أو تُمثِّلُ وَثْبًا عليه وتجاوُزًا لقوانينه، بل كانت جُزءً من مفاهيمِ الثقافةِ، ونابعةً من مواضعاتها»[1].

---

(١) «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد (ص٥٦، ٣٨) ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

* **القرآنُ عنده خطابٌ تاريخي:**

◘ وبعد تحويلِ القرآنِ إلىٰ نص بشريٍّ.. والوحيِ والنبوَّةِ إلىٰ قوَّةٍ في «المُخيِّلةِ» الإنسانية.. يَذهبُ هذا الحَدَاثيُّ الماركسيُّ إلىٰ تطبيق «التاريخية والتاريخانية» علىٰ معاني ومضامينِ وأحكامِ القرآن - كلٍّ معانيه ومضامينه وأحكامه - مِن العقائد إلىٰ الأحكام، وحتىٰ القِيَمِ والأخلاقِ والقَصَص الأمرُ الذي يعني نَسْخَ كلِّ مضامينِ القرآن وتجاوُزِها.. فيقول: «.. فالقرآنُ خطابٌ تاريخيٌّ، لا يتضمَّنُ معنًى مفارِقًا جوهريًّا ثابتًا.. وليس ثَمَّةَ عناصرُ جوهريةٌ ثابتةٌ في النصوص.. فالقرآنُ قد تَحوَّل من لحظةِ نُزوله مِن كونِه «نصًّا إلهيًّا» وصار فهمًا «نصًّا إنسانيًّا»؛ لأنه تحوَّلَ من التنزيل إلىٰ التأويل.

وهذه التاريخيةُ تنطبقُ علىٰ النصوصِ التشريعية، وعلىٰ نصوصِ العقائدِ والقَصَص.. وهي تُحرِّكُ دلالةَ النصوص، وتَنقُلُها - في الغالبِ - من الحقيقةِ إلىٰ المجاز»[1].

هكذا يتمُّ العَبَث الحَدَاثيُّ بالثوابتِ والمقدَّسات - القرآن.. والنبوة والرسالة.. والوحي - علىٰ هذا النحوِ اللامعقول!![2].

◘ نصر أبو زيد الذي يُريدُ من الناس أن يتعامَلوا مع القرآن كنصٍّ أدبيٍّ، وليس وحيًا إلهيًّا بل يقول في آخرِ كتابه: «وقد آنَ أوانُ المراجعةِ

---

(١) «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد (ص٨٣، ٩٤، ٨٢ - ٨٤) - طبعة القاهرة ١٩٩٠م.

(٢) «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» (ص٣٠ - ٣١) للدكتور محمد عمارة.

والانتقالِ إلىٰ مرحلةِ «التحرُّر» لا من سُلطةِ النصوص وحدَها، بل من كلِّ سُلطةٍ تَعُوقُ مسيرةَ الإنسانِ في عالَمِنا، علينا أن نقومَ بهذا الآنَ وفوراً، قبل أن يَجرِفَنا الطوفان»[1] .

* رَفضُ الاحتكامِ إلى كتابِ اللَّه ـ عز وجل ـ:

◘ ونصر أبو زيد يُريدُ زحزحةَ القرآن عن حياةِ المسلمين، فيقول: «إنَّ الاحتكامَ إلىٰ كتابِ اللَّه ـ عز وجل ـ لم يكن موجوداً إلاَّ عندما ظهر الخوارج»[2] .

* أحمد عبدالمعطي حجازي والتبجُّحُ العِلماني:

بَلَغَ التطرُّفُ بالعِلمانيِّ النَّكِرةِ القِزْم أحمد عبدالمعطي حجازي أنْ طَلَبَ من المسؤولين حِرمانَ الدكتور السيد أحمد فرج من التدريس بالجامعة؛ لأنه أخطرُ علىٰ الطُّلاَّبِ من كتابه «أدب نجيب محفوظ» الأهرام ٧/ ٧/ ١٩٩٩م.

◘ وكان من حيثيَّات هذه الدعوةِ ما قرأه حجازي للدكتور فرج في بعضِ كُتبه من أنَّ «الدين هو الرابطةُ المقدَّمةُ علىٰ أيَّةِ رابطةٍ أخرىٰ، «فالدين في نظر السيد فرج ليس مجرَّدَ اعتقاد، أو علاقةٍ بين الإنسانِ وخالِقِه، وإنما هو أيضًا قوميَّةٌ وجنسية»[3] .

---

(١) «الإمام الشافعي، وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد (ص١١٠).

(٢) المصدر السابق (ص٢١).

(٣) انظر مقال الدكتور جابر قميحة ـ مجلة «آفاق عربية» ـ العدد (٦١٠) ـ ٥ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ـ ٥ من يونيه ٢٠٠٣م.

*** فرج فوده الزنديقُ القميئ، الرافضُ لتطبيق شرع اللَّه، هو من أكبر شانئي رسول اللَّه ﷺ:**

كيف لا يكونُ ذلك وهو الكارهُ الرافضُ لِمَا جاء به محمدٌ ﷺ، ويدَّعي تَفوُّقَ القانونِ الوضعيِّ على الشريعة الإسلامية، وهذا كفرٌ أكبرُ مُخرجٌ من المِلَّة، كما جاء في «شرح الطحاوية في عقيدة أهل السنة والجماعة» التي تلقَّاها علماء الأمة بالقبول.

◻ يقول: «أنا أرى أنَّ حَجْمَ الانحلالِ الموجودِ في المجتمع المصري أقلُّ بكثيرٍ اليومَ على مدى التاريخ الإسلامي كلِّه.. ورأيي أن القانونَ الوضعيَّ يُحقِّقُ صالحَ المجتمعِ في قضايا الزِّنا ـ مثلاً ـ، وأكثَرَ مما ستُحقِّقُه الشريعةُ لو طُبِّقَت»[1].

◻ ويقول في كتابه «الحقيقة الغائبة»: «والنتيجةُ ببساطةٍ: أنَّ القانونَ الحاليَّ يُعاقِبُ على جرائمَ يَعْسُرُ على الشريعةِ أن تُعاقِبَ عليها، ويَعكِسُ احتياجَ المجتمعِ المعاصرِ بأقدَرَ ممَّا تفعلُ الشريعة»[2].

◻ يقول فرج فودة في كتاب «حوارات حول الشريعة» لأحمد جودة (ص١٤ ـ ١٥): «ببساطةٍ أنا ضدَّ تطبيقِ الشريعة الإسلامية فوراً أو خطوةً خطوةً».

---

(١) «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة (ص١٧٨ ـ ١٧٩) نقلاً عن كتاب «مَن قتل فرج فودة» للدكتور عبدالغفار عبدالعزيز (ص٣٢) ـ دار الإعلام الدولي، وكتاب «أحكام الردَّة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة (ص٣١٦).

(٢) «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة (ص١٢١) نقلاً عن «مَن قتل فرج فودة» (ص٣٢)، و«أحكام الردة والمرتدين» (ص٣١٦).

◻ ويقولُ أيضًا في نفس المصدر: «وعمومًا هناك قاعدةٌ إسلاميَّةٌ تقول: «ويجوزُ ارتكابُ معصيةٍ اتقاءَ فتنة»؛ لذلك فأنا أقولُ: إذا كان عَدَمُ تطبيقِ الشريعة معصيةً، فلتكنْ معصيةً نَسْعَدُ بارتكابها اتقاءً لِمَا هو أسوأُ، وهو «الفتنةُ الطائفيَّة».. الدولةُ الدينيَّةُ سوف تَقودُ للحُكمِ بالحقِّ الإلهي.. وهو حكمٌ جاهل، وكثيراً ما أَدَّىٰ لمظالِمَ ومفاسدَ تقشعرُّ منها الأبدان».

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، واللَّهِ ما غاب الحقُّ والعدلُ والنورُ والتمكينُ في الأرض إلاَّ بغيابِ الخلافةِ، حتىٰ في أحطِّ عصورها التي حاد فيها الناس كثيراً عن التطبيق الشامل لشرعِ اللَّه. فليس مَن قَصَدَ الحقَّ فأخطأه كمن تعمَّد قَصْدَ الباطل.

◻ يقول الكذَّاب الأشِرُ فرج فودة: «ولهذا كلِّه أرفضُ تطبيقَ الشريعة، وصوتي عالٍ جداً في هذا الصَّدد».

◻ ويقول في كتاب «الطائفية إلىٰ أين»: «إنَّ الدعوةَ لإقامةِ دولةٍ دينيَّةٍ في مصر تُمثِّلُ رِدَّةً حضاريَّةً شاملةً بكلِّ المقاييس»[1].

◻ وفي كتاب «حوار حول قضايا إسلامية» (ص١٧٢) يقول: «إنَّ الإسلامَ دينٌ ـ وليس دولة ـ، وإنَّ الدولةَ الإسلاميةَ ـ علىٰ مَدىٰ التاريخِ الإسلاميِّ كلِّه ـ كانت عِبْئًا علىٰ الإسلام وانتقاصًا منه، وليس إضافةً إليه»[2].

◻ وفي محاورةٍ معه يقول لمن يحاوره: «وأنا شخصيًّا أرفضُ تمامًا

---

(١) «الطائفية إلىٰ أين» لفرج فودة (ص٢٠).

(٢) انظر «أحكام الرِّدَّة والمرتدين» (ص٣١٤ـ٣١٥).

الدولةَ الدينيةَ أيًّا اكان شكْلُها، وبالتحديد في المجتمعِ المِصريِّ.. أرفضُ قيامَ دولةٍ إسلاميةٍ دينية»[1].

* **إباحته للزنا:**

◻ يقول الدكتور عبدالغفَّار عبدالعزيز رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر ورئيس ندوة العلماء في كتابه «مَن قتل فرج فودة؟» عن فرج فودة: «والغريبُ أنه كان يُفتي بجرأةٍ في كثيرٍ من قضايا الدين إلىٰ حَدٍّ إباحتِه للزنا في الإسلام، ويَستدِلُّ علىٰ ذلك بقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، ويرىٰ أن عمليةَ «الإكراه والإجبار» هي الممنوعة، أمَّا إنْ تمَّ ذلك من غيرِ إجبارٍ، فلا شيءَ في ذلك»[2].

◻ قال الشيخ محمد الغزالي: «فرج فودة ـ بيقينٍ ـ كان خَصْمًا للإسلام، وهو لم يكن يُداري هذا.. هو كان صريحًا في خصومتِه للإسلام كشريعةٍ ونظامٍ ومعاملاتٍ وشؤونٍ سياسيةٍ واقتصادية»[3].

◻ ويقول الشيخ الغزالي عن فرج فودة: «كيف أُقنعُ رجلاً بأنَّ الإسلامَ دولةٌ، وهو لا يُؤمنُ بأنه دين؟! إنَّ المقتنعَ بالوحي يكفي أن أقولَ له: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ليقتنعَ بأن القرآن نَزَل ليحكمَ.. المشكلةُ أن يقولَ لك امرؤٌ: «أنا مسلم، ولكنِّي أُبيحُ الخمر، وأنا أعرَفُ منك بالإسلام»!!.

---

(١) «من قتل فرج فودة» (ص٣٠).

(٢) حوار خاص مُسَجَّل معه في ٢٩/ ٧/ ٨٩ نقلاً عن «مَن قتل فرج فودة» (ص٢٨).

(٣) صحيفة الوفد الصادرة في يوم الخميس ٢٥ يونيو سنة ١٩٩٢.

لقد هَزُلَتْ حتى بَـدَا مِن هُزالِهـا كُلاها وحتى سـامَهـا كلُّ مُفْلِسِ

ثم يجيءُ بعدئذٍ مَن يَصِفُ مُستبيحَ الخَمرِ بأنه «المفكِّرُ الإسلاميُّ الكبير» . . ما هذا الهَذَر؟»[1] .

❑ وقد قال الشيخ محمد الغزالي في نفس المقال: «أمَّا رأيي في الدكتور فرج فودة، فهو صورةٌ عربيةٌ للعقيد جون جارانج الزنجي الذي يُحاربُ الإسلامَ في السودان، ويريدُ وَضْعَ دستورٍ علمانيٍّ لشَمَالِهِ وجَنوبه معًا».

❑ يقول المجرم فرج فودة: «إنَّ التيارَ الإسلاميَّ كلَّه خِداعٌ وكَذِبٌ وتلفيقٌ وتزويرٌ للحقائق، تدفعُ للاعتقاد بأنه وراءَ كلِّ خسيسةٍ ونقيصةٍ في العالَم، وحتىٰ لا يكونَ الوصفُ قاصراً علىٰ الزمنِ الحاضر، فإنَّ تاريخَ المسلمين كلَّه ليس إلاَّ امتداداً للقهر والاستبداد»[2] .

✍ وبَقِيَ الإسلام وذهب فرج فودة إلىٰ مَزبلةِ التاريخ تُشيِّعُه لعناتُ اللاعنين إلىٰ يوم الدين.

*** بعضُ زُعماءِ وحُكَّامِ المسلمين القائلين بفَصْلِ السياسة عن الدين:**

منذ أن نَعِقَ «كمال أتاتورك» بالعِلمانية، وفَصَلَ الدينَ عن الدولة في تركيا الحديثة ـ بعد أنْ ألغىٰ الخلافةَ ونَصَبَ المشانقَ لعلماء الإسلام وكادَ للإسلام وأهله ـ، تابَعَه علىٰ قوله هذا بعضُ زعماءِ وحُكَّامِ المسلمين، وأظهر البعضُ مَدْحَه وإعجابَه بأتاتورك، ولم يَستطعِ البعضُ أن يُعلِن . .

---

(١) جريدة «الشعب» ٣٠/ ٦/ ٩٢ مقالة للشيخ الغزالي بعنوان «هذا ديننا».

(٢) «من قتل فرج فودة» (ص١٠٥).

ولكنْ لسانُ حالِه ـ كلٌّ حاله ـ يقول: «كلُّنا أتاتورك».. واللَّهُ عز وجل هو المطَّلعُ على خفايا الصدور، ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]، وكلٌّ منهم سيخلو بربِّه يومَ القيامة، ليس بينَه وبينَه تَرجُمان.. يسألُه عمَّا فَعَل بالإسلام وشرعه:

* **مصطفى النَّحاس، زعيم «الوفد»:**

□ قال في تصريح له: «أنا معجَبٌ ـ بلا تحفُّظ ـ بكمال أتاتورك، ليس فقط بناحيتِه العسكريَّة، ولكن بعبقريَّته الخالصة، وفَهْمه لمعنى الدولة الحديثة».

□ وردَّ عليه الشيخ الغيُور حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا التصريحُ ليس تصريحًا أجوف، وليس تصريحًا يَصدُرُ هكذا عن مُجاملةٍ أو عن غيرِ رَوِيَّةٍ سابقة، وفِكرةٍ مستقرَّةٍ تُريدُ أن تَبرُزَ إلى الوجودِ في الوقت المناسب، حتى تتهيَّأ لها الظروف؛ وإنْ سبَق اللسانُ فأظهرَ مكنونَ الضمير.

فأنتم تُسَجِّلون في هذا التصريح أنَّ هناك شيئًا اسمُه «الدولة الحديثة»، وهي التي فَهِمَها كمال أتاتورك، وشكَّل على غِرارِها «تركية»، وتُصرِّحون في كلامكم كذلك أنَّ هذه الدولة هي التي تستطيعُ وحدَها في الأحوالِ العالمية أن تعيشَ وأن تنمو.

ومعلومٌ أن أتاتورك في دولته الحديثة قد تجرَّد من كلِّ المظاهر الإسلامية، فكأنَّكم في هذا تُعلِنون ـ في صراحةٍ ـ أن مصرَ لا تستطيعُ أنْ تعيشَ وأن تنموَ في الأحوالِ العالَميةِ الحاضرةِ إلاَّ إذا تجرَّدت هي الأخرى من كلِّ مظاهرِ الإسلام ـ كما فَعَلت «تركية» ـ.

وكأنَّ هذا هو عنوانُ مِنهاجِكم ومِحورُ الإصلاحِ الذي تريدونه لهذا الوطنِ بعدَ الانتهاء من قضاياه الخارجية، ولستَ رجلاً من آحاد الناس، بل أنت زعيمٌ يؤولُ إليه الحُكْمُ، وتُلقَىٰ إليه مقاليدُ الأمة.

هذا التصريحُ دليلٌ ماديٌّ بين يَدَيِ الذين يَرَوْن أن «الوفد» يَعملُ علىٰ سياسةٍ إنْ لم تكن تُناوِئُ الإسلامَ، فهي ـ علىٰ الأقلِّ ـ لا تستمدُّ منه، ولا تُعنَىٰ بشأنه، ويَسُرُّها أن تتخلَّص مِن تِباعتِه»[1].

* **الرئيس السادات:**

◘ نشرت جريدة «الأخبار» أولَ مارس ١٩٧٩م في مَطلعها العنوان الكبير «الرئيس السادات يتحدَّثُ إلىٰ أساتذةِ جامعةِ الإسكندرية»: «لا دينَ في السياسة، ولا سياسةَ في الدين».

* أين هذا من قول اللَّه تعالىٰ: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾

[المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

◘ وردَّ عليه الليثُ الهصور الشيخ «محمود عبدالوهاب فايد» في مجلة «الاعتصام» ربيع الآخر ١٣٩٩هـ، ونَشَره في كتابه «صيحة الحق»، فقال: «قال رئيس الجمهورية: «لا سياسةَ في الدين»، أيُّ دينٍ يَعنيه رئيسُ الجمهورية؟ إن كان يريدُ المسيحيةَ فهذا صحيح.. ولكنْ بالنسبةِ للديانة

---

(١) «حسن البنا» لأنور الجندي (ص٤٠٢ ـ ٤٠٣) ـ دار القلم.

الإسلامية، فإنَّ الأمرَ يختلف كلَّ الاختلاف.. بل المسلمون جميعًا ـ وعلىٰ رأسهم علماؤهم قديمًا وحديثًا ـ يؤمنون بأن الإسلامَ دينٌ ودولة، هدايةٌ وسياسة، عقيدةٌ وحُكم، عبادةٌ ومعامَلة، تهذيبٌ وأخلاق، قِيمٌ رُوحيةٌ وإنسانيةٌ ودَوليه، آمَنَ بهذا المسلمون، واستقرَّ في أذهانِهم، لم يَجْهَلْه أحدٌ من العوامِّ، بل اعتَرَف به خصومُ الإسلام»[1].

◘ ودخل أحدُ المراسلين الأجانب في مكتب الرئيس، فوجد صورةَ أتاتورك، فقال المراسل: «توقَّعتُ أن أرىٰ صورةً لزعيمٍ عربي، فإذا أنا بصورة أتاتورك!! وقال الساداتُ مشيراً إلىٰ الصورة: هذا مَثَلي الأعلىٰ».

وعلىٰ الدَّرب سار مَن بعده وقالها في خطابٍ له.

*** مَدْحُ القذَّافي لأتاتورك، وإعجابُه به وبمنهجه العلماني:**

◘ قال القذافي: «عندما جاء أتاتورك.. وكان علىٰ الأقل مش كيف هو حاصل الآن، قال واللّهِ ما نَبقىٰ نَفصِلُ الدينَ عن الدولة، وهو مسلم، اسمُه «مصطفىٰ كمال أتاتورك»، اسمه «مصطفىٰ» علىٰ اسم النبي، لم يَقُل إن تركيا يجبُ أن تكونَ مُلْحِدَة، قال: تركيا دولةٌ إسلامية، وتبقوا مسلمين، ولكن قال: أنا عندي طلب واحد، قال لهم: أريدُ أن أفصلَ الدينَ عن الدولة.. كيف؟ إنَّ الدولة وهي دولة وضعية تُعالج مشاكلَها الاجتماعيةَ والاقتصاديةَ وفقًا للعصرِ التي هي فيه، أما الدين خلُّوا كلَّ واحد يُصلِّي ويحجُّ ويصوم.. يصلِّي بالمسجد، يَبني مسجداً.

جاء المتعصِّبون الذين سَمَّوْا أنفسَهم «علماء» في ذلك الوقت، وقالوا

---

(١) «صيحة الحق» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد (ص٣٤ ـ ٥٠).

له: مستحيل، هذا كفر، إذا فصلتَ الدين عن الدولة هذا كفر، ناداهم وقال لهم: أرجوكم هاتوا لي فتوىٰ، فقط فتوىٰ تجعلُني أُعْلِن باسم الإسلام، وإنَّ الإسلامَ يُبيحُ لي فَصْلَ الحكومة عن الدين، اجعلوا الحكومة لوحدها، واتركونا مسلمين كما كُنَّا، قالوا له: مستحيل.. هذا كُفر.. قال لهم طالَمَا هُوَ كُفْر، فأنا ذاهبٌ إلىٰ قِمَّة الكفر، وهذا هو القرآن.. وهذا هو الإسلام.. وأحضِر لي السيف لأقطع رقابهم، وهَرَب من الشبابيك علماءُ الإسلام كلُّهم.. ومن تلك اللحظة كانت نكبةً علىٰ الإسلام، أُعلِن الإلحادُ والكفر.. قال: هذا الدين الذي يُكبِّلُني ولم يتركْني أتصرَّفُ في تركيا لكي تواجِهَ أعداءَها وتنهضَ من جديد، قال: أنا لا أُريد هذا الدين.. وأتاتورك مظلوم»[1].

*** وفرية أخرى: ادّعاءُ النبوة:**

أعدَّت الكاتبةُ الإيطالية «ميريلا بياتكو» كتابًا باللغة الفرنسية، صَدَر عن شركة «stoc» في باريس، وطُبِع في مطابع «دار الشورىٰ» ببيروت في ١٥/ ٢/ ١٩٧٤م تحت عنوان «القذافي رسول الصحراء».

وكان سؤالُ المؤلِّفة لمعمَّر القذافي بهذه العبارة: «يا رسول اللّٰه!! أرعيتَ الغَنَم؟ فأجاب العقيد: بلىٰ، فلم يكن هناك نبيٌّ لم يفعلْ ذلك».

Envoyed. allah tuas donce etetre de moutons?

Qui etil yapas de prophete Qui ne laitete.

---

(١) «وثائق خطابات وأحاديث القذافي» ونقل عنه يوسف كمال في كتابه «العصريُّون معتزلة اليوم» (ص٥٧).

◻ وكتب إليه الشيخ ابن باز: «وهنا أمرٌ عظيمٌ يُهِمُّ القُرَّاء والمسلمين يتعلَّقُ بفخامة العقيد، ويجبُ علينا التنبيهُ عليه وبيانُ حُكمِه، وهو أن الكاتبة الإيطالية «ميريلابيانكو» قد ذكرت في كتابها «القذافي رسول الصحراء» (ص٢٤١) عن فخامةِ العقيد ما يدلُّ على أنه يدَّعي أنه رسولٌ من رُسُلِ اللَّه، وقد خاطَبَتْه في الصفحة المذكورة بقولها له: «يا رسول اللَّه، أكنتَ راعيَ غنم؟ فأجابها بقوله: بلى، فلم يكن هناك نبيٌّ لم يفعلْ ذلك»، وهذا الجوابُ يقتضي إقرارَه لها على أنه رسولُ اللَّه؛ لأنه لم يُنكِرْ عليها، ولم يَقُلْ: «لَستُ برسول»، ومعلومٌ أن دعوى الرسالةِ أو النبوةِ بعد نبيِّنا محمد ﷺ كفرٌ أكبرُ، وضلالٌ عظيمٌ، ورِدَّةٌ عن الإسلام بإجماعِ المسلمين؛ لأن ذلك تكذيبٌ لقول اللَّه -عز وجل-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وتكذيبٌ لِمَا تواترت به الأحاديثُ عن رسول اللَّه ﷺ الدالةُ على أنه خاتَمُ النبيين والمرسلين -لا نبيَّ بعدَه ولا رسول-، وقد قاتَلَ الصحابةُ ﷺ مَن ادَّعى النبوةَ بعدَه، واعتَبروه كافراً حلالَ الدمِ والمالِ، كالأسود العَنْسيِّ، ومُسيلِمةَ الكذَّاب، والمختارِ بن أبي عُبيدٍ الثَّقَفي، وقد أجمَعَ علماءُ الأمةِ إجماعًا قطعيًا على أن نبيَّنا محمداً ﷺ هو خاتمُ النبيين والمرسلين -لا نبيَّ بعدَه ولا رسول-، وقد كَفَّر العلماءُ في عصرِنا -وقَبْلَ عصرِنَا- «مرزا غلام القادياني» لَمَّا ادَّعى النبوة، وكَفَّروا مَن صَدَّقه في ذلك.

فالواجبُ على فخامةِ العقيد أن يُعلِنَ في وسائلِ الإعلام تكذيبَه لِمَا زَعَمَتْه هذه الإيطالية، وأنه يَبْرأُ إلى اللَّه من ذلك -إن كان ذلك لم يَقَعْ منه-،

فإن كان وقع منه، فالواجبُ عليه إعلانُ التوبةِ النَّصوحِ من ذلك، ومَن تاب تاب اللَّهُ عليه، كما دَلَّ علىٰ ذلك كتابُ اللَّهِ المجيدُ وسُنَّةُ رسولِه الكريمِ ـ عليه من ربِّه أفضل الصلاة والتسليم ـ، ومن قول اللَّه سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠]، فبيَّن سبحانه أنه لابدَّ من إعلانِ التوبة وبيانِ ما كُتم من الحق، وقال النبيُّ ﷺ: «التوبةُ تَهدِمُ ما كان قبلها»، والآياتُ والأحاديثُ في هذا المعنىٰ كثيرة، ونسألُ اللَّهَ أن يهدينا وإياه سواءَ السبيل، وأن يَمُنَّ علينا وعليه ـ وعلىٰ سائر المسلمين ـ بالتوبةِ النصوح من جميعِ الذنوب، إنه وَليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلَّىٰ اللَّه وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان».. انتهىٰ رد فضيلة الشيخ ابن باز علىٰ القذافي[1].

* * *

(١) مجلة «البحوث الإسلامية» ـ العدد الخامس محرم ـ جماد الثاني ١٤٠٠هـ تحت عنوان «إيضاحات وتنبيهات» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومجلة «المجتمع الكويتية» العدد ٣٩٣ (ص٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح (ص٣٥٣ ـ ٣٥٤). وهذه رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بالجامعة بالمدينة المنورة.

* **عدوُّ رسولِ اللَّه ﷺ، الوجهُ الكالحُ للعلمانية: الرئيسُ التونسيُّ بورقيبة وتلامذته:**

الوجهُ الكالحُ للعِلمانية.. القزمُ القميئ.. المحادُّ للَّهِ ورسولِهِ بورقيبة رئيسُ تونس السابقُ وعِصابتُه الذين ضيَّعوا الإسلامَ وهُوِيَّةَ تونسَ الإسلامية وجامعةَ الزيتونة الغرَّاء، واستبدلوا به قبَّعةَ الغربِ ورِجسَه وإيدزه..

يُرَمْرِمُ مِن فُتـاتِ الكفْرِ قوتًا ويَعْلُـقُ من كؤوسِـهِمُ الثُّمَالةْ
يُقَبِّل راحـةَ الإفـرنجِ دومًا ويَلثُمُ دونما خَجَـلٍ نِعالـهْ

بورقيبة الذي أَجبر الشعبَ التونسيَّ على الإفطارِ في رمضان لزيادةِ الإنتاج، وسَنَّ هو وتلامذتُه التشريعاتِ الوضعيَّةَ لمساواةِ المرأةِ بالرجل في الميراث.. وسار بتونسَ في رِكابِ الغرب، وعند اللَّه جزاؤه هو وعصابته.. وللإسلامِ منهم كلَّ يوم ألفُ مُبكية.

وفي زمنِ خليفتِهِ «زين العابدين».. عَقَد وزيرُ الداخلية التونسيُّ مؤتمرًا صحفيًّا كبيرًا، وقال فيه: «إن تونس أقرَّت نظامًا جديدًا لتنظيم صلاة المسلمين»، وشَرَح «جَنَابُه» كيف قرَّر الحاكم - صانعُ التغييرِ - أن يُنَظِّم للناسِ كلَّ شيءٍ، حتى مكانَ وزمانَ الصلاة.

❑ فقد ذكَرَت صحيفةُ «صوت الحق والحريَّة» التونسية أن وزيرَ الداخلية حذَّر المواطنين من مخالفة هذا القرار الخطير، وقال: «إنه يَتعيَّن على كلِّ تونسيٍّ الحصولُ على «بطاقةِ مُصَلٍّ» وأنْ يُودِعَها عند أقربِ قِسمِ شرطةٍ أوْ حَرَسٍ وطنيٍّ، وستَحملُ البطاقةُ صورةَ المُصَلِّي وعنوانَه، واسمَ المسجدِ الذي يَنوي ارتيادَه، وحَسْبَ الإجراءاتِ الجديدةِ يتعيَّن وُجُوبًا على

المُصَلِّي اختيارُ أقرب مسجدٍ لمكانِ إقامتهِ أو عملِه».

□ وزيرُ الداخلية حرَّض أئمة المساجد على المُصَلِّين، وحذَّرهم من اختراقِ هذا القرار، وطالَبهم بطَردِ أيِّ مواطنٍ ليس معه بطاقةُ صلاة، وأن يُنبِّهوا على هؤلاءِ المصلِّين بإبرازِ البطاقةِ على بابِ الجامع كيْ يُسمَحَ له بالدخول!!

□ الأجملُ أن البطاقةَ لا تجوزُ إعارتُها، ويُمنع التنازلُ عنها للغَير، وإذا قرَّر صاحبُها الانقطاعَ عن الصلاة، فإنَّه مُطَالَبٌ بتسليمِ بطاقتهِ لأقربِ مركزِ شرطة!!.

□ شدَّد الوزير ونَبَّه وعَمِلَ ما عليه، وقال للناس حتىٰ تَفهم: «مِن حقِّ كلِّ مُصَلٍّ أداءُ الصلواتِ الخمسِ ـ طبعًا والنوافل ـ، لكنْ في مسجدٍ واحدٍ فقط».

□ ولم يَتركْ ثغرةً في القرار، ولم يَفُتْهم شيءٌ، حتىٰ زُوَّارُ تونس من المسلمين أبناءِ البلاد المنكوبة الأخرىٰ، فسيُطَبَّق عليهم القرارُ فَورَ دخولهم، بل عليهم أن يَطلبوا بطاقاتِهم من نِقاطِ شرطةِ الحدود، لكنْ يا لَحَظٍّ وسَعَادةِ الزُّوَّار، فقد سَمَح لهم الرئيسُ ووزيرُه بالصلاة في أيِّ مسجد.. أيِّ مسجد؛ فالبطاقةُ التي يحملونها مِثل «الماسْتَرْكِي» تَفتحُ أيَّ باب، لكنْ عليهم إعادةُ البطاقةِ قبل المُغادَرة!!.

□ وللأسف اختلط الأمرُ علىٰ بعضِ المواطنين مِمَّن لم يفهموا ويستوعبوا، واختلط علينا كذلك كمسلمين في دولةٍ إسلاميةٍ وعربيةٍ مُجاورةٍ لتونس.

فلم نَعرفْ حتى الآن : هل يَسري القرارُ على صلاة الفَردِ في منزله، أو في أيٍّ مكان؟ وماذا لو صلَّى جماعةً بأهلِه أو زملائِه مثلاً؟ هل يَقبلُ الرئيسُ صلاتَه ويَضمُّها إلى ميزانِ حسناتِه كمواطن، أم تُعَدُّ لاغيةً؛ لأنها من غيرِ بطاقة؟!

✍ إننا نجري بسرعةِ الصاروخ نحوَ المُتحف، فمكانُنا محجوزٌ إلى جِوار الديناصورات .

إيهٍ يا بورقيبة . . يا بؤسَ مَن يموتُ وتبقى ذنوبُه مِن بعدِه .

إيهٍ يا زينَ العابدين؛ صدَقَ الله العظيم وكذبتَ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٣]، ونحن على موعدٍ مع خِزيك وذُلِّك .

* **العلمانيَّةُ دَجَلٌ وكَذِب :**

❑ يقول الشيخ محمد الغزالي عن العلمانيِّين : «لِماذا لا نُسَمِّي هؤلاء بأسمائِهم الحقيقيَّة؟ والاسمُ الحقيقي لهؤلاء : «المرتدون»، فهؤلاء قد مَرَقوا من الدينِ مُروقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّة، ولم يَعُدْ في قلوبهم توقيرٌ للَّه تعالى، ولا تعظيمٌ لكتابه، ولا احترامٌ لرسوله، ولا انقيادٌ لشريعته» .

ويَعْجَبُ الغزاليُّ من موقفِ هؤلاء المرتدين في حقيقة أمرهم، لماذا يحرِصون على أنْ يحتفِظوا باسمِ الإسلام، وأن يَظَلُّوا محسوبين على المسلمين، والإسلامُ منهم براء؟! وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قولُ

المثقَّب العَبْدي:

فَإِمَّا أن تكونَ أخي بصدْقٍ فأعرفُ منكَ غَثِّي من سَمِيني

وإلا فاطَّرِحْنِي واتَّخِذْني عَدُوًّا أتَّقيك وتتَّقيني

كان هؤلاء العلمانيُّون يَظْهرون في أثوابٍ متباينةِ الأشكال، فقد يَلْبَسون لُبوسَ «اليسار الثوري»، وقد يَلْبَسُون لبوس «اليمين الليبرالي»، وقد يتحلَّون بعباءة «القوميَّة العربية»، وقد يَبدُون في أثوابٍ أُخَرَ، ولكنَّهم جميعًا شركاءُ في الجُرأةِ علىٰ اللَّه ـ تباركت أسماؤه ـ، وفي التعالُمِ عليه جَلَّ عُلاه، والاستدراكِ علىٰ شرعه! فهم يَزْعُمون أنهم أعلمُ من اللَّه بخَلْقِه، وأبرُّ منه بعباده، وأنه تعالىٰ حين شَرَعَ لهم ما شَرَعَ لم يكن يَدرِي ما يَحدثُ لهم من تطوُّرات، وما يَجرِي عليهم من أحداث، فهم لذلك يرفضون حُكمَه، وحُكمَ رسولِه، ولا يرتَضُون مَرجعيَّةَ الإسلامِ فيما شَجَرَ بينهم».

*** مؤتمر «الثقافة العربية» بالقاهرة، «نحو خطاب ثقافي عربي ـ من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» في ٣ / ٧ / ٢٠٠٣:**

هذا المؤتمر المشبوهُ النَّكِد هو مُؤتمرُ ترحيلِ الإسلام واستباحتُه الذي عَقَدَته وزارةُ الثقافة المصرية بمقر المجلسِ الأعلىٰ للثقافة، وحَشَدت له نحوَ سبعين ومئةٍ من المثقَّفين العرب والمصريين، معظمُهم من الشيوعيِّين وبعضِ الليبرالين علىٰ مدىٰ ثلاثةِ أيامٍ ـ من الأول إلىٰ الثالث من يولية ـ تطاولَ الأقزامُ واستباحوا الإسلام، وعَبَروا مرحلةَ الخِداعِ والمداراة إلىٰ مرحلةِ المباشرة والفجور.. وكان المؤتمرُ حَربًا ضروسًا علىٰ الإسلام ـ أصولِه

وفروعِه ـ، تمهيداً لترحيلِه من مصرَ وطرده منها حقيقةً لا خيالاً . . فقد قالوا:

ـ إنَّ القرآنَ لم يَعُدْ صالحًا لإدارةِ شؤون الحياة؛ لأنه «مُنْتَهٍ» أيْ ضيِّقٌ محدودٌ، وواقعُ الحياةِ غيرُ مُنتهٍ، فكيف يَصلحُ المنتهي «القرآن» للحكمِ غير المنتهي؟!.

ـ وأنَّ الأحاديثَ النبويَّةَ كلهًا مكذوبةٌ على رسول اللَّه ﷺ إلا عَشَرةَ أحاديث، فلا يجوزُ العملُ بهذه الأحاديث المكذوبة.

ـ لا يجوزُ الاقتداءُ بأصحابِ رسول اللَّه ﷺ؛ لأنهم هم الذين زَوَّروا الأحاديثَ النبويَّة.

ـ حَذفُ المادةِ التي تجعلُ الإسلامَ هو دينُ الدولةِ الرسميِّ، لتصبحَ مصرُ دولةً لا دِينَ لها.

ـ إلغاءُ الحلال والحرام[1] .

ـ «ودعوةُ الحكومات إلى اتخاذِ موقفٍ محايدٍ في صراعِ الأفكار والاجتهادات، دون توظيفٍ دينيٍّ للسياسة، أو توظيفٍ سياسيٍّ للدين «يعني بالعربي الفصيح دَعُوا كلَّ مَن يحاربُ الإسلامَ يعملُ براحته دون أن يزعجَه أحدٌ أو يردَّ عليه أحدٌ، فضلاً عن إقصاءِ الإسلام من الحياةِ الإسلامية، وفقًا لِمَا دعا إليه أحدُهم من ضرورةِ حذفِ «المادة الثانية» من الدستور التي تتحدَّثُ عن الشريعة الإسلامية بوصفها المصدرَ الأساسيَّ

---

(١) «ترحيل الإسلام عن مصر» مقالة للدكتور عبدالعظيم المطعني بجريدة «آفاق عربية» العدد (٦١٦) الخميس الموافق ١٧ من جمادىٰ ـ يوليو ٢٠٠٣م.

للتشريع، وضرورةِ الفصلِ بين الدين والدولة!»[1] .

*** الدكتور العفيف الأخضر التونسي، يدعو إلى حذفِ كلمة «الكُفَّار» من الفقه الإسلامي، وتحريرِ الوعي الإسلاميِّ من قيمة «الحلال والحرام»!!!:**

العفيفُ الأخضر، صاحب مدرسة «التغيير الديني» في تونس، الذي يتباهَىٰ بأنه كان وراءَ إغلاقِ «جامعة الزيتونة»!!.

وطَرَح العفيفُ في هذا المؤتمر مشروعَ «تعليم تنويري» ـ علىٰ حدِّ قوله ـ، قائمًا علىٰ تعميمِ التجربة التونسيَّة في جميعِ البلاد العربية، وأن هذا التعليمَ قائمٌ علىٰ تحرير العِلمِ من الوِصايةِ والنصوصِ الدينية، والاعترافِ الكاملِ بحقوقِ المرأةِ في كلِّ شيء.

كما ذَكَّر العفيفُ بالعمل علىٰ ضرورةِ إقصاء كلمة «الكُفَّار» من الفقه الإسلامي، واعتَبَرَ هذه التسميةَ تَفْرِقةً عنصريةً، وطالَبَ بضرورةِ تدريسِ مادة «حقوق الإنسان»، في كافَّةِ مناحِي الحياة بجميع الدول العربية كما هو الحال في تونس لتحرير الوعي الإسلامي من قيمة الحلال والحرام»[2] .

* * *

(١) من مقالة «استباحة الإسلام» للدكتور حلمي القاعود ـ جريدة آفاق عربية ـ العدد (٦١٦) الصفحة الأخيرة (١٤).

(٢) مقال «مصيبة» ـ جريدة الشعب ـ العدد (٣٣١) (ص٣).

* الشامِتُون بموتِ النبي ﷺ «حركة البغاء بحَضْرَمَوْت» أيامَ الرِّدَّة:

قامت بعضُ بناتِ اليمن من يهودَ أوْ مَن لفَّ لَفَّهم، في حَضْرَموت، فقد طِرْنَ فَرَحًا بموتِ رسولِ اللَّه ﷺ، فأقَمْنَ الليالي الحمراءَ مع المُجَّانِ والفُسَّاق، يُشَجِّعْنَ على الرذيلة، ويُزرِينَ بالفضيلة، فقد رَقَص الشيطانُ فيها معهنَّ وأتباعهُ طَرَبًا لنكوصِ الناسِ عن الإسلام والدعوةِ إلى التمرُّد عليه وحَربِ أهله[1]، لقد حَنَّتْ تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكَرات، وانجَذَبْنَ إليها انجذابَ الذُّبابِ إلى أكوامٍ من الأقذار، فقد تَعَوَّدْنَ على الفاحشة في حياتِهنَّ الجاهلية، فلما جاء الإسلامُ حَجَزَتْهُنَّ نظافتُه عنها، فشَعُرْنَ وكأنهنَّ بسِجنٍ ضيق يَكَدْنَ يَختَنِقْنَ فيه، ولذا ما إنْ سَمِعْنَ بموتِه ﷺ حتى أظْهَرْنَ الشماتةَ، فخَضَبْنَ أيديَهنَّ بالحِنَّاء، وقُمْنَ يَضْرِبْنَ بالدفوف، ويُغنِّينَ فَرَحًا، فقد تحقق لهن ما كُنَّ يتمنَّينَه على السُّلطة الجديدة، وكان مُعظَمُهُنَّ من عِلْيَةِ القوم هناك، وبعضُهن يهودياتٌ، وقد كان لِكلا الطرفَين مِن أشرافِ القومِ ـ العربِ واليهودِ ـ مصلحةٌ في الانتقاضِ على مبادئِ الإسلام، والانقضاضِ على كِيانه، لقد عُرِفت هذه الحركةُ في التاريخ بـ «حركة البغايا»، وكنَّ نيِّفًا وعشرينَ بغيًّا متفرِّقاتٍ في قرى «حَضْرَمَوْت»، وأشهرُهنَّ «هر بنت يامِن» اليهودية التي ضُرِب المَثَلُ بها في الزنا، فقيل: «أزنى مِن هر»، ويَذكرُ التاريخُ أن الفُسَّاقَ كانوا يتناوَبونها لهذا الغرض في الجاهلية، ولكنَّ هؤلاء السواقطَ لم يُتْرَكْنَ وشأنَهُنَّ يُفسِدْنَ في

(١) «حركة الردة» للعتوم (ص١١٩).

المجتمع كما يحلو لهنَّ[١] ، فقد وَصَل الخبرُ إلى الصِّدِّيق، وأرسل رجلٌ مِن أهلِ اليمن إليه هذه الأبيات:

أبلـغْ أبا بكرٍ إذا ما جئتَـه ... أنَّ البغايا رُمْنَ أيَّ مَرامِ

أظهرْنَ من موتِ النبيِّ شماتةً ... وخَضَبْنَ أيديَهُنَّ بالعُلاَّمِ[٢]

فاقطَعْ هُديتَ أكُفَّهُنَّ بصارمٍ ... كالبَرقِ أمضَى من مُتونِ غَمامِ[٣]

▫ فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عامله هناك «المهاجر بن أبي أمية» كتابًا في منتهى الحزم والصرامة جاء فيه: «فإذا جاءك كتابي هذا فسرْ إليهنَّ بخَيْلِك ورَجْلِك حتى تقطعَ أيديَهنَّ، فإنْ دَفَعَك عنهنَّ دافعٌ فأعذرْ إليه باتخاذ الحُجَّةِ عليه، وأعلِمْه عظيمَ ما دَخَل فيه من الإثم والعدوان، فإنْ رَجَعَ فاقبلْ منه، وإن أبى فنابذْه على سواء، إنَّ اللَّهَ لا يهدي كيد الخائنين..»، فلما قرأ «المهاجرُ» الكتاب جَمَع خَيْلَه ورَجْلَه، وسار إليهنَّ، فحال بينه وبينهنَّ رجالٌ من «كِنْدة وحَضْرَمَوْت»، فأعذَرَ إليهم، فأبَوْا إلاَّ قتالَه، ثم رجع عنه عامَّتهم، فقاتَلَهم، فهَزمهم، وأَخَذ النِّسوةَ، فقَطَّع أيديَهنَّ، فمات عامَّتهنَّ، وهاجر بعضُهنَّ إلى الكوفة.

لقد نِلْنَ جَزاءَهنَّ في مَحكمة الإسلام العادلة، إذ أَخَذَهنَّ عاملُ أبي بكر على تلك البلاد، وطَبَّق عليهن حدَّ «الحِرابة»[٤] .

▫ ونُقلت الأخبارُ للخليفة في امرأتين من بلاد حَضْرَمَوْتَ تغنَّتا بهجاءِ

---

(١) «حركة الردة» للعتوم (ص١١٩).

(٢) العلاَّم: الحِنَّاء.

(٣) «حروب الردة» للعتوم (ص١٨٤).

(٤) «حروب الردة» (ص١١٩).

رسولِ اللَّه ﷺ، والمسلمين، وكان قد عاقبَهما «المهاجرُ بن أبي أمية» والي تلك البلاد، بقَطعِ أيديهِما ونَزْعِ ثنيَّتيهما، فلم يَرْضَ أبو بكر، وعدَّها عقوبةً خفيفةً في حقِّ هاتين المجرمتَين، وقد وجَّه إليه كتابًا بهذا الخصوص، قال فيه بحق الناعقة بشتم صاحب الرسالة: «بَلَغني الذي سِرْتَ به في المرأة التي تَغنَّت وزَمَّرت بشتيمةِ رسولِ اللَّه ﷺ، فلولا ما قد سَبَقْتَني فيها لأَمرتُك بقَتلِها؛ لأنَّ حدَّ الأنبياء ليس يُشبهُ الحدود، فمَن تعاطَىٰ ذلك من مستسلمٍ فهو مرتد، أو معاهَد فهو محارِبٌ غادر»[1] .

◘ وقال في الأخرىٰ: «بلغني أنك قطعت يدَ امرأةٍ في أنْ تغنَّت بهجاءِ المسلمين ونزعتَ ثنيتها، فإن كانت ممَّن تدَّعي الإسلام، فأدبٌ وتقدِمةٌ دون المُثْلة، وإن كانت ذمِّيَّةً لَعَمْري لَمَا صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنتُ تقدَّمتُ إليك في مِثلِ هذا لبلغتُ مكروهًا، فاقبل الدَّعَةَ، وإياك والمُثْلَةَ في الناس؛ فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص»[2] .

الساخرون المستهزؤون برسول اللَّه ﷺ وبالإسلام.. تبًّا لهم:

*** صلاح جاهين.. ومصطفى حسين:**

◘ للَّه درُّ القائل في صلاح چاهين ومصطفىٰ حسين وأمثالِهما ممن طَفَوْا علىٰ سطح المجتمع المصري، ونال من المجدِ الزائف والشهرةِ الكاذبة قسطًا كبيرًا، وصَفَّق لهما الدجَّالون طويلاً، وفُتِحت أمامَهما الأبواقُ

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٥٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٥٧)، و«الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق» (ص٢٤٤ - ٢٤٦) للدكتور علي محمد الصلاّبي - دار الفجر - مصر.

والصحف:

زَبَدُ البَحْرِ أنتَ؟ أنت قَذَى البحر	ومــا أنتَ دُرُّه والجــواهــــرْ
إنْ تكنْ قد كَسَوْتَ مِن صفحة الماءِ	وهَـــوَّمتْ بالعُبــابِ الزاخــرْ
بعضَ ريــحِ أتى بوفْــرِكَ يومًا	بعضُ ريحٍ يُزيـل ذاك الوافــرْ
إنَّ مَــا تــرى تِجــارةُ بغــيٍ	ذَلَّ في عصيرهـا نقــاءُ الحرائـرْ
وخطــابٌ عَلاَ بثَــغْــــرِ كَرِيــه	ثُــم دانتْ له جميــعُ المنــابـرْ

☐ تطاوَل صلاح چاهين، ومَسَّ برسومِه الكاريكاتيرية وصورِه الساخرة علماءَ الدين وزِيَّ المرأةِ المسلمة، وغَمَزَ الصومَ والصائمين، وتهجَّم على شهرِ رمضان، وقد كان مِن أسوإِ هذه الصور كاريكاتير: «الشيخ متلوف» الذي استمرَّ في مجلة «روز اليوسف» سنواتٍ في نقدٍ لاذعٍ لكلِّ القِيمَ التي يُمثِّلُها عالِمُ الإسلام.

☐ انظرْ إليه وهو يَسخَرُ في شِعرِه العاميِّ من علماءِ الأمة حين جاء نابليون الصَّليبيُّ بحَمْلَتِه الفِرنسيَّةِ، فيَنسِبُ دَجَلاً وكَذِبًا إلى علماءِ الأمة كلَّ نَقِيصةٍ، ويقول في أبياتٍ له تَقْطُرُ سُمًّا وسُخريةً:

زَحَفَ الفرنسيس وزَحَفَتْ قبلَهم جواسيسْ\
غايصين لقاعها وعارفين بَاعْها من باريسْ\
وايش عمل القاع قصير البــاع.. في القِمَّة\
وايش تعْمل العِمَّة في البرنيطة يا أئمـــة؟\
العِمَّة ما اتْكلِّمتْ؟ (!!) وتَنَّ صُوتْها حَبيسْ\
غير مَرَّة لَمَّا البُوليس قال: نَوَّروا الفوانيسْ!

ودَه كُفرْ طَبْعًا، ولا يُدْخل لنا في ذمَّهْ
اطَّمَن الغرب إنَّ في بلدنا ناس رِمَّـــةْ
وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمة
على اسمِ مصر

نَسَب إلى العلماء أنه عندما أنار الفرنسيُّون القاهرة، تَحرَّك علماءُ الأزهر محتجِّين بإنَّ إبقاءَ المصابيح كفر، وإشاعةَ الظلام بالليل هو ما يَعملُ له علماءُ الدين (الرِّمَم)!!. فالظُّلْمة طاعة والضوء معصية.

فهذا تطاوُلٌ من القَمِيءِ القَذِر، وإفكٌ ودَجَلٌ خسيس، فقد قامت الثورة من الأزهر.

□ يقول صلاح چاهين:

وأنالـــوا «نابيلون» لكنتْ عَدَمتُهم تقتيلْ
ما دُمت أقـــدر أسيِّح دَمَّهُـــم في النيـــلْ
وأخـــلع ذقونهـــم وأبيِّن إنـهـــا تضليـــل
على اسمِ مصر

بل إنَّ صلاح چاهين قد جاوَزَ بعد ذلك كلَّ الحدود، حين أجرى الكاريكاتير على أعلى قيَمِ الإسلام، وسَخِرَ هذا المُلحِدُ كثيراً من الإسلام، وجعل كاريكاتيرَه للغَمْزِ واللمْزِ وحَرْبِ الإسلام.

□ وجاء مصطفى حسين، فرسم «الديك» وزوجاته، وكتب تحته «محمد أفندي والزوجات التسع»، يعني رسول اللَّه ﷺ وزوجاته أمهاتِ المؤمنين!!.

ونشرت أيضًا جريدة «المساء» المصرية التي يَملِكُها مجلس قيادة الثورة المصرية سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م صورةً كاريكاتيريةً تتمثَّل في وجه إنسان،

ورجل يقول: «أهو دا محمد أفندي اللي اتجوِّز ٩»، والهدف معروف من وراء هذه الإشارة!!.

وعلى إثْر حادث الإرهابيين في «فيينا» رَسَمَ صورةً كَتَب تحتها يَصِفُ الإرهابيين بهذه الأوصاف: «خديجة مائير»، و«أحمد ليفي».. إلى آخر هذه الأسماء.. لماذا اختار هذه الأسماءَ الإسلامية الكريمة كاسمِ الرسول ﷺ وزوجتِه أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها ليَصِلَها بأبغضِ الأسماء؟!!!.

✍ عامَلَه اللَّهُ بما يستحق، وحَشَره مع مَن هم على شاكلتِه ومَن كان ذَنَبًا لهم.

*** الشيخ ابنُ باز يَحكمُ بِردَّةِ مَن تَنقَّصَ الرسولَ ﷺ، ويَرُدُّ على جريدة «المساء» المصرية:**

حُكم مَنِ استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سَبَّه، أو تَنَقَّصَه، أو استَحلَّ شيئًا ممَّا حَرَّمه[1]

بسم اللَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه.. لقد اطَّلعتُ على ما نَشَرَتْه صحيفةُ «صوت الإسلام» بالقاهرة نقلاً عن صحيفة «المساء» المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي مِنَ الجُرأةِ على الجنابِ الرفيع والمقامِ العظيم مَقامِ سيِّدنا وإمامِنا: محمدِ بنِ عبداللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا، بتمثيلِه بحيوانٍ من أدنى الحيوانات ـ وهو الدِّيك ـ، لا يَشكُّ مسلمٌ أنَّ هذا التمثيلَ كُفرٌ بَوَاح، وإلْحادٌ سافرٌ، واستهزاءٌ صريحٌ بمقام

(١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٥٣/٦).

سيِّدِ الأولين والآخرين ورسولِ ربِّ العالمين، وقائدِ الغُرِّ المُحَجَّلين، إنها لَجرأةٌ تُحزِنُ كلَّ مسلم، وتُدمِي قلبَ كلِّ مؤمن، وتُوجِبُ اللعنةَ والعار، والخلودَ في النار، وغَضَبَ العزيزِ الجبار، والخروجَ من دائرةِ الإسلام والإيمانِ إلىٰ حيِّزِ الشِّركِ والنِّفاقِ والكفران، لِمَن قالَها أو رَضِيَ بها، ولقد نَطَق كتابُ اللَّه الكريمُ بكفرِ مَنِ استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيءٍ من كتابِ اللَّه المُبين، وشَرْعِه الحكيم، قال اللَّه عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] الآية، فهذه الآيةُ الكريمة نصٌّ ظاهرٌ وبُرهانٌ قاطعٌ علىٰ كُفرِ مَنِ استهزأ باللَّهِ العظيم، أو رسولِه الكريم، أو كتابِه المبين، وقد أجمَعَ علماء الإسلام في جَميعِ الأعصار والأمصار علىٰ كُفرِ مَنِ استهزأ باللَّهِ أو رسولِه أو كتابِه أو شيءٍ من الدِّين، وأجمَعوا علىٰ أنَّ مَنِ استهزأ بشيءٍ من ذلك - وهو مسلمٌ - أنه يكون بذلك كافراً مرتداً عن الإسلام يجبُ قَتلُه؛ لقول الرسول ﷺ: «مَن بَدَّل دينَه فاقتُلُوه».

◻ ومن الأدلةِ القاطعةِ علىٰ كُفرِ مَنِ استهزأ باللَّه أو رسوله أو كتابه - أنَّ الاستهزاءَ تنقُّصٌ واحتقارٌ للمستهزَأ به، واللَّهُ سبحانه له صفةُ الكمال، وكتابُه من كلامه، وكلامُه من صفاتِ كمالِه عَزَّ وجل، ورسولُه محمدٌ ﷺ هو أكملُ الخَلقِ، وسيِّدُهم، وخاتمُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين، فمَنِ استهزأ باللَّهِ أو رسولِه أو كتابِه أو شيءٍ من دينِه فقد تنقَّصه واحتَقَره، واحتقارُ شيءٍ من ذلك وتنقُّصُه كفرٌ ظاهرٌ، ونِفاقٌ سافرٌ، وعِداءٌ لربِّ العالمين، وكفرٌ برسوله الأمين.

وقد نَقَل غيرُ واحدٍ من أهل العلم إجماعَ العلماء علىٰ كُفرِ مَن سَبَّ

الرسولَ الكريمَ ﷺ أو تَنَقَّصَه، وعلىٰ وجوبِ قتله.

◻ قال الإمامُ أبو بكر بنُ المنذرِ ـ رحمه اللَّه ـ: «أجمَعَ عوامُّ أهلِ العلم علىٰ أنَّ حَدَّ من سَبَّ النبيَّ ﷺ القتلُ، وممن قاله ملكٌ والليثُ وأحمدُ وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي» انتهىٰ.

وقوله: «عوامُّ»: جَمعُ «عامــة»، والعامةُ هنا بمعنىٰ الجماعة، فمرادُه ـ رحمه اللَّه ـ أنَّ جماعاتِ العلماءِ أجمعوا علىٰ وجوبِ قَتلِ مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ.

ولا شكَّ أن السبَّ يتنوَّعُ أنواعًا كثيرةً، ولا رَيبَ أن الاستهزاءَ به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتنقُّصَه وتمثيلَه بحيوانٍ حقيرٍ، مِن أقبحِ السبِّ وأعظمِ التنقُّص، فيكونُ فاعلُ ذلك كافراً حلالَ الدمِ والمالِ.

◻ وقال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ: «أجمعت الأمةُ علىٰ قَتْلِ مُتنقِّصِه من المسلمين وسابِّه» انتهىٰ.

◻ وقال محمدُ بنُ سُحنون ـ من أئمَّة المالكية ـ: «أجمع العلماءُ علىٰ أنَّ شاتِمَ النبيِّ ﷺ والمتنقِّصَ له كافر، والوعيدُ جاء عليه بعذابِ اللَّه له، وحُكمه عند الأُمَّةِ القتلُ، ومَن شَكَّ في كُفرِه وعذابِه كَفَر» انتهىٰ.

◻ وقال شيخُ الإسلام أبو العباس بنُ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ بعدما نَقَل أقوالَ العلماء في شاتِمِ الرسول ﷺ ومتنقِّصِه في كتابه: «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» ما نصُّه: «وتحريرُ القولِ فيه: أن السابَّ إن كان مسلمًا أنه يَكفُرُ ويُقتَلُ ـ بغير خلاف ـ، وهو مذهبُ الأئمةِ الأربعةِ وغيرِهم، وقال حنبل: سمعتُ أبا عبداللَّه يقول: مَن شَتَم الرسولَ ﷺ أو انتَقَصه ـ مسلمًا

كان أو كافراً ـ فعليه القتلُ، وأرىٰ أن يُقتلَ ولا يُستتاب» انتهىٰ.

وكلامُ العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نَقَلْنا عنهم كفايةٌ لطالب الحق.

ولقد وُفِّقت صحيفةُ «صوت الإسلام» القاهرية في رَدِّها علىٰ جريدة «المساء» المصرية ما اقترَفَتْه من المحاربةِ للإسلام ومِنَ الجُرْمِ الفظيعِ والمُنكَرِ الشنيع في حقِّ المصطفىٰ ﷺ وشريعتِه، بقلم رئيس التحرير الشيخ «محمد عطية خميس»، ولقد أحسَنَ فضيلتُه إحسانًا عظيمًا، حيث أنكَرَ ما فَعَلَتْه هذه الصحيفةُ من الكفرِ الصريحِ والاستهزاءِ السافرِ بسيِّد عِبادِ اللَّهِ وأفضلِ رسولٍ، واحتَجَّ علىٰ حُكَّامِ مصرَ، وطَالَبهم بوَضعِ حدٍّ لهذه الفتنة.

وإلىٰ القُرَّاء بعضَ كَلمتِه، قال ـ وفَّقه اللَّه ـ بعد كلامٍ سَبَق في ردِّ مقالاتٍ شنيعةٍ كتبتها بعضُ الصحفِ المأجورة ما نصُّه:

«فلا عَجَبَ بعد كلِّ هذا أن يتجرأَ صحفيٌّ من صَحَفِيِّي جريدة «المساء» لِيُعرِّضَ برسولِ اللَّه ﷺ في صورةٍ كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير الماضي، فيَرسُمُ شخصًا له جِسمُ الدِّيك، ويقول تحت هذه الصورة: «اهوه ده ـ يا سيدي ـ محمد أفندي اللي متجوِّز تسع».. بمثل هذا الخُبثِ تُنشرُ مِثلُ هذه الصورة التي تُعرِّضُ برسولِ اللَّه ﷺ وبشريعةِ الإسلام.

□ مَن الذي تزوَّج تِسعًا غيرَ رسولِ اللَّه ﷺ؟ أيصلُ الأمرُ إلىٰ أنْ يُنشرَ مِثلُ هذا الرسمِ في جريدةٍ يوميةٍ يُشرِفُ عليها الاتحادُ القومي، وتَصِلُ السخريةُ المنكرة علىٰ شخصِ رسولِ اللَّه ﷺ، وأن يقال عنه: «محمد أفندي»، ويُرمَزُ إليه بمِثلِ هذا الرمز؟! لماذا اختار المحرِّرُ أو الرسَّامُ «محمد

أفندي» بالذات، ولم يَختَرْ «علي أفندي» أو «سعيد أفندي» أو أيَّ اسم آخر؟ ولماذا حَدَّد العددَ بتسعٍ بالذات؟ ولم يُحدِّد بسبعٍ أو عشرٍ أو اثنَيْ عشر؟!.

إن خُبثَ الرسَّامِ ظاهرٌ واضح، ولا يَحتاجُ إلى تأويلٍ والتماسِ عُذرٍ له، إنَّ مِثلَ هذا الرسمِ لو نُشر في أيَّةِ صحيفةٍ إنجليزيةٍ أو أمريكيةٍ أو فرنسيةٍ - أو حتى إسرائيلية -، لقامت الدنيا وقَعَدت، ولاتُّخذت سلاحًا بتَّارًا للدعايةِ والتشهير، أمَّا أن يُنشرَ في جريدةٍ من جرائدِ هذه الأمة فتُغْمَضَ عنها الأعيُنُ، وتَمُرُّ بها مرورًا عابرًا، ومِن المؤسِفِ المؤلِمِ أن يَحدُثَ هذا في صحافتِنا، في الوقت الذي يَعملُ فيه الأعداءُ أكثرَ من حسابٍ لمشاعِرِنا نحن المسلمين، فأمريكا وإيطاليا يُريدانِ إنتاجَ فيلمٍ عن رسولِ اللَّه ﷺ، فإذا بهم يلجؤون إلى مَشيخةِ الأزهر والجامعةِ العربية ليأخذوا رأيَها وموافقتَها في كلِّ ما يتعلَّقُ بهذا الفيلم - من حوارٍ وسيناريو وخلافه -، وكان باستطاعةِ هاتَينِ الدولتينِ أن تُخرِجَا الفيلمَ كما تشاءان، وعلى النحو الذي يَتَّفقُ مع رُوحِهِما العِدائيةِ لنا، هذا ما يَحدثُ من أعدائنا، وهذا ما يَحدثُ من أبناء أُمَّتنا.

إلى متى يَسكتُ المسؤولون عن هذه الصحافة؟ وإلى متى نَسكتُ نحن - أبناء هذه الأمة -؟ هل ننتظرُ إلى أن يَلجأَ هؤلاء الخَوَنَةُ والمفسِدون إلى التصريحِ بدلاً من التلميح؟ أننتظر إلى أن يُسخَرَ من إسلامِنا في الشوارع والطرقات؟ واللَّه إنها لَفتنةٌ سوداء، يُوقِدُها هؤلاء الجُهلاءُ المأجورون، تُنذِرُ بالخطرِ الفادحِ - إنْ لم يُوضَعْ لها حدٌّ -، فإننا لن نستطيعَ أن نسكتَ بعد هذا على هذا التمادي في محاربةِ الإسلام والأخلاق، وفي التعريضِ برسول اللَّه ﷺ وشريعتِه، فالأُمةُ لا تزالُ معتزَّةً بدينها، غَيُورةً على

رسولها، فإن أرادت هذه الصحافةُ الماجنةُ أن تُعلِنَها حربًا فلْتُعلِنْها كما تريد، ولكنْ لن نَقِفَ مكتوفي الأيدي. . وكفى! فإسلامُنا هو وطنُنا، ولا وطنَ لنا غيرُه، وإسلامُنا هو رُوحنا، ولا حياةَ لنا بسواه، وإسلامُنا هو رِزقُنا، ولا قِيمةَ للطعامِ والشرابِ عندنا بدونه، وإسلامُنا هو كلُّ شيءٍ في الوجود بالنسبة لنا. . وأقولُ هذا باسمِ أكثرَ من عشرينَ مليونِ مسلم من أبناءِ هذا الشعب العزيز، ونحنُ في انتظارِ بيانٍ رسميٍّ من الاتحادِ القوميِّ وما صَنَعه مع جريدةِ «المساء» ورسَّامها والمسؤولين عنها، ومع صحافتنا على العموم، حتى نَطمئنَّ إلى مستقبَلِ دينِنا، واللَّهُ أكبر، والعزةُ للَّه ولرسوله وللمؤمنين». . انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس.

ولقد أجاد وأفاد، وصَدَع بالحق، فجزاه اللَّهُ على ذلك خيراً، وزاده من الهدى والتوفيق، وكثَّر في المسلمين من أمثاله من الصادِعِين بالحق بين الظَّلَمةِ اللِّئام، والحمدُ للَّه الذي أوجَدَ في مصرَ مَن يَنطِقُ بالحقِّ، ويَصدَعُ بالردِّ على مَن حادَ عنه، وإنْ دَلَّ ذلك على شيءٍ، فإنما يدلُّ على أنَّ بالزوايا خبايا، وأنَّ في الرجال بقايا، ولا شكَّ أن ذلك مِن حفْظِ اللَّه لدينِه، وحِمايتِه لخاتمِ أنبيائه وسيِّدِ أصفيائه محمدٍ ﷺ، ولقد أخبرَ اللَّهُ سبحانه في كتابه المجيد عن أعدائِه من الكفار والمنافقين أنهم يَسخَرون بالمرسلين والمؤمنين، ويَضحكون منهم، فلا غرابةَ أنْ سَلَكَ القائمون على صحيفة «المساء» مَسْلَكَ أئمَّتِهم من المشركين والمنافقين، وساروا على مِنهاجِهم الوخيم وطريقِهم الذميم، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

* قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠] الآيات.

* وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩ ـ ١١١].

* وقال جلَّ وعلا عن رسوله نوحٍ وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ١٠٩ ـ ١١١].

* وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ففي هذه الآياتِ المُحكمات والبراهينِ البينات دِلالةٌ ظاهرة وحُجَجٌ قاهرةٌ علىٰ أن الاستهزاءَ بالمرسلين والمؤمنين من صفاتِ الكفارِ والمنافقين والمشركين، ومِن عدائِهِمُ السافِرِ وكُفرِهِمُ الظاهر.

ولقد تَخلَّقَ بعضُ القائمين علىٰ صُحفِ القاهرة في هذا العصر بأخلاقِهم، وساروا سِيرتَهم، ونَهَجوا نَهْجَهم، فلهم حُكمُهم في الدنيا والآخرة، وقد ثَبَت عن المصطفىٰ ﷺ أنه قال: «مَن تَشبَّه بقومٍ فهو منهم»، فليس مِن شكٍّ عند كلِّ مَن له أدنىٰ مُسْكَةٍ من عِلمٍ وهُدًىٰ أنَّ مَن شبَّه الرسولَ ﷺ بشيءٍ من الحيواناتِ الحقيرةِ، قد تَنَقَّصه واحتقَره، ومَن فَعل ذلك أو رَضِيَه من حاكمٍ أو صَحَفِيٍّ ـ أو غيرهما ـ، فهو كافرٌ مُلحِدٌ حلالُ

الدمِ والمال.

وهنا أمرٌ عظيمٌ يَنبغي التنبيهُ له، وهو أنْ يقال: «ما السرُّ في تَشبيهِ صحيفةِ «المساء» القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقيَّة الحيوانات؟».

إنه ظاهرٌ لمَن تأمَّله، ألاَ إنه الجحودُ لنبوَّته، والإنكارُ لرسالته، ورَميُه بأنه ثائرٌ شَهْوانيٌّ، ليس له همٌّ إلاَّ إشباعُ نَهْمَتِه من النساء، وهذا إمْعانٌ في الكفرِ، وإيغالٌ في الاستهزاء والاحتقارِ للجَنَاب العظيم والمَقَام الرفيع، لَعَن اللَّهُ مَن تَنقَّصَه أو رَماه بما هو بَرَاءٌ منه، وقاتَلَ اللَّهُ صحيفةَ «المساء» القاهرية والقائمِين عيها الراضِين بهذا الاستهزاء، فما أعظَمَ ما تجرَّؤُوا عليه من الباطل!! وما أقبَحَ ما وَقعوا فيه من الإسفافِ والاستهزاء!!.

ولقد صان اللَّهُ رسولَه ﷺ وحماه مما قاله المُبطِلون ورماه به المفترون، فقد كان أعفَّ الناس، وأنصَحَهم للَّه ولعباده، وأرفَعَهم قَدْراً، وأشرَفَهم نَفْسًا، وأشدَّهم صبراً، وأقوَمَهم بحقِّ اللَّهِ وتبليغِ رسالته، وأخشاهم للَّه، وأتقاهم له، وأزهَدَهم في كلِّ ما يُلوِّثُ مقامَه العظيم، أو يَعُوقُه عن مُهمَّتِه في الجهاد والنُّصحِ والتبليغ، وإنما تزوَّج النساءَ كَسُنَّةِ مَن قَبْلَه من المرسلين، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وفي تزوُّجِه ﷺ بتسعٍ من النساء، حِكَمٌ كثيرة، وأسرارٌ بديعة، ومصالحُ عظيمة.

منها: إعفافُهنَّ، والإحسانُ إليهن.

ومنها: أن يَتعلَّمْنَ منه ﷺ أصولَ الشريعة وأحكامَها، ويُعلِّمْنَها الناسَ

بعدَه ـ كما قد وقع ـ، فقد كان بَيتُ كلٍّ واحدةٍ منهنَّ مدرسةً للمسلمين والمسلمات، يَرِدُونها للتعلُّم، ويَشربون من مَعِينها الصافي عَلَلاً بعد نَهَل، ويَسألون أمَّهاتِ المؤمنين عن حياته ﷺ وشمائِلِه وأخلاقِه وأعمالِه داخلَ بيوته وخارجَها.

ومن ذلك: ما في تَعدُّدِهنَّ من مصلحةِ التأليفِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى، وتبليغِ القرآنِ والسُّنَّةِ بواسطةِ أصهارِه ومَن يَتَّصلُ بهم؛ لأنَّ أزواجَه كُنَّ مِن قبائلَ شتَّى، وذلك أبلغُ في مَقامِ الدعوةِ والتأليفِ، وأنفعُ للأُمَّةِ، وأكملُ من جِهةِ التبليغِ والتعليم.

ومن ذلك: ما في تَعدُّدِهنَّ من راحته ﷺ وأُنسِه، فإنَّ اللّٰه سبحانه قد حَبَّب إليه النساءَ والطِّيب، وجَعَل قُرَّةَ عَينِه في الصلاة، وقد صَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِها الزوجةُ الصالحة**»، وقد جَبَل اللّٰهُ الرجالَ على حُبِّ النساء والمَيلِ إليهنَّ، وجَعَلَهُنَّ سَكَنًا للرجال، كما قال عزَّ وجل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٥٩]، وأعطى نبيَّه ﷺ في ذلك من كمالِ الرُّجولةِ والقوةِ على القيامِ بأمرِ الزوجات وحُقوقِهنَّ ما لم يُعطِهِ الكثيرَ ممن قَبْلَه، وليس هذا بمستنكَرٍ في الأنبياءَ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فإنهم أكملُ الرجال رجولةً، وأعفُّهم فَرْجًا، وأقومُهم بحقِّ اللّٰه وحقِّ عبادِه، وقد كان لنبيِّ اللّٰه داودَ زوجاتٌ كثيرة، ولابنه ـ نبيِّ اللّٰه سليمان بن داود ـ كذلك، وقد قوَّاهما اللّٰهُ على الطَّوَافِ عليهنَّ والقيامِ بحقِّهنَّ، فكيف يُستغربُ على مَن هو أفضلُ منهما وأرفعُ عند اللّٰه منزلةً ـ وهو محمدٌ ﷺ ـ أن يُبيحَ اللّٰهُ له تِسعًا من النساء؟! مع ما في ذلك من المصالحِ الكثيرةِ ـ التي

تَقَدَّم بعضها ـ، وكلُّها تعودُ على الأمةِ بالخيرِ والإحسان والنفعِ العام، وقد خَصَّ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بخصائصَ عظيمة، وحباه بصفاتٍ كريمة، فبَعَثه إلى الناسِ عامةً، وجَعَله رحمةً للعالمين، واتَّخذه خليلاً كما اتَّخذ إبراهيمَ خليلا، ورفَع منزلتَه في أعلى الجنة ـ وهي الوسيلة ـ، وجعَله سيِّدَ أولادِ آدمَ كلِّهم، وأعطاه المَقامَ المحمودَ والشفاعةَ العُظمى يومَ القيامة، ونَصَره بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وشَرَح له صَدْرَه، وغَفَر له ذَنْبَه، ووضع عنه وِزْرَه، ورَفَع له ذِكْرَه، فلا يُذكرُ سبحانه إلاَّ ذُكِرَ معه، كما في الخُطَبِ والتشهُّدِ والإقامةِ والتأذين، وخصائصُه وشمائلُه ﷺ كثيرةٌ جداً، فكيف ـ بعدَ هذا كلِّه ـ تَجترئُ صحيفةُ «المساء» المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحطِّ مِن قَدْرِه وتمثيلِه بحيوانٍ من أحقرِ الحيوانات وأدناها، إمعانًا في الاحتقارِ ومبالغةً في الاستهزاء، سبحان اللَّه ما أعظَمَ شأنه!! واللَّه أكبر ما أوسعَ حلمه!! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وليس هذا الكفرُ الظاهرُ والنفاقُ السافرُ والاستهزاءُ الصريحُ بأشرفِ عبادِ اللَّه ومَن أخرجَ اللَّهُ به العبادَ من الظلماتِ إلى النور ـ بغريبٍ من صُحُفِ الخلاعةِ والمُجون، وأبواقِ الكفرِ والإلحاد، ومنابرِ الظُّلمِ والعدوان ومحاربةِ الفضائلِ والدعوةِ إلى الرذائل، ليس ذلك بغريبٍ على بعضِ القائمين على صُحف القاهرة، الذين باعوا أنفسَهم للشيطان، وأعرضُوا عما جاءت به الرسل ونَزَل به القرآن، واهتمُّوا بالفراعنة والمَلاحدة وعُبَّادِ الصُّلْبان، وجنَّدوا بعضَ صُحُفِهم لمحاربةِ الإسلام، وطَمْسِ شعائرِه العظِام، والتضليلِ والتلبيسِ على خفافيش الأبصار

وسفهاءِ الأحلام.

□ ثم أقول: ليس هذا وحدَه جُرْمَ صحف القاهرة، فكم لهم من جرائمَ! وكم لهم من مَخازٍ! وكم لهم من مكفِّراتٍ ونواقضَ للإسلام! أليسوا هم الذين أعلنوا في كثيرٍ من صُحفهم الدعوةَ إلى الاشتراكيةِ الكافرةِ والشيوعيةِ الحمراءِ المشتملةِ على الظُّلمِ للعِباد؟! وزعموا - تلبيساً وتضليلاً - أنها من الإسلام؟! والإسلام براءٌ من ذلك، الإسلامُ حَرَّم على الناس دِماءَهم وأموالَهم وأعراضَهم، الإسلامُ يحترمُ مالَ الفردِ والجماعةِ، ويَحرُسُه، ويَحميه بقَطعِ يدِ السارق، وقَتْلِ المحارِب إذا قَتَل، وقَطْعِ يدِه ورِجْلِه مِن خِلافٍ إذا أَخَذ المالَ فقط، ويقولُ الرسولُ العظيم ﷺ في حَجَّةِ الوداع يومَ النحر: «إنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا»، متفق على صحَّته.

● ويقول ﷺ: «مَن ظَلَم شِبراً من الأرضِ، طَوَّقه اللَّهُ إياه يومَ القيامةِ مِن سَبْعِ أَرَضِينَ»، متفق على صحته.

● ويقول ﷺ: «مَنِ اقتَطَع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِه، فقد أوجَبَ اللَّهُ له النار، وحَرَّم عليه الجنة»، خرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

* ويقولُ اللَّه في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

● وقال سيِّدُ الخَلْقِ ﷺ فيما يَروِيه عن ربِّه عزَّ وجل أنه قال: «يا

عبادي، إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفْسي، وجَعلتُه بينكم مُحرَّمًا، فلا تَظَالَموا».

● وقال ﷺ أيضًا: «لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلاَّ عن طِيبةٍ من نفسه».

والآياتُ والأحاديثُ في هذا المعنى كثير، وقد أجمعت الرسلُ - عليهم الصلاة والسلام - في شرائعِهم المتنوِّعةِ على عِصْمَةِ مالِ المسلم، وتحريمِ دَمِه وماله وعِرْضِه إلاَّ بحقٍّ، وأجمع علماءُ المسلمين على ذلك، ومع هذا كلِّه فدعاةُ الاشتراكية والشيوعية - وأعوانُهم على الظُّلم والعدوان - استباحوا أموالَ الناس ودماءَهم بغيرِ حق، ونَبَذوا كتابَ اللَّه وسُنَّةَ رسولِه ﷺ وراءَهم ظِهريًّا، ولو أنهم قالوا: قد عَرَفْنا أنه ظُلمٌ وعُدوانٌ وأَقْدَمنا عليه، لكان أسهلَ عند اللَّه وعند المؤمنين، ولكنَّ بعضَهم - مع الظلم السافرِ والكفرِ الظاهر - يزعُمون أنَّ أعمالَهمُ الماركسيةَ، وتصرُّفاتِهم الشيوعيةَ، وسيرَتَهم الكفريةَ والإلحادية، مِن الإسلام، ويَزعمُ لهم أذنابُهم وعَبيدُهم - تلبيسًا وتضليلاً - أن الإسلامَ جاء بذلك، واللَّه سبحانه ورسوله ودينُه بَراءٌ من ذلك كلِّه: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

* ولقد صَدَق اللَّه سبحانه حيث يقول - وهو أصدق القائلين -: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾

[الفرقان: ٤٣ - ٤٤].

ومَن زَعَم أنَّ ما يفعلُه دعاةُ الاشتراكيةِ والشيوعيةِ - من الظُّلمِ والاستبدادِ والتعدِّي على حُرُماتِ المسلمين - من الإسلام، فهو كافرٌ ضالٌّ

كاذبٌ علىٰ اللَّه ورسوله وعلىٰ شرعه، كما أنَّ مَن أنكرَ الحدودَ - كحدِّ السرقة أو غيره - وزَعَم أنها ليست من شرعِ اللَّه - كما ينعِقُ بذلك دعاةُ الإلحاد من الشيوعيين وغيرِهم -، فهو كافرٌ مكابرٌ مكذِّبٌ لقول اللَّه سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

* ومَن زَعَم أن الاشتراكيةَ الماركسية مباحةٌ، وأنها من الإسلام، أو أنها خيرٌ من الإسلام، وأرحمُ من الإسلام، فهو من أكفرِ عِبادِ اللَّه وأضلِّهم عن سواء السبيل؛ لأنه لا شَيءَ أحسنُ من الإسلام، ولا حُكمَ أعدَلُ من حُكمه، ومَن جعَل الظُّلمَ منه، ونَسَبه إليه، فقد تَنَقَّصَه وكَذَب عليه، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧]، واللَّهُ سبحانه قَسَم بين الناس مَعيشتَهم، ورَفَع بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ، لِتنتظمَ أمورُهم، ويَستعينَ بعضُهم ببعض، فتَكمُلُ مصالِحُهم، وتَظهرُ مواهبُهم، ويتميَّزُ غنيُّهم من فقيرِهم، وشاكِرُهم من كافِرِهم، وناصِحُهم من خائِنِهم، وطَيِّبُهم من خَبيثِهم. . إلىٰ غير ذلك من الحِكَمِ والأسرارِ الكامنةِ في حكمةِ التفاوتِ بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالىٰ - منكِراً علىٰ المشركين الأوَّلين -: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فلو سَوَّىٰ بينهم سبحانه في المعيشةِ والأخلاقِ والعقولِ والأسبابِ، لَتعطَّلَتْ مصالِحُهم، ولم تَظْهَرْ هذه الحِكَمُ والأسرار التي رَتَّب عليها الثوابَ والعقابَ في الدنيا والآخرة، ولم يَعرِفِ العِبادُ معانيَ أسمائه الحسنىٰ وصفاتِه العُلىٰ، ولم يَخضعْ أحدٌ لأحد، ولم يَعرِفْ أحدٌ قَدْرَ نِعمةِ اللَّه عليه، ولم يُؤدِّ ما يَجبُ عليه منَ الشكر.. إلىٰ غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفةِ والحِكَمِ الرفيعة التي لا يُدرِكُها ولا يُوفَّقُ لها إلاَّ أهلُ الإيمانِ باللَّه واليومِ الآخِرِ وأربابُ العِلمِ النافع والبصائر.

والاشتراكيةُ استوردها أربابُها لِيُغْنُوا بها الفقراء ـ بزعمهم ـ، وإنما جَلَبوها في الحقيقة لِيُفقِروا بها الأغنياءَ، ويَسلُبوا بها أموالَ الناس بالباطل باسم «رحمة الفقراء»، ويَصرِفوها في مطامِعِهم الأشعبية وأغراضِهم الدنيئة، وشهواتِهم البهيمية، ويُخمِدوا بها جَذْوَةَ الحركةِ والعلم، ويَصُدُّوا بها الناسَ عن التفكيرِ في: حقِّ رب العالمين، والتنافُسِ في مصالح الحياة، والثورةِ علىٰ الكَفَرةِ والطُّغاةِ الملحدين.

هذه حالُ الاشتراكية وأهلها، حَسدوا الناسَ علىٰ ما آتاهمُ اللَّهُ من فَضْله، وتجرَّؤوا علىٰ شَرْعه، وظَلَموا العبادَ، واستبدُّوا بالأموالِ والعَتاد، وحارَبوا اللَّهَ في أرضِه، واستكبروا عن طاعتِه وحقِّه، تبًّا لهم ما أخسرَ صفقتَهم! وأخَسَّ مُروءَتَهم! وأسوأَ عاقبتَهم!.

فالحَذَرَ الحَذَرَ ـ أيها المسلمون ـ من أربابِ هذه الفتنةِ العمياءِ، والبدعةِ النُّكْراء، والكُفرِ الصريح، والمعاداةِ للَّه ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون.

وقد شَرَعَ اللَّهُ في الإسلام ما يُغني عن هذا المذهبِ الهدَّام ويُبطِلُ كَيدَ مخترعِيه الكَفَرةِ اللئام، فأوجب سبحانه في أموالِ الأغنياء من الزكاة وصنوفِ النفقات، وشَرَعَ لعباده عزَّ وجلَّ من أنواع الكفَّارات والصدقات وسُبلِ الإحسان، ما تُسَدُّ به حاجاتُ الفقراء، ويُستغنىٰ به عن ظُلمِ العباد، والتحيُّلِ علىٰ سَلْبِ أموالهم، بل جَعَل سبحانه وتعالىٰ أداءَ الزكاةِ أحدَ أركانِ الإسلام ومبانيهِ العِظام، وتَوعَّد مَن يُخِلُّ بها بأنواعِ العذابِ والآلام، ووعَدَ مَن بَذَلها ـ كما شَرَع اللَّهُ ـ بالطُّهرةِ والزكاةِ لهم ولأموالِهم، ومضاعفةِ الأجورِ وعظيمِ الخُلْف، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

* وقال عزَّ وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

* وقال ـ وهو أصدقُ القائلين ـ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرة، فالواجبُ علىٰ المسلمين جميعًا أن يؤدُّوا ما أوجَبَ اللَّهُ عليهم لإخوانهم الفقراء، وأن يَطِيبُوا نَفْسًا بذلك، وأن يَرحموهم ويَعطِفوا عليهم، أداءً لِمَا أوجَبَ اللَّهُ، ورَجاءً لرحمةٍ من اللَّه، وحَذَرًا من غَضبِ اللَّه، وسدًّا لأبوابِ الفِتَنِ والفساد، وإغلاقًا لسُبُلِ الكُفرِ والإلحاد، وشكرًا للَّهِ علىٰ إنعامه، وطمعًا في المزيدِ من فضلِه وكرمه، وإرغامًا لأنوفِ الكفارِ والمُلحدِين الذين قد ساءت ظنونُهم بالإسلام، واعتَقدوا أنه قد أَهمل جانبَ الفقراء ولم يُعطِهم حقَّهم، ولقد أخطأ ظنُّهم، وخَسِرت صفقتُهم، وكَذَبوا علىٰ اللَّه، وحادوا عن الحقِّ الواضح.

فاتقوا اللَّهَ - أيها المسلمون -، ومثِّلوا الإسلامَ في أعمالِكم وأقوالِكم، وارحَموا فقراءَكم، وأدُّوا ما أوجَبَ اللَّهُ عليكم من الزكاة وغيرها، لتفوزوا بالسعادةِ والنجاة، وتَسْلَموا من غَضَبِ اللَّه وأليمِ عقابه في الدنيا والآخرة، واللَّهُ المسؤول أن يُصلحَ أحوالَ المسلمين جميعًا، وأن يَمنحَهُمُ الفِقهَ في دينه، وأن يَهديَ زُعماءَهم وقادتَهم لصراطِهِ المستقيم، وأن يُقيمَ عَلَمَ الجهاد، ويَكبِتَ أهلَ الشِّركِ والكفرِ والإلحاد، إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

وصلّىٰ اللَّه وسلم علىٰ عبدِهِ ورسولِهِ محمد وآلِهِ وصَحْبِهِ.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز

* * *

* جَلال طالباني، دَجَّالُ العراق وحاكِمُه، يَسخرُ من رسول الله ﷺ:

☐ رئيسُ العراق الحالي.. قال عنه الدكتور «محمد عباس» في مقالِهِ: «يا قُرَّاء، ها هو الطوفان»[1]: «إنه قال منذ ثلاثين عامًا: «متىٰ نُعيدُ لمحمدٍ أوراقَه الصَّفراءَ التي أتىٰ بها علىٰ جَمَلٍ أجرَبَ؟». «السبيل» الأردنية بتاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠٠٤م - دكتور أحمد نوفل.

☐ طالباني.. الرجل الذي لا مبادئَ له ولا ثوابتَ عنده.. الرجلُ الذي كَتب عنه الأستاذُ «طلال سلمان» في «السفير» منتصفَ التسعينات مقالةً ذائعةَ الصِّيت، عنوانها «الكُرديُّ التائه»، قال فيها: «إنه يَتلوَّنُ حَسْبَ الظروفِ والمواسم، تَجدُه كُرديًا يُزايدُ علىٰ «ملاَّ مصطفىٰ»، وشيعيًّا ينافس «الخُميني»، وناصريًّا يسابق «عبدالناصر»، وبَعْثِيًّا يتفوَّقُ علىٰ «مشيل عفلق»، وصُهيونيًّا يُجادل «شيمون بيريز»..».

والآن يَنعقدُ المزاد.. فليأتِ الأصلُ، ولْتَعرِضِ البدائلُ نفسَها.. كعرضِ الجواري والنخَّاسين للعبيد.. مَن يكْفُر أكثر من طالباني؟! من يَتَسفَّلُ أكثرَ منه؟! مَن.. مَن.. مَن؟!.

☐ يقول «هيكل» في حَلقةٍ مُذاعةٍ علىٰ «قناة الجزيرة» في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٤: «أنا بعرف مثلاً واحد زيّ جلال طالباني، جلال طالباني كان صديقي. وهو موجود في القاهرة.. وأنا كنت مسؤول عن ولاده لما اضطر يسافر».. إنه لا يعرفُه فقط.. إنه صديقُه.. وليس صديقًا عاديًا..

---

(١) مقال بمجلة المختار الإسلامي - العدد (٢٧٣) - غرَّة جماد أول ١٤٢٦هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٥م (ص٨٠ - ٩٥ - ص٩٢) بها كلام طالباني.

بل بلغت الصداقةُ مرحلة أنْ يُوصيَه بأبنائه إذا حَدَث له شيء!!.

◻ ويكتب «جمال الغيطاني» في «أخبار الأدب» ملفًّا خاصًّا عن جلال طالباني في العدد (٥٨٩) ـ تاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٤ يرسل الغيطاني لطالباني واحدًا من كُتَّابِ الروايات التي صادرتها وزارة الثقافة ـ تصوَّروا ـ ليكتبَ عنه كلامًا لا يجوزُ إلاَّ على الصِّدِّيقين، ثم إنَّ جمال الغيطاني يكتبُ بنفسِه افتتاحيةَ العدد مقدِّمًا للملف، مشيرًا إلى اللقاء الذي جرى في الستينات بين الزعيم الكُردي «جلال طالباني»، والرئيس المصري «جمال عبدالناصر»، وكيف أنَّ الأخيرَ عَامَل طالباني معاملةً خاصةً ومتميِّزةً.. وفي أماكنَ أخرى من الملف تتَّضحُ لنا واقعةٌ مُذهِلةٌ في ضراوتها.. لقد كان جمال عبدالناصر أولَ مَن أعطى السلاح للأكراد ليبدؤوا المقاومةَ المسلَّحة ضدَّ الحكومةِ العراقية.

ما علاقةُ «أخبار الأدب» بطالباني؟؟!!.

ولْتقرؤا معي جُملةً في التحقيق.. جُملةً تأتي في ملف «أخبار الأدب» تُمزِّقُ السِّتر على العورات القبيحة:

◻ يقول مراسل «أخبار الأدب» إلى طالباني: «.. لدينا صورةٌ لامرأةٍ مقتولةٍ بسكِّينٍ في ظهرِها والجنودُ يلعبون الوَرَقَ عليها؟ هل ثَمَّةَ صورةٌ أقصى مِن هذه؟؟..».

وأين كانت تلك الأصواتُ التي تُحرِّمُ الآنَ على الكُرْد الترحيبَ بالأمريكيِّ المُحَرِّرِ!! حينما كان «صدَّام» يقومُ بهذه البشاعات والفظاعات؟؟؟ الموضوعُ كلُّه كان إذن تزيينًا للباطل كما يُزيِّنُ القَوَّادُ الزنا

لِبَغِيٍّ.. ولكي يُصبحَ الأمريكيُّ محرِّرًا والمقاومُ إرهابيًّا، وجلال طالباني في النهاية رئيسًا.. أمَّا كلُّ مَن ذكرتُ فلِكُلٍّ منهم وظيفتُه ودَورُه في دولاب المخابرات الأمريكية والإسرائيلية.. والحلقاتُ تُكتشف.. والسرُّ يَخرجُ من مخبئه!!.

لقد كان «هيكل» مع «طالباني» في لقائه مع «عبدالناصر» عام ١٩٦٣م..» اهـ.

❑ والطيورُ على أشكالها تَقَعُ.. افتَضحوا فاصطلحوا:

أمَّا سماسرةُ البلاد فعُصبَةٌ	عارٌ على أهلِ البلادِ بقاؤُها
إبليسُ أعلن صاغرًا إفلاتَه	لَمَّا تحقَّقَ عنده إغراؤُها
يتنعَّمون مُكَرَّمينَ كأنَّما	لنعيمهم عَمَّ البلادَ شقاؤُها
هم أهلُ نجدتِها وإنْ أنكَرْتَهُم	وهُمُ وأنفُك راغمٌ زعماؤُها
وحماتُها وبهم يَتِمُّ خرابُها	وعلى يديهم بَيعُها وشراؤُها
ومن العجائبِ إنْ كشفتَ قُدورَهم	أنَّ الجرائدَ بعضَهُنَّ غطاؤُها
كيف الخلاصُ إذا النفوسُ تزاحَمَت	أطماعُها وتدافعت أهواؤُها؟![1]

❑ يَصدُقُ في «طالباني» قول القائل:

ولنا أنظمةٌ لولا العدا	ما بَقِيَتْ في الحكم ليلة

هذا القبيحُ الشانئُ الكريهُ الكذَّابُ الأشِرُ المرتدُّ، يقول ما يقول عن رسولِ اللَّه ﷺ، ويُصبحُ حاكمًا لبغداد التي تولَّى خلافتَها يومًا هارونُ الرشيد مؤدِّبُ الزنادقة ومُبيدُهم من أمثال طالباني!!.

(١) للشاعر االفلسطيني إبراهيم طوقان.

سقط الدَّرْبُ في الظَّلامِ المريرِ[١] فطواه الأسى، وما مِن مُجيرِ
إنه الليلُ طال غَدْرًا وبَغْيًا داعرَ القلب ما له من نظيرِ
لاعنًا وجهَهُ الكئيبَ سُهيلٌ والثريا[٢] وكلُّ نَجمٍ زهيرِ
والضِّفافُ الخَضراءُ ماجت بشَوكِ قاتِلِ الوَخْزِ عابس قمطريرِ[٣]
أين يا ضِفافُ ما كنتِ فيه من رياضٍ تَضُمُّ كلَّ نَضيرِ؟!
قد نماها الجَمَالُ، والسِّحرُ فيها ساطعَ النورِ والشَّذا والعبيرِ
كنتِ للتائهِ المعذَّبِ أمنًا وحِمَى الجائعِ الطَّريدِ الكَسيرِ
لم تَعودي ـ كما عهِدناكِ ـ عِيدًا من لحُونٍ، ومنْ سنًا وعُطورِ

* * *

ويْح قلبي!! وأين نهرٌ عظيمٌ حاتميُّ العطاء بالمَوفورِ؟
كيفَ أَمضي إليه؟ إني أُعاني عَطَشًا حارقًا كجَمْرِ السَّعيرِ
هل ضَلَلْتُ الطريقَ للنهرِ؟ ويْحي إذْ أرى الهَوْلَ صارخًا بالنذيرِ
فعلى النَّهرِ عاتياتُ الأفاعي بينَ أنيابِها اغتيالُ المَصيرِ
مَنْ يَرُمْ[٤] قطرةً من النهرِ ثارتْ بعُضالٍ[٥] من السُّمومِ خطيرِ
كلَّما شَبَّتِ العزائمُ منَّا أخرستْها رُؤى الفحيحِ[٦] الهَصُورِ

---

(١) المرير: الشديد القوي.

(٢) سهيل والثريّا: نجمان.

(٣) قمطرير: شديد قوي.

(٤) يرم: يطلب.

(٥) العضال: القاتل الذي لا شفاء منه.

(٦) الفحيح: صوت الحيّات.

فتهــاوت خُطَى الشريفِ المُعنَّى[1] … نــازفَ القلبِ ما له من نَصيــرِ

كيف نمضي والزَّيفُ دينٌ وطبــعٌ … والنفاقُ الخسيسُ جِسْرُ العبــورِ؟

والأصيلُ الأصيــلُ يحيــا غريبًا … بحقــوقِ الإنسانِ غيرُ جـديــرِ

والعــدوُّ الغريبُ فينــا سعـيدٌ … ومُحــــاطٌ بالحبِّ والتقــديــرِ

فاختلالُ المعيــارِ أضحَى صوابًا … والصــوابُ التَّمَــامُ شرُّ الشرورِ

وأُنــادِي بَلابِــلَ الدَّوْحِ علَّــي … أتعــزَّى بشَــدْوِها المســحورِ

فلْتُجـيبي بلابــلَ الدوحِ صبًّا[2] … ظامئَ القلبِ والهــوى والشعورِ

لا أرى بُلبــلاً على الدَّوْحِ يشدُو … بلْ خفافيشَ في رياشِ الصقــورِ

باغيــاتٍ تَعيثُ دومًا فســادًا … بمغــانيهِ في غيــابِ النســورِ

ونَعيقُ الغربــانِ يَسْــري لحونًا … في جنــازاتِ فكرِنــا المنحــورِ

والسُّكارى تُميلُـهم نشوةٌ حــرَّ … ى للحــنٍ ممــزَّقٍ مخْمــورِ

وارتدتْ لِبْــدةَ الأســودِ كلابٌ … وقَطيعُ الحميــرِ جلْـدَ النمــورِ

وذُرا الراســياتِ أمستْ مطايا[3] … لحَصَى الأرضِ والبُغاثِ[4] الحقيرِ

والفـقاقيعُ قـد علَتْ قمــةَ السَّيْــ … ــلِ وصــارتْ أميــرةً للبحــورِ

والخريرُ المصدورُ في الجدولِ الذَّا … بل يَطـغَى على هَزيمِ[5] الهَديـرِ[6]

(١) المُعنَّى: المجهَد المتعَب.

(٢) صبًّا: محبًّا عاشقًا.

(٣) الذرا: القمم.

(٤) البغاث: ضعيف الطير.

(٥) الهزيم: الصوت القويّ.

(٦) الهدير: صوت البحر.

والنقيُّ الشريفُ في السِّجنِ يُلقَى — بينما اللِّصُّ في النعيمِ النضيرِ
والخَؤونُ اللئيمُ يُدْعَى أمينًا — والأمينُ النبيلُ جِدٌّ خطيرِ
غيرُ مستغربٍ فهذي أمورٌ — عكسُها فتنةٌ وضدُّ المَسيرِ
فزمامُ الأمورِ في كفِّ أعمى — أسودِ القلبِ مستباحِ الضميرِ
والعَمَى ليس في العيون ولكنْ — في قلوبٍ مطموسةٍ في الصدور

* * *

وأميرُ العُميان يُدلِي — ببيانٍ من قَصرِهِ المسعورِ
ابتداءً من نشرةِ اليوم حتى — تُبعثَ الأرضُ أرضُنا للنشورِ
ليس «سَحْبانُ»[1] للبيانِ أمير — فأنا للبيان خيرُ أميرِ
لا ولا «خالد» بسيفِ عُضابٍ[2] — سلَّه اللَّهُ عاتيًا كالسعيرِ
لا ولا «طارق» به قد تَجلَّتْ — نُصرةُ الحقِّ والهدى والنورِ
وصلاحُ الدين الذي قِيل عنه: — فاتحُ القدسِ بالسلامِ الجَسورِ
كلُّ هذا رجعيَّةٌ وادعاءٌ — وانسحابٌ إلى ظلامِ العصورِ
فاستنيروا بحكمتي ومَسَاري — ما هدى الشعبَ مثلُ عقلٍ خبيرِ
وأنا الفذُّ قد رصدتُ حياتي — وجهادي للنورِ والتنويرِ

* * *

يا أميرَ العُميانِ حَسبُك زورًا — قد تماديْتَ في هَوى التزويرِ
فلْتَقُلْ ما تشاءُ فالحقُّ أبقى — لستَ في العِيرِ أنت أوْ في النَّفيرِ

---

(١) سحبان: أفصح أهل عصره، ويضرب به المثل في الفصاحة.

(٢) العُضاب: القويُّ القاطع.

فلقــد عِشتَ مُنكـراً كلَّ حـقٍّ ... وجهـولاً مُتـوَّجـاً بالـغـرورِ
غيرَ أني أقـولُ قـولةَ صِـدقٍ ... لا تُبـالي بسُلطة أو أمـيـرِ
تَعسَـتْ أمـةٌ تراخت فصارت ... مَرْكبًا هيِّـنًا لغِـرٍّ[1] ضـريـرِ
يَــدَّعـي أنه البشـيرُ بطـبٍّ ... قـادر ناجـعٍ جـديدٍ مثـيـرِ
فــإذا طِـبُّـهُ خـداعٌ وزورٌ ... يَجعلُ السَّهْل ألفَ ألفَ عسيـرِ
يُنكرُ الأصـلَ والجُـذورَ ويُبقِي ... في حِمـاهُ الملعونِ كلَّ عَـقـورِ
وإذا أنكر الجــذورَ نبــاتٌ ... ماتَ في لَفحة اللَّظى والهجيـرِ

* * *

وأُراني أقـول: مهـلاً أفيقـي ... يا خفافيشُ للنذيـرِ الأخـيـرِ
إنَّ تحتَ الرَّمـادِ نـاراً تـوارتْ ... سوفَ ترمي بجمـرِها المستطيرِ
يا خفافيشُ قـد مَلِلْنـا فخلِّـي ... ما تبقَّى من عُمـرِنـا المقهـورِ
يا خـفـافيشُ للخـرائب عُـودي ... ها هو الفجـرُ قـادمٌ بالبشـيرِ
ارجعي ـ لا سَلِمْتِ ـ للقاع حَسْرَى ... رجـعـةَ الخاسـرِ الذليـلِ الحقيرِ
فالنسـورُ التي طواها غيـابٌ ... عائـداتٌ لوكرِهـا المهجـورِ
والظـلامُ الـذي عـلا كلَّ أُفْـقٍ ... سـوفَ يُمحَى أمـامَ سيلِ النورِ[2]

* * *

(١) الغِرّ: الساذج ضعيف الفهم.

(٢) العدد (٢٨٣٧) من مجلة «الأسرة العربية» ـ الإثنين ٩ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٧هـ ـ الموافق ٥ يونيو ٢٠٠٦م ـ (ص١٠) ـ قصيدة للدكتور جابر قميحة.

* **خليل عبدالكريم و«سنوات التكوين»:**

كتب خليل عبدالكريم «سنوات التكوين في حياة الصادق الأمين»، وأصدَرَ «مَجْمَعُ البحوثِ الإسلامية» قراراً بحَظْرِ تداولِ وطبعِ الكتاب، بناءً على تقريرٍ قدَّمَتْه إدارةُ الثقافة والبحوث في المجمع، وكتبه الشيخ عبدالعظيم المطعني.. واتهم تقريرُ الشيخ المطعني الكتابَ بإنكارِ الديانات السماوية والإساءةِ للرسول ﷺ[1].

* **صلاح الدين محسن، القَزم وتطاولُه وسخريتُه من القرآن الكريم:**

في شهر مارس من عام ٢٠٠٠ ـ أي قبل صدور رواية «وليمة أعشاب البحر» بنحو شهرين، ألقت سلطاتُ الأمن المصريَّة القبض على «صلاح الدين محسن»، بعد نشره روايةً وصف فيها القرآن الكريمَ بأنه «كتاب الجهل البدويِّ المقدَّس».. وفي شهر يوليو من نفس العام، قَضت محكمة أمنُ الدولة بحبس صلاح الدين محسن «ستةَ أشهُرٍ مع وقف التنفيذ»!!!! وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. واعترضت النيابةُ العامةُ على الحكم، واعتَبَرتْه «في غايةِ الرأفة»، فيما رفض رئيس الوزراء «د. عاطف عبيد» المصادقة عليه، وقَرَّر إعادةَ محاكمته، وقالت النيابة: «إنَّ كُتُبَه تضمَّنت ازدراءً للإسلام، وإثارةً للنقمة، ومسًّا بالذات الإلهية، وإنه زَعَم أنَّ الدينَ الإسلاميَّ هو السببُ في تخلُّفِ الدول العربية، ودعا إلى قيام رابطةٍ للملحدين».

وعلى أثره أُلقِيَ القبضُ عليه، وصدر في حقِّه حكمٌ قضائي، بحبسه

---

(١) مجلة «روز اليوسف ـ العدد (٣٨٠٩) (ص١٨) ـ ٢٠٠١/٦/١٥.

ثلاثَ سنواتٍ مع الشغل والنفاذ.. وقرَّر اتحادُ الكُتَّابِ المصريِّين فَصْلَه من عضويَّته[1].

*** حيدر حيدر، وروايته «وليمة أعشاب البحر»:**

◻ قال الأستاذ محمود سلطان في مقاله عن «وليمة أعشاب البحر» لحيدر حيدر السُّوري: «فمن المعروف أنَّ رواية «حيدر حيدر» كانت من النوعِ ـ الذي لا يقتربُ فحسب من توصيفه ـ إلىٰ ما يُشبِهُ أفلام «البورنو الجنسيَّة»، ولكنها نالت من «القرآن والسُّنَّة» بلغةٍ مبتذَلةٍ رخيصة، وبمفرداتٍ وخطابٍ تهكُّميٍّ ساخر.. ويكفي هنا أن نستعرضَ خلاصةَ رأيِ «مجمع البحوث الإسلامية»، التابع لمشيخة الأزهر في الرواية، إذ يقول البيان: إنَّ الروايةَ مليئةٌ بالألفاظ والعبارات التي تُحقِّرُ وتُهينُ جميعَ المقدَّساتِ الدينية، بما في ذلك ذاتُ اللَّه سبحانه وتعالىٰ، والرسولُ ﷺ، والقرآن الكريم، واليومُ الآخر، والقيمُ الدينيَّة»[2].

*** الشيطان إبراهيم خلاص:**

◻ الضابطُ إبراهيم خلاص، الشيطان الذي نَشرت له جريدة «جيش الشعب» مقالاً قال فيه: «إنَّ اللَّهَ والأنبياءَ والكُتبَ المقدَّسةَ ليست سوىٰ محنَّطاتٍ يجبُ أن تأخذَ مكانَها في مُتحف المخلَّفاتِ الأثرية»[3].

---

(١) من مقالة «العلمانيون العرب من محنة الحداثة إلىٰ محنة التنوير» لمحمود سلطان (ص١٣٩ ـ ١٤٣) ـ مجلة «المنار الجديد» ـ العدد (٢٣) ـ يوليو ٢٠٠٣م ـ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نقلاً عن مجلة «الدعوة المصرية» عدد (٧) في ٢٦ غرة محرم ١٣٩٧.

*** أدونيس عَرَّاب الحداثة الكارهُ للإسلام: الدكتور عدنان النحوي يدعو أدونيس إلى التوبة والعودة إلى الإسلام:**

◻ قال الدكتور عدنان النحوي في مقدمة قيصدته «لآلئ الشعر أوزان وقافية»: «كتبتُ قصيدةً في «أدونيس» على إثْر إعلانه في جريدة «الشرق الأوسط» أنه يبحثُ عن مهندسٍ يُصمِّمُ له قبره!! قلتُ القصيدة لأُبين له ثلاثَ نقاط:

ـ إذا مات على كفرِه المُعلَنِ الصريح هلك، وكان من أهل النار.

ـ وما أدراه كيف يموت وأين يموت؟!.

ـ وأخيرًا أدعوه إلى الإسلام، عسى اللَّهُ أن يغفرَ له إذا أسلم، وبَعثتُ بالقصيدة إلى مجلةٍ إسلاميةٍ معروفة، عسى أن تبلِّغه هذه الرسالةَ، وتبلِّغَه دعوتي له إلى الإسلام عن طريقِ نَشْرِ هذه القصيدة. وبعد فترةٍ ليست بالقصيرة، وَجَدتُ أنَّ المجلةَ لم تنشُرْها، فاتصلتُ هاتفيًّا برئيس التحرير المسلم، أو الداعية المسلم، فماذا أجاب؟.. قال: «القصيدةُ شديدةٌ عليه»! قلتُ له: الذي تحدَّىٰ اللَّهَ وسبَّه وسَبَّ رسولَه ﷺ، وأنكر الإيمانَ، وحارَبَ الإسلام، ولم يُبالِ بالعالَمِ الإسلامي كلِّه، وتحدَّاهم جميعًا، أفأنت ترى القصيدةَ شديدةً عليه؟ وقلت: مع ضعفِنا هذا حُقَّ لأدونيس وغيرِه أن يستخِفُّوا بالمسلمين ويتحدَّوهم»[1].

أدونيس عرَّاب الحداثة كان صريحًا في أطروحاته، أراد نَفْيَ الدينِ،

---

(١) «الشعر المتفلِّت بين النثر والتفعيلة وخطره» للدكتور عدنان النحوي (ص٥٥) ـ دار النحوي.

أو إسقاطَه من معادلةِ الوجود العربي، ويَستتبعُ ذلك إسقاطُ كلٍّ ما يتعلَّقُ بالإسلام من مقوِّماتٍ حضاريةٍ ولُغويَّةٍ وتصوُّرية، وهو ما عَبَّر عنه أدونيس بالانفصال كُلِّيًا عن الماضي الذي صَنَعه الإسلام، ولذا نَشر أدونيس في مجلته «مواقف» موضوعاتٍ عديدةً تتعرَّضُ بالنقد للدِّين والوَحْي، وتكلَّمَ عمَّا سَمَّاه بالتناقض في الوحي (!!).

◘ انظر إلىٰ هذا الشيطانِ الأفَّاكِ الأثيمِ الذي يَمضي في عالم التِّيهِ والسَّرابِ والظُّلماتِ والوادي السحيق، يَنتقلُ بعد ذلك إلىٰ أخطرِ جريمة، وأسوءِ كلمةٍ، وأقبحِ تَصَوُّرٍ، وأوقحِ تعبيرٍ، ينتقلُ بشكلٍ سافرٍ واضحٍ ليهدمَ العقيدةَ والإيمانَ بهجومٍ مباشر فيقول: «اللَّهُ في التصوُّرِ الإسلاميِّ التقليديِّ نقطةٌ ثابتةٌ متعالية، منفصلةٌ عن الإنسان، التصوُّفُ ذَوَّبَ ثباتَ الألوهية، جَعَل حركةَ النفسِ في أغوارِها، أزالَ الحاجزَ بينه وبين الإنسان.. وبهذا المعنىٰ قَتَله «أي: اللَّه»، وأعطىٰ الإنسان طاقاته.

المتصوِّفُ يحيا في سُكْرٍ يَسكرُ بدَورِه العالَم، وهذا السُّكْرُ نابعٌ من قُدْرتِه الكامنةِ علىٰ أن يكونَ هو واللَّهُ واحدًا، صارت المعجزةُ تتحرَّكُ بين يديه»[1].

وهكذا يَسِفُّ أدونيس ويَهوي في وادٍ سحيق، يَهوِي في وُحول، ويَسقطُ في رِجْس، ونستحي أن نُعيدَ ألفاظَه، فهي أقبحُ من كلِّ تعليق، ورِدَّةٌ واضحةٌ كالشمس في رابعةِ النهار، لا يختلفُ فيها اثنان.

◘ يقول الدكتور عدنان النحوي: «هذا كاتبٌ واحدٌ مِن كُتَّابِ

(١) «مقدمة في الشعر العربي» لأدونيس (ص١٣١).

«الحَدَاثة»، فما بالُك بغيرِه من الكُتَّاب، وإني أعترفُ أن استعراضَ كتاباتِهم جميعِها ضروريَّة، حتى نعرفَ الخطَّ الذي يُرسَم، والحربَ التي تُشَنُّ».

☐ وقال الأستاذ محمد مصطفى هَدَّارة عن «الحداثة»: «إنها اتِّجاهٌ فِكريٌّ أشدُّ خطورةً من «الليبرالية والعلمانية والماركسية» وكلٍّ ما عَرَفَتْه البشريةُ من مذاهبَ واتجاهاتٍ هدَّامة ـ ذلك أنها تتضمَّنُ كلَّ هذه المذاهبِ والاتجاهات، وهي لا تخصُّ مجالاتِ الإبداع الفنِّيِّ أو النقدِ الأدبي، ولكنها تَعُمُّ الحياةَ الإنسانية في كلِّ مجالاتها الماديَّةِ والفِكريةِ على السواء»[1].

*** نزار قبَّاني الزنديق، شاعر الإباحية وتطاوُله على الذات العَليَّة ومَقامِ الأنبياء:**

☐ يقول: لا تَخْجلي منِّي فهذِي فُرصتي
لأكونَ ربًّا أو أكونَ رسولاً[2]

☐ ويقول: وطنٌ بدونِ نوافذٍ
هَرَبتْ شوارعُه.. مآذنُه.. كنائسُه..
وَفَرَّ اللَّهُ مذعوراً
وَفَرَّ جميعُ الأنبياء[3].

☐ وهو القائل: شكراً لِحُبِّك.. فهو مَروحةٌ.. وغَمامةٌ وَرديَّة..

---

(١) «الحداثة من منظور إيماني» لعدنان النحوي (ص٤٠). دار النحوي.

(٢) «المجموعة الكاملة» لنزار قباني (٢/ ٧٦١).

(٣) قصيدة «هل تسمعين صهيل أحزاني» (ص١٨٨).

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء[١] .

□ ويقول : مارستُ ألفَ عبادةٍ وعبادةٍ

فوجدتُ أفضلَها عبادةَ ذاتي[٢] .

□ ويقول : أين غرورُ اللَّه من غروري[٣] .

□ وهو القائل: لو كنتُ حاكمًا لألغيتُ مؤسسة الزواج، وختمتُ أبوابَها بالشمع الأحمر.

□ وهو القائل : العُريُ أكثرُ حِشمةً من التستر.

□ وفي قصيدته: «أفتح صندوق أبي» أعلن رَفْضَه لكلِّ ما هو عربيٌّ وإسلاميٌّ[٤] .

□ وهو القائل : حين وَزَّع اللَّهُ النساءَ على الرجال

وأعطاني إياكِ

شعرتُ أنه انحاز بصورةٍ مكشوفةٍ إليَّ

وخالف كلَّ الكُتبَ السَّماويةَ التي ألَّفَها

فأعطاني النبيذَ وأعطاهم الحِنطة

حين عرَّفني اللَّهُ عليكِ ذَهب إلى بيته

فاللَّه كما قالوا لي لا يَستلمُ إلاَّ رسائلَ الحبِّ[٥] .

---

(١) «أشعار خارجة على القانون» لنزار قباني (ص٢٧).

(٢) «ديوان الرسم بالكلمات» لنزار (ص١٧).

(٣) «خطاب من حبيبتي» لنزار (ص٤٢٦).

(٤) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي (ص١٦٧-١٦٨).

(٥) «الأعمال الشعرية - الكاملة لنزار» (٢/ ٤٠٢).

❑ وعلى الدرب سار محمود درويش القائل:

نامي فعينُ اللَّهِ نائمةٌ عنَّا . . وأسرابُ الشحارير[1] .

❑ والقائل: كلُّ قاضٍ كان جَزَّاراً تدرَّج في النبوءةِ والخطيئة[2] .

❑ وصلاح عبدالصبور، وعبدالوهاب البياتي، وبدر شاكر السيَّاب، وبلند الحيدري، ويوسف إدريس، ويوسف السباعي، وأنيس منصور، وأمينة السعيد، ونوال السعداوي، وإقبال بركة، وعبدالعزيز المقالح، وأمل دنقل . . وغيرهم وغيرهم.

هذا النَّبتُ الشيطانيُّ لا يُسْكَتُ عليه أبداً، فهم جنودُ الشياطين الذين فاقُوه مَكراً ودَهاءً وكَيداً للإسلام وشعائرِه، وعوامُّ المسلمين لا يَفطِنون لشُبَهِهِم لقِلَّةِ عِلمهم وضعفهم.

❑ يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «أليس ضعفُ المسلمين في هذه الأوقات يُوجبُ لأهلِ البصائر والنجدةِ منهم أن يكونَ جِدُّهم ونشاطُهم وجِهادُهم الأكبرُ متضاعِفًا، ويقوموا بكلِّ ما في وُسعِهم لينالوا المقاماتِ الشامخة، ولينجوا من الهُوَّةِ العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا مِن أفرضِ الفرائضِ وألزَمِ اللازمات في هذه الحال؟»[3] .

*** حَسَن طلب مُسيلمة الكذَّاب وكتابُه «آية جيم» الذي يعارض به القرآن الكريم:**

الاعتمادُ على حرفٍ من حروفِ المعجم هو تقليعةٌ «مملوكية»، بَعَثَها

(١، ٢) «الأعمال الكاملة» لمحمود درويش.

(٣) «انتصار الحق» (ص٧) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - المكتبة السلفية.

كُتَّابُ وشُعراءُ «الهالوك» مرةً أخرىٰ، وزَعموا «حداثيَّتها»، حيث كان الشعراءُ في أواخرِ العصرِ المملوكيِّ يأخذون من أحدِ الحروف ـ أو أكثرَ من حرفٍ ـ وسيلةً في نَظْمِهم للتدليلِ علىٰ قُدرتِهم اللغويةِ، والعَرُوضية، وقُدرتِهم أيضًا في مجال القافية، وأبرزُ الأمثلة علىٰ ذلك ما عُرِف بالبديعيات والألغاز والتواريخ، وقد ازدَهَرت جميعًا في العصرِ العثماني، وجاء «الهالوك»، ليخدَعوا الناسَ بقُدرتِهم علىٰ التجديدِ والإتيانِ بما لم تأتِ به الأوائل، وما دَرَوا أنهم قَدَّموا «تقليعةً» رديئةً كانت مَظهَرًا من مَظاهِرِ الضَّعفِ والخَواء في العَصرَينِ المملوكيِّ والعثماني.

صاحب «آية جيم» لم يُقدِّمْ فيها أكثرَ مِن نَظمٍ لمعاني «حرف الجيم» الموجودةِ في المعاجِم، وهو نَظمٌ باردٌ وركيك، يدلُّ علىٰ أن صاحبَه يَهزأُ بالعقولِ والأفئدةِ، فضلاً عن جَراءتِه علىٰ المفهومِ القرآنيِّ لمعنىٰ كلمة «آية» حيثُ اتَّخذ منها عُنوانًا لمنظومتِه الردئيةِ، فضلاً عن ادِّعائِه وافترائِه بأنَّ القرآنَ قد ظَلَم حرف «الجيم» بعدم استخدامِ ألفاظٍ تعتمدُ عليه.. تُرىٰ ماذا في هذا النصِّ من قِيَمٍ شعريةٍ عالية؟ يقول:

«جيمٌ جَمَزَتْ أم جيمٌ بَجمَتْ؟

جيمٌ من يأجوج ومأجوجَ تَجَخُّ وتجأرْ

جيمٌ كالجلوْاز الأعْجَرْ

وجُهَاداها: إجهاضُ الجيمِ المسجونةِ

بين الجامع والمتجَرْ

أم جيم تتهجَّىٰ وتجاهرُ:

جيمٌ تتفجَّرْ؟!».

☐ ترىٰ بماذا نَخرجُ من هذا الكلام؟ وما هي القِيَمُ الجَماليَّةُ التي يُمثِّلُها ويؤدِّيها؟! ثم لُنقرأْ قوله:

«جيمٌ حَجْناءُ، وجِيمٌ جَبَّاءُ، وجيمٌ بَجْراءُ، وجيمٌ عَجراءُ، وجيمٌ جيميه.

مَن جَعَل الجيمَ مفاجأةً وأهازيجَ جزافيه؟»[1].

هل زاد المذكور علىٰ رَصِّ معاني «الجيم» المعجمية؟!.

هل أضاف جديداً بتساؤله عن الجيم المفاجأة والأهازيج الجزافية؟!

ألاَ يُذَكِّرُنا ذلك بِمَن كان يقول: «الأرضُ أرضٌ والسماءُ سماءٌ»؟!.

☐ وإليك مَقطعًا آخرَ، يقول فيه صاحبُ «الجيم العجراء»:

«الجيمُ الجعرانية جابَهَت الجيمَ السنجانية

فانبَعَجت جيمُ الأيديولوجية

وتوجَّست الجيمُ الجيماء

فما جدوىٰ جيمينِ هما جيم الشجب

أو الجيم الجلاتينية؟»[2].

* الهيئة المصرية للكتاب تَطبعُ قرآنَ مُسيلِمة الكذَّاب!!

☐ تحت هذا العنوان كَتب الشيخ صفوت الشوادفي ـ رحمه اللَّه ـ في

---

(١) حسن طلب، مجلة «إبداع»، عدد ١٢، ديسمبر ١٩٩١، (ص٥١)، والمنشور في «إبداع» جزء مما نشر بالديوان.

(١) انظر «آية جيم» لحسن طلب ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢، و«الورد والهالوك شعراء السبعينات في مصر» لحلمي القاعود (ص١٩٨ ـ ٢٠٠) ـ دار الاعتصام.

مجلة أنصار السنة المحمدية: «في هذه السَّنة ظَهَرت كُتبٌ وأقلامٌ كثيرةٌ تُحاربُ الإسلامَ وتَنالُ منه في بلده، ولكنَّ العجيبَ والغريبَ أن يَظهَرَ كِتابٌ يُضاهِي القرآن، يُقسِّمُه مؤلِّفُه إلىٰ سور ويسميه: «آية جيم»!!!.

والأعجبُ والأغربُ أن تقومَ «الهيئة المصرية للكتاب» التابعة لوزارة الثقافة بطَبعه ونشره!.

◻ ومؤلِّفُ الكتابِ يَستعيذُ بالشَّعبِ بدلاً من اللَّه، فيقول: «أعوذُ بالشَّعبِ من السلطانِ الغشيم، باسم الجيم».

ولا نَدري مَن هو السلطانُ الغَشيمُ الذي يَقصِدُه.

◻ ثم يُقسِّمُ الكتابَ إلىٰ خَمسِ سُورٍ، وكلُّ سُورةٍ لها اسمٌ يَختصُّ بها، وكلُّ السورِ تتحدَّثُ عن حَرفِ الجيم إلاَّ السورةَ الخامسة، ففيها قرآنُ الشيطانِ ـ أو قرآن مسيلِمة الكذابَ ـ، فهو بَعدَ الاستعاذةِ بالشعب يقول: «باسم الجيم، والجنَّة والجحيم، ومجتمع النجوم، إنكم ستفجأون، كم وددتم لو ترجأون، إلىٰ يوم لا جيم ولا جيوم، فإذا جد الهجوم، فأجهشت الجسوم، فسجرت الجيم، ومن أدراك ما الجيم، فإذا مزجنا الأجيام مزجًا، ثم مخجنا جُرْجَهُنَّ مخجًا، ثم مجمجناهن مجًّا، قل يا أيها المجرمون إنكم يومئذ لفي وجوم، تستنجدون فلا تُنجدون، وقل يا أيها الراجون، إنكم يومئذ الناجون، جاءتكم الجيم بما كنتم تستعجلون، ما لكم كيف لا تبتهِجون، ولآية الجيم لا تسجدون، وبإعجازها لا تلهجون».

◻ إلىٰ أن قال في نهاية السورة: «الجيم جلَّ جلالُها.. صَدَقَ الحرفُ الرجيم».

◻ ومع هذا فليس العَجَبُ في طَبعِ الكتاب، بل العَجَبُ الذي لا يَنقضي أن تَطبعَ وزارةُ الثقافة هذا الكتابَ ضمنَ كُتبِ الهيئةِ في الوقتِ الذي يَّتفقُ فيه الجميعُ على وجوبِ الدعوةِ إلى استقرارِ المجتمع.

◻ ومَن المسؤول عن علامةِ الاستفهام التي كُتب قبلها: كيف يُطبعُ مثلُ هذا الكتابِ في دولةٍ مُسلِمةٍ يُعلَنُ فيها أننا لسنا ضدَّ الشريعة؟ ولماذا يَظهرُ الكتابُ في هذا الوقتِ بالذات؟ ومَن الذي وراءَ مخطَّطِ الإثارةِ والتخريبِ في هذا البلد؟؟ أليس هذا الكتابُ وغيرُه من مطبوعاتِ الهيئة يُحقِّقُ أحدَ أهدافِ الصهيونية العالمية الذي يَنصُّ على ضرورةِ إثارةِ الحكومةِ ضدَّ الشعب، وإثارةِ الشعب ضد الحكومة؟!!.

◻ وهل تَغَلْغَلَتِ الماسونيةُ العالميةُ إلى هذا الحدِّ الذي تُسيطرُ فيه على وزارة الثقافة المصرية وتُوجِّهُ مسيرتَها داخلَ الهيئةِ وخارجَ الهيئة، وإذا لم يكن هذا تطرُّفًا، فماذا يكون التطرُّف؟!!.

◻ وآخِرُ سؤال: مَنِ المسؤول عن حمايةِ الشبابِ المسلم من هذه الأخطار الفِكريةِ التي تؤدِّي به إلى عواقبَ لا يَخفَى على أحدٍ خَطرُها؟ إنَّ الاستقرارَ الذي نَنشُده لهذا البلدِ له طريقٌ واحدٌ يَعرفُه مَن يَعرِفُ جوابَ الأسئلةِ السابقةِ ويَجهلُه مَن يَجهلُها!!.

واللَّهُ يقولُ الحقَّ وهو يَهدِي السبيل، وصلَّى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه»[1].

---

(١) «مصابيح أضاءت لنا الطريق» لصفوت الشوادفي - رحمه اللَّه -.

نِفاقُ علماءِ السُّوءِ وخُطبائِه، والتعريضُ خُفيةً، والإساءةُ إلى مَقامِ رسولِ اللَّه ﷺ

* **الشيخ محمد المهدي يعرِّض برسول اللَّه ﷺ أمام السلطان فيأمر الشيخ محمد شاكر المصلين بإعادة صلاة الجمعة ظهراً لكفر الخطيب الإمام:**

▫ قال الشيخ أحمد محمد شاكر في كتابه «كلمة الحق»: «كان الشيخ «طه حسين» طالبًا بالجامعةِ المصريَّةِ القديمةِ حين كانت متشرِّفةً برياسةِ سُمُوِّ الأميرِ فؤاد ـ «حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد» ـ رحمه اللَّه ـ، وتَقَرَّر إرسالُه في بَعثةٍ إلىٰ أوربا، فأراد صاحبُ العظمة «السلطان حسين» ـ رحمه اللَّه ـ أن يُكرِمَه بعطفِهِ ورعايته، فاستقبَلَه في قَصْرِهِ استقبالاً كريمًا، وحَبَاهُ هَدِيَّةً قيِّمةَ المَغْزَىٰ والمعنىٰ.

وكان من خُطباءِ المساجدِ التابعين لوزارةِ الأوقاف، خطيبٌ فصيحٌ متكلِّمٌ مقتدرٌ، هو الشيخ «محمد المهدي» خطيب مسجد «غربان»، وكان السلطانُ حسين ـ رحمه اللَّه ـ مواظِبًا علىٰ صلاةِ الجمعة في حَفلٍ فَخمٍ جليلٍ، يَحضُرُه العلماءُ والوزراءُ والكُبَراءُ.

فصلَّىٰ الجمعةَ يومًا ما، بمسجد «المدبولي» القريب من «قصر عابدين» العامر، ونَدَبَتْ وَزارةُ الأوقاف ذلك الخطيبَ لذلك اليوم، وأراد الخطيبُ أن يَمْدَحَ عَظَمةَ السلطان، وأنْ يُنَوِّهَ بما أكرَمَ الشيخ طه حسين ـ وحُقَّ له أن يَفعل ـ، ولكن خانَتْه فصاحتُه، وغَلَبَه حبُّ التغالي في المَدح، فزَلَّ زَلَّةً لم تَقُم له قائمةٌ من بعدها، إذ قال أثناءَ خُطبته: «جاءه الأعمىٰ، فما عَبَسَ في وجهه وما تولَّىٰ».

وكان مِن شُهودِ هذه الصلاة والدي الشيخ «محمد شاكر» وكيل الأزهر سابقًا ـ رحمه اللَّه ـ، فقام بعدَ الصلاة يُعلِنُ للناس في المسجدِ أنَّ صلاتَهم باطلة، وأمَرهم أن يُعيدوا صلاةَ الظُّهرِ، فأعادُوها، ذلك أن الخطيبَ كَفَر بما شَتَم به الرسول ﷺ تعريضًا لا تصريحًا.. وجاء الخطيبُ الأحمقُ الجاهلُ يريدُ أن يَتملَّقَ عظمةَ السلطان ـ رحمه اللَّه ـ، فمدَحَه بما يُوهِمُ السامعَ أنه يُريدُ إظهارَ مَنْقَبَةً لعظمته، بالقياسِ إلىٰ ما عاتَبَ اللَّهُ عليه رسولَه، واستغفرَ من حكايةِ هذا، فكان صُنْعُ الخطيبِ المسكينِ تعريضًا برسولِ اللَّه ﷺ لا يَرضىٰ به مسلمٌ، وفي مُقَدِّمَةِ مَن يُنكرُه السلطانُ نفسُه.

ثم ذَهَب الوالدُ ـ رحمه اللَّه ـ فوراً إلىٰ «قصر عابدين» العامر، وقابل «محمود شكري باشا»، وهو صديقٌ له حميم، وكان رئيسَ الديوانِ إذ ذاك، وطَلَب منه أن يَرفعَ الأمرَ إلىٰ عظمةِ السلطان، وأن يُبلِّغَه حُكمَ الشرعِ في هذا بوجوبِ إعادةِ الصلاةِ التي بَطَلَتْ بكُفْرِ الخطيب، ولم يَتردَّدْ «شكري باشا» في قَبولِ ما حُمِّلَ من الأمانة، واعتقد أن عَظمةَ السلطانِ لم يتردَّدْ في قَبولِ حُكمِ الشرعِ بإعادةِ الصلاة.

ولكنَّ اللَّهَ لَم يَدَعْ لهذا المجرمِ جُرْمَه في الدنيا، قَبْل أن يَجزيَه جزاءَه في الأخرىٰ، فأُقسِمُ باللَّه، لقد رأيتُه بعَيْنَيْ رأسي، بعد بِضْعِ سِنين، وبعد أن كان عاليًا متنفِّخًا، مستعزًّا بمَن لاذَ بهم من العظماء والكُبَراء، رأيتُه مَهينًا، خادمًا علىٰ باب مسجدٍ من مساجدِ القاهرة يتلقَّىٰ نِعالَ المُصلِّين يَحفظُها في ذِلَّةٍ وصَغار»[١].

---

(١) «كلمة الحق» للشيخ أحمد محمد شاكر (ص١٤٩ ـ ١٥٣) ـ مكتبة السُّنَّة.

* **أحمد حسن الزَّيَّات، يُنافقُ عبدَالناصر، فيقول: «الوحدةُ الناصريَّة أبْقى وأنْمى من الوحدةِ المحمديَّة»، فيرُدّ عليه الشيخ محمود فايد بمقالَيْن:**

* **كتب الشيخ «محمود فايد» تحت عنوان:**

«الوحدة المحمديَّة خيرٌ وأبقى من الوِحدةِ الناصريَّة»

«ردٌّ على مقال أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر»

«نُشرت في «الاعتصام»، عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ الموافق أغسطس عام ١٩٦٣م في حياة عبدالناصر».

□ في مجلة «الأزهر» شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ كَتب مديرُها ورئيسُ تحريرها «أحمد حسن الزيات» مقالاً تحت عنوان: «أُمَّةُ التوحيد تتوحَّد»، وقد جاء فيه ما نصه (ص٤ ـ س٧ ـ ١٨): «إنَّ الوحدةَ المحمديةَ كانت كُلِّيَّةً عامةً؛ لأنها قامت على العقيدة.. ولكنَّ العقيدةَ مهما تَدُم قد تَضْعُفُ أو تُحوَّل.. وإنَّ الوحدةَ الصلاحيةَ كانت جُزئيةً خاصةً؛ لأنها قامت على السلطان.. والسلطانُ يَعتريه الوَهْنُ فيزول.. أمَّا الوحدةُ الناصرية، فباقيةٌ ناميةٌ؛ لأنها تقومُ على الاشتراكية في الرزق، والحريةِ في الرأي، والديمقراطيةِ في الحكم.. وهذه المقوِّماتُ الثلاثةُ ضَمانٌ دائمٌ للوِحدةِ ألاَّ تَستأثرَ فتُستغلَّ.. وألاَّ تَستبدَّ فتَطغى.. وألاَّ تَحكُمَ فتتحكم.. والأَثَرَةُ والطماعية، والطغيانُ والحَسدُ كانت ـ وما زالت ـ عِلَّةَ العِللِ في فساد الزمان وهلاك الأمم».

هذا نصٌّ ما كتبه «الزيات» في مجلةٍ تَنطقُ بلسان «الأزهر» وتحملُ

عنوانه، وتتكلَّمُ باسم علماء الإسلام.. ولو قرأنا هذا في مجلة «روز اليوسف» لقلنا: «الشيء من مَعدِنِه لا يُستغرب»، ولكنِ الذي يَحُزُّ في النفسِ أن يُنشَرَ مثلُ هذا الضلالِ في مجلة «الأزهر»، وأن يكونَ الكاتبُ والناشرُ مديرَها وئيسَ تحريرها، وأن يُستدعىٰ الزياتُ من خارج الأزهر بعد أن تجاوَزَ سِنَّ المُحالِين علىٰ المعاش من أبنائه لِيقبضَ علىٰ مِثل هذا المقالِ الهَدَّام مئةَ جنيه من نفسِ خِزانةِ الأزهر.. وأشدُّ مِن هذا وأنكىٰ أن يُباعَ مثلُ هذا الهُراءِ للناس علىٰ أنه دينٌ خالص، وعِلمٌ مصفًّى.. رَحِمَ اللَّهُ الشاعرَ الذي يقول:

ولو كان همًّا واحدًا لاحتملتُه ... ولكنَّــه همٌّ وثــانٍ وثالثُ

*** مناقشةُ الزيات في مقاله:**

▫ يقول الزيات: «إنَّ الوِحدةَ المحمدية كانت كُلِّيَّةً عامةً؛ لأنها قامت علىٰ العقيدة.. ولكنَّ العقيدةَ مهما تَدُمْ قد تَضعُفُ أو تُحوَّل».

ماذا يَقصِدُ الزياتُ بهذا؟ أيقصِدُ أن يَصرِفَ الناسَ عن رِسالةِ محمدٍ ﷺ، وأن يُوجِّهَ أنظارَهم إلىٰ جهةٍ أخرىٰ يُقيمون عليها وِحدتَهم، ويَجِدون لديها من وسائلِ الهناءةِ والسعادة ما لا يَجدونه لدىٰ رسولِ اللَّه ﷺ؟! وهل يؤمنُ معي بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقولِه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ

تكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾

[البقرة: ١٥١، ١٥٢]؟!.

لقد أنقذَتِ الرسالةُ المحمديةُ العَرَبَ من الضلالة، وعلَّمَتْهم بعدَ جَهَالة، وأزالت عن قلوبهم العَمَايةَ والغواية، وأبعَدَتْ عنهم خُرافاتِ الجاهلية، وأباطيلَ الوثنية، وحَرَّرَتْهم من العُبودية، وألَّفت بين قلوبِهم كما يقول تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

*** يا أستاذ زيات:**

إن محمداً ﷺ أُوحِي إليه، وما جاء به هو مِن قِبَل اللَّه.. ولقد كان يقولُ كما علَّمه المولىٰ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩]، أفَتَرَىٰ أن ما جاء به البَشرُ أحكَمُ مما جاء به ربُّ البشر؟! صَدَق اللَّهُ العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

*** يا أستاذ زيات:**

إنَّ الوحدةَ المحمـديةَ التي تَزعمُ أنها قامت على أساسٍ قد يَضعُفُ ثم ينهـار، هي الوحـدةُ التي أشاد اللَّهُ بها، ونَـوَّه بذكْرِها في هذه الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٣].

إنَّ هذه الوحدةَ المحمديةَ قامت على أساسٍ من تعاليمِ الإسلام.. والإسلامُ ليس عقيدةً فحسب ـ كما حَسِبتَ ـ، بل هو عقيدةٌ وشريعة.. ونظامٌ كامل.. ومنهاجٌ وافٍ للناس في كلِّ نواحي الحياة.. عقيدةٌ تُوثِّقُ العلاقةَ بين العبدِ والربِّ.. وشريعةٌ تُوثِّقُ العلاقةَ بين الناسِ بعضِهم مع بعض.. عقيدةٌ تملأُ القلبَ أمنًا وإيمانًا.. وشريعةٌ تملأُ الكَوْن سلامًا وإسلامًا، ومَحبَّةً ووِئامًا.. لقد تَذوَّقَ العربُ طَعْمَ الوِحدة، وأحسُّوا بحلاوتها، وشَعُروا بلذَّتها بعد أن بايعوا النبيَّ محمدًا ﷺ، واتَّبعوا النورَ الذي أُنزل معه، فآمنوا بأنَّ ربَّهم واحد، ورسولَهم واحد، وكتابَهم واحد، ودينَهم واحد، وقِبْلَتَهم واحدة.. فاجتمعوا على وِحدةِ العقيدة، ووحدةِ العبادة»[1].

* **ثم كتب بعد كلامٍ طويلٍ رائع:**

الزيات ينافقُ طُولَ حياته:

▫ «طبيعةُ النفاقِ يبدو أنها متأصِّلةٌ في الأستاذ الزيات.. نَمَا عليها وشَبَّ، وشاخ فيها.. ونَضَعُ أمامَ القُرَّاءِ عيِّنةً مما كَتَب، وهو الأديب الذي يقول: «الأدبُ رسالةٌ، يُوجِّه ولا يُوجَّه».

في أُخريَاتِ أيامِ «فاروق»، وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ كتب الأديب الكبير في مجلة «الأزهر» مجلد ٢٣ جزء ٩ ما نصه: «بسم اللَّه جلَّ اسمه، وعزَّ حُكمُه.. مُنزلِ كتابِه هُدًى، ومُرسِلِ رسولِه رحمةً، وبهَدْيِ صاحبِ الرسالةِ محمدٍ صلواتُ اللَّه عليه.. لسانِ الوحي، ومِنهاجِ الشرع،

(١) كتاب «صيحة الحق» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد (ص٥٧ـ٥٩).

ومعجزةِ البلاغ.. وبعطفِ صاحبِ الجلالةِ الفاروق.. ناصرِ الإسلام، ومؤيِّدِ العروبة، وحامي الأزهر، أعزَّ اللَّهُ نَصْرَه، وجَمَّلَ بالعلوم والآداب عَصْرَه».

هذا نصٌّ ما افتَتَح به الأديبُ الزياتُ مجلة «الأزهر» قَبْلَ طَرْدِ «فاروق» بشهرين.. وننشرُ إلىٰ جانبِ ذلك ما افتَتَح به مجلة «الأزهر» في يولية سنة ١٩٦٠ مجلد ٣٢ جزء ٢: «كان مَلِكًا علىٰ مصر قبلَ يوم ٢٣ يوليو، وكان آيةً من آياتِ إبليسَ في الجُرأةِ علىٰ دينِ اللَّه، وعلىٰ حُرُمِ الناس.. بَلَغَ مِن جُرْأتِه علىٰ اللَّهِ أنه كان - كما حَدَّثَني أحدُ بِطانته المُقَرَّبين إليه - إذا اضطرَّته رسومُ المُلْكِ أنْ يَشْهُدَ صلاةَ الجمعة، خَرَجَ إليها من المَضْجَعِ الحرامِ، فصَلاَّها مِن غيرِ غُسْلٍ ولا وُضوء، وأدَّاها من غيرِ فاتحةٍ ولا تَشَهُّد، وكان يقول: «إنَّ أخوفَ ما أخافُه أنْ يَغْلِبَني الضَّحِكُ وأنا أتابعُ الإمامَ في هذه الحركاتِ العجيبة».. وبَلَغ مِن جُرأته علىٰ المُحرَّمات أنه كان يَغتصِبُ الزوجةَ ويَقْتُلُ الزوج، ويَسرقُ الدولة، ويُسفِّهُ الحق، ويأخذُ الرِّشا.. ثم أمْلَىٰ له الغرورُ، فتبجَّحَ وتَوَقَّح وطَغَىٰ(!!!)».

هكذا تَجرأَ الزيَّاتُ علىٰ فاروق بعد طردِه.. وقد كان يُدبِّجُ له المدائحَ في عهده.. وهكذا يكتبُ عنه جليسُ بطانته، وأنيسُ حاشيته!!.

نعم.. لقد عاش الزيَّاتُ هكذا طولَ حياتِه، يَكتُبُ ما يَرُوجُ، ويَنشُرُ ما يَجْلِبُ له النِّعمةَ والعافية.. وحَسْبُه أنه ظَفِرَ في عهد فاروق بلقب «صاحب العِزَّة»، وظَفِرَ في هذا العهد بأكرمِ جائزةٍ.. وفي مجلة «الأزهر»، لا زال «يستأثر فيستغلُّ»، فيقبضُ منها مئةَ جنيهٍ ليُخرجَ عَدَدَ ذي القَعدة ضِمنَ ذي الحجَّة، وليُصدِرَ عدد محرم في شهر صفر، ولِيكتُبَ فيها

كلامًا إنشائيًّا يَمُجُّه كلُّ مَن كان له ذَوقٌ سليم» .

ثم قال: «لا نخافُ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ مِنِ استهانةِ بعضِ الكُتَّابِ بوِحدتِه التي جاء بها. . ولكنَّا نَخافُ علىٰ الأُمَّةِ إذا هي انحَدَرتْ إلىٰ هذا المستوىٰ.

لقد بَلَغ رسولُ اللَّه ﷺ مكانًا عالِيًا لم يَبْلُغْه نبيٌّ. . فَضْلاً عن أن ينالَه وَلِيٌّ أوْ غيرُ وليٍّ. .

كيف تَرقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ ... يا سماءَ ما طاوَلَتها سماءُ!

لم يُساوُوكَ في عُلاكَ وقدْ ... حالَ سَنًا منك دونَهم وسناءُ

◻ إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ في غنًىٰ عنَّا وعن دفاعِنا جميعًا بما حَبَاه اللَّهُ من مكانةٍ عالية، ومنزلةٍ سامية. . وإذا كنتُ قد بادرتُ بالردِّ علىٰ الأستاذ الزيَّات. . فذلك لاعتقادِي أني أدافعُ عن «الأزهر» ومحلَّتِه وسُمْعتِه ورسالتِه. . بل لاعتقادي أني أُدافعُ عن وجودِي ووجودِ المسلمين الذي وَجَدوا العِزَّةَ والكرامةَ، والهناءةَ والسعادة، والقُوَّةَ والغِنىٰ، والحضارةَ والمَدَنيَّةَ، والمساواةَ والحُريَّةَ، والعدالةَ الاجتماعيةَ في مبادئِ الوحدةِ المحمديَّةِ التي جاء بها سيِّد البشريةِ صلواتُ اللَّه وسلامه عليه. . وما ضَرَّ الرسولَ ﷺ أنْ يأتيَ أحدُ الكُتَّابِ يَنتقِصُ مما جاء، أو يستهينُ بمبادئه:

ما ضرَّ شمسَ الضحا في الأُفْقِ طالعةً ... ألاَّ يَرَى ضَوءَها مَنْ ليس ذا بصرِ

إن محمداً ﷺ لا يزالُ اسمُه يُدَوِّي علىٰ المنابرِ والمآذنِ في مشارِقِ الأرضِ ومغارِبِها، آناءَ الليل وأطرافَ النهار. . وحَسْبُه أنَّ اللَّهَ رَفَعَ ذِكْرَه،

(١) المصدر السابق (ص٧٧-٧٨).

وطَيَّب نَشْرَه، وخَلَّدَ أثَرَه، وجَعَل له لسانَ صِدقٍ في الآخِرين، وفي أفواهِ الملايين..

* قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤]». اهـ.

*** مقالةٌ ثانية للشيخ محمود عبدالوهاب فايد نُصرةً لرسول الله ﷺ، وردًّا على الزَّيات:**

مع الزيّات.. مرَّةً أخرى:

*** مَن لم يحترمِ الرسولَ ﷺ فلا حُرْمةَ له[1]:**

لم يَكُنْ في نِيَّتي أن أكتبَ عن الزيات بعد ما كتبتُه عنه في العدد السابق.. غيرَ أن الحقائقَ المؤسِفةَ التي سَمعتُها عنه، والهُراءَ الذي قرأتُه له.. دَفَعني كلُّ ذلك إلىٰ الكتابةِ عنه مرةً أخرىٰ.. ردعًا له بعد أن خانَ البيتَ الذي نَمَّاه، والأزهرَ الذي آواه.. حَضَرتُ جزءًا من التحقيق الشَّفويِّ الذي قام به أمينُ «مجمع البحوث الإسلامية» في مَقالِ الزيات.. فهالَني أن أسمعَ أنَّ مُصحِّحَ المجلة نَبَّهَ الزياتَ لخطئِه وضلالِه قبل طَبْعِ مَقالِه.. ولكنه أبىٰ واستكبر، وعانَد وأصرَّ، وأخذَتْه العِزَّةُ بالإثم، فاستبقىٰ هذه الفقرةَ الخطيرةَ المثيرة: «إن الوحدةَ المحمديةَ كانت كلِّيةً عامةً.. لأنها قامت علىٰ العقيدة.. ولكنَّ العقيدةَ مهما تَدُمْ قد تَضعُفُ أو تُحوِّل، وإن الوحدةَ الصلاحيةَ كانت جزئيةً خاصةً.. لأنها قامت علىٰ السلطان.. والسلطانُ

(١) نشرت بمجلة «الاعتصام» في عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٣هـ - الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٣.

يعتريه الوَهْنُ فيزول. . أما الوحدةُ الناصرية، فباقيةٌ نامية، لأنها تقومُ على الاشتراكيةِ في الرزق، والحريةِ في الرأي، والديمقراطيةِ في الحُكم».

أصرَّ الزياتُ على نَشرِ هذه الفقرة، وأعرَضَ عن نُصحِ الناصحين له، وتجاهَلَ القِيَمَ الإسلامية، وتطاوَلَ على الحَضْرةِ النبويَّة، واعتَدى ـ مع سَبْق الإصرارِ والترصُّد ـ على «الأزهر» ورسالته، وأساء بقَصد الاستغلال إلى مجلته وكرامته، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

لقد أراد الزياتُ أن يحظَى بالمالِ الوفير، والمرتَّبِ الكبير، فكتَبَ يُعلِنُ عن نِفاقِهِ مُبديًا سَوْأَتَه، كاشفًا عورته. . وأقامَ البرهانَ ـ بتجاهُله لِنُصحِ الناصحين ـ على أنه ليس في قَلبه للّه خَشية، ولا في نفسِه لرسولِه هَيبة، وأنه ـ على شَيخوخته ـ لا يزالُ تائهًا في ضلالاته، حائرًا في ظُلماته، لا يُحرِّكُ قلمَه إلاَّ رنينُ الدينارِ والدرهم، ولا يُغذِّي خيالَه إلاَّ بريقُ المرتَّبِ والمَغْنَم!!.

نَشَر الزياتُ ثيابَه القذِرةَ على مرأىً من الناس، وفَوق مِئذنةِ الأزهر، فثار الأزهريُّون، وهاجت الأمة، وارتَفعت أصواتُ الشعبِ تُطالِبُ بتنحيته، وأصدرت جبهة العلماء بيانًا حكَمت فيه بإلحادِه وردَّته، وشَنَّتِ المجلاَّتُ الدينيةُ الحُرَّةُ ـ أمثالُ «الاعتصام» و«لواء الإسلام» و«العشيرة المحمدية» ـ حَمْلَتَها عليه، ووَجَّهت سِهامَ نَقْدِها إليه، وخَشِيَ الزياتُ أن يَستجيبَ الحُكَّامُ لرغبة الأمة فحنَى قامتَه، وطأطأ هامتَه، وطَلَع على الناسِ

بإيضاحٍ وبيانٍ عسىٰ أن تهدأَ النفـوسُ الهائجة . . ولكنَّ البيـانَ الذي أصدره ـ علىٰ الرغمِ من أنه أُشير عليه بتعديلِه ثلاثَ مراتٍ ـ كان بيانًا متهافتًا يَفضحُ صاحبَه، ويُخزِي كاتبَه، ولْننظُرْ في بيانه، ولْنقرأْ مقالَه من عنوانه: «وحدة . . لا وحدتان».

◻ يا زيات، لقد ذَكَرْتَ في مقالِك المسمومِ المشؤومِ ثلاثَ وِحدات، وجَعَلْتَ لكلٍّ وِحدةٍ خصائصَ ومميزات، وحكَمتَ عليها بأحكامٍ متغايرةٍ متباعدةٍ . . فكيف يُمكنُ أن تكونَ الثلاثُ أو الاثنتانِ واحدة؟! . .

جعلــوا الثلاثةَ واحدًا لو أنصفـوا ... لم يَجعلـوا العـددَ الكثيرَ قليــلاَ

لقد قلتَ في مقالِك: «إنَّ وِحدةَ محمدٍ ﷺ قامت علىٰ العقيدة . . والعقيدةُ قد يَطرأُ عليها الضَّعفُ والفناء» . . أما الوِحدةُ الناصريةُ، فقد حَكَمْتَ عليها ـ أيها الأديبُ المُلهَمُ ـ بالبقاء والنَّماء . . أيمكنُ بعدَ هذا أن تكونَ الوِحدتانِ وِحدةً؟ . .

إنْ قلتَ: «إن الوحدةَ الناصريةَ ترجعُ إلىٰ وحدةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ» . . فالوحدةُ الناصريةُ إذن ـ بحُكمِ مَنطِقِكَ ـ مهما تَدُمْ قد تَضْعُفُ أو تُحوَّل.

وإن قلت: «إن وحدةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ تَرجعُ إلىٰ الوحدة الناصرية» . . فقد جَعَلتَ التابعَ متبوعًا، والمتبوعَ تابعًا، وذلك ـ لَعَمْرُ الحقِّ ـ غايةُ الضلال . . بل غايةُ الخَبال.

لقد كان مقالُك شؤمًا علىٰ الوحدة . . فلم تَكَدْ تَفرُغُ من كتابتِه حتىٰ تَعثَّرَتَ وتعسَّرت، ووجـدتَ نفسَك في حَـرَجٍ وأنت تعالجُ خَطَأَك، فقلتَ ـ لِتستُرَ موقفَك ـ: «الوحدةُ الناصريةُ المقتَرحة»، خَشيةَ أن يبدوَ تهافتُك في دَعوىٰ بقائِها ونمائِها أنَّ الوحدةَ ـ وهي مَطمعُ الأنظار، ومُلتَقىٰ الأفكار،

وهَدَفُ كلِّ مُسلمٍ غَيُور، وغايةُ كلِّ عربيٍّ مخلصٍ. لا تقومُ بِمَلَقِ المُتملِّقِين ونِفاقِ المنافقين.. ولكنها ستقومُ وتدوم، وتتحقَّقُ وتتوثَّقُ بجهودِ المؤمنين، وجهادِ المخلِصين، وكسح المضللين.

لقد كَتَب الزيات ما كَتَب طَعَمًا في الرِّبح الحرام، وغاب عنه ـ وهو الأديب الكبير ـ ما وَرَد في الأمثال: «تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثدييها»، وعاد بعد أن تعالَت أصواتُ الأُمةِ بالاستنكارِ يُخاتِلُ ويُخادع، ويَلتوِي هذا الالتواءَ الذي ضَحِكَتْ منه العامَّةُ، وسَخِرَتْ منه الخاصَّةُ، راح يُلقِي التهمةَ على الإيجازِ الذي أدَّىٰ إلىٰ هذه الجُملة، وقد كانت أمامَه فُرصةٌ لِيُطنِبَ ويُوضِّحَ فِكرتَه يومَ نُبِّه إلىٰ ذلك قَبْلَ الطبع.. فلو كان في قلبه لرسول اللَّه ﷺ مهابةٌ لَرجع عن ضلاله، وأصلَح من مَقالِه.. ولكنه ـ بدافعِ النفاق ـ أبي وأصرَّ، وآذىٰ رسولَ اللَّه ﷺ من فوقِ منارة الأزهر.. فلْيَسْمَعْ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦١-٦٣].

* ولْيَسْمَعْ قولَه تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٢].

□ يا زيات.. لقد حكم اللَّهُ علىٰ أمثالِك بالخِزيِ العظيم، والعذابِ الأليم.. فلْتَهْنَأْ إلىٰ حينٍ في مجلة «الأزهر» بمئةِ جنيه تَقبِضُها من خِزانته ـ علىٰ الرغم من أنوفِ الأزهريين ـ.. ولْتَهْنَأْ إلىٰ حينٍ في مجلة «الرسالة» بمئات الجنيهات تَقبِضُها من خِزانةِ الدولة ـ علىٰ الرغم من أُنوفِ أبناءِ الدولة المؤمنين ـ.. ولْتَهْنَأْ إلىٰ حينٍ بحُرِّيَّةِ الرأيِ قَدْحًا في وِحدةِ خَيرِ الأنام.. علىٰ الرغم من أن دِينَ الدولة هو الإسلام.. ولْتَهْنَأْ إلىٰ حينٍ بالاشتراكية في الرزق تَسوقُ إليك من عَمَلِك الجديد مِئاتَ الجنيهات بعد مقالِك المشؤوم بأسبوعين ـ علىٰ الرغمِ من أنوفِ العامِلين المخلِصين الذي يَظفَرون بجنيهَينِ علاوةً كلَّ سنتين ـ.

لِيَسْمَحْ ليَ الزياتُ أن أستعيرَ منه وإليه.. فأقول: «إنه اندَسَّ ـ في مجلة الأزهر ـ اندساسَ الإثم في الضمير، والداءِ في البدن.. فكان في الوِحدةِ مَظهَرَ تفريق، وفي النهضةِ مَصْدَرَ تَعويق، وفي العقيدةِ مَثَارَ شُبهةٍ.. وحَسبُه أن مجلة «الأزهر» صارت في عهده (مَذَلَّة) بعد أن كانت (مجلة)»[1].

□ ثم خَتم مقالَه بالردِّ علىٰ ما قاله الزياتُ من إطراءِ العهدِ الناصري فقال: «لقد غالَىٰ في إطراءِ هذا العهدِ حتىٰ انتَقَصَ الوِحدةَ المحمدية، وأقحَمَ الرسولَ ﷺ في المقارَنةِ دون أدبٍ ولا رَوِيَّةٍ.. وما فَعَل ذلك عن إخلاصٍ وإيمان.. بل جَرْيًا وراءَ الذهبِ الرنَّان.. تمامًا كما صَنَع أيامَ «فاروق» قبلَ طردِه.. وإلىٰ أواخرِ عهدِه.. وهكذا الزياتُ طُولَ حياته

(١) المصدر السابق (ص٨٠ـ٨٨).

يُنافقُ بُغيةَ القُوت، ويكتبُ بقلمٍ نُقش عليه هذا المَثل: «طالبُ القوت ما تعدىٰ».

يا زيات، إن الرئيس عبدالناصر لو أَنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغ - بنصِّ الحديث - مُدَّ أحَدٍ من أصحابِ النبي ﷺ ولا نَصيفَه، فكيف له - يا جهول - أن يَبلغَ مبلغَ الرسول؟!.

ألاَ فلْتَسْمَحْ لي - أيها الزيات، وقد استضفتُك اليومَ علىٰ مائدةِ «الاعتصام» - أن أُقدِّمَ لك فاكهتَك، وأسوقَ إليك هديَّتَك: «إنَّ الكفر خيرٌ من النفاق.. وإنَّ العداوةَ أفضلُ من الخديعة.. وإنَّ الصراحةَ علىٰ كلِّ حالٍ عَظَمة، وإن المُراءاة علىٰ أيٍّ وجهٍ حقارة».

* وخيرُ ما نختمُ به هذه الكلمةَ قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

* وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩]»[1] اهـ.

* * *

(١) المصدر السابق (ص٨٩ - ٩٠).

مُنكِرُو السُّنَّةِ مِن أكبرِ شانِئي الرسول ﷺ

اعلمَ يا أخي أنَّ الاعتصامَ بالسُّنَّةِ نجاة.. قال تعالىٰ عن رسوله ﷺ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾. وقال تعالىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾.

ولا بدَّ للمسلمِ في كلِّ نَفَسٍ من أنفاسِه هِجرةٌ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ في حَرَكاته وسَكَناته الظاهرةِ والباطنة، بحيث تكونُ موافقةً لشَرعِه الذي هو تفضيلُ مَحَابِّ اللَّهِ ومَرضاته، ولا يَقبلُ اللَّهُ مِن أحدٍ دِينًا سواه، وكلُّ عَمَلٍ سواه فعَيشُ النفس وحَظُّها ـ لا زادُ المعاد ـ.

❑ قال بعضُ العارفين: «كلُّ عملٍ بلا متابعةٍ فهو عيشُ النفس»[1] والمؤمنونَ في أهلِ الإسلام غُرباء، وأهلُ العِلمِ في المؤمنين غرباء، وأهلُ السُّنَّةِ ـ الذين يُميِّزونها من الأهواء والبدع ـ فيهم غرباء، والدَّاعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالِفِين هم أشدُّ هؤلاء غربةً.. ولكنَّ هؤلاءِ هم أهلُ اللَّه حقًّا، فلا غُربةَ عليهم، وإنما غُربتُهم بين الأكثرين الذين قال اللَّه عز وجل فيهم: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الانعام: ١١٦].

فأولئك همُ الغرباءُ عن اللَّهِ عز وجل ورسولِه ودينه، وغربيُهم هي الغربةُ المُوحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشارَ إليم، كما قيل:

فليس غــريبًــا مَن تناءتْ ديارُهُ ولكنَّ مَن تَنــأَيــنَ عنــهُ غـــريبُ

* وقال تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

---

(١) انظر «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٧).

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . .

وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كان سُنَّةً وشرُّ الأمورِ المحدثَاتُ البدائِعُ

□ وقال إمامُ دار الهجرة مالك: «أكلَّما جاءنا رَجُلٌ أَجْدَلُ من رجلٍ، تَرَكْنا ما نَزَل به جبريلُ على محمدٍ ﷺ لَجَدَله»(١) .

ومَن وَقَّر مُنكري السُّنَّة فقد أعان ـ واللَّهِ ـ على هدم الإسلام. ومَن تَرَك السُّنَّةَ ولاَّه اللَّهُ ما تولَّى، وأصلاه جهنَّمَ وساءتْ مصيراً.

□ وقال الشافعي: «لولا أصحابُ المحابِرِ، لَخَطَبَتِ الزَّنادقةُ على المنابر».

□ وقال الشافعي: «لَم أسمعْ أحدًا نَسَبَتْه عامَّةٌ ـ أو نَسَبَ نَفْسَه ـ إلى علمٍ، يُخالِفُ في أنَّ فَرْضَ اللَّه: اتِّباعُ أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، والتسليمُ لحُكمِه، فإنَّ اللَّه لم يَجعلْ لأحدٍ بعدَه إلاَّ اتِّباعَه.. وإنَّ فَرْضَ اللَّهِ علينا ـ وعلى مَن بعدنا وقَبْلَنا ـ في قَبولِ الخبرِ عن رسول اللَّه ﷺ واحدٌ، لا يُختَلَفُ فيه أنه الفرضُ، وواجبٌ قَبولُ الخبر عن رسول اللَّه ﷺ» أ.هـ.

ومَن رَدَّ حديثَ رسولِ اللَّه بالهوى، وأنكر حُجِّيَّةَ السُّنَّةِ، أدخلَه اللَّهُ أسفلَ سافلين، وحَشَره مع فرعونَ وهامانَ وقارون.

□ قال ابنُ حزم: «اتَّفقوا على أنَّ مَن شكَّ في التوحيد أو النبوَّة، أو في حرفٍ ممَّا أتى به عليه السلام، أو في شريعةٍ أتى بها عليه السلام، ممَّا نُقِلَ عنه نَقْلَ كافةٍ، فإنَّ مَن جَحَد شيئًا ممَّا ذكرناه، أو شكَّ في شيءٍ منه، ومات على ذلك، فإنه كافرٌ مُشرِكٌ مُخلَّدٌ في النار أبدًا»(٢) .

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٤)، و«السير» (٨/ ٩٩).

(٢) «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص١٧٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

◘ قال ابنُ حزَم: «والقرآنُ والخَبَرُ الصحيح بعضُها مضافٌ إلى بعض، وهما شيءٌ واحدٌ في باب وجوبِ الطاعةِ لهما»(١) .

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

نَبَتَتْ نَبْتَةٌ شيطانيَّةٌ على أبوابِ جهنَّمَ، أرادت أنْ تجحَدَ حُجِّيَّةَ السُّنة، وتَصُدَّ الناسَ عن السُّنةِ والإسلامِ صداً، وهم ـ واللَّهِ ـ أكبرُ شانِئِي الرسول ﷺ ، وهم أعداؤه حقًّا، فلهم الخُسرَانُ المُبين والذِّلَّةُ والصَّغار، والفَضحُ على رؤوسِ الأشهاد في الدنيا قبل الآخرة، وها نحن نُعرّيهم، ونَكشِفُ للناس أسماءَهم، ليَلعنوهم صباحَ مساء، وليتقرَّبوا إلى اللَّه ببُغضِهم وكَشْف عارِهم وعَوَارِهم.. فواللَّهِ ما يُريدون إلاَّ هَدْمَ الإسلام.. لِيصبحَ رَسْمًا بعدَ عَيْنٍ.. ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

*** السيد أحمد خان، دَجَّالُ الهند، ومدرستُه الشيطانية:**

وُلد في ١٧ أكتوبر عام ١٨١٧، وتُوفِّي في ٢٧ مارس ١٨٩٧م، أنشأ جامعةِ «عُلَيكرة».

◘ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: «ما إنْ حَلَّ القرنُ الثالثَ عَشرَ الهجريُّ حتى دبَّتِ الحياةُ في هذه الفِتنة «فتنة إنكار حُجِّيَة السُّنة» من جديد، فكانت ولادتُها في العراق(٢) ، وترعرعت في الهند، وإنَّ بدايتَها لَتعودُ في الهندِ إلى «سيد أحمد خان، ومولوي (شيخ) جرَاغ علي»، ثم كان فارسُها المِقدامُ «مولوي عبداللَّه جكرالوي»، ثم استلَم الرايةَ «مولوي أحمد الدين

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (١/ ٩٨).

(٢) لعلّ الصواب في مصر.

أمر تسري»، ثم تَقدَّم بها مولانا «أسلم جراجبوري»، وأخيراً تولى رياستها «غلام أحمد برويز» الذي أوصلَها إلى ساحلِ الضلال»[1] .

يُمثِّلُ هذا الرجلُ الاتِّجاهَ الفكريَّ المُمالئَ للغرب ـ والاستعمارِ الإنجليزي على وجهِ الخصوص..

وتقومُ حركتُه على الافتتانِ بحضارةِ الغرب المادِّية، ومن هنا فقد أنكر المُعجزاتِ وخَوارِقَ العادات، واعتَبَر أنَّ النبوَّةَ غايةٌ تُكتَسبُ عن طريقِ الرياضة النفسيَّة[2] .

لقد أنكر «سيد أحمد خان» ما تُنكِرُه الثقافةُ الغربية ـ ولو كان دِينًا ـ، وأثبَتَ ما تُثبِتُه ـ ولو كان مخالفًا للدين وإجماعِ المسلمين..

«لقد قامت مدرستُه الفِكريةُ على أساسِ تقليدِ الحضارةِ الغربية وأُسُسِها المادِّية، واقتباسِ العلومِ العصريَّةِ بحذافيرها، وعلى عِلاَّتها، وتفسيرِ الإسلام والقرآنِ تفسيراً يُطابقُ ما وَصَلت إليه المَدَنِّيةُ والمعلوماتُ الحديثة في آخرِ القرنِ التاسعَ عشَرَ المَسيحيِّ، ويُطابقُ هَوَى الغربيِّين وآراءَهم، ومِن ثَمَّ الاستهانةُ بما لا يُثبِتُه الحِسُّ والتجربة»[3] .

▫ وتَبلُغُ التَّبعيَّةُ أَوْجَها، إذا عَرَفْنا أن «أحمد خان»، كان يُعارِضُ في إنشاءِ دراساتٍ عِلميةٍ تجريبيةٍ في الجامعة التي أنشأها في الهند ـ وهو ممَّن

---

(١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٩٩) ـ دار الصديق ـ السعودية، نقلاً عن «مكانة السنة التشريعية» للمودوي (ص١٦).

(٢) انظر: «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» د. محمد البهي ـ الطبعة التاسعة ١٩٨١م ـ مصر (ص٣٣ ـ ٣٧).

(٣) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لـ أبو الحسن الندوي (ص٧١) ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة مطبعة التقدم ١٩٧٧م.

قَضَوْا حِقبةً في بلاد الإنجليز ـ، قال في مقالٍ له نُشر في مجلة «عليكرة» في ١٩ فبراير ١٨٩٨م: «إنَّ الهند ـ نظراً إلى حالتها الراهنة ـ ليست في حاجةٍ إلى تعليمِ الصنائع، إنَّ الأهمَّ المقدَّمَ هو الثقافةُ الفكريةُ من المستوىٰ الأعلىٰ»(١) .

هذا رَغْمَ حاجةِ البلادِ إلى العلوم التطبيقية. !!.

ومن المعلوم أنَّ حركة «أحمد خان» في الهند كانت مُعاصرةً للمدرسة الإصلاحية وشيخها «محمد عبده»، وسوف نلاحظُ أنَّ المنطلقاتِ متشابهةٌ، والانحرافاتِ واحدةٌ، والإعجابَ بالغربيين واحد.

* **ظروف حياته**(٢) :

نشأ «أحمد خان» في أُسرةٍ فقيرة، وفي جوٍّ مُشْبَعٍ بالتصوُّف، وعاش في شبابه حياةَ مَرَحٍ، فحَضَرَ حَفَلاتِ الرقصِ والغناء، ثم التَحَق بخِدمةِ الحكومةِ الإنجليزية في سِلْكِ القضاء، وبعد فترةٍ ثاب إلى رُشدِه، أقبل على إصلاحِ نفسه وتعليمها.

وكان لإخفاق «الثورة الهندية» أَثَرٌ في حياته، وكان يُدرِكُ أنَّ مآلَ الثورةِ الفشلُ، ولذلك كان يُناصِرُ الإنجليز، ويُساعِدُ في حمايتِهم ونجاةِ بعضِ عائلاتهم من القتل.

وأَيقَنَ بعدها أنَّ ولاءَ المسلمين للحُكمِ الإنجليزيِّ هو السبيلُ الوحيدُ لإنقاذهم، وكان ذلك نابعًا من إعجابِه المُفرِطِ بالإنجليز وحضارتهم، ولذلك

---

(١) «الابتعاث ومخاطره» الأستاذ محمد الصباغ ـ المكتب الإسلامي (ط٢/ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).

(٢) انظر «مفهوم تجديد الدين» بسطامي محمد سعيد (ص١٢٠ ـ ١٢٣).

جَعَل هَدَفَه طُولَ حياته أن يُقلِّدَ المسلمون الإنجليزَ، ويَتَّبعوا حضارةَ الغربِ في كلِّ شيء. وبعد زيارته لبريطانيا (١٨٦٩م) ـ التي استمرت سَبْعَةَ عَشَرَ شهراً، وكان قد نَزَل ضيفًا مبجّلاً على الأوساط الإنجليزية «الراقية»، ونال الوِسامَ المَلكيَّ، ولَقَبَ الشرف ـ، قابَلَ المَلكةَ ووَلِيَّ العهد، والوزراء الكِبار.

وعاد إلى بلاده وقد أَخَذ على عاتِقِه أن يَفتَح أعينَ المسلمين على عَظَمةِ الحضارة الغربية، ويَشُقَّ لهم طريقًا للاقتباس منها، وكانت وَسيلتُه إلى ذلك التعاوُنِ في المجال السياسيِّ، واستيعابُ علومِ الغَرْبِ في المجالِ الثقافيِّ، وتكييفُ وإعادةُ تأويِلِ الإسلام في المجال الفِكريِّ.

*** آراء سيد خان:**

اعتمد «سيد خان» على مُعطِياتِ العقل، وإيحاءِ الغربيين فيما سماه «تجديداً عصريًا». فقد اعتبر أن القرآن وحدَه هو الأساسُ لفهم الإسلام.. ذلك أنه في ضَوءِ الظروفِ الجديدة وتوسُّعِ المعرفةِ الإنسانية، لا يُمكنُ الاعتمادُ في فَهمِ القرآنِ على التفاسير القديمةِ وَحْدَها، تلك التي اشتَمَلت على كثيرٍ من الخرافات، ولكنْ يتبغي الاعتمادُ على نصِّ القرآن وحدَه[1].

❑ «وقد هَيَّجَ الرأيَ العامَّ ضدَّه، وزاد في هَياجِ الرأيِ العامِّ المسلمِ وتشديدِ النكير عليه من العلماء ـ حتى حكَموا بكفره ـ لِمَا قَرَّره في تفسيره من أنَّ القرآنَ نَزَل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسولُ ألفاظَه من عنده»[2].

---

(١) «مفهوم تجديد الدين» بسطامي محمد سعيد (ص١٢٣) وما بعدها.

(٢) «كفاح المسلمين في تحرير الهند» د. عبدالمنعم نمر (ص٤٤ ـ ٤٥) ـ طبعة أولى نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٨٤هـ.

◻ فيقول: «مِن المُسَلَّم به أنَّ القرآنَ نَزَل بلفظِه على قلبِ محمدٍ ﷺ، أوْ أُوحِي إليه، سواءً سلَّمنا أنَّ جبريلَ أوصلَه إليه بلفظِه كما هو اعتقادُ علماءِ الإسلام، أو وَصَل إليه بمَلَكَةِ النبوَّة - التي عبَّر عنها «برُوحِ الأمين» دون توسُّطِ جبريل - الملقاةِ على قَلْبه عليه السلام كما أعتقدُه وأدينُ اللَّهَ به»[1] .

وقد أكثَرَ من التأويل في الغيبيَّات في مقالاتِه الدينية.

مِثلُ تأويلِه في تعريفِ الشيطان بأنه: «القُوىٰ العِدائيةُ التي لا يَمِلكُ الإنسانُ السيطرةَ عليها».

ومِثلُ إنكاره للأمرِ الخارِقِ للعادة، فما كان منه في القرآن نَفَاه على أنه لم يَقَعْ، كنَفيِه إلقاءَ إبراهيمَ في النار، وولادةَ عيسى - عليه السلام - من غيرِ أبٍ، وابتلاعَ الحوتِ ليونس.

وما كان من الخوارقِ في السُّنَّةِ أنكرَه استناداً على أنه مخالِفٌ للقوانين الطبيعية[2] .

وأنكر الجِنَّ على المعنى المعهود بالخَلْقِ الناريِّ، ففَسَّرها بسُكَّانِ الغابات والصحارِي من البشر[3] ، وأوَّلَ الملائكةَ على أنهم القُوىٰ المدبِّرةَ للعالَم التي يُمكنُ السيطرةُ عليها، أوْ هيَ القوىٰ التي في مقدورِ الإنسانِ تسخيرُها[4] .

---

(١) «تحرير في أصول التفسير» لسيد خان (ص١٩).

(٢) «مقالات سر سيد» للسيد أحمد خان، جمع وترتيب محمد إسماعيل (١/ ١٢٨). - طبع لاهور - نقلاً عن «القرآنيون» لخادم حسين إلهي بخش.

(٣) «تفسير الجن والجان على ما في القرآن» لسيد أحمد خان (ص٥).

(٤) «مقالات سر سيد» لسيد أحمد خان (١/ ٢٢٠).

* **تشكيكه في السُّنَّة النبويَّة:**

أنكر «السيد» جُزئياتٍ من السُّنَّة: مثل إنكاره السُّنَّةَ الواردةَ في مماثَلَةِ الأرضينَ للسماوات في العدد، وقال: «إنَّ هذا التصوُّرَ مما كان يقول به الجاهليُّون دون من سواهم.. وبناءً على لفظِ ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ في الآية[1] وُضِعت تلك الرواياتُ كلُّها في هذا الباب، واللَّهُ ورسولُه بَرِيءٌ منها»[2].

وأنكر أحاديثَ الجنِّ الثابتة.

❑ ثم وَضَع لَبِنَةً عامَّةً للتشكيك في السُّنَّةِ كلِّها، فقال: «بعد وفاة النبي ﷺ ظَلَّت الرواياتُ تتناقلُ على الألسنةِ إلى عهدِ التصنيف في الكُتب المعتَمَدة، غيرَ أننا لا نَستطيعُ أن نَغُضَّ الطَّرْفَ عن الهيئةِ التي دُوِّنت بها تلك الأحاديثُ، تلك التي كان مبناها من الذاكرة، بينما البُعدُ الزمنيُّ كفيلٌ بمَزْجِ الزائدِ بها وإضافةِ الجديدِ إليها»[3].

وهذه الفِريةُ الظالمةُ والشُّبهةُ التي يَسُوقُها شيطانُ الإنس، يَرُدُّ عليها علماءُ الحديث، ودُوِّنت فيها الكتبُ، ومن أعظمِها ما كُتب حديثًا وهو «السُّنَّة قبل التدوين» للدكتور «محمد عجاج الخطيب».

❑ ويُضيف دَجَّالُ الهند: «بأنَّ ما دُوِّن في هذه الكُتب من الأحاديث، إنما هي ألفاظٌ للرواة، ولا تَعرفُ ما بين اللفظِ الأصليِّ - الصادرِ من شفتَيْهِ عليه الصلاة والسلام - والمعبَّرِ به من وِفاقٍ أو خِلافٍ، وليس من العَجَبَ أن

---

(١) يعني قول اللَّه تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

(٢) «مقالات» (١/ ٢٥٧).

(٣) انظر «مقالات» للسيد أحمد خان (١/ ٢٣).

يُخطئَ أحدُ الرواةِ في فهْمِ الحديث ممَّا يكونُ سببًا في ضَياعِ المفهومِ الصحيح»[١] .

وبِناءً على موقفه هذا جَعَل الأحكامَ المستنبَطَةَ من السُّنَّةِ بوجهٍ عامٍّ أحكامًا لا يَجبُ على المسلمين اتباعُها، «وأنَّ ما استَخرج العلماءُ من نصوصِها الحاليةِ إنما هي أحكامٌ اجتهاديةٌ - لا نَصيَّةَ فيها ولا حتميَّة -، لاحتمالِ ألاَّ يكونَ ذلك مقصودَه - عليه الصلاه والسلام -»[٢] .

□ وهو - بزَعْمِه الكاذب - يُحمِّلُ المحدِّثين التقصير في عدمِ تمحيصِ مُتونِ السُّنَّةِ مِثلِ السَّند، ويقول: «وإنا لا ندري عن الأحاديث التي وُثِّقت أَوُجِّهت الجهود إليها من حيثُ المضمون والمُحْتوىٰ أم لا؟ وأيُّ السُّبل سُلِكَت في ذلك»[٣] .

وهذا إن دَلَّ إنما يدلُّ على جَهلِه وقِلَّةِ بضاعتِه في العلم، وإلاَّ، فإين كُتبُ الجرح والتعديل وكتبُ الضعفاءِ والمتروكين، وأين كتبُ العِلَل لابن المدِيني والدَّارَقُطْني؟!

قبَّح اللَّه «سيد أحمد خان!».

□ وأخيراً يحاولُ الكذَّابُ الأشِرُ أن يُجهِزَ على السُّنَّةِ بوضعِه الشروطَ التي يتعذَّرُ توفُّرُها في أغلبِ الأحاديث، فقال: «والمعيارُ السَّليمُ لقَبولها هو أن يُنظرَ إلى المَرْوِيِّ بِمنظارِ القرآن، فما وافقَه أخذناه، وما لم يوافِقْه

(١) «مقالات» (١/ ٤٩).

(٢) «مقالات» (١/ ٦٩).

(٣) «مقالات» (١/ ٢٣).

نَبَذْناه.. وإنْ نُسِب شيءٌ من ذلك إلى الرسول، فَيَجبُ فيه توفُّرُ شروطٍ ثلاثة:

١ ـ أن يكون الحديثُ المرويُّ قولَ الرسولِ بالجَزْم واليقين.

٢ ـ أن تُوجَدَ شهادةٌ تُثبِتُ أن الكلماتِ التي أتى بها الراوي هي الكلماتُ النبويَّةُ بعينها.

٣ ـ ألاَّ يكونَ للكلماتِ التي أتى بها الرواةُ معانٍ سوى ما ذَكَره الشُّرَّاحُ، فإنْ تَخَلَّفَ أحدُ هذه الشروط الثلاثة لم يَصِحَّ نسبةُ القولِ إلى الرسول ﷺ، أو أنه حديثٌ من أحاديثه»[1].

وهذه الشرُوط لا تتوفَّرُ إلاَّ في المتواتر اللفظيِّ دون سائرِ السُّنَّةِ الصحيحة المتواترةِ تواتراً معنويًّا، أو السنَّة الآحادية التي عليها مدارُ الأحكامِ الشرعيَّةِ عند المسلمين[2].

وهو يَقبَلُ من الأحاديث فقط ما يَتَّفقُ مع نصٍّ ورُوحِ القرآن، وما يتَّفقُ مع العقلِ والتجربةِ البشرية، وما لا يُناقِضُ حقائقَ التاريخَ الثابتة.. ولا يَقبلُ مِن الأحاديثِ إلاَّ المتواتر، أما أحاديثُ الآحادُ فهو لا يَميلُ إلى قَبولِها مطلقًا.

وحتى الأحاديثُ المقبولةُ لديه، فهو يُقَسِّمُها إلى قِسمين:

أحاديثُ خاصَّةٌ بالأمورِ الدينية ـ كالعقيدة والعبادة..

وأحاديثُ خاصةٌ بالأمور الدنيوية ـ كقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع..

---

(١) «مقالات» (١/ ٤٠).

(٢) «القرآنيون» (ص١٠٦).

فالأولى مُلزِمةٌ في نظرة.. أما الثانية، فغيرُ ملزِمةٌ، لأنها من أمورِ الدنيا المتغيِّرة[1].

* وهو ينكرُ الإجماعَ كمصدرٍ من مصادرِ التشريع:

أما مسائلُ الفقه: فقد كانت نظرتُه فيها تَسيرُ وفقَ مَنهجِه، لتقريبِ أمورِ الدين من مفاهيمِ الحضارةِ الغربية: ففي فقهِ العبادات كان مَنهجُه يَتمثَّلُ في تفسيرِ ممارساتِ العبادةِ بمنطقٍ عقليٍّ بحت، فغَسلُ الأعضاءِ عنده في الوُضوء نظافةٌ ورمزٌ للطهارةِ المعنوية، ويُقصَدُ من الصلاةِ توجيهُ انتباه المَرءِ لخالقه، أمَّا الإحرامُ والطوافُ ورَميُ الجَمَراتِ، فهي عاداتٌ باقيةٌ من الأديانِ الأولى في طفولة البشرية، واحتفظ بها الإسلامُ مع أنها عاداتٌ بدائية، مثلُ لُبسِ الثوبِ من غيرِ مخيطٍ[2].

أما الرِّبا المحرم: فهو عنده يَقتصرُ على الرِّبح المركَّب، ولا يَعتبرُ الفائدةَ البسيطة ـ في البنوك والمعاملات التجارية ـ ربًا ولا حرامًا.

ويناقش «سيد أحمد خان» قضيةَ تعدُّدِ الزوجات الذي أُبيح بنصٍّ القرآن، ويَرى أن الأصلَ فيه زواجُ الواحدة، أما التعددُ فهو حالةٌ استثنائية، وفي دائرة الحدود يرفضُ إقامتَها ـ كما أوجب الشرع ـ، ويُنكِرُ عقوبةَ الرَّجْمِ للزاني، ويَعتبرُ أنَّ عقوبةَ قَطعِ الأيدي والأرجلِ عقوباتٌ وحشية، ينبغي الكفُّ عنها، لأنها تُنافي التمدُّنَ والحضارة.

أما الجهاد: فيرى أنه مشروعٌ «فقط» للدفاع عن النفس، وفي حالةِ

---

(١) «مفهوم تجديد» (ص١٢٦) لبسطامي محمد سعيد.

(٢) المصدر السابق (ص١٢٩ ـ ١٣٠).

واحدة، هي اعتداء الكافرين على المسلمين إذا أرادوا حَمْلَهم على تغيير دينهم!! أما إذا كان الاعتداءُ من أجلِ أمرٍ آخر ـ كاحتلالِ الأراضي ـ، فالجهادُ غيرُ مشروعٍ عنده، وذلك حتى يَجِدَ مبرراً لمسالمةِ الإنجليز المحتلِّين لبلاده[1] .

ومِن الملاحَظِ أنَّ «أحمد خان» يُكرِّرُ نفسَ المسائلِ التي قال بها الإصلاحيون، ومِن ثَمَّ المستشرقون، وإن كان أكثرَ صراحةً في الإعلانِ عن بعضِها من الإصلاحيين.

□ يقول الشيخ «عبدالحي الحَسَني» مؤرِّخُ الهند: «كان كبيرَ العقل، قليلَ العلم، قليلَ العمل، لا يُصلِّي ولا يصومُ غالبًا»[2] .

□ ولَقد اتَّفقتِ المصادرُ التي بَحثَتْ عن نشأةِ «القرآنيِّين» وخروجِهم إلى حيِّز الوجود وإدلائِهم بالآراءِ المخالفةِ في الدين، على أنهم الثمرةُ الطبيعيةُ التي بَذَرَ بذورَها «السيد أحمد خان» وحركتُه[3] .

□ يقول أسد البنجاب وشيخها «ثناء اللَّه الأمر تسري»: «ما أشام ذلك اليومَ الذي خَرَّف فيه صوتُ عليكرة[4] المخالفُ لجميع الأمةِ الإسلامية، الداعي إلى الاعتمادِ على القرآن وحدَه في الدين، وأنَّ السُّنَّة لا تُكوِّنُ دليلاً شرعيًّا، فأثَّر هذا الصوتُ على الحافظ «محب الحق عظيم أبادي» في «بَتْنَة» بالهند، كما أثَّر على «عبداللَّه جكرالوي» في «لاهور» بباكستان أعظمَ تأثير»[5] .

---

(١) المصدر السابق (١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) «نزهة الخواطر» (٨/ ٣٠).

(٣) «القرآنيون» (ص٢١).

(٤) يعني به: السيد أحمد خان.

(٥) مجلة أهل حديث الأمر تسرية (ص٣) عدد مارس ١٩٣٣. وكان الشيخ ثناء اللَّه الأمر

* **جَرَاغ علي عدوُّ السُّنَّة، وتلميذ سيد أحمد خان:**

ولد سنة ١٨٤٤م، وكان بحقٍّ تلميذَ سيد أحمد خان الوفيَّ والرجلَ البارزَ بعد سيد خان في حركة «عليكرة»، وأحدَ أعمدتها.. وتُوفِّي في ١٥يونيو ١٨٩٥م.

رَضَع جراع ـ أو شراغ ـ علي من لُبانِ تلك المدرسة؛ بل أسْهَمَ في الدِّفاعِ عن آرائها أيَّما إسهام، وحاوَلَ صَبْغَ الإسلامِ بالحضارةِ الغربية مِثلِ أستاذِه سيد أحمد خان، فأوَّل نصوصَ الإسلام بما يتلاءَمُ مع تلك الحياة الأوربية.

◻ يقول الدكتور محمد مصطفى أعظمي: «إنَّ المستعمرين قد تنبَّهوا لخطورةِ رُوحِ الجهادِ بالسَّيف، فشَرَعوا بالطعن في أحاديثِ الجهاد، وكان «جَرَاغ علي» و«المتنبي الكذَّاب القادياني» من قادةِ هذه المدرسة، كما أنتجت الروحُ الانهزامية رجالاً مثل «السيد أحمد خان» و«عبداللَّه جكرالوي» و«أحمد الدين أمر تسري» وآخرين، وأخيراً جاء «غلام أحمد برويز» الذي أبدىٰ نشاطًا ملحوظًا، فأسَّس جميعةً باسم «أهل القرآن»، كما أصدَرَ مجلةً شهريةً ونشر عدَّةَ كتبٍ في هذا الصدد»[1].

◻ ويَكشفُ «جَرَاغ علي» عن موقفه من السُّنَّةِ فيقول: «إنَّ القرآنَ كاملٌ من كلِّ الوجوه، ويواكبُ سَيْرَ الحضارة وتطوُّرَها، ويَرفعُ متَّبعيه إلىٰ

= تسري مدير تحريرها. وقد ردَّ علىٰ كل من عبداللَّه جكرالوي وغلام أحمد القادياني، والشيعة والبريلوية وكثيرٍ من فرق الهندوس.

(١) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفىٰ أعظمي (ص٣٨).

أعلى درجات الرُّقيِّ والتمدُّنِ، فإنْ أحْسَنَّا تفسيرَه وتعبيرَه سلَكَ بنا هذا المَسْلك، وإنْ قيَّدْناه بآراءِ المفسِّرين ومَنْهَجِهم وحَصَرْناه في الرواياتِ، فإن الوضعَ يَنقلبُ رأسًا على عَقِب، فنسيرُ نحوَ الهاوية بدلاً من التقدُّمِ ومسايرةِ الرَّكْب؛ لأنَّ الرواياتِ لم يصحَّ منها إلاَّ القليل، بل جُلُّها فرضيَّاتٌ وأوهامٌ للعلماء، أو أنها دلائلُ قياسيةٌ وإجماعيَّة، وهذا المَسْلَكُ هو ما يَسيرُ عليه قانونُ الشريعةِ والفقه، ولا شكَّ أنَّ مِثلَ هذا المَسْلَكِ يَحجُزُ عن الرُّقيِّ والتقدُّمِ ومسايرةِ ظروفِ الحياة»[1] .

◻ وأضاف في موضعٍ آخر فقال: «إنَّ المحقِّقين الذين جَمَعوا الأحاديثَ وميَّزوا بين سقيمها وصحيحها، صرَّحوا بأنَّ الحديثَ مهما قَوِيَ سَنَدُه لا يُمكنُ الاعتمادُ عليه، وما ذُكِرَ فيه غيرُ حتميٍّ قطعًا، فلو أمعنَّا النظرَ في هذه الحقيقةِ لاضطررْنا أن نقول: إنَّ معاييرَ الصِّدقِ والأصولِ العقليةِ لا حاجةَ لإقامتها لتمييز الحديث؛ لأنَّ الحديثَ في حدٍّ ذاته شيءٌ لا يمكنُ الاعتمادُ عليه، ولا اعتبارَ لِمَا يَتحدَّثُ عنه»[2] .

◻ **وله انحرافاتٌ كثيرةٌ تتلخَّصُ في:**

أ ـ نفي أن يكونَ الحِجابُ مِمَّا أَمَر به الإسلام.

ب ـ حروبُ النبيِّ ﷺ كلُّها دفاعية، وأنه ﷺ لم يَخُضْ حَرْبًا هجوميةً في حياته.

---

(١) «تحقيق الجهاد» (ص١٢١) لجراغ علي ترجمة غلام حسين ـ لاهور ـ باكستان.

(٢) «أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام» (١/ ٣٠) لجراغ علي ونواب يارجنك ترجمة مولانا عبدالحق ـ لاهور.

جـ ـ لم يُعيِّنِ القرآنُ المقصودَ من الزكاة، وإنما أَمَر بإعطاءِ الفقراءَ ما زاد عن الحاجة.

□ ومن أشهر مؤلفاته: «الإصلاحاتُ السياسيةُ القانونية، والاجتماعيةُ المقترَحةُ للإمبراطوريةِ العثمانية والدولِ الإسلامية الأخرىٰ».

□ وفي هذا الكتاب تَظهَرُ الدعوةُ إلىٰ التوفيق بين الإسلامِ والعصر، بالطريقةِ المفضَّلةِ لهذه المدرسة، وخلاصةُ ما فيه: «أنه يرىٰ ضرورةَ الفصلِ بين الدين والدولة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لم يُوحِّدْ بين الدينِ والدولةِ مطلقًا»[1].

*** مُحبُّ الحق عظيم آبادي في «بهار» بالهند وإنكارُه للسُّنَّة:**

هو الحافظُ محبُّ الحق المنسوبُ إلىٰ مدينة «عظيم آباد» بالهند، البهاري البَتْني، وُلد في آخرِ السَّبعينات من القَرْنِ التاسعَ عَشَر، وكان حَنَفِيَّ المَسْلَكِ في أوَّلِ أمرِه، يَتَّبِعُ طريقةَ الصوفية النَّقشبنديَّة، ثم تَحوَّل عنها ليصبحَ عُضواً غيرَ بارزٍ في زُمرة «القرآنيين»، وله مؤلَّفاتٌ عديدة منها: «دعوة الحق» و«شرعة الحق» و«منهاج الحق» و«بلاغ الحق».

وقد صنَّف كتابَه الأولَ والثاني قبل أن ينضمَّ إلىٰ الحركةِ القرآنية، والثالثَ أثناءَ تذبذُبِه، والأخيرُ فيه التصريحُ بعدم أخذ السُّنَّةِ في الدين، وكان يكتب في كلٍّ من مجلتيْ «البيان» و«طلوع الإسلام».. تُوفي في آخرِ الخمسينات من القرن العشرين «بكراتشي» بعد استقلال باكستان.

□ يقول مؤلِّف كتاب «القرآنيون»: «وقد تزعَّم حركةَ القرآنين في

---

(١) «مفهوم تجديد الدين» (ص١٣١) وما بعدها.

بدايةِ الأمر شخصيَّتانِ: «محب الحق عظيم آبادي» في «بهار» ـ شرقي الهند ـ، و«عبداللَّه جكْرَالَوِي» في «لاهور» في آنٍ واحدٍ من مَنبعٍ متَّحدٍ، غيرَ أنَّ الأولَ ـ محب الحق ـ لم يُخالِفِ المسلمين في الأعمال الظاهرة، بل كان يَمتثلُ لها كأيِّ فردٍ من المسلمين باستنباطِ ذلك من القرآن الكريم، دون اللجوءِ إلى السنَّةِ المُشرَّفة، مما جَعَلَ الأنظارَ لا تَلتفِتُ إليه بدهشةٍ واستغراب، مع ما سَجَّله من المخالفات الظاهرة كقوله: «اللَّهم امْحُ وثنيَّة عقيدةِ البرزخ كما مَحَيْتَ الأصنامَ من جَوفِ الكعبة»[1].

وإنكارهُ وجودَ منصبِ الإمامة في الإسلام لعدم ذِكْرِ القرآن له[2].

القرآنيُّون وزعماؤهم

قبل مُضِيِّ أربَعِ سنواتٍ من موتِ «سيد أحمد خان» ظهرت حركةُ «القرآنيين» في «بِنجاب» بأواسط الهند، وما أسوأَ حظَّ هذه البقعةَ من الأرض، إذْ نَبَعَتْ منها حركتانِ هَدَّامتانِ للإسلام: «القاديانية»، و«القرآنيون».

ففي سنة ١٩٠٠م نهض من تلك البقعة «غلام أحمد القادياني»، وادَّعى النبوَّة.

ومنها في عام ١٩٠٢م بدأ «غلام نَبِي» المعروف بـ«عبداللَّه جكْرَالَوي» مؤسِّسُ الحركةِ القرآنيةِ نشاطَه الهدَّام بإنكارِ السنَّة كلِّها مُتخِذًا «مسجدَ جِيْنيان» بلاهور مقرًّا لحركتِه.

---

(١) «منهاج الحق» لمحب الحق (ص٤٩).

(٢) «بلاغ الحق» لمحب الحق (ص٢٩).

وسَنَعْرِضُ ذِكْرَ أكبرِ زعمائِهم، ثم بعد ذلك نَذكرُ أهمَّ آرائهم:

* **ومن أكبر زعماء هذه الحركة:**

* **مؤسِّسُ حركةِ «القرآنيِّين» عبدالله جَكْرَالَوِي عدوُّ السُّنَّة:**

هو عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِاللَّهِ الجَكْرَالَوِي، نزيل «لاهور» الذي دعا الناسَ إلىٰ مذهبٍ جديدٍ سَمَّىٰ أتباعَه «أهلَ الذِّكر والقرآن»، وأنكر الأحاديثَ قاطبةً، وصَنَّف الرسائلَ في ذلك[1].

وُلد عبدُاللَّه في بلدة «جَكْرَالَهْ» بمقاطعة «مِيَانْوَالِيْ» بـ«بنجاب» بـ«الباكستان»، في نهاية العقدِ الثالثِ من القرنِ التاسعَ عشَرَ الميلادي في أُسرةِ عِلمٍ ودِين، وكان والدُه ممن يَستظلُّ بظلِّ مشيخة «تَوْنْسَة بِرَاج»، ولهذه الصِّلةِ الرُّوحيةِ ذَهَب والدُه به إلىٰ مُتَوَلِّي المَشيخةِ آنذاك، فحنَّكه ومَسَحَ علىٰ رأسِه وأسماه «غلام نَبِي»، وظَلَّ معروفًا بهذا الاسم حتىٰ سنةِ ١٨٩٩م، إذ سَجَّله مع اسمِه المختار «عبداللَّه» في نهاية مقدِّمة تفسيرِه، ثم تحاشاه بعد ذلك التاريخ لشُبهةِ الشِّركِ فيه حتىٰ الممات.

* **صِلتُه بالاستعمار:**

اختَلفت النقولُ في اتِّصالِ «عبدِاللَّه» بالإنجليز وممالأتِه لهم، «فغلامَ أحمد برويز» ـ ومَن يرىٰ رأيَه يَذهبون إلىٰ أنَّ المِرزا «غلام أحمد القادياني» كان من البذور التي تَولَّت الحكومةُ البريطانيةُ بَذْرَها، وأنَّ دعوتَه أتت من صميمِ النداء الإنجليزي، بَيْدَ أن «عبداللَّه» نراه سليمَ النيَّة، اكتَوىٰ بنارِ ما

(١) «نزهة الخواطر» (٨/ ٢٨٩).

أُصيب به الإسلامُ في عصرِه من الفِرَق المتعددة.

□ وفريقٌ آخَرُ من المحقِّقين ـ أمثال «محمد علي قَصُورِي» ـ يَرَىٰ أنَّ الحكومةَ البريطانيةَ كانت لها يَدٌ وراءَ الحركتين: «القاديانية، والجكرالوية»، حيث يقول: «وفي هذه الآونةِ اتَّخذ المشروعُ الإنجليزيُّ نوعًا جديدًا من المناورات المناوِئةِ للإسلام، فضَمَّت صُفوفُه السياسيةُ كثيرًا من القساوسة المبشِّرين، مما مَكَّنها من اصطيادِ بعضِ الشخصيَّاتِ الإسلامية، وإيقاعِها في شَبَكةِ التحريفِ ضدَّ الإسلام، كما انضمَّ إلىٰ هؤلاءِ بعضُ من يُريدُ الدنيا، فحرَّضَتْهمُ السلطاتُ الإنجليزيةُ علىٰ أن يقوموا بأعمالٍ تُبعِدُ الثِّقةَ عن النفوس تُجاهَ الحديثِ الشريف، ويَستغِلُّوا الضمائرَ المنافقةَ من المسلمين، وكان علىٰ رأسِ هؤلاء جميعًا «عبدالله جكرالوي»، وقد اختاره المسيحيُّون لأداءِ هذه المهمَّة، فرَفَعَ صوتَه بإنكارِ السُّنةِ كلِّها، وأَخَذَ يدعو إلىٰ هذا المشروعِ الهدَّام، فأَخَذَتْ كُتُبُ التأييدِ والرسائلِ تَصِلُ إليه من المبشِّرين بالمسيحية، وتَعِدُه بالمساعدات المالية، وتشكرُه علىٰ هذا المجهود الجبَّار، وقد عَرَفْنا كلَّ ذلك مِن قِبَلِ أحدِ أصدقائِنا الصادقين، الذي كان يقومُ بدَورِ الترجمة لهذه الرسائل، لعدمِ معرفةِ «عبدِالله» باللغةِ الإنجليزية، ولو بَذَلْنا قليلاً من الجَهدِ لأمكَنَنا الحصولُ عليها، غيرَ أنَّا لا نريدُ ذلك»[1].

ولعلَّ الذي مَنَع الدكتور «محمد علي» من التصريح باسم صديقِه أو نَشرِ شيءٍ من الرسائل، هو قُربُ عهدِ الاستقلالِ للدولة الباكستانية، وتوغُّلِ القاديانين والقرآنيين في مناصبِها الحسَّاسة، والبَطشُ بكلِّ مَن

(١) «القرآنيون» (ص٣١).

يُخالفُهم أو يُبدي مَساوءَهم، والذي يَتحقَّقُ للمُتَتَبِّعِ لأحداثِ تلك الحِقبةِ التاريخيةِ هو وجودُ الصِّلَةِ بين «الحركة الجكرالوية» والدولة المستعمِرة آنَذاك، ولو صِلَةً خَفِيَّةً، ولعلَّ الزمنَ يَكشِفُ لنا عنها ـ عاجلاً أو آجلاً ـ.

* موقفُ العلماءِ من أفكاره:

اتَّخذ «عبدالله» مدينة «لاهور» ـ مدينة العلم ـ سنة ١٩٠٢م مقرًّا دائمًا لإبلاغِ رسالته إلى المسلمين، ونَشْرِ أفكارِه بين الناس، بَيْدَ أنَّ مجلة «إشاعة السنة» كانت له بالمرصاد، إذ أسرعت إلى جَمْعِ أفكارِه وإجراءِ استفتاءٍ عامٍّ حولَها، ووضعَتْها على بِساطِ البحثِ في الأوساطِ العِلميَّة، بَعدَ عَرضٍ وجيزٍ لبعضِ أفكارِ «عبدالله» الانحرافية، وطالَبَت من علماءِ الدين وقادةِ فِكرِه بيانَ موقفِ الإسلامِ من مِثلِ صاحبِ هذه الأفكار، وهل يَبقى الرجلُ مُسلِمًا مع اعتناقِ هذه الأفكار؟ أو يَخرجُ من دائرةِ الإسلام، ولا يَبقى له به صِلَةٌ؟!.

فأفتى بكُفرِ «عبدالله» جُلُّ علماءِ شِبهِ القارَّةِ الهندية في باكستان والهند وبنغلاديش، وفي نهاية سنة ١٩٠٢م تولَّت «إشاعةُ السنة» نَشْرَ عَشَراتِ التوقيعاتِ لعلماءِ الدينِ الذين أفتَوا بكُفرِ «عبدالله» وخروجِه من بَوْتَقَةِ الإسلام، وأنه مقطوعُ الصِّلَةِ عن الدين والمسلمين[1].

غيرَ أنَّ «عبدالله» بَقِيَ مستمرًّا في دَعوتِه حتى اختَرَمَتْه المنيةُ، ولَقِيَ ربَّه عز وجل عام ١٩١٤ في مدينة «مِيانْوالي» القريبة من «جكراله».

---

(١) انظر مجلة «إشاعة السُّنَّة» مجلد ١٩ ملحق ٧ (ص٢١١).

* **أحمد الدين الأَمْرَتْسَرِّي:**

هو الخَواجةُ أحمد الدين، ابنُ الخَواجة ميان محمد، بن محمدِ إبراهيمَ، دعامةُ الفكرِ العميق للحركة القرآنية، ولد عام ١٨٦١ بمدينة «أمْرتسر» بالهند، وتُوفِّي في ٢ يونيو عام ١٩٣٦ وكان يُجيدُ اللغات: العربية، والفارسية، والأُرْدية، والبنجابية، والإنجليزية.

أ ـ صلته بأحمد خان:

لقد استفاد الخواجة «أحمد الدين» من نظرياتِ السيد أحمد خان، وإن لَم يَجْعَلْها أساسًا ومركزًا لأفكارِه، لشدَّة نَقْدِ العلماءِ لها والنكيرِ على قائلِها آنذاك، فاتَّخذ الخواجةُ جانبَ الحَذَر والحَيْطَة، فلم يَجْهَرْ بما جَهَرَ به السيد «أحمد خان»، وإنما كَنَّى واستعارَ ووَرَّى.

□ يقول «ضياء اللَّه» الابن البكر لأحمد الدين الذي رتَّبَ ترجمةَ حياةِ أبيه حول هذه الصِّلة ما نصه: «يبدو أنَّ أولَ مَن وَضَعَ أساسَ استدلالِه على القرآن الكريم وحده هو «السيد أحمد خان».. وقد قَضَتْ أفكارُه على الجُمودِ الذي ساوَرَ على عقولِ المسلمين، ثم نَسَجَ على مِنوالِه «عبداللَّه جكرالوي»، وظَلَّ الخواجة مدَّةً يَستفيدُ من أفكارِه وأفكارِ عبداللَّه، ولأفكارِ الأخيرِ تأثيرٌ بالغٌ في تعديلِ الوضعِ للسُّنةِ النبويَّة، فأصبح الذين كانوا يُفضِّلونها على القرآن يجعلونها بعدَ القرآن»[1].

ب ـ صلتُه بعبداللَّه جكرالوي:

اتَّصل «أحمد الدين» بعبداللَّه منذ أنْ صَدَعَ الأخيرُ بدَعْوَته عام

---

(١) مجلة «بلاغ» (ص٨٨) عدد سبتمبر ١٩٣٦م العدد الخاص بترجمة أحمد الدين.

١٩٠٢م، وكثيراً ما كان الخواجةُ يَزورُه في العُطَلِ الصيفية أيامَ تدريسهِ بالمدرسة الإسلامية، لِتَبادُلِ الآراءِ والمناقشةِ حولَ العديدِ من المسائل العلمية، فيُقنعُ عبدُاللَّه الخواجةَ حيناً، كما كان يَقتنعُ هو بآراءِ الخواجةِ أحياناً أخرىٰ.

□ وحينما نَشَرَ عبدُاللَّه كتابه «صلاة القرآن» في العقدِ الأولِ من القرنِ العشرين، قام الخواجةُ بزيارةٍ خاصةٍ له، ونَصَحه بعدمِ إصدارِ مثلِ هذه الكتب في الوقتِ الحاضر، وأثناءَ النقاشِ حَضَرَتْ صلاةُ العصر، فصلَّىٰ الخواجةُ علىٰ الطريقةِ الجكرالوية، فقال له عبداللَّه: «كيف تعترضُ علىٰ الكتاب وتُصلِّي بمثله؟» فردَّ الخواجةُ عليه بقوله: «إني لا أَراها باطلةً، ولكنَّ التَّفرقةَ لا تجوزُ بين المسلمين»[1] .

*** نشاطُه في دعوتهِ، وآثارُه العلمية:**

قام الخواجة «أحمد الدين» عام ١٩٢٦م بتأسيس طائفته المنفصلةِ بـ «أمرتسر» والتي اختار لها اسم «أمة مسلمة»، فتسارَعَ الناسُ إلىٰ اختيارِ عضويتها، بالإضافة إلىٰ إصدارِ مجلة «بلاغ» الخاصةِ بهذهِ الجماعة، تَحملُ أفكارَهم، وتَنشرُ نظرياتِهم الخاصة.

هذا وقد شَمَّر أعضاءُ «أمة مسلمة» ودُعاتُها عن ساعدِ الجدِّ، فأخَذوا يَطبَعون الكُتُبَ علىٰ حسابهم الخاص، ويُرسلونها إلىٰ كلِّ من عَرَفوا عُنوانه دونَ مقابلٍ، ممَّا ساعَدَ في نَشرِ أفكارِهم وانضمامِ الناسِ إليهم.

وممَّا يلاحَظُ في فِكرِ أحمد الدين نَقْدُه اللاذعُ للنظامِ السائد في الميراث

---

(١) مجلة «بلاغ» (ص٢٠) عدد سبتمبر ١٩٣٦م.

عند المسلمين، والدعوةُ بالاكتفاءِ على ما وَرَدَ في القرآنِ الكريم دون السُّنَّة، كتوريثِ ابنِ الابنِ مع وجودِ الابنِ للميِّت.. وجَعَل الوصيةَ فَرْضَ عينٍ على المتوفَّى لمن شاء مِن ورَثَتِه، وإعطاءَ الإرثِ لمستحقِّه ـ بقَطعِ النظرِ عن ديانتِه وحريتِه ـ إلى غير ذلك من الآراء الغريبة المخالفةِ لإجماعِ المسملين.

❑ وله:

(١) «معجزة القرآن»، وهو مجلد واحد.

(٢) «أصل مطاع»، وهو مجلد واحد.

(٣) تفسير «بيان للناس»، وهو سبع مجلدات وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

(٤) «برهان الفرقان»، وهو مجلد واحد.

(٥) «ريحان القرآن»، وهو مجلد واحد.

(٦) «قرآن مجيد ورسول حميد»، وهو مجلد واحد.

* الحَافِظ أسْلم جِرَاجْبُورِي:

هو محمد أسلم، ابن العلامة سلامةِ اللَّه البهوبالي، المؤرِّخُ الفيلسوفُ، أحدُ أركان القرآنيين البارزين.

ولد في «جراجبور» ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٠م بقاطعة «أَعْظَمْ كَرَهْ» بالهند في أسرةِ أهلِ الحديث ـ أثناءَ أداءِ والدِه مناسكِ الحجِّ، وحَفِظَ القرآنَ الكريم قبل أن يناهزَ التاسعةَ من عمره، فلذلك لُقِّب بالحافظ، ثم أَخَذ في دراسةِ اللغة الفارسية ـ لغةِ العلوم الدينية آنذاك ـ، ثم الرياضياتِ، فاللغةِ الإنجليزية، كما أنه درس العربيةَ على مولانا فتح اللَّه، وتُوفِّي في ٢٨ ديسمبر ١٩٥٥م.

☐ أما صِلتُه بالخواجة «أحمد الدين» وتأثُّره بأفكارِه، فتبدو واضحةً في ترجمتِه كتابَ الخواجة «معجزة قرآن» إلى اللغة العربية، ونَشْرِه بين البلاد العربية، كما أنَّ «الحافظ» سار في موضوعِ «الإرث» على نَهجِ الخواجة، فأخرج كتابه «محجوب الإرث» نَقْدًا لقواعدِ الميراث المُجْمَع عليها بين المسلمين، كما أنَّ لِفكْرِ «الحافظ» نصيبًا وافرًا في صَبغِ الأفكار الاشتراكية بالإسلام، كتحويلِ مِلْكيَّةِ الأرضِ إلى الدولة، واختراعِ مَنصبِ «مركز المِلَّة» لِيَحُلَّ مَحَلَّ «مجلس التشريع الحاكم» عند الاشتراكيين.

☐ يقولُ هذا المأفونُ في مَدحِ الاتحاد السوڤيتي ما نصُّه: «إنَّ المِلَّةَ الرُّوسيةَ جَدَّدتِ العملَ الإسلاميَّ الذي وُجِد في العهود السابقة، بل أجودَ منه، إذْ أطاحت بالرأسماليين ومُلَّاكِ الأرضِ وأصحابِ الإماراتِ الصغيرة، وهذا معنى «لا» من كلمة «لا إله إلاَّ اللَّه»، وهي أولُ لَبِنَةٍ في الإسلام، وهذا العملُ هو عَينُ الامتثالِ لمبدأِ الشهادتين»[1] .

ومما لا يَسَعُ الباحثَ إنكارُه أنَّ «الحافظ أسلم» هو الرجلُ الثاني بعد «بَرْويز»[2] الذي نَبَغَ من حيثُ التأليف، وقام بالنشر لأفكارِ القرآنيين، وتُوُفِّي في مارس ١٩٥٥م ولَحِقَ بربِّه ليلقَى جزاءَ أعمالِه.

*** غلام أحمد بَرْويز، عَدُوّ السُّنَّة اللَّدُود:**

هو غلام أحمد برويز بنُ فضلِ دين، وُلِد في ٩ يوليو ١٩٠٣م، في بلدة «بَتَالَة» القريبة من «قاديان» بالبِنْجاب الشرقية في الهند.

---

(١) «نوادرات» (ص١١٥) للحافظ أسلم.

(٢) برويز هو تلميذ الحافظ أسلم.

في سنة ١٩٣٨م أصدر السيد «نذير أحمد» ـ بتمويلٍ من صديقه برويز ـ مجلة «طلوع إسلام» دونَ تسجيلها باسمه الخاص.

وبعد استقلال باكستان، وبعد أن أصبحَ «محمد علي جناح القادياني» أولَ زعيمٍ ورئيسٍ لباكستان!!! انتَقل «برويز» من الهند إلىٰ باكستان مع مجلته «طلوع إسلام».

* **فِكرُه ونَشاطُه لدعوته:**

بَعدَما وصَلَ «برويز» إلىٰ «كراتشي» وطاب له الُمقامُ فيها، نَشِطَ في دعوتِه نشاطًا بالغًا لِخُلُوِّ الجوِّ من المعارضةِ القويَّةِ من جهةٍ، وللإعانةِ الفعليةِ من أربابِ الحُكمِ من جهةٍ أخرىٰ، فوجَدَ أرضًا خِصبةً لنَشرِ أفكاره، فوَضَع لمؤيِّديه أُسُسًا واضحةً، وجَعَل لهم مكاتبَ فِكرٍ تحتَ إدارته، وأَطلقَ عليها اسم «نوادي طلوع الإسلام» تَبَعًا لاسم مجلته، ولم تَمض بِضعُ سنواتٍ علىٰ مجيئِه حتىٰ عَمَّ ذِكرُه في أرجاء باكستان، بل تجاوَزَها إلىٰ الدول العربية والأوربية والأميركية، فأخذ الناسُ يَهرعون للانضمامِ إلىٰ دعوته.

وعلىٰ جانبٍ آخرَ أَخذت أجهزةُ الإعلام للدولة تُكيلُ له المَدْحَ كَيلاً، فانضمَّ إلىٰ صُفوفه كثيرٌ من المثَقفينَ والمحامِينَ والقُضاةِ والُمحاضِرِينَ وأساتذةِ الجامعات والطلاَّبِ والمهندسين.

وفي نوفمبر سنة ١٩٥٦م عُقد أولُ اجتماعٍ عامٍّ لجميع نوادي «طلوع إسلام» في «لاهور»، ثم تتابعت الاجتماعاتُ السَّنَويةُ لاتخاذِ اللازم، والبحثِ في المشاكل التي تَعترضُ طريقَهم لنشرِ الأفكارِ في أرجاءِ الوطنِ الإسلامي الكبير.

وفي هذه السَّنةِ نفسِها كان «برويز» قد عُيِّن عُضواً في «لجنةِ التقنين» في باكستان، غيرَ أنه لم يَستمرَّ بها طويلاً، إذ عُطِّل الدستورُ بأكملِه إثْرَ انقلابٍ عسكريٍّ قام به الجنرال «أيوب خان»، وأَمَر بالغاءِ جميعِ الحركاتِ والأحزابِ ما عدا حركةَ «طلوع إسلام»، ولعلَّ السببَ في ذلك يعودُ إلىٰ ملاءمةِ الأفكارِ البرويزية لكلِّ حاكم.

ومركز «المِلَّة» عند برويز يتولاَّه كلُّ مَن تمكَّن منه، وقد مُنح لهذا المركز سلطاتٌ تشريعيةٌ واسعة، من الحَظْرِ والإباحةِ والإجبار، وهذا ما يَبتغيه كلُّ حاكمٍ لبقائه في الحُكم، ولعلَّ هذا هو أحدُ الأسبابِ الخَفِيَّةِ العاملةِ في إلغاءِ قانونِ الأحوالِ الشخصيةِ الإسلامية إبَّانَ حُكمِ هذا الجنرال، وإحلالِ القوانينِ الوضعيةِ ـ المقدَّمةِ من لجنةِ الأحوال الشخصية ـ مَحلَّه.

والحقُّ أن فِكرَ «برويز» يمتازُ بالاطِّلاع الواسع علىٰ الأفكار الأوربية، ويَرىٰ وجوبَ صَبْغِ الإسلامِ بها.. وبالإضافةِ إلىٰ ذلك يعتقدُ أنَّ النظرياتِ العلميةَ حقائقُ لا تَقبلُ الجَدَلَ والمناقشة؛ لذا يجبُ تفسيرُ القرآنِ بمقتضاها، كالقول بالتطوُّر في وجودِ الخَلْق، وإنكارِ خوارقِ العادات.. أمَّا التأويلُ وصَرفُ الكلماتِ عن معانيها الحقيقيةِ في كُتُبه، فحدِّثْ ولا حَرَجَ، فما من مُعتقَدٍ إسلاميٍّ إلاَّ مَسَّه قلمُ «برويز» بالتأويل.

و«غلام أحمد برويز» يُقلِّدُ «توفيق صدقي» تقليداً تامًّا ـ مع دعوىٰ الاجتهادِ والانفراد ـ؛ لأنه يُنكِرُ إنكاراً تامًّا أن يكونَ للأحاديث أيُّ قيمةٍ تشريعيةٍ[1].

ولعلَّ أولَ إعلانِه بأفكارِ القرآنيين، وإثارةِ الشبهاتِ حولَ السُّنةِ لإزالةِ

---

(١) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفىٰ الأعظمي (ص٢٨).

الثِّقة عنها، ودعوةِ الجماهير إليها جِهاراً: يعودُ تاريخُه إلىٰ مسجد «سكرتارية دهلي» الذي كان قد مَنح «برويز» مِن قِبَلِ مسؤوليِ المسجدِ حُقوقَ خُطبةِ الجمعة فيه، لِحُسنِ نواياه السابقة، لكنه سَرعانَ ما أخذ أسلوبُه يتلوَّنُ من يومٍ لآخر، فبدأ بالتأويل في السُّنة، فالتعريضُ بها، وأخيراً إنكارُ حُجِّيَّتِها وعدمُ الاعتمادِ عليها في شَرعِ اللَّه عزَّ وجل، غيرَ أنه لَم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ علىٰ هذه الأفكار حتىٰ استولىٰ الحماسُ الدينيُّ علىٰ «موسىٰ» الفَرَّاش، بالسكرتارية، فأخذ بتلابيبِ الخطيب، ونهاه عن إلقاءِ مِثلِ هذه التُّرَّهاتِ، ما كان سبباً مباشراً لعَدَمِ عودتِه إلىٰ المسجدِ للخطبةِ مرةً أخرىٰ.

وكان «برويز» قد اتَّصل في هذه الآونةِ بأستاذه الفكري «الحافظ محمد أسلم جراجبوري»، فتتلمذ عليه، وورِثَ منه جميعَ مُخلَّفاتِ الخواجةِ الفكرية حولَ السُّنة، وما أضاف «الحافظ إليها طُوالَ عمرِه الطويل، بَيْدَ أن الأرضَ لم تكن خِصبةً لنشرِ أفكارِه بين المسلمين آنَذاك لكثرةِ ما كانت تكتظُّ به «دهلي» من العلماء الأجلاَّء من جهةٍ، والتغيُّراتِ السياسيةِ التي أوشكت أن تَحُلَّ بالمسلمين وقتَئذٍ من جهةٍ أخرىٰ، فَبقِيَتْ أفكارِه تختلجُ في صدرِه حتىٰ نالت باكستان استقلالها، فجاءها مهاجِراً كبقية المسلمين، واتخذ «كراتشي» مقراً مؤقَّتاً لنشر دعوته.

وإذا أردنا أن نعرفَ موقفَ الرجل من «السيد أحمد خان» وأفكاره، فنراه يُبجِّلُه، ويَضَعُه في قائمةِ مفكِّري هذ العصر، ويقول: «وفي عصرِنا الحاضرِ يُعتبر «السيد أحمد خان» والدكتور «محمد إقبال» أشهرَ مُفكِّري هذا العصر»[1].

◻ أما موقفهُ من «عبدِاللَّه جكرالوي»، فنراه يَمدحُ مَنهجَه، ويُنكِرُ

(١) «فرقة أهل القرآن» لبرويز (ص٨).

عليه تعيينَ الجزئياتِ من القرآنِ الكريمِ، غيرَ أن «برويز» يُخَوِّلُ تعيينَ الجزئياتِ إلىٰ مركز «المِلَّة» فالرجلانِ متَّفقانِ في المبدأِ والغاية، غيرَ أنهما اختَلَفا في السبيلِ الموصِّلِ إليها، فكلاهما ادَّعىٰ كمالَ الدينِ في القرآنِ وعدمَ التسليم لغيرِه في الحُجَّةِ والبرهان، واختلفا في تعيينِ هذا الكمالِ، فيَرىٰ «عبدالله» كمالَه لشُمولِه جزئيَّات الدين، ويرىٰ «برويز» كمالَه وشموله بذِكرِ الأصولِ وتركِ الجزئيات إلىٰ مركزِ المِلَّة، وبذا يكونُ قد وَصَلا إلىٰ الغاية المنشودةِ، وهي إلغاءُ السُّنَّةِ من مصادرِ التشريعِ في الإسلام.

◘ يقول «برويز» في ذلك ما نَصُّه: «وإنا نرىٰ «عبدَاللَّهِ جكرالوي» كان سَليمَ النيَّةِ، اكتوىٰ بنارِ ما أُصيب به الإسلامُ في هذا القَرنِ من الفِرَقِ المتعدِّدة، فانتَحَل عِلاجَ هذه المُعضِلةِ، فنادىٰ بجمع المسلمينَ علىٰ القرآن الكريم، وإلىٰ هذا الحدِّ كان سليمَ الممشىٰ صحيحَ المَسْلَك، غيرَ أنه تقدَّمَ فوَقَعَ في اللَّبسِ حين قال: إنَّ العمل علىٰ الإسلام ليس بحاجةٍ إلىٰ غيرِ ما في القرآن»[1].

ويُعتبر «برويز» أكثرَ القرآنيِّين تأليفًا، بل هو مؤلِّفُ الحركةِ القاديانية، وقد زادت مؤلَّفاتُه علىٰ ثلاثين مُؤلَّفًا.

* **موقفُ العلماءِ من أفكاره:**

أصبحت مدينة «لاهور» مدينة إقبال منذ عام ١٩٥٨م مقرًّا دائمًا لدعوةِ «طلوع إسلام»، لكنَّ العلماءَ كانوا لها بالمرصاد، إذ جَعَل مولانا «المودودي» «لاهور» نفسَها مقرًّا للجماعةِ الإسلامية، وسَلَّط أضواءً مستفيضةً علىٰ دَعوة «برويز»، وحَذَّر الناسَ مِنِ اتِّباعِها وعواقِبِها الوخيمةِ

(١) «فرقة أهل القرآن» لبرويز (ص٨).

التي تَنتظرُ متَّبعيه يومَ القيامة.

وفي سنة ١٩٦١م وُضعت أفكارُ «برويز» ومعتقداتُه على مَحَكِّ البحث الإسلاميِّ أمامَ العلماءِ لِيُفْتوا فيها، وليبيِّنوا حُكمَ الإسلام فيمن اعتَنَق هذه الأفكار، وهل تَبقى له صِلةٌ بالإسلام، أو أنَّ الإسلامَ بريءٌ منه؟.. وقد تولَّى إجراءَ هذا الاستفتاء أركانُ المدرسةِ العربيةِ الإسلاميةِ بـ«كراتشي»، فأفتَى ما لا يَقِلُّ عن ألفِ عالِمٍ من علماءِ الدينِ من باكستانَ والهندِ والشامِ والحجازِ بتكفيرِهِ وخُروجِهِ عن رِبْقَةِ الإسلام.

*** فِرَقُ القرآنيّين المعاصِرة:**

يُوجَدُ في الوقتِ الحاضِرِ أربعُ فِرَقٍ من القرآنيِّين، يَجمعُهم أمرانِ:

١ ـ القولُ بالاقتصار على القرآنِ وحدَه في أمورِ الدنيا والآخرة.

٢ ـ وأنَّ السُّنَّةَ النبويَّةَ ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ ليست بِحُجَّةٍ في الدين، فلا مَجالَ لإقحامِها فيه.

١ ـ الفرقة الأولى: «فرقة أُمَّتْ مُسلِم أهل الذكر والقرآن»:

وهذه الفئةُ هي البقيةُ الباقيةُ من أصلِ فِرقة «عبداللَّه» مؤسِّسِ الحركةِ القرآنية، ضَمَّت في تسميتِها حِزبَه وحِزْبَ الخواجةِ «أحمد الدين»، والواقعُ أنها لا تَمُتُّ إلى فرقةِ الخواجة بصِلةٍ، وقد وَضَع حَجَرَ أساسِها «محمد رمضان» تلميذُ «عبداللَّه جكرالوي»، وكان لها نَشاطٌ ملموسٌ أيامَ بانِيها، غيرَ أنها بعدَ وفاته أَخَذت تَضمحِلُّ شيئًا فشيئًا، وهي في طريقها إلى الانقراضِ عاجلاً أو آجلاً، ويَنتمي إليها بِضعةُ آلافٍ من البشر، وقلَّما تَعثُرُ على النشْءِ الجديدِ في صفوفها.

ولهم مجلةٌ خاصةٌ بهم تَحملُ اسم «بلاغ القرآن»، ولِفِئةِ بلاغِ القرآن

مساجد خاصةٌ في أكثر مدن باكستان، يُقيمون فيها الصلواتِ اليوميةَ الثلاثَ بطريقتِهم الشاذَّة.

٢ ـ الفرقةُ الثانية: فرقة «أمة مسلمة»:

أسَّسها الخواجة «أحمد الدين» في «أمر تسر» بالهند، وكان لهما مَجلَّتانِ: «بلاغ» و«البيان». . ولا تخلو مدينةٌ مِن مُدن باكستان من أعضاءِ هذه الحركة، وللأمةِ المسلمةِ مراكزُ متعدِّدةٌ في أغلبِ مُدنِ باكستان الرئيسية، وأمَّا مركزُهم الرئيسيُّ ففي «لاهور»، والذي تَجدُرُ الإشارةُ إليه أنَّ المنتمينَ إلى هذه الفئةِ يُوافِقون المسلمينَ في الأعمالِ الإسلاميةِ الظاهرة ـ من الصلواتِ الخمسِ وصيام الشهرِ كلِّه ـ، وذلك ما يَحُولُ دون تمييزهم من بينِ المسلمين، ولعلَّ مجلة «فيض إسلام» الرَّوَالْبَنْدِيَّة تُمثِّلُ وجهةَ نظرِهم غيرَ الرسمية في الوقت الحاضر، وبالإضافةِ إلى أن أعضاءَها يَسْعَون لإعادةِ إصدارِ «البيان» من جديد.

٣ ـ الفرقةُ الثالثة: فرقة «طلوع إسلام»:

مؤسِّسُها «برويز»، وفرقةُ «طلوع إسلام» من أنشط فِرَقِ القرآنيين في الآونةِ المعاصرة، وقد خَفَّ نشاطُها عن عهدها السابق بسبب فتوى العلماء بكفر «برويز».

وفرقةُ «طلوع إسلام» قام بتأسيسها «غلام أحمد برويز» في الهند قَبلَ استقلال باكستان، إلاَّ أنه نَشطَ في الحركةِ بعدَ انتقاله من «دِهْلي» إلى باكستان، فما مِن مدينةٍ من مُدُنِ باكستان إلاَّ وفيها فَرعٌ من فروعِ «طلوع إسلام»، بل لم يَقِفِ الأمرُ عند هذا الحدِّ، فقد تَجاوزَ ذلك إلى الدولِ

الأوربية عَبْرَ البحار، إذ «الطلوع إسلام» فروعٌ في المُدن الأوربية تتولَّىٰ الدعوةَ إلىٰ الأفكارِ البرويزية.

والجديرُ بالذِّكر في أمر «طلوع إسلام» أنَّ داعيتَها يقومُ بإلقاءِ درسٍ في تفسير القرآن الكريم منذُ بِضعٍ وثلاثينَ سَنَةً في يومِ العُطلةِ الأسبوعية، وتُحفظُ دروسُه عن طريقِ آلاتِ التسجيل، ويُستَمَعُ إليها في الأيام المُقبلةِ في أكثَرَ مِن عَشْرِ مُدُنٍ مِن مُدُنِ باكستان الرئيسة بالإضافة إلىٰ فرُوعها عَبْرَ البحار.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ الأفكارَ البرويزية لها نفوذٌ في صفوفِ المثقَّفين، ولا سيَّما بين أولئك الذين يُريدون البقاءَ تحت الدَّوْحةِ الإسلامية مع تلبيةِ رغباتهم الجامحة، والشيءُ المُلفِتُ للنظر أن أغلبَ كُتَّابِ «الأمة المسلمة الأمر تسرية» قد انضمُّوا إلىٰ صفوفِ «طلوع إسلام» مواصِلِين مَسيرتَهم الكتابية، كما انضمَّ إلىٰ صفوفِهِ العديدُ من أفرادِ أهلِ الذِّكر والقرآنِ أيضًا.

ولـ«طلوع إسلام» مركزٌ رئيسي في «٢٥ B كُلْ بَرْك لاهور».

كما أن لهذه الفرقةِ مجلَّتَها الرسميةَ الشهريةَ الدائمةُ «طلوع إسلام» تَنشرُ آراءَها منذُ بِضعٍ وأربعين سنةً، وفي أواسِطِ الستِّينات من هذا القَرْن تَحولَّتْ إلىٰ أسبوعيةٍ لفترةٍ من الزمن، بسبب الدعمِ الماليِّ الخَفِيِّ الذي حَصَلَت عليه مِن بَعضِ الجهاتِ الخَفيَّة، ولا زالت مجلة «طلوع إسلام» تَصدرُ في غُرَّةِ كلِّ شهرٍ لاتيني مُعلِنةً بذلك تحدِّيها المستمرَّ لمشاعرِ الأمة الباكستانية المسلمة.

هذا وقد اختَلَفَتِ التقديراتُ لتعدادِ أتباع «طلوع إسلام»، فمِن مُكثِرٍ يَبلُغُ بهم إلىٰ بضعةِ ملايين، ومِن مُقلٍّ يَصِلُ بهم إلىٰ عَشَراتِ الألوف،

والحقيقةُ تكمُنُ بين التقديرين، ولعلَّ المكثِرين قَدَّروا الأتباعَ أيامَ ازدهارِ الحركةِ في أواخرِ الستينات، بينما المُقِلُّون بَخَسوا عَدَدَهم لعدمِ إدراكِهمُ التامِّ لنشاطِ الحركةِ داخلَ الدولةِ وخارجَها.

والواقعُ المؤسفُ حقًّا هو أنْ نَرَىٰ المثقَّفين وأصحابَ المسؤوليةِ ينجرِفون وراءَ تيارِ «طلوع إسلام»، وينَخدِعون بسُحُبِه الكاذبة!.

٤ ـ حركة ـ أو فرقة ـ «تعمير إنسانيت»:

أما حركة «تعمير الإنسانية»، فهي فرقةٌ من فِرَقِ القرآنيين الموجودةِ في الآونةِ المعاصِرة، حديثةُ الولادةِ والنشوء، إذ بَرَزَتْ علىٰ صفحةِ الوجود منذُ ثلاثِ سنوات، يُمَوِّلُها الثَّرِيُّ «عبدالخالق مَالْوَادَه»، وهي تَجِدُّ وتَجتهدُ لكسبِ ثقةِ الشَّعب في أقربِ وقتٍ ممكن، كما أن رياسةَ هذه الحركةِ تعودُ إلىٰ «عبدِالخالق» نفسِه.

▯ ولهذا الحركة خطيبٌ مُفوَّةٌ هو القاضي «كفاية اللَّه»، وهو مُعْجَبٌ بأفكارِ «الجكرالوي»، ويقول عنه: «إنَّ أفكارَه حَولَ السُّنَّةِ لم تتجاوَزْ ما أَمَرَ اللَّهُ به مِنِ اتِّباعِ ما أَنزَلَ اللَّهُ، وإنَّ لأفكارِ «عبداللَّه» اليدَ الطُّولَىٰ في القضاءِ علىٰ الجمودِ العقليِّ الذي كان مفروضًا علىٰ المسلمين قبلَه».

وهذه الحركةُ تَبُثُّ دَرْسَها الأسبوعيَّ «يومَ الجملة» كلَّ أربعاء في صحيفة «مشرق» اليومية، والمجموعُ الكُلِّيُّ لأفرادِ فِرَقِ القرآنِيِّين جميعًا لا يتجاوزُ ٣٪ من مجموع سُكَّانِ باكستان في الوقت الحاضر، ففتوىٰ علماءِ الإسلام ضدَّ مؤسِّسِ هذه الحركة، وضدَّ برويز قَلَّلَتْ من شعبيتهما بصورة كبيرة، والحمدُ للَّه أنَّ وجودَهم لا يُهدِّد الكيانَ الإسلاميَّ في باكستان،

ومآلهم ومآلُ كلِّ باطلٍ إلىٰ مزابِلِ التاريخ .

* آراءُ القرآنيين :

أولاً : موقفُهم من السُّنَّة :

أنكَرَت فِرَقُ القرآنيِّين السُّنَّةَ جُملةً وتفصيلاً . . وكان إنكارُهم لها إنكاراً كليًّا ، وأثاروا بباطلهم الشبهاتِ التي لا تَثْبُتُ بحالٍ من الأحوال أمامَ رُدودِ أهلِ السُّنَّة .

☐ فقالوا : حسبُنا كتابُ اللَّه ؛ لأنه تكفَّلَ بذِكرِ الأمورِ الدينيَّةِ كلِّها بالشرحِ والتفصيل ، فلم يَبْقَ للمسلمين حاجةٌ إلىٰ السُّنَّةِ كمصدرٍ للتشريع وأخذِ الأحكامِ منها .

☐ قال «عبداللَّه الجكرالوي» : «إنَّ الكتابَ المجيدَ ذَكَرَ كلَّ شيءٍ يُحتاجُ إليه في الدين مفصَّلاً مشروحًا من كلِّ وَجهٍ ، فما الداعي إلىٰ الوَحْيِ الخفيِّ؟ وما الحاجةُ إلىٰ السُّنَّة؟»[1] .

☐ ويقول : «كتابُ اللَّهِ كاملٌ مفصَّلٌ ، لا يَحتاجُ إلىٰ الشرح ، ولا إلىٰ تفسيرِ محمدٍ ﷺ له وتوضيحِهِ إياه ، أو التعليمِ العَمَليِّ بمقتضاه»[2] .

☐ ويقول «الحافظ أسلم» ما نَصُّه : «قدِ انحَصَرت ضروريَّاتُ الدين في اتِّباعِ القرآنِ المفصَّلِ ولا نتعداه» .

والتفصيل المقصودُ في الآية ﴿ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

---

(١) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٤٩) ـ العدد الثالث سنة ١٩٠٢م . و«إشاعة السنة» (١٩/ ص٢٨٦) عام ١٩٠٢م .

(٢) «ترك افتراء تعامل» (ص١٠) .

كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] معناه البيانُ وذِكرُ الأصولِ والقوانين، وليس المرادُ به العمومُ وتعيينُ الجزئيات ـ كما فهموا من لُغتهم الأُرْدِيَّة ـ، «فالتفصيلُ» في اللغة الأُرْدِيَّة غيرُه في اللغة العربية[1] .

▫ قال الراغب: «الفَصْلُ: إبانةُ أحدِ الشَّيئينِ عن الآخر»[2] .

▫ وقالوا في إنكارهم مَصدريَّةَ السُّنَّة: «إنها لم تكن وحيًا من اللَّه، وإنما هي أقوالٌ نَسَبها الناسُ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ زُوراً وتزييفًا، وإنه لم يَنْزِلْ عليه من الوحي سوىٰ ما حَوَاه القرآن».

▫ قال «عبداللَّه» مؤسِّس الحركة: «إنا لم نُؤمَرْ إلاَّ باتباعِ ما أنزَلَه اللَّهُ بالوحي، ولو فَرَضْنا جدَلاً صِحَّةَ نِسبةِ بعضِ الأحاديثِ بطريقٍ قطعيٍّ إلىٰ النبي ﷺ، فإنها ـ مَع صِحَّةِ نِسبتِها ـ لا تكونُ واجبةَ الاتباع؛ لأنها ليست بوحيٍ متنزَّلٍ من عندِ اللَّه عز وجل»[3] .

▫ ويقول: «يَعتقدُ أهلُ الحديثِ أن نزولَ الوحيِ من اللَّه ـ عز وجل ـ إلىٰ نبيِّه عليه الصلاة والسلام قِسمان: جَلِيٌّ متلوٌّ، وخَفِيٌّ غيرُ متلوٍّ، والأولُ هو القرآن، والثاني هو حديثُ الرسول علىٰ الصلاة والسلام. . غيرَ أنَّ الوحيَ الإلهيَّ هو الذي لا يُمكنُ الإتيانُ بمثلِه، بَيْدَ أنَّ وَحْيَ الأحاديثِ قد أُتي له مثيلٌ بمئاتِ الألوفِ من الأحاديثِ الموضوعة»[4] .

---

(١) «مقام حديث» للحافظ أسلم (ص١٤٣)، و«نكات قرآن» للحافظ أسلم (ص٧٩).

(٢) «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٣٨١).

(٣) «إشاعة السنة» (١٩/ ٢٩١) سنة ١٩٠٢م.

(٤) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٣٥) العدد الرابع ١٩٠٣م ومجلة «إشاعة السنة» (١٩/ ٣١٥)ـ العدد العاشر ١٩٠٢م.

◻ ويقول «برويز»: «إنَّ هذا التقسيمَ للوَحْيِ مُعْتَقَدٌ مستعارٌ من اليهود «شَبْكَتَب» المكتوبِ «وَشَبْعَلْفة»، المنقولِ بالرواية، وإنه لا صِلَةَ له بالإسلام»(١).

◻ وقالوا في رفضِ السُّنَّةِ وإنكارِ حُجِّيَّتِها: «إن اتِّباعَ السُّنَّةِ إشراكٌ في الحُكمِ، وقد نَهَىٰ القرآنُ عنه ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ٥٧]»!!!.

◻ قال الخواجة «أحمد الدين الأمرتسري»: «قد وَضَع الناسُ لإحياءِ الشِّركِ طُرُقًا متعدِّدةً، فقالوا: إنا نؤمنُ أنَّ اللَّهَ هو الأصلُ المُطاع، غيرَ أنَّ اللَّهَ أمَرَنا باتِّباع رسولِه، فهو اتِّباعٌ مضافٌ إلىٰ الأصلِ المُطاع، وبناءً علىٰ هذا «الدليلِ الفاسدِ» يُصحِّحون جميعَ أنواعِ الشِّرك، فهل يُصبحُ الأجنبيُّ زوجًا لمتزوِّجةٍ بقولِ زوجِها «إنها زوجته»؟! ألاَ وإنَّ اللَّهَ لم يأمرْ بمِثلِ ذلك، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ٥٧]»(٢).

◻ وقَبْلَه قال «الجكرالوي»: «الحضُّ علىٰ أقوالِ الرسُلِ وأفعالِهم وتقريراتِهم ـ مع وجودِ كتابِ اللَّه ـ عِلَّةٌ قديمةٌ قِدَمَ الزَّمَن، وقد برَّأَ اللَّهُ رُسُلَه وأنبياءَه من هذه الأحاديثِ، بل جَعَل تلك الأحاديثَ كُفرًا وشركًا»(٣).

أإتباعُ السُّنةِ شِركٌ؟! أمِ الشِّركُ في جَعْلِ القرآنيِّين حقَّ التشريعِ ـ وهو حُكْمٌ ـ لِمَا أَسْمَوه «مركز الملَّة»؟!.

◻ وقالوا ـ افتراءً وكَذِبًا وزورًا ـ: «إن السُّنَّة لم تكنْ شَرْعًا عند النبي ﷺ، وفَهِمَها الصحابةُ علىٰ هذا المنوال»!.

---

(١) «مقام حديث» لبرويز (ص٤٦).

(٢) «تفسير بيان للناس» لأحمد الدين (٢/ ٣٩٥ و٤٤٥).

(٣) «ترك افتراء تعامل» لعبداللَّه جكرالوي (ص١٠).

□ قال «برويز»: «لو كانت السُّنَّةُ جُزءً من الدين، لَوَضعَ لها الرسولُ ﷺ مَنهجًا كمنهجِ القرآن من الكتابةِ والحفظِ والمذاكرة، ولا يُفارقُ الدنيا إلاَّ بعدَ راحةِ بالٍ على هذا الجُزءِ من الدين؛ لأنَّ مَقامَ النبوَّةِ يقتضي أن يُعطِيَ الدينَ لأمتِه على شَكلٍ محفوظ، لكنه ﷺ احتاط بكلِّ الوسائلِ الممكنةِ لكتابِ اللَّه، ولم يَفعلْ شيئًا لسُنَّتِه، بل نَهىٰ عن كتابتها»[1].

□ ويقول «الحافظ أسلم»: «الأمرُ الذي لا مِراءَ فيه أنَّ الصحابةَ قد أدركوا نَهْيَ النبيِّ عن كتابةِ سُنَّتِه، وعَرَفوا أنَّ الأممَ السابقةَ لم تَضِلَّ إلاَّ بسببِ كتابةِ رواياتِ أنبيائها»[2] !!!.

□ وقال: «والشيءُ المُلْفِتُ للنظر هو أنَّ الأحاديثَ لو كانت لها الصفةُ الدينيةُ، لَمَا اشتَدَّ نَهْيُ النبيِّ وصحابتِه عن كتابتها، ولهيَّؤوا السُّبُلَ لحفظِها وتدوينِها»[3].

□ ويقول الخواجة «أحمد الدين»: «اعلمْ أنَّ طاعةَ الرسولِ ﷺ كانت طاعةً مُقَيَّدةً بزمنه، وامتثالَ أحكامِه لا تتجاوزُ حياتَه، وقد أُوصِد هذا البابُ منذ وفاتِه عليه الصلاة والسلام»[4].

□ وقالوا: «إنَّ السُّنَّةَ قد انتُقِدت سَنَدًا ومَتْنًا، وما دَخَله النَّقدُ لا يَصلُحُ أن يكونَ دينًا».

□ وقال «الحافظ أسلم»: «الاعتراضاتُ الموجَّهةُ للإسلام من غير أهلِه

(١) «مقام حديث» (ص٧).
(٢) «مقام حديث» (ص١٠٤).
(٣) «مقام حديث» (ص١١٠).
(٤) مجلة «البيان» (ص٣٢) عدد أغسطس ١٩٥١م.

لا تأتي إلاَّ عن طريقِ الأحاديثِ التي أقرَّ المسلمون بصحَّتها، وهي موضوعةُ الأصلِ، لا صِلَةَ لها بالدين»[١] .

▫ وقالوا: «إنَّ القرآن حَضَّنا على الوحدة، أمَّا السُّنَّةُ، فهي مُشَتِّتَةٌ للمسلمين»!!.

▫ قال عبدالله: «لا ترتفعُ الفُرقةُ والتشتيتُ عن المسلمين، ولن يَجْمَعَهم لِواءٌ، ولا يَضُمُّهم مَكتبُ فِكرٍ مُوَحَّدٍ ما بَقُوا متمسكين برواياتِ زيدٍ وعَمْرو»[٢] !!.

▫ ويقول «حشمت علي» ـ الكذَّابُ الأشِر ـ: «لن تتحقَّقَ وِحدةُ المسلمين ما لم يَتْركوا كُتُبَهم الموضوعةَ في طاعةِ الرسول ﷺ، ولن يَرَوا سبيلَ الرُّقِيِّ والتقدُّمِ ما لم يُمْحَ عنهم التشتُّتُ والفُرقة»[٣] .

▫ ويقول «برويز»: «قد فاق تقديسُ هذه الكُتبِ «كتب السُّنَّة» كلَّ التصوُّراتِ البشريةِ، مع أنها جزءٌ من مؤامرةٍ أعجميةٍ استَهدَفَتِ النَّيلَ من الإسلام وأهلِه»[٤] .

▫ ويُعلِّلُ ذلك ـ كذبًا منه وجهلاً ـ، فيقول: «فما أصحابُ الكُتبِ السَّتَّةِ إلاَّ جُزءٌ من تلك المؤامرة، لذا نَجِدُهم إيرانيِّين جميعًا، لا وجودَ لساكِنِ الجزيرة بينهم، والشيءُ المُحَيِّرُ للعقول أنَّ العربَ لم يُسهِموا في هذا العملِ البَنَّاء، بل أسنَدوا جَمْعَ الأحاديث وتدوينَها إلى العَجَم، حتى تمَّ بناءُ

(١) «مقام حديث» (ص١٥٤).

(٢) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٣٩) عدد شعبان ١٣٢١هـ نوفمبر ١٩٠٣م.

(٣) مجلة «إشاعة القرآن» (ص١٠) عدد ١٥ ديسمبر ١٩٢٧م.

(٤) «شاهكار رسالت» لبرويز ومعناها «فارس الرسول».

هذا الصَّرح المُؤَامَر»[1] !!!.

* ثانيًا: موقفُهم من القرآنِ وتفسيره:

تبنَّى القرآنيُّون في تفاسيرهم أصولاً ثلاثةً، وهذه الأصول هي:

١ ـ حَسْبُنا كتابُ اللَّه، لكفايته في تلبية كلٍّ ما له صِلَةٌ بالحياةِ الإسلامية.

فعبداللَّه وأصحابُ «بلاغ القرآن» يردُّون كفاية القرآن وكمالَه بذِكرِ الأصول والجزئيَّاتِ[2].

وأما «برويز» وأستاذُه «الحافظ أسلم»، فإنهما يَرَيَانِ كمالَ القرآن بشُموله الأصولَ كلَّها، وذِكرِ جزئياتٍ يسيرةٍ[3]، وأما الجزئياتُ التي لم تَرِدْ في القرآنِ، فيتولَّى تقنينَها «مركز المِلَّة».

و«مركز المِلَّة» هي السُّلطةُ العليا عندَ القرآنيِّين في الحكومةِ الحاكمة بالقرآن وحدَه.

وأجمَعَ القرآنيُّون على أنَّ ما بين دَفَّتَيِ القرآنِ لا وجودَ فيه لآياتٍ منسوخة!!.

٢ ـ الأصلُ الثاني: الاعتمادُ الكُلِّيُّ على اللغةِ العربية في فَهمِ الكتابِ المجيدِ، ما لَم يُقصَدَ استنباطُ نظريةٍ مُعيَّنَة.

وبِناءً على هذا المَسْلَكِ اللُّغويِّ نَفَى أكثرُ القرآنيِّين جُلَّ الحقائقِ

---

(١) «مقام حديث» (ص٢٢).

(٢) «برهان الفرقان» (ص٢)، و«ترجمة القرآن» (١/ ١١) لعبداللَّه. وانظر مجلة «بلاغ القرآن» (ص٢٥) عدد فبراير ١٩٧٥م.

(٣) «تبويب القرآن» لبرويز (١/ ٤٤٦)، و«مقام حديث» للحافظ أسلم (ص١٤٢).

الشرعيَّةِ، المستفادةِ من الألفاظِ التي خَصَّها الشارعُ لشيءٍ معيَّن ـ كالصلاة والزكاة والطواف وما شاكل ذلك ـ، فقالوا في تفسيرهم للطواف: «ليس معنى الطوافِ أن ندورَ حولَ البيت، بل معناه أن نتردَّدَ إليه بين الحين والآخرِ، وهو المقصودُ من قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النور: ٥٨]»[1].

٣ ـ الأصل الثالث: الإلحادُ والتأويلُ وتحكيمُ العقل في بيانِ مرادِ اللَّه، بقطعِ النظرِ عن اللغة ومدلولاتها الظاهرة، لاستنباطِ نظرياتٍ معينةٍ اعتنقها القرآنيُّون وِفقَ أهوائِهم، ومِن هذه النظريات:

أ ـ نظرية مركز المِلَّة:

أولُ مَن تشدَّق بها «الحافظ أسلم»، ووَضَّح حدودَها ومعالِمَها تلميذُه «برويز». ويتلخَّصُ مَفهومُهم «لمركز المِلَّة» في النقاط الآتية:

١ ـ الآياتُ الواردةُ في طاعةِ اللَّه ورسوله، مفهومُها الآن طاعة «مركز المِلَّة».

٢ ـ «مركز المِلَّة» هو النظامُ الذي يَحكم بوفقِ القرآن.

٣ ـ مِن صلاحياتِ هذا المركز تعيينُ حُكمِ الشرعِ في الأحكامِ التي لم يَرِدْ ذِكرُها في القرآن، دونَ أن يلتزمَ بما سَبَقَته من الأنظمة.

٤ ـ من حقِّ مَن يَخلُفُ هذا النظامَ ألاَّ يوافِقَ النظامَ القرآنيَّ السابقَ في الأحكام التي عيَّنها وفقَ بصيرته.

---

(١) مجلة «بلاغ القرآن» عدد يناير ١٩٧٥م.

٥ ـ يتمتعُ هذ النظامُ القرآنيُّ بالتحريمِ والإطلاقِ والتقييد لِمَا يَرَاه غير مَوافقٍ لظروفِه من الأحكامِ القرآنية(١) .

* نظرية «نظام القرآن الاقتصادي»، أو «اشتراكية الأموال» :

◻ يقول «برويز» : «في ظِلِّ هذا النظامِ «نظام القرآن الاقتصادي» لا يجوزُ جَمعُ المادَّةِ ألبتَّة، وقد جاء الوعيدُ الشديدُ على مَن يجمعُها : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وفي النظامِ القرآنيِّ لا يمكنُ البقاءُ للأموالِ النافلةِ في أيدي أصحابها، ولا يَسَعُنا أن نتصوَّرَ المِلكيَّة الفَرديَّةَ تحتَ حُكمِ هذا النظام، بل تُعَمَّمُ الأرضُ والأموالُ والمصانعُ والتجارةُ للمِلكيَّة الجماعية، حتى يستطيعَ هذا النظامُ القيامَ بتلبية ما يَحتاجُ إليه أفرادُه»(٢) .

فالدجَّالُ «برويز» أتى بأفكارِ الاشتراكيين الاقتصادية، فكساها أثوابًا قرآنيةً حتى يتسنَّى له نشرُها بين المسلمين.

ونَفْيُ المِلكيَّةِ الفرديَّةِ مخالفٌ لصريح القرآنِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، ولا يقولُ به إلاَّ كذَّابٌ مفترٍ.

فأين هو من قولِ اللَّه تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]؟. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

(١) «القرآنيون» (ص٢٨٠، ٢٨١).

(٢) «قراني قوانين» لبرويز (ص١٥٧، ١٥٩).

وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٢]؟.

* آراءُ القرآنيّين الاعتقادية:

١ ـ الشِّركُ باللَّه:

يَذهبُ «عبداللَّه» و«الخواجة أحمد» إلىٰ أنَّ العملَ بالسُّنَّةِ والنُّزولَ عند أحكامِ النبيِّ ﷺ الواردةِ في الأحاديث شِركٌ، وأنَّ الامتثال لتلك الأحكامِ طريقةٌ من طُرُقِ إحياءِ الشِّركِ وتصحيحِ المعتقَدَاتِ الشركيَّة(١).

ويرَىٰ «برويز» أنَّ اتِّباعَ أحكامِ غيرِاللَّه «يعني النبيَّ ﷺ» شِركٌ، وأنَّ افتراقَ المسلمين إلىٰ العديد من الفِرَقِ والطوائفِ المتناحِرةِ شِركٌ(٢).

٢ ـ العرش واستواء الرحمن عليه:

ذهب «عبدُاللَّه» و«برويز» إلىٰ أنَّ المقصودَ بعَرشِ الرحمن: «السُّلْطةُ والمُلْك» وليس عَرشًا حقيقيًّا، والمقصودُ باستوائه علىٰ العرش مِلْكُ جميعِ نُظُمِ الكائنات، وأنَّ له السُّلطةَ المتفرِّدةَ عليها(٣).

٣ ـ النُّبُـوَّات:

أ ـ المعجزاتُ وخَرقُ العادة علىٰ يد نبيِّنا ﷺ:

أجمع القرآنيُّون علىٰ إنكارِ وُقوعِها من محمدٍ ﷺ ما عدا معجزةَ القرآن.

---

(١) انظر «ترك افتراء تعامل» (ص١٠) لعبداللَّه، و«تفسير بيان» للخواجة أحمد (٢/ ٣٩٥، ٤٤٥).

(٢) انظر «تبويب القرآن» (٢/ ٨٩٣) لبرويز، و«منزل به منزل» لبرويز (ص٢٤).

(٣) انظر «برهان الفرقان» لعبداللَّه (ص٢٦٢) و«تبويب القرآن» لبرويز (٣/ ١٠٣٢).

أما المسلمون، فلم يختلفوا في صدورِ خوارقِ العاداتِ من النبي ﷺ، وقد أوصلَها بعضُهم إلىٰ ما يَزيدُ علىٰ ألفِ خارقٍ[١].

◘ قال «الحافظ أسلم»: «لم يُعْطَ النبيُّ ﷺ معجزةً سوىٰ القرآن، بينما الأحاديثُ ذكَرَت له معجزاتٍ حِسيّةً كثيرةً»[٢].

◘ وموقفُهم من «خَرْق العادة» قبلَ عهدِ النبوة علىٰ قولَين:

١ ـ فريق يعترفُ بخوارقِ العاداتِ السابقةِ المذكورة في القرآن للأنبياء والصالحين.. وعلىٰ رأس هؤلاء «عبداللَّه» مؤسِّسُ الحركة القرآنية و«الحافظ أسلم».

٢ ـ والفريقُ الآخَرُ مَنَعَ الخوارقَ بالكليَّةِ، وحَمَل الواردَ منها في القرآنِ علىٰ المعاني المجازيَّة. وهذا مسلك «برويز» و«الخواجة أحمد».

ب ـ قالوا عن ولادة المسيح عيسىٰ بن مريمَ: «إنه وُلِد من أبوينْ شَرْعِيَّيْنِ، لا مِن مَريمَ وحدَها»!! وهذا قولُ «الخواجة أحمد» و«برويز» وأصحاب «بلاغ القرآن».

◘ أما عن عَودةِ المسيح قبلَ يومِ القيامة، فَهُمْ فريقان:

١ ـ فريقٌ يَرىٰ عَدَمَ عودتِه إلىٰ الأرض مرةً أخرىٰ.. وهذا قولُ «الخواجة أحمد» و«مقبول أحمد» والحافظ «محب الحق» وأصحاب «بلاغ القرآن» و«برويز».. وصرَّح «الخواجة وبرويز» بوفاته ـ عليه السلام ـ في كُهولته[٣].

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» (١/ ١٤٠) لابن تيمية.

(٢) «تعليمات قرآن» (ص ١٥٠)، و«نكات قرآن» (١٦٨) للحافظ أسلم.

(٣) «تفسير بيان للناس» (٢/ ٩٣١).

وأما «الحافظ أسلم» و«عبداللَّه»، فيرَون أن عيسىٰ ـ عليه السلام ـ حيٌّ علىٰ هذه الأرض، وأنه سيظهرُ مرةً أخرىٰ قبل يوم القيامة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]ولقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩].

◻ وذهب الكذَّابُ الأشِرُ «مقبول أحمد» في «ختْم النبوة»: «أنَّ الرسل جاءت تترىٰ لهداية الخَلْق أجمعين، وأنها ستستمرُّ في المجيءِ ما دام للجهلِ والظلماتِ بقاءٌ علىٰ هذه الأرض».

٤ ـ موقفُهم من الحياةِ البرزخيَّة:

اتَّفق القرآنيُّون جميعًا علىٰ إنكارها.

◻ قال «الحافظ أسلم»: «عالَمُ البَرزخِ عالَمٌ مَوَاتٌ، لا حياةَ فيه ولا إدراك بأيٍّ شكلٍ من أشكاله»[1].

◻ ويقول «برويز»: «القبرُ لا حقيقةَ له بُروحِ القرآنِ الكريم، لأنه مَدفنُ جِسمٍ ميِّتٍ يَقِي الجوَّ الخارجيَّ من عُفونتِه ما لَوْ بَقِيَ ذلك الجِسمُ علىٰ ظَهرِ الأرض بارزًا، لا أنه موضعُ سؤالٍ وعذاب»[2].

٥ ـ موقفُهم من الشَّفاعة يوم القيامة:

◻ أجمعَ القرآنيُّون علىٰ نَفيِها ألبتَّة.. يقول «عبداللَّه» مؤسِّس الفرقة: «مسألةُ الشفاعةِ عمومًا، ومِن الرسلِ خصوصًا، جَعَلَتِ الناسَ تقولُ: «لن

---

(١) «نكات القرآن» للحافظ أسلم (ص٤٣)، «تعليمات قرآن» (ص١٩٠)، و«نكات قرآن» (ص١٥٧) للحافظ أسلم.

(٢) «تبويب القرآن» لبرويز (٣/ ١٣٠٤).

ندخلَ النارَ إلاَّ أيامًا معدودة، وستَخرجُ منها»، فعامَّةُ الناسِ كالأنعام لا تَعِي ما تقول، بل المعتَقَدُ بِرمَّتِه ورَد من أهلِ الحديث، وهو افتراءٌ منهم على هذه الشخصيَّاتِ المباركة.

ويُقال: الشفاعةُ نوعان: صُغرىٰ وكُبرىٰ، والأخيرةُ هي ما تكونُ للخَلاص من مَيدان الحَشْر، وإنَّا نُنكرُ هذه الشفاعة، وإنَّا لها خُصُوم؛ لأنها افتراءٌ وبُهتانٌ على النبي ﷺ، وهو بَريءٌ من مِثل هذه المُنكراتِ الشَّنعاء».

والأولىٰ نوعان:

أ ـ نجاةُ بعض المؤمنين مِن دخولِ جَهنَّمَ ممَّن يَستحقُّها.

ب ـ أو تخفيفُ العذابِ عنهم، وهذه التُّهمةُ أيضًا تبرَّأَ القرآنُ منها؛ لأنَّ الاستشفاعَ عَمَلٌ مخالِفٌ للعقلِ والنقل، بل هو ظُلمٌ في حدِّ ذاتِه، إذ لا يُتصوَّرُ وقوعُ مثلِه في محاكم الدنيا العادلة، فما بالُك في الآخرة؟!، فلو شَفَع عاقلٌ لمجرمٍ وأُفرج عنه، لَمَا حُمِدَت عقباه»[1].

٦ ـ موقفُهم من الجنَّة والنار:

القرآنيُّون بإزائهما فِرقٌ ثلاث:

أ ـ ذهب «عبداللَّه» ومَن نحا نحوه ـ إلىٰ «أنَّ الجنَّةَ والنارَ أمكنةٌ حقيقيةٌ ستُخلَقُ يومَ القيامة، وأنه لا وجودَ لهما في الآونةِ المعاصرة؛ لأنَّ وجودَهما الآنَ يخلو عن الحِكمةِ والمصلحةِ، وأفعالُ اللَّهِ لا تَعْرَىٰ عنهما ألبتَّة»[2].

---

(١) «ترجمة القرآن» للجكرالوي (٣/ ١٢٥، ١٢٦)، و«تبويب القرآن» لبرويز (٣/ ١٠٢٢، ٢/ ٨٨٦)، و«تفسير بيان للناس» (٢/ ٤٩٤، ٣١٣، ٧٢٠، ٧٢٣، ٨٤٣).

(٢) «ترجمة القرآن» (٤/ ٣٢).

ب ـ وأما «الحافظ أسلم» و«مقبول أحمد» ـ ومَن تَبِعَها ـ، فيرَوَن أنَّ «الجنةَ والنارَ وما وُصِفتا به مِن نعيمٍ وعذابٍ صُورتانِ تمثيليَّتان، حَسبما كانت تَعرفُه وتُحِسُّ به البشريةُ عَصْرَ نزولِ القرآن، وقد اختلفَ الحسُّ البشريُّ في النعيم والعذابِ في الآونةِ المعاصِرة، فلذا ينبغي وَضعُ تعريفاتٍ جديدةٍ للجنَّةِ والنار، فلا يَلزمُ مِنِ احتراقِ النار احتراقٌ حِسِّيٌّ للجسم، بل المرادُ المشقَّةُ والكربُ التي تجعلُ الإنسانَ يُحِسُّ بالاحتراقِ داخلَ نفسِه»[1].

جـ ـ أمَّا «برويز» والخواجة «أحمد الدين» و«جعفر شاه بلواري»[2] ومن نحا نحوهم، فيَرَوْن أنَّ الجنَّةَ والنارَ طَوْرٌ من أطوار الحياةِ البشرية، وأنَّ نُموَّ الحياةِ وإزدهارَها يعني حياةَ الجنَّة، وتوقُّفَها وعدمَ الرُّقِيِّ فيها يعني الجحيمَ والنارَ، كما أنَّ الجنَّةَ والنارَ ليستا الحَلْقَةَ الأخيرةَ من حياةِ البشر، ولا من الأشياءِ التي لا نَجِدُها إلاَّ بعد الموت، بل الحياةُ أمرٌ أبديٌّ، والرُّقِيُّ مِن منزلةٍ إلى أخرى قائمٌ فيها على قَدَمٍ وساق، وسيَبقى إلى الأبد، فالجنةُ والنارُ تعبيراتُ لكيفيَّاتِ الحياةِ، لا أنهما أسماءُ أمكِنةٍ خاصةٍ»[3].

هذه معتقدات الدجَّالين الكذَّابين.

* **آراءُ القرآنيِّين التشريعية[4]:**

ممَّا يُلفِتُ النَّظَرَ أنَّ آراءَ هؤلاءِ في التشريع كثيرةٌ جدًّا، وسوف نَعرِضُ

---

(١) «تعليمات قرآن» للحافظ أسلم (ص٢١٢، ٢٢٥).

(٢) أحد زعماء «طلوع إسلام»، وأحد المكثرين في الكتابة في الآونة المعاصرة عن آراء القرآنيين.

(٣) «تبويب القرآن» لبرويز (٢/ ٢٥٥، ٥٥٧)، ومجلة «طلوع إسلام» (ص٢٤) عدد أكتوبر ١٩٥١م.

(٤) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٣٦٥ـ٤٤٠).

فيما يلي نماذج مختصرةً من آرائهم في العبادات والمعاملات:

أ ـ ففي العبادات: خَرَجت بعضُ فِرَقهم على أركان الصلاةِ عند المسلمين، وتوصَّلوا إلى شُذوذاتٍ عجيبةٍ قد تُخرِجُهم من المِلَّةَ ـ والعياذ باللَّه ـ:

ففي الصلاة: لهم اختلافاتٌ في كيفيَّتها ـ حَسْبَ طوائِفهم ـ، من ذلك وَصفُها كما وردت في كتاب «صلاةُ القرآن كما عَلَّم الرحمن» لمحمد رمضان ـ أحد دعاتهم ـ، وقد سَمَّوها: «صلاةَ أهلِ الذِّكر والقرآن»، وتتلَّخصُ في:

١ ـ أن المفروضَ من الصلواتِ ثلاثٌ، وأنَّ أداءَ العصرِ والمغربِ هو اتِّباعٌ لهوىٰ النفس.

٢ ـ ولكلِّ صلاةٍ ركعتان، وما زاد علىٰ ذلك فهو تعيينٌ من الناس لا مِن ربِّ الناس.

٣ ـ تكبيرةُ الإحرام هي: «إنَّ اللَّه كان عليًّا كبيراً».

٤ ـ الرفعُ من الركوع مُخالِفٌ لتعليم القرآن، فيَجبُ أن يَخرَّ المُصلِّي منَ الركوعِ إلىٰ السجود مباشرةً، دونَ الرفع منه.

٥ ـ لكلِّ ركعةٍ سَجدةٌ واحدةٌ لا غير.

٦ ـ حين الانتهاء من أذكارِ السجود تنتهي الصلاة[1].

ومِن الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ هذه الصلاة تُطبَّقُ حتىٰ الآنِ عند أصحاب «مجلة بلاغ القرآن» جُملةً وتفصيلاً.

---

(١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٣٦٥ـ ٤٤٠).

◘ ويقول المؤلِّف «خادم حسين إلهي بخش»: «وقد شَهدتُ لهم صلاةً بمركزِهم في «لاهور» حيث تُطبَّقُ صلاتُهم، وكان الإمامُ يقرأ القرآنَ من آياتٍ حدَّدها لهم «محمد رمضان»، وهي (٢٥) آيةً من مختلِف سور القرآن»[١].

وترىٰ طوائفُ أخرىٰ أنَّ هنالك وقتَين للصلاة: الفجر والعشاء، وما عدا ذلك، فلا يجوزُ القيامُ به، ولا يَرىٰ إمامُ هذه الطائفة ـ وهو «الخواجة أحمد الدين» استقبالَ القِبلةِ في الصلاة، بل تَجُوزُ الصلاةُ عنده إلىٰ الشرقِ والغرب!!.

ولا شك أنَّ هذا الانحرافَ قد جاء نتيجةً طبيعيةً لإنكارِ السُّنة، وعدمِ الاعتراف بها في شرعِ اللَّه[٢].

ومِن شذوذات القرآنيين: أن بعضَهم لا يُجيزُ المَسحَ علىٰ الخُفَّينِ، لأنَّ القرآن أَمَر بمَسح القَدَمين، ويَرَون أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَسحِ باطلةٌ لا أساسَ لها منَ الصِّحَّة، ولا يَرَون أنَّ للصلاة أذانًا، لأنَّ القرآنَ لم يأمرْ به، فالمُنبِّهُ الحقيقيُّ عندهم «للصلاة» هو دخولُ الوقتِ ـ وليس الأذانَ ـ.

ولا يَرَون تفضيلَ بُقعةٍ علىٰ أخرىٰ في الصلاة، ولذلك فهم يُكذِّبون ما ورد عن المعصومِ ﷺ في المساجدِ الثلاثة وفضلها.. أمَّا صلاةُ التراويح، فيرىٰ بعضُهم أنها بدعةٌ وضلالةٌ مُفضيةٌ إلىٰ النار[٣].

---

(١) «القرآنيون» (ص٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص٣٧٣، ٣٧٨).

(٣) هذه الآراء منسوبة إلىٰ طائفة عبداللَّه جكرالوي.. انظر «القرآنيون (ص٣٦٧) وما بعدها.

وفي الزكاة: نُلخِّصُ آراءَ فِرَقِهم بما يأتي[١] :

أ ـ يجبُ إعطاءُ نِصفِ الخُمسِ للزكاة، سواءٌ كانت كَسْبًا من عَمَلِ يدٍ، أم مِمَّا أَنتَجَتْه أرضٌ زراعية.

ب ـ ثم تحدَّثوا عن المِقدارِ الذي يجبُ إعطاؤُه للزكاة، دونَ أن يكونَ لها نِصابٌ مُقدَّرٌ في المالِ الذي تَجبُ فيه الزكاة، فقالوا: «على المسلمين أن يَجتمعوا لصلاةِ الصبحِ في مسجدِ حَيِّهم كلَّ يوم، عند فُقدانِ الحكومةِ الإسلامية، ويُقدِّموا إلى أميرِهم عُشْرَ ما اكتَسَبوه في اليومِ السابقِ زكاةً مفروضة، لِيَضُمَّه الأميرُ إلى خِزانةِ بيت المال، ولِيصرفَ الأميرُ منه على تبليغ القرآن وعلى الأفرادِ التُّعَساء»[٢] .

جـ ـ ويَرى آخرون رأيًا آخرَ في وقتِ وجوبِ الزكاة، فقالوا: «صاحبُ الأجرِ يجبُ أخذُ الزكاةِ منه يومَ تَسلُّمِ أَجْرِه.. وأنه لا داعيَ للانتظار سنةً كاملةً، ولا جَدوى منه»[٣] .

أما الصوم[٤] : فقد وافَقَ أعيانُ الحركةِ القرآنيةِ المسلمينَ على صيامِ الشهر القَمَريِّ، لأنَّ القرآنَ صَرَّح بصيامه، ولم يَشُذَّ عنهم إلاَّ الخواجة «أحمد الدين»، والسيد «محمد رفيع الدين».

- حيث يرى الأولُ: «أن المطلوبَ هو صيامُ شهرَينِ من أشهُرِ السَّنة، دونَ التقيُّدِ برمضان.. وللمسلمِ أن يتقدَّمَ أو يتأخَّرَ في صيامِ الشهرِ حَسْبَ حاجتِه».

---

(١) ينظر «القرآنيون» (ص٣٨٣ـ٣٩٥) خادم حسين إلهي بخش.

(٢) هذا الرأي ينسب لعبدالله جكرالوي و«أصحاب بلاغ القرآن».

(٣) هذا رأي الخواجة أحمد الدين وأتباعه.

(٤) ينظر «القرآنيون» (ص٣٩٦ـ٣٩٧).

◘ ويَرىٰ الثاني: «أنه يجبُ صيامُ ثلاثينَ يومًا، بالشهر الشَّمسيِّ، لأنه لا يَختلفُ من سَنَةٍ إلىٰ أخرىٰ».

وقد انضمَّ إلىٰ قائمةِ الشذوذ كلٌّ من السيد «مقبول أحمد» والخواجة «عباد اللَّه أختر» إذ يَرَيانِ: أن الصيامَ المفروضَ علىٰ المسلمينَ وِفْقَ رُوحِ القرآن يَبدأُ بالحادي والعشرينَ من رمضان، وينتهي بصباحِ يومِ العيد، لقوله تعالىٰ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾، فالأيامُ جَمعُ «يوم»، وهي إحدىٰ صِيَغِ جَمعِ القِلَّة، يبدأ إطلاقُها من ثلاثٍ إلىٰ تِسعٍ.

ب ـ وفي المعاملات: خالَفَ القرآنيون كذلك ما أجمَعَ عليه المسلمون في كثيرٍ من القضايا.

ففي الحدود[1]: أنكروا حَدَّ الرَّجمِ للزاني المُحصَن، لأنه لم يَرِدْ في القرآن، وعقوبةُ الزِّنا ـ برأيهم ـ في جميعِ صُورَه مئةُ جَلْدةٍ لا غير، والشهودُ لا يَثبُتُ بهم الزِّنا عند بعضِ دعاتهم.

وأنكروا حَدَّ الخمر بتاتًا، لأنه لم يُذكَرْ في القرآن، وقد سبَقَهم إلىٰ ذلك أحدُ رؤساءِ الخوارج «نَجْدَةُ بنُ عامرٍ الحَنَفي»، فقد أسقط حَدَّ الخمرِ عن أصحابه لِعَدَمِ ذِكرِه في القرآن، وكذلك فَعَلَ المعتزلة، إذا اعتَبَروا أنَّ إجماعَ الصحابةِ علىٰ حدِّ شاربِ الخمرِ كان خطأً[2].

وفي حدِّ السرقة: كان يَرىٰ أحدُ دعاتهم «برويز» أنه ليس المرادُ من قطعِ اليدِ بَتْرُها، بل معاقبةُ المجرمِ بما يَمنعُه من ارتكابِ هذا الجُرْم، ويقولُ

---

(١) ينظر «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» (ص٤٠٢ ـ ٤١٧).

(٢) ينظر «الفرق بين الفرق» (ص٨٩).

أصحاب «بلاغ القرآن»: «إنَّ المقصودَ بقوله عز وجلَّ ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]، هو بترُ تلك القوىٰ التي أَجْبَرَتْه علىٰ السرقة، وبمعنًىٰ آخرَ هو تنبيهُ الحُكَّامِ لسَدِّ حاجاتِ المجتمعِ المسلم»، مع أنَّ النصوصَ واضحةٌ في الكتابِ والسُّنةِ علىٰ قَطْعِ يَدِ السارق، أي بَتْرِها من مِفْصَلِ الكَفِّ.

أما حَدُّ الرِّدَّة: فقد شَذَّ «برويزُ» بتصريحِ إنكارِ عقوبةِ المرتد، إذ يَعتبرُ أنَّ الإنسانَ لا يُجبَرُ علىٰ الإيمانِ أو الكفر، وللإنسانِ أن يَختارَ من الأديانِ ما يراه مناسبًا معقولاً.. وما جاء في قَتلِ المرتدِّ، إنما هو حُكمُ الرواياتِ التي تُخالِفُ منهجَ القرآن.

وفي تعدُّد الزوجات[1]: قد أباح الإسلامُ تعدُّدَ الزوجاتِ، ووَضَع له قَيْدَ «العَدْل»، إلاَّ أنَّ بعضَ القرآنيين لا يَرىٰ التعدُّدَ مطلقًا، وتطاولوا ـ كالعادة ـ علىٰ الشرع الحنيف.

◻ يقول «عبدالله جكرالوي»: «إنَّ ما نُسب من التعدُّدِ إلىٰ الأنبياء كَذِبٌ وافتراءٌ علىٰ أولئك الأطهار.. وما يُسنَدُ من ذلك إلىٰ النبيِّ ﷺ، فهو بُهتانٌ عليه أيضًا، لأنه أولُ المخاطَبينَ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٩]».

ويرَىٰ «برويز» ـ ومن تَبِعه ـ أنَّ التعدُّدَ لا يُباحُ إلاَّ إذا ازداد عددُ اليتامىٰ النساء، سواءٌ كنَّ أراملَ، أو غيرَ متزوِّجاتٍ.

وفي الميراث[2]: خالَفوا إجماعَ أئمةِ المسلمين، فيقول الخواجة

(١، ٢) «القرآنيون» (ص٤١٩ ـ ٤٣٠).

«أحمد الدين»: «إنَّ اختلافَ الدينِ بين الوارثِ والموروثِ لا يَمنعُ من الميراث».

◻ ويقول «الحافظ أسلم»: «إنَّ اسم الولدِ يُطلَقُ على الذَّكَرِ والأنثىٰ، ولا فَرْقَ بين الابنِ والبنتِ وولدِ الابنِ وولدِ البنتِ في الميراث».

وقد جاء في الحديث الشريف أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يَرِثُ المُسلمُ الكافرَ، ولا يَرِثُ الكافرُ المسلمَ**»[1].

والحديثُ عامٌّ يَشملُ الزوجةَ وغيرَها، ولذا أجمَعَ العلماءُ على عدمِ إرْثِ الكافرِ من المسلم.

ولكنَّها التَّبَعيَّةُ للأمم الضالَّةِ من اليهود والنصارىٰ، هي التي أخرجت هؤلاءِ عن حُدودِ النصوصِ القَطعيَّةِ من الكتاب والسُّنَّة، وأَرْدَتْهم في هُوَّةِ الضلال.

وهكذا، فإنَّ الحَرْبَ المُعلَنَةَ على السُّنَّةِ النبويَّةِ في شِبْهِ القارَّة الهندية، وتأليهَ العقلِ، وتقديمَه على النصوص الشرعية، مع اتباعِ الهوىٰ، والهزيمةِ أمامَ تيَّارِ الحضارةِ الغربية، كلُّ ذلك ساهم في حَلَقاتِ الانحراف، لِتستلِمَه أجيالٌ لاحقه، تدعو إلى إكمالِ المِشوارِ باسم «التجديد والتطوير»، لِفَصلِ الدينِ عن الحياةِ العامَّة.

◻ «وقد كان للحركةِ القاديانيةِ وأفكارِ القرآنيين وحركةِ السيد «أحمد خان» تأثيرٌ في الحياةِ العامَّةِ عند المسلمين.

فَبعدَ استقلالِ باكستان، استَولىٰ على مراكزِها الحساسةِ كثيرٌ من

---

(١) رواه «البخاري» (٨/ ١١)، و«مسلم» (٥/ ٥٩).

القاديانيين وأصحابِ الأفكارِ القرآنية، وفي عام ١٩٥٨م عُقد مؤتمرٌ عالميٌّ تحتَ إشرافِ الدولةِ لقادةِ الفكرِ الإسلاميين، ولإعطائِهم الجُرْعَاتِ الأَوَّلِيَّةَ للدعوة إلى الأفكارِ القرآنية، غيرَ أن علماءَ الشامِ ومصرَ والمغرب، صاحوا في وجه «برويز» مُعلِنِين تكفيرَ تلك الأفكار.

وعلى إِثْرِ إخفاقِ هذا المؤتمر، عُقد مؤتمرٌ آخَرُ أقامته إحدى الشركاتِ الأمريكية، غيرَ أنَّ مصيرَه لم يَختلفْ عن مصيرِ صاحبه، ثم كَثَّفَ العلماءُ جُهودَهم لمقاومةِ هذه الحركاتِ في الأوساط الشعبية، وقد أثمرت هذه الجهودُ آنَذَاك ـ والحمدُ للَّه ـ.

والغريبُ أن كثيراً من علماءِ باكستان حينما يتحدَّثون عن هذه الحركات، لا يَذكُرون عنها سوى أنها تُنكرُ السُّنة، أمَّا ما يترتَّبُ على هذا الإنكارِ من نتائجَ، فقلَّما يَذكُرون عنها شيئًا»[1] .

منكرو السُّنَّة كلِّيًّا منَ العَرَب

*** الطبيب محمد توفيق صدقي وموقفُه من السُّنَّة ١٢٩٨م ـ ١٣٣٨هـ:**

□ أولُ مَن نَشَر شُبهاتِهِ حولَ السُّنَّةَ ـ عن حُسن نيَّةٍ ـ مجلة «المنار» في عَدَدَيْها التاسع والثاني عَشَرَ من السَّنةِ التاسعة عام ١٩٠٦م ـ١٣٢٤هـ، فكَتَب السيد رشيد رضا وهو يُترجِمُ لطبيبِ عائلته «محمد توفيق صدقي»: «أكبرُ شُذوذٍ وقع للمترجَم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وحاولَ إثباتَه والدفاعَ عنه: هو ما عَرَض له منَ الشُّبهةِ على كَونِ السُّنةِ ليست من أصولِ الدين. . ولَمَّا

---

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي (ص٤٦٠)، و«القرآنيون» (ص٦٥، ٦٦).

عَرَض له ذلك، واقتَنَع به هو وصديقُه الطبيب «عبده إبراهيم» ـ عفا اللَّه عنهما ـ، جاءاني ـ كعادتهما ـ، وعَرَضاه عليَّ. . وإنني كنتُ أعلمُ أنَّ هذا الرأيَ عَرَض لغيرِه من الباحثين المستقلِّين، وأنه رأيٌ منتشرٌ في كثيرٍ من الأمصار التي يَسكُنُها المسلمون، وأعلمُ أيضًا أن كثيراً من المَباحِثِ الكبيرة التي تختلفُ فيها الأنظار، لا تتمحَّصُ إلاَّ بالكتابةِ والمناظرة، ولهذين السببينِ، ولتوفيرِ الوقتِ عليَّ في تمحيصِ المسألةِ لصاحب الترجمة وصديقِه، اقتَرَحتُ عليه أن يكتبَ رأيَه ليُنشرَ في «المنار». . »[1] .

إذن ما كَتَبه الطبيب «توفيق صدقي» في المقالَين تحت عنوان «الإسلام هو القرآن وحده»، إنما هو إنتاجُ طبيبَينِ ـ أحدُهما مسلمٌ ولِدَ من أبَوَينِ مُسلِمَين، والآخرُ قِبطيٌّ أسلَمَ على يدِ السيد «رشيد» خُفيةً، ولم يُعلِنْ إسلامَه إلاَّ بعدَ سنتَينِ[2] ـ، وبإيماءِ السيد «رشيد رضا» رَغْمَ تذييلِ المقالَينِ بإمضاء «توفيق» وحده، واستَغرقتِ المناقشةُ أربعةَ أعوامٍ في بِضعةَ عَشَرَ عددًا من «المنار»، وتصدَّىٰ للردِّ على الطبيبين «أحمد منصور الباز»[3] ، والشيخ «طه البشري» نَجْلُ الشيخ «سليم البشري» شيخ الجامع الأزهر. . فكتب تحت عناوينَ متعددةٍ ـ منها: «الدينُ كلُّ ما جاء به الرسول»[4] ـ و«أصولُ الإسلام: الكتابُ، السُّنَّةُ، الإجماعُ، القياسُ»[5] على الترتيب ـ،

---

(١) مجلة «المنار» (٢١/ ٤٩٢).

(٢) مجلة «المنار» (٢١/ ٤٨٨).

(٣) «مقالة منصور في المنار» (٩/ ٦١٠).

(٤) مجلة «المنار» (٩/ ٦١٠).

(٥) مقالة الشيخ طه البشري هذه في «المنار» (٩/ ٦٩٩).

ثم أعقبَهما الردُّ المفصَّلُ من الهند، حين كَتَب الشيخ «صالح اليافعي الحيدر آبادي الدكَّنِي» للمنار تحت عنوان «السُّنن والأحاديث النبوية»(١).

◻ قال الطبيبان: إن اتباع السُّنَّة تقليد لأحد أفراد البشر، وذلك ممنوع شرعًا «وَلِعَ الناسُ في الأعصرِ الأولى بالروايات القَوليَّةِ وُلوعًا، وتفاخَروا بكثرةِ جَمعِها جُموعًا، حتى ملأت الأحاديثُ الآفاقَ، وكثُر فيها التضاربُ والاختلافُ، وصار من المستحيل أن يَعملَ الإنسانُ بدينِه بدون أنْ يُقلِّدَ غيره»(٢).

الجهلُ آفةٌ، والعِلمُ طريقُ النجاة، فعندما تَوَغَّلَ أمثالُ هؤلاءِ في بُستانٍ لا يُفرِّقون بينَ ثِمارِ أشجاره، حَسِبوا الحَبْحَبَ كالحَنْظَل لتوافقهما في اللون، وسَوَّوْا بين أشواكِ الغَرْقَدِ وأشواكِ الورد، وشتَّانَ بين الشوكَينِ والثَّمرَتَينِ، فالاتِّباعُ ناتجٌ عن تحقُّقِ العبوديةِ للَّه عزَّ وجلَّ، والخضوعِ لأمره.. واتباعُ أمرِ الرسولِ أمرٌ منطقيٌّ ممَّن أقرَّ بالألوهية، بينما التقليدُ أَخْذُ قولِ العالِمِ دونَ معرفةِ دليله، والفَرقُ واضحٌ بين الوضعَينِ، فالأولُ مطلوبٌ شرعًا، دونَ الثاني، ولا يَقبلُ اللَّهُ صرفًا ولا عَدْلاً حتى يَتَّبِعَ المَرءُ طريقةَ المصطفى ﷺ فيما شرَعه اللَّه.

ولم يكن للطبيبَينِ مَنْدُوحةٌ ـ بعد إنكارِ السُّنةِ ـ أنْ يُقدِّما صورةً مُضحِكةً للإسلام، وأولُ ما جابَهَتْهما «الصلاةُ»، وإليك استنباطُها من القرآن في ضَوءِ قَوْلَةِ المُنكِرين:

◻ يقول الطبيب «صدقي» ـ بعد أن أورد آية صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا

---

(١) مجلة «المنار» (٢١/ ٤٩٣).

(٢) مجلة «المنار» (٩/ ٥١٦).

ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ..﴾ [النساء: ١٠١] ـ: «فإذا كانت صلاةُ الخوفِ ركعةً واحدةً للمؤتَمِّ، وظاهرٌ من السِّياقِ أنَّ هذا قَصْرٌ ـ أي دونَ الواجب ـ، فيكونُ الفَرْضُ في أوقاتِ عدمِ الخوف هو أكثرَ من ركعة، أي: أن القرآنَ يَفرِضُ على المسلمِ أنْ يُصلِّيَ في كلِّ وقتٍ من أوقاتِ الصلاة أكثَرَ من ركعة، ولَم يُحدِّدْ له عدداً مخصوصاً، وتَرَكَه يتصرَّفُ كما يشاء، وبعبارةٍ أخرى: إن الإنسانَ يَجبُ عليه أن يُصلِّيَ ركعتَينِ على الأقلِّ، وله أن يَزيدَ على ذلك ما شاء أن يَزيد، بحيث لا يَخرجُ عن الاعتدالِ والقصد، فإنَّ الغُلوَّ في الدين مذموم، وكذا في كلِّ شيء»[1].

□ «لذا، فإننا إذا نَظَرْنا إلى عددِ الركعاتِ التي كان يُصلِّيها النبيُّ في أوقاتِ الصلاة ـ مع قَطْعِ النظرِ عما سَمَّاه المجتهدون سُنَّةً وما سَمَّوه فَرضاً ـ، نَجِدُ أنه لم يُحافِظْ على عددٍ مخصوص، فكان تارةً يَزيدُ، وتارةً يَنقُص، ولذلك اختَلفت المذاهبُ في عددِ السنن، وفي المندوب، والمستحب، والرغيبة، إلى غير ذلك من التقسيمات والأسماء التي ما كان يَعرفُها الرسولُ نفسُه، ولا أصحابه».

□ «ثم إنَّ عددَ الركعاتِ التي كان يُصلِّيها في الأوقاتِ المختلفةِ من اليوم هو مُختلِفٌ أيضاً، فصلاةُ الصبحِ مثلاً أربعُ ركعات، والظُّهرُ عَشْرُ رَكعاتٍ أو اثنتا عَشْرَةَ ركعةً، ولكنَّ الشيءَ المُطَّرِدَ الذي نلاحِظُه أنه ما صلَّى وقتاً أقلَّ مِن ركعتين، ولا تَقيَّدَ بعددٍ مخصوص، وهذا يؤيِّدُ ما ذَهَبْنا إليه»[2].

---

(١) «المنار» (٩/ ٥١٨).

(٢) «المنار» (٩/ ٥١٩).

◻ وقَدَّم الطبيبانِ صورةَ «الزكاة» مِن أن الذي «يكادُ يَجزِمُ به العقلُ أنه قِيمةَ النِّصابِ مِن كلِّ صِنفٍ لابدَّ أنها كانت عند العرب متساويةً، أي أَنَّ مَن كان عنده منهم ٢٠ دينارًا كمَن كان عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جِمال أو ٤٠ شاة، ولذلك تؤخَذُ شاةٌ واحدةٌ ممن عنده أربعونَ شاةً، وكذا مَن عنده ٥ جِمال، ولو لم يكنْ جَميعُ هذه المقاديرِ متساويةً لكان هناك ظُلمٌ لبعضِ الناس دونَ الآخَرِين».

◻ «ومن ذلك نعلمُ أنَّ ما بيَّنَته السُّنةُ للعرب في ذلك الزمنِ لا يَصلحُ لجميعِ الأمم في الأوقاتِ المختلفة، ولذلك لَم يَرِدْ شيءٌ من ذلك في القرآن مطلقًا.. وتُرِكَتْ مِثلُ هذه التفاصيلِ فيه لِتتصرَّفَ كلُّ أُمَّةٍ في الأمور بما يناسبُ حالَها، فيجبُ علىٰ أولياءِ الأمورِ بعد الشورىٰ ومراجعة نصوصِ الكتاب أن يَضَعُوا للأمةِ نِظامًا في هذه المسألة.. ثم إنَّ رُبعَ العُشرِ إذا قام بإصلاحِ حالِ الفقراء والمساكين وأبناءِ السبيل في زمنٍ أو بلد، فليس ضروريًّا أن يكونَ كافيًا كذلك في زَمَنٍ آخَرَ أو في بلدةٍ أخرىٰ، ومِن ذلك تعلمُ حِكمةَ اللَّهِ في عَدَمِ تعيينِ شيءٍ من ذلك في كتابه تعالىٰ»[1].

وللطبيبين في كلٍّ مِن حَدَّيِ «الرَّجْم» و«قتل المرتد» موقفٌ شبيهٌ بموقفِ الهنود، من أنَّ الرجمَ لم يَرِدْ في القرآن[2]، وأنَّ قَتْلَ المرتدِّ مخالفٌ للآياتِ القرآنية التي ضَمِنَتْ حُريةَ العقيدة والتدين[3]، وأنَّ إعدامَهما تعزيرًا أو محاربةً لا حَدًّا هو ما وقع في الأزمنةِ السالفة، وللإمام تطبيقُهما كعقوبتَينِ

(١) «المنار» (٩/ ٥٢١).

(٢) راجع رأيهما في «المنار» (٩/ ٥٢٣).

(٣) راجع رأيهما في «المنار» (٩/ ٥٢٣).

تعزيريتَّينِ ـ إنْ رأىٰ مصلحةً في ذلك ـ، وأنَّ القطعَ لا يجبُ لأولِ مرةٍ، بل يُعطىٰ السارقُ فرصةَ الإصلاح، فإنْ تابَ وأصلح، وإلاَّ قُطِعت يَدُه.

❑ هذا وقد رَجَع «محمد توفيق صدقي» عن بعض شذوذه، بعد مناقشة العلماء الكتابية، مما جَعَل صاحب «المنار» يَتنفَّسُ تنفُّسَ الصَّعَداء: «نحمدُ اللَّهَ أنْ ظَهَر صِدقُ قولِنا في الرجل وأنه مُعتقِدٌ، ويُذعِنُ لِمَا يَظهرُ له أنه الحق»[1] .

❑ مع أن الرجلَ كَتب في وثيقةِ الاعتراف بعد إبداءِ السيد «رشيد رضا» رأيَه في جزئياتٍ من المناقشة، فقال: «وأهمُّ ذلك في الحقيقة مسألةُ ركعاتِ الصلاة، وأرىٰ أنَّ ما كَتَبه صاحب «المنار» الفاضل في هذه المسألة كافٍ في الردِّ عَلَيَّ، فأنا أعترفُ بخطئي هذا علىٰ رؤوس الأشهاد، وأستغفرُ اللَّهَ تعالىٰ مما قلتُه أو كتبتُه، وأُصرِّحُ بأنَّ اعتقادي الذي ظَهَـر لي مِن هذا البحث ـ بعدَ طولِ التفكُّرِ والتدبُّر ـ هو أنَّ الإسلامَ هو القرآنُ، وما أجمَعَ عليه السلفُ والخَلَفُ من المسلمين عملاً واعتقاداً، إنه دين واجب.. وبعبارةٍ أخرىٰ أنَّ أَصْلَيِ الإسلامِ اللذينِ عليهما بُنِيَ هما «الكتاب والسنة النبوية» بمعناها عند السلف، أي طريقتُه ﷺ التي جرَىٰ عليها العملُ في الدين»، «ولا يَدخلُ في ذلك السُّنَنُ القَوليَّةُ غيرُ المُجمعِ علىٰ اتِّباعها، ولا ما كان ذا عَلاقةٍ شديدةٍ بالأحوالِ الدنيويةِ كبعضِ الحدود، ومقاديرِ زكاةِ المالِ والفطر، والأصنافِ التي تؤخَذُ منها، وغيرِ ذلك مما لم يُذكَرْ في الكتابِ العزيز، فأُبيحُ بعضَ التصرُّفِ في أمثالِ هذه المسائِل إذا وُجد عندنا مقتضٍ»[2] .

(١، ٢) «المنار» (١٠/ ١٤٠).

◻ ولا أدري كيف التوفيقُ بين مَدْح السيد «رشيد رضا»، لطبيب عائلته ثلاثةَ مرات، مرةً عند كتابةِ الرجل عن إنكارِ السُّنة[1]، ومرةً بعد اعترافه السابقِ المُبيحِ للتصرُّفِ في الحدود وغيرِها، وثالثةً عند التأبين، «فإني أعرفُه سليمَ العقيدة، مؤمنًا بالألوهيةِ والرسالة؛ علىٰ وفقِ ما عليه جماعةُ المسلمين، مؤدِّيًا للفريضة»[2]، وبين قوله: «إنَّ العقلَ لَيَعْسُرُ عليه أن يتصوَّرَ أن مؤمنًا مذعِنًا لدينِ اللَّه يَعتقدُ أنَّ كتابَه يَفرضُ عليه حُكمًا، ثم هو يُغيِّرُه باختياره، ويَستبدلُ به حُكمًا آخَرَ بإرادته، إعراضًا عنه، وتفضيلاً لغيره عليه ويُعتَدُّ مع ذلك بإيمانه وإسلامه»[3].

* **محمود أبو ريَّة عدوُّ السُّنَّة:**

لقد كان هذا الكَذَّابُ المُفترِي سبَّاقًا في جُرأتِه علىٰ النبيِّ الكريم ﷺ بما لم يتجرَّأ به أحدٌ.

◻ نَشَرَ مقالاتِه في مجلة «الرسالة» منذ إبرايل ١٩٥١م، ونُشرت أبحاثُه تحت عنوان «في الحديث النبوي»، ثم جُمعت في كتاب «أضواء علىٰ السُّنة المحمديَّة»، وردَّ عليه الشيخ «محمد عبدالرزَّاق حمزة» في كتاب «ظلمات أبي رِيَّة أمامَ أضواء السُّنَّةِ المحمدية».

◻ ثم رَدَّ عليه الشيخ «عبدالرحمن المُعَلِّمي» اليماني في كتابه «الأنوار الكاشفة لِمَا في كتابِ «أضواء علىٰ السنة» من الزلل والتضليل والمجازَفة»،

---

(١) «المنار» (٩/ ٥٢٤).

(٢) «المنار» (٢١/ ٤٩٢).

(٣) «المنار» (١٧/ ٢٦٣).

ثم سَوَّد كتابًا آخرَ فيه من الفُحشِ والفِسقِ والفُجورِ والطعنِ على أبي هريرة ﷺ ما يَعِفُّ اللسانُ عن نُطقه، ويأبى القلمُ أن يَخُطَّه على الورق، يتَّهِمُ فيه أبا هريرة بالكذب، هذا الدجَّالُ عدوُّ أبي هريرة لَمَّا مات اسودَّ وجهُه، وجَعل يقول: «ما لي ولأبي هريرة»؟!.

◘ هذا الذي ما أقرَّ بعدالةِ الصحابة ولم يُسَلِّم بهذا، وقال طعنًا في حُفَّاظِ الحديث وحَمَلَةِ سُنَّة النبيِّ ﷺ ساخرًا منهم: «ماذا تكونُ حالُ كثيرينَ منَ الذين يزعُمون اليومَ أنهم من المُحدِّثين ـ أولئك الذين يَتسلَّلون بين أشباههم منَ العامَّة ـ ومَبلَغُ علمِهم أنهم قرؤوا بعضَ كُتبِ الحديث، واستَظهروا عددًا مما فيها، يجترُّونه ليؤيِّدوا به باطلَ المعتقَدَات وسُوءَ العادات ويُروِّجوا به ما فَشَى بين الناس من الترَّهاتِ والخرافات، لكي يختلِسوا احترامَ الدَّهْماء وثِقتَهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالَهم.

على أنهم لو عَرَفوا قَدْرَ أنفُسِهم، وأن ما يحفظونه مما لا يَزيدُ أكثرُه عند أحفظهم على عَشَرَات من الأحاديث، وأن كتابًا من كُتبِ الحديث لا يَزيدُ ثَمَنُه عن بِضعةِ قروشٍ يُغني عنهم جميعًا! لو أنهم عرفوا ذلك كلَّه واستيقنوه لَقَبَعوا في جُحورهم، ولأراحوا الناسَ من نقيقهم.

ورَحِم اللَّه أستاذَنا الإمامَ «محمد عبده» ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال في رجلٍ وصفوه بأنه قد جَدَّ واجتَهَد حتى بَلَغ ما لم يَبْلُغْه أحد، فحَفِظَ مَتْنَ البخاريِّ كلَّه: «لقد زادت نُسخةٌ في البلد».

حقًّا ـ واللَّهِ ـ ما قاله الإمام، أي أن قيمةَ هذا الرجل ـ الذي أُعجب الناسُ جميعًا به لأنه حَفِظ البخاري ـ لا تَزيدُ عن قيمةِ نسخةٍ من كتاب

البخاري لا تتحرَّكُ ولا تَعِي»[١] .

* ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ :

◻ وصَدَق أبو حاتمٍ الرازيُّ لَمَّا قال: «علامةُ أهلِ البدعِ الوقيعةُ في أهل الأثر»[٢] .

◻ وقال الإمامُ أبو عثمانَ الصابوني: «وعلاماتُ البدعِ على أهلِها باديةٌ ظاهرة، وأظهرُ آياتِهم وعلاماتِهم: شِدَّةُ معاداتِهم لِحَمَلَةِ أخبارِ النبيِّ ﷺ واحتقارُهم واستخفافُهم»[٣] .

◻ وقال ابنُ أبي داودَ في قصيدتِه الشهيرة:

ولا تَكُ من قـومٍ تلَهَّـوْا بدينِهم فَتَطعَنَ في أهـلِ الحديثِ وتَـقْدَحُ

◻ ورَحِمِ اللَّهُ الفُضيلَ لَمَّا قال: «الملائكةُ حُرَّاسُ السماء، وأهلُ الحديثِ حُرَّاسُ الأرض» .

◻ ولِلَّه دَرُّ مَن قال: «مَن لم يُقِرَّ بأنَّ أهلَ الحديثِ هم أنصارُ هذا الدِّينِ، فإنه يُعَدُّ في ضُعفاءِ المساكينِ الذين لا يَدِينون للَّهِ بدينٍ» .

◻ وقال السَّفَّاريني: «ولسنا بصَدَدِ ذِكرِ مناقبِ أهلِ الحديث، فإنَّ مناقبَهم شهيرة، ومآثِرَهم كثيرة، وفضائِلَهم غَزيرة، فمَنِ انتقَصَهم فهو خسيسٌ ناقص، ومَن أبغَضَهم فهو مِن حزبِ إبليسَ ناكص»[٤] .

---

(١) «أضواء على السنة المحمدية» لأبي رية (ص٣٢٩).

(٢) «السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).

(٣) «عقيدة السلف» للصابوني (٢/ ٣٥٥).

(٤) «لوائح الأنوار» للسفاريني (٢/ ٣٥٥).

◻ يقول الدكتور فهدُ بن عبدالرحمن الرومي: «في عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م ظَهَر كتابٌ جديد، وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوبَ الذي نَهَجه صاحبُه - وما رأيتُ مِثلَه -، رجلٌ يَحمِلُ مِعْوَلَ هَدمِ السُّنةِ، يُنكِرُ أحاديثَها، ويُلقي أفظعَ السِّبابِ والشتائمِ على ناقِلِها الأول أبي هريرة ﵁، ثم يَزْعُمْ بعد هذا أنه يُدافعُ عن الحديث!!!.

أما المؤلِّف، فمحمود أبو رِيَّة، وأما الكتاب، فـ «أضواء على السُّنة المحمدية»، أو «دفاع عن الحديث»؟!!!.

ومِنَ التوافُقِ العجيبِ أن الذي قَدَّم لهذا الكتاب الذي أَنكَرَ حُجِّيَّةَ السُّنةِ هو الذي أنكرَ صِدقَ قَصَصِ القرآن، وأنكرَ حُجِّيَّتَه فيما يُخبِرُ به - كما مرَّ بنا -، وأعني به «طه حسين»..».

◻ أنكر محمود أبو رية حُجِّيَّةَ السُّنة، وإذا ما قال له قائلٌ: «كيف تُنكِرُ حُجِّيَّةَ السُّنةِ وأنت تَستدِلُّ على ما ذَهَبْتَ إليه بأحاديثَ منها؟ أجاب: «إن الأحاديثَ التي أُورِدُها في سياقِ كلامي للاستدلال بها على ما أُريدُ في كتابي، إنما أَسُوقُها لكي نُقنعَ مَن لا يَقنَعُ إلاَّ بها على اعتبارِ أنها عندَه من المسلَّمات التي يُصدِّقُها ولا يُماري فيها، «ويُشبِّهُ أسلوبُه هذا باحتجاج» المسلمِ على النصرانيِّ بما في الإنجيل، وهو في نفسِه غيرُ مؤمنٍ بما يَحتجُّ به أو عكسُ ذلك»[1] ؟!!.

◻ ويَتَّهمُ هذا الأَفَّاكُ الأثيمُ جُهودَ العلماءِ في فحصِ السُّنَّةِ لتمييزِ صحيحِ السُّنَّةِ من سقيمِها بأنها غيرُ مُجدية؛ لأنَّ الاطلاعَ على خَبايا النفوسِ

(١) «أضواء على السُّنَّة المحمدية» لأبي ريَّة (ص٣٣).

أمرٌ عسير، «وأنَّى لهم أن يَنفُذُوا إلى دخائلِ النفوس وبواطنِها، حتى يَطَّلِعوا على حقيقتِها، ومِن أجل ذلك جاءت كُتُبهم كلُّها وليس فيها مما جاء عن رسولِ اللَّه حديثٌ يُعتَبَرُ متواترًا، بل نَجِدُها قد جَمَعَتْ بين ما هو صحيحٌ في نظرِ الرواة، وما هو موضوعٌ لا أصلَ له، ولا يَخلُو من ذلك كتاب، حتى التي سَمَّوها «الصِّحاح» وهي صحيحُ البخاريِّ ومسلمٍ»[1].

◻ ويَزعُمُ - قاتله اللَّه - أن الحديثَ سببٌ أساسيٌّ لتقسيم الأُمَّة وتشتيتِها إلى فِرَقٍ متباينةٍ.

◻ ويُقدِّمُ أبو ريَّة أمثلةً للأحاديث الموضوعة، يذكرُ منها الحديثَ المتواترَ: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوأْ مَقْعَدًا من النار»، فيقول: «غَمَرني الدَّهَشُ لهذا القَيْد «متعمِّدًا» الذي لا يُمكنُ أن يَصدُرَ من رسولٍ جاء بالصِّدقِ وأَمَرَ به، ونهَى عن الكَذِبِ وحَذَّر منه»[2].

◻ وخاتمةُ هذا التكذيبِ لهذا الحديث المتواترِ نسَجَ لُحمَتَها وسُداها صاحب «فجر الإسلام» في قوله: «ويظهر أنَّ هذا الوضعَ حَدَثَ حتى في عهدِ الرسول، فحديث: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فلْيَتبوأْ مَقْعَدَه من النار»، يَغلِبُ على الظنِّ أنه إنما قيل لحادثةٍ حَدَثَتْ، زُوِّر فيها على الرسول»[3].

◻ ووَضْعُ أبي رِيَّة لا يعدُو فيما كَتَبَه عن السُّنةِ قولَ الشاعر:

وليس يَصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

---

(١) المصدر السابق (ص٢٥٨، ٢٨٦، ١٧).

(٢) «أضواء على السنة المحمدية» (ص١٩).

(٣) «فجر الإسلام» لأحمد أمين (ص٢١١) - الطبعة العاشرة ١٩٦٩ - نشر دار الكتاب العربي ببيروت.

☐ تلك حُرِّيَّةُ الرأيِ الكتابيةِ التي طالَبَ بها الكُتَّابُ أمثالُ أبي رِية لهدمِ عقيدةِ الأمة، نتيجةَ سُقمِ عقْلِه، أو تلبيةً لحاجةٍ في نفسِ يعقوب، ذلك هو المِحورُ الذي يَدورُ عليه بَحثُه عن السُّنة.

☐ وأخطرُ خُطوةٍ خطاها أبو رية تُجاهَ هدمِ السُّنة، هو رَميُ الصحابةِ وأولِ ناقِليها بالغباء، وأنَّ أحبارَ اليهود نَشَروا بين صفوفهم أحاديثَ نَسَبوها زُوراً إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فتَقَبَّلها الصحابةُ لضَعفِهم مقابلَ دَهاءِ الأحبار، «أخذ أولئك الأحبارُ يَبُثُّون في الدينِ الإسلاميِّ أكاذيبَ وتُرَّهاتٍ يَزعُمون مرةً أنها في كتابهم، أو من مكنونِ عِلمِهم، ويدَّعون أخرىٰ أنها مِمَّا سَمِعُوه من النبي ﷺ، وهي في الحقيقةِ مِن مُفتَرَياتهم، وأنَّىٰ للصحابةِ أنْ يَفطِنوا لتمييزِ الصِّدقِ مِن الكذبِ مِن أقوالهم؟!.

وهم من ناحيةٍ: لا يَعرِفون «العبرانية» التي هي لُغةُ كُتبهم.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ كانوا أقلَّ منهم دَهاءً، وأضعفَ مكراً، وبذلك راجَتْ بينهم سُوقُ هذه الأكاذيب، وتلقَّىٰ الصحابةُ ومَن تَبِعَهم كلَّ ما يُلقِيه هؤلاء الدُّهاةُ بغيرِ نَقدٍ أو تمحيص، معتبِرِينَ أنه صحيحٌ لا ريبَ فيه»[١].

☐ ولَمَّا كان أبو رِية وقحًا في عباراته، صريحًا في اتهاماته المكذوبة، ولا سيَّما لِرَاوِيَةِ وحافِظِ السُّنة «أبي هريرة» رضي الله عنه، فمرةً يُسمِّيه «شيخ المضيرة» ـ الطعام الدسم ـ، ومرةً يَصِفُه رضي الله عنه «لا في العيرِ ولا في النفير»، «تفاهة أمره» «حقارة مَنْبَتِه» وأمثال هذه الكلماتِ النابيةِ والبذاءاتِ المُشينة التي يَترَفَّعُ عنها رجلُ الشارع في تعامله: كان من المألوفِ أن يكونَ مُرشِدُه

(١) «أضواء علىٰ السُّنَّة المحمدية» (ص١٤٧).

فارسُ الميدان، ومَن خاض المُعتَرَكَ، فقد كتب «طه حسين» في جريدة «الجمهورية» كلمةً عن «أضواء على السُّنة المحمدية» موضحًا طريقة الهجوم فقال: «فمِن الظُّلمِ لأبي هريرةَ أن يقال: «إنه لم يُصاحِبِ النبيَّ إلاَّ ليأكلَ من طعامه»، والذي نَعلَمه أنه أسلم، وصَلَّى مع النبيِّ، وسَمع منه بعضَ أحاديثه، فلْيَقُلْ فيه المؤلِّفُ: إنه لم يُصاحِبِ النبيَّ إلاَّ ثلاثةَ سنين، وقد روى من الحديثِ أكثَرَ مما رَوَىٰ المهاجرون الذين صَحِبوا النبيَّ بمكةَ والمدينة، وأكثَرَ من الأنصار الذين صاحَبوا النبيَّ منذ هاجَرَ إلىٰ المدينة حتىٰ آثَرَه اللَّهُ بجواره، وهذا يكفي للتحفُّظِ والاحتياطِ بإزاءِ ما يُروىٰ عنه من الحديث»[1].

✍ أخي:

◻ هل تتخيَّلُ أن عدوَّ السُّنةِ «أبا ريَّة» يقول عن الإمام أبي هريرة ﵁:

«إنه شخصيةٌ وَهميَّةٌ لم يَقِفْ أحدٌ علىٰ اسمِهِ، فكان حَريًّا عدمُ الثقةِ في شخصِهِ والتشكيكُ في كلِّ ما يُروىٰ علىٰ لسانه»[2] ؟!.

◻ وقال عنه ﵁ إنه: «نَقَلَ من الأحاديث أكثَرَ مما يُطيقُ عقلُ بَشَر».

◻ لقد قال الدجَّال «أبو رية» عن أبي هريرة ﵁: «إن كِبارَ الصحابةِ جَرَّحوه، وشكُّوا في روايتِه لأجلِ إكثارِهِ من الحديث، واتَّهَمه بالكذب عمرُ وعثمانُ وعليٌّ»[3] !!.

◻ وقال: «إنَّ عُمَرَ ضَرَبه بالدِّرَّة، وأوعَدَه إنْ لم يَترُكِ الحديثَ لَيُلْحِقَنَّه

(١) عدد الثلاثاء ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السُّنَّة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه (ص٣٢).

(٣) «أضواء على السُّنَّة المحمدية» (ص١٥٤ ـ ١٥٥).

بأرضِ «دَوْس» أو بأرضِ «القردة»، ولذا لم يُحدِّثْ إلاَّ بعدَ قَتلِ عمر»[١] !!.

◻ ويقول عن أبي هريرة ﷺ أيضًا: «إنه كان كثيرَ النسيانِ لضَعفِ ذاكرتِه، فاختَلَق قِصَّته لِيُسَوِّغَ بها كثرةَ أحاديثه، ويُثبِتَ صِحَّةَ ما يَروِيهِ في أذهانِ السامعين»[٢]، وإنه «لم يكن له عِلمٌ ولا فِقهٌ ولا رأيٌ ولا نصيحة، ولذا لم يَجْعَلْه عمرُ في أهل شُورته»[٣]، وإنه «كان من عامَّةِ الصحابة، ولم يكن بينهم في العِيرِ ولا في النفير[٤]، ولم يُذكَرْ في طبقةٍ من طبقاتهم، ولم يَرِدْ في فضله حديث»[٥]، وإنه «كانت به غَفْلَةٌ وغِرَّةٌ وسذاجة، ولذا استَغلَّه أعداءُ الإسلام في بَثِّ الخرافاتِ والأوهامِ في الدِّين الإسلامي»[٦].

◻ أما زَعمُه بأن أبا هريرة ﷺ «غيرُ فقيه»، فلا يُؤخَذُ بما رواه مخالِفًا للقياس، فهو زَعْمٌ واهٍ ضعيف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «وهو كلامٌ آذَىٰ قائلَه به نفسَه، وفي حكايتِه غِنًى عن تكلُّفِ الردِّ عليه»[٧].

◻ وقد ذكر ابنُ سعدٍ أبا هريرة ﷺ في النَّفَرِ من الصحابة الذين صارت إليهم الفتوىٰ بالمدينة، وهم: «ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخُدْرِيُّ، وأبو هريرة، وجابر ﷺ»[٨].

(١) المرجع السابق (ص١٦٣-١٩٧).
(٢) المرجع السابق (ص١٧٧).
(٣) المرجع السابق (ص٢٠٣) الهامش.
(٤) المرجع نفسه (ص١٥٢).
(٥) المرجع نفسه (ص١٨٤-١٨٥).
(٦) المرجع نفسه (ص١٧٢-١٧٣).
(٧) «فتح الباري» (٤/ ٣٦٤).
(٨) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٣٧٢).

◘ وقال الذهبيُّ: «احتجَّ المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لِحِفْظِه وجلالتِه وإتقانِه وفقهِه، وناهيك أنَّ مِثلَ ابنِ عباسٍ يتأدَّبُ معه، ويقول: أفْتِ يا أبا هريرة»[1].

◘ ويأبىٰ الدكتور «طه حبيش» إلاَّ أن يَكشِفَ لنا النِّقابَ ويَفُكَّ اللغزَ المُحيِّرَ في سببِ هذا الكمِّ من حِقدِ أبي ريةَ الجاحد علىٰ أبي هريرة ﷺ، إذ اشتُهر عن محمود أبي ريَّة فَشَلُه في الدراسة الأوَّليةِ بالأزهر الشريف، وتردُّدُه الدائمُ علىٰ بعضِ الأَدْيِرَةِ والكنائس، والتقاؤه فيها بمَن أَوْهَمَه بأنه سوف يكونُ رجلاً ذا شأنٍ إذا ما سَلَك هذا الطريقَ الوَعْرَ»[2].

◘ يقول الشيخ «صلاح الدين مقبول أحمد» في مقدمته لكتاب «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» (ص٥) عن أبي رية: «وكتابه «أضواء علىٰ السنة المحمدية» صادَفَ رغبةَ أعداءِ الإسلام، حتىٰ اشتَرَت إحدىٰ السِّفاراتِ الأجنبيةِ في القاهرة أكثَرَ نُسَخِه، وأرسلَتْها إلىٰ مكتباتِ الجامعاتِ الغربية لتكونَ بين يَدَيِ الحاقدِينَ علىٰ الإسلامِ ورسولِه وصحابتِه، وليستَنِدوا إليها فيما أورده من أكاذيبَ وأباطيل»[3].

*** الطبيب أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥م):**

هو الشاعرُ المِصريُّ المعروف، ابنُ المحامي الشهير «أبو شادي محمد»، غَزَاه التغريبُ منذَ غَضاضةِ شبابِه، ونُعومهِ عُودِه، ففي العشرينَ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٠٩).
(٢) «شبهات وشطحات مُنكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله (ص٣٣).
(٣) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» للشيخ صلاح مقبول أحمد (ص٥).

من عُمره عام ١٩١٢م أرسله والدُه لدراسة الطبِّ في «إنجلترا»، ومكَث فيها عَشْرَ سنين، ثم عاد إلىٰ بلاده، وله إنتاجٌ أدبيٌّ وفير، جُمع شِعرُه في عِدَّةِ دواوينَ، منها «الشفق الباكي»، «أشعة وأطلال».

١ ـ والذي يُهِمُّنا مِن إنتاجِه هو كتابُه «ثورة الإسلام» الذي مَزَج فيه الحَقَّ بالباطل، واستهزأ بالسُّنَّةِ وجامِعِيها، وزَعَم أنَّ الأحاديثَ كلَّها مختلَقة، ولا يُرضيه نِسبتُها إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ . . فيقول: «وهٰذه «سنن ابن ماجه» و«البخاري» ـ وجميعُ كُتبِ الحديث والسُّنَّة ـ طافحةٌ بأحاديثَ وأخبارٍ لا يُمكنُ أن يَقبَلَ صحتَّها العقلُ، ولا نَرضىٰ نسبتَها إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وأغلبُها يدعو إلىٰ السخرية بالإسلام والمسلمين والنبيِّ الأعظم»[1] .

□ ويتَّهمُ المتمسِّكَ بالحديث بالخيانةِ لرسالةِ الإسلام. . فيقول: «وأما التغنِّي «بأبي داود، والنسائي، ومسلم»، وترديدُ الأحاديثِ الملفَّقةِ التي لا تَنسجمُ وتعاليمَ القرآن، وأمَّا سُوءُ تفسيرِ آياتِ الكتابِ العزيز، وأما الجهلُ برُوحِ القرآن، وأمَّا التنازلُ عن صلاحيةِ الإسلام لكلِّ زمانٍ ومكان: فبمثابةِ الخيانةِ لرسالةِ الإسلام الخالدة»[2] .

٢ ـ ويزعمُ الشاعرُ أنَّ أحكامَ القرآنِ والحديثِ قابلةٌ للتغيير بتغيُّرِ الزمان والمكان؛ لأنها جاءت عن سَبَبٍ، وبزوالِه لَزِمَ زوالُ المسَّبب. . فيقول: «والقرآنُ الشريفُ والأحاديثُ النبويةُ مجموعةُ مبادئَ خُلُقيَّةٍ وسلوكيةٍ مسبَّبةٍ، بحيث إنَّ أحكامَها عُرْضَةٌ للتبدُّلِ بتبدُّلِ الأحوالِ والأسباب، ففيه

---

(١) «ثورة الإسلام» (ص٢٥) ـ لأحمد زكي أبو شادي ـ مكتبة الحياة بيروت.

(٢) «ثورة الإسلام» (ص١٧).

شواهدُ هادئةٌ علىٰ ضوئِها وأسبابِها وظروفِها، لا أحكامٌ متزمِّتة، لا تَقبلُ التعديلَ وفَاقًا لتبدُّلِ الأسباب والظروف»[1] .

◻ ويشرحُ هذا المبدأَ في موضعٍ آخر بصورةٍ أوضح، فيقول: «إنَّ العقيدةَ العالَميةَ لا يمكنُ أن تتدعَّمَ في دولةٍ يكونُ المواطِنون طبقاتٍ أو مراتبَ. . ولابدَّ من المساواةِ التامَّةِ بين جميعِ المواطنين شرطًا حتميًّا لنجاح الدولةِ الإسلاميةِ الديمقراطيةِ في عصرِنا هذا، وشتَّانَ بين ظروفِ الإسلام الأولىٰ الضيِّقةِ نسبيًّا، وبين ظروفه العالَميَّةِ الحاضِرة. . فما كان يَصلُحُ عمليًّا في أولِ عهدِ الرسالة ـ بل حتَّىٰ في ضُحىٰ الإسلام ـ، لم يَعُدْ يَصلحُ الآنَ لشَعبٍ متقدم ـ كالشَّعبِ المِصريِّ مثلاً ـ، تجاوَزَ تعدادُه العشرين مليونًا، بينهم مليونانِ من خِيَرَةِ المواطنين العريقِي المِصريَّةِ يَدِينون بغير الإسلام»[2] .

◻ ومِن الأمثلة التي تَقبَلُ التغييرَ في نظره، وقَدَّمها للتعديل في ضَوءِ الحياةِ الأوروبية: «قِوامةُ المرأة»، فيقول: «إنَّ رُوحَ الإسلام التي تُقِرُّ مبدأ الصالح العامِّ تَسمحُ في هذا العصرِ بأن تكونَ المرأةُ قَوَّامةً علىٰ الرجل، بقَدرِ ما تَسمحُ بأن يكونَ الرجلُ قوَّامًا علىٰ المرأة، إذ إنَّ مَرَدَّ ذلك إلىٰ الاعتبار الاقتصادي ـ لا أكثَرَ ولا أقلَّ ـ، بخلافِ ما كان عليه الحالُ في فجرِ الإسلام»[3] .

فالرجلُ لا يُهِمُّه أن يُلغيَ دلالةَ الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

---

(١) «ثورة الإسلام» (ص٦٣).

(٢) «ثورة الإسلام» (ص١١٥).

(٣) «ثورة الإسلام» (ص٢٤).

النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. غيرَ أن مُنكِرِي الهندِ أقدَمُ منه في هذا الادِّعاء، وسيَمُرُّ بك شيءٌ منه في فَصل «آراؤهم التشريعية»، فالطبيبُ بحكم دراستِه في أوروبا، وقضاءِ أواخرِ حياتِه في أمريكا بعد هَجْرِ مصرَ - نتيجةَ قسوةِ النقدِ الذي وُجِّه إلى شعره، وعدمِ استقرارِ الأحوالِ السياسةِ في مصرَ قبلَ ثورة ١٩٥٢ -، لا نَستبعدُ منه مِثلَ هذا الكلام، بل نراه يُغالِي أكثرَ مِن ذلك، فيَحُثُّ المسلمين على نَيلِ أكبرِ قَدرٍ ممكنٍ من الحضارة الأمريكية، لأنَّ الحياة الأمريكيةَ - فِكرًا وواقعًا - في نظره قريبةٌ من الإسلام، بل هي صِنْوُ الإسلام حيث يقول: «إنَّ مبادئَ الإسلامِ نظريًّا وَعَمليًّا هي أقربُ ما تكونُ لمبادئِ الحضارةِ الأميريكية والحياةِ الأميريكية - تفكيرًا وسلوكًا -، فهل يَتَنَبَّهُ المسلمون إلى هذه الحقيقةِ الراسخةِ فيُفلِحوا؟»[1].

◻ ويقول: «وما الدفاعُ الذي تقومُ به أميركا اليومَ عن العالَم الحُرِّ إلاَّ صِنْوُ الدفاعِ الذي رَفَع لواءَه محمدٌ ﷺ»[2].

فالرجلُ أَجيرٌ يَخدُمُ قضيةً معيَّنةً، لا يُهمُّه إذا ذَهَب يَمْنَةً أو يَسْرةً، فنظرتُه إلى الإسلام محفوفةٌ بالمطاعن، ويتَّخذُ من هَدمِ السُّنَّةِ جِسرَ عُبورٍ إلى هدمِ القرآن، ومِن ثَمَّ يَتسنَّى له هَدمُ الدين، ولتحقيقِ هذه الغايةِ نراه يدعو كلَّ مسلمٍ أن يكونَ «مسيحيًّا» قبلَ الإسلام[3]، بل ويَشتركُ في تأسيسِ «حركة البرلمان العالَمي للديانات» للجمع بين التوحيد وعبادة الأصنام،

---

(١) «ثورة الإسلام» (ص٥٧).

(٢) «ثورة الإسلام» (ص٦١).

(٣) «ثورة الإسلام» (ص١٢٤).

وبين الإسلام واليهودية والمسيحية والبُوذية[1] .

فما دام «أبو شادي» أحدَ دُعاةِ توحيدِ الأديان، فلا يُهِمُّه أن يَتَّهِمَ أبا هريرة وأنسَ بنَ مالكٍ وعَبدَاللَّهِ بنَ عباسٍ بوَضعِ الحديث علىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ حاشا أن يكونوا كذلك ـ، ونِسبتُه إليه كَذِبًا وزوراً فيقول: «وقد خُدِع بهم بـ «الزنادقة» عددٌ من المسلمين المتقدِّمين، ناهيكَ بِغَفلةِ أمثالِ أبي هريرةَ وأنسِ بنِ مالكٍ وعبدِاللَّه بنِ عباس، وكلُّهمُ انتَحَلوا الأحاديث، وتأثَّروا بالإسرائيلياتِ الغريبة»[2] .

*** الدكتور إسماعيل أدهم (١٩١١ ـ ١٩٤٠):**

كاتبٌ تُركيٌّ، وُلد بالإسكندرية، ونال الدكتوراة في العلوم من «جامعة موسكو»، وكان عُضواً مراسلاً في «أكاديمية العلوم السوفيتية»، وعَمِل مُدرِّسًا للرياضيات لبعضِ الوقتِ في جامعة «سان بطرُسْبرج»، ثم في «معهد أتاتورك» بأنقرة، ثم عاد إلىٰ مصر، فاتَّجه إلىٰ البحثِ في الأدب والتاريخ، أُصيب في أواخرِ حياته بالسِّلِّ، فمات منتحراً[3] .

نَشَر الشابُّ كتابًا عام ١٣٥٣هـ تحت عنوان «مصادر التاريخ الإسلامي»، أَعلَن فيه أن هذه الثروةَ الغاليةَ من السُّنة، التي تَضُمُّها كتبُ الصِّحاح، ليست ثابتةَ الأصول والدعائم، بل هي مشكوكٌ فيها، يَغلِبُ عليها صِفةُ الوضع، وكان الدكتور يأخذُ كتابَه مَلزَمةً مَلزَمةً، خشيةَ أن يَطَّلِعَ عليه أحدٌ فيحاسبَه، غيرَ أن «الأزهر» ـ فيما يبدو ـ لم يكن قد أُصيب بالهَرَمِ

(١) «ثورة الإسلام» (ص١٣١).

(٢) «ثورة الإسلام» (ص١٧٤).

(٣) انظر لمزيد من المعلومات عنه «الموسوعة العربية الميسرة» (ص١٥٠).

بعد، حيث طالَبَ مشايخُه سَحْبَ هذا الكتابِ من الأسواق، ومصادرتَه من الأيدي التي تملَّكته[١] .

وبعد إتلافِ هذا الجَهدِ المُسْوَدِّ لا نجدُ لإسماعيلَ اتِّجاهًا كهذا، رغم كثرةَ كتاباتِه في مجلة «الرسالة»، وظلَّ مرتبطًا بها منذ عام ١٣٥٦هـ حتىٰ الانتحار، ومن غيرِ المشكوكِ فيه أنَّ الاتجاهَ الذي استولىٰ علىٰ الدكتور وساقَه إلىٰ الهاوية، بل جَعَلَه طالبًا في «المجمع الشرقي لنشر الإلحاد»[٢] بعد عودته إلىٰ مصر هو نتيجةٌ منطقيةٌ للدراسة في «موسكو»؛ لأنَّ الطالبَ لا يَكتسبُ المعلوماتِ عندَ التعلُّمِ فحسب، بل يَرضعُ الفِكرَ والهدفَ والمنهجَ الذي صِيغت في قالَبِه تلك المعلومات، فما دامت «موسكو» عَدُوَّةً للأديان، فلن تُخرِجَ إلاَّ مَن يَحمِلُ مِعْوَلَ الهدمِ علىٰ الدين الذي ينتمي إليه.

* **محمد أبو زيد الدمنهوري:**

فيما له صِلةٌ بالحديث من مؤلَّفات هذا الرجل: كتاباه «الزواج والطلاق المدني في القرآن»، «تفسير القرآن بالقرآن».

ويتلخَّصُ قولُه في السُّنة أنها نَكبةٌ علىٰ المسلمين، وعلىٰ دِينِ اللَّه ـ عز وجل ـ، ويتمنَّىٰ إحراقَها وإعدامَها من الوجود، وتكونُ نُقطةُ بدايةِ التحريق من «صحيح البخاري» و «مسلم» ليرتاحَ الناسُ من شرِّ ما فيهما[٣] !.

◻ والغريبُ في أمرِ هذا الرجلِ أنه تلقَّىٰ تعليمَه في «دار الدعوة

---

(١) انظر مصطفىٰ السباعي، «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» (ص٢٣٧) الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

(٢) انظر «الفتح» (٨/ ٧٨٠).

(٣) «الفتح» (٢/ ٥٠٤).

والإرشاد» التي كان يُشرِفُ عليها السيد رشيد رضا!! ويدَّعي الدمنهوري أنَّ الرِّقَّ والتسرِّي ليسا من الإسلام، وهو ينكر النَّسْخَ في القرآن، يقول: «وأما نحن، فمِن الذين لا يَرَون في آياتِ القرآن نسخًا، وكلُّ ما فيه واجبٌ تلاوتُه، والعملُ به إلىٰ يومِ القيامة»[1] وينكر نبوَّةَ آدمَ، ويقول بتعددُّ الأصولِ البشرية[2] .

* **الكَذَّابُ المُفتري «السيد صالح أبو بكر» عدوُّ السُّنَّة:**

«كأنَّ خِداعَ العناوين مَرَضٌ انتَقَل من «أبي رِيَّة» ـ في زَعمِه الدفاعَ عن الحديث النبويِّ في عنوان كتابه ـ إلىٰ المدعو «السيد صالح أبو بكر»، فنَشَر كتابًا زَعَم أنه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهيرِ البخاريِّ منها»، زَعم فيه أنَّ من أهدافِه: «تقديمَ حَصيلةِ الفحصِ الدقيقِ للأحاديث المعارِضة للقرآن، والمنافيةِ لِمَا يَليقُ باللَّه وبرسوله، والتي جَمَعناها من «صحيح البخاري» باعتباره عُمدةَ المراجع في هذا المجال، وعددُها مئةٌ وعشرون حديثًا والتعقيبُ القرآنيُّ علىٰ كلٍّ منها بما يُثبِتُ أنها دَخيلةٌ علىٰ كلامِ النبيِّ ﷺ»[3] .

☐ وعَدَّ مِن أهدافِه: «القضاءَ علىٰ منازعةِ الحديثِ الباطل للقرآن الكريم»[4] .

---

(٢) مجلة «الرابطة الشرقية» (١/ ٧٠).

(٣) «المنار» (٢١/ ٤٩).

(٣) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية».

(٤) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» للسيد صالح أبو بكر (ص٣ ـ ٦).

☐ ومنها: «إدراكُ العواقبِ المترتِّبةِ على تَركِ الأحاديثِ المخالفةِ للقرآن الكريمِ دون تجريحٍ وإظهارٍ لعيوبها»، و«إثباتُ أن دينَ اللَّه هو القرآنُ بدايةً ونهايةً»، وقال أخيراً: «كتابُنا هذا يَستندُ إلى كتابِ اللَّه نصًّا ومعنًى»[1].

والحقُّ أننا في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى مثلِ هذه الأهداف، والحقُّ أيضًا أنَّ هذا الرجلَ بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن المنهجِ الذي زَعَم بأن عِمادَ نَقلِه وأُسَّه «محمود أبو ريَّة» ـ السالف ذِكره ـ، فهو كثيراً ما يَنقُل عنه، بل نستطيعُ القولَ: إن الجزءَ الأولَ منه خلاصةٌ لكتابِ أبي رية، ثم أراد المؤلِّفُ منافسةَ أبي رِيةَ على مَناهِلِه الأولى، فنقل أيضًا عن محمد عبده وعن رشيد رضا وغيرِهم من «مدرسة المنار».

بل إنَّ بَدْءَ هُجومِه على أبي هريرة ﷺ يُصدِّرُه برأي «مدرسة المنار»، فيَضعُ عنوانًا: «أبو هريرة ورأيُ علماءِ الحديث فيه ممثَّلاً في مدرسة المنار»[2].

وقد خَصَّص المؤلِّفُ الصفحاتِ من (٥٨ إلى ٦٣) للتشكيك في أبي هريرة ﷺ وفي روايته.

* **«الرَّدُّ القويم على المُجرم الأثيم»، لفضيلة الشيخ حَمُّود التُّوَيجري:**

لقد رَدَّ الشيخ «حمود التويجري» على «السيد صالح أبي بكر» في كتابه «الرد القويم على المجرم الأثيم» ـ في جُزأين ـ فأفحمه.

☐ قال الشيخ: «لقد رأيتُ كتابًا لبعضِ أهلِ الزَّيغِ والفسادِ والإلحادِ من

(١) المصدر السابق (ص٣ـ٦).
(٢) المصدر السابق (ص٥٨).

العصريِّين، تَهَجَّم فيه على بعضِ الصحابةِ والتابعين، وعلى مئةٍ وعشرينَ حديثًا في «صحيح البخاري» الذي هو أصحُّ الكتب بعد القرآن، وزَعم أنها أحاديثُ إسرائيليةٌ، وأنه يَكتسِحُها بالأضواءِ القرآنية، ويُطهِّرُ البخاري منها!! وتَهجَّم أيضًا على غيرِ ذلك من الأحاديث الصحيحة، وقابَلَها بالردِّ والإنكار.

● وقد سَمَّى المؤلِّفُ نفسَه بـ«السيد صالح أبي بكر»، وليس بسيدٍ ولا صالح، ولا كرامةَ ولا نُعمةَ عَينٍ، ولِمَا رواه أبو داود والنسائي والبخاري في «الأدب المفرد» عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لا تقولوا للمنافق: «سيد»، فإنه إن يكُ سيداً فقد أسخطتم ربَّكم عزَّ وجلَّ»**.. ورواه الحاكم في «مستدركه» والبيهقي بنحوه، وصحَّحه الحاكم.

وفي تَهجُّمِه على بعضِ الصحابةِ والتابعين وعلى الأحاديث الصحيحةِ أوضحُ دليلٍ على زَيغِه وفسادِ عقيدتِه، وأنه ليس بصالحٍ في الحقيقة.

وقد سمَّى المُلحِدُ كتابه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها».. وكلامُ المُلحِدِ كلُّه شُبهاتٌ، وحَمْلٌ لكتابِ اللَّه على غير مَحامِلِه، فهو في الحقيقة ظُلماتٌ بعضُها فوق بعض، وكما سأبيِّنه ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ.

ومَن تأمَّل كتابَه لم يشكَّ أنه محاربٌ للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعنَ في الإسلام وأهلِ الإسلام، وإنْ أظهَرَ ذلك في قالبِ الإصلاحِ، فهو بلا شكٍّ ممن يَسعى في الأرضِ فساداً ـ وإن كان يزعم أنه مُصلح ـ، وقد قال اللَّه تعالى مخبِراً عن سَلَفِ هذا المُلحدِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ ـ ١٢].

وهذه الآيةُ الكريمةُ مطابِقةٌ لحالِ الملحدِ غايةَ المطابقة، طَهَّر اللَّهُ الأرضَ منه ومن أمثالِه من المفسِدين في الأرض، إنه سميع مجيب.

وقد رأيتُ مِن الواجب الردَّ علىٰ أباطيلِ هذا الزائغِ المفترِي علىٰ اللَّه وعلىٰ رسولِه ﷺ، وتطهيرَ الأحاديثِ في «صحيح البخاري» ـ وغيرِه من كتب السُّنَّة ـ من تلطيخِ هذا الظالم المعتدي»[١].

□ قال الشيخ التويجري «وقد قال المؤلِّفُ[٢] في صفحة (٤) ما نصُّه:

«سابعًا: الاستكشافُ الفِعليُّ لانحرافِ عقائدِ مَن سبقونا من أُمم الدراويش وجماعاتِ التنسُّكِ الشَّكْلِيِّ وأصحابِ الدعاوَىٰ، بخروج بشريَّتِهم أو بشريَّةِ شيوخِهم علىٰ سُنَنِ اللَّهِ في خَلقه، ادعاءً للكراماتِ المصطَنَعة، وزعمًا للمعجزات الخيالية التي مَلأت المدوَّناتِ الصفراءَ، وليس لهم فيها من سَنَدٍ ولا أصلٍ إلاَّ أحاديثُ الخيالِ المفتَرَاةُ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، تلك التي استقرَّت في كُتبِ الأحاديثِ المعتَمَدةِ لدىٰ المسلمين بحُسنِ القصدِ من الناشرِين والمستطلِعين».

والجواب: أن يُقال: هذه الجملةُ في أولِ كتابِ المؤلِّف الجاهل كافيةٌ في بيانِ عداوتِه للرسولِ ﷺ وللسلفِ الصالح مِن الصحابة والتابعين وأئمةِ

---

(١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري (ص١، ٢) ـ مكتبة دار العليان الحديثة.

(٢) يعني السيد صالح أبو بكر.

العلم والهدىٰ مِن بعدِهم، وبيانُ ذلك من وجوهٍ:

أحدها: زَعمُه أن معجزاتِ النبيِّ ﷺ خيالية، وأن كراماتِه وكراماتِ غيرِه من أنبياءِ اللَّه وأوليائِه مصطَنَعة.. وهذا قولُ أعداءِ اللَّهِ من الإفرنج وغيرِهم من أمم الكفر والضلال، وقد تلقَّاه هذا الجاهلُ - وأشباهُه من زنادقةِ العصريين - بالقَبول والرضا.. وهذا القَدرُ كافٍ في الحُكمِ بردَّةِ المؤلِّف وخروجِه من الإسلام.

وقد أجمَعَ العلماءُ علىٰ تكفيرِ مَن عَبَثَ في جهةِ النبي ﷺ بسُخْفٍ من الكلام وهُجْرٍ ومُنكرٍ من القول وزُور.. وأجمَعوا علىٰ تكفيرِ مَنِ استخفَّ بالرسول ﷺ، أو استهزأَ به، أو بشيءٍ من أفعاله، أو نَسَبَ إليه ما لا يَليقُ بمَنصبِه.. ذكر ذلك القاضي عياض وابن حجر الهَيتمي.. وكلامُ المؤلِّف ههنا داخلٌ فيما أَجْمَعَ العلماءُ علىٰ تكفيرِ قائله.

الوجه الثاني: زَعمُه انحرافَ عقائدِ الذين يؤمنون بمعجزاتِ النبي ﷺ وكراماتِه وكراماتِ غيرِه من أنبياءِ اللَّه وأوليائه.. وهذا يتضمَّنُ القَدْحَ في جَميعِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يَقدحُ فيهم إلاَّ مَن هو متَّبعٌ لغيرِ سَبيلهم، وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

وقد قال في «الإقناع» في ذِكرِ ما يَصيرُ به المسلمُ كافراً: «أو قال قولاً يتوصَّلُ به إلىٰ تضليلِ الأمةِ - أي أمةِ الإجابة -، فهو كافر؛ لأنه مكذِّبٌ للإجماعِ علىٰ أنها لا تجتمعُ علىٰ ضلالة» انتهىٰ.

ولا يَخفىٰ ما في كلامِ المؤلِّفِ من تضليلِ الأمة علىٰ إيمانهم بمعجزاتِ النبي ﷺ وكراماتِه وكراماتِ غيرِه من أولياءِ اللَّه تعالىٰ، فيكون بهذا كافراً حلالُ الدمِ والمال.

الوجه الثالث: تسميتُه علماءَ السلف وأئمةَ الخلف بـ «الدراويش»، و«جماعات التنسُّكِ الشَّكليِّ» و«أصحاب الدعاوىٰ»، وزَعُمه أنهم قد خَرَجوا ببشريتهم علىٰ سُننِ اللَّه في خَلقه، وهذه الأوصافُ أولىٰ به وبأشباهِه من زنادقةِ العصريِّين وملاحدتهم.

الوجه الرابع: تسميتُه كُتبَ الحديثِ المعتَمَدةَ عند المسلمين بـ «المدوَّنات الصفراء» تحقيراً لها وتصغيراً لشأنها، وزَعمُه أن الأحاديثَ الواردةَ فيها في المعجزاتِ والكراماتِ أحاديثُ مفتراةٌ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، وهذا من أعظمِ المحادَّةِ للَّه ورسوله ﷺ والمخالَفةِ لِمَا عليه المسلمون من الاعتناءِ بكُتبِ الحديث والتعظيمِ لشأنِها والإيمانِ بما جاء في الصحيح منها من أخبارِ الغيوب والمعجزاتِ والكراماتِ، واعتقادِ أن ذلك حقٌّ وصِدق.

الوجه الخامس: رَميُه المسلمين بالغَباوة والتغفيل مِن أجلِ اعتمادِهم علىٰ كُتب الحديث وإيمانِهم بما جاء في الصحيح منها من أخبارِ الغيوبِ والمعجزاتِ والكرمات، والواقعُ في الحقيقةِ أن المؤلِّفَ هو الغبيُّ المُغَفَّلُ الذي انقاد للشيطانِ فأغواه وتلاعَبَ به حتىٰ انسلَخَ من الدين وهو لا يَشعر، وصار حربًا للَّه ولرسوله ﷺ وللأحاديث الصحيحة والمحدِّثين وسائرِ المؤمنين، وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا**

تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]»[1] .

*** صبحي منصور الدَّجَّال مُنكِر السُّنَّة، نائب مُسيلِمة الكذاب «رشاد خليفة» مُدَّعِي النبوة بـ «توسان»:**

من مدينة «كفر الزيات» خَرَج علينا مسيلِمة الكذاب «رشاد خليفة» المولود في ١٨/ ١١/ ١٩٣٥، تَخرَّج مهندسًا زراعيًّا، وعَمِل بالهيئةِ العامةِ للإصلاح الزراعي في ١٩٥٧م، وصدرت ضدَّه الجزاءات، ومع هذا حَصَل على بَعثةٍ علميةٍ لدراسةِ الدكتوارة في أمريكا ١٩٥٩/٨/٣٠م، وعاد الخائنُ ومعه زوجُه الأمريكيةُ السافرةُ، ثم سافر إلى ليبيا، ومنها إلى أمريكا، وبعد أشهُرٍ معدودةٍ أصبح «رشاد خليفة» خبيراً بالأمم المتحدة، ثم إمامًا لمسجد مدينة «توسان» ومعه مئاتُ الألوف من الدولارت.

ومن قرية «حريز» مركز «كفر صقر» بمحافظة «الشرقية» جاء «صبحي منصور»، وانضمَّ في بداية أمره إلى «الطريقة الرفاعية» والتحق بالأزهر، وأصبح أستاذًا مساعِدًا بكلية «اللغة العربية»، ولَفَت الأنظارَ إليه بما يَطرحُه من آراءَ مخالفةٍ لإجماعِ المسلمين، ليس بعِدائِه للصوفية فحسب، إنما بعِدائه للسُّنَّة النبوية.

والتقى بـ «رشاد خليفة»، ووَجَد كلٌّ منهما ضالَّته في الآخَر، فرشاد يَملِكُ السلطانَ والمالَ بالدولار، ويَسكُنُ بلادَ اللحمِ الأبيضَ والحاسوبِ الذي يُحصِي كلماتِ القرآن وحُروفَه وآياتِه في لَمحِ البصر، ويُنبئك على الفورِ عمَّا إنْ كنتَ تصلحُ نبيًّا أو مساعَد نبيٍّ.

---

(١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ التويجري (ص٤٩ ـ ٥١).

وراح «صبحي منصور» داخلَ الأزهر يَعبَثُ بعقولِ خيرِ شبابِ الأمة، ويُنكِرُ السُّنَّة، ويَنالُ من عِصمةِ الأنبياء، ويُسيءُ إلى الصحابة، ويحقِّرُ من شأنِ رُواةِ الأحاديث النبوية، حتى فُضِح أَمْرُه عام ١٩٨٢م، وشكى الطُّلاَّبُ إلى أساتذتهم، وتَمَّ جَمعُ كُتبه، فحاول أن يُقدِّم استقالتَه، إلاَّ أن الأزهر أصدر قراراً بفصله.

لَفَظَ الأزهرُ «صبحي منصور»، ولكنْ أيدٍ خفيَّةٌ حافَظَت له على المسجد الذي يخطبُ فيه، بل إن مساجدَ جديدةً فَتحت له أبوابها في الجيزة والقاهرة، وفي مسجد «إسماعيل منصور» صاحب كتاب «إنكار عذاب القبر» (٨٠جنيه للنسخة) ومقالات إنكار «حجاب المرأة».

وهاجر «صبحي» إلى الشيطان «رشاد خليفة»، وذهب إلى أمريكا.

وفي إحدى الصحف المصرية، كتب الدكتور «سعد ظلام» عميد كلية اللغة العربية الذي حَمَلَ العِبءَ الأكبرَ في التصدِّي لهذا المنكِرِ لسُنَّةِ خاتمِ الأنبياء، يوضِّحُ حقيقتَه ويَفضحُ باطلَه، ويُشرِكُ أهلَ العلمِ والتخصُّصِ فيما اتَّخذ ضدَّه من إجراءاتٍ موضِّحًا عقيدةَ الأزهر الشريف في الإيمانِ باللَّه وكُتبِه ورُسله واليومِ الآخِرِ والقضاءِ والقدر، ومؤكِّداً على شهادةِ التوحيدِ أنه «لا إلهَ إلا اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه»، وعلى الصلاة والزكاة والصوم والحج، كما وردت في «الصحاح» ومذاهبِ الأئمةِ الأعلام، ومبشِّراً المسلمين بسَفَر «صبحي منصور» إلى خارج البلاد.

ولم تَمضِ أيامٌ معدودةٌ حتى انهال سَيلُ الخطابات من «رشاد خليفة» من أمريكا، حيث استُقبل البطلُ المجاهد «صبحي منصور» هناك!! يكتبون

إلىٰ الدكتور ظلام، وهم في حالةِ هَذَيانٍ تترنَّحُ رؤوسهم في كلٍّ اتجاه، وتَقَيَّؤوا كلَّ ما في بطونهم ضدَّ العميدِ وكُلِّيته وأزهرِه والمسلمينَ في أنحاءِ مصرَ بلا استثناء، فيكتبُ قبلَ أن يُعلِنَ النبوَّةَ بخَمسةِ أشهرٍ فقط أول رسائله:

◻ في ٤/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: «لقد اخترتُم أنتم وأربابُكم تكذيبَ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ عما يَصِفون ـ، وقرَّرتم وجودَ مصادرَ إبليسيةٍ ـ يقصد السُّنَّة ـ أخرىٰ إلىٰ جانبِ كلام اللَّه».

◻ وفي ٩/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: «لقد وَفَّق اللَّهُ الدكتور «صبحي» إلىٰ كشف الانحرافات التي جَعلت إسلامَ اليوم مختلفًا تمامًا عن الإسلام الذي دعا إليه خاتم الأنبياء». . «ذلك قبل أن يدَّعيَ النبوة».

◻ ثم في خطاب بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٩٨٨م وصفه الدكتور «طه حبيشي» في كتابه «مسيلمة في مسجد توسان» بأنه خطابٌ هابطُ الأسلوبِ نازلُ المعاني أشبهُ بعَبَثِ الصبيان، قال فيه رشاد: «لعلَّك استلمتَ عددَ فبراير من مجلتنا «الإسلام الحقيقي»، ولعلك قرأتَ أولَ مقالةٍ يكتبها د «صبحي» اسمًا علىٰ مسمًّىٰ «منصور في أرض الحرية» التي مَنَّ اللَّهُ علينا بها».

ثم يُشير إلىٰ ما بذلته الحكومةُ الأمريكيةُ من تقديم التسهيلات وتذليلِ العقبات أمام «صبحي منصور» حتىٰ وَصَل سالِمًا إلىٰ أمريكا «أرضِ الحرية والعِزَّة والفَخَار»، هاربًا من أرضِ «أزهر الشيطان والقهر والفقر والانحطاط»، حيث وافق «الكونجرس» الأمريكي علىٰ طلب «رشاد خليفة» باعتبار «صبحي» لاجئًا سياسيًّا. . والرواية علىٰ لسان صبحي نفسه.

❑ وفوجئ الرأيُ العامُّ المصريُّ بـ «أحمد بهاء الدين» يكتبُ في صحيفة «أخبار اليوم» ١٧/ ٤/ ١٩٨٨ قائلاً: «أُحِبُّ أن أُنَبِّهَ الأزهرَ والمؤسَّساتِ الإسلاميةَ إلىٰ نَشرةٍ بالغةِ الخطورةِ والغرابة، تلقَّيتُها بالبريدِ من ولاية «أريزونا» الأمريكية تقول: «الأزهر منكر القرآن يقود مصر إلىٰ الهلاك، وإنه يوصي اللَّه ورسوله بابتداعِ العصمةِ للأنبياءِ والشفاعةِ لغيرِ اللَّه متمسكًا بالبدع الإبليسيةِ المسمَّاة بالحديث والسُّنَّة، تلك أُولىٰ غرائبِ هذه النشرة.

ثاني غرائبها أنها تَصدُرُ عن جمعيةٍ إسلاميةٍ تَملِكُ من وسائلِ التكنولوجيا الشيءَ الكثير، فهي تَبيعُ شرائطَ الڤيديو والكاسيت في جميع الموضوعات، والأسماءُ السائدةُ في النشرة تأليفًا وإخراجًا وخُطبةً كانت للدكتورين: «رشاد خليفة» و«صبحي منصور» وبعضِ الأسماء المسيحية الأمريكية التي كانت مُسلِمةً من قبلُ»!!.

❑ وتقول النشرة: ـ وما زال الكلام لأحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار ـ: «إنَّ الخالقَ يُعلِّمُنا أن نتيجةَ رفضِ كلامه وتكذيبِ آياتِه ـ كما فعل الأزهرُ وأتباعُه ـ هي الهلاكُ وحتميةُ جفافِ النيلِ ووقوعُ الكوارث؛ لأنَّ أُسَّ البلاءِ هو ممارسةُ الأزهرِ للقهر الفكري»!!.

❑ وفي اليوم التالي ١٨/ ٤/ ١٩٨٨ يواصل أحمد بهاء الدين تعليقَه علىٰ نشرة مسجد «توسان»، فيقول: «إنَّ الملحوظاتِ التي تَستوقفُ النظرَ ونُضيفها: أنها تبدو مموَّلةً تمويلاً جيدًا، خصوصًا بإنتاجها التلفزيوني، والكثيرُ مما سجَّلته علىٰ أشرطة ڤيديو للبيع، والإسلامُ الوحيدُ الذي يقابلُه تعريفٌ واضح هو الدكتور «صبحي منصور» المحاضِر في جامعة «أريزونا»، والمنتشِرُ في الصحافة والإذاعة والتلفزيون عن القهرِ الفكريِّ الأزهري».

☐ «في فبراير ١٩٨٨ عَرَضت النشرةُ الشهرية لمسجد الضِّرار والضلال في «توسان» بأريزونا مقالاً لصبحي منصور بعنوان «الأزهر يَكفُرُ بالقرآن» ردًّا على مقالٍ نُشر بمجلة «منبر الإسلام» ـ لسانِ حالِ وزارةِ الأوقاف المصرية ـ في عددها «يناير ١٩٨٨» قال فيه: «يقول جُهلاءُ الأزهر: إنه من المعلوم أنَّ القرآنَ جاء دستوراً، ومِن شأن الدساتيرِ أن تكونَ مُجمَلةً في حاجةٍ إلى تفصيل، لكنَّ المشكلةَ الأزَليَّةَ للأزهر أنه مسجدٌ سيِّئُ الاستخدام «مسجد ضرار» يقوم على حِمايةِ التراث البشريِّ «يقصد السُّنَّةَ النبوية» الذي يناقِشُ القرآنَ، ويتَّهمُ كتابَ اللَّه بأنه غامضٌ يَحتاجُ إلى توضيحٍ، وأنه ناقصٌ يحتاجُ إلى تفصيل، ومِن الواضحِ أنَّ الأزهريِّين لا يؤمِنون، ولا يعلمون، ولا يَذكُرون، بعدما أعماهم اللَّهُ عن القرآن الكريم، ولقد أدَّت الأكِنَّةُ على قلوبهم والوَقْرُ في آذانِهم إلى تكذيبِ ربِّ العِزَّةِ في تقريره أن القرآنَ كاملٌ وتامٌّ ومفصَّل».

☐ وفي ذيل المقال تعليقًا لنبيِّ الزور «رشاد خليفة» يقول فيه: «كما هو مُدعَّمٌ بالوثيقة في الصفحة السابقة، فإن الأزهرَ يَرفضُ التأكيداتِ المتكرِّرةَ للقرآن بأنه كاملٌ وتامٌّ ومفصَّلٌ تمامًا.

إنَّ الأزهرَ يأخذ موقفًا رسميًّا من أنَّ القرآنَ ليس كاملاً، ومِن ثَمَّ فإنَّ الأزهرَ يُعزِّزُ تلك البِدَعَ الشيطانيةَ ـ مِثلَ الحديثِ والسُّنة ـ، وإنَّ أيَّ مُسلِمٍ يمتلكُ أقلَّ قَدرٍ من التفكيرِ والبداهةِ يَستطيعُ أن يَرىٰ الأزهرَ لا يحترمُ إرادةَ الربِّ، وإنما يحترمُ إرادةَ إبليس، و«صبحي منصور» هو أولُ عالمٍ أزهريٍّ يكتشفُ الحقيقة، ويَقِفُ في وَجهِ السُّلْطات في قلعةِ إبليس «الأزهر»، ففي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، يُوضِّحُ «منصور» الطبيعةَ المحمدية

للأزهر، ودَوْرَه في تحويلِ المسلمين المخلِصين إلىٰ مُحمَّديِّين مؤلِّهين للوثنية»[1].

◻ ومرَّةً أخرىٰ حلَّ «صبحي منصور» بهمِّه وغمِّه وضلالِه علىٰ مصرَ، وترك شَيخَه المزعومَ بعد عامٍ واحدٍ فقط، وقال «صبحي» عن «رشاد خليفة»: «إنه علا وتكبَّر بعدما أصبح نبيًّا»!!.

عاد «صبحي منصور» يبُثُّ سمومَه في المساجد، إلىٰ أن قُبض عليه بنفسِ التهم التي وُجِّهت إلىٰ المُتشيِّع «حسن شحاته» من إثارةِ الفتَنِ والتعدِّي علىٰ صحابةِ رسولِ اللَّه ﷺ والتشكيكِ في السُّنَّةِ النبويةِ المطهَّرة.

ولقد عَرَضَ «رشاد خليفة» علىٰ «صبحي منصور» النبوَّة فرَفَضها!! ثم لم يَلبثْ أنِ ادَّعىٰ النبوَّةَ لنفسِه في مايو ١٩٨٨، ولم يَخطُرْ ببالِه هذا من قَبلُ، هذا قول «صبحي منصور».. أما «رشاد خليفة»، فقال عن نفسه: إن الوحيَ قد هَبط عليه وهو في سِنِّ الخامسةِ والأربعين، أي في عام ١٩٨٠.. ولقد قُتِل هذا الدَّجَّالُ الكذَّاب.

◻ هذا المهووسُ الدجَّال أَطلق علىٰ الآياتِ التي لم تَخضع للرقم (١٩) «آياتٍ شيطانية»، وهما الآيتانِ الأخيرتان من سورة «التوبة»، وأنكرهما وقال: «إنهما أُقحِمَتَا علىٰ القرآنِ وليستا منه».. وقال: «اسمِي جاء في القرن ١٩ مرةً، ومِثلُه اسم أبي».

◻ وقال: «إن المسلمين عندَهم عقيدةُ التثليث: «الإجماع، والحديث، والسُّنَّة»، وهذا يتنافَىٰ مع القرآن».

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» (ص٦٧).

▫ وكَفَّر البخاريَّ، وقال: «جميعُ الأنبياء مِن قبلي لم يُؤتَوْا مِعشارَ ما آتاني ربِّي، والأنبياءُ ثلاثةٌ فقط هم: إبراهيم ومحمد وأنا».

▫ ويقول: «ليس هناك نصٌّ قرآنيٌّ يُلزِمُ زوجتي الأمريكيةَ بتغطيةِ شعرِها ووجهِها أو خَلعِ البنطلون».

▫ وقال: «أخبَرَني جبريلُ الأسبوعَ الماضي أنَّ كلَّ مَن يُنكِرُ السنَّةَ لن يموت، ولن يُوضَعَ في قبر، بل يَدخلُ الجَنَّةَ ومباشرةً.. كما أخبَرني مِن قبلُ أنَّ مَن يؤمنُ بي لن يُسألَ عمَّا ارتكبه من ذنوبٍ ومعاصٍ وفواحشَ قبلَ الأربعين».

▫ ولقد أعدَّ «صبحي منصور» بخطِّ يدِه رسالةَ مُدَّعي النبوةِ إلىٰ العالَم، وكان العنوانُ «رسالةٌ إلىٰ العالم الجديد» جاء فيها: «إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أمريكا التي تأسَّسَت علىٰ حُرِّيَّةِ العقيدة، والتي تَنفردُ في كلِّ بلادِ الدنيا بأن تكتبَ علىٰ عُملتِها «الدولار»: «نحن نُؤمن باللَّه»، ولذا فإن أمريكا هي أحبُّ الشعوبِ إلىٰ اللَّه؛ ولأنَّ العالَمَ القديم قد أُرسل إليه العديدُ من الرسل؛ فقد حان أن تتلقَّىٰ أمريكا بَرَكَةً عظيمةً «رسولاً من عند اللَّه»، يُساعِدُهم، ويَهديهم، ويَحُلُّ مشاكلَهم المستعصيةَ مع العقاقيرِ والكحولياتِ والجريمة والفقر.

وكما جاء الأنبياءُ مِن قَبلُ بمعجزاتهم، فإنَّ رسولَ اللَّه إلىٰ العالَم قد جاء بدليلٍ مُثبَتٍ بالكمبيوتر!!! والذين فَحَصوا البرهانَ جيِّدًا توصَّلوا إلىٰ قناعةٍ مُطلَقةٍ أنني رسولُ اللَّه، وباعتباري مكلَّفًا من قِبَلِ اللَّه مؤيَّدًا ببرهانٍ ماديٍّ - لا يُمكنُ أن يَدحَضَه أيُّ باحثٍ شريفٍ - يتمثَّلُ في قانونٍ رياضيٍّ هائلٍ ضِمنَ رسالةٍ إلهيةٍ إلىٰ العالَم، وقد ذُكر اسمي «رشاد» في

القرآن مرتين»اهـ.

◻ وعند وقوع الخلافِ بينه وبين «صبحي منصور» قال عنه «صبحي منصور»: «رشاد خليفة خليفة، هو الكاذبُ في كلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، وقد ظَلَّ يَكذبُ ويتحرَّىٰ الكَذِبَ حتىٰ خالَطَ الكَذِبُ كلَّ خَليَّةٍ من خلايا لَحمِهِ وعَظْمِهِ؛ لأن رشاد خليفة حين ادَّعىٰ النبوة والرسالة كان نبيًّا للشيطان ورسولاً من إبليس» اهـ. نقلاً عن «منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله.

*** مُنكِر السُّنَّة مصطفى كمال المهدوي الليبي: صاحب كتاب «البيان بالقرآن»:**

هذا الدجال المولود في الإسكندرية عام ١٩٣٤م لأبٍ ليبي، وعمل بالقضاء في ليبيا منذ عام ١٩٦٠م حتىٰ أحيل للتقاعد علىٰ وظيفة مستشار عام ١٩٩٤م، أشار إلىٰ إنكاره للسنة طه حبيشي.

◻ كَتَب هذا الضالُّ سلسلةَ مقالاتٍ في الصُّحُفِ الليبيةِ تحت عنوان: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤]، ثم نَشَرَها في كتابِه الذي يَحمِلُ فكره «البيان بالقرآن»، وقام الشيوخُ في ليبيا ضِدَّه، وعلىٰ رأسهم الشيخ المستشار القضائي علي ونيس «أبو زغيبة» الذي كان يَقِفُ علىٰ منبرِ مسجدِه كلَّ جُمعةٍ، ويَصِفُه «بالجَهول الظلومِ السَّفيهِ المُتسلِّط»، وردَّ عليه الأديبُ «عبدالكريم الوثَّاق» بعنوان «محاكمة البيان بالقرآن»، جَمَع فيه ما نُشِر في الصحافةِ من هجومٍ ونَقدٍ ضِدَّ الكتاب.

◻ يقول هذا المأفونُ في إنكاره لحدِّ الرجمِ للزانية المحصنة: «إنَّ لَفْظَي

«الزاني والزانية» جاءا مُعَرَّفينِ بالألف واللام، بما يدلُّ على ثباتِ الحالِ ودوامِه في ممارسةِ الزنا.. ولذا، فلا يَنطبقُ الحدُّ الشرعيُّ على الزاني والزانية إلاّ إذا كان ذلك عَمَلاً مستمرًا وثابتًا، أما الذي يَزني مرةً أو اثنتين لشهوةٍ أو نَزوةٍ ـ أو غيرِ ذلك ـ، فلا يُقامُ الحدُّ عليه.. أما المرأة، فتُحبَسُ في بيتها حتى يتوفاها الموتُ أو يجعلَ اللَّهُ لها سبيلاً».

ولقد أطلَقَ هذا الضالُّ لفظَ «أوصياء على الدين» بصفةِ الذمِّ على «أبي هريرة، وابنِ عباس، وأمِّ المؤمنين عائشة ﷺ».

◻ ويقول: «الإسلامُ قرآنٌ وسُننُ الأنبياءِ جميعًا!!! ليس قرآنًا وسُنةً».

◻ وحينما سُئِل: «ماذا تَقصِدُ بسُنَنِ الأنبياء؟ قال: أن نصبِرَ كصبرِ يعقوب».

◻ وهو يقول: إن الصلواتِ المفروضةَ خمسُ صلوات: «الصلواتُ الخمسُ ـ حَسْبَ القرآن ـ هي: فجر، وصبح، وظهر، وعصر، وصلاةٌ واحدةٌ من دُلوكِ الشمس إلى غَسَقِ الليل».

◻ ويقول: «الصلاةُ ركعتانِ ـ لجميعِ الصلواتِ من صلاةِ الصبحِ وحتى صلاة الدُّلوك».

◻ وكان يقول: «السُّنَّةُ ليست منهاجي، ولا أَقبلُ غيرَ مَنهجِ القرآن، ليس عِندي غيرُ القرآن، ولا تَلزَمُني السُّنة.. والسُّنَّةُ نَعرِضُها على القرآن».

◻ ويقول عن «العمرة» في كتابه (ص٩٤): «والعمرةُ هي عِمارةُ المسجدِ الحرام، وهي واجبةٌ للمساجد جميعًا، وتكونُ بالبناءِ والترميمِ والفَرشِ والإضاءةِ والمصاحفِ والصلاة فيها»!!.

أمَّا الحجُّ عنده، فطُوالَ سِتَّةِ أشهرٍ تقريبًا.

◘ يقول هذا المأفون: «إنَّ اللّهَ تبارك وتعالىٰ حَفِظ لنا كتابَه، وفيه الدينُ كلُّه مُفصَّل، وفيه السُّنَّةُ أيضًا، فيما تَصِفُ الآياتُ الكريمةُ خُلُقَ الرسولِ الكريمِ وأفعالَه وأقوالَه، فيجبُ أن نكتفيَ بذلك، ونَهجُرَ ما سواه.. إنه من الصَّعبِ أن نتأكَّدَ مِن أن الذي كَتب «صحيح البخاري» هو البخاريُّ نفسه.

إن ما يُوصَفُ بأنه «سنة رسول اللّه ﷺ» من حيث كونُها تكميلاً للقرآن، أو تفصيلاً، أو تفسيرًا، لهوٌ مردودٌ مرفوضٌ بآيات القرآن».

◘ ويقول عن «الصلاة» في كتابه: «قراءة الفاتحة ليست شرطًا في الصلاة، وإنما تُقرأ لأنها من القرآن، والفاتحة ليست هي «السَّبعَ المثاني»، و«السبعُ المثاني» هم: العينان والشفتان والأذنان.. إثباتًا لبشرية النبيِّ.

تسبيحُ المُصلِّي في ركوعٍ أو سجودٍ، وقولُ: «سمع اللّه لمن حمده»، كلُّه باطل.

ليست هناك صلاةٌ جهريةٌ وأخرىٰ غيرُ جَهرية، ولا تَشهُّدٌ أوسطُ أو أخير، إذ تنتهي الصلاة بالسجود.

لا صلاةَ جمعةٍ، إنما المقصودُ بآيةِ النداء هو قولُ: «الصلاة جامعة» عند كلِّ صلاةٍ مفروضةٍ في يومِ الجمعة، إذ لا أذانَ للصلاة في بقيةِ الأيام»[1].

◘ وفي فتوىٰ له عن حُكمِ أكلِ لحومِ الكِلاب قال: «إنَّ القرآنَ الكريمَ لم يَرِدْ فيه نصٌّ واحدٌ يُحرِّمُ علىٰ العمومِ أكلَ الكلابِ الضالَّةِ والمستأنَسة،

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللّه (ص٧٩-٩٤) ملخصًا.

ولذا فإنَّ لحمَ الكلابِ طعامٌ شهيٌّ لمن يريدون أَكْلَه، ولا إثمَ عليهم فيما يفعلون».

*** وتبقى السُّنَّةُ، ويَذهبُ منكروها إلى مزابل التاريخ:**

◘ قيل لعبداللَّه بنِ المبارك ـ شيخ الإسلام ـ: «هذه الأحاديثُ الموضوعةُ ما نَصنعُ فيها؟ قال: يعيشُ لها الجهابذةُ من الرجال».

* قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] تبقى السُّنَّةُ ما بَقِيَ ذِكرُ صاحبِها ﷺ على مَرِّ الزمان.. أما منكروها، فإلى مزابلِ التاريخ ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

◘ ورَحِم اللَّهُ القائلَ: «افتضحُوا فاصطلحوا»: انظر إلى هذا التواطؤِ الخسيسِ والخُيوطِ الخفيَّةِ بين مُنكرِي السُّنَّة في الهند ومصر:

◘ فـ «أحمد أمين» يُثنِي على السير «أحمد خان مرزا»، ويقول عنه: «إنه في الهند كالشيخ محمد عبده في مصر».

ويَنشر «أحمد خان مرزا» ـ من خلالِ مجلته الداعية لإنكار السنة ـ حلقاتٍ متتابعةً من كتابِ «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

ومِثلما وَضع «حسرت موهاني» و«نيار فتحبوري» أُسُسَ الضلالِ، وأصدَرَا مجلةً تحمل اسم «إنكار» في الهند، وَضَع «صبحي منصور» يَدَه في يدِ «فرج فودة»، وأصدر مجلة تحمل اسم «التنوير» في مصر، وطَعَنت المجلَّتانِ في العقيدة، وأثارتا الشبهاتِ حَولَ الوحي والقرآن وحُجِّيةِ الأحاديثِ النبويةِ، وحَطَّتا من أهميةِ الفقهِ الإسلاميِّ في حياةِ المسلمين.

وكانت جَماعتا «القاديانية والأحمدية» بأمريكا على اتصالٍ دائمٍ بمركزِ

«توسان»، حيث يَقبَعُ مُسيلِمةُ الكذَّاب مُدَّعي النبوة «رشاد خليفة» بمسجد «توسان». .

كبهيمــةٍ عميــاءَ قادَ زِمامَهــا أعْمَى علَى عِوَجِ الطريقِ الحائــرِ!

* * *

المنكرون للسُّنَّة جزئيًّا

وهم كثيرون يَجمعُهم جميعًا إعمالُ العقلِ وتقديمُه فوقَ النَّقلِ الصحيح، فمنهم مَن يُنكرُ أحاديثَ مسألةٍ معينةٍ من مسائلِ الشرع، وهذي أمثلة:

* على درب الوالد سار الابن:

مَشَى الطَّاووسُ يومًا باعوجاجٍ فَقلَّدَ شَكلَ مِشْــيَتِه بَنُــوهُ
فقال: عَلامَ تختــالون؟ فقالوا: بــدأتَ بِه ونحــن مُقَــلِّدُوهُ
فخالفْ سَيْرَكَ المُعْوَجَّ واعْدِلْ فإنَّا إنْ عَدَلْتَ مُــعَــدِّلُــوهُ
أمَا تَدْري ـ أبانا ـ كلُّ فَــرْعٍ يُجــارِي بالخُطَى مَن أدَّبوهُ!
ويــنشــأُ ناشِئُ الفتيــانِ منَّا على ما كان عَــوَّدَهُ أبُــوهُ

«حسين أحمد أمين» على دَربِ والده، وللابن كتابُ «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين»، وهذا الكتابُ أخَذ جائزةَ أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي ١٩٨٤م، وكلُّه طَعنٌ في السُّنَّة.

☐ يقول هذا الرجل: «ما كان أبي «أحمد أمين» يَفرِضُ علينا الصلاة»!.

☐ وله فتوىٰ عجيبةٌ في حدِّ السرقة، فيقول: «لقد كان الاعتداءُ على الساري في الصحراءِ بسرقةِ ناقتِه بما تَحمِلُ من ماءٍ وغذاءٍ وخَيمةٍ وسلاحٍ في

مَصافِّ قَتلِه، لذلك كان من المهمِّ للغاية أن تُقرِّرَ الشريعةُ عقوبةً جازمةً رادعةً بالغةَ الشدة لجريمةِ السرقةِ في مِثلِ هذا المجتمع»[1] .

▫ وقال عن الحِجاب: «وَهْمٌ صَنَعه الفُرسُ والأتراك، وليس في القرآن نصٌّ يُحرِّمُ سُفورَ المرأة أو يعاقِبُ عليه»، و«إن الرجالَ يتمسَّكون بالحجاب ليستبِدُّوا بالمرأة، فيُنفِّسوا عن قَهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا»[2] .

▫ وأتى «عبدالله عنان»، فأنكر أحاديثَ «المهديِّ المنتظَر والمسيح»، وكَتَب تحت عنوان «أساطيرُ دينيةٌ عمادُ حوادثَ كبرى في التاريخ»: «لم تزدهر هذه الأساطيرُ من الوجهةِ العلميةِ قَدْرَ ازدهارِها في الدولِ الإسلامية، وكانت «أسطورةُ المهدي» مِن بينها أقواها وأبعدَها أثرًا.. ومِثلُ أسطورةِ المهدي المنتظر «أسطورة المسيح»، وهي تَرجِعُ إلى أصلٍ يهوديٍّ، ولها في الإسلامِ مكانٌ أيضًا، بل تُمزَجُ أحيانًا بأسطورةِ المهديِّ، فيُقال: إن المسيحَ المنتظرَ يَظهرُ في إثْرِ المهديِّ أو يَظهرُ معه ويأتمُّ به».

*** وعلى الدرب سار الدكتور «مصطفى محمود»:**

فأنكر شفاعةَ الرسول ﷺ، وأنكر الرجمَ، وردَّ الأحاديثَ منذ ربعِ قرنٍ من الزمان حين أفادتنا مجلة «صباح الخير» في العدد (١٠٩٣) بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٩٧٦ بوقوف الدكتور على فِقهِ مُنكِري السُّنَّة وتأييدِه لهم، فهو يسير على مِنوالِهم.

---

(١) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين (ص١٤١) ـ طبعة مدبولي نقلاً عن «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد (ص٨٤) ـ دار المعراج ١٤١١هـ.

(٢) «موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين/ الأهالي القاهرية ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤م. عن كتاب «غزو من الداخل» (ص٥٥).

◻ وصَدَق القائل: «إنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفِتنة، فعليكم بالعتيق»[1].

* **العقيد مُعمَّر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي، وإنكارُه للسُّنة، وتصدِّي العلماءِ له، وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:**

◻ في ٣/ ٧/ ١٩٧٨م عُقِدت في طرابلس «ليبيا» ندوةٌ علميةٌ حول منزلة السُّنَّةِ النبويَّةِ من القرآن الكريم، شارَكَ فيها عددٌ من مفكِّري البلادِ الإسلامية، تحدَّث فيها الرئيسُ «معمَّر القذافي»، مُركِّزًا على التناقضاتِ التي ادَّعاها في الأحاديثِ النبويةِ التي تحتويها كتبُ الصِّحاحِ والسُّنَنِ، مستشهِداً بعددٍ من النصوصِ الحديثيَّةِ التي يَتصوَّرُ أنَّ بينَها تناقضاً، ثم ختم حديثَه قائلاً: «إنَّ في البخاريِّ ومسلمٍ أحاديثَ منسوبةً إلى النبيِّ ﷺ لا تتَّفقُ مع القرآن، وقد دُوِّنت بعدَه بأكثرَ من مِئتَي سَنَةٍ، يَرتفعُ فوقَها علامةُ استفهام».

◻ ثم يُضيف: «إذن لِنَجْمعْ كلَّ ما قيل من حديثٍ، ونُقارِنْه بالقرآن، فالذي يتَّفقُ معه نَعملُ به، والذي لا يتَّفقُ معه لا نَعملُ به، ولا نقول: «قال البخاري، وقال مسلم»، فالقرآنُ معروفٌ ومحفوظٌ، ولا يَختلفُ فيه المسلمون من «جاكرتا» إلى «طنجة»..».

بَثَّت قنواتُ الإذاعةِ والتلفازِ الليبية، ونَقَلت على الهواءِ مباشرةً هذه الكلماتِ القاسيةَ على كلِّ نَفْسٍ تنتمي إلى عقيدة الإسلام، فكانت صَدمةً أَلْجَمَتْ كلَّ أَلْسِنَةِ المسلمين في ليبيا الشقيقة، وهم يستمعون إلى رئيسِهم في أطولِ حديثٍ وأجرءِ حديثٍ سَهِرَ أمامَه الشَّعبُ الليبيُّ حتى الثانيةِ من صباحِ

---

(١) «السياسة الأسبوعية» (ص١٧) العدد ٩٥ بتاريخ ٣١/ ١٢/ ١٩٢٧م.

اليوم التالي.

وقبل أن تُشرِقَ شمسُ اليوم الجديد، كانت ليبيا ثلاثةَ أحزاب:

أولها: الحزبُ الذي صَفَّق طويلاً سعيدًا بما أسمَوْه في صُحفهم «بروتستانتية» إسلامية جديدة (!!).

وثانيها: الحزبُ الذي حَبَسَ غَضَبَه في صَدره مكلُومًا، يضربُ أهلُه كفًّا في حسرةٍ وألمٍ قائلين: «وإنْ سَلَّمْنا جَدَلاً أن هناك بعضَ الأحاديث النبوية المنسوبة كَذِبًا إلى النبيِّ ﷺ في كتب الحديث، فهل يجوزُ أن نتَّخذَ ذلك تُكأةً لهدمِ كلِّ معتقداتِ المسلمين؟!».

أما ثالث الأحزاب: فهم هولاء الذين التزموا الصمت، إمَّا جهلاً بخطورةِ ما سمعوا، أو خوفًا من تَبِعَةِ الغضبِ ـ فيما لو عَبَّروا عن مشاعرهم ـ، أو تجاهلاً متعمَّدًا»[1].

□ وجاء الرد «ببيانٍ من الرئاسةِ العامةِ للمجلسِ الأعلى للمساجدِ حولَ ما دار مع العقيد «معمَّر القذافي» حولَ إنكارِه للسُّنَّة النبوية كمصدرٍ للتشريع، كما تناقَلَتْها الصحف والأنباء»: على لسان الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «قام وفدٌ من الأمانةِ العامةِ للمجلسِ المذكور برئاسةِ فضيلة الشيخ «صالح بن محمد اللحيدان» عضوِ «مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية» وعضويةِ كل من فضيلة الشيخ «أبي بكر محمود جومي» كبيرِ قضاةِ نيجيريا وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ «أحمد الحماني» رئيس «المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر» وعضو الرابطة

(١) المصدر السابق (ص١١٨).

ومجلس المساجد، وفضيلةِ الشيخ «علي مختار» الأمينِ العام المساعد للمجلس الأعلىٰ العالمي للمساجد بزيارةِ الجماهيرية الليبية بِناءً علىٰ ما دار بين «الأمانة» و«الجماهيرية» للبحث مع فخامةِ العقيد «معمَّر القذافي» حول ما تناقَلَتْه الصحفُ والأنباءُ من إنكارِه للسُّنة النبويَّةِ أن تكونَ مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد تَمَّ بالفعل اجتماعُ الوفدِ بفخامته في الساعة السابعة والنصف من مساءِ يومِ الأربعاء الثاني عَشَرَ من شهرِ صَفَر ١٣٩٩هـ في مدينة «بني غازي» بليبيا، وتبادَلَ الجميعُ وِجهاتِ النظر، وبيَّن الوفدُ لفخامته الأدلةَ الشرعيةَ من الكتاب والسُّنةِ علىٰ عظيمِ منزلةِ السُّنة في الإسلام، وأنها الأصلُ الثاني في إثباتِ الأحكام، وأن العلماءَ قد عُنُوا بها، وعَرَفوا صحيحَها من سقيمِها، ووَضعوا لذلك قواعدَ وأصولاً يُعرَفُ بها صحيحُ الأحاديث من ضعيفِها، وأجمَعوا علىٰ اعتمادِ ما صَحَّتْ به الأحاديثُ، فأظهر اقتناعَه بأكثرِ ما قاله الوفد، وأوضَحَ فخامتُه للوفد موقفَه من الكتاب والسُّنةِ والحديث، وأنكر بشدَّةٍ ما نُسِب إليه من أنه حَذَفَ كلمة «قل» من «قل هو اللَّه أحد»، أو أنه صلَّىٰ العصرَ ركعتينِ حَضَراً، كما أوضح للوفد بأنه يعترفُ بالسُّنةِ الفعليةِ فقط ـ كالصلاة والحج ـ، أما الأحاديثُ القوليةُ، فإن ما يَصِحُّ عنده منها يُعمل به، ووعد أنه سيُعلن ذلك علىٰ الملأ.

هذا ملخَّصُ قرارِ الوفد، وقد سَرَّنا كثيراً رجوعُ فخامةِ العقيد إلىٰ الصوابِ في الأخذِ بالسنةِ الصحيحة، وقد دَلَّتِ الأدلةُ من الكتابِ والسُّنةِ الصحيحةِ واجتماعِ أهلِ العلم علىٰ أنَّ السُّنَةَ الصحيحةَ القوليةَ والفعليةَ والتقريريةَ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الإسلام، وهي الأصلُ الثاني في إثباتِ

الأحكام الشرعية وبيانِ الحلالِ والحرام، وهي الوَحيُ الثاني، كما أجمَعَ العلماءُ أيضًا على أنَّ مَن جَحَد كونَ السُّنةِ أصلاً معتَبَرًا يُرجَعُ إليه في الأحكام، وزَعَم أنه يكتفي بالقرآنِ عنها، فهو كافرٌ مرتدٌّ عن الإسلام، وقد صَنَّف في ذلك الحافظُ السيوطي رسالةً سَمَّاها «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، ذَكَر فيها الأدلةَ من الكتابِ والسُّنةِ والآثارِ على وجوبِ تعظيمِ السُّنةِ والأخذِ بها، وأنها الأصلُ الثاني من أصولِ الإسلام، كما ذَكر فيها إجماعَ العلماءِ على كُفرِ مَن أنكر السُّنةَ، وزَعَم أنه لا يُحتجُّ إلاَّ بالقرآن، ولا شكَّ أن مَن أنكر السُّنةَ فقد أنكر القرآن وكَذَّبه؛ لأنَّ القرآن الكريمَ قد أَمَر في مواضعَ كثيرةٍ بطاعةِ الرسول ﷺ واتِّباعِه، وعَلَّق الرحمةَ والهدايةَ ودخولَ الجنةِ والنجاةَ من النار على ذلك.

وقد كَتَبْنا في هذا المَقام مقالاً أبسَطَ من هذا البيانِ، ننشرُه قريبًا إن شاء اللَّه.

فالواجُب على فخامةِ العقيد أن يُعلِنَ توبتَه إلى اللَّه سبحانه من إنكارِه ما أنكرَ من السُّنة، وأن يُعلِنَ التزامَه بما صَحَّ منها عند أهلِ العلم ـ كأحاديثِ الصحيحين وغيرِها ـ مِمَّا صَحَّ عن رسول اللَّه ﷺ ـ قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً ـ . . . .»[1].

---

(١) مجلة «البحوث الإسلامية» ـ العدد الخامس محرم ـ جماد الثاني ١٤٠٠هـ تحت عنوان «إيضاحات وتنبيهات» للشيخ ابن باز (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومجلة «المجتمع الكويتية» العدد ٣٩٣ (ص٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح (ص٣٥٣ ـ ٣٥٤) وهذه رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

* وا إسلاماه:

في يوم الإثنين ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ، الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٠م صدرت جريدة «أخبار العالم الإسلامي» التي تُصدِرُها «رابطة العالم الإسلامي» من مكةَ المكرمة، تَحملُ مانشيتًا رئيسيًا: «القذافي رأسُ حربةٍ ضدَّ الإسلام». . أما الخَمْسَ عَشْرةَ صفحةً التالية من الجريدة، فكانت عبارةً عن مَلَفٍّ صحفيٍّ عن إنكارِه حُجِّيَّةَ السُّنَّةِ النبويةِ، وادعائه النبوَّةَ، وإنكارِه تعدُّدَ الزوجات، وحِجابَ المرأةِ في القرآن، وإلغائِه العملَ بالتاريخِ الهجريِّ، وتأييدِه الاستعمارَ الروسيَّ لأرض أفغانستان، ثم دعوتِه المُصلِّين في صباحِ عيدِ الأضحى من هذا العام إلى تَركِ الحج قائلاً: «فليعلمِ المسلمون في كلِّ مكانٍ من العالَم أن مكةَ الآن، والكعبةَ الشريفة ـ بيتَ اللَّه ـ، وأن المدينةَ المنوَّرةَ وقَبرَ الرسول، وأن جبلَ عرفاتِ المقدَّسَ: تَقعُ الآن تحتَ طائلةِ الاحتلالِ الأمريكي، فأيُّ معنًى للحجِّ هذا العامِ أو في الأعوامِ القادمة إذا استمرَّ الاحتلال؟! إنَّ المعنى الوحيدَ هو القتالُ والجهادُ لتحريرِ بيتِ اللَّه، ومَن يُمارِسُ شعائرَ الحجِّ متجاهِلاً هذه الحقيقةَ، إنما هو يُمارسُ عِبادةً ساذجةً ليست هي التي أرادها اللَّه، والآن المسلمون يؤدُّون شعائرَ الحجِّ تحت ظلالِ الطائرات الأمريكية[1]، وعندما يرفعون رؤوسَهم إلى السماء وهم يَدْعُون تَسقُطُ عليهم نفاياتُ وفضلاتُ الطائراتِ الأمريكية، ويعتقدون أنهم سيعودُون وقد غُفرت ذنوبهم وقُضيت حوائجُهم!! ولن تغفرَ الذنوبُ، ولن تُقضى الحوائجُ إلاَّ إذا تَحوَّل الحجُّ إلى معركة، وتَحوَّل الدعاءُ للغفرانِ

(١) أي صفقة طائرات التصنت.

إلىٰ دعوةٍ للجهاد والقتال»[١] .

◻ انظر إلىٰ شَطحِ العقيد وطوامِّه :

ـ يُبيحُ التعدُّدَ من اليتيمات فقط!! .

◻ ويقول: «كلُّ مَن يَخرجُ علىٰ القرآن هو من الخوارج ـ ولو كان مسلمًا ـ، وبذلك تنتهي مشكلة: هذا مسلم، وهذا مسيحي»[٢] .

◻ وعن مجموعتِه القَصَصِيَّةِ التي هلَّلَت لها وسائلُ الإعلام المسموعةُ والمقروءةُ والمرئيةُ بالجماهيرية الليبية ابتداءً من ديسمبر ١٩٩٣م، يقول الأستاذ الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن جامعة عين شمس: «تَهَكَّمَ في قَصَصِه الأدبية هذه بأسلوبٍ سُوقيٍّ علىٰ بعضِ صحابةِ رسولِ اللَّه ﷺ من أمثالِ خُبَيبِ بنِ عديٍّ، وخالدِ بنِ الوليدِ، وأمِّ أيمن. . إلىٰ أن بَلَغ به الأمرُ إلىٰ التهكُّم علىٰ أمِّ المؤمنين زينب ﵂.

وحتىٰ لا يَظنَّ ظانٌّ بنا سُوءً، فالمجموعةُ القَصصيةُ يمكنُ الحصولُ عليها، والتهكُّمُ والاستهزاءُ ليس فيه تَوريةٌ مما قد يكونُ حَمَّالاً للتأويلِ أو التجنِّي علىٰ الكاتب، إنما كان الكاتبُ العقيدُ واضحًا في ذلك تمامَ الوضوح»[٣] .

◻ يقول القذافي في خطبة ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (١٩/ ٢/ ١٩٧٨م)

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ـ جريدة «الأحرار» ١١ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٠هـ ـ ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ ـ الحلقة (١١).

(٢) «شبهات وشطحات منكري السُّنة» (ص١٢٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٤٠) ـ انظر جريدة «الأحرار» ٢٠ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٠هـ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٩٩ ـ الحلقة (٢٠).

عن النبي ﷺ نصًّا بأنه «مجرد بوسطجي»، وقال بالنصِّ في هذه الخطبة: «إنَّ المسلمين ابتَعدوا عن الدينِ الإسلاميِّ، وهم في طريقِهم إلىٰ النتيجةِ التي وَصَل إليها المسيحيون، ونحن الآن بدأنا عبادةَ الأصنام، وبالأحرىٰ في بدايته، فنحن نُجَسِّمُ النبيَّ حتىٰ يَحجُبَ اللَّهَ، ولو قلتُ لكم «رسولُ اللَّه» لقلتُم كلُّكم «صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم»، ولو قلتُ لكم: «اللَّه» لَمَا تكلَّم أحدٌ، وهذا نوعٌ من الاستعبادِ والوثنية».

◻ وقال نصًّا: «إنَّ صلاتَنا علىٰ النبيِّ ﷺ تَعني أننا نخافُه أكثَرَ من اللَّه، أو أننا نَرىٰ الرسولَ أقربَ إلينا، مِثلَ المسيحيينَ الذين قالوا: إنَّ عيسىٰ أقربُ من اللَّه».

◻ ويقولُ في خِطابِه هذا المطبوع (ص١٤): «النبيُّ لو كان يقول: اتَّبِعوا حديثي، يَعمَلُ بديلاً للقرآن، لكنه باستمرارٍ كان يؤكِّدُ تمسُّكَه بالقرآنِ فقط»!!!.

◻ و(ص١٦): «القرآنُ لم يَرِد فيه أن النبيَّ قال: عليكم أن تتَّبِعوا كلَّ الكلامِ الذي قُلتُه، وإلاَّ فأين الكلامُ الذي قاله لمدةِ أربعينَ عامًا قبلَ البعثة؟!»[1].

◻ وقال (ص٢٣): «لو كان الحديثُ الذي يقولُه الرسولُ يُعتدُّ به أو يُؤخَذُ كشريعةٍ، لَوَجب أَخذُ كلِّ كلامِه حتىٰ الذي قبلَ الرسالة».

◻ و(ص٢٦): «سُنَّةُ النبيِّ هي عَمَلُه، وليس كلامَه، فهل النبيُّ كان يَسرق؟ طبعًا لا، هذه سُنَّةٌ من سُننه، ومن أخلاقِه أنه لا يَكذِبُ ولا يَسرِقُ،

---

(١) هو نفس كلام رشاد خليفة.

وَيتَّصفُ بالأمانةِ والنزاهة، هذه هي السُّنَّة، أي أنها تصرُّفُ النبيِّ وطريقتُه في ذلك، إذن كيف نأتي بعد ألفَيْ سَنةٍ، ونقول: إنَّ الحديثَ هو السُّنَّة؟!».

◘ وفي عَمَله «وانتهت الجمعة بدون دعاء» يقول مستهزئًا متهكِّمًا من «أمِّ أيمن» ﵂ ـ والتي كان النبيُّ ﷺ يناديها «يا أمي»، ويقول: «هذه بقيَّةُ أهلِ بيتي» ـ، يقول عنها: «أمُّ أيمنَ كادت تموتُ عطَشًا بين مكةَ والمدينةِ وهي صائمة، فنزل عليها حِساءٌ من «شوربة بالمعدنوس»، ودَلْوُ ماءٍ معدنيٍّ ماركة «أفيان»، ولم تَعْطَشْ طِيلةَ عُمرِها بعد «أفيان»..».

◘ ويقول عن خُبيبِ بنِ عديٍّ ﵁: «وهل العِنبُ الذي كان يَسقطُ على خُبيبِ بنِ عديٍّ، وهو أسيرٌ عند المشركين في مكة، كان من كوكبِ الزُّهرة، أم من كوكب عُطارد؟! لأنَّ مكةَ لا عِنب فيها».

◘ ويقول عن سيف اللَّه خالد: «إنَّ خالدًا حاصرَ حِصنًا منيعًا للروم، وطَلَب منهم التسليمَ، فقالوا له: لا نُسلِّمُ حتى تشربَ السُّمَّ، فَشرِبَ قَدَحَينِ منه ولم يُوجِعْه مُصرانٌ واحدٌ من مصارينه»(١) انتهى ولا تعليق.

*** حسن التُّرابيُّ السُّوداني، يَرُدُّ السُّنَّةَ، ويَنحرفُ عن قواعد الدين، ويَطعنُ في الصحابةِ، ويُنكِرُ حَدَّ الرِّدَّةِ والرجمِ، ويُمجِّدُ الفَنَّ ورَقْصَ الباليه!!:**

مَن أراد أن يعرفَ ضلالَ هذا الرجل، فلْينظرْ إلى بعضِ أخطائِه كما يُعدِّدُها فضيلةُ الدكتور «جعفر شيخ إدريس»:

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السُّنَّة» (ص١٤٧، ١٤٨)، و«جريدة الأحرار»، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١/٩/١٩٩٩ ـ الحلقة (٢١).

- نظرتُه للسُّنةِ النبويَّةِ المطهرة.
- نظرتُه لصحابةِ رسولِ اللَّه ﷺ.
- نظرتُه إلىٰ فُقهاءِ أُمَّةِ الإسلام.
- نظرتُه إلىٰ مَجمَعِ تاريخ المسلمين.
- إنكارُه لبعضِ الحدودِ الشرعية.
- آراؤه المتناثرةُ في الاجتهادِ والمرأةِ والموسيقىٰ.

وزِدْ علىٰ ذلك نظرتَه أنه لا ضابَط لتفسيرِ القرآن، إلاَّ ما يُمليه تجديدُ اللغة، والاستحداثُ الاجتماعيُّ، والإعمالُ العقليُّ لفَهمِ الدلالة - دون أيَّةِ قيودٍ أو قوالب -.

وقد تَصدَّتْ له جماعةُ أنصارِ السنة بالسودان بشيوخها من علماءِ الدعوة السَّلَفية، وتَصدَّىٰ له الدكتور «عصام البشير» - وهو من قياداتِ العملِ الإسلاميِّ بالسودان -، وفي خُطَبِ الجُمعة أعلن هذا الداعيةُ الصادقُ بكلِّ وضوحٍ وعلىٰ الملأِ الحربَ علىٰ فِكرِ الترابي، وأهال كلَّ ترابِ السودان علىٰ رأسه، وما تحويه من نظرياتٍ تجديدية.

* **آراؤه في العقيدة:**

◘ يَذهبُ الرجلُ إلىٰ قولٍ ما سَبَقه إليه أحدٌ، وهو «تجديد العقيدة»، فيقول: «لابدَّ إذن من تجديدِ الفكرِ العَقَديِّ الإسلاميِّ في كلِّ طَوْر؛ لأنَّ الشِّركَ في كلِّ عهدٍ من العهود يتَّخذُ مَظهرًا مختلفًا»[(١)].

(١) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن ترابي (ص٤٢) - الدار السعودية للنشر طبعة ٢ - ١٤٠٧هـ.

❏ ويقول: «كذلك ينبغي لفقهِ العقيدةِ اليومَ أن يستغنيَ عن علمِ الكلام، ويتوجَّه إلىٰ علمٍ جديدٍ غيرِ معهودٍ للسلف»[١].

❏ ويقول: «لا تَجدُ في مباحِثِ العقيدةِ حديثًا عن الفن، كأنَّ التوحيدَ يَجمعُ الحياة كلَّها ـ صلاتَها ونُسُكَها ومَحياها ومماتها ـ، ويتركُ الفنَّ، ولكنِ الواقعُ أن مباحَثَنا العَقَديَّةَ الإسلاميةَ مباحثُ فقيرةٌ، وليست مباحثَ توحيديةً»[٢].

❏ ويقول عن الرسول ﷺ: «ما برضه الرسول ﷺ لا يَعلمُ الغيب، ومرَّات مرَّات يقول أخبار تطلع غَلَط»[٣].

❏ ويقول عن حديث الذبابة: «إنه أمرٌ طِبِّيٌّ آخذٌ فيه بقولِ الكافرِ، ولا آخذ بقولِ الرسول ﷺ، ولا أجدُ في ذلك حَرَجًا ألبتة»[٤].

❏ ويقول في عِصمةِ النبي ﷺ: «ولا إيه تقول في القرآن في العملوه الأنبياء دول والرسول ذاتو ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، و«ويتوب الله عليك»، وكان الرسول يستغفر، يستغفر من إيه؟ من الصلاة؟ هآ هآ هآ هآ».

* وهو يُنكِرُ نزولَ المسيح عليه السلام:

❏ قال محمد سرور بن نايف: «أنكر أستاذُ الحقوقِ الدستوريةِ في

(١) المصدر السابق (ص٤٤).

(٢) من محاضرة له ألقاها في الخرطوم وقوله هذا مسجّل بصوته.

(٣) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك جامعة أم درمان قسم الدراسات العليا.

(٤) نقلاً عن محاضرة له بصوته.

الجامعات السودانية الدكتور «حسن عبدالله الترابي» نُزولَ المسيحِ عليه السلام في آخرِ الزمان، فقلتُ له في مجلسٍ ضمَّنا قبلَ أكثرَ مِن إحدىٰ عَشْرَةَ سنةً: كيف تُنكِرُ حديثًا متواترًا؟ قال: أنا لا أناقِشُ الحديثَ من حيثُ سَنَدُه، وإنما أراه يتعارضُ مع العقل، ويُقدَّمُ العقلُ علىٰ النقلِ عند التعارض».

◘ وقال أيضًا: «هناك أحاديثُ قالَها الرسولُ ﷺ بصِفتِه البشريةِ، فهي ليست حُجَّةً رغم صِحَّةِ أسانيدِها».. وتَوَسَّع في ذِكرِ نماذجَ من هذه الأحاديث[1].

◘ ويقول في محاضرةٍ له مسجَّلةٍ بصوته: «كلُّ الصحابةِ عدول؟ ليه؟!!»[2] أي لماذا؟!.

◘ ويقول عن تنظيمه الذي يترأَّسُه في السودان مفضِّلاً له علىٰ مُجتمع الصحابة: «يعني نحن هسع[3] مثلاً تنظيم جماعة كالجماعة الإسلامية، طبعًا أدقُّ من تنظيمِ جمهور المسلمين في عهدِ الصحابة، طَلَّعوا لهم مجتمع «أي: الصحابة» نحن مآخذين منه نفسَ الآيات ونفسَ الأحاديث، طلَّعْنا مجتمع أدقَّ وأكفأَ وكده»[4].

◘ ويقول في سخرية عن ابن عباس: «وابن عباس ده كم مرة قال كلام كده، زرَّوه[5]، الآخر كده قال: ما قال الرسول، في الحقيقة كلَّمني

(١) «الصارم المسلول» (ص٦)، وكذلك قوله هذا مسجل بصوته في محاضرة له.

(٢) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف (ص٣٠٨) طبع دار الأرقم، وتاريخ كتابة المقال في شوال ١٤٠٦هـ.

(٣) الآن.

(٤) محاضرة مسجلة له.

(٥) أي: ضيّقوا عليه حتىٰ يبيّن الحقيقة.

الفضل ابن عباس»[١] .

▫ ويقول: «الصحابة، السيدة عائشة ما كانت تُناقِشُ الصحابةَ.. وتقول: كَذَبوا على رسول اللَّه ﷺ»[٢] .

* إنكارُه لبعض الحدود:

▫ في محاضرةٍ له بجامعةِ الخرطوم أجازَ للمسلمِ أن يرتدَّ عن دينه، فقد قال: «وأودُّ أن أقولَ: إنه في إطارِ الدولةِ الواحدةِ والعهدِ الواحدِ، يَجوزُ للمسلمِ كما يجوزُ للمسيحيِّ أن يُبدِّل دينَه»[٣] .

▫ ويقول عن الحُكم في «الرِّدَّة»: «هو حُكمٌ اجتهاديٌّ في تقديري، وليس حُكمًا حَدِّيًّا».

▫ وجَوزَّ هذا المأفونُ زواجَ المسلمةِ من الكتابيِّ.. نَقل ذلك عنه الدكتور محمود الطحان في كتابه «مفهوم التجديد بين السُّنة النبوية وأدعياء التجديد»، ويقول: «إن الشيخ «السنانيري» ظلَّ يُحاوِرُه على مفهومِه هذا الخاطِئِ طويلاً، وما اقتَنَع، وما عَدَل عن رأيه».

وهو يُنكِرُ حَدَّ الرجمِ بالنسبة للزاني المُحصَن[٤] .

▫ أمَّا حدُّ شُربِ الخمرِ، فيقول الترابي: «وكانت العقوباتُ التي افترضناها «أي: في لجنة تعديل القوانين» لشُربِ الخمر رفيقةً لا تتعدَّى

(١) من محاضرة له مسجلة.

(٢) «الصارم المسلول» (ص٨).

(٣) من محاضرة «تحكيم الشريعة» بجامعة الخرطوم نقلاً عن «الصارم المسلول» (ص١٢).

(٤) انظر «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للشيخ محمود الطحان (ص٣١) مكتبة دار التراث. وكتاب «الصارم المسلول» (ص١٢).

الجَلْدَ بين عشرينَ وأربعينَ، ولا تتعدَّىٰ السجنَ نحوَ شهرٍ أو أكثرَ من ذلك بقليلٍ وغرامةً قليلة»[1] .

◘ ويقول هذا الضالُّ في هَذيانه بدعوىٰ تجديدِ أصول الفقه: «لابدَّ أن نَقِفَ وقفةً مع عِلم الأصول تَصِلُه بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصولِ في أَدَبنا الفقهيِّ أصبحت تُؤخذُ تجريدًا، حتىٰ غَدَتْ مقولاتٍ نظريةً عقيمةً، لا تكادُ تَلِدُ فقهًا البتة، بل تولِّدُ جَدَلاً لا يتناهىٰ»[2] .

◘ وانظر إلىٰ قولِه في تجديد «الإجماع»، وهو الأصل الثالث من أدلة الشرع بعد الكتاب والسُّنَّة، وكما هو معلومٌ فإنه إجماعُ المجتهدين من الأمةِ لا إجماعُ الجهال.. يقول: «فيمكنُ أن نَردَّ إلىٰ الجماعةِ المسلمةِ حقَّها الذي كان قد باشَرَه عنها الفقهاء.. وهو سُلطةُ الإجماع؛ ويمكن بذلك أن تَتغيَّرَ أصولُ الفقهِ والأحكامُ، ويصيرُ إجماعُ الأمةِ المسلمةِ أو الشَّعبِ المسلم، وتصبحُ أوامرُ الحكَّامِ كذلك أصلَينِ من أصولِ الأحكام في الإسلام»[3] .

*** موقفُه من الفنِّ:**

◘ انظر إلىٰ مُدَّعي التجديدِ والمزكِّي لنفسه، يقول نصًّا: «كما قَدَّر اللَّهُ وأَرسل محمداً ﷺ وتلا (أي: تاليًا) للأنبياء ليجدِّدَ رسالتَهم، فبتوفيقٍ من اللَّه أرسَلَني لتجديدِ فقهِ محمد».

◘ ويقول عن الفنَّانين: «قد يكونُ بابُ الجنة الذي يدخُلون به، اسمُه

---

(١) «الصارم المسلول» (ص١٢).

(٢) «تجديد أصول الفقه» للترابي (ص٧) الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٤هـ.

(٣) المصدر السابق (ص٥٨).

باب الفنانين في الجنة»[١] .

◘ وقال محذِّرًا من إهمالِ الفن: «فلابدَّ إذًا من اتخاذِ الفنِّ لعبادةِ اللَّه، فمِن تلقائه يضلُّ كثيرٌ من الضالِّين، وبه يمكنُ أن يَهتديَ المهتدون، فمَن أهمَلَه تَرَك بابًا واسعًا للفتنة المُلهِيةِ عن اللَّه والداعيةِ إلىٰ معاصيه، ومَن أَخَذه بما ينبغي فَتَح بابًا واسعًا للدعوة إلىٰ اللَّه بدفعِ جاذبيةِ الجمالِ، ولعبادتهِ أجملُ وُجوهِ العبادة»[٢] .

وخُذْ آخِرَ الطوامِّ لهذا الضالِّ الذي يَجعلُ للراقصين والراقصاتِ والمطربين والمطربات وممثلاتِ الإغراء وعرايا الفنِّ السابع بابًا في الجنة باسمِهم!!.

◘ يقول عن «الرقص» لجريدة «الصحافة» السودانية: «الرقص تعبيرٌ جميلٌ، يُصوِّرُ معنًىٰ خاصًّا بما تَنطوِي عليه النفسُ البشريةُ من شعور».

◘ إلىٰ أن يقول: «ولا نُنكِرُ أنَّ في الغربِ رَقصًا يُعبِّرُ عن معاني أُخَرَ كريمةٍ»[٣] .

✍ أخزاك اللَّه، فليس بعد هذا إسفافٌ وابتذالٌ وجُنون.

* * *

---

(١) «الدين والفن» للترابي (ص١٠٦)، الدار السعودية للنشر ط١/ ١٤٠٨هـ، ومحاضرة له ـ وقوله هذا مُسجل فيها بصوته.

(٢) «الدين والفن» (ص١١٠).

(٣) جريدة الصحافة الصادرة في الخرطوم ١٥/ ١١/ ١٩٧٩م نقلاً عن «الصارم المسلول» (ص١٢).

* **خليل عبدالكريم وكتابه الأسود «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»:**

خليل عبدالكريم كاتبٌ يَسَاريٌّ، يَدُسُّ السُّمَّ في العسل، ويتطاوَلُ هذا القِزمُ على مَقامِ سيِّد الأنبياء، فيُلْقِمُه الحَجَرَ الدكتورُ إبراهيم عوض في كتابه: «ولكنَّ مُحَمَّدًا لا بواكيَ له.. هَتْكُ الأستار عن خَفايا كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»..».

▢ قال الدجَّالون الكذَّابون: إن كتاب رَفِيقهم خليل عبدالكريم «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»: «يُدافعُ عن الإسلام، ويَجلُو وجهَه الصحيح»!.

لكنَّ المؤلِّفَ يَذكرُ أن هذا الكتابَ من أوَّلِه إلى آخِرِه إهانةٌ لسيد البشر ﷺ، واستهزاءٌ شديدٌ به، لم تَشهدْ مِصرُ والعالَمُ الإسلاميُّ له مثيلاً، وحتى جاءت رسومُ الكاريكاتور الدانمَاركية، ويتساءل: أين الكرامة؟ أين العزَّة؟ أين حُبُّنا لنبيِّنا ودينِنا؟ ماذا سنقول لربِّنا إذا وَقَفْنا أمامَه وسألَنا: كيف رَضِيتم أن يُهانَ رسولي على مرأى منكم، ثم لا تُحركُون ساكنًا؟ ويَرى أن المسألةَ ليست مسألةَ إيمانٍ وكُفرٍ أو حريةِ عقيدةٍ وتعبير؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ حُرٌّ في أن يؤمنَ بما يشاءُ ويكفرَ بما يشاءُ، بل المسألةُ مسألةُ سفاهةٍ ورغبةٍ في إهانةِ الرسول الأكرم.

وقد استوحى المؤلِّفُ عنوانَ كتابه «لكنَّ محمداً لا بواكيَ له» من عبارة الرسول العظيم ﷺ التي قالها بعد انكسارةِ «أُحُد» حين رأى نساءَ المسلمين آخرَ النهارِ يَبكِينَ الشهداءَ إلاَّ حَمزة، فلم يكن يَبكِيه أَحدٌ، فقال ﷺ

متوجِّعًا: «لكنَّ حمزةَ لا بواكي له»، فعندئذ بكَتْه الباكياتُ أشدَّ البكاء.

* **الردُّ على كتاب «فترة التكوين»:**

يُشير المؤلِّفُ إلىٰ أنَّ خليل عبدالكريم لم يكن سِوىٰ مجردِ محامٍ مغمور، حتىٰ شرَعت بعضُ الصحفِ اليسارية تنشرُ له المقالاتِ والأحاديث التي تَلمزُ القِيَمَ الإسلاميةَ مِن طَرْفٍ خَفيٍّ، ولم يكن له إسهامٌ في مجالِ الفِكرِ والكتابة، إلىٰ أن ظَهَر فجأةً بعد أن أصبحَ شيخًا كبيرًا؛ حيث لم يكن لمقالاتهِ قيمةٌ كبيرة في أسلوبها ومضمونها وبنائِها الفِكريِّ، ثم انقلب الحالُ فجأةً، وصدرت كُتبٌ أسلوبُها مختلفٌ تمامًا، ومخدومةٌ من ناحية المصادر.

ويَرصُدُ المؤلِّفُ مفارقةً شكليةً هي: أن كُتبَ عبدالكريم يجتمعُ فيها غَريبُ الألفاظِ والصِّيَغ، مع الجهلِ بأصولِ النحوِ والصرف، مستنتِجًا أن هناك أكثرَ مِن يدٍ تشتركُ في تأليفِ هذه الكتب، وبالنسبة لكتاب «فترة التكوين» فإنه يستبعدُ أن يكونَ مؤلِّفُه مسلمًا؛ إذ فيه من الإساءةِ الجارحةِ للنبي ﷺ، ومن التفسيرات العجيبةِ لنبوَّته ما لا يمكنُ صُدورُه إلاَّ من مبشِّرٍ مُتعصِّبٍ مَطموسِ البَصَرِ والبصيرة، وهو ما يَعرِضُ الأدلةَ عليه في الصفحاتِ التاليةِ للكتاب.

ويُعطِي بعضَ الأدلةِ علىٰ استخدامِ الكلماتِ الغريبةِ مثل كلمة «اليعسوب» التي من معانيها في الاستعمالاتِ المَطمورة في طَيَّات المعاجم «الرئيس الكبير»، وتُستعملُ الآنَ في عِلمِ الأحياء عند الحديث عن النَّحلِ وعَسَلِه، فتَعنِي «مَلِكةَ النحل» والكلمةُ هي في الواقع للأنثىٰ لا للذكر، لكنْ صاحبُ كتاب «فترة التكوين» لَقَّبَ بها ورقةَ بنَ نوفل؛ لأنه ـ حَسْبَ إفكهِ ـ

هو الذي تولَّى كِبْرَ تثقيفِ محمدٍ ﷺ أو «قَلْوَظَتُه وصَنْفَرتُه وتلميعه» بُغية «تصنيعه» نبيًّا، والحقُّ أن «ورقةَ» كان رجلاً شريفًا نبيلاً، عندما استبان له أن محمداً نبيٌّ من عند ربِّ العالمين آمنَ به، وأعلنها مُدوِّيةً - وهو الشيخُ الطاعنُ في السنِّ - أنه إذا امتَدَّ به العمرُ، فسوف يَنصُرُه ويؤازِرُه ضدَّ سفهاءِ قومِهِ الذين يُؤْذُونه.

*** غرائب اللغة:**

◻ وكَرَّر صاحب كتاب «فترة التكوين» كلمة «النسوان» وأسقط أَلِفَها في عشراتِ المواضع، وجعلها «نسون»، ويحاولُ أن يتحذلقَ دائمًا في الحديث كقوله: «من المحال أن يتَّصفَ المنتظَرُ - أي: النبي المنتظر - بأه مُهتَلسُ العقل، أو هِجزع أو ذو زعارة»، وقوله مراراً: «الأيئة» عوضًا عن الهيئة، وهو ما لم يَجدِ المؤلِّفُ له تفسيراً، إلاَّ أن كاتب «فترة التكوين» قد ارتدَّ طفلاً لا يَقدِرُ على نُطقِ الهاء!.

◻ ومِن دواعي جَهلِه قولُه عند كلامه عن الرسول الكريم، وحُسنِ منطقِه، وفصاحةِ لسانه: «إنَّ «ميسرة» قد تحدَّث إلى خديجة عن «رهافة مذرب محمد» يقصد رهافةَ لسانه ﷺ . . أفلم يَجِدْ إلاَّ كلمةَ «مذرب» التي تَدلُّ معظمُ اشتقاقاتِ مادَّتِها على سَلاطةِ اللسانِ والبذاءة.

◻ وهناك أمثلةٌ على التحذلقِ بغرائبِ اللغة مع الجهل بقواعِدِ النحوِ والصرف، مثل: «بَيْدَ أنه فتًى يَفيضُ شبابًا وقوةً وحيويةً وسيمًا قسيمًا»، وصوابها: «وسيم قسيم»؛ لأنهما النعتان الثاني والثالث لـ «فتى»، أمَّا النعتُ الأول فهو «يَفيضُ شبابًا»، و«يقع تحت تأثير عَمَّاته؛ إذ تُعلن له . . »

وصوابها «يُعلن»: «ولا تعصي له أمرًا، ويا فلان»، وصوابها: «لا تعصِ» بحذف الياء من آخرِ الفعل على البناء للأمر، وقوله: «إن هذا ما يؤكِّده علماءُ الفرنجة المدقِّقين في تواريخ الأديان»، بدلاً من «المدققون» التي هي نعت لـ «علماء الفرنجة»، وكذلك قوله: «ما لك مسرع؟ ما لك مسرو؟ بدلاً من «ما لك مسرعًا؟ ما لك مسرورًا؟» بالنصب على الحالية.

◻ كما يقول عن خديجة ﵂: «إنها قد تيقَّنت على بَكرةِ أبيها بنفسِها من فصاحةِ محمد ﷺ أيامَ كان يَشتغلُ في تجارتِها قبلَ أن يتزوَّجها».

فماذا يعني بعبارة «على بكرة أبيها؟»، إننا نقول مثلاً عن جماعةٍ من الناس: «جاؤوا على بكْرةِ أبيهم»، أي: لم يتخلَّفْ منهم أحد، أمَّا أن يقالَ عن شخصٍ واحدٍ: «إنه جاء على بكرة أبيه»، فهذا هو البَلَهُ بعينه، «غِلٌّ على الإسلام والنبوة».

◻ ويؤكِّدُ المؤلِّفُ أن الكتابَ فوقَ ذلك يَفيضُ بالوقاحة ـ حَسْبَ تعبيره ـ والغِلِّ الغليلِ على الإسلام ورسوله، ورموزِه الكريمة، ويذكر بعض الأمثلة منها: «هذا الكتاب يقدِّمُ رؤيةً جديدةً، نزعمُ أنها غيرُ مسبوقةٍ لحلِّ هذا اللغز، الذي ملأ الدنيا، وشَغَل الناس»، يقصِدُ باللغز: نبوَّة سيدنا رسول الله ﷺ!!.

◻ وقال: «بدأنا مع محمدٍ قبلَ أن يلتقيَ أبوه بأمه، ثم وهو جَنينٌ في بَطنِ أمه، ثم صاحَبْناه ليلةَ مولده، ثم وهو مولود، ثم طفلٌ، ثم صبيٌّ، ثم شابٌّ، حتى التقطته سيدةُ قريش»، فتصور الوقاحةَ أن سيِّدَ الأنبياء، وكأنه صبيٌّ متشرِّدٌ يَهيمُ على وجهٍ دون أهلٍ أو مأوى!!.

☐ وقال: «إن هاجس قيامِ شابةٍ بكرٍ أو ثَيِّب مِثلها في «بكة»، أو ما حولَها بنَشلِ الحبيبِ المصطفىٰ، ونِكاحِهِ أَرَّقَ خديجةَ، وطَيَّرَ النومَ من عينيها الاثنتين».

☐ وهي لُغةٌ سُوقيةٌ ساقَها الكاتبُ علىٰ لسانِ خديجة أمِّ المؤمنين ﵂: «مِن ألزمِ اللازمِ أن أنكِحَه، بل وأسارعَ حتىٰ لا تَنتشَه منِّي إحدىٰ عذراوات أو أيامىٰ قريش».

تبيَّن لنا أن سيدة قريش «خديجة» جَفَّ رِيقُها، وحَفِيت قَدماها، وداخت السَّبعَ دُوخات، حتىٰ وافق إمامُ الأولين والآخِرين علىٰ خطبتها».

☐ «إن هذا الحَشدَ القويَّ.. وهذا الحِصارَ المُحكَمَ له حتىٰ رَفَعَ الرايةَ البيضاء، وسَلَّم لها بطلبها، ورَضِيَ أخيراً بنكاحها إياه.

أما من جانب الخاشع ـ أي: محمد، استهزاءً به ﷺ كما سيتضح فوراً ـ، فلا شكَّ أن القارئَ لم يَفُته أنه أصبح مَثَلاً، فذًّا في المطاوَعةِ والمُلاينة، «اجلس علىٰ فخذي»، يجلس، «تعالىٰ في حِجري» يأتي، «ادخل بين قميصي وجسدي..» يدخل».

ثم يتحدَّثُ صاحبُ الكتاب عن «خوارق الولد المبروك».

☐ ويقول عن أمِّ المؤمنين خديجة ﵂: «أطعَمَتْه الخَمير، فصار لها عاشقًا، وكيف لا يفعلُ وهي قد نَقَلَتْه نَقلةً لم يَحلُمْ بها مجرَّدَ حُلم، من عَسِيفٍ «أي: أجير» يكدحُ من مكةَ إلىٰ حُباشة، ومن قريةِ القَداسة «أي: مكة» إلىٰ الشام».

☐ «فقد ذاق «محمد» الحرمانَ، وكابَدَ المَسْغَبَه، وكواه الفَقر، فلا

يَسكُنُ رَوعُه، ويهدأُ بالُه، ويُطَمْئِنُ نفسَه، ويُرِيحُ خاطِرَه سوىٰ أن يوضعَ المالُ جميعُه بين يديه».

✍ وهي جُرأةٌ وصَفاقة ـ كما يقول المؤلف ـ في حقِّ الرسولِ الأعظمِ لاطمئنانه أن مَن يُهينُهم من المسلمين لا يغضبون بعد أن فَقَدوا كلَّ نَخْوة.

◻ ثم يَمتهنُ أسمىٰ علاقةٍ زوجيةٍ في تاريخِ البشر، بلغةٍ قذرةٍ قائلاً: «الذي تَرجَّح أنه رأىٰ الرسولَ في البداية عَصْلَج (عن التقدم لخطبة خديجة)، وامتَنَع واحتَجَّ.. إلخ ولكنَّ الطاهرةَ ـ أي: خديجة ـ بما لها من كَيْسٍ وفَطانةٍ ولباقةٍ وتَجرِبةٍ في معالجةِ البُعول، استطاعت أن تَثنِيَه عن موقفِه، وتأخذَ منه صَكَّ القبول، وشارةَ الرِّضا، وعلامةَ الوفاق».

◻ ويتَّهِمُ الرسولَ ﷺ بأنه جاهلٌ، وليس أكثرَ من بائعٍ يشتغلُ بأجرٍ قليلٍ عند إحدىٰ مُعلِّمات السوق الكبار قائلاً: «الذي حاز الثقافةَ الدينيةَ آنذاك ـ أي: في مكةَ عشيَّةَ البَعثةِ النبوية المشرَّفة ـ، أهمُّ نَفَرٍ من النُّخبةِ القُرَشية، أما الآخرون، وهم العامةُ الذين يكِدُّون في سبيلِ لُقمة عيش، فلا يُفكِّرون فيها مُجرَّدَ تفكير؛ إذ هي بالنسبة إليهم تَرَفٌ لا يَقدِرون عليه، ونحن إذا نَظَرْنا إلىٰ الأمرِ نظرةً عقلانيةً مجردةً، لابدَّ أن نتساءل: أنَّىٰ لفتًىٰ صغيرٍ خَرَج بالكاد من مرحلةِ الطفولة واشتَغَل برعْي الغنم، ثم بعد أن شَبَّ قليلاً عَمِل أجيرًا، أنَّىٰ له أن يَحوزَ ثقافةً دينيةً أو ثقافةً من أيِّ أنوع؟».

◻ وتتحوَّلُ خديجةُ أمُّ المؤمنين على يدِ الكاتبِ اللئيمِ إلىٰ «مُخرِجةِ أفلام»، كما يتحوَّل أبو بكر إلىٰ «كومبارس» في فيلم «تصنيع» النبي، الذي سيَضربُ الدنيا ويَقلِبُها رأسًا علىٰ عَقِب: «فردٌ واحدٌ من غيرِ هؤلاء ـ أي:

غيرِ ورقة وبحيرا وعَدَّاس وسرجيوس ـ أَسندت إليه «هندوز» التجربة ـ يقصد خديجة ـ دوراً صغيراً، حقيقةَ أنه لا يعدو ما يؤدِّيه كومبارس في شريطٍ سينمائي، بَيْدَ أنه بكلِّ المقاييس يُعَدُّ مشاركةً، ولو أنها عَجفاءُ هزيلةٌ ضامرةٌ ناحلةٌ، والفردُ الذي نَعنيه هو أبو بكر بن أبي قحافة».

* **افتراءاتٌ على أمّ المؤمنين خديجة والصحابة:**

◻ ويقول المؤلِّف: «إن فكرةَ الكتاب تقومُ على أن ورقةَ بنَ نوفل وخديجةَ بنتَ خُويلد، قد التقطا محمداً مِن بين أهلِ مكةَ ليُثقِّفاه، «ويُصنْفِراه ويُقَلْوِظاه ويُلَمِّعاه» ـ كما يقول المبشِّر الذي وراءه ـ كي يصنعا منه نبيًّا؛ إذ شاع وقتَها بين العربِ وأهلِ الكتاب أن هناك نبيًّا قادمًا، فأخذ الجميعُ ينتظرونه، لكنَّ ورقةَ وخديجةَ سَبَقا الباحثِين، فاختارا محمداً لِمَا سَمِعاه من الكراماتِ التي كان يقال: إنها تحدُثُ له منذُ أنْ كان في بَطنِ أُمِّه وأخضَعْاه لبرنامجٍ تدريبيٍّ قاسٍ يتلخَّصُ في أنْ تَقرأَ له خديجةُ ما يُترجِمُه ابنُ عمِّها ورقةُ من الإنجيل وتشرحُه له، وتَطلُبُ منه أن يُحفِّظَه، ثم يُعيدَ تسميعَه، بالإضافة إلى تفريغِها إياه من همِّ السَّعيِ وراءَ المَعاش بوَضعِ كلِّ ما تَملكُ من ثَرَواتٍ طائلةٍ بين يديه يفعلُ به ما يشاءُ، مع دَفعهِ إلى غَشَيانِ الأسواق والتجمُّعاتِ التي يَرتادُها الرهبانُ والمبشِّرون من كلِّ دينٍ كي يحتكَّ بهم، ويتعلمَ منهم ما ينفعُه مستقبَلاً في الوظيفةِ التي تُعدُّه لها هي وابنُ عمِّها إعدادًا».

◻ وهو يؤكِّدُ أن «ورقة» كان قَسًّا لكنيسةِ مكةَ وما يجاورُها، وكان كثيرٌ من أفرادِ قبيلةِ بني أسدٍ نَصَارىٰ، ومنهم خديجة ﵂.

◻ ثم يمضي قائلاً: «إنهما قد انتقلا بمحمدٍ بعد ذلك إلى مرحلةٍ

أخرىٰ، هي مرحلةُ الوِحدةِ والابتعادِ عن الناس بالتحنُّثِ في «غار حراء»، وشَجَّعه بكل ما يساعدُه علىٰ أن يَرىٰ في منامِه الرؤىٰ التي يَنبغي أن تحدُثَ للقادمِ المنتظَر، حتىٰ وقعت الواقعةُ فعلاً، ورأىٰ منامَ الغارِ الذي خَيَّل إليه أنه هو النبيُّ الموعود، فعندئذٍ أَعلنت خديجةُ للعرب ـ وهي في غاية السعادة بنجاحها هذا الذي لم تكن تتوقَّع رغم ذلك أن يكون بذلك الشكلِ الباهرِ ـ أنهم هم أيضًا قد أصبح لهم نبيٌّ كأهل الكتاب».

▫ ويقول المؤلف: «إنَّ الكاتبَ يُردِّدُ في غرورٍ وانتفاخٍ وتَعالٍ أنَّ دراستَه هي دراسةٌ جديدة تمامَ الجِدَّة، رغمَ أن هذه الأفكارَ ـ وغيرُها كثيرٌ ـ مأخوذةٌ من كتابٍ صَدَر في العام ١٩٧٩م في لبنان بعنوان «قس ونبي» لمن سَمَّىٰ نفسه علىٰ غلاف الكتاب «أبو موسىٰ الحريري»، والواضحُ أنه نَصراني، وإن كان من غيرِ المعروف هل هو لُبنانيٌّ أصيل، أم من المبشِّرين الذين يَعيشون في لبنان أو يترَدَّدون عليه.

*** ورقة بن نوفل ليس قسًّا:**

أبو موسىٰ الحريري هذا يؤكِّدُ أن الوجودَ النصرانيَّ في مكة ـ بل في الحجاز كلِّه ـ قُبيلَ البعثةِ النبويةِ كان كبيراً، وأن ورقةَ بن نوفلٍ كان قَسًّا لقريش في كنيسةِ مكة، وأنه هو الذي عَقَد قِرانَ النبيِّ ﷺ علىٰ خديجة ﵂، وألقىٰ خُطبةَ النِّكاحِ بوَصفِه كاهنًا يقوم بطُقوسِ الزواجِ النصرانية، لا بوَصفِه مجردَ قريبٍ للعروس، وأنَّ خديجةَ كانت آنَذاكَ علىٰ دينِ النصرانية. وكذلك محمد ﵇، وأن ورقةَ هو الذي دَرَّبه علىٰ التأمُّلِ الرُّوحيِّ والصلاةِ في «غارِ حراء»، وتولَّىٰ إعلانَ نبوَّتهِ علىٰ العرب، فالقَسُّ ورقة هو الذي نَقل كلمةَ «اللَّه» من العِبرية إلىٰ العربية، والنبيُّ قام بتبليغِها

إلىٰ قومه بالعربية، وأن القَسَّ الأستاذ رَغْمَ هذا كان حريصًا علىٰ التوارِي في الظلِّ خَلْفَ تلميذه، وأنَّ النبيَّ التلميذَ قد تَفوَّقَ علىٰ أستاذه، وعَمِل علىٰ أن تَجِيءَ رسالتُه مناسبةً لظروفِ البيئة والمجتمع، وأنه ليس هناك في الحقيقة وَحْيٌ سَماوِيٌّ، بل مجردُ تلقينٍ بَشَرِيٍّ من القَسِّ للنبي، وأنَّ واقعة «غارِ حراء» لم تكن إلاَّ رؤيا في المنام لا حقيقةَ لها في الواقع، وأنَّ الوحيَ قد فَتَرَ مُدَّةً بعدَ وفاةِ ورقةَ، بما يدلُّ علىٰ أنه هو مَهدُ الوَحيِ لا السماءُ ولا جبريل، وأنه إلىٰ جانبِ ورقةَ كان هناك خديجةُ وبَحيرا وأبو بكر.

كما أن الرهبانَ المذكورِين في كتاب «قَس ونبي» بصِفَتِهم أصحابَ دَورٍ مؤثِّرٍ في حياةِ محمدٍ هم هم الذين ذكرهم صاحب كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» كقَسِّ بن ساعِدة وبَحيرا وعَدَّاسٍ وغيرهم، والشيءُ الوحيد الذي يمكنُ أن يميِّزَ بين الكتابَينِ هو أنَّ الأخيرَ يُعطِي لخديجةَ دَورًا أكبرَ في توجيهِ محمدٍ وإعداده وتصنيعِه أكبرَ ممَّا يُعطيه إياها الكتابُ الأول، وبالمناسبة فكِلا الكاتبَينِ يؤكِّدُ أن ما أتىٰ به هو شيءٌ جديد لم يَسبِقْه إليه سابق، وإن كان الحريريُّ يقول ذلك دون طَنطنةٍ أو ثرثرة.

*** تشكيك وبراهين:**

ويُشكِّكُ الكاتبُ في أن «خليل عبدالكريم» هو الذي أَلَّف هذا الكتابَ علىٰ اعتبارِ أن ما فيه يَتشابهُ مع كتاب «قس ونبي»، مع اختلافِ بعضِ التفاصيل هنا وهناك، مما لا يؤثِّرُ في فِكرةِ الكتابين الرئيسية، ممَّا يَعني أن هناك جِهةً واحدةً وتبشيريةً فرنسيةً ـ حَسْبَ ما يرىٰ المؤلف ـ وراءَ هذين الكتابين، وَزَّعَتِ الأدوار، بحيث يَبدُوانِ وكأنهما من تأليفِ شَخصينِ مختلفَينِ يحاوِلانِ أن يُدخلاَ في رُوعِ القارئِ المسلمِ أن محمدًا ما هو إلاَّ

صَنيعةَ أيدٍ بشريةٍ نصرانية، وأنه لم يأتِ بأيٍّ شيءٍ جديد، ولا علاقةَ له بالسماءِ ولا بالوحي الإلهي.

□ ومِمَّا يَجعلُ المؤلِّفَ يستبعدُ تأليفَ «خليل عبدالكريم» للكتاب: «ما فيه من مصطلحاتٍ غريبةٍ لا تعرفُها العقليةُ التي تربَّت في جوٍّ إسلاميٍّ مثل: تسمية أنبياء بني إسرائيل بالبطاركة أو بمرادفها العِبري «الآباء الأولين» وتسميتِه إبراهيمَ ويحيىٰ - عليهما السلام - بـ «إبراهام ويوحنا»، ومثل ذلك اسم «ملاك الرب» الذي تردَّد كثيراً في الكتاب، وهو مُصطلحٌ نصرانيٌّ لا يمكن أن تخطئَه العينُ ولا الأُذُن، كما ينحازُ الكتابُ دون أدنىٰ داعٍ إلىٰ «صَفِيَّةَ» ضدَّ «عائشة»، رافعًا الأولىٰ وقومَها اليهود إلىٰ عَنانِ السماء، ولامزًا الثانيةَ لمزًا يظنُّ أنه يسيءُ إليها، ويُحقِّرُ من شأنِها هي وأبيها.

□ ومِن الأدلة التي يَسوقُها أيضًا أن الكتابَ يُكرِّرُ الاستشهادَ بالكتاب المُقدَّس في مسائلِ الرؤىٰ الدينيةِ والوحي باعتبارِه الفَيصلَ في الموضوع، والقولُ بأنَّ خَلْوةَ محمدٍ في «غارِ حراء» هي تقليدٌ يهوديٌّ نصرانيٌّ أخذَه ﷺ عن خديجةَ عن ورقةَ عن التوراة والإنجيل، وكذلك اختصارُ اسم «سفر إشعياء» مثلاً إلىٰ «إش» علىٰ عادةِ أهلِ الكتاب، بخلافِ المسلمين الذين يَذكُرون الاسمَ في هذه الحالةِ كاملاً، كذلك تَحسَّر الكتابُ علىٰ دخولِ الإسلام مصرَ وتسميتِه فتحَ عمرو بن العاص لمصر «استعماراً عربيًّا استيطانيًّا أتت في رِكابه قبائلُ كثيرةٌ دَهَسَت صعيدَ مصر المحروسة».

□ ومن أوجُهِ المشابَهاتِ بين الكتابَين تفسيرُهما الخاطئُ للآياتِ القرآنية، فنَرىٰ المسمَّىٰ «بأبي موسىٰ الحريري» يُفسِّرُ قوله تعالىٰ في سورة «الأحزاب»: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] بالقول: «إن المراد بـ «الأحزاب»، فِرَقُ النصارىٰ التي تتصارعُ فيما بينها حولَ طبيعةِ المسيح وصَلْبِه»، وما إلىٰ ذلك.. مع أن الآيةَ الكريمةَ إنما تتحدَّثُ عن أحزابِ المشرِكين الذين تجمَّعوا من كلِّ صَوبٍ لمحاربةِ النبيِّ والمسلمين في غزوة «الخندق».

◻ وبالمِثلِ يَشرحُ قولَه تعالىٰ في سورة «المائدة»: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] بأن الخِطابَ فيه موجَّهٌ إلىٰ المسلمين، وأن القرآنَ يُطالبُهم بالعملِ بالتوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ جميعًا، لا بالقرآنِ وحده، وقام باقتطاعِ عبارة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، التي تدلُّ دِلالةً قاطعةً علىٰ أنَّ الحديثَ موجَّهٌ لليهود والنصارىٰ لا للمسلمين.

وعلىٰ نفسِ النهج يتناولُ قولَه تعالىٰ في الآيات التالية: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، و﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قائلاً: «إنها تتحدَّثُ عن رُهبانِ النصارىٰ وقِسِّيسيهِم»، مع أنه لا صِلةَ بينها وبين الرهبان والقِسِّيسين علىٰ أيِّ نحوٍ من الأنحاء؛ إذ إنها تتحدَّثُ عن اتباع محمد ﷺ.

ثم إن كتاب خليل عبدالكريم يَستعملُ أسماءً غريبةً بدلاً من لَقَب «النبوة» أو «الرسالة» بطريقةٍ تَنُمُّ عن استهزاءٍ مثل: «الخاشع، والخاضع، والمسعود، وآكل الشعير، والمعطىٰ الوسيلة، وسعد الخلائق، والبهيِّ، والخالص، وراكب الأتان، وصاحب النعلين...» إلخ.

***هجومٌ أعمى تحت عَباءة إسلامية:**

ويَرىٰ المؤلِّفُ أن حَمْلَ كتابٍ يُهاجِمُ دينَنا اسمَ مؤلِّفٍ إسلاميٍّ أقربُ أن يكونَ له تأثيرٌ أقوىٰ في نفوسِ القُرَّاء المسلمين، والجميعُ يعرفُ قِصةَ الرسالة التي حَصَلَ بها «منصور فهمي» علىٰ درجةِ الدكتوراة في أوائلِ القرن العشرين مِن فرنسا، والتي صَوَّب فيها سِهامَ الاتهام الحَمْقاءَ إلىٰ الإسلام ورسوله ﷺ، ثم تبرأَ ممَّا جاء فيها، وعاد إلىٰ دِينِه، هذه الرسالةُ قام بطبعها وكتابتها بعضُ المستشرقين في هولندا، وأخذوا فهمي إلىٰ هناك، واقتَصَرَ دَورُه علىٰ قبولِ وضعِ اسمِه عليها، حتىٰ تَرُوجَ بين المسلمين ويكونَ أثرُها أعنفَ.

كذلك أورد د. «محمد سيد أحمد المسير» حالةً أخرىٰ، وهي كتاب: «لماذا القرآن؟» الذي صَدَر في ليبيا لمؤلِّفٍ يُدعىٰ د. «عبداللَّه الخليفة»، وكتاب: «قراءة في صحيح البخاري» لمؤلِّف يدعىٰ د. «أحمد صبحي»، فهما كتابانِ متشابهانِ تشابهًا ضخمًا، بل يكادانِ يتطابقانِ، ومع ذلك فقد صَدَر كلٌّ منهما في بلدٍ مختلفٍ والمؤلِّفِ مختلف.

ويَسعىٰ المؤلِّفُ إلىٰ كشفِ بعضِ التناقضاتِ في كتاب «فترة التكوين»، فيلاحِظُ أن كتاب: «شُدُّوا الربابةَ بأحوال مجتمع الصحابة ـ محمد والصحابة»، الذي يحملُ اسمَ خليل عبدالكريم أيضًا، يتَّهمُ الرسولَ ﷺ بأنه كان يَحرِصُ علىٰ الاطلاع علىٰ الكَنزِ المَعرفيِّ الدينيِّ الثمين، الذي كان في جُعْبةِ سلمانَ الفارسيِّ ليستعينَ به في صناعةِ القرآن، متسائلاً: لماذا يحرصُ النبيُّ علىٰ ذلك إذا كان ورقةُ وخديجةُ ـ حَسْبَما جاء في كتاب «فترة

التكوين» ـ ظلاً يُعلِّمانه ويقرآنِ عليه الكُتبَ الدينية، ويَشرحانها له، ويَستعيدانِه ما سَمِعَ نحوَ خَمْسَةَ عَشَرَ عامًا إلىٰ أن تأكَّد لها أنه قد تَمَّت ـ كما يقول الكتاب ـ بَرْمَجَتُه بما لَقَّنَاه إياه، حتىٰ صارَ لا يَخرِمُ منه شيئًا بسبب ذاكرتِه الحديديةِ التي لم يكن يُفلِتُ منها شيء.

وفي الصفحة (١٩) نراه يؤكِّدُ أن تَجربةَ تصنيعِ النبي التي قامت بها خديجةُ وورقةُ لا تَنفِي جانبَها الغَيبي؛ إذ لا تعارُضَ بين الأمرَينِ، لكنه بعدَ قليلٍ يَبني أن الإيمانَ بالخوارقِ والمعجزاتِ التي يُسمِّيها «مخاريقَ وشعبذات»، وهي تَسميةٌ لها دلالتُها المفضوحةُ التي لا تَخفَىٰ علىٰ أحدٍ، وهو جُزءٌ من ثقافةِ البيئةِ العربيةِ المتخلِّفة.

وزاد فنَفَىٰ في الصفحة (١٨٥) أن تكون حادثةُ «الغار» من الخوارق، بل هي نتيجةُ المجهودِ البشريِّ الذي قام به الاثنان.

◻ والكتابُ يُكرِّرُ أن ورقةَ وخديجةَ قد تعاوَنا إلىٰ أقصىٰ مَدًىٰ بهَدفِ تثقيفِ محمدٍ وقَلْوَظَتِه وصَنْفَرَتِه وتَلْميعه ـ كما يقول ـ، فكيف يتمُّ ذلك إذا كان الكتابُ نفسُه يَذكرُ أن ورقةَ أراد قبلَ ذلك أن يتزوَّجَ خديجة، لكنه لم يوفَّق؛ لأن أخته حاولت أن يعاشِرَها عبدُاللّه ـ والدُ الرسول ﷺ ـ كيما ينتقلَ إليها النورُ المقدَّس، الذي كان في وجهه، فصَدَّها وذَهَب إلىٰ آمنة زوجته، فعاشَرَها، فحمَلت منه بالقادم المنتظَر (ص٣٦)، فكيف يمكنُ أن يَنسَىٰ ورقةُ هذا كلَّه، ويَمُدُّ يدَ التعاونِ إلىٰ خديجةَ لِيصنعَ من محمدٍ نبيًّا، رَغمَ أنه نال هو وأختُه علىٰ يدِه ويدِ أبيه الهزيمةَ المُذلَّة؟!.

◻ وفي مواضعَ عديدةٍ من الكتاب (ص٣٩، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٢،

٦٤، ٦٦، ٣١٠)، يقول: «إن خديجة قد جَفَّ رِيقُها وداخت السَّبعَ دُوخات، حتىٰ وافق إمامُ الأولين والآخِرين علىٰ خِطبتها، وظَلَّت تُحاصرُه إلىٰ أن سَلَّم لها، ورفَع الرايةَ البيضاءَ بعدَه لمصلحةٍ منه شديدة».

◻ ثم نراه في موضعٍ آخَرَ يُعدِّدُ الفوارقَ التي تُميِّزُ خديجةَ علىٰ محمدٍ في الحَسَبِ والمالِ والخبرةِ والثقافة، ثم يَختمُ قائلاً: «إنَّ محمداً لم يكن يُصدِّقُ أن خديجةَ ترضَىٰ بالزواج منه» (ص٢٨٩).

فبأيِّ الكلامَين نأخذ؟ حسبُنا اللَّهُ ونعم الوكيل.

ويَمضي المؤلِّفُ مع مخازِي الكتابِ الأخرىٰ متسائلاً عن فِكرته الأساسية: إذا كانت خديجةُ تؤمنُ بأن هناك نبيًّا قادمًا، فكيف يَخطُرُ في ذهنها ـ مجردَ خُطورٍ ـ أن تقومَ هي بتعليمِه وتدريبِه وتثقيفِه وتوجيهِه، أو حَسْبَ لُغتِه «صَنْفَرَته وقَلْوَظَتِه وتلميعِه»؟ كيف يا تُرىٰ لبَشَرٍ عاديٍّ أن يصنعَ نبيًّا؟ وحتىٰ لو جارَيْناه، فهل تَستغرقُ هذه العمليةُ خمسةَ عشرَ عامًا؟.

إن المقصودَ بالتثقيف هنا هو قراءةُ التوراةِ والإنجيل، وشرحُهما له، فما الذي فيهما مما يمكنُ أن يستغرقَ شرحُه وفَهمُه خمسَةَ عَشَرَ عامًا؟ ولماذا أرادت خديجةُ أصلاً أن تصنعَ نبيًّا ما دام الأمرُ كلُّه تدبيراً بشريًّا؟ وأيُّ تدبيرٍ؟ تدبيرٌ هو إلىٰ التآمُرِ أقربُ منه إلىٰ استقامةِ الخُلُقِ والضمير.

◻ ويقول الكتاب: إن مكةَ بها أبرشية، وتَعُجُّ بالنصارىٰ، ولم يُورِدْ أيَّ مُصدرٍ لهذا الكلام، ويَردُّ عليه المؤلِّفُ بالقول: إنَّ دائرةَ المعارفِ الإسلاميةِ لم تَذكرْ أن مكةَ كان بها كنيسة، كما أن المبشِّرَ «بلابنس» يقول في كتابه: (Islam Croyances) «إن النصارىٰ المكيِّين كانوا حِفنةً ضئيلةً».

فما معنىٰ هذه الطنطنةِ بأن كثيرين من بَنِي أسدٍ كانوا نصارىٰ؟ .

إنَّ الروايات لا تَذكرُ لنا منهم سوىٰ اثنينِ، هما ورقة، وابن عمِّه عثمانُ بن الحُويرث، الذي ذَهَب إلىٰ قيصر، واقتَرح عليه أن يُوليِّه مكةَ، ففعل، فلما عاد ودعا قومَه إلىٰ النصرانية هبُّوا في وجهِه علىٰ بكرةِ أبيهم، وطَرَدوه شرَّ طَرْدة، مما يدلُّ علىٰ أن هذه الديانةَ لم يكن لها أيُّ أتباعٍ تقريبًا في مكة.

◻ ويَدَّعي الكتابُ أن خديجةَ ﵂ كانت نصرانية، ولم ترضَ أن يتزوَّج عليها النبيُّ ﷺ، وتخيَّل حِواراً بين خديجةَ ﵂ والرسولِ الأكرمِ ﷺ تقول فيه: «إنَّ ثقافتَنَا الدينيةَ تَحظُره حَظْرًا باتًّا، وماذا يقول بَحِيرَا وورقةُ وعَدَّاس، وناصحٌ ومَيسرة عنِّي؟» سيقولون: إن ملفِّقَ هذا الكلامِ مُبشِّرٌ رَقيع، وسيقولون: إن لجدِّ خديجةَ وأبيها وأعمامِها ـ نوفل وحبيب والمطَّلب ـ وأخيها العوَّامِ أكثرَ من زوجة، بل إن أخاها العوَّامَ قد خَلَف أباه علىٰ إحدىٰ زوجاته.

وإذا كانت خديجةُ هي التي صَنَعت من محمد نبيًا، فما العملُ إذا قلنا له: إنَّ عدداً من إخوةِ خديجةَ قد تأخَّروا في الإيمانِ بنبوَّةِ محمدٍ وحاربوه، بل إن بعضَهم مات وهو كافرٌ به؟ ومع هذا لم نَسمع أيًّا منهم يَرفعُ في وجهه ﷺ هذا السلاحَ؟ لماذا لم يُعايِرْه أحدٌ منهم بأنَّ أختَهم هي التي صَنْفَرَتْه وقَلْوَظَته؟ .

* **مقتطفات من الكتاب:**

◻ «إن مرجعيَّته دينيةٌ ذاتُ مَقامٍ محمود، ورُتبةٍ عالية، ودرجةٍ رفيعة

لدىٰ خديجة، أشارت عليها بأنَّ هذا الفتىٰ هو المأمول، وأنه حَتمٌ لازمٌ أن تُباعِلَه لكي تبدأَ معه تَجربةَ التأهيلِ والإعدادِ والتصنيعِ والتحضيرِ والصَّقْلِ والتهيئةِ الضرورية، كيما يَنتقلُ مِن فتًىٰ قُرشيٍّ هاشميٍّ إلىٰ القادم المنتظر» (ص٣٨).

□ «كان الأسىٰ المريرُ علىٰ فَقدِ خديجةَ أمرٌ بديهي؛ لأنها الأمُّ الرؤومُ، والوالدةُ الحنون، والزوجةُ الحبيبة التي آزَرَتْه، والتي لولاها لَمَا أكمَلَ التجربةَ حتىٰ نهايتها، وهي التي فَتحت له خزائنَها يَغرِفُ منها كيفما يشاء، وهي التي أتاحت له التماسَّ بالقَسِّ «ورقة» وغيره، مثل: «عداس وبحيرا»، وقضاءِ الليالي الطِّوال مع ابنِ نَوفل في المُدارسةِ والمذاكرة والمحاورة» (ص٩٥).

□ «ولم يَقتصر اعتناقُ بَني أسدٍ للنصرانيةِ علىٰ الرجال فقط، بل تعدَّاهم إلىٰ النِّسون، فهناك ثالثٌ أو ثالثةٌ أبناءُ عمٍّ الطاهرة الذين يَتنصَّرون وهي قُتيلة أو أُمُّ قتال، وقيل: فاطمة بنت نوفل، أي: أخت ورقة، وهي واحدةٌ من المرأتين اللتين تعرَّضتا لأبي محمدٍ عبدِاللّٰه بنِ عبدالمطلب، وهو في طريقه مع أبيه كيما ينكحُ آمنةَ، بعد أن رأتا بين عينيه نورَ النبوة، وله مئةٌ من الإبل» (ص١١٧).

□ «والخلاصة أن الحَلْقةَ الكتابيةَ الخارجيةَ التي رَبطت خديجةُ حَبْلَها بها، وتَشكَّلت من القَسِّ «ورقة» والراهب «عدَّاس» والراهب «سرجيوس»، ومُقدَّمُها الراهب «بحيرا»، قد وَصَلت إلىٰ درجةٍ رفيعةٍ من العِلم بالكتاب، وهذا أمرٌ له دلالة، وهو أن الطاهرةَ شدَّتها صِلةٌ وثيقةٌ، وعلاقةٌ حميمةٌ، وأصِرةٌ متينةٌ برؤوسِ أهلِ الكتاب في مكة والحجاز، وإلاَّ لَمَا نَجحت في

إنجازِ التجربة الفذَّة» (ص١٤٣).

◻ «ابنةُ أبي بكر تلميذةٌ وتابعةٌ ومتلقِّيةٌ، أمَّا سيدةُ نساءِ الدنيا فهي الأمُّ الرؤوم، وهندوز التجربة التي خرج منها «صاحبُ المَغنم» من الفتىٰ الهاشميِّ الذي طال التشوُّقُ إليه، والذي ردَّ الاعتبارَ إلىٰ العرب، وصار لهم حاملَ كتابٍ مثل «موسىٰ» بالنسبة لليهود، و«عيسىٰ» عند النصارىٰ، ابنةُ أبي بكر طَفِقَتْ تُناديه بصفةٍ مستمرة: «يا رسول اللَّه»، أما سيِّدةُ نِسوانِ قريش، فلمَّا توجِّهُ إليه خِطابًا تقول: «يا أبا القاسم»، أو «يا محمد»، هي التي تُوجِّهُ وتَطلُبُ إليه، وتُشيرُ عليه، بينما ابنةُ أبي بكر، فعلىٰ العكسِ، هي التي تُلبِّي وتُطيع وتأتمرُ بأمرِه، وتُنفِّذُ وتَسمعُ... إلخ، وهو الفَرقُ الواضحُ الذي لا يَحتاجُ إلىٰ زكانةٍ لمعرفته أو حتىٰ إلىٰ لَمسِه باليدِ بين خطابِ الهندوز واستجابةِ التلميذة» (ص١٥٤).

◻ «وولَجْنا بوابة التصديق (للمعجزات) لا من بوابةِ المعقولية ومَدخلِ المنطقيَّة، ولكن من طريقِ اتفاقِ المعجزات مع المستوىٰ الحضاريِّ والثقافيِّ والمعرفيِّ والعِلميِّ والإدراكيِّ، ومطابقتِها لخصائصِ مجتمعِهم وبيئتِهم ووسطِهم وتفكيرِهم، مِن هذه المناظيرِ تصبحُ صحيحةً، بل ونُصدِّقُهم، ونَفهمُ عِلَّةَ تصديقِهم إيَّاها أو قبولِها ممَّن يَتفوَّهُ بها، لماذا؟ لأننا قِسناها بمقاييسهم، ووزَنَّاها بموازينِهم، وكِلْناها بمكاييلهم، ونَظَرنا إليها بعيونهم، وعايرْناها بمعاييرهم» (ص٢٦٠).

◻ «مِن الأسباب القويَّةِ التي حالت دُونَ زواجِ محمدٍ بزوجةٍ أخرىٰ علىٰ الطاهرة، هو أنَّ «الثقافةَ الدينيةَ» التي هَيمنت علىٰ بَنِي أسدٍ رَهطِ أمِّ هندٍ تُحرِّمُ الجَمْعَ بين بَعْلَتَينِ، كما أنها تُحرِّمُ الطلاق؛ لأن ما رَبَطه الربُّ لا

يَفُكُّه العبد، هذا المَلْحَظُ البالغُ الأهميةُ غاب عن فَطانةِ كلٍّ مَن زَبَرَ «نَسَخ» سُطوراً في السيرة المحمدية المِعطار، سواءٌ من القُدامىٰ والمُحدَثين من العرب والأعاجم والفرنج» (ص٢٧٨-٢٧٩).

□ «ومن ناحيةٍ أخرىٰ فقد ذاق الحِرمانَ، وكابَدَ المَسْغَبة، وكَوَاهُ الفقر، فلا يَسكنُ رَوعُه مِن هذا الجانب، ويُهدِّئُ بالَه، ويُطَمْئِنُ نفسَه، ويُريحُ خاطِرَه سوىٰ أن يوضَعَ المالُ جميعُه بين يديه، ومن ناحيةٍ ثالثةٍ بهدفِ أن يُحكِمَ قبضةَ رِعايتها، وتشدَّ وَثاقَ عنايتِها له، وتُضاعِفَ من لَحظِها إياه، وجُمَّاعُ ذَيَّاكَ كلِّه يؤدِّي إلىٰ سُهولةِ المطاوعة، ويُسرِ المهاوَدة، وسَلَسِ المُوافقة، ممَّا يُوصِلُ في نهايةِ الأمرِ إلىٰ نجاحِ التجربة» (ص٣٠٩).

□ «في ليالي مكةَ الطويلة، تُشمِّرُ أمُّ هندٍ عن ساعدها، وتجلسُ إلىٰ ابنها وزوجِها «الأمين»، تقرأُ علىٰ مَهَلٍ، وتُطالعُ له بتؤُدةٍ صفحاتٍ من تلك الأبعاضِ والإصحاحات، وتَشرحُها له بقَدْرِ ما تتَّسعُ ثقافتُها الدينيةُ التي حَصَّلَتْها، كلُّ هذا مع استمرارِه في المَشي في الأسواقِ والسماع والمُحاورَة؛ لأنَّ هذه شعيرةٌ أساسيةٌ قَنواتُها متباينةٌ ودائمةُ الفَيض، وإذا أُشكِلَ عليها أمرٌ، أو التَبَس عليها شأنٌ، أو أعجزَتْها مسألةٌ هَرَعت إلىٰ اليعسوب «ورقة» تستوضِحُه ليفسِّرَ لها ما أُبهِم، ويُبيِّنَ لها ما غَمُض، ويَشرحَ ما خَفِيَ.

في تلك المدرسةِ أعطىٰ اليعسوبُ خلاصةَ عِلمِه، وحَشاشةَ معارِفه، وزُبْدَةَ تحصيلِه إلىٰ «المعصوم» بحضورِ الطاهرة، وخديجة تُنصِتُ وتُلاحِظُ وتُشجِّعُ «بطل التجربة» علىٰ مَزيدٍ من التدقيق، ومضاعفةِ التمحيصِ، والإكثارِ من المراجعة؛ لأنها لم تَكتفِ بإسْداءِ الفَضل الماديِّ (وهو إعفاؤه من الجري وراءَ لُقمةِ العَيش، وإطعامُه الخَمير، وإلباسُه الحرير)، بل

أضافت إليه جَميلاً معنويًّا يَبُزُّه ويفوقه» (ص٣٣٠).

□ «تأثَّر محمدٌ تأثرًا عميقًا إذن بما قُرِئ عليه بمعرفة الطاهرة من الإصحاحاتِ والأبعاض، التي ترجمها «ورقةُ» إلى اللغة العربية، وما حَصَّله قَبلَها وهو يَجُوبُ الأسواقَ من قَصَصِ أنبياءِ بني إسرائيل والرائين (جمع راءٍ من رؤيا)، وما يَسمعونه من أصواتٍ مثل: إشعيا وعاموس» (ص٣٥٦).

□ «إعلانُ نجاحِ التجربةِ العُظمى، وبوقوعها حُقَّ لخديجةَ أن تخاطِبَ أهلَ مكةَ بأعلى صوتها: ها هو القادمُ المأمولُ الذي طال انتظارُكم له، وكذا سائرُ عَرَب الجزيرة لتُفاخِروا به اليهودَ، ولتُنافِروا به النصارى؛ إذ لم يَعُدْ لأيٍّ منهما فضلٌ عليكم، وسوف يَرفعُ بيمينه كتابًا مِثلَ كُتُبِهم، وستَرَونه رائعًا» (ص٣٦٨).

□ «والذي نَدرِيه - على وجهِ التحقيق - أنه لا يَغُضُّ من قَدْرِ «الأطيب» أن يأتيَ لقاؤه بجبريل أو ملاك الرب أو الشيء.. إلخ في المنام، وأنه مجرد رؤيا؛ لأن إبراهيمَ أبا الأنبياء رأى مع المنام أنه يَذبحُ ابنَه، ويوسُفُ الجميل المليحُ الذي استأثر بشَطرِ الحسن - وتَرَك لسائِرِ البشرِ ذكوراً وإناثًا منذ زمانه حتى الآن الشطرَ الآخر - رأى عِدَّةَ أحلامٍ نصَّ عليها القرآنُ المجيدُ، فَضلاً عن أنَّ عدداً من أنبياءِ بني إسرائيلَ رأى رُؤًى، بل مِن بين هولاءِ مَن أَخَذ يُصرِّحُ بأن كلامَ الربِّ الذي يَنقُلُه إلى بني إسرائيل إنما جاء وحيًا مناميًّا، إذن لو دَرَس أولئك الكُتَّابُ المعاصرون ورجالُ مؤسَّسةِ شؤون التقديسِ نُتَفًا في عِلمِ الأديان المقارَن، أو طَرَفًا من تاريخِ الأديان لَفَقُهوا أنَّ بُدُوَّ المَلاك جبرائيل «إلهي» وهو نَعسانُ في «مغارة حِرَى»، أمرٌ لا غُبارَ عليه، ولا يَهبطُ

بُوصةً واحدةً بمقامِهِ العالي ودرجته الرفيعة» (٣٨٩-٣٩١)[1] .

في ذِمَّةِ العلمــاءِ هذا كُلُّــه إن كان فيــما بينَنَــا علماءُ

● قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه تعالى لا يَقبِضُ العلمَ انتزاعًا يَنتزِعُه من العباد، ولكنْ يَقبِضُ العلمَ بقَبضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتَّخَذَ الناسُ رؤساء جُهَّالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغيرِ علمٍ، فضَلُّوا وأضلُّوا»[2] .

● وقال ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يَنزِعُ العلمَ منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا، ولكنْ يَقبِضُ العلماء بعِلمهم، ويَبقى جُهَّالٌ، فيُسألون، فيُفتُون، فيَضِلُّون ويُضِلُّون»[3] .

☐ وعن ابن مسعود ﷺ: «قُرَّاؤُكم يَذهبون، ويتَّخذُ الناسُ رُؤساءَ جُهَّالاً يَقِيسون الأمورَ برأيهم».

* * *

---

(١) انظر مجلة «حصاد الفكر» العدد (١٦٨) ربيع الأول ١٤٢٧هـ-أبريل ٢٠٠٦م (ص١٧-٢٤).

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمرو.

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٧).

* سَلمانُ رُشدي الدَّجَّالُ الهندي المرتدُّ:

قِزمٌ حقير وشيطانٌ من شياطين الإنس، رواية «آيات شيطانية» وهي روايةٌ شيطانية كتبها حَشَّاشٌ في ماخور أُصيب بانفصامِ الشخصية، فصار يتردَّدُ بين القرد والحشاش.. يَسخرُ فيها ذلك المرتدُّ من كلِّ جميلٍ وطاهرٍ ونقيٍّ، ويناصبُ رسولَ اللَّه ﷺ العَداوةَ في أحقر صُورها.

أُقدِّمُ تلخيصًا كاملاً عنه وعن روايته، حتىٰ يَستشعِرَ المسلمون مَدَىٰ جُرمِهِ في حقِّ اللَّه وأنبيائه ورسله.. واللَّهُ يعلمُ أني أكتبُ بعضَ فقراتها والألمُ يَعتصِرُني، والحياءُ والخجلُ يفعلانِ بي ما يَفعلانِ أمامَ قُحَّتِه وفُحشِهِ وبَذاءَةِ قَلَمِهِ ودَنَسِهِ وحَقَارته.

* النشأةُ والخَلْفيَّة:

وُلد سلمان رشدي في «بومباي» بالهند سنة ١٩٤٧ ـ عام التقسيم وإنشاء الدولتين: الهند وباكستان ـ من أبٍ هنديٍّ يدعىٰ «أَنيس رشدي»، مرتدٍّ عن الإسلام، وتلقَّىٰ تعليمَه الأوَّليَّ في إحدىٰ مدارسِ التبشير المنتشرةِ آنذاك في الهند، حيث كان المبشِّرون يُقدِّمون له ولزملائه الطعامَ والكساءَ وغيرَه لاستمالتهم، فشَرِبَ في هذه السِّنِّ المبكِّرةِ كراهيةَ الإسلام وكلَّ ما يتَّصلُ به.. وهكذا تضافَرَ البيتُ والمدرسةُ في بناءِ شخيةٍ مهتزَّةٍ، صِلتُها بالإسلام مجرَّدُ تسميةٍ تُثبت في شهادةِ ميلادٍ أو بطاقةِ شخصيَّةٍ، وعواملُ انتزاعها من الإسلام أقوىٰ وأبقىٰ من عواملِ إدخالها فيه.

ولَمَّا كانت بَلدُهُ تُعاني أزَماتٍ اقتصاديةً بسبب خُضوعها للاستعمار مئاتِ السنين، وأخيراً بسبب الحرب بين الهند وباكستان، فقد كانت أُسرتُه

ضمنَ مَن هاجَرَ إلىٰ «إنجلترا» سعيًا للرزق، وهناك التَحَقَ بالتعليم الثانوي، ثم بكليةِ «المَلِك» في جامعة «كمبردج».

وبعد تخرُّجه بَحَث عن وظيفةٍ مناسبة هناك فلم يجد، فقرَّر العَودةَ إلىٰ موطنه الأصلي «شبه القارة الهندية»، ولكنْ هذه المرةَ إلىٰ باكستان، حيث أُتيحت له فرصةُ عملٍ في التليفزيون، بَيْدَ أن رَوائحَ الكفرِ والزندقةِ والطعنِ في الإسلام بدأت تفوحُ منه، ففُصِل من عملِه، وعاد إلىٰ لندن يجرُّ أذيالَ الخَيبةِ والإحباطِ، بعد أنِ امتلأ قلبُه حِقداً علىٰ الإسلام والمسلمين، وأخيراً وَجد عملاً في إحدىٰ وكالاتِ الإعلان، أعطَتْه دخلاً ثابتًا استطاع معه أن يتَّجهَ إلىٰ التأليف الرِّوائي.

◻ وفي عام ١٩٧٥ أصدَرَ روايتَه الأولىٰ «جريموس»، وعُمرُه آنَذاك ٢٨ عامًا، فلم يَلتفتْ إليها أحدٌ، فماتت في مَهدِها، وأصابه لذلك إحباطٌ شديد، ثم تزوَّج بعد ذلك بفتاةٍ إنجليزية تُدعىٰ «كلاريسا لوارد»، وعن طريقِها تعرَّف إلىٰ الناشرِين، فأصدر روايته «أطفال منتصف الليل»، وَصَف فيها حالَ الأولاد الذين يدخُلون الحياةَ وقلوبُهم خاويةٌ من الإيمان والقِيمَ الأخلاقية، ويأتُون إلىٰ عالَمٍ مَليءٍ بالمتناقضات، ولقد قال عن نفسه: «إنه يُشبِهُ إحدىٰ شخصياتِ هذه الرواية، ففي داخله ثُقْبٌ لم يُبقِ قَطرةً واحدةً من الإيمان عنده.

ولقد أثارت روايتُه ضدَّه ضجةً في الهند، إذ كانت تُوجِّهُ نقداً عنيفًا لسياسة السيدة «أنديرا غاندي» الخاصَّة بتعقيم الرجال، فأَدْلَتْ بتصريحٍ تتوعَّدُ فيه صاحبَ الرواية بتقديمه إلىٰ القضاء.

وفي تلك الأثناء مَنَحَته «إنجلترا» جائزة «بُوكر»، وكأنـها تَغيـظُ الهنـد

ـ الدولة المستقلة ـ والتي كانت يومًا ما إحدىٰ مستعمراتِها.

لقد بدأ يطفو علىٰ السطح، فها هي روايتُه «أطفال منتصف الليل»، تثيرُ ضَجَّةً في موطنه الأصلي ـ الهند ـ، وها هو يُمنحُ عليها جائزةً في موطنِ هِجرته، «إنجلترا».

بعد ذلك كَتب روايةً بعنوان «العار»، وانتظر أن يَحصُلَ بها علىٰ جائزة «بوكر»، إلاَّ أن لجنةَ التحكيم أسقطتها من الفوز.

ثم ما لَبِثَ أن طَلَّق زوجتَه الإنجليزية، وتزوَّج كاتبةً أمريكية اسمها «ماريان ويجينز»، لعلَّها تؤدِّي نفسَ الدَّورَ مع الناشرِين الأمريكيين.

وبالرغم مِن تعرُّفِهِ إلىٰ كثيرٍ من الناشرين في إنجلترا والولايات المتحدة، وتعرُّفِهم إلىٰ ما تتضمَّنه كتاباتُه من حقدٍ دفينٍ علىٰ الإسلام والمسلمين وتشجيعِهم لاتِّجاهه هذا، إلا أنه ظَلَّ مغموراً، بعيداً عن أضواءِ الشهرةِ العالَمية التي كان يَحلُمُ بها[1].

◘ ثم كانت روايته «آيات شيطانية»، التي تجرَّد فيها من كلِّ حياء، وقَذَف بنفسِه عاريًا أمامَ الجميع، في مستنقعاتِ الكفرِ والفجورِ والأكاذيب، فعَبَثَ بكلِّ المقدَّسات، ومِن بينِها المقدَّساتُ المشتركةُ بين اليهود والمسيحيين والمسلمين: «إبراهيم خليل اللَّه»، أبو الأنبياء، والأبُ الروحي لأصحاب الديانات الثلاث، كما عَبَثَ بملائكةِ اللَّه في السماء، وعلىٰ رأسهم «جبريل» أمينِ الوحي وأمينِ العَرش، إضافةً ـ بطبيعة الحال ـ إلىٰ عَبَثِه بمقدَّسات الإسلام.

---

(١) «آيات سماوية» للدكتور شمس الدين الفاسي (ص١١ ـ ١٤).

□ لقد انتهىٰ هذا الدجالُ الهنديُّ من تأليفِ روايته الشيطانية هذه في سنة ١٩٨٨، ونَشَرَتْها له دار «فايكنج برس»، وظَلَّتْ راقدةً في المكتبات لا تتحرَّك، ولا تمتدُّ إليها يَدُ قارئ، ثم ما لَبِثت دار «فايكنج برس» أن تخلَّصت منها، فباعتها إلىٰ دار «بنجوين»، وبقي الحالُ كما هو عليه من رُكودِ تلك السِّلعة البائرة، إلىٰ أن تنبَّه المسلمون إلىٰ ما فيها من فُحشٍ وأكاذيب، وتعريضٍ فاجرٍ بمقدَّساتِ الإسلامِ والمسلمين، فتحرَّكوا لوقفها، لكنَّ المتآمِرين كانوا يتوقَّعون هذا، فحَشَدوا طاقاتِ إعلامِهم لإثارةِ الغربِ المسيحيِّ كلِّه ضدَّ الإسلام والمسلمين، وخاطَبوا وُجدانَه وما استقرَّ فيه من كراهيةٍ وعِداءٍ دفين، فانطَمَستِ الأبصارُ وعَمِيَتِ البصائر.

□ وفي هذا الجوِّ المشحون، فَقَد العقلُ سلطانه، وتحوَّل المجرمُ الحقيقي «سلمان رشدي» إلىٰ ضحيةٍ بريئة، ووقف الغربُ جميعًا يُعلِنُ حمايتَه تحتَ شِعارٍ برَّاق، استُخدم بخداع، هو «حماية حقوق الإنسان»، ومن بينها «حقُّه في حرية التعبير»!!.

* عاصفةٌ كان يُمكنُ تفاديها:

عندما صَدَر الكتابُ في بريطانيا، حاولَتِ اللجنةُ المتحرِّكةُ للشؤون الإسلامية هناك اللجوءَ إلىٰ القضاء الإنجليزي للاحتكام ضدَّ الرواية، فاتَّضح لها أن القانونَ الإنجليزي يَحمِي فقط المذهبَ المسيحي الإنجليكاني، فحاولَتِ اللجنةُ بعد ذلك مفاوضةَ الناشرِ علىٰ أساسٍ أن يَكتبَ علىٰ غلافِ الرواية عبارة: «هذا الكتاب يُسيءُ إلىٰ الإسلام» كالعبارات التي تُكتب علىٰ السجايرِ وتُحذِّرُ من التدخين.. ولكنَّ الناشرَ رفض!!.

وأمامَ المعارضةِ الإسلامية، قرَّرت إحدىٰ دُورِ النشرِ البريطانية مَنْحَ الكتابِ جائزةً أدبيةً، وإخراجَه في طبعةٍ شعبية، عندئذٍ قامت المؤتمراتُ الشعبيةُ الإسلامية بمناقشةِ الحلِّ الأمثلِ لمواجهةِ هذا التحدِّي، فتوجَّهوا إلىٰ أسقُفِ إحدىٰ الكنائسِ بمدينة «برادفورد»، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديمِ احتجاجٍ إلىٰ الأسقُف، وطالبوه بأنْ يستخدمَ نُفوذَه ويُناشِدَ الحكومةَ البريطانيةَ وناشِرِي الكتابِ عدمَ نَشْرِه، ولكنْ لا جَدوىٰ. . فقامت الجماهيرُ الإسلامية بشراءِ الكتاب من الأسواق وأحرَقَتْه، ولكنَّ المطابعَ في استطاعتها أنْ تُنتِجَ المزيد.

فقام سكرتير اتحاد المنظَّمات الإسلامية في لندن بتوجيهِ خطابٍ إلىٰ السيدة رئيسةِ مجلسِ الوزراء، يدعوها فيه «من مُنطلقِ الحرصِ علىٰ المقدَّسات الدينية» إلىٰ الأمرِ من موقِعها كمسؤولٍ رئيسيٍّ «باتخاذ إجراءاتٍ قانونيةٍ ضدَّ الرواية ومؤلِّفها».

ثم قام سُفراءُ كلٍّ من باكستان وقَطَر والصومال بتقديم طَلَبٍ إلىٰ وزارةِ الداخلية البريطانية، يطالِبون فيه باتِّخاذ إجراءٍ حاسمٍ نحو الرواية.

□ وأخيراً جاء إعلانٌ من القصر الملكي: «أنَّ الكتابَ لا يَعرِضُ لعَمَلٍ يعاقَبُ عليه»!!.

□ ثم أعلن وزيرُ الداخلية بيانًا جاء فيه: «إن الحكومةَ لا تَنوِي إحداثَ تغييرٍ في قانونِ الطعنِ في المقدَّسات الذي يتعلَّقُ فقط بالديانة المسيحية».

وأمامَ التعَّصب «الديمقراطي»! انفجرتِ المشاعرُ الإسلاميةُ التي لم يَستطعِ الشيطانُ تلجيمَها، انفجرت أولاً في بريطانيا، فسارت المظاهراتُ

تُطالِبُ باتخاذِ موقفٍ حاسمٍ ضدَّ «آيات شيطانية»[1] ، ثم انفجرت بعد ذلك في العالَم كلِّه، ثم توالت رُدودُ الأفعالِ من كِلا الجانبين.

◘ لقد كان بالإمكان تفادِي هذه العاصفةِ التي أَحدثت ـ حتىٰ الآن ـ تصدُّعًا خطيراً في علاقاتِ المسلمين بالغرب المسيحي، بعد أن أظهرت قضيةُ «الدجَّال الهندي» أن صليبيَّته العمياءَ في نهايةِ القرن العشرين لا تزالُ كما كانت في نهايةِ القرنِ الحادي عَشَر، وكان بإمكان بريطانيا أن تعالجَ الموقفَ بحكمةِ الساسةِ المتمرِّسين، وذلك بإعادة النظرِ في قانونِ الطعنِ في المقدَّسات، بجَعلِه يتضمَّنُ حمايةَ اليهوديةِ والمذاهبِ المسيحيةِ الأخرىٰ مثل «الكثلكة والأرثوذكسية»، إضافةً إلىٰ الإسلام، بدلاً مِن قَصْرِه علىٰ المذهبِ الإنجليكاني فقط، وما كان هذا العملُ ـ لو تمَّ ـ إلاَّ لِيحظَىٰ بتقديرٍ عالَمِيٍّ، باعتبارِه برهانًا علىٰ تأكيدِ حريةِ المعتقدات، ووسيلةً فعَّالةً للتعايُشِ السِّلميٍّ بين أصحابِ الأديان.

◘ لكنَّ الحكومةَ الخفيَّةَ لا تَرضىٰ بذلك، وهي تُمسِكُ بيدِها خيوطَ دُمًىٰ كثيرةٍ تُحرِّكُها كيفما تشاء. . وكان أنِ ازداد الموقفُ اشتعالاً . . فنُشِرت إعلاناتٌ مدفوعةَ الأجرِ شَغَلت مساحاتٍ كبيرةً من الصحف العالمية، وظَهَرت حملةٌ واسعةٌ من التحقيقات الصحفية واستطلاعاتِ الرأي، وقامت محطَّاتُ التليفزيون بالدَّقِّ علىٰ حواسِّ المشاهدين، وكلُّها تسيرُ في خطٍّ واحدٍ، هو «إثارة الغربُ ضدَّ الإسلام والمسلمين»، وبلَغت إحدىٰ مَوجاتِ الإثارة قِمَّتَها حين قام بعضُ طلبةِ جامعةٍ في «النمسا» بعَقدِ نَدوةٍ،

---

(١) «سلمان رشدي شيطان الغرب» سعيد أيوب (ص٨٦، ٨٧).

هي في حقيقتها «قُدَّاسُ صلاةٍ مسيحيٌّ»، تُليت فيه فَقراتٌ من كتابِ ذلك «الدجَّال الهندي». . سبحان اللَّه!!.

▫ كأن الغربَ قد عثَّرَ على إنجيلٍ مخفيٍّ، جاء به ذلك «الدجَّال المنتظر»، كما سَبَق أن عثَّر على بعضِ أسفارِ الكتابِ المقدَّس جنوبَ البحرِ الميِّت عام ١٩٤٧م.

لقد بَلَغَ الاستفزازُ مداه، وخاصةً عندما تتحدَّثُ الصحفُ والإذاعاتُ العالَمية ـ وعلى رأسها هيئةُ الإذاعةِ البريطانية التي توجِّهُ إذاعاتِها خصيصًا إلى العالَم الإسلامي ـ، فتَصِفُ ذلك «الدجَّال» باسم: «الكاتب المسلم سلمان رشدي»!!.

مَن ـ يا تُرى ـ ذلك الكاتبُ الأُسطوريُّ، الذي حَظِيَ فجأةً باهتمام الغرب والعالَم، وصار حديثَ كلِّ لسان، كأنه ظاهرةٌ غيرُ مألوفةٍ أو مرضٌ خطير ـ كالإيدز ـ لم تَعرِفْه البشريَّةُ مِن قبل؟! فلم يَحدُثْ أنِ اصطَدَمَتْ عينايَ في أيٍّ مِن مكتباتِ لندن على مجرَّد ورقةٍ تحملُ هذا الاسم، ولم يَخدِشْ بَصَري أيُّ مُلصَقٍ من إعلاناتِ الحائط يَحملُ ولو نِصفَ اسمه. . وها هي قائماتُ الكتب التي تُصدِرُها دَوْريًّا بعضُ دُورِ النشر، تَصِلُني تِباعًا، ولا يوجدُ في أيٍّ منها ذِكرٌ لهذا النكرة!!.

هنالك، صَدَرت عن «إيران» فتوى تُبيحُ إهدارَ دمِ مؤلِّف رواية «آيات شيطانية»، فتلقَّفَها رؤوسُ الفتنة في الغرب، واستطاعوا تصعيدَ المواجهة مِن مستوى الأفرادِ والهيئاتِ إلى مستوى العملِ السياسيِّ الرسمي، فانعقد المجلسُ الوَزاريُّ للسُّوق الأوربية المشتركة في اجتماعٍ غيرِ عاديٍّ، وأدانَ إيرانَ بعنف، وقرَّر سَحبَ سُفراءِ دُوَلِه من طَهران، وفَرَض عقوباتٍ عليها،

وقد عَلَّق وزيرُ خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعي الأوربي، بقوله: «إنها أولُ مرةٍ ـ في حدودِ علمي ـ، التي تُعرِبُ فيها المجموعةُ الأوربيةُ عن غَضَبِها على هذا النحو»!.

□ وفي «أوتاوا» رَفَضَ سفراءُ ٢٥ دولةً إسلاميةً طَلَبًا من «كندا» بإدانة إيران، كما رَفَضت الحكومةُ الكندية ـ في نفسِ الوقت ـ طلبًا من السفراءِ المسلمين بِمَنْعِ تداوُلِ الكتاب أو ادخالِه إلى كندا.

□ وفي «واشنطن»، تعهَّد المدَّعي العامُّ الأمريكي، أمامَ عددٍ من ناشري الكتب، باستخدامِ كلِّ الوسائلِ الممكنةِ لوقفِ الجهودِ الرامية إلى مَنعِ نشرِ الكتاب في أمريكا.

□ وأصدر البرلمان الألماني بيانًا جاء فيه: «إن إعلانَ الإمامِ الخُميني عن قتلِ سلمان رشدي هو بمثابةِ إعلانِ الحرب على القِيَم الغربية».

□ وفي لندن ـ مسرحِ المؤامرة ـ، وقَّع ٣٤ عضوًا من مجلسِ العموم على مشروعِ قرارٍ يَحُثُّ الحكومةَ على ضمانِ سلامةِ رشدي.

□ ووصفت السيدة «مارجريت تاتشر» ـ رئيسة الوزراء ـ فتوى إيران بأنها تهجُمُ على حريةِ الكلمة التي هي من الحريَّات الأساسيةِ للإنسان.

لقد اختلطت الأوراقُ تمامًا، وهذا ما يريدُه المتآمرون.

□ ولقد حَوَّل الغربُ صِدامَه السياسيَّ مع إيران إلى صدامٍ مع الإسلام والمسلمين، واستهانَ بمشاعر ١٠٠٠ مليون مسلم، بينهم ٥٠ مليونًا في إيران، ولا أدلَّ عن مدى التخبُّطِ السياسيِّ الذي وقعت فيه دُولُ الجماعة الأوربية من أنها بدأت تُعيدُ سفراءَها إلى إيران بعد أسابيعَ من سَحبِهم،

ودون أيِّ تغييرٍ في الموقفِ الإيراني، سواءٌ بالتراجع عن الفتوىٰ أو حتىٰ بإدخال تعديلٍ عليها.

* «مقاطعُ شيطانية»:

هذه هي الروايةُ الرابعة في سلسلة إنتاج «الدجال الهندي» سلمان رشدي لهذا النوع من الروايات الخيالية، وهذا يعني أننا أمامَ عملٍ لا علاقةَ له بالدراسات العلميَّةِ الجادَّةِ التي تقومُ علىٰ المنطقِ والبرهان واستجلاءِ الحقائق وتقريرِها، وكَشْفِ الشبهاتِ ودَحْضِ الأكاذيب.

تبدأُ الرواية بإهداء: «إلىٰ ماريان»، زوجتِه الأمريكية الثانية التي تزوَّجها بعدَ طلاقِ زوجته الإنجليزية «كلاريسا»، وقد عُرِف عن «ماريان» هذه أنها كاتبةٌ مُلحِدة، تهاجمُ الأديان ـ ومِن بينها المسيحية ـ.

◻ وتتكوَّنُ الروايةُ من تِسعةِ فصول:

الأول، باسم: «المَلَك جبريل»، وهذا يُعطِي انطباعًا مبدئيًّا للقارئ أنه بصددِ قراءة شيءٍ عن الوحي والدين.. ويتحقَّقُ توقُّعُ القارئِ، حيث يأتي:

الفصل الثاني مباشرةً باسم: «ماهوند»، وهو ما كانت تُنادِي به أوروبا عصورِ الظلام، النبيَّ محمداً، بعد أن اخترعه رجالُ الكنيسة والكتاب والشعراء، تحقيراً وإهانةً! ثم تتعاقبُ الفصول:

الثالث باسم: «الودين ديووين».

والرابع: «عائشة»!.

والخامس: «مدينة مرئية لكن مخفية».

والسادس: «عودة إلىٰ الجاهلية»!.

والسابع: «المَلَك عزرائيل».

والثامن: «شق بحر العرب».

والتاسع: «مصباح عجيب».

◘ وقد أُلحقت صفحة شُكر ـ رقم ٥٤٩ ـ في آخرِ الرواية، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩، يتحدَّثُ فيها المؤلِّفُ عن اقتباساتٍ مِن بعض تراجم معاني القرآن، فيعترفُ بأن تلك الاقتباساتِ إنما هي «تركيبة» من مجموعةٍ من أعمالِ المترجِمين السابقين مثل: «داود» ومولانا «محمد علي» وغيرهما، إلا أن أخطرَ ما في الموضوع هو اعترافُه بإحداث تغييراتٍ من عنده.

وهو يَذكُرُ في تلك الصفحة مجموعةً من الروايات التي اقتَبس منها وكانت مصدرَ إلهامٍ له، إلاَّ أنه يُقِرُّ باعترافٍ خطيرٍ آخَرَ، جاء في آخِرِ سطرين، يقول فيه: «أرجو أن تكونَ هُوِيَّةُ كثيرٍ من المؤلِّفين الذين تعلَّمتُ منهم واضحةً من خلالِ النصِّ. أمَّا هُوِيَّةُ الآخرين فيجبُ أن تبقىٰ غُفْلاً».

◘ ويلاحقُه هنا سؤال: لماذا أغفَلَ ذِكرَ أسماءِ هؤلاء؟!.

إن الإجابة المنطقية، التي تتبادرُ إلىٰ الذهن، هي أنهم شركاؤه في المؤامرة.

ولقد حَدَث ما هو متوقَّعٌ من اعتراف «الدجَّال الهندي» بالعبث بتراجم القرآن، فهو يقتبسُ آياتٍ من سورة النجم ـ التي زَعَم كالزنادقةِ السابقين أن النبيَّ أضاف إليها عبارتَين شيطانيَّتَينِ تَمدَحُ آلهةَ المشركين ـ، ثم هو يَعبَثُ بصيغةِ الآيات المقتبسَة، فيُحوِّلُ بعضَها من صيغةِ الضمير الثالث «المفرد الغائب» إلىٰ صيغة الضمير الأول «المفرد المتكلم»، وبذلك يوحِي للقارئ بأن القرآن من عَمَلِ محمدٍ، لكنه ـ في تزويره هذا ـ نَسِيَ ـ ككلِّ مجرمٍ ـ أن

يُحكِمَ جريمته، فجاء الجزءُ الأول من الآياتِ المقتَبَسة بصيغةِ الضميرِ الثالث، بينما تلاه الجزءُ المحرَّفُ بصيغةِ الضمير الأول.

* فآيات سورة «النجم» تقول: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾

[النجم: ١-١٢].

◻ لقد استبدل الدجال كلمة «الثريا» مكان كلمة «النجم»، واستمر يستخدمُ هذه الصيغةَ إلى أن انتقل إلى الصيغة الأخرى بكلامٍ وضعه على لسانِ النبيِّ يقول فيه: «ولقد رأيتُه مرةً أخرى، عند سِدرةِ المنتهى، عندها جنةُ المأوى، إذ يَغشى السدرةَ ما يَغشى، ما زاغ بصرِي وما طَغَى، لقد رأيتُ من آياتِ الربِّ الكبرى»(١).

فخالف بذلك جميعَ التراجم المعروفة والتي أشار إلى بعضِها مثل: «داود، وبكتال، وعلي» أن القرآنَ لا يُورِد صيغةَ المتكلِّم المفردِ على لسانِ النبيِّ إلا مسبوقةً بكلمة: «قل»، مثل قول اللَّه ـ سبحانه ـ لنبيه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

(١) I saw him. also at the Lote tree of the uttermost end, near which lies the Garden of Repose. When that tree was covered by its covering my eye was mot averted, neither did my gaze wander; and I saw some of the greatest signs of the Lord.

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾

[الكهف: ١١٠].

ولقد وردت كلمة: «قل»، في القرآن ٣٣٢ مرة، في آياته التي تبلغ ٦٢٣٦ آية.

نحن - إذن - نتعاملُ مع خائنٍ غيرِ مؤتَمَنٍ على أيسرِ الأمانات، «أمانة النقل».

❑ «ما هذا النبيُّ إلاَّ رسولُ اللَّه إلى الناس، يُبلِّغُهم رسالاتِ ربِّهم، ويَنقُلُ إليهم كلماتِه، فيكونُ مُحدِّثَهم الأمينَ باسم اللَّه، تحقيقًا لِمَا تنبَّأتْ به التوراةُ، وحيًا من اللَّه لموسىٰ، في قوله: «أُقيمُ لهم نبيًا من وسط إخوتِهم، مِثْلَك، وأجعلُ كلامي في فمِه، فيُكَلمُهم بكلِّ ما أُوصيه به.

ويكونُ أن الإنسانَ الذي لا يَسمعُ لكلامي الذي يتكلَّمُ به باسمي، أنا أطالبه» - (تثنية ١٨ : ١٨ - ١٩).

❑ لم يَقُلِ اللَّهُ: «أُقيمُ لهم إلهًا، أو ابن اللَّه»، لكنه قال: «أقيمُ لهم نبيًّا» مثلَ موسىٰ من بين إخوة بني إسرائيلَ بنِ إسحاق، أي: من العرب بني إسماعيل أخي إسحاق، مهمتُه الأساسيةُ نَقلُ كلام اللَّه إلى الناس، ومَن لا يَسمعُ لذلك الكلام - الذي يقرؤه عليهم قرآنًا - فإن الرب ينتقمُ منه».

إن الأمرَ واضحٌ تمامًا، لكنَّ القومَ يصِمُّون الآذان، ويُغمِضون العيون.

❑ بعد ذلك، تبدأ أولُ سطورِ الرواية بحديثٍ عن عقيدةٍ هندوكية تُعرف باسم «تناسخ الأرواح»، أي الموتُ والولادةُ مرةً ثانية، أو تكرارُ

الولادة، ويَحدُثُ ذلك ـ حسبَ ظنِّ مَن يعتقدون في هذا ـ بعدَ موتِ الإنسان، فيَبْلَى جَسدُه، أمَّا رُوحُه، فتعودُ إلى الحياةِ متقمِّصةً جسداً جديداً، قد يكونُ إنسانًا أو حيوانًا، أو حشرة، فتبدأُ الروحُ بذلك دَورةَ حياةٍ جديدةٍ.

إن استخدامَ هذه الفكرةِ يَسمحُ باللعبِ بالأشخاص والأزمنة، فتتداخلُ الأحداثُ، وتختلطُ الصورُ والأوراق، ويُتركُ القارئُ متحيِّراً، أو واقعًا تحتَ إيحاءاتِه، فهو ـ بهذا ـ يَهربُ من الجديَّة والموضوعيَّة التي تتطلَّبُهما الدراساتُ العلمية، ويَجنحُ إلى روايةٍ يُفرغُ فيها سُمومَه وخيالاتِه، فَيعبثُ بالحقائقِ المعروفة، ويُزيِّفُ التاريخَ كما يشاء، ويَتركُ القارئَ ـ بذلك ـ يسبحُ في هواء.

وفي الفصل الأول: «المَلَك جبريل»، نجدُ «الدجَّالَ» يخلعُ اسمَه على مواطنٍ هندي أسماه: «جبريل فارشتا»، الذي يذهبُ من «بومباي» إلى لندن، ومعه على نَفسِ الطائرة مواطنٌ آخَرُ هو «صلادين شمشا»، والذين تَقعُ بهما الطائرة في القنال الإنجليزي، ثم يَنجُوانِ من الموت بمعجزة، فيصابُ جبريلٌ بانفصامِ الشخصية.

ويَحلُمُ جبريلُ، ويَحلُمُ كثيراً، ويَبُثُّ أحلامَه إلى «ماهوند» ـ في الفصل الثاني ـ، فَيَربطُ الوحيَ إلى نبيٍّ الجاهلية بذلك التزييفِ المستمَدِّ من فكرةِ «تناسخ الأرواح».

❑ لقد عَمَدَ هذا المحتالُ ـ كما قال بحقٍّ الناقد «سامي خشبة» ـ إلى أن: «يَضَعَ ثقافتَه الخاصَّة مكانَ ثقافةِ كلِّ شخصياته، ويَضَعَ فِكرَه وعَقْلَه الخاصَّينِ، مكانَ فِكرِ كلِّ شخصياتِه وعقولِها.. والمؤلِّفُ يسوقُ أفكارَه

سَوقًا، من وراءِ شخصياته التي تبدو كالأقنعةِ أو المِشْجَبِ حاملِ الأفكار، نحوَ هدفٍ محدَّدٍ هو: إلىٰ أيِّ اتِّجاهٍ ينبغي ـ ويُمكِنُ للمسلمين الذين يُخاطبُهم في الغربِ أو في أوطانهم ـ أن يتَّخذوه.. لقد لَمْلَمَ سلمان رشدي كتابه «آيات شيطانية»، من ثلاثِ قَصَصٍ طويلةٍ لا يَربطُ بينها رابطٌ ما، ووزَّع فصولَ القَصصِ الثلاثِ توزيعًا اعتباطيًّا تقريبًا.. أما «رشدي»، المتواضعُ الموهبةِ، والفاقدُ الإيمانِ بشيءٍ أو بعقيدةٍ محدَّدةٍ، فإنه عَجَزَ عن أن يُقيمَ من أكوامِ خيالاتِه ومعلوماتِه وتأليفاته، وما نَقَلَه عن المصادرِ المختلفةِ وألبَسَه كِساءً خياليًّا رديئًا ومفتَعلاً، عَجَز عن أن يُقيمَ من كلِّ ذلك بِناءً فنيًّا موحَّدًا، ليس فقط لِضَعفِ موهبته، وإنما لأنه أراد أن يَجمعَ بين ما لا يَجتمعُ، وهو: تصوُّرُه الذاتي عن تجربةِ اغترابِ المثقَّفِ الشرقيِّ «الهندي» عن هُويَّةِ أُمَّته، وعن تجاربِ المسلمين المغتربين في أوروبا «لندن»، أو المُقيمين في وطنهم «بومباي».. ثم مجموعةِ الأكاذيب والمختَرعاتِ والإهانات ـ التي ألَّفَ بعضَها بنفسه ـ، والتي وجَّهها إلىٰ الإسلام وكتابِه ورسولِه.. ويَضمَنُ السيد «رشدي» أن يستمرَّ خَلطُ الأوراقِ بلا نهاية، عندما يَستخدمُ لتسميةِ الأشياء والظواهر، أسماءً متناقضةً لحقيقةِ الأشياء والظواهر، حتىٰ يتحقَّقَ التشويشُ المطلوبُ علىٰ الحُلولِ العلميَّةِ الحقيقية، والحلولِ التي تسعىٰ إليها الشعوبُ الآن ـ في الشرقِ والغربِ علىٰ السواء، بصرفِ النظرِ عن جهودِ البرابرة المعاصِرِين عندهم وعندنا ـ، الحلولُ التي تتلخَّصُ في الديمقراطية والعقلانية اللتين تَحفظَانِ لكلِّ شعبٍ، ولكلِّ طائفةٍ من شَعبٍ، الحقَّ في سِماته ـ أو سيماتِها الخاصة ـ في إطارِ ثقافةٍ إنسانيةٍ عامة، وثقافاتٍ قوميةٍ متمايزة، مستنيرةٍ ومثقَّفةٍ بحقيقتها وبحقائق الثقافاتِ

الأخرىٰ، ومتخلِّصةٍ من تعصُّباتها المتهوِّسة، ومن الرغبة في تلويثِ ثقافاتِ الآخَرِينَ وتدنيسِ مقدَّساتهم، ومتخلِّصةٍ من الرغبة في استخدامِ الإبداع لنَصبِ الفِخَاخِ وإشعالِ الحرائق»[1] .

* الأمكنة والأشخاص:

«ماهوند»: يتيم، سريعُ الخُطىٰ، يتسلَّقُ الجَبَلَ الحارَّ في الحجاز ليبقىٰ هناك شهراً في وِحدته، إذا نُطق اسمُه صحيحًا فإنه يعني: ذلك الذي يجبُ أن يُخَصَّ بالحمد، لكنه يأخذ اسم «ماهوند»، مرادفًا لاسم الشيطان! (ص٩٣).

✍ بهذا يتحدَّث الدجالُ عن محمدِ بن عبدالله ﷺ.

«الجاهلية»: بُنيت كلُّها من الرمال، ويأتي ماؤُها من مجارٍ وينابيعَ جوفية، واحدةٌ منها تسمَّىٰ «زمزم»، وتقعُ في قلبِ المدينة، ملاصقةً بيتَ «الحَجَرِ الأسود»، وفي هذه المدينة يؤسِّس «ماهوند» واحدةً من أكبرِ دياناتِ العالَم، ويَهمِسُ صوتٌ في أُذنه: «أيُّ نوعٍ من الأنكار أنت؟ إنسانٌ أم فأرٌ؟!» (ص٩٤، ٩٥).

«فالجاهليةُ» تعني «مكة».

«يثرب»: واحةٌ في شمالِ مدينةِ الجاهلية، تتمتَّعُ بجوٍّ رَطْبٍ، انتقل إليها المهاجرون أتباع عقيدةِ الإسلام الجديدة (ص٣٦٣).

«أتباع ماهوند في مدينة الجاهلية»: كان من أوائلهم: «خالدٌ سَقَّاءُ الماء الحقير، ثم ذلك المتسكِّعُ من فارس ويَحملُ اسمًا غريبًا: سلمان، ولتكملة

---

(١) صحيفة «الأهرام» في ٢٦/ ٥، ٢/ ٦/ ١٩٨٩.

هذا الثلاثيٌّ من حُثالةِ المجتمع، هناك العبدُ بلالٌ الذي حرَّره محمد، ثم حمزة عمه» (ص٩٥، ١٠١).

«أعداء ماهوند في مدينة الجاهلية»: «أبو سِمبل»، سيِّد الجاهلية، وزُوجُ «هند» الجميلة الرهيبة، وكانت عشيرةُ هندٍ تتحكَّمُ في معبد «أللات» وتتلقَّى عائدات مَعْبَدَي «مناة والعُزَّىٰ». . كما كان «بعل» خادمًا لـ «أللات» وشاعرَ هجاءٍ مشهور. . وكان «أبو سمبل» ديُّوثًا، يَعلمُ أن «بعل» عشيقٌ لزوجِهِ «هند»، التي كانت شديدةَ النهم الجنسيِّ، حتىٰ أنها ضاجَعَت كلَّ مؤلِّفي مدينة الجاهلية! (ص٩٦، ١٠٠، ٣٦١).

«فأبو سمبل» يعني: «أبا سفيان»، وأما «بعل» شاعر الهجاء، فهو اختراعٌ من الدجال.

«الحجاب»: جَعَل «الحجاب» اسمًا لأشهرِ ماخُورٍ في مدينة الجاهلية، له فناءٌ واسعٌ تُحيطُ به غُرَفُ الجِنس.

◘ «كم زوجةً؟ اثنتا عَشْرة، وسيِّدةٌ عجوز تُوفِّيت منذ زمنٍ بعيد. . وكم مُومِسٍ في الماخور؟ اثنتا عَشْرة!. .

وكانت المؤمسُ «عائشةُ»، ذاتُ الخمسةَ عَشَرَ عامًا، أكثرَ العاملات رواجًا، تمامًا كما كانت سَمِيَّتُها مع «ماهوند». . وكانت أكبَرُهُنَّ سنًّا المومسُ البدينةُ «سودة»، وكان لها زُوَّارٌ كثيرون. . أما المومس «حفصة»، فكانت حادَّةَ الطبعِ مِثلَ سَمِيَّتِها. . وكان الماخور مرآةً للجماعاتِ السياسية في مسجد يثرب، فكان هناك ـ مثلاً ـ تحالُفٌ بين «عائشة وحفصة» ضدَّ «أم سلمة» المخزومية «ورَمْلة بنتِ أبي سمبل»، وكان هناك «زينب بنت جحش»

و«جويرية» و«صفية» و«ميمونة»، ثم أكثَرُهنَّ إثارةً للشهوة الجنسيَّة، الفاتنةُ المصرية «مارية القبطية»، التي رَفَضَتْ أن تُعلِّمَ «عائشة» ألاعيبَها.

وعندما فكَّرت الموسماتُ في مُستقبلِهنَّ، رأَيْنَ أنْ يكونَ لهنَّ زوجٌ صُوريٌّ هو «بعل».. وفي هذا الوكرِ الداعرِ أصبح «بعلٌ» زوجًا لنساءِ رجلِ الأعمال السابق، «ماهوند» !» (ص٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٣).

لقد كَبْكَبَ الدجَّالُ على وجهه، وعَبَثَ بعقولِ قُرَّائِه، كعادته في طولِ الرواية وعَرْضِها، فبعدَ أن انتحلَ لمؤمساتِ ماخوره أسماءَ زوجاتِ النبيِّ ﷺ، إذا به يعود بفُجْرِه المعهود، فيَجعلُ مِن «بعل» «زوجًا لنساءِ «ماهوند»، بدلاً مِن أن يحترمَ قُرَّاءَه، ولو مرةً واحدة، فيقول: «زوجًا لسميات نساء ماهوند»!.

* ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ١٨-٢٢].

* الألفاظُ والتراكيب:

تمتلئُ هذه الروايةُ الشيطانيةُ بأقذرِ الألفاظِ وأشدِّها فُحشًا. وأغلبُها مما يتداولُه الزناةُ مع المومسات في المواخير من مسميَّاتٍ وأوصاف. ونذكر فيما يلي بعضًا منها، نُشير إلى اللفظِ المبتذَلِ بحرفٍ أو حَرفين منه، مما يتداوله

السِّفْلةُ من الناس:

ـ فرج المرأة: «ك»، والجمع: «أ ك».

☐ يتحدَّثُ الدجَّالُ عن أصغرِ مومسٍ في الماخور فيقول: «قبلَ تكميمِ أصغرِ الـ أك، صرَخت قائلة...»(١).

ـ ممارسة الجنس: ن ك.

☐ قال أبو سمبل «أبو سفيان» لتابعه شاعرِ الهجاء «بعل»: «أيها القَوَّاد! أنا أعلمُ أنك.. ن ك امرأتي»(٢)!.

☐ وصل خطابٌ لمحمود يقول: «يا آكِلَ الخِراء! إنك.. ن ك امرأتي»(٣).

☐ ويقول جبريل: «أحلام ن ك الأمهات سببُ كلِّ البلاءِ للجنسِ البشري..»(٤).

☐ وفي مدينة الجاهلية: «كان كلُّ الحديثِ منصبًّا على الـ ن ك والمال»(٥).

☐ ولقد امتلأت الروايةُ بالشتائم القذرة، بَدءً من صفحاتِها الأولى حتى صفحاتها الأخيرة، مثل: «ابن الزنا».. «أبناء الزنا»(٦).

☐ وامتلأت الرواية بتعابيرَ مُقزِّزة، لا تَخرجُ إلا من نَفسٍ قَذِرة تَسبحُ

---

(١) (before the youngest cunt wus gagged, she yelled...) (p.389).

(٢) (Pimpl - I know you fuck my wihe) (p. 100).

(٣) (shit - eater, you`re fucking my woman) (p. 207).

(٤) (Mother - fucking dreams, cause of all the trouble in the human race..) (P. 122).

(٥) (al the talk was of fucking and money) (P. 408)

(٦) (Bastard.) .. (Bastards.) (PP. 3,8.. 95, 105, 116, 367, 376).

دائمًا بفكرِها في المراحيضِ وأماكنِ القاذورات، ففي حديث «الأم الهندية» المسلمة لابنها، قالت له: «لا تَصِرْ قَذِرًا مثل أولئك الإنجليز، فهم يَمسحُون استاههم بورقٍ فقط» (ص٣٩).

□ فردَّ عليها الابنُ المنبهر: «إن ما تقولينَه يا أمي لا يمكنُ تصديقه، إن إنجلترا حضارة عظيمة، وما تقولينه هُراء».

□ «وكان يُسيئُه كثيرًا أن يقارَنَ بطفلٍ يَبولُ على نفسه». . (ص٤٧).

□ ويَعبثُ الدجَّالُ الهنديُّ بعقولِ قُرَّائه، فيستخدمُ أساليبَ ركيكةً هازلةً كأنه يَحكي قصةً للأطفال قبلَ النوم، فيقول: «كان ما كان في قديم الزمان. .» (ص١٤٣).

□ ولَمَّا كان مؤلِّفًا رديئًا، فاقدَ المواهب، كان مَثَلُه كمَثَلِ تلميذٍ خائبٍ تعلَّمَ جُملةً واحدةً مفيدةً، كانت كلَّ زادِه، فما انْفَكَّ يستخدمُها في كلِّ المناسباتِ دون تمييز.

□ ولَمَّا كانت عبارةُ «ألف ليلة وليلة»، ذاتُ مذاقٍ خاصٍّ، فقد تَشبَّثَ بها، وبَدأَ يَستنسخُ صُورًا منها بلا وَعيٍ أو حساب، فيقول: «. . بسبب طَيشه الذي مارسَه ألفَ مرةٍ ومرة» (ص٢٦).

□ «وفكَّر ألفَ مرةٍ ومرة. .» (ص٣٧٠).

□ «وبعد مئةِ يومٍ ويوم. .» (ص٨٥).

□ ومِثلُ ذلك، حَجمُ أوعيتِه الزمنية التي تؤكِّدُ، حقًّا، أنه كاتبٌ مُمِلٌّ هزيل، فهو يقول في صفحة (ص٣٩٢): «ولم تَرَ مخلوقًا حيًّا آخَرَ، طيلةَ سنتين وشهرين. .».

❑ ثم يكرِّرُ ذلك في نفسِ الصفحة: «وبَقِيَتْ مدةَ سنتين وشهرين..».

❑ ويقول أيضًا: «وبعد مرورِ سنتين ويومًا واحدًا من بَدءِ «بعل» لحياتِه في ماخور الحجاب..» (ص٣٨٥).

هذا بعضُ العار الذي ألحقه ذلك الكاتبُ التافهُ بلغةِ قومِ شكسبير وبالأدب الإنجليزي عامة، وبجامعةِ «كمبردج» التي يقال: إنه تخرَّج منها، على وجهِ الخصوص!.

* **تزييفُ الحقائقِ واختلاقُ الأكاذيب:**

ذلك دَأْبُ الدجالِ الهنديِّ في روايته الشيطانية.. والحديثُ في هذا يَطُول، نكتفي منه بعَرضِ أمثلةٍ محدودة، لهذا وذاك.

أولاً ـ فمِن حقائق التاريخ الإسلامي:

١ ـ أن «خالدًا» كان بَطَل المشركين في معركةِ «أُحد» التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة، وانهزم فيها المسلمون، وأُصيب فيها النبيُّ ﷺ وشُجَّ في وجهه، لقد كان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة، حيث كان خالدٌ ما زال على شِركه، ولم يُسلِمْ خالدٌ إلا في السَّنةِ السابعة من الهجرة، بعد عُمرةِ القضاء، حيث تَرَك مكةَ وذهب إلى المدينة يُعلِنُ إسلامَه إمام النبيِّ ﷺ.

٢ ـ أن «حمزة» كان بَطَلَ المسلمين في معركة «بدر الكبرى» التي وقعت في السُّنة الثانية من الهجرة، حيث انتصر المسلمون، وقُتل فيها عتبةُ ابن ربيعة ـ والدُ هندِ امرأةِ أبي سفيان «أبي سمبل في الرواية» ـ كما قُتل في بدر الوليدُ بن عتبة ـ أخو هند ـ وشيبةُ عمُّها.

٣ ـ أن «سلمانَ الفارسيَّ» كان قد تعرَّضَ لعمليةِ اختطافٍ بِيْعَ علىٰ أثرِها ليهوديٍّ من بني قُريظة بالمدينة، فلما قَدم النبيُّ ﷺ المدينةَ وسَمعَ به سلمان، أسلم علىٰ يديه، وقد أعانه النبيُّ ﷺ وصحابتُه علىٰ تحريرِ رقبته، فأمَدُّوه بالمالِ الذي أَعْتَق به نفسَه بعد سنينَ من إسلامه، وكان الرِّقُّ قد حَبَسه عن حضورِ «بدرٍ وأُحد»، فكانت غزوةُ «الأحزاب» أولَ مشاهِدِه، حيث أشار بحَفرِ الخندق، وكان ذلك في السَّنة الخامسة من الهجرة، وقد عاش مُسلِمًا كريمًا، وتُوفِّي مسلمًا كريمًا بـ«المدائن» في خلافةِ «عثمان».

ولقد اتَّخذ الرسولُ ﷺ في مكةَ كَتَبَةً يكتبون الوحيَ قبلَ إسلامِ سلمانَ بأكثرَ من ١٥ سنة، كما استمرُّوا يكتبون له بـ«المدينة»، ويَزيدُ عددُهم علىٰ ٢٠ كاتبًا، ليس منهم سلمان.

فما كان سلمانُ الفارسيُّ يومًا ما من كَتَبَةِ القرآن!!.

◻ لكنَّ الكاتبَ المجهول «سلمان رشدي»، ما كان له إلا أن يُزيِّفَ تاريخًا يجهلُه، فلو احترَم نفسَه مرةً واحدةً، أو احتَرَم قُرَّاءَه، لَقرأَ شيئًا عن تاريخِ صَدرِ الإسلام لِيستعينَ به علىٰ حَبْكِ روايته.

*** فمِن جهالاتِ الدجَّال الهندي:**

١ ـ أن «خالدًا وسلمان» كانوا من أوائلِ المسلمين بمكة «مدينة الجاهلية»، كما سبق أن أشرنا إلىٰ ذلك.

٢ ـ وأن «حمزة» قَتل أخا هندٍ في مكةَ عندما هاجم هذا الأخيرَ مع زملاءَ له كُلاًّ من خالدٍ وسلمانَ وبلال، فأنقذ حمزةُ إخوتَه المسلمين من موتٍ محقق (ص١١٨).

٣ ـ وأن «سلمان» كان الكاتبَ الرسميَّ للنبي ﷺ (ص٣٦٥).

٤ ـ وأن النبي ﷺ كان قد اشترىٰ «بلالاً» وأعتقه (ص١٠١، ١٠٢)، والصحيحُ أن أبا بكر ؓ هو الذي اشتَراه وأعتقه.

٥ ـ وأنه عقِبَ موتِ النبي ﷺ، خَرَجَت عائشةُ من حُجرتها تقول: «من كان قد عَبَدَ الرسول، فليحزَنوا؛ لأن ماهوند «محمد» مات، ومَن كان يعبدُ اللَّهَ، فليبتهِجوا؛ لأنه حيٌّ لا يموت» (ص٣٩٤).

☐ ثم يُردِفُ الدَّجالُ، بعد ذلك قائلاً: «لقد كان هذا نهايةَ الحُلم»، «حلم جبريل بموت محمد» (ص٣٩٣).

☐ والحقيقةُ أن أبا بكر ؓ هو الذي قال عقِبَ موت الرسول ﷺ: «أيها الناس، إن مَن كان يعبدُ محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومَن كان يَعبدُ اللَّهَ فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت»، ثم تلا قولَه ـ تعالىٰ ـ في القرآن: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

* تزييفُه لحقائقِ الإسلام والتاريخ:

زَيَّف هذا الدجَّالُ الهنديُّ حقائق الإسلام والتاريخ.. وبدأ يوجِّه سِهامَه إلىٰ حقيقةِ الإسلام الخالدة: «توحيد اللَّه ـ عز وجل ـ»، وخاب إفكُه وما افترىٰ، فاسمع إلىٰ دَجَلِه وكَذِبِه في حكايته لقصة «الغرانيق» التي نَسَفَها حُفَّاظُ الحديثِ ورجالُه، وفي عصرِنا هذا كتبَ مُحدِّثُ ديارِ الشام «الألباني» ـ رحمه اللَّه ـ «نصب المجانيق لنسفِ قصةِ الغرانيق».. فتعالَ معي:

*** صفقة مزعومة بين النبي وأبي سفيان!:**

□ يبدأُ الدجَّالُ هذا الجزءَ من روايته الشيطانية بقول أبي سمبل «أبي سفيان» لأحدِ خِصيانه: «أرسِلْ رسولاً إلىٰ بيتِ الكاهن «ماهوند»، سوف نُجرِي له اختباراً بسيطًا، مباراةً عادلة: ثلاثةٌ ضدُّ واحد».

□ يتغيَّب «ماهوند» علىٰ أصحابه: حمزة وخالد وبلال وسلمان، فيَقْلَقون عليه، وعندما يعودُ إليهم يُبادِرُه حمزةُ بقوله: «يا ابن أخي، هذا شيءٌ ملعون! عندما تنزلُ من الجَبَل يكون حولَك نورٌ ساطع، أما اليوم، فيوجد شيءٌ مُظلم»! ثم يجلس «ماهوند» علىٰ حافَّةِ بئرِ «زمزم» ويبتسمُ قائلاً: «لقد عُرِضت عليَّ صفقة.. فيصيح خالد: مِن أبو سمبل؟ إن هذا شيءٌ لا يُتصوَّر! ارفُضْها.. يستأنف «ماهوند» قائلاً: إنه أمرٌ تافهٌ، حَبَّةُ رملٍ صغيرة، فأبو سمبل يَسألُ اللَّهَ أنه يَمنحَه امتيازاً وحداً صغيراً».

□ يرىٰ حمزةُ أَثَرَ الإجهاد عليه، كما لو كان قد صارع شيطانًا، ويَصرُخ السَّقاء «خالد» قائلاً: «لا شيء! ولا ذَرَّةً واحدةً!» يستأنفُ «ماهوند» قائلاً: «إذا كان إلهُنا العظيمُ قد وَجَد في قلبِه أنه إذا تمَّ التسليمُ بأن ثلاثةً ـ ثلاثةً فقط من بين ثلاثمئةٍ وستِّينَ صَنَمًا في البيت ـ هي التي تَستحقُّ العبادة».. وهناك يَصيحُ بلالٌ: «لا إله إلا اللَّه»! ويشاركه زملاؤه في القول: يا اللَّه!.

□ ويستأنف «ماهوند»: «إنه يطلبُ موافقةَ اللَّه علىٰ: اللات والعزىٰ ومناة، وفي مقابل ذلك يُعطِي الضمانَ بالتسامح الديني، بل وبالاعتراف بنا رسميًّا، ويكون الدليلُ علىٰ مِصداقيةِ الصفقةِ أن أُنْتَخَبَ عُضواً في مجلس

الجاهلية «دار الندوة». . هذا هو العَرْض».

❑ ويبدأُ التعليقُ من أصحابه، فيقول له سلمانُ الفارسي: «إنها مَصيدة! طِيلةَ كم من الزمنِ ونحن نتلو شهادةَ الإيمان الذي جِئتَنا به وهو: لا إله إلا اللَّه؟! كيف يكونُ حالُنا عندما تتخلَّى عن ذلك الآن؟!».

❑ ويقول «حمزة» في قلق: «إنك لم تهتمَّ بآرائهم مِن قبلُ، فلماذا تهتمُّ بها الآن؟! ولماذا تهتمُّ بها بعد الحديث مع «أبي سمبل»؟!».

❑ فيجيب «ماهوند»: «إنكم تعلمون واقعَ الأمر: لقد فَشِلنا في اكتسابِ مؤمنين، إن الناسَ لن يتخلَّوا عن آلهتهم».

ثم ينهضُ مبتعِدًا عنهم، يغتسل في زمزم للصلاة.

❑ ويستأنفُ المناقشةَ بعد الصلاة قائلاً: «ليس المُقتَرَحُ أن يَقْبَلَ اللَّهُ المعبوداتِ الثلاثَ كُفُوًا له. . أن يُعطَوا فقط نوعًا من الواسطة. . وضعًا أقلَّ».

❑ وهنا يقول له «حمزة»: «يا ابنَ أخي، اصعَدِ الجَبَل، واسأل جبريل». . ويصعد «ماهوند» الجبلَ ويسأل جبريل: «هل يُمكنُ أن نُسمِّي «اللات ومَناةَ والعُزَّىٰ» ملائكةً؟ هل لك أخواتٌ يا جبريل؟ هل هُنَّ بناتُ اللَّه»؟ (ص١٠٤ ـ ١١١).

لقد عاد الرسول، لم يذهب هذه المرة إلىٰ زمزم، إنه يَدخلُ خَيمةَ الشِّعر «التي يتبارَىٰ فيها شعراءُ الجاهلية»، حيث يَجلسُ «أبو سمبل» سيِّدُ قومِه أعلىٰ المِنَصَّة، وما إن يرىٰ «ماهوند» حتىٰ ينهضَ قائلاً له: «مرحبًا! مرحبًا ماهوند العرَّافُ والكاهن!».

◻ ثم يبدأ «ماهوند» حديثَه قائلاً: «هذا تَجَمُّعٌ لشعراءَ كثيرين، ولستُ أزعمُ أني واحدٌ منهم، لكني رسولٌ آتي بآياتٍ من الواحد الأعظم. فيقول له أبو سمبل: إذا كان إلهُك قد كَلَّمك حقًّا، فيجبُ أن يَستمعَ إليه كلُّ الناس.. ثم يَسُودُ صمتٌ يقطعُه ماهوند قائلاً: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، والثريَّا إذا هوَت، ما ضَلَّ صاحبُكم وما غوىٰ، وما يَنطِقُ عن الهوىٰ، إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحىٰ، علَّمه شديدُ القوىٰ، ذو مِرَّةٍ فاستوىٰ، وهو بالأُفق الأعلىٰ، ثم دنا فتدلَّىٰ، فكان قاب قوسَين أو أدنىٰ، فأوحىٰ إلىٰ عَبدِه ما أوحىٰ، ما كَذَب الفؤادُ ما رأىٰ، أفتُمارُونه علىٰ ما يرىٰ، ولقد رأيتُه مرةً أخرىٰ، عند سِدرةِ المنتهىٰ، عندها جنَّةُ المأوىٰ، إذ يغْشَىٰ السِّدرةَ ما يَغشىٰ، ما زاغ بَصَرِي وما طَغىٰ، لقد رأيتُ من آياتِ الربِّ الكبرىٰ».

◻ وعند هذا الحدِّ، وبلا أدنىٰ تردُّدٍ أو ارتياب، يتلو «ماهوند» مقطَعَينِ آخَرَين: «أفرأيتم اللاتَ والعُزَّىٰ. ومَناةَ الثالثةَ الأخرىٰ. هُنَّ الطيورُ العُلا. وإن شفاعَتَهُنَّ تُرتَجَىٰ»[1].

◻ وعندئذٍ تُسمَعُ صيحاتٌ وهُتافٌ وصلواتٌ للمعبودة: «أللات».. ويهتف «أبو سمبل»: «اللَّه أكبر»! ثم يسجد بعدها، وتتبعُه زوجُه «هند».. ويسجدُ الحاضرون جميعًا بين يَدَيِ النبيِّ الذي اعترف بالآلهة التي تَحمِي مدينة الجاهلية»! (ص ١١٣ ـ ١١٥).

◻ وهكذا، يَعبَثُ الدجَّالُ الهنديُّ بواحدةٍ من أكبرِ دِياناتِ العالَم، ديانةِ التوحيد النَّقِيِّ الذي هو سَمتُها المميَّز.. يأتي هذا المَسْخُ محاولاً أن

---

(١) (They are the exalted birds, and their intercession is desired indeed).

يُهاجِمَها في أقوىٰ حُصونها مَنَعَةً، وأشدِّ مداخِلِها صَرامةً. . ولكن هيهات هيهات!.

لقد حدث في المؤتمر الثاني للحوار الإسلامي المسيحي، الذي عُقد في قرطبة عام ١٩٧٧، أن ألقىٰ الكاردينال «ترانكون» رئيس أساقفة أسبانيا كلمة الافتتاح، وقال فيها: «إني ـ كأسقف ـ أَوَدُّ أن أنصحَ المؤمنين المسيحيين بنسيان الماضي، كما يريدُ المَجمعُ البابوي منهم، وأن يُعرِبوا عن احترامهم لنبيِّ الإسلام. . إن هذا شيءٌ هامٌّ جداً بالنسبة للمسيحيِّ، إذ كيف يستطيعُ أن يُقدِّرَ الإسلامَ والمسلمين دون تقديرِ نبيِّهم، والقِيَمُ التي بَثَّها ولا يَزالُ يبثُّها في حياةِ أتباعه؟.

لن أُحاوِلَ هنا تِعدادَ قِيَمِ نبيِّ الإسلام الرئيسية: الدينيةِ منها والإنسانيةِ، فليست هذه مهمتي، وسوف يُلقيها عليكم الأخصائيون واللاهوتيون المسيحيون بالمؤتمر. . غير أني أُريدُ أن أُبرِزَ جانبَينِ إيجابيَّينِ ـ ضمنَ جوانب أخرىٰ عديدة ـ وهما:

* إيمانُه بتوحيدِ اللَّه وانشغالُه بالعدالة:

ـ أما إيمانه باللَّه الأحد، فهو سِمةُ حياته، إنها أهمُّ عقيدةٍ تَرَكها لأُمَّتِه.

ـ وأمَّا دعوتُه إلىٰ العدالة مع شتَّىٰ التطبيقاتِ الدينية والاجتماعية، فهي ما تزالُ قائمةً. . بَيْدَ أنِّي أَوَدُّ أن أَخُصَّ بالذِّكر دعوتَه إلىٰ سواسيةِ الناس، رجالاً ونساء، وإلىٰ تحقيق العدالة بينهم».

◻ إنها واحدةٌ من مشاكلِ البشرية عَبْرَ العصور، أن يوجَدَ أقزامٌ يتطاوَلون علىٰ عَمالقةِ الحقِّ والخيرِ والجمال.

◻ ولقد كان من سُوءِ حظٍّ البشرية أنْ أُعطِيَ هؤلاء ـ وأمثالُهم من صِغارِ النفوس ـ حظوظًا من مُختلَفِ الإمكانات، فاستخدَموها في الهدم والتخريب.. لقد تحقَّق فيهم المَثَلُ الذي ضَرَبه المسيح «مثل الكلاب والخنازير»، حين عَلَّم الناس قائلاً: «لا تُعطُوا القُدْسَ للكلاب، ولا تَطرحوا دُرَرَكم قُدَّامَ الخنازير لئلاَّ تدوسَها بأرجلِها وتلتفتَ فتمزِّقَكم» (متى: ٧: ٦).

*** النبيُّ في غرفة نوم هند!:**

◻ يتخيَّلُ الدجَّالُ الهنديُّ أن «هند» زوجةَ أبي سفيان «أبي سمبل» عثَرت على «ماهوند» ملقًى في أحدِ شوارع مكة «مدينة الجاهلية»، فنَقَلَه خَدَمُها إلى غُرفتها، وهناك استردَّ وَعْيَه، وفي هذا يقول: «يستيقظ النبيُّ بين مِلاءاتٍ من الحرير، وهو يُعانِي من صُداعٍ عنيف، في غُرفةٍ لم يرَها مِن قبلُ.. ثم لا يَلبثُ أن يَتعرَّفَ على صوتِ هند، فينهضُ وقد وَجَد نفسه عاريًا تحتَ ملاءة، فيناديها قائلاً: هل تعرَّضتُ لهجوم؟.. تُصفِّقُ هند بيديها، فيأتي الخَدَمُ بطعامِ الإفطار، ويرتدي النبيُّ جِلبابًا من الحرير.. تَسخَرُ منه هندٌ قائلة: أيها الرسول!.. يا له من رسولٍ لا يُغازِلُ النساء! أمَا كان في مَقدُورِك الحضور إلى غُرفتي بإرادتك، وأنت في كاملِ وَعيك؟ بالطبع، كلا، إنى متأكدةٌ أني كنتُ طَردتُك.. يسألُها النبيُّ: هل أنا سجين؟ فتضحكُ منه مرةً أخرى قائلةً: لا تكنْ أحمق.. ثم تهزُّ كتفيها استهزاءً وتقول له: كنتُ أتجوَّلُ ليلةَ أمس، وقد ارتديتُ قِناعًا، في شوارعِ المدينة، لأشاهدَ المهرجان، وما كان إلاَّ أن تعثَّرتُ في جسدك فاقدَ الوعي، مِثلَ سكرانٍ سقط في بالُوعة، يا ماهوند! لقد أرسلتُ خَدَمي بحمَّالةٍ

لإحضارك إلىٰ بيتي، فلْتَقُل لي: «شكرًا». فقال لها: شكراً.. ثم يتذكَّرُ ما حدث ويقول: لقد أُغمِيَ عليَّ.

تأتي هند، وتجلسُ على السرير قريبةً منه، وتَمدُّ إصبَعَها في فَتحةِ الجلباب، وتَضربُ صَدرَه، ثم تُتمتم: أُغمي عليك! هذا ضَعفٌ يا ماهوند.. هل ضَعُفتَ؟ ثم تُردِفُ قائلةً له: أنا زوجةُ سيِّد قومه، وكلانا ـ أنا وهو ـ لسنا من أصدقائك، إن زوجي رجلٌ ضعيف، يعلمُ أنَّ لي عُشَّاقًا ولا يَفعلُ شيئًا، وذلك لأنَّ رِعايةَ بيوتِ العبادة في أُسرتي: «اللات والعزىٰ ومناة».

وتُقدِّمُ هندٌ للنبيِّ مكعَّباتٍ من البِطيخ، محاوِلةً إطعامَه بأصابعها، لكنه يرفضُ إطعامَها له، ويتناولُ البِطيخَ بنفسه.

ثم تستطردُ قائلةً: «بَعل» هو آخرُ عُشَّاقي.. وهنا تلمحُ الغَيظَ في وجهه.. وتقول له: لا بعل ولا أبو سمبل كفءٌ لك، أنا فقط.. أنا عَدلُك وأنا خَصمُك.. ثم تقتربُ منه واضعةً وجهها أقربَ ما يكون منه، وتقول: إذا كنتَ أنت نائبًا عن اللَّه، فأنا نائبةٌ عن اللات، وهي لن تؤمنَ بإلهِك عندما يَعترفُ بها، إن معارضَتَها له عنيدةٌ ونهائيةٌ للحرب بيننا، لا تنتهي بهُدنة ـ ويا لها من هُدنة!! ـ إنَّ إلهَك رَبٌّ متعالٍ، ولا يُوجد لدىٰ اللات أقلُّ رغبةٍ في أن تكونَ ابنتَه، إنها كفءٌ له كما أني كفءٌ لك.

عندئذٍ يسألها ماهوند: وبِناءً على ذلك، هو يَخونُ سيِّدُ قومِه عهدَه؟ وتجيبُ هند: مَن يدري؟ إنه ضعيف كما أخبرتُك، لكني أَصدُقُكَ القول: لا يمكن أن يوجَد سلامٌ بين اللَّه وهذه الثلاث، أنا لا أُريد ذلك، أريدُ القتالَ حتىٰ الموت، هذا ما أنا عليه.. ثم يرحل النبي» (ص١١٩ ـ ١٢١).

✍ عَبَثٌ ما بعده عَبَث، وفجورٌ ما بعده فجور[1] .

وغدًا: ﴿ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

◘ ولله درُّ أحمد يسري حين يقولُ في قصيدته «سلمان والشيطان»:

تَبَّتْ يَـــداكَ أبا لَهَبْ	قُتِــلَ الكتــابُ ومَن كَتَبْ
يُــوحِــي لك الشيــطانُ	بالأفكارِ في صُوَرِ الأدبْ
يَضَعُ الكمـــامةَ فــوقَ	عَينيك يا لَسُــوءِ المُنقَلَبْ
ويَقودُ خَطْوَكَ باعوجاجٍ	كـي تُـشــارِكَه الـلَّـهَبْ
قَـــدَحَ الشَّرارَ بعينِـــه	ورَمَى خَـيالَك بالشُّـهُبْ
طافَ البلادَ فلمْ يَجِــدْ	إلاَّك مُخْـتَــلَّ العَـصَـبْ
لا شَــكَّ أنك عنـــدَه	في الخَلْــقِ أدنى الـرُّتَـبْ
سلمانُ، لا سَلِمَتْ يَداك	ولا سَـلِمْتَ مِنَ العَـطَبْ
وَخَلَعْتَ دينَـــكَ ضَلَّـةً	وخَنَسْتَ تَرَقُبُ عن كَثَبْ
وهَجَرْتَ أَرْضَكَ مُفلسًا	تسعى فيُبلِيـكَ الجَـرَبْ
أيَقَــنْـتَ أنَّ محـمَـــدًا	يُـفَـــدَّى بــأُمٍّ أو بــأبْ
ورأيتَ فيـــه نَمـوذجًا	للخيــرِ في كلِّ الحِقَـبْ
وإلى ديـانـــة أحـمـــد	قــد كنتَ يومًا تَـنتسِـبْ
فَتَمكَّنَ الشـيطانُ منـــكَ	مِنَ الدِّمــــاغِ إلى الذَّنَبْ
وتَطاوَلَ القَلَـمُ اللعــينُ	وراح يَسْــكُبُ ما سَكَبْ

(١) مختصر من كتاب «تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» للواء أحمد عبدالوهاب (٣٨٩-٤٠٧)، ومن (ص٤٥٥-٤٦٨) مكتبة وهبة - القاهرة.

أتُـراكَ تَعلُـو بالسِّباب؟ — إذنْ فإبليسُ السَّبَبْ
قد خاض قَلْبَكَ عُصبةٌ — وعليهمُ حَقٌّ وَجَبْ
مُتْ كلَّ يومٍ مرةً — وذُقِ العذابَ المُرتَقَبْ
فكتابُكَ المنشورُ يُبعَثُ — يومَ نَشْرِكَ بالغَضَبْ
ويَسوءُ وجهَك لا الصُّراخُ — يَقيكَ منهُ ولا النَّصَبْ
لا تَشتري حَرَسًا هنالكَ — أو تُساومْ بالذَّهَبْ
فبكلِّ حرف في الكتاب — عذابُ دَهرٍ تكتَسِبْ
وبقَدْرِ ما انتَّسَخوه يُسلَخُ — جِلدُ وَجهِكَ باللَّهَبْ
ورفيقُك الشيطانُ يَرمي — تحت رِجْلِكَ بالحطبْ
يَتبرأُ الشيطانُ منكَ — ومن عذابكَ لَم تُجَبْ
ذُقْ ما جَنَتْ كفَّاكَ، لا — تجني من الشوكِ العنَبْ
سلمانُ والشيطانُ ضلاَّ — واستشاطا في الغضبْ
تَعِسَ الرِّفاقُ ومَن يناصِرُهم — ويُجمِلُ في الطلبْ

*** مفتريات على سلمان الفارسي:**

◻ يتخيل الدجَّالُ مشهداً حَدَث في غُرفة «بعل» ـ شاعر الهجاء، وتابع أبي سمبل «أبي سفيان» وزوجِه هند ـ، فيقول: «عاد «بعل» إلى غرفته الحقيرة، فوجد فيها شخصاً مُقنَّعاً عاجلَه بضَربةٍ أدْمَته، ثم بدأ بعدَها حوارٌ بينهما كشف أثناءَه المقنَّعُ وجهَه، فبانت شخصيتُه: إنه سلمان الفارسي!.. قال سلمانُ لبعل: ماهوند قادم. فارتعد بعل وقال له: إنك واحدٌ من أقربِ صَحابته. فرد سلمانُ: كلَّما كنتَ أقربَ إلى المُشَعْوِذِ، كلَّما سَهُل عليك

كشفُ الاعيبه»! (ص٣٦٢ـ ٣٦٣).

□ ثم يقول الدجَّال: «وحَلُم جبريل بهذا: ظهر جبريلُ للنبيِّ وسط أشجارِ نخيل الواحة «يثرب»، ووجد نفسَه يتدفَّقُ بتشريعات تشريعات.. بدأ سلمانُ يشكو لبعل ويقول: الوحيُ ـ القرآن ـ عَلَّم المؤمنَ مِقدارَ ما يأكلُه، وأن الأوضاعَ الجنسيةَ بين الرجل والمرأة كلُّها بقبولةٌ، عدا أن تكونَ المرأةُ فوق الرجل!.

ولقد حدَّد كبيرُ الملائكة ـ جبريلُ ـ الطريقةَ التي تُوزَّعُ بها ثروةُ المتوفَّىٰ، حتىٰ إن سلمانَ بدأ يتساءل: أيُّ إلهٍ هذا الذي يبدو كرجلِ أعمال؟!.. وكان ذلك بدايةَ الفكرةِ التي حَطَّمت إيمانَه»! (ص٣٦٤).

□ «ونظرًا لتعليم سلمانَ الراقي، فقد صار هو الكاتبَ الرسميَّ لماهوند، ومِن ثمَّ صار هو المسؤولَ عن كتابةِ تلك التشريعاتِ المتكاثرة.. وتكلَّم سلمانُ عن حثِّه النبيَّ علىٰ حَفْرِ خندقٍ كبيرٍ حولَ الواحة «يثرب».

وبعد هزيمةِ الجاهليين، قال سلمانُ لبعل برِثاءٍ: أين التكريمُ الشعبيُّ لي؟! أين اعترافُ ماهوند لي بالجميل؟! لماذا لم يَذكُرْني كبيرُ الملائكة في رسائله؟! ولا لفظةً واحدةً؟!.

ثم اشتكىٰ سلمانُ لبعلٍ من أنَّ وَحْيَ جبريل كان ينزلُ مؤكِّدًا المواقفَ والتشريعاتِ التي يتَّخذُها ماهوند، ولذا بدأ يشُمُّ رائحةً كريهة.. بعد ذلك أخرج سلمانُ زجاجةَ مُسكرٍ حارٍّ من عباءته، وبدأ هو وبعل يَعُبَّانِ منها عبًّا..» (ص٣٦٥).

□ وقال سلمان لبعل: «إن هذا الرجل ـ ماهوند ـ ساحر، لم يَقدِرْ أحدٌ علىٰ مقاومةِ إغرائه.. وعلىٰ أيِّ حالٍ ـ قالها سلمانُ وهو يتجرَّعُ بقيةَ الزجاجة ـ

قرَّرتُ أن أختبرَه.

فعندما جلس تحت قَدَمَي محمد ليكتبَ له الوحي، بدأ يُغيِّرُه خِلسةً. . لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات، وبهذا بدأتُ أُلَوِّثُ كلمةَ اللَّه بكلماتي الدنسة!.

بعد ذلك عَرفتُ أن أيامي في «يثرب» صارت معدودة، فرحلتُ عنها قبلَ الفجر على جَمَلٍ. . ولم يَعُد يُهِمُّني أن أرتبطَ ثانيةً بمدينةِ الجاهلية «مكة». . إن ماهوند سيعودُ إليها منتصراً، وأنا أعلمُ أني سأفقدُ حياتي. .» (ص٣٦٧-٣٦٨).

□ «بعد أن فَتَحَ ماهوند مدينة الجاهلية، وأمر بتطهيرِ بيتِ الحَجَرِ الأسود من أصنام الجاهلية - ٣٦٠ صنماً -، جاء الناسُ إليه يُسلِّمون ويُعلنون: «لا إله إلا اللَّه»، همس ماهوند في أُذُن خالد: شخصٌ واحدٌ لم يأتِ لِيركعَ أمامي، سلمانُ، ألم تَجِدوه؟!.

وفي اليوم التالي، يُسحَبُ سلمانُ إلى حَضرةِ النبيِّ، يُمسكُه خالدٌ من أُذُنه، وقد مَدَّ سِكِّينًا على رَقَبته، ويُحضِرُه باكيًا متشنِّجًا: وجدتُه أخيراً مع مومسٍ تصرخُ في وجهه لأنه لم يَدفعْ أُجرتَها، وها هي رائحتُه نَتِنَةٌ من الخمر.

«سلمان الفارسي»! قالها النبيُّ في بدايةِ نُطقه بالحُكم بإعدامه، لكنْ هذا الأسيرُ يصَرخُ بصوتٍ عالٍ: «لا إله إلا اللَّه»! فَيَهُزُّ ماهوند رأسَه قائلاً: إن تحريفَكَ يا سلمان لا يمكنُ غُفرانُه: أنْ تَضعَ كلمتَك بَدَلَ كلمةَ اللَّه! يُقسِمُ سلمانُ على تجديدِ إخلاصه للنبيِّ، ثم يَهمِسُ إليه باسمِ بعل «وشاية». . وهنا يتدخل بلال لصالحه، فيعفو عنه النبيُّ.

عندئذ يذهبُ خالدٌ للبحث عن بعل: من بيتٍ إلى بيت. .» (ص٣٧٤-٣٧٥).

✍ ذلك من مُفتَرَيات الدجَّالِ الهنديِّ سلمان رشدي على الصحابي التقيِّ سلمان الفارسي، لا لسببٍ إلاَّ لكونه ينتسبُ إلى فارس «إيران الحديثة» التي اصطدمت بالغَرب كثيراً بعد سقوط الشاه، إضافةً لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التي تَعملُ على تفتيتِ المسلمين تحت مسمَّيات مختلفة مثل: «عَرَب وعَجَم، سُنَّة وشيعة، وسَلَفية وصوفية. .»، فجاء هذا المَسخُ من تشويهِ لحقائقِ الإسلام وعَبثٍ بتاريخه، خَلْطًا للأوراق وجَعْلَها في خدمةِ السياسة، التي تُعنَى بلغة ميكيافيلي «السفالة والانتهازية».

وقبل ذلك وبعده، تأتي مفترياتُ هذا الدجَّال على أمين الوحي «جبريل»، وعلى خاتم الأنبياء «محمد رسول اللَّه»، فيَسوقُها بلا حساب. . ولقد غَرَّته نفسُه فاستكبر، وطَفِقَ يَسخرُ منهما ومن قول: «لا إله إلا اللَّه»! لقد كَذَبَ وظَلَمَ وأَجْرَم، والحقُّ والعدلُ والتاريخُ يشهدون على أنه لا جريمةَ بغير عقاب.

* إن له بُشرَىٰ في القرآن، نَزُفُّها إليه وإلى أشياعِه الذين يُظاهِرونه، بُشرَىٰ تقول فيه وفي أمثالِه من مَسْخِ البشر الذين يتكرَّرون عبر التاريخ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[الصافات: ٣٣ـ٣٩].

* **وماذا عن الماخور؟!:**

☐ يَفترىٰ الدَّجالُ كعادته، فيقول عن «مكة» بعد أن فَتَحها النبيُّ،

ودَخَل المكيُّون في الإسلام: «عاد ماهوند إلىٰ يثرب مع زوجاته، تاركًا المدينة «الجاهلية» تحتَ إمرةِ قائدِ جيشه خالد.. فمنذ مُدَّةٍ فكَّر ماهوند في أمرِ خالد بإغلاقِ مواخير الجاهلية، إلاَّ أنَّ «أبو سمبل» نَصَحه بألاَّ يُقدِمَ علىٰ مِثلِ هذا الإجراءِ المتهوِّر، فَلَفَت نَظرَه إلىٰ أن الجاهليين حديثو عهدٍ بالإسلام: «فلتأخذِ الأمورَ بتأنٍّ».. ونظرًا لأنَّ ماهوند يُعتبر أكثرَ الأنبياءِ واقعيةً، فقد وافق علىٰ فترةٍ انتقالية.

ولهذا، اندفع الجاهليون إلىٰ ماخورِ الحِجاب، في غيابِ النبيِّ «في يثرب».. ولأسبابٍ واضحةٍ لم يكن من الكيَاسة أنْ يقفَ رُوَّادُ الماخور في صفٍّ طويلٍ في الشارع، وإنما كانوا يَلتفُّون حولَ نافورةِ الغرام، في الفِناء الداخليِّ للماخور، يطوفون حولَها، كما يطوفُ الحُجَّاجُ ـ لأسبابٍ أخرىٰ ـ حولَ الحَجَرِ الأسود القديم. كان كلُّ رُوَّادِ الماخور لابِسِي أقنعةً، وكان بعل «الزوج الصوري لمومسات الماخور» يُراقبُهم من أعلىٰ.

وبعد مرور سنتَينِ ويَومٍ واحِدٍ من ممارسةِ بعلٍ لحياته الجديدة «ديوثًا»، إذا بأحدِ زبائنِ «عائشة» يتعرَّفُ عليه علىٰ الرغم من تنكُّره، قائلاً: «إذَنْ، هذا هو المكانُ الذي آواك»! لقد كان هذا سلمانَ الفارسيَّ، الذي دعاه بعل ـ عَقِبَ ذلك ـ إلىٰ رُكنٍ، وقَدَّم له زجاجةً من النَّبيذ.. قال سلمانُ: «لقد جئتُ إلىٰ هنا، لأني تاركٌ نهائيًا هذه المدينةَ اللعينة، ولهذا أردتُ أن أستمتعَ بلحظةٍ من المتعةِ بعد كلِّ تلك السنين الخرَّاء! لقد قرَّرتُ أن أرحلَ إلىٰ وطني.. إني راحلٌ غدًا دون أدنىٰ تأخير»! (ص٣٨١، ٣٨٥).

* مُفتَرَياتٌ حولَ موتِ النبي ﷺ !:

◘ يتردَّىٰ الدجَّالُ في قَعرِ مستنقعاتِ الفجورِ والتضليل، فيتخيَّلُ موتَ النبيِّ، ويَنسبُه لحُلْمٍ اعترىٰ جبريل، فيقول: «جاءت الأخبارُ أنَّ النبيَّ ماهوند قد أُصيب بمرضٍ عُضال، وأنَّ رأسَه بها دَقٌّ ثقيلٌ كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين!.

وهذا ما حَلُم به جبريلُ حَول موتِ ماهوند: عندما بَدَأت رأسُ الرسول تُوجِعُه بآلامٍ لم يَعْهَدْها من قبلُ، أدرك أنها النهاية.. ثم صَرخ قائلاً: مَن هناك؟ هل هو أنت يا عزرائيل؟!.

لكنَّ «عائشة» سمعت صوتًا مرعبًا لامرأةٍ تقول: لا يا رسول اللَّه، إنه ليس عزرائيل!.

وعاد ماهوند يَسأل: هل هذا المرضُ منكِ يا اللات؟.

فقالت: إنه انتقامي منكَ، وهو يُرضيني.. ثم خَرَجت تلك المرأةُ المتكلِّمة.. وتمتم الرسولُ: ومع ذلك، فإني أشكرُكِ أيتها اللاتُ علىٰ هذه المِنحة!.

وما هي إلاَّ لحظات، حتىٰ مات» (ص٣٩٣-٣٩٤).

* أما بعد..

أمَا وقد تَردَّتِ الأمورُ إلىٰ هذا الحد، فلم يَعُدْ هناك من حديث إلاَّ اللعنة، نَصُبُّها علىٰ هذا الدجَّال الهندي من «الكتاب المقدَّس»، فلعلَّ حُماتَه من «أهل الكتاب» يُفيقون قبلَ أن تدركَهم، لقد كان تعليمُ نبيِّ اللَّه داود أن نقول في مثل هذه المواقف: «يا إلهَ تسبيحي لا تسكت؛ لأنه قد انفَتح علىٰ

فمِ الشرير وفمِ الغُش، تكلَّموا معي بلسانٍ كَذِبٍ، بكلامِ بُغضٍ أحاطوا به، وقاتَلوني بلا سبب..

فأقم أنت عليه شريرًا، ولْيَقِفْ شيطانٌ عن يمينه، إذا حُوكم فلْيَخرجْ مذنبًا، وصلاتُه فلْتَكُنْ خَطِيَّةً، لِتَكُنْ أيَّامُه قليلةً، ووظيفتُه ليأخُذها آخَرُ، ليكنْ بَنُوهُ أيتامًا، وامرأتُه أرملةً، لِيَتِهْ بنوه تَيهانًا، ويَستعطُوا، ويلتمِسُوا خُبزًا من خِرَبهم، لِيَصْطَدِ المُرابي كلَّ ماله، ولْيَنْهَبِ الغرباءُ تَعَبَه، لا يكن له باسطُ رحمة، ولا يكنْ مُترأفٌ علىٰ يتاماه، لِتنقرضْ ذُرِّيَّتُه في الجيلِ القادم، لِيُمْحَ اسمُهم، لِيُذْكَرْ إثمُ آبائه لدىٰ الرب، ولا تَمحُ خطيَّةَ أُمِّه، لتكنْ أمامَ الربِّ دائمًا، ولْيُقْرَضْ من الأرض ذِكرُهم.

أَحَبَّ اللعنةَ فأَتَتْه، ولم يَسرْ بالبركة فتباعَدَتْ عنه، ولَبِسَ اللعنةَ مِثْلَ ثَوبه، فدَخَلت كمياهٍ في حَشاه.. لتكن له كثوبٍ يتعطَّفُ به، وكمِنطَقَةٍ يتنطقُ بها دائمًا» (المزمور: ١٠٩).

إنها حقًّا روايةٌ شيطانية، كَتَبها حشَّاشٌ في ماخور، أُصيب بانفصامِ الشخصية، فصار يتردَّدُ بين القِردِ والحشَّاش.. فحينَ ينظرُ في مِرآةٍ رأسيةٍ أمامَه، فإنه يَهذِي ويَشتدُّ هُراؤه، وحين ينظرُ في مرآةٍ أُفقيةٍ أسفَلَه، ينعكسُ أقبحُ ما فيه، فيَهيجُ ويشتدُّ جُنونُه، إنَّ قُبحَه يتضاعَف: قبحُ وجهه يُغذِّي قُبْحَ مُؤخِّرتِه، وقُبحُ مؤخِّرته يُغذِّي قُبحَ وجهه، تمامًا كدائرةٍ راديويةٍ تعملُ في حالةِ رنين.. قُبحٌ إلىٰ ما لا نهاية[1].

* «سلمان رشدي شيطانٌ من شياطين الإنس، مِمَّن نَجِدُ لعنَـهُ في

(١) «تعدد نساء الأنبياء» (ص٤٥٥-٤٦٨).

قول اللَّه في القرآن العظيم: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

«لقد أَحَبَّ اللعنةَ فأَتَتْه، ولم يَسرْ بالبركةِ فتباعَدَت عنه» - كما قال داود -، «ولكلِّ امرئٍ ما نوى»، فكان هذا عدوًّا لخاتمِ النبيين، لقد قادته نيَّته السيئةُ إلى المهالك، إذ أراد أن يشتريَ الشُّهرةَ والمالَ بأيِّ ثمن، فدمَّرَ نفسه تدميرًا، ولكن: «ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كلَّه وخَسِرَ نفسه؟!» - كما قال المسيح -.

* لقد اختار طريقَ اللعنة، فتهيَّأت له أسبابُها، صار الشيطانُ له قرينًا، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٣-٨٤].

وعندما نَقتبسُ ما جاء في الإنجيل عن إنسانِ الخيانة نقول: لقد دخل الشيطان في سلمان رشدي، وهو كان معدودًا من جُملةِ المسلمين. فمضى وتكلَّم مع رؤساءِ الكفرِ كيف يُنفِّذُ مؤامرتَهم، ففرِحوا وعاهَدوه أن يُعطُوه مالاً وشُهرةً، فواعَدَهم، وكان يَطْلُب فرصةً أَنْ يتِمَّ روايتَه الشيطانية، فيُفرِغَ فيها كلَّ سُمومِه وسُمومِ المتآمِرين.

ولقد قام الخائنُ بتنفيذِ الدَّورِ المرسومِ له تمامًا، فاستحقَّ من سادتِه قَبْضَ الثمن: أموالاً وشُهرةً وإعلانَ حِمايةٍ، كما لو كان واحدةً من المستعمرات السابقة.

◘ ولكن - كما قال المسيح -: «ويلٌ لذلك الرجل. كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد».

*** الدَّجَّالُ الهندي يسيرُ على خُطا الدَّجَّالِ اليوناني:**

أخرج الدجالُ الهنديُّ سلمان رشدي روايتَه الشيطانية لأولِ مرةٍ في عام ١٩٨٨، تَطعنُ في محمدٍ رسولِ الإسلام، وتُوجِّهُ للمسلمين أفظعَ الإهانات.

ولقد شَهِد نفسُ العام ـ ١٩٨٨ ـ حَدَثًا آخَرَ له نَفسُ الأسلوب والمحتَوىٰ والأهداف، وهو إخراجُ فيلم: «التجربة الأخيرة للمسيح»، يَطعنُ في عيسىٰ رسولِ المسيحية، ويُشوِّهُ سلوكياته، وأكثرُ من هذا أنه يُمجِّدُ تلميذَه الخائن «يهوذا».

ويُظهِرُه في شكلِ بطلٍ غَيُور، يتَّهِمُ مُعلِّمَه بالخيانة!.

لقد صَفَّق كثيرٌ في الغرب ـ وما يزالون ـ عندما سَمِعوا عن مضمونِ روايةِ الدجَّال الهندي وطَعْنِها في الإسلام ونبيِّه، وهاجت قُطعانٌ كثيرةٌ تَطلُبُ حمايتَه باعتباره مُنقِذًا لهم من خطرٍ متوهَّمٍ للإسلام، يُعشِّشُ في عقولِ الحمقىٰ منهم والجهلاء، ونَسُوا ـ أو جهِلوا ـ في غَمْرةِ مَوْجاتِ الجنـون ـ التي تُمثِّلُ ظاهرةً دوريَّةً تَعوَّدْنا علىٰ ظُهورها بين الحين والحين ـ أن رسول المسيحية المعبود، قد تحوَّل في هذا الفيلمِ إلىٰ عِربيدٍ زانٍ ضعيف، خَدَعَه الشيطان!.

*** فيلم «التجربة الشيطانية»:**

أُخرج الفيلم عن رواية الكاتب اليوناني «نيكوس كازانتزاكس»، التي صَدَرت عام ١٩٥٥، وكانت من أكثرِ الكُتُبِ رَوَاجًا، وقد صَدَر ضِدَّه قرارٌ بالحِرمانِ من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية.

□ تقومُ أحداثُ الفيلم ـ كما تقول مجلة «تايم» ـ على «أنَّ «يسوع» إنسانٌ كامل وإلهٌ كامل، وقد أظهرَه عِلمُ اللاهوت المسيحي على أنه متحرِّرٌ من الخطيئة، لكنه مُعرَّضٌ لكلِّ الإغراءات ـ بما فيها إغراءاتُ الجِنسَ ـ.

□ وعلى خطى «كازانتزاكس» ـ المؤلف ـ، فإن «سكورسيس» ـ المخرجَ ـ أظهر «يَسوع» كإنسانٍ ضعيفٍ متردِّدٍ، متعاونٍ مع الرومان، إذ يَصنعُ لهم صُلباناً[1]، يَعدِمون عليها الثُّوَّارَ اليهود».

□ أما صاحبُه «يهوذا»، فهو مقاوِمٌ للاضطهاد الروماني، لا يُعجبُه سلوكُ يسوع، فيوبِّخُه بعنفٍ قائلاً: «أنت متعاونٌ معهم! يهوديٌّ تصنعُ صُلبانًا لهم»!.

يَعتريه كَربٌ عظيم، فيَهيمُ على وجهِه حتى يقفَ أمام باب، وهناك يَجِدُ حَيَّتَينِ متشابكتَينِ ـ إحداهما سوداء، والأخرى بيضاء ـ.

وخَلْفَ الباب يكتشفُ ماخوراً، تُمارِسُ فيه «مريم المجدلية» الدعارة، يَطلبُ منها المغفرة، ثم يَسقُطُ في الإثم!.

ويصيحُ قائلاً: «يا إلهي، أنا ابنُ الخوف[2]»!.

وفيما بعد، أمامَ المنافقين البرجوازيين «من الكتبة والفريسيين»، يُنقِذُ «مريم المجدلية» من الرجم، قائلاً: «ومَن هو الذي لم يُخطِئْ أبدًا؟!»[3].

---

(١) كان المسيح نجاراً: «كثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان» ـ «إنجيل مرقس ٦: ٢ ـ ٣».

(٢) (Mon Dieu, je suis le fils de la peur)!.

(٣) يشير إلى قصة المرأة الزانية التي أحضرها له شيوخ اليهود للرجم فقال لهم: «من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر» ـ «إنجيل يوحنا ٨: ٧».

ثم يرحلُ إلىٰ الصحراء للتأمُّل.

وهناك تجربةٌ حيَّةٌ، ويَتحدَّثُ معه أسدٌ، ويَسيلُ الدمُ من شجرةِ تفاحٍ عندما يأكلُ منها، وتَظهَرُ بَلْطَةٌ في الرمل.

مِن الآن فصاعدًا، يُبشِّرُ بالحرب.. وأمامَ تلاميذه يُدخِلُ يَدَه في صدره وينتزعُ قَلبَه، ويُريه لهم بإعجاب! ويصيرُ إلهَ الحرب!.

وفي فَزَعِهِ مِن فَرْطِ قُوَّته: يُقيم «لعازر» من الأموات.

إلاَّ أنه يبقىٰ قَلِقًا ومُشوَّشَ الفِكرِ فيما يتعلَّقُ برسالتِه وحقيقةِ مهمَّتِه، وفي إحدىٰ الليالي، علىٰ جبل «الزيتون»، يُحرِّض يهوذا ـ أفضلَ أصحابه ـ علىٰ خيانته من أجلِ تنفيذِ خُطةِ اللَّه!.

يقول يسوع ليهوذا: «افعلها من أجلي! فيجيبه يهوذا: لا أستطيع. فيُلِحُّ عليه قائلاً: افعَلْها، من أجلِ الحبِّ»!.

يفعلها يهوذا، وتسيرُ الأحداثُ حَسْبَ رواياتِ الأناجيل، حتىٰ يُعلِّقونه علىٰ الصَّليب، وهناك في لحظةِ تفكيرٍ حالمٍ يَظهرُ يسوع وهو يمارِسُ الجنس مع مريم المجدلية!.

وعندما يُشرِفُ علىٰ الموت، تتراءىٰ له فتاةٌ صغيرة، لعلَّها ملاك!! إنها تطلبُ منه أن يَنزِلَ وتقول له: لقد عانيتَ كثيراً، إنك لستَ المسيح.

وبطريقةٍ خَفِيَّةٍ يَنزلُ من علىٰ الصليب، ويرتحلُ تُجاهَ وادٍ أخضرَ نَضِرٍ، هناك يُمارسُ الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوَّجان.

وبعد موتها يتزوَّجُ مريم أخت لعازر ـ الذي أقامه مع الأموات ـ، ثم يزني بأختها «مرثا»!.

ثم يرىٰ يسوعُ «بطرس ويوحنا ويهوذا» قادمين إليه، فيَسُبُّه يهوذا قائلاً: «أيها الخائن! لقد طلبتَ منّي أن أبيعَك، لكنك لم تَمُتْ على الصليب، إن الفتاةَ الصغيرةَ التي تراءت لك، لم تكن ملاكًا، إنها شيطان»![1].

يتوسَّلُ إليه يسوعُ مرةً أخرىٰ، إنه يريدُ العَودةَ إلى الصليب، وهناك يموت![2].

وهكذا عَبَثوا بالمسيح.

◻ لقد احتوت القِصَّةُ الأصليةُ على عبارات قَذِرةٍ، مثل قول يسوع ـ وحاشاه ـ لمريم المجدلية «الإلهُ ينامُ بين فَخَذَيْكِ»[3] وحَذَفوها من الفيلم.

◻ واحتوى الفيلمُ على عباراتٍ فظيعةٍ وردت على لسانِ يسوع، مثل قوله: «إني كذَّاب، إني مُنافق، إني خائفٌ من كلِّ شيء، إنَّ الشيطانَ في داخلي»[4].

◻ ومع ذلك، فقد وُجد مَن يدافعُ عن الفيلم ـ بل ويَشِيدُ به ـ، ليس فقط من بين المنحرفين من عامَّةِ الشعب، بل وأيضًا من بين المنحرفين من رجال الكنيسة!.

---

(١) (Traitre! Tu m`as demande de te vendre, et tu n`est pas mort sur La Croix! La petite file n`etait pas un ange, mais Satan)!.

(٢) TIME; NEWSWEEK; U.S. NEWS& WORLD REPORT; PEOPLE; THE NEW REPUBLIC; PAENERE. (1988).

(٣) (God sleeps between your legs).

(٤) (I am a liar. I am a hupocrite. I am afraid of everything. Lucifer is inside me).

□ فقد قَدَّم الأسقف «بول مور» ـ في كنيسة نيويورك ـ أقوىٰ دفاعٍ عن الفيلم قائلاً: «إنه صحيح من الناحية اللاهوتية، وعلىٰ الرغم من أن ممارسةَ «يسوع» للجنس مع مريمَ المجدلية، قد يؤذِي مشاعرَ البعض، فيجبُ علينا أن نتذكَّرَ أنه حُلْم، وأنه ليس إلا صورةً أخرىٰ ليسوع، وعملاً فنيًا يؤكِّدُ علىٰ جوانبَ معيَّنةٍ من شخصيته»!.

إن الناس اليوم ـ يا جَنَاب الأسقف ـ، يعيشُون حقًّا عالَمَ الهلوسة!.

□ كذلك قال القس «وليام فور» ـ من «المجلس الوطني للكنائس» ـ: «إنه يَرىٰ الفيلم: «محاولةً أمينةً تحكي قصةَ «يسوع» من مَنظورٍ مختلف»!.

□ وقال القسُّ اللوثري «تشارلز برجستروم»: «لا يمكنُ اعتبارُ هذا الفيلمِ تجديفًا أو هجومًا علىٰ الأسفار المقدَّسة».

□ وقال الأسقف «أنتوني بوسكو» ـ من «المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك» ـ: «إن مُعاداةَ السامية، والكراهيةَ التي سبَّبها هذا الفيلمُ، يَصعبُ أن تُرضِيَ قلبَ المسيح»!.

✍ حقًّا أيها «الأتقياء» من رجال الكنيسة، لقد اغتِيل الحقُّ باسم الحب، وأنتم علىٰ ذلك من الشاهِدين، بل ومِن المبارِكين! فباسم الحبِّ يُرتكبُ اليوم كل الموبقات.

* بين شيطانيَّاتِ الهندي.. واليوناني!:

صَدَرت روايةُ الدجَّالِ اليوناني «نيكوس كازانتزاكس» عام ١٩٥٥ تحت اسم: «التجربة الأخيرة للمسيح»، وهي تعني التجربةَ الشيطانيةَ الأخيرةَ التي تَعرَّض لها المسيحُ، وانتهت ـ حَسْبَ زَعْمِه ـ بسقوطِ المسيح في

الخطيئة، بعد أن استحوذَ عليه الشيطان، وأخضَعَه لسلطانه!.

وبعد ٣٣ عامًا، صَدَرت روايةُ الدجَّال الهندي «سلمان رشدي» ـ عام ١٩٨٨ ـ تحت اسم «مقاطع شيطانية»، وهي تزعمُ أن للمَقْطَعَينِ ـ على شاكلةِ سَجْعِ الكُهَّانِ وسَدَنَةِ الأصنام ـ قد نَفَثَهما الشيطانُ أثناءَ قراءةِ النبيِّ محمدٍ لإحدى سُور القرآن ـ سورة «النجم» ـ، وكصَفقةٍ شيطانيةٍ بين النبيِّ وأبي سفيان، تُمجِّدُ ثلاثَ معبوداتٍ وثنيةً هي: «أللات، والعزى، ومناة»، وهذا يعني ـ حَسْبَ زَعْمه ـ أن النبيَّ محمدًا استحوذ عليه الشيطانُ يومًا ما، وأخضعه لسلطانه!.

ذلك هو الفِكرُ العامُّ الذي تتضمَّنه كلٌّ من الروايتين، ولَمَّا كانت الأولى قد سَبَقتِ الثانيةَ بمدَّةِ ثُلُثِ قَرْنٍ، كان الانطباعُ العامُّ هو أن الثانيةَ قد جاءت كسَرِقةٍ أدبيةٍ من الأولى.

وإذا تعمَّقْنا قليلاً في دراسةِ البِنيةِ الأساسيةِ لكِلا الروايتين، تَبَيَّنَ لنا صِدقُ القول بأن الهنديَّ سَرَق من اليوناني.

❑ لقد لَخَّص الناقد «جان لوقا سابلون» حقيقةَ التجربةِ الأخيرةِ للمسيح، بقوله: «هل هي حُلم؟ أم تقلُّص الزمن؟ أم خيال؟. . اللَّه والشيطان شيء واحد»![1].

وتلك هي حقيقةُ رواية «مقاطع شيطانية»، فلقد هَرَب الدجَّالُ الهندي من الجِدِّ إلى اللهو والعبث، وذلك باللجوء إلى الأحلامِ والتخيُّلاتِ التي ازدَحَمت بها روايته، وهو قد اعتَرف بذلك صراحةً في مِثل قوله: «لقد

(١) (Reve? Contraction du temps? Fantasme? Dieu et le diable sont un).

بَدَأَتِ الأحلامُ في نفسِ الليلة، وفي تلك الرؤىٰ كان حاضراً دائمًا، ليس كذاتِه، بل كسَمِيِّه.. أنا هو، وهو أنا، أنا كبيرُ الملائكة الدَّمَوي، جبريل نفسه»! (ص٨٣).

«وهذا ما حَلُم به جبريل» (ص٣٦٣).

«حَلُم جبريلُ بالحجاب» (ص٣٧٦).

«حَلُم جبريل بموت بعل» (ص٣٩٠).

«حَلُم جبريل بموت ماهوند» (ص٣٩٣).

▫ واستَخدم الهنديُّ فكرةَ تقلُّصِ الزمن ـ كما ذكرنا سلفًا ـ مستعينًا بتناسُخ الأرواح، والولادةِ مرةً ثانية، وممارسةِ الرُّوحِ لحياةٍ ثانيةٍ يَفصِلُها عن الحياةِ الأولىٰ مُدَّةٌ زَمَنيَّةٌ كبيرة.

▫ وإذا كان الإغريقيُّ قد وضع علىٰ لسانِ المسيح قوله عن نفسه: «إني كذاب.. إن الشيطانَ في داخلي»!.

▫ فلقد وَضَع الهنديُّ علىٰ لسان النبيِّ قوله: «عندما يأتي جبريلُ أشعر كما لو أنه يأتي من أعماقي، مِن نفسي»! (ص١٠٦).

وإذا كان الإغريقيُّ قد أشار إلىٰ أنه عندما تختلِطُ الأمورُ علىٰ صاحب الرسالة ـ المسيح ـ يكون اللّٰه والشيطانُ واحدًا ـ حَسْبَ مزاعِمِه المضلِّلة ـ!! فإنَّ الهنديَّ اقتَبَس تلك الفكرةَ، ووَضَعها في مناقشةِ صحابةِ النبيِّ للصفقة المزعومة مع أبي سفيان حولَ وَضْعِ معبودات الجاهليةِ الثلاث: «اللات، والعزىٰ، ومناة»، فهو يَزعُمُ أن النبيَّ كان يُبرِّرُ قبولَه للصفقة: بأن تلك المعبوداتِ الثلاثَ لن يَكُنَّ كُفُوًا للّٰه، وغايةُ ما في الأمر أن يكون لهنَّ نوعٌ من الوسيلةِ إليه، أي يكنَّ ذاتَ وضعٍ أقلَّ!.

◻ وهنا يَصرخُ بلال: «مِثلُ الشياطين! فيقول له سلمان، لا، بل مثلُ ملائكةِ الطبقة العُليا».

◻ فيُعقِّبُ النبيُّ بقوله: «ملائكة وشياطين، شيطان وجبريل، إنَّنا جميعًا نَقبَلُ بوجودهم بين اللَّه والإنسان»! (ص١٠٧).

◻ «وعندما يستردُّ النبيُّ وَعْيَه، فإنه يصرخُ بكلِّ قوَّتِه، ويقول: «إنه الشيطان! في المرة الأخيرة، كان شيطانًا!.. لقد انخدَعَ وعَرَف أن الشيطانَ جاءه على هيئةِ كبيرِ الملائكة، وأنَّ المقاطعَ التي تلاها في خَيمةِ الشِّعرِ كانت شيطانيةً، فيَعودُ إلى مدينةِ الجاهلية بأسرعِ ما يكون، قاصدًا بيتَ الحَجَرِ الأسود، ويقفُ أمامَ التماثيلِ الثلاثةِ، ويُعلِنُ مَحْوَ تلك المقاطعِ التي هَمَسها الشيطانُ في أذنه» (ص١٢٣ـ١٢٤).

◻ ولقد تكلَّم نُقَّادُ فيلم «التجربة الأخيرة للمسيح»، عمَّا به من أخطاءٍ عقائديةٍ من وجهةِ نظرِ المسيحية، فقالوا: «إن تصويرَ المسيح وهو يلتقطُ أقذاراً وأحجاراً ويقول: هذا هو دَمِي أيضًا، فإنَّ هذا يَجعلُه مؤسِّسَ عقيدةِ وحدةِ الوجود، «التي تقول بأن اللَّهَ والطبيعةَ شيءٌ واحدٌ»، كما أنه مؤسِّسٌ للمسيحية».

◻ كذلك التَقَطَ الهِنديُّ هذه الفكرةَ، ونَسَج على مِنوالها، فاختَرَع مشهدًا يزعمُ فيه أنَّ النبيَّ صَعِدَ الجبلَ ليسألَ كبيرَ الملائكة «جبريل» في موضوعِ المعبودات الثلاث، وأنَّ جبريلَ عندما رآه يَصعَدُ صار يرتجفُ ويتمنَّى لو أن النبيَّ لم يَحضُرْ إليه، ثم يُحدِّثُ نفسَه قائلاً: «إنه يأتي إليَّ مِن أجلِ الوَحْي، يَطلبُ منِّي أن أختارَ بين أن يكونَ مؤمنًا بالإلهِ الواحد «موحِّدًا حقيقيًّا»، أو مؤمنًا بالإلهِ الواحدِ مع عبادةِ آلهةٍ أخرى «موحِّدًا

مزعومًا». . » (ص١٠٩).

◻ ولقد استخدم اليونانيُّ فِقراتٍ من الأناجيل، استنبط منها حينًا، ما استهواه خيالُه، واستَخدَمَ لفهمها - أحيانًا - تفاسيرَ منحرفةً وروايات منحولة، أوقعتْه في هذه الضلالات.

فمثلاً: تذكرُ الأناجيلُ المتشابهة «متَّى ومُرقس ولُوقا» أنَّ الروحَ أخرج المسيحَ إلى البريَّة، وهناك جرَّبه الشيطان، وبعد أنِ اجتازَ التجاربَ بسلام، «تركه أبليسُ، وإذا ملائكةٌ قد جاءت فصارت تخدُمه - متى ٤ : ١١».

◻ إلا أن «لوقا» ختَم حديثَه عن تجربةِ الشيطان للمسيح بقوله: «ولَمَّا أكملَ إبليسُ كلَّ تجربةٍ، فارَقَه إلى حين - ٤ : ١٣».

إن هذا يعني بداهةً أنَّ للشيطان عودةً أخرى لتجربةِ المسيح، وكان هذ هو ما استثمره اليونانيُّ في روايتِه «التجربة الأخيرة للمسيح»، إلاَّ أنه ضَلَّ في روايتِه لتلك التجربة التي اعتَمَد فيها على تفسيراتٍ خاطئةٍ وروايات متهرِّئة.

كذلك يُقرِّرُ إنجيل «يوحنَّا» أن «يهوذا» كان أمينًا للصندوق (١٣ : ٢٩)، ولهذا وصفه اليونانيُّ بأنه «أفضلُ أصحاب المسيح»، وصَوَّرَه في صورةِ يهوديٍّ حريصٍ على الإسرائيليين أكثرَ من حرصِ المسيحِ نفسِه.

◻ وكذلك يَذكرُ إنجيل «يوحنَّا» أنه في العَشَاء الأخير، قال المسيح ليهوذا: «ما أنت تعملُه، فاعْمَلْه بأكثرَ سرعة، وأمَّا هذا فلم يَفهَمْ أحدٌ من المتَّكِئين لماذا كلَّمه به - ١٣ : ٢٧-٢٨».

◻ مِن هنا قال اليونانيُّ - وغيرُه من المدافِعين عن يهوذا -: «إن المسيحَ كان يرجوه أن يَخونَه لكي يقبِضوا عليه ويقتــلوه صَلْبًا، بزَعمِ أن تلك كانت

خُطةَ اللَّه لخَلاصِ العالَمِ من الخطيئة»!.

ولقد كان هذا ما فَعَله الهنديُّ في سَيرِه على خُطى اليونانيِّ، إذِ اعتَمَد في حديثِه عن المقاطعِ الشيطانية، على رواياتٍ متهالكةٍ قامت على تفاسيرَ منحرفةٍ لبعضِ آياتِ القرآن، مثل قول اللَّه لنبيه: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

إنَّ الفهمَ اللُّغوي لهذه الآياتِ ليس في حاجةٍ إلى خَلْفيَّةٍ علميَّةٍ أو تاريخيةٍ بما كان بين هؤلاء - المشركين الذين تحدَّث عنهم القرآن - وبين الرسول، فالآيةُ الأولى تؤكِّدُ بوضوحٍ أن اللَّهَ ثَبَّته، وبالتالي لم يَركَنْ إليهم.. والآيةُ الثانيةُ تُبيِّنُ أنه لو فعَل وركَن إليهم - ولو شيئًا قليلاً -، لكان عَذابُه مضاعَفًا.

إنَّ القضيةَ واضحةٌ تمامًا، لكنْ هناك مَن تعامَوْا عن صَدْرِ الآية الأولى، ووقفوا يَنظُرون إلى بعضِ بقيَّتها نَظَرَ مَن يريدُ وقوعَ المنفيِّ وقوعَه، فاختَرعوا رواياتٍ باطلةً لا تَصمُدُ أمامَ التمحيص العِلميِّ ساعةً من نهار، وليس معنى ركونِ الرسولِ إلى المشركين - لو وقع - أنْ يأتيَهم بقرآنٍ من عنده ليرضيَهم افتراءً على اللَّه، وكيف يكونُ هذا، واللَّهُ يُحذِّرُ المؤمنين من الركونِ إلى الظالمين، في قوله: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]؟!.

فالركونُ إليهم، يعني - لغةً - موالاتَهم، أو القعودَ عن مجاهدتهم، أو الاعتمادَ عليهم.

✍ وأخيراً، نلاحظُ أن اليونانيَّ قد استَخدم النساءَ في حياةِ المسيح أسوأَ استخدام، وعلىٰ خُطاه سار الهنديُّ عاريًا، مجرَّدًا من كلِّ سِترٍ أو حياء.

ولَمَّا كانت روايةُ «التجربة الأخيرة للمسيح» من أكثرِ الكُتُبِ رَواجًا عندما صَدَرت عام ١٩٥٥، فقد سال لُعابُ الدجَّالِ الهنديِّ أن يكونَ لروايته الشيطانيةِ مِثلُ ذلك الرَّوَاج، ولَمَّا كان يَعلمُ في قَرارةِ نفسِه أنه كاتبٌ مغمورٌ فاقدُ الموهبة، فلم يَجِدْ له مِن وسيلةٍ سوىٰ إرضاءِ المِزاجِ الغربيِّ الذي تَربَّىٰ علىٰ الخَوفِ من الإسلام والطعنِ في نبيِّه وكتابِه وكراهيةِ المسلمين ـ كما قرَّر ذلك بحقٍّ «برنارد شو» قبل خمسين عامًا ـ، وذلك بترديدِ أكاذيبَ باليةٍ عن القرآن، والخَوضِ في مطاعنَ قديمةٍ حولَ تعدُّدِ زوجاتِ الرسول، وكلُّها من الموضوعات التي قُتلت بحثًا وتفنيداً، ولم يَبقَ فيها مزيدٌ لمستزيد.

◻ «فليس تحت الشمس جديد، إن وُجد شيءٌ يقال له: انظر! هذا جديد، فهو منذ زمانٍ كان في الدهور التي كانت قَبلَنا ـ سِفر الجامعة ١: ٩ ـ ١٠».

◻ وأخيراً، نقول: إنه ليس عجيبًا أن تَصدُرَ هذه الأساطيرُ الشيطانيةُ عن بعضِ مَن ينتسبُ إلىٰ الهند أو اليونان.

اقرؤوا التاريخَ القديم ـ إن شئتم ـ، واقرؤوا مِن أين جاءت مِثلُ هذه الأساطير[1].

* مُحاكمة سلمان رُشدي، والحكمُ بردَّته، وحَدُّ المرتدِّ القَتلُ:

◻ نقول لأهل الكتاب: نحن نعلمُ أنَّ سلمان رشدي دَجَّالَ الهِندِ مرتدٌّ، وحَدُّه القتل في شريعتنا الإسلامية؛ ولكنْ نُطالِبُكم بمحاكمتِه وِفقَ

(١) «تعدد نساء الأنبياء» (ص٤٦٩ ـ ٤٨٠) ملخصًا.

نصوصِ كتابكم، فلقد طَعَن في الإله والملائكةِ والنبيِّين، وكان لأمين العرش جبريل وأبي الأنبياء إبراهيم النصيبُ الأكبرُ من السخرية والشتائم والإهانات، وباختصارٍ لقد جَدَف على المقدساتِ، فماذا أنتم قائلون في جرائمةِ بالنسبة للمقدَّسات عندكم، وها هي جرائمه.

*** جرائم الدَّجَّال سلمان رشدي:**

١ ـ السخريةُ من الإله ومن خَلَقه البشر ذَوِي خيالٍ وأحلام، وذلك في قوله: «لو كنتُ اللَّهَ، لأبطلتُ الخيال فوراً من أذهانِ الناس، وآنَذَاك قد يستطيعُ أولادُ الزِّنا المساكينُ مِثلي أن يَحصُلوا على قِسطٍ طيِّبٍ من الراحة بالنوم بلا أحلامٍ بمضاجعةِ الأمهاتِ ليلاً»! (ص١٢٢).

٢ ـ الحديثُ عن اسمِ اللَّه بسخريةٍ وتهكُّم، إذ يقول: «يوجَدُ إلهٌ يُسمُّونه هنا: «اللَّه»، الذي يَعني ببساطة: الإله، وإذا ما سألتَ الجاهليِّينَ عنه، فسيعترفون بأنَّ هذا الشخصَ له نوعٌ من السُّلطان الكُلِّي، إلاَّ أنه لا يتمتَّعُ بحَظوةٍ كبيرةٍ بينهم، فهو إلهٌ يقومُ بكلِّ الأدوار في زمنِ التماثيلِ المتخصِّصة»! (ص٩٩).

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ لفظ الجلالة «اللَّه» ـ بهذا النطق الصوتي «ALAH» كما في العربية ـ هو ما ذَكَره عالِمُ اللاهوت الدكتور «سكوفيلد» في الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدَّس الإنجليزي «ENGLISH BIBLE» ـ بمعاونةِ ثمانيةٍ من العلماءِ حَمَلَةِ الدكتوراة في اللاهوت ـ، وذلك في تعليقه على العددِ الأول من «سِفْر التكوين» الذي يقول: «في البَدْء خَلَق اللَّه[1]

---

(١) The three primary names of Diety: Elohim, Jehova, and Adoni, and

السموات والأرض»، وللأسف، فإنَّ الطبَعاتِ التاليةَ لتفسير «سكوفيلد»، قد حَذفت كلمة «ALAH»، حتىٰ لا يُدرِكَ عامَّةُ المسيحيين أن عليهم أن يَعبُدوا الإلهَ الذي يَعبُدُه المسلمون، ويعرفونه باسم «اللَّه».

* يقولُ اللَّهُ في قرآنه، تعليمًا للمسلمين: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٣ ـ الاستهزاءُ بالملائكةِ، والسخريةُ من تطويعِ اللَّهِ لهم بكلماتٍ معسولةٍ ووعودٍ براقة.. فهو يقول: «وماذا عن الحالة الملائكية؟ هي وَضعٌ وَسَطٌ بين الألوهيَّةِ والإنسيَّة، ألم يَعترِهِم الشكُّ أبدًا؟ بلىٰ، فقد حَدَث ذاتَ يومٍ أنِ اعتَرَضوا علىٰ إرادةِ اللَّه، حيث توارَوا تحتَ العرشِ متذمِّرين، ومتجاسِرِين علىٰ التساؤل عن أشياءَ محظورٍ السؤالُ عنها: هل من الصواب أن..؟.. فكان طبيعيًّا أن يُهدِّئَ الإلهُ من تذمُّرِهم مستخدِمًا مهاراتِ الإدارةِ الألهيَّة، فلقد أشبَعَ غُرورَهم بقوله: «ستكونون وسائلَ تنفيذ إرادتي في الأرض، وأدواتي لخلاصِ الإنسانِ وهلاكه، وكلَّ الهلُمَّ جرًّا المعتادة»! وآنذاك: هُتافاتُ فرحٍ سريعة، ونهايةٌ للاحتجاج، وعَودةٌ ثانيةٌ إلىٰ العمل، تُصاحِبُهم الهالات!.

إن الملائكةَ يمكنُ تهدئتُهم بسهولةٍ، فإذا جَعَلْتَهم وسائلَ في يَدِك،

---

the five most impori ant of the Compoumd names, occur in Genesis. =
Elohim (sometimes EL or Elah), Engish form: God, formed fiom: EL = strength, or the strong one, and Alah, to swear, to bind oneself by , so implying faithfulness.

فلسوف يَعزِفون لحنَ قِيثارتِك المفضَّل، أما البشرُ، فإنهم نوعٌ مُشاكِس، يستطيعُ الشكَّ في كلِّ شيءٍ، حتىٰ ما تَشهَدُه عيونُهم» (ص٩٢).

٤ ـ وفي تهكُّمٍ عابث، يقول: «في تلك السنوات هل من الممكن القولُ بأن كبيرَ الملائكةِ جبريل؟ أم أن نقول: اللَّه قد تسلَّطَتْ عليهِ فكرةُ التشريع»! (ص٣٦٣).

□ «أنا كبيرُ الملائكة الدَّموي، جبريل نفسه» (ص٨٣).

٥ ـ وعن إبراهيمَ خليلِ اللَّه، يقول: «في قديمِ الزمان، جاء الأبُ إبراهيم إلىٰ هذا الوادِي بصُحبةِ هاجر وابنِهما إسماعيل، وهناك في تلك البرِّيَّةِ عديمةِ الماءِ تخلَّىٰ عنها، فسألته: هل يمكنُ أن تكونَ هذه إرادةَ اللَّه؟ فأجابها: إنها لكذلك. . ثم رَحَل ابنُ الزنا! منذ البَدْء، استَخدم الناسُ الإلهَ لتبريرِ ما لا يُمكِنُ تبريره!» (ص٩٥).

إن ذلك الكاتبَ الهنديَّ يشتُمُ أبا الأنبياء، ويَصِفُه بـ «ابن الزِّنا»، ثم يَتَّهِمُه بالكذبِ علىٰ اللَّه!.

٦ ـ ثم هو يتَّهِمُ الأنبياءَ جميعًا بأنهم جاؤوا من عندِ أنفُسِهم، ومِن ثَمَّ كان منهم الواقعيُّ، ومنهم المثالِيُّ، ومنهم المُتزمِّت، ومنهم المتساهِل، وذلك ما يَنطوي عليه قوله: «ماهوند أكثرُ الأنبياءِ واقعيةً، فقد وافَقَ علىٰ فترةٍ انتقالية» (ص٣٨١).

* الحُكم:

مِن الثابت أن الكاتبَ الهنديَّ «سلمان رشدي» قد ارتَكَب الجرائمَ الآتيةَ:

ـ التجديفُ علىٰ اللَّه.

ـ التجديفُ على اسم اللَّه.

ـ التجديفُ على الملائكة.

ـ سبُّ خليلِ اللَّه إبراهيم والطعن فيه.

ـ الطعنُ في الأنبياء والسخرية منهم.

وتطبيقًا للأحكام الواردة في: (خروج ٢٢: ٢٨)، (لاويين ٢٤: ١٥ ـ ١٦)، (لاويين ٢٠: ٩)، واسترشاداً بتعاليم المسيح في: (متى ١٢: ٣١ ـ ٣٧)، (مرقس ٧: ٢١ ـ ٢٣) ـ تكون عقوبة الكاتب الهندي سلمان رشدي هي: «الرجم حتى الموت».

ذلك هو الحُكمُ على سلمان رشدي، وِفقَ أحكامِ الكتاب المقدس عند اليهودِ والنصارى، وهو حُكمٌ لا رَجْعةَ فيه، ولا فُرصةَ عنده للنجاةِ منه[1].

* **سلمان رشدي قِزمٌ مرتدٌّ؛ لأنه:**

ـ سَخِرِ واستهزأ باللَّه ربِّ العالمين، ووَصَفَ القرآنَ بأنه «أسطورةٌ خرافية».

ـ ولقوله بأن الأصنامَ تَشفعُ للناس يومَ القيامة.

ـ وأنَّ الشيطانَ استطاع أن يُلقيَ على لسانِ النبيِّ ﷺ آياتٍ تَمتدحُ الأصنامَ، وتعظِّمُ من شأنها.

ـ ذمَّ الرسولَ ﷺ بكلمة «ماهوند»، ومعناها: «الشرير» أو «المخادع» أو «النبي المزيف»، وألصَقَ به كلَّ قبيح.

ـ لَقَّبَ إبراهيم عليه السلام بأنه ابنُ زانية!.

---

(١) «تعدد نساء الأنبياء» (ص٤٨١ ـ ٤٨٨).

- وصَف الفاجرُ الدَّعِيُّ زوجاتِ الرسولِ ﷺ الطاهرتِ بأنهن «مُومسات»، وأنهن يَعْمَلْنَ في بيوت الدعارة.

- شنَّ هجومًا على السيدة عائشة ﵂، وكيف تَمَّ زواجُها من الرسول ﷺ.

- جعل مكةَ المكرَّمةَ «مدينةَ الجاهلية والأوثان».

- وَصَف جبريلَ ﵇ بأنه من المُنادِين والمؤيدِّينَ للواط.

- ووَصَفه بأن لسانَه لا يعرفُ إلاَّ الشتمَ واللِّعان.

- وصفَ الصحابةَ ﵃ بأنهم «رجالُ همجيةٍ لا يَعرِفون إلاَّ الفَوضويَّة».

- وَصَف سلمانَ الفارسيَّ بأنه «مخادع وغَشَّاش».

- شكَّك في نزولِ الوحي على رسول اللَّه ﷺ.

- ووَصَف المسلمين بأنهم متوحِّشين، وقاعدتُهم الأصليةُ في الحياة هي تعذيبُ الآخرين.

اللَّهم أرِنا آيةً من آياتِك في هذا القِزْمِ الدَّنِسِ النَّجِس.

*** رسالة إلى سلمان رشدي:**

◻ كتب الشاعر «فاروق جُويدة» هذه القصيدةَ الطيبة، وكَتَب في مقدِّمتها: «سلمان رشدي كاتب مسلم، ارتدَّ عن الإسلام، ولم يكتفِ بذلك، بل وَجَّه في كتابه «آيات شيطانية» أكبر إساءةٍ يُوجِّهُها كاتبٌ في التاريخ إلى رسول اللَّه ﷺ»:

فِي زَمنِ الردَّةِ والبُهتَانْ

اكتبْ مَا شئتَ ولاَ تخجلْ
الكفرُ مباحٌ . . يَا سَلْمَانْ
ضَعْ أَلفَ صليبٍ . . وصَليبٍ
فَوقَ القُرآن
وارجُمْ آياتِ اللَّه ومزِّقْهَا
فِي كلِّ لِسانْ
لاَ تَخْشَ اللَّهَ ولا تَطْلبْ
صَفْحَ الرَّحمَن
فَزَمَانُ الرِّدَّةِ نَعرفُهُ
زمنُ المَعْصيةِ . .
بِلاَ غُفْـرَانْ
إنْ ضَلَّ القَلْبُ فَلا تَعْجَبْ
أَنْ يسْكُنَ فِيهِ الشَّيطَانْ
لاَ تَخْشَ خُيُولَ أَبِي بَكْرٍ
أَجْهَضَهَا جبنُ الفرْسَانْ
وبِـــلالُ الصَّــامتُ
فَـوقَ المَسْـجِدِ
أَسْكَتَهُ سَيْفُ السَّجَّانْ
أتَـــراه يؤذِّنُ
بَينَ النَّاس بِلا استئذانْ؟

أَتُــراهُ يرَتِلُ باسمِ اللَّه

وَلا يَخْشَى بَطْشَ الكُهَّانْ؟

فاكْتبْ مَا شِئْتَ ولاَ تَخْجَلْ..

فالكُلُّ مهَــانْ

واكفُرْ مَا شِئْتَ ولاَ تَسأَلْ

فالكُلُّ جبَّـــــانْ

* * *

فالأَزهَرُ يَبْكِي أَمْجَــاداً

ويُعيــدُ حكَايا..

مَا قَدْ كَــان

والكَعْبَةُ تَصرُخُ فِي صَمْتٍ

بَينَ القُضْبَانْ

والشَّعْبُ القَابِعُ فِي خَوْفٍ

يَنْتَظِرُ العَفوَ مِنَ السُّلطَانْ

والنَّاسُ تُهَروِلُ فِي الطُّرقاتِ

يُطَارِدُهَا عَبَثُ الفِئرَانْ

والبَابُ العَالي يَحْرُسُه

بَطْشُ الطُّغْيَانْ

* * *

أيامُ الأُنسِ وبهجتُها

والكأسُ الراقصُ والغِلمانْ

والمالُ الضائعُ في الحاناتِ
تِسيلُ على أيدي النُّدْمانْ
فالبابُ العالي ماخورٌ
يسكنُه السُّفْلةُ والصبيانْ
يحميه السارقُ والمأجورُ
ويحكُمُه سِربُ الغِربانْ
جلاَّدٌ يَعبثُ بالأديانْ
وآخَرُ يَمتهِنُ الإنسانْ
والكلُّ يُصلِّي للطغيانْ

* * *

ومحمدُ نُورٌ مسْجُونٌ
بينَ الجُدْرَانْ
وخَديجةُ تَبْكِي فِي شَجَنٍ
أَيَّامَ النَّخْوةِ.. والفُرْسَانْ
عَائشَةُ تُحدِّقُ فِي صَمْتٍ
تَسْأَلُ عَنْ عُمَرٍ..
أَوْ عُثْمَانْ
فَاطِمَةُ تُنَادِي سَيفَ اللَّهِ
فَلاَ تَسْمَعُ غيرَ الأَحْزَانْ

* * *

أسألُكَ بربِّكَ يَا سَلْمَانْ

هَلْ تَجْرُؤ أَنْ تكسرَ يومًا

أَحــدَ الصُّلْبانْ؟

أَنْ تسْخرَ يَوْمًا مِنْ عِيسَىٰ

أَوْ تُلقِي مَرَيمَ فِي النِّيرَانْ

مَا بيْنَ صَلِيبٍ.. وصَلِيبٍ

أحْرَقْتَ جَمِيعَ الأَدْيَانْ

فاكْتُبْ مَا شئْتَ ولاَ تَخْجلْ

فَالكُلُّ مُهَانٌ.. وجَبَــــانْ

* * *

خبِّرنِي يَوْمًا..

حِينَ تُفِيقُ مِنَ الهَذَيَانْ

هَلْ هذَا حَقُّ الفنَّانْ..؟

أَن تُشْعِلَ حِقْدَكَ فِي الإنجِيلِ

وتَغْرِس سُمَّكَ فِي القُرآنْ

أَنْ تَرجُمَ مُوسَىٰ أَوْ عِيسَىٰ

أَوْ تَسْجُنَ مَرْيَمَ فِي القُضْبَانْ

أَنْ يَغْدو المَعْبَدُ والقدَّاسُ

وبَيتُ اللَّهِ

مجَالسَ لَهو للرهْبَــانْ

أَنْ يَسْكرَ عيسَىٰ فِي البَارَاتِ
ويَرقُصَ مُوسَىٰ للغلْمَانْ
هَلْ هَذَا حَقُّ الفَنَّانْ؟
أَنْ تَحْرِقَ دِينًا فِي الحَانَاتِ
لتبْنِي مَجْدَكَ بالبُهْتَانْ؟
أَنْ تَجْعَلَ ماءَ النَّهرِ
سُمُومًا تُسْرِي
فِي الأَبْــدَانْ..
لَنْ يُشْرِقَ ضَوءٌ مِنْ قَلْبٍ
لاَ يَعْرِفُ طَعمَ الإِيمَانْ
لَنْ يَبْقَىٰ شَيءٌ مِنْ قلمٍ
يَسْفكُ حُرُمَاتِ الإِنسَانْ
فاكفُرْ مَا شِئْت
ولاَ تَخْجَلْ
مِيعَادُكَ آتٍ يَا سَلْمَانْ
دَعْ بَابَ المَسْجِدِ
يَا زِنْدِيــــقُ
وقُمْ واسْكرْ بينَ الأَوثَانْ
سَيَجِيئُكَ صَوتُ أَبِي بكرٍ
ويصيحُ بخَالِد:

قُمْ واقْطَعْ رأْسَ الشَّيْطَانْ
فمحمَّدُ بَاقٍ
مَا بَقِيتْ دُنْيا الرَّحْمَنْ
وسيَعْلُو صَوْتُ اللَّه . .
وَلَوْ كَرِهُوا
فِي كُلِّ زَمَـــانٍ . .
وَمَكَـــانْ[1] .

◻ بيان الدفاع عن سلمان رشدي :

وَقَّع البيانَ خَمسةٌ من المصريين، في مقدِّمتهم الأستاذ «أنيس منصور» الذي يهاجم سلمان رشدي في الصحف المصرية، بينما يقول ضاحكًا: إنه وقَّع البيانَ العالَميَّ بالدفاع عنه بالفاكسميلي وهو في المدينة ـ المنورة ـ في ضيافة الحَرَس الوطنيِّ السعودي[2] !!! ما وَقَّع البيانَ كلٌّ من: أمينة السعيد، ونوال السعداوي التي مَولَّت «مؤسسةُ فورد» موتَمرَها لتحرير المرأة . . وأحمد عثمان مرسى سعد الدين شقيق بليغ حمدي ولا فخر[3] .

* * *

(١) قصيدة «إلى سلمان رشدي» من ديوان «زمان القهر علَّمني» للشاعر فاروق جويدة (ص٦٣ ـ ٧٢) مكتبة غريب.

(٢) عاملك اللَّه بما تستحق يا أنيس أليست هذه خيانة للمضيف الذي أكرمك ولا يعرف شيئًا عما تفعله وأنت في ضيافته.

(٣) «أولاد حارتنا فيها قولان» لمحمد جلال كشك (ص٣٤) ـ الزهراء للإعلام العربي.

الرَّدُّ العِلميُّ على قِصةِ «الغرانيق»

● قال رسول اللَّه ﷺ: «يَحملُ هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، ينفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطلينَ، وتأويلَ الجَاهلينَ»[١].

وهذه بِشارةٌ مِن اللَّهِ سُبحانَه على لِسانِ نبيِّهِ ﷺ.

فَلْيَطْمَئِنَّ المُسْلمونَ، ولْيَهْنَإِ المُؤمنونَ؛ فإنَّ هذا الدينَ ـ ولِلَّهِ الحمدُ ـ محفوظٌ بحفظ اللَّه سُبحانَه له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ كتابًا وسُنَّةً.

❑ قال الشيخ «محمد الصادق عُرجون»: «أَقحَمَ بعضُ كُتَّابِ السيرةِ النبويةِ، وجماعةٌ مِن المُفَسِّرينَ، وطوائفُ مِن المُحَدِّثينَ؛ في كُتُبهم ودَوَاوِينهم ومؤلَّفاتِهم أُقصوصةَ الغَرانيقِ[٢]، وأَلْصَقُوها بهجرةِ الحبشةِ، وجعَلوها سببًا لعوْدَةِ المَهاجرينَ الأوَّلينَ إلىٰ مكَّةَ، وهي أُقصوصةٌ مختلَقَةٌ، باطلةٌ في أَصلِها

---

(١) حديثٌ حسنٌ.

(٢) وسيأتي إيرادُها بتفاصيلها كافَّة، وبطرُقها جميعًا.

«والغَرانِيقُ: الذُّكور مِن طيرِ الماء، واحدُها: غُرْنوق؛ كعُصْفور، أَو غِرْنَوْق؛ كفِرْدَوْس، أَو غِرْنَيْق؛ كمِعلَّيْق، أَو غِرْنِيق؛ كَمِسْكين.

وهي طيورٌ بيضٌ طويلةُ الأعناقِ والقوائمِ.

وقيلَ: الغُرْنُوقُ: هو الكُرْكِيّ.

ومَعْنىٰ قولِ الشَّيطانِ: «تلكَ الغَرانِيقُ العُلَىٰ»: أَنَّ الأصنامَ في عُلُوِّ مَنْزِلَتِها ورفعَةِ شأنِها؛ كالغرانيقِ المرتفعة نحو السماء في طَيرانِها».

كذا في «رحلة الحج إلىٰ بيت اللَّه الحرام» (ص١٢٩) للشيخ العلامة محمد الأمين الشِّنقيطي.

وفصلِها، وأُكذوبةٌ خبيثةٌ في جُذورِها وأغصانِها، وفِرْيَةٌ متزندِقَةٌ اختَرَقَها غِرْنَوقٌ أَبلهُ جَهولٌ، أَو شيخٌ حاقدٌ علىٰ الإسلامِ زِنديقٌ، أَو منافِقٌ فاجرٌ عِربيدٌ، أَلقىٰ بها إليهِ شيطانٌ عابثٌ مَريدٌ، يتلعَّبُ بعُقولِ البُلْهِ المُغفَّلِينَ، الذين يَتَكَثَّرونَ تَعالُمًا، ويَتَلَقَّفونَ كُلَّ شوهاءَ فَجُورٍ، فجرَتْ إلىٰ مَجتمعاتِ أَعداءِ الإسلامِ، مِن كُلِّ يهوديٍّ خبيثٍ، وكُلِّ مُلحدٍ عَتِيٍّ.

وسَرَتْ منهُم إلىٰ كُلِّ مُسلمٍ أَبْلَهَ مُغرَّرٍ، وكُلِّ متَعالِمٍ مُغفَّلٍ، وكُلِّ جَدَليٍّ مُتفَيْهقٍ، وكُلِّ مغرورٍ مخدوعٍ بكواذبِ المدحِ والثَّناءِ، وكُلِّ حَفَّاظٍ صَمَّامٍ، وكُلِّ مُلَبَّسٍ عليه يزعُمُ أَنه مجتهدٌ، وكُلِّ خابطٍ هنا وهناك يتكذَّب، وكُلِّ حاطبٍ في ظُلماتِ الجهلِ، يتلقَّفُ العلمَ مِن وراءِ طَنينِ الأسماءِ؛ دونَ تمحيصِ ناقدٍ أَو بحثٍ مُسَدَّدٍ، وكُلِّ مُدَّعٍ دَعِيٍّ، وكُلِّ مُتَسَقِّطٍ يزعُمُ أَنَّه مجدِّدٌ، وكُلِّ ملتقطٍ يزعُمُ أَنَّهُ مُتَنَقٍّ، وكُلِّ مَزْهُوٍّ بالغُرورِ يزعُمُ أَنَّه وحيدُ دهرِهِ، وفريدُ عصرِهِ، بل واحدُ أُمَّته، لو قيلَ له: «إنَّ الشيطانَ يُلَبِّسُ عليك في عِلْمِك، فيُوهِمُك ما ليس بحقٍّ أَنه حقٌّ»؛ لانتفخَتْ أَوداجُهُ غَضبًا لنفسِهِ، ولكنَّه يُقْبِلُ ويدافعُ دفاعَ المستميتِ عن قِصَّةٍ مُزوَّرةٍ تَهْدِمُ أَصلَ أُصولِ الإسلامِ، وتَخْرِقُ سياجَ النُّبُوَّةِ، وتُبطِلُ عِصمةَ الأنبياءِ؛ اعتمادًا علىٰ رَمْرَمَةٍ مِن مراسيلَ واهيةٍ.

فباضَتْ هذه الأكذوبةُ البَلْهاءُ بينَ أَحضانِ هؤلاءِ، وفَرَّخَتْ في أَعشاشِهِم، وزَقْزَقَتْ أَفراخُها في أَوكارِهِم، وطارتْ بأَجنحةِ الافتراءِ الأبلهِ إلىٰ آفاقِ التاريخِ الإسلاميِّ المظلومِ، فتَلَقَّفَها كُلُّ راوَنْديٍّ ملحدٍ، وحَمَلَها كلُّ زِنديقٍ مُفسدٍ؛ لِيَطعَنَ بها في سُوَيداءِ قلبِ القرآنِ الكريمِ الحكيمِ المُحْكَمِ، ويفتِكَ بخنجرِها بالسُّنةِ المطهَّرةِ المُبيِّنةِ ـ وهما أَصلُ أُصولِ الإسلامِ اللذانِ قامَ

على دعائمِهِما شامخُ صَرْحِ هذا الدينِ القَيِّمِ ـ؛ لِيُزَعْزِعَ الثقةَ بأَصليهِ، فينفَلِتَ مِن أَيدي المسلمينَ زِمامُ دينِهِم الذي أَنزلَهُ اللَّهُ تعالىٰ هدًىٰ ورحمةً للعالَمينَ، لِيَهْدِمَ بهِ كُلَّ بناءٍ للوثنيةِ والإلحادِ، ويَقْضِيَ بهدايتِه علىٰ مَعالِمِ الشركِ والإفسادِ، ويُضَعْضِعَ بآياتِه كُلَّ تفلسُفٍ مُتَزَنْدِقٍ، وكُلَّ زندقةٍ متفلسفةٍ، ويُقيمَ بشرائعِهِ وأَحكامِهِ منائرَ التوحيدِ الخالِصِ للَّهِ تعالىٰ وحدَهُ، وينْشُرَ بآدابِه في آفاقِ الحياةِ نورَ الحقِّ والخيرِ.

هذه الأكذوبةُ الغِرْنَوقِيَّةُ الخبيثةُ تريدُ من المسلمينَ أَن يَجْعَلوا مِن سيِّدِ المرسَلينَ، خاتَمِ الأنبياءِ، محمدٍ ﷺ، أُلعوبةً في يدِ الشيطانِ، وأَنْ يَجْعَلوا منهُ ﷺ مَعْبَثَةً للشِّركِ والمُشركينَ، وأُبطولةً يَرْقُصُ مِن حَوْلِها المَلاحدةُ والحاقدونَ!.

ولكنَّ اللَّهَ تعالىٰ يأبىٰ إلاَّ أن يَجْعَلَ مِن دينِهِ ـ دينِ الإسلامِ الذي رَضِيَهُ لأمَّةِ محمدٍ ﷺ ـ حِصْنًا حَصينًا، لا تَقْتَحِمُهُ الأباطيلُ والتُّرَّهاتُ، ولا تَنْطَلي علىٰ حُذَّاقِ حَمَلَتِه مِن الجَهابذةِ زندقةُ المُتزندِقينَ.

وقد أَخبرَ سُبحانَه إخبارًا ـ لا يتخالَجُهُ الرَّيْبُ، ولا يَحومُ حولَ حِماهُ الشَّكُّ ـ، بأَنه هو الذي تولَّىٰ بنفسِهِ حِفْظَهُ بحفظِ دستورِهِ: القُرآنِ الحكيمِ المحكَمِ، فلا يدخُلُ إلىٰ ساحتِهِ افتراءُ المُفْتَرينَ، ولا يَلِجُ إلىٰ حَظيرةِ قُدْسِهِ عَبَثُ الشياطينِ، فقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولْيَتَأَمَّلِ المُتَأَمِّلونَ في هذهِ الآيةِ الحكيمةِ المحكَمَةِ، وفي قولِ اللَّهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ لِيَرَوا ما أَضفَى ربُّ العزَّةِ تباركَ وتعالىٰ علىٰ كتابِهِ: القرآنِ الحكيمِ المحكَمِ مِن حفاوةِ الاختصاصِ بتولِّي حفظه، وإسنادِ ما أفاضَهُ علىٰ التَّوارةِ من فَضْلِهِ، فوكَّلَ حفظَهُ إلىٰ الرَّبَّانيِّينَ والأَحْبارِ.

◻ قالَ أبو حيَّانَ في «البحرِ»: «وقد أخذَ اللَّهُ علىٰ العُلَماءِ حِفْظَ الكِتابِ ـ أي: التوراةِ ـ مِن وجهينِ:

أَحَدُهما: حِفْظُهُ في صُدورِهِم، ودَرْسُهُ بأَلسنَتِهم.

والثاني: حِفْظُهُ بالعَمَلِ بأحكامِهِ، واتِّباعِ شَرائِعِه.

وهؤلاءِ ضيَّعوا ما استُحْفِظوا حتىٰ تبدَّلَتِ التَّوراةُ.

وفي بناءِ الفعلِ للمفعولِ وكَوْنِ الفعلِ للطَّلَبِ ما يدلُّ علىٰ أنَّه تعالىٰ لم يتكفَّل بحفظِ التوراةِ، بل طَلَبَ منهُم حِفْظَها، وكلَّفَهُم بذلك، فغيَّروا وبدَّلوا، وخالَفوا أحكامَ اللَّهِ؛ بخلافِ كتابِنا، فإنَّ اللَّهَ تعالىٰ تكفَّلَ بحفظِه، فلا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فيهِ تَبْديلٌ ولا تَغْييرٌ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]».

أَفَلا يعْقِلُ الغِزْنوقيُّونَ؟!.

هذه الأكذوبةُ الخبيثةُ البلهاءُ كانت إحدىٰ الفِرَىٰ الحاقدةِ التي طوَّفَتْ ببعضِ مؤلَّفاتِ الجَمَّاعينَ للغَثِّ والسَّمينِ، فرواها في غَفْلَةٍ مِن عقلِهِ وعِلْمِهِ بعضُ المفْسِدينَ، وأُدْخِلَتْ علىٰ بعضِ المُحدِّثينَ؛ مُغَلَّفَةً بأَغْلِفَةِ الأسانيدِ، مُحاطَةً بهالاتِ بريقِ الأسماءِ، فردَّدَها بأساليبَ مختلفةٍ، وفَرْطَحَها كثيرٌ ممَّنْ تلقَّفَها بالبُلْهِ والغَفْلةِ، ورَتَعَتْ في أَسفارِ المُؤرِّخينَ، فأعادُوا فيها

وأَبْدَوْا، وزادُوا ونَقَصُوا، وأَثْبَتُوا وحَذَفُوا، وشَوَّهُوا وزيَّنُوا، ومَسَخُوا وحَرَّفُوا، وتلقَّاها القَصَّاصُونَ فغنَّوا بها، وكانَ إبليسُ هو عازفَ موسيقاها في أَنديَتِهم ومجالِسِهم، ومَصْمَصَتْ لسماعِ أَباطيلِها شفاهُ الجاهلينَ مِن غَوْغَاءِ العامَّةِ، وعامَّةِ الغوغاءِ، الذينَ تَكْبُرُ في صدورِهِم الغَرائِبُ والأعاجيبُ مِن المُضْحِكاتِ المُبْكِياتِ، فَيَهِشُّونَ لها، ويَتزاحَمونَ على محافِلِها.

بَيْدَ أَنَّ هذه الأُقصوصَةَ الخبيثةَ والأكذوبَةَ البلهاءَ لم تُفْلِتْ مِن سِياطِ النَّقْدِ المُمَحِّصِ، فنَهَضَ إليها مِن الجَهابذةِ المَهَرَةِ، والحُذَّاقِ العيالمِ مِن أَئمَّةِ الإسلامِ، المشهودِ لهُم بالفضلِ والصِّدْقِ والتَّبحُّرِ والتفقُّهِ في الدينِ مَن طَعَنَها في أَقتلِ مقاتلِها، فبَهْرَجَ زَيْفَها، وكَشَفَ عن سوْأَتِها، وعرَّاها شوهاءَ متزندقةً، وجَلاَّها بَلْهاءَ مُلْحِدةً، وأَظهَرَها فِرْيةً مستَخْبَثَةً.

ولكنَّها ظَلَّتْ تَعيشُ في أَوديةِ الشياطينِ، تتربَّصُ للوثْبةِ؛ لتُفْسِدَ على المجتمعِ المسلمِ حياتَهُ الإيمانيَّةَ، بتشكيكِهِ في أَصلِ أُصولِ دينِه، ودُستورِ حياتِه: القُرآنِ الحكيمِ المحكمِ، وتُزَعْزِعَ ثقتَهُ في صِدْقِ نبيِّه، سيِّدِ الأنبياءِ والمُرسلينَ، محمدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ؛ لِيُصْبِحَ هذا المجتمعُ المسلمُ الذي اكْتَسَحَ حياةَ الوثنيَّةِ والإلحادِ المشركِ بهُدَىٰ قُرآنه وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ فريسةً للإلحادِ الجديدِ علىٰ أَلسنَةِ المستَشْرِقينَ، والمُبَشِّرينَ الصَّليبيِّينَ، واليهودِ السبائيِّينَ، والزنادقةِ الرَّاوَنْديِّينَ، والمُتَحلِّلينَ من فُجَّارِ الشُّيوعيِّينَ؛ الذينَ عَجَزوا عن مُوافَقَةِ القرآنِ في مواجهةٍ فكريَّةٍ، ومُحاجَّةٍ علميَّةٍ، فلاذوا إلىٰ الافتراءِ يختَلِقونَهُ، وإلىٰ الأباطيلِ يَزْرَعُونَها في أَرضِه، في غَفْلةٍ مِن حُرَّاسِهِ الغُرِّ المَيامينِ؛ لِيُغيِّروا معالِمَ هدايَتِه، ويُشَوِّهوا حقائقَ دُستورِهِ، ويَخْلَعوا عن

نبيِّهِ، سيِّدِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، خِلْعَةَ العِصْمَةِ التي حَفِظَهُ اللَّه بها عن أيِّ خطإٍ فيما يُبَلِّغُهُ الرسولُ عن اللَّهِ تعالىٰ مِن الشَّرائعِ والأحكامِ إلىٰ الخَلْقِ كافَّةً، فكانَتْ عاصِمًا له ﷺ مِن أنْ يكونَ للشيطانِ عليه سَبيلٌ.

والعِصْمةُ عن الخطإ فيما يُبَلِّغُه الرسولُ عن اللَّهِ تعالىٰ ثابتةٌ بإجماعِ طوائفِ الأمَّةِ خَلَفًا عن سَلَفٍ، لم يُعْرَفْ في هذا مخالِفٌ؛ إلاَّ مَن أَوَّلَ وحَرَّفَ وبدَّلَ، وذلكَ أمرُهُ إلىٰ اللَّه، يتولَّىٰ جزاءَهُ بما يستَحِقُّ مِن جزاءٍ.

وقد تناوَلَ هذه الأقْصوصَةَ كثيرٌ مِن القُدَامىٰ والمتأخِّرينَ، وكانَ منهُمْ مَن لهُ دِرايةٌ بصناعةِ التَّحديثِ، ونقدِ الرواياتِ الحَديثيَّةِ، فأَجادَ في بيانِ زَيْفِ جميعِ رواياتِ الأقْصوصَةِ، وما فيها مِن وَهْيٍ ووَهَنٍ يَنْسِفانِها نَسْفًا، ويَذْرِيانِ رَميمَها في مَهَبِّ أعاصيرِ الأباطيلِ، ولكنَّهُ كَعَّ عن الصَّراحَةِ في الردِّ علىٰ مَن أثْبَتَها مِن الأكابِرِ ذَوِي الشُّهْرَةِ والرَّنينِ.

وكُلُّ أحدٍ مِن النَّاسِ يؤخَذُ مِن قولِهِ ويُرَدُّ عليه؛ إلاَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فهو وحدَهُ المعصومُ عن أنْ يُبَلِّغَ عن اللَّهِ إلاَّ ما هُو حقٌّ وهُدًىٰ.

والمتأمِّلُ في صنيعِ الجهابِذَةِ مِن جُنْدِ اللَّهِ، ومَهَرَةِ عيالِمِ عُلومِ تفسيرِ القُرآنِ والسُّنَّةِ وحُذَّاقِها؛ فِقْهًا وتفقُّهًا وصناعةً، في تزييفِ أُقصوصةِ الغَرانيقِ البَلْهاءِ وإبطالِها في مَنابِتِها، واستحالَةِ وُقوعِها؛ يَجِدُ هذا الصنيعَ أَقْوَمَ مَسْلَكًا، وأَسدَّ منهجًا، وأَعمقَ منبعًا، وأَرضىٰ مَصْرِفًا، وأَصدَقَ بُرهانًا، وأَسطعَ حُجَّةً، وأَضوَأَ مَشْرِقًا، وأَصفَىٰ مَشْرَبًا، وأَعدَلَ مَقْصِدًا، وأَبدَعَ مَشْرَعًا، وأَحقَّ مُتَقَبَّلاً، وأَعذَبَ مَذاقًا، وأَحلىٰ مَوْرِدًا، وأَنجعَ شِفاءً، وأَقطعَ لجذورِ الفِتْنَةِ؛ لأنَّه يَجمَعُ النظرَ المُحكمَ من جميعِ جوانِبِه النقليَّةِ

والعقليَّةِ، فلا يَدَعُ منها جانبًا لغامزٍ، ولا يتركُ فيها سبيلاً لقولِ مُتكذِّبٍ»[1].

◘ قالَ الدُّكتور: «نبيل السَّمَّان» في كتابهِ «هَمَزات شَيطانيَّة وسَلْمان رُشْدي» (ص٥٥): «. . أما قصَّة الغَرانِيق العُلا التي يُرَكِّز عليها ويستثمرُها أَعداءُ الإسلامِ أسوأَ استثمارٍ، هي في الأصلِ أُكذوبةٌ معروفةٌ ومَألوفَةٌ ورائِجَةٌ، ثم جاءَ سَلْمان رُشْدي لِيُثيرَها مِن جَديدٍ، وقَدْ وَقَعَتْ مِن نفْسِهِ مَوْقِعًا مُلائِمًا، فقدْ سَمَّاها بعضُ المستَشْرِقينَ في القرنِ التاسعَ عشَرَ بأَسماءٍ كَثيرةٍ؛ كـ «سَهْوة محمَّد» (!)، أَو «صُلْحٌ معَ الشِّرْكِ» (!)، وقد وَرَدَتْ كذلك في «المَوْسوعَة التَّاريخيَّة للقُرونِ الوُسْطى» التي أَصْدَرَتْها جامعةُ «كامبرج» (Cambridge) في لندن.

فسلمان رُشْدي يُكَرِّر إذًا افتراءاتِ المُستَشْرِقينَ؛ أَمثال «كارل بروكلمان» (Carl Brocklman) في كتابـهِ «تاريخ الشُّعوب الإسـلاميَّـة» (ص٣٤ ـ ٣٥)، وكذلكَ ما وَرَدَ في كتاب «دراسات تاريخيَّة» باللغة الإنجليزية للدكتور «فاخر عاقل» (!) تحت عنوان «بدء المعارضة والآيات الشيطانية» . . »[2].

◘ وقال الدُّكتور «شمس الدين الفاسِي» في كتابهِ «آيات سماويَّة في الردِّ على كتاب آياتٍ شيطانيَّة» (ص٥٩): «. . كان سَلْمان رُشْدي يبحثُ عن مَطْعَنٍ في القُرآنِ، أَو في عِصْمَةِ النبيِّ ﷺ، فلمْ يَجِدْ ما يَنْقَعُ غُلَّتَهُ الشَّيطانيَّة، فدسَّ في روايتِه هذه قصَّةً مختَلَقةً على النبيِّ، أَثبتَ العُلَماءُ

---

(١) «محمد رسول اللَّه» للشيخ محمد الصادق عرجون (٢/ ٣٠ ـ ٣٤).

(٢) «همزات شيطانية وسلمان رشدي» (ص٥٥) للدكتور نبيل السمَّان.

الثِّقاتُ كَذِبَها بالحُجَجِ البالغةِ، والأدلَّةِ الدَّامغَةِ . . »[1] .

◘ ثمَّ قالَ بعدَ كلامٍ: «هذه القصَّةُ الخُرافيَّةُ أَسَّسَ عليها الزِّنديقُ سَلْمان رُشْدِي روايَتَهُ، فلم يَأْتِ إلاَّ بكُفْرٍ قديمٍ قيلَ في مَكَّةَ قبلَ الهِجْرَةِ، وحاولَ المُسْتَشْرِقونَ أَنْ يَتَّخِذوا منهُ مِعْوَلاً لهَدْمِ الإسلامِ، فوَهَنَتْ قُواهُمْ، وبَقِيَ الإسلامُ شامِخًا صُلْبًا رُغْمَ أَنفِ المستَشْرِقينَ والزَّنادِقَةِ والمُلحِدينَ» .

◘ وقالَ الأستاذُ «سعيد أَيُّوب» في كتابِهِ «شيطانُ الغَرْبِ سلمان رُشْدي: الرجل المارق» (ص١٣٠): «ثم التقَطَ صاحِبُ «الشَّائعاتِ الشَّيطانيَّةِ» حديثًا يُسَمَّىٰ بحديثِ الغَرانيقِ، ونَسَجَ عليهِ ثوبَهُ، فما يقولُ هذا الحديثُ؟»[2] .

◘ ثم قالَ بعدَ إيرادِهِ لها وكلامِهِ عنها: «فأَيُّ شيطانٍ هذا الذي عَكَفَ عليهِ الخلْفُ الشَّيطانيُّ، وقَذَفوا بهِ علىٰ رسولِ الفِطْرَةِ؟! إنَّ الطَّابورَ الشيطانيَّ أَرادَها أُمنياتٍ شيطانِيَّةً بعدَ أَنِ الْتَقَطَ أَحاديثَ وأَقاصيصَ مِنْ هُنا وهُناكَ سَنَدُها غيرُ مُتَّصِلٍ . . » .

◘ ثم خَتَمَ بحثَهُ قائلاً بعدَ كلامٍ: «وبناءً علىٰ ما ذَكَرْنا وما قَدَّمْنا؛ فإنَّ قِصَّةَ الغَرانِيقِ وَضَعَها الخِلفُ الإبليسيُّ قديمًا؛ ليستغِلَّها الخِلْفُ الإبليسِيُّ حَديثًا، للصَّدِّ عن سبيلِ اللَّهِ، ولكنَّ كتابَ اللَّهِ تعالىٰ تَصَدَّىٰ لهذه المُحاوَلاتِ، وضَرَبَها في مقتَلٍ، فانْهارَتْ حُصونُ الضَّلالِ قَديمًا؛ كما

(١) «آيات سماوية في الردِّ علىٰ كتاب آيات شيطانية» للدكتور شمس الدين الفاسي (ص٥٩).

(٢) «شيطان الغرب سلمان رشدي . . الرجل المارق» لسعيد أيوب (ص١٣٠).

انهارَتِ اليومَ، وكما ستَنْهارُ مُستَقْبلاً، وسيَبقى نبيُّ الإسلامِ وكتابُ الإسلامِ نوراً واحداً يَشعُ على الطَّريقِ المُستقيمِ؛ ليكونَ حُجَّةَ اللَّهَ على جميعِ خَلْقِه».

وهكذا يتناوَلُ سَلْمان رُشْدي هذه القصَّةَ الباطلةَ؛ لِيَجْعَلَها سيفًا مُصْلَتًا يُحارِبُ بهِ الإسلامَ وأَهلَهُ!.

وهو ـ لِفَرْطِ حَقْدِهِ ـ يجهَلُ أَو يتجاهَلُ أَنَّ هذه القصَّةَ مصنوعةٌ منكرةٌ باطلةٌ، أَنكرَها عُلماءُ الأمَّةِ، وصفوةُ الأئمَّةِ.

□ قالَ الإمامُ ابنُ حَزْمٍ الأندلُسيُّ في «الفصَل في المِلَلِ والأهواءِ والنِّحَلِ»: «والحديثُ الكاذِبُ الذي لَمْ يَصِحَّ قَطُّ فِي قِراءَتِه عليه السلام في: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، وذَكَروا تلكَ الزِّيادةَ المُفْتَراةَ: «وإنَّها لَهِيَ الغَرانيقُ العُلاَ، وأنَّ شَفاعتَها لتُرْتَجى»..».

□ ثم قال: «وأَمَّا الحديثُ الذي فيهِ الغَرانِيقُ؛ فكَذِبٌ بَحْتٌ مَوضوعٌ؛ لأنَّهُ لم يَصِحَّ قَطُّ مِن طريقِ النَّقْلِ، ولا مَعْنى للاشتِغالِ بهِ، إذْ وَضْعُ الكَذِبِ لا يَعْجِزُ عنهُ أَحَدٌ».

□ «وهكذا.. في سلسلةٍ مِن المَقالاتِ المَتينَةِ القويَّةِ لجهابِذَةِ العُلماءِ الذينَ أَنْكَروا وقوعَ هذه الأُقصوصَةِ الباطلةِ، وأَثْبَتُوا أَنهَّا مِن المُحالِ وقوعُهُ في حَياةِ سيِّدِ المُرسَلينَ محمدٍ ﷺ، وزَيَّفوا رواياتِها، وكَشَفوا عن خَبْثِها، وما تضمَّنَتْهُ مِن شرٍّ مُستطيرٍ، وفسادٍ كبيرٍ، يَجِبُ أَنْ تُبرأَ مِن شَناعتِهِ ساحَةُ الرسالةِ المحمَّدِيَّةِ الخاتمةِ الخالدَةِ الهاديةِ؛ لِنَسُدَّ على شَياطينِ الإلحادِ مِن أَعداءِ الإسلامِ مَداخِلَهُم؛ لإفسادِ عَقائِدِ هذا الدِّينِ القَيِّمِ في نفسِ مُعتنِقيهِ،

وزَعْزَعَةِ الثِّقة بكتابِه المُبينِ ورسولِه الأمينِ ﷺ»(١) .

* **مِن دُرَرِ الألبانيِّ في رسالته القيِّمة «نَصْبُ المجانيق لِنَسْفِ قِصَّةِ الغرانيق»:**

◘ رَحِمَ اللَّهُ ابنَ المبارك القائلَ حينَ سُئل: «هذه الأحاديثُ الضعيفةُ والموضوعة، ما تَصنعُ فيها؟» قال: يعيشُ لها الجَهابذةُ من الرجال.. قال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]».

ولقد سَوَّد الدجَّالُ الهنديُّ المفترِي كتابَه «آيات شيطانية بقصَّةِ «الغرانيق»»، ونحن نَنصِبُ المجانيق من كلامِ شيخِنا الألباني لنَسْفِ قصةِ الغرانيق:

◘ قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «قبل أن أشرعَ في سَوقِ رواياتِ القصَّة، أرىٰ أنه لابدَّ مِن أن نذكرَ كلمةً، تتميمًا لفائدةِ الرسالة، فأقول: إنَّ هذه القصةَ قد ذَكَرَها المفسِّرون عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥١ـ٥٤].

وقد اختلفوا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ تَمَنَّىٰ ﴾ و﴿ أُمْنِيَّتِهِ ﴾، وأحسنُ ما قيل في ذلك: إن «تمنَّىٰ» من «الأمنية» وهي التلاوة، كما قال الشاعر في عثمانَ ـ رضي اللَّه تعالىٰ عنه ـ حين قتل:

(١) كتاب «محمد رسول اللَّه» (٢/ ٣٥) لمحمد الصادق عرجون.

تَمنَّى كتابَ اللَّهِ أولَ ليلةٍ وآخِرَها لاقى حِمـامَ المَقادرِ

وعليه جمهورُ المفسِّرين والمحقِّقين، وحكاه ابنُ كثير عن أكثرِ المفسرين، بل عزاه ابنُ القيم إلى السلف قاطبةً، فقال في «إغاثة اللهفان»[1] (١/ ٩٣): «والسلفُ كلُّهم على أنَّ المعنى: إذا تلا ألقى الشيطانُ في تلاوته».

وبيَّنه القرطبيُّ، فقال في «تفسيره» (١٢/ ٨٣): «وقد قال سليمانُ بنُ حرب: إن «في» بمعنى: «عند»، أي ألقى الشيطانُ في قلوبِ الكفار عندَ تلاوةِ النبيِّ ﷺ، كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨]، أي عندنا، وهذا هو معنى ما حكاه ابنُ عطيَّةَ، عن أبيه، عن علماءِ الشرق، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي.

قلتُ: وكلامُ أبي بكرٍ سيأتي في مَحلِّه ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ، وهذا الذي ذَكَرْناه من المعنى في تفسيرِ الآية، هو اختيارُ الإمام ابنِ جرير، حيث قال بعدما رواه عن جماعةٍ من السلف (١٧/ ١٢١): «وهذا القولُ أشبهُ بتأويلِ الكلام، بدلالةِ قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] على ذلك؛ لأن الآياتِ التي أَخبر اللَّهُ جَلَّ ثناؤه أنه يُحكِمُها، لا شكَّ أنها آياتُ تنزيلِه، فمعلومٌ بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر اللَّه تعالى ذِكرُه أنه نَسَخ ذلك منه وأبطَلَه، ثم أحكَمَه بنسخه ذلك منه، فتأويلُ الكلام إذن: وما أرسَلْنا مِن قَبلِك مِن رسولٍ ولا

---

(١) انظر طبعة المكتب الإسلامي ودار الخاني، تحقيق الأستاذ محمد عفيفي، الطبعة الثانية، (١/ ١٥٠).

نبيٍّ إلاَّ إذا تلا كتابَ اللَّه وقرَأَ أو حَدَّث وتكلَّم، ألقىٰ الشيطانُ في كتابِ اللَّه الذي تلاه وقرأه، أو في حديثِه الذي حَدَّث وتكلَّم، فيَنسخُ اللَّهُ ما يُلقِي الشيطانُ بقوله تعالىٰ: فيُذْهِب اللَّهُ ما يُلقِي الشيطانُ من ذلك، علىٰ لسانِ نبيِّه ويُبطِلُه».

هذا هو المعنىٰ المرادُ من هذه الآية الكريمة، وهي كما ترىٰ ليس فيها إلاَّ أن الشيطانَ يُلقِي عند تلاوةِ النبيِّ ﷺ ما يَفتَتِنُ به الذين في قلوبهم مرضٌ، ولكنَّ أعداءَ الدين الذين قَعَدوا له في كلِّ طريق، وترصَّدوا له عند كلِّ مَرْصَد، لا يُرضِيهم إلاَّ أن يَدُسُّوا فيه ما ليس منه، ولم يَقُلْه رسولُه، فذَكروا ما ستراه في الرواياتِ الآتية، ممَّا لا يَليقُ بمَقامِ النبوَّةِ والرسالة، وذلك دَيْدَنُهم منذ القديم، كما فَعلوا في غيرِ ما آيةٍ وَرَدَت في غيرِه ﷺ من الأنبياء، كداودَ، وسليمانَ، ويوسفَ عليهم الصلاة والسلام، فرَوَوْا في تفسيرها من الإسرائيلياتِ ما لا يَجوزُ نسبتُه إلىٰ رجلٍ مسلم، فضلاً عن نبيٍّ مُكَرَّم، كما هو مبيَّنٌ في مَحِلِّه من كتب التفاسير والقصص.

فحَذارِ ـ أيها المسلمُ ـ أن تَغترَّ بشيءٍ منها فتكونَ من الهالكين، و«**دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبك**» كما قال نبيُّك ﷺ، ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الحج: ٥٤].

*** رواياتُ القصَّةِ وعِلَلُها:**

بعد أن فَرَغْنا من ذِكرِ الفائدةِ التي وَعَدْنا بها، أعودُ إلىٰ ذِكرِ رواياتِ القصةِ التي وَقَفْنا عليها لكي نسرُدَها روايةً روايةً، ونَذكرُ عَقِبَ كلٍّ منها ما فيها من علةٍ، فأقول:

١ ـ عن سعيد بنِ جُبيرٍ قال: «لَمَّا نَزَلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قرأها رسولُ اللَّه ﷺ فقال: «تلك الغرانيقُ العُلى، وإن شفاعَتَهُنَّ لتُرجَّى»، فسَجَد رسولُ اللَّه ﷺ، فقال المشركون: إنه لَم يَذكُرْ آلهتَهم قبلَ اليوم بخير، فسَجَد المشركون معه، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ..﴾ إلىٰ قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٥]».

أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٢٠) من طريقين عن شُعبةَ، عن أبي بِشرٍ عنه، وهو صحيحُ الإسناد إلىٰ ابنِ جُبير، كما قال الحافظ علىٰ ما يأتي عنه، وتَبِعه السيوطيُّ في «الدر المنثور» (٤/ ٣٦٦)، وعزاه لابن المنذر أيضًا وابن مَردُويه بعدما ساقه نحوَه بلفظ: «ألقىٰ الشيطانُ علىٰ لسانه: تلك الغرانيقُ العلىٰ» الحديث، وفيه: «ثم جاءه جبريلُ بعد ذلك، قال: اعرِضْ عليَّ ما جِئتُك به، فلمَّا بَلَغ: «تلك الغرانيقُ العلىٰ، وإن شفاعَتَهنَّ لتُرجَّىٰ» قال جبريلُ: «لم آتِك بهذا، هذا منَ الشيطان!»، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

وهكذا أخرجه الواحِدِيُّ في «أسباب النزول» من طريقٍ أخرىٰ عن سعيدِ بنِ جبير، كما سيأتي.

وقد رُوي موصولاً عن سعيد، ولا يصحُّ:

رواه البزَّار[1] في «مسنده» عن يوسفَ بنِ حمَّادٍ، عن أُميَّةَ بنِ خالد، عن شُعبةَ، عن أبي بِشرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبير، عن ابن عباس ـ فيما أحسبُه،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٢٤٥٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» من طريق الطبري.

الشك في الحديث ـ أن النبيَّ ﷺ قرأ بمكة سورة «النجم» حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، وذكر بقيَّته، ثم قال البزَّار: «لا نَعلمُه يُروىٰ متَّصِلاً إلاَّ بهذا الإسناد، تفرَّد بوَصلِه أُميةُ بن خالد وهو ثقةٌ مشهور، وإنما يُروىٰ هذا من طريق الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عباس». كذا في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٩).

وعزا الحافظُ في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٤) هذه الروايةَ «للبزَّار، والطبري، والطبراني، وابن مردويه»، وعزوه للطبري سَهْوٌ، فإنها ليست في تفسيره ـ فيما علِمتُ ـ إلاَّ إنْ كان يعني غيرَ التفسير من كتبه، وما أظنُّ يريدُ ذلك، ويؤيِّدُني أن السيوطيَّ في «الدر» عزاها لجميعِ هؤلاء إلاَّ الطبريَّ، إلاَّ أن السيوطيَّ أَوْهَمَ أيضًا، حيث قال عطفًا علىٰ ما ذُكر: «والضياء في «المختارة» بسندٍ رجالُه ثقات، من طريق سعيدِ بنِ جُبير، عن ابنِ عباس قال: إن رسول اللَّه ﷺ قرأ..»، فذكر الحديث مثلَ الروايةِ المرسَلةِ التي نقلناها آنفًا عن «الدر» نفسه، ومَحلُّ الإيهامِ هو قوله: «بسندٍ رجاله ثقات»، بالإضافة إلىٰ أنه أخرجه الضياءُ في «المختارة»، فإنَّ ذلك يوهِمُ أنه ليس بمَعلول، وهذا خلافُ الواقع، فإنه معلولٌ بتردُّدِ الراوي في وَصلِه كما نَقلناه آنفًا عن «تفسير ابن كثير»، وكذلك هو في «تخريج الكشاف» وغيره، وهذا ما لم يَرِدْ ذِكرُه في سياق السيوطيِّ، ولا أدري أذلك اختصارٌ منه، أم من بعضِ مُخرِّجي الحديث؟[1] وأيًّا ما كان، فما كان يَليقُ بالسيوطيِّ أن يُغفِلَ هذه العِلَّةَ، لا سيَّما وقد صرَّح بما يُشعِرُ أن الإسنادَ

(١) ثم رأيت السيوطي قد أورده في كتابه «أسباب النزول» علىٰ الشك في رفعه فأصاب، فتبين أن لا مسؤولية فيه علىٰ غيره.

صحيح، وفيه من التغريرِ ما لا يَخفى، فإنَّ الشكَّ لا يُوثَقُ به، ولا حقيقةَ فيه، كما قال القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ١١٨)، وأقرَّه الحافظ في «التخريج»، لكنه قال عقب ذلك: «ورواه الطبريُّ من طريق سعيدِ بنِ جُبير مرسلاً، وأخرجه ابنُ مردويه من طريق أبي عاصمٍ النبيل، عن عثمانَ بنِ الأسود، عن سعيدِ بنِ جبير، عن ابنِ عباسٍ نحوَه، ولم يَشُكَّ في وَصْلِه، وهذا أصحُّ طرقِ الحديث.. قال البزَّار..».

قلت: وقد نَقَلْنا كلامَ البزَّارِ آنفًا، ثم ذَكَرَ الحافظُ المراسيلَ الآتية، ثم قال: «فهذه مراسيلُ يُقَوِّي بعضُها بعضًا».

قلت: وفي عبارةِ الحافظ شيءٌ من التشويش، ولا أدري أذلك منه، أم مِن النُّسَّاخ؟ ـ وهو أغلبُ الظن ـ، وذلك لأن قوله: «وهذا أصحُّ طُرُقِ هذا الحديث» إنْ حَمَلناه على أقربِ مذكور ـ وهو طريقُ ابنِ مردُويه الموصولُ ـ كما هو المتبادَرَ، مَنَعَنا من ذلك أمور:

الأول: قولُ الحافظ عَقِبَ ذلك: «فهذه مراسيلُ يُقَوِّي بعضُها بعضًا»، فإنَّ فيه إشارةً إلى أنْ ليس هناك إسنادٌ صحيحٌ موصولٌ يُعتمَدُ عليه، وإلاَّ لَعَرَّج عليه وجَعَله أصلاً، وجَعَل الطُّرُقَ المرسَلةَ شاهِدةً ومُقَوِّيَةً له، ويؤيِّدُه الأمرُ الآتي، وهو:

الثاني: وهو أن الحافظَ لَمَّا رَدَّ على القاضي عياض تضعيفَه للحديث من طريقِ إسنادِ البزَّارِ الموصولِ بسبب الشك، قال الحافظ: «أمَّا ضَعفُه، فلا ضَعفَ فيه أصلاً (قلت: يعني في رُواته)، فإنَّ الجميعَ ثِقات، وأما الشكُّ فيه، فقد يَجيءُ تأثيرُه ولو فردًا غريبًا ـ كذا ـ، لكنْ غايتُه أن يَصيرَ مرسَلاً،

وهو حُجَّةٌ عند عياض وغيرِه ممن يَقبَلُ مُرسَلَ الثِّقة، وهو حُجَّةٌ إذا اعتُضِدَ عندَ من يرُدُّ المرسَل، وهو إنما يَعتضِدُ بكثرةِ المتابعات».

فقد سَلَّم الحافظُ بأن الحديثَ مُرْسَلٌ، ولكنْ ذَهَب إلى تقويتِه بكثرةِ الطُّرق، وسيأتي بيانُ ما فيه في رَدِّنا عليه قريبًا - إن شاء اللّه تعالى -.

فلو كان إسنادُ ابنِ مردويه الموصولُ صحيحًا عند الحافظ، لرَدَّ به على القاضي عياض، ولَمَا جَعَل عُمْدَتَه في الردِّ عليه هو كثرةَ الطُّرُق، وهذا بيِّنٌ لا يَخفى.

الثالث: أن الحافظَ في كتابه «فتح الباري» لم يُشِرْ أدنى إشارةٍ إلى هذه الطريق، فلو كان هو أصحَّ طُرقِ الحديث، لذكره بصريحِ العبارة، ولَجعله عُمْدَتَه في هذا الباب - كما سبق -.

الرابع: أنَّ مَن جاء بعدَه - كالسيوطي وغيره - لم يذكروا هذه الرواية.

فكلُّ هذه الأمورِ تَمنعُنا مِن حَمْلِ اسمِ الإشارة «هذا» على أقربِ مذكور، وتضطرُّنا إلى حَمْلِه على البعيد، وهو الطريقُ الذي قَبلَ هذا، وهو طريقُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ المرسلُ؛ وهو الذي اعتَمَده الحافظُ في «الفتح» وجَعَله أصلاً، وجَعَل الرواياتِ الأخرى شاهدةً له، وقد اقتَدَينا نحن به، فبدأنا أولاً بذِكرِ روايةِ ابنِ جُبيرٍ هذه، وإن كنَّا خالَفْناه في كونِ هذه الطرُقِ يُقوِّي بعضُها بعضًا.

قلت: هذا مع العلمِ أن القَدْرَ المذكورَ من إسنادِ ابنِ مردويه الموصولِ رجالُه ثقات رجالُ الشيخين، لكن لابدَّ أن تكونَ العِلَّةُ فيمَن دونَ أبي عاصم النبيل، ويُقوِّي ذلك - أعني كونَ إسنادِه مُعَلاً - أنني رأيتُ هذه الرواية

أخرجها الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص٢٣٣) من طريق سَهلٍ العسكريِّ، قال: أخبَرَني يحيىٰ (قلت: هو القطان)، عن عثمانَ بنِ الأسود، عن سعيدِ بنِ جُبير قال: «قرأ رسولُ اللَّه ﷺ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، فألقىٰ الشيطانُ علىٰ لسانه: «تلك الغرانيقُ العلىٰ، وشفاعتُهُنَّ تُرتَجىٰ»، ففَرِح بذلك المشركون، وقالوا: قد ذَكَر آلهتَنا، فجاء جبريلُ عليه السلام إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ وقال: اعرِضْ علَيَّ كلامَ اللَّه، فلمَّا عَرَض عليه، قال: أمَّا هذا، فلم آتِكَ به، هذا من الشيطان، فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]».

فرَجَع الحديثُ إلىٰ أنه ـ عن عثمانَ بنِ الأسودِ عن سعيدٍ ـ مرسل، وهو الصحيح، لموافقةِ روايةِ عثمانَ هذه روايةَ أبي بِشْرٍ عن سعيد.

ثم وقفتُ علىٰ إسنادِ ابنِ مردويه ومَتنِه، بواسطةِ الضياء المقدسي في «المختارة» (٦٠/ ٢٣٥/ ١) بسندِه عنه قال: حَدَّثَني إبراهيمُ بنُ محمد: حَدَّثَني أبو بكرٍ محمدُ بنُ عليٍّ المُقْرِي البغدادي، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ الطيالسيُّ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عَرْعَرة، ثنا أبو عاصمٍ النبيل، ثنا عثمانُ ابنُ الأسود، عن سعيدِ بن جبير، عن ابن عباس: «أن رسولَ اللَّه ﷺ قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، «تلك الغرانيقُ العلىٰ، وشفاعتُهُنَّ تُرتَجىٰ». ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذَكَر آلهتَنا.. فجاءه جبريل، فقال: اقرأ عليَّ ماجئتُك به، قال: فقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، تلك الغرانيقُ العلىٰ، وشفاعتُهنَّ تُرتَجىٰ، فقال: ما أتيتُك بهذا، هذا

عن الشيطان، أو قال: هذا مِن الشيطان، لم آتِكَ بها! فأنزل اللَّه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إلىٰ آخر الآية».

قلت: وهذا إسنادٌ رجالُه كلُّهم ثِقات، وكلُّهم من رجالِ «التهذيب»، إلاَّ مَن دُونَ ابنِ عَرْعَرة، ليس فيهم مَن يَنبغي النظرُ فيه غيرُ أبي بكرٍ محمدِ ابنِ عليٍّ المُقْري البغدادي، وقد أورده الخطيبُ في «تاريخ بغداد» فقال (٣/ ٦٨ ـ ٦٩): «محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحَسَنِ، أبو بكرٍ المُقرئُ، حَدَّث عن محمودِ بنِ خِداش، ومحمدِ بنِ عَمرٍو، وابنِ أبي مَذْعور.. رَوىٰ عنه أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي، ومحمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيىٰ العطشي».

ثم ساق له حديثًا واحدًا وَقع فيه مَكْنِيًا بـ «أبي حرب»، فلا أدري أهي كنيةٌ أخرىٰ له، أم تحرَّفت علىٰ الناسخ أو الطابع، ثم حكىٰ الخطيبُ عن العطشي أنه قال: «تُوفِّي سنةَ ثلاثِمئة»، ولم يَذكُرْ فيه جرحًا ولا تعديلاً، فهو مجهولُ الحال، وهو عِلَّةُ هذا الإسناد الموصول، وهو غيرُ أبي بكرٍ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ عاصمٍ الأصبهانيِّ المشهورِ بـ «ابنِ المقرئ»، الحافظِ الثقة، فإنه متأخِّرٌ عن هذا نحوَ قرنٍ من الزمان، وهو من شُيوخِ ابنِ مردُويه، مات سنةَ (٣٨١) ـ إحدىٰ وثمانين وثلاثِمئة ـ، ووقع في «التذكرة» (٣/ ١٧٢) «ومئتين»، وهو خطأ.

فثَبَتَ ممَّا تقدَّم صوابُ ما كنَّا جَزَمْنا به قبلَ الاطلاعِ علىٰ إسنادِ ابن مردويه «أن العِلَّةَ فيه فيمَن دون أبي عاصمٍ النبيل»، وازدَدْنا تأكُّدًا من أنَّ الصوابَ عن عثمانَ بنِ الأسود إنما هو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ مرسلاً، كما رواه الواحدي، خلافًا لرواية ابن مردويه عنه.

وبالجملة، فالحديثُ مرسَل، ولا يصحُّ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ موصولاً بوجهٍ من الوجوه.

٢ ـ عن ابن شهابٍ: حَدَّثَني أبو بكرِ بنُ عبدِالرحمنِ بنِ الحارث «أن رسولَ اللَّه ﷺ وهو بمكةَ قرأ عليهم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، فلما بَلَغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، قال: «إنَّ شفاعتَهُنَّ تُرتَجىٰ» ـ سها رسول اللَّه ﷺ ـ، فلَقِيَه المشركون الذين في قلوبهم مَرَضٌ، فسَلَّموا عليه، وفَرِحوا بذلك، فقال لهم: «إنما ذلك من الشيطان»، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ حتىٰ بلغ ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢]».

رواه ابن جرير (١٧/ ١٢١)، وإسنادُه إلىٰ أبي بكرِ بنِ عبدِالرحمن صحيح، كما قال السيوطي تَبَعًا للحافظ، لكنْ عَلَّتُه أنه مرسَل[1]، وعزاه السيوطيُّ لعبدِ بنِ حُميدٍ أيضًا، وأخرجه ابنُ أبي حاتم من طريقِ محمدِ بنِ فُلَيح، عن موسىٰ بنِ عُقْبة، عن ابنِ شهاب قال: فذكره مُطوَّلاً، ولم يذكر في إسناده أبا بكر بنَ عبدِالرحمن، فهو مُرسَل، بل مُعْضَل، ولفظُه كما في «ابن كثير» و«الدر»: «لَمَّا أُنزلت سورة «النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجلُ يَذكُرُ آلهتَنا بخيرٍ، أقرَرْناه وأصحابَه، ولكنْ لا يَذكُرُ مَن خالَفَ دينَه من اليهودِ والنصارىٰ بمثلِ الذي يَذكُرُ آلهتَنا من الشَّتمِ والشر، وكان رسولُ اللَّه ﷺ قد اشتَدَّ عليه ما ناله وأصحابَه مِن أذاهم وتكذيبهم، وأحزَنَتْه ضلالتُهم، فكان يتمنَّىٰ كفَّ أذاهم، (وفي «ابن كثير» هدايتهم)،

(١) وقال النحاس: «هذا حديث منقطع، وفيه هذا الأمر العظيم» ذكره القرطبي (١٢/ ٨١).

فلمَّا أنزل اللَّهُ سورةَ «والنجم» قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، ألقىٰ الشيطانُ عندها كلماتٍ حين ذَكَر الطواغيت، فقال: «وإنهنَّ لَهنَّ الغرانيقُ العُلىٰ، وإن شفاعَتَهُنَّ لَهِيَ التي تُرتَجىٰ»، فكان ذلك من سَجعِ الشيطانِ وفتنتِه، فوقَعت هاتانِ الكلمتانِ في قلبِ كلِّ مُشرِكٍ بمكة، وذلَّتْ بها ألسنتُهم، وتباشَروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلىٰ دينهِ الأول ودينِ قومِه، فلمَّا بَلَغ رسولُ اللَّه ﷺ آخرَ «النجم» سَجَدَ، وسَجَد كلُّ مَن حَضَرَ مِن مُسلمٍ ومُشرِكٍ، ففَشَتْ تلك الكلمةُ في الناس، وأظهرها الشيطانُ حتىٰ بَلَغت أرضَ الحبشة، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، فلمَّا بيَّن اللَّه قضاءه، وبرَّأه مِن سَجعِ الشيطان، انقلَب المشركون بضلالتهم وعُدوانهم للمسلمين، واشتدُّوا عليه»(١).

وأخرجه البيهقيُّ في «دلائل النبوة» عن موسىٰ بنِ عُقبةَ، ساقه من «مغازيه» بنحوه، لم يَذكُرِ ابنَ شهابٍ كما في «الدر» (٤/ ٣٦٧) وغيره.

٣ ـ عن أبي العالية قال: قالت قريشٌ لرسولِ اللَّه ﷺ: «إنما جُلساؤك عَبيدُ بني فلان، ومولَىٰ بنِي فلان، فلو ذَكَرتَ آلهتَنا بشيءٍ جالسناك، فإنه يأتيك أشرافُ العرب، فإذا رأَوْا جُلساءَك أشرافَ قومِك كان أرغَبَ لهم فيك، قال: فألقىٰ الشيطانُ في أُمنيته، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، قال: فأجرىٰ الشيطانُ علىٰ

(١) هذا «سياق الدر» وهو مختصر عن سياق «ابن كثير» ومما فيه: «فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم علىٰ غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقىٰ الشيطانُ في مسامع المشركين».

لسانه: «تلك الغرانيقُ العُلىٰ، وشفاعتُهنَّ تُرتَجىٰ، مِثْلُهن لا يُنسَىٰ»، قال: فسَجَد النبيُّ ﷺ حين قرأها، وسجَد معه المسلمون والمشركون، فلمَّا عَلِم الذي أُجرِيَ علىٰ لسانه، كَبُرَ ذلك عليه، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]».

أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٠) من طريقين عن داودَ بنِ أبي هِندٍ عنه، وإسنادُه صحيحٌ إلىٰ أبي العالية، لكنْ عِلَّته الإرسال، وكذلك رواه ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم.

٤ ـ عن محمدِ بنِ كَعبٍ القُرَظِيِّ، ومحمدِ بنِ قَيسٍ قالا: «جلَس رسولُ اللَّه ﷺ في نادٍ من أنديةِ قريشٍ كثيرٍ أهلُه، فتمنَّىٰ يومئذٍ أنْ لا يأتيَه مِنَ اللَّه شيءٌ فينفِروا عنه، فأنزل اللَّه عليه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٢] فقرأها رسولُ اللَّه ﷺ حتىٰ إذا بلَغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، ألقىٰ عليه الشيطانُ كلمتَينِ: «تلك الغرانيقُ العُلىٰ، وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لتُرتَجىٰ»، فتكلَّم بها ثم مَضىٰ، فقرأ السورةَ كلَّها، فسَجَد في آخرِ السورة، وسَجَد القومُ جميعًا معه، ورَفَع الوليدُ بنُ المُغيرةِ ترابًا إلىٰ جَبهتِه فسَجَد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يَقدِرُ علىٰ السجود، فرَضُوا بما تكلَّم به، وقالوا: قد عرَفْنا أن اللَّهَ يُحيي ويُميت، وهو الذي يَخلقُ ويرزُق، ولكنْ آلهتُنا هذه تَشفعُ لنا عنده، إذا جَعَلْتَ لها نصيبًا فنحن معك، قالا: فلمَّا أمسىٰ أتاه جبريلُ عليه السلام، فعَرَض عليه السورةَ، فلمَّا بَلَغَ الكلمتينِ اللتينِ ألقىٰ الشيطانُ عليه قال: ما جِئتُكَ بهاتَينِ! فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «افتريتُ علىٰ اللَّه، وقلتُ ما لم يَقُلْ»!! فأوحىٰ اللَّه إليه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾[1] إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، فما زال مغموماً مهموماً حتىٰ نزلت عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ..﴾ [الحج: ٥٢]، قال: فسمع مَن كان مِن المهاجرين بأرضِ الحبشةِ أنَّ أهلَ مكةَ قد أسلَموا كلُّهم، فرَجعوا إلىٰ عشائرهم وقالوا: هو أحبُّ إلينا، فوَجَدوا القومَ قد ارتكَسوا حين نَسَخ اللَّهُ ما ألقَىٰ الشيطانُ».

أخرجه ابنُ جرير (١٧/ ١١٩) من طريق أبي مِعْشَرٍ عنهما، و«أبو مِعشَر» ضعيف، كما قال الحافظُ في «التقريب»، واسمُه «نُجَيحُ بنُ عبدِالرحمن السِّندي».

ثم أخرجه ابنُ جرير من طريقِ ابنِ إسحاق، عن يَزيدَ بنِ زيادٍ المَدَني، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ وحدَه به - أتمَّ منه -، وفيه: «فلما سَمِعَتْ قريشٌ ذلك فَرِحوا، وسرَّهم وأعجَبَهم ما ذُكر به آلهتهم، فأصاخوا له، والمؤمنون مُصدِّقون نبيَّهم فيما جاء به عن ربِّهم، ولا يتَّهمونه على خطأٍ لا وهمٍ ولا زَللٍ..»، الحديث، و«يَزيدُ» هذا ثِقةٌ، لكنَّ الراويَ عنه «ابنَ إسحاق» مدلِّس، وقد عنعنه.

٥ - عن قتادةَ أن النبيَّ ﷺ كان يتمنَّىٰ أنْ لا يَعيبَ اللَّهُ آلهةَ المشركين، فألقىٰ الشيطانُ في أُمنيته، فقال: «إنَّ الآلهةَ التي تُدعَىٰ، إن شفاعَتَهُنَّ لتُرتَجىٰ، وإنها لَلْغرانيقُ العلىٰ»، فَنَسخ اللَّهُ ذلك، وأحكَمَ اللَّه آياته:

---

(١) [وتمام الآية: ﴿وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[1] حتىٰ بلغ ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ١٩-٢٣]، قال قَتادة: لَمَّا أَلقَىٰ الشيطانُ ما ألقىٰ، قال المشركون: قد ذَكر اللَّهُ آلهتَهم بخيرٍ، ففَرِحوا بذلك، فذَكَر قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣]».

▣ أخرجه ابنُ جرير (١٧/ ١٢٢) من طريقين عن مَعْمَرٍ عنه، وهو صحيحٌ إلىٰ قَتادة، ولكنَّه مرسَلٌ أو مُعضَل.

وقد رواه ابنُ أبي حاتم كما في «الدر» بلفظٍ أتمَّ منه وهو: «قال: بينما رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِّي عند المَقام، نَعِسَ، فألقىٰ الشيطانُ علىٰ لسانه كلمةً فتكلَّم بها، وتَعلَّق بها المشركون عليه، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، فألقىٰ الشيطانُ علىٰ لسانِه ولَغَىٰ: «وإن شفاعتَهُنَّ لتُرتَجىٰ، وإنها لَمَعَ الغرانيقِ العلىٰ»، فحَفِظها المشركون، وأخبَرَهم الشيطانُ أن نبيَّ اللَّه ﷺ قد قرأها، فذلَّت بها ألسنتُهم، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ الآية [الحج: ٥٢]، فدَحَر اللَّهُ الشيطانَ، ولَقَّنَ نبيَّه حُجَّتَه».

٦ - عن عُروةَ - يعني ابن الزبير - في تسميةِ الذين خَرَجوا إلىٰ أرضِ الحبشة المرةَ الأولىٰ (قلت: وفيه:) «فقال المشركون: لو كان هذا الرجلُ يَذكُرُ آلهتَنا بخيرٍ، أَقْرَرْناه وأصحابَه، فإنه لا يَذكرُ أحدًا ممن خالَفَ دينَه من اليهودِ والنصارىٰ بمِثلِ الذي يَذكُرُ به آلهتَنا من الشَّتمِ والشر، فلمَّا أنزل اللَّه

---

(١) [وتمام الآية: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾].

ـ عز وجل ـ السورةَ التي يُذكر فيها: «والنجم» وقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، ألقى الشيطانُ فيها عندَ ذلك ذِكْرَ الطواغيت فقال: «وإنهن لَمِنَ الغرانيقِ العُلى، وإن شفاعتهن لتُرتجى»، وذلك مِن سَجعِ الشيطان وفتنته، فوقَعت هاتان الكلمتانِ في قلبِ كلِّ مُشرِكٍ، وذَلَّت بها ألسنتُهم، واستَبشَروا بها، وقالوا: إنَّ محمداً قد رَجَع إلى دينِه الأولِ ودينِ قومه، فلما بَلَغ رسولُ اللَّه ﷺ آخرَ السورة التي فيها «النجم» سَجَد، وسَجَد معه كلُّ مَن حَضَره مِن مُسلِمٍ ومُشرِكٍ، غيرَ أنَّ الوليدَ بنَ المغيرة ـ كان رجلاً كبيراً ـ، فرَفَع مِلْءَ كَفِّه تراباً، فسَجَد عليه، فعَجِب الفريقانِ كلاهما من جماعتِهم في السجودِ لسجود رسولِ اللَّه ﷺ، فأما المسلمون فعَجِبوا من سجودِ المشركين من غيرِ إيمانٍ ولا يقين ـ ولم يكن المسلمون سَمِعوا الذي ألقى الشيطانُ على ألسنَة المشركين ـ، وأمَّا المشركون فاطمأنَّت أنفُسُهم إلى النبي ﷺ [وأصحابِه لَمَّا سَمِعوا الذي ألقى الشيطانُ في أُمنيَّةِ النبيِّ ﷺ]، وحَدَّثهم الشيطانُ أن النبيَّ ﷺ قد قرأها في «السجدة»، فسَجَدوا لتعظيمِ آلهتِهم، ففَشَتْ تلك الكلمةُ في الناس وأظهَرَها الشيطانُ حتى بَلَغَتِ الحبشة. . فكَبُرَ ذلك على رسولِ اللَّه ﷺ فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ [عليه السلام، فشكا إليه، فأمَره، فقرأ عليه، فلمَّا بَلَغها تبرَّأ منها جبريلُ عليه السلام] وقال: مَعاذَ اللَّهِ من هاتين، ما أنزلَهما ربِّي، ولا أمرَني بهما ربُّك!! فلمَّا رأى ذلك رسولُ اللَّه ﷺ شَقَّ عليه، وقال: «أطعتُ الشيطانَ، وتكلَّمتُ بكلامه، وشَرَكني في أمرِ اللَّه» فنَسَخ اللَّهُ ـ عز وجل ـ ما ألقى الشيطانُ، وأنزل عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٣]. فلمَّا برَّأه اللَّه ـ عز

وجل ـ مِن سَجْعِ الشيطانِ وفتنتهِ، انقلب المشركون بضَلالهم وعداوتهم».

رواه الطبراني هكذا مرسلاً، كما في «المجمع» (٦/ ٣٢ـ ٣٤ و٧/ ٧٠ ـ ٧٢) وقال: «وفيه ابنُ لَهيعة، ولا يُحتمل هذا مِن ابنِ لَهيعة».

٧ ـ عن أبي صالحٍ قال: «قام رسولُ اللَّه ﷺ فقال المشركون: إنْ ذَكَر آلهتَنا بخيرٍ ذَكَرْنا إلهه بخير، فأُلقي في أُمنيته: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، «إنهن لفي الغرانيقِ العُلىٰ، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرتَجىٰ»، قال: فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ..﴾ الآية [الحج: ٥٢]».

أخرجه عَبدُ بنُ حُميد كما في «الدر» (٤/ ٣٦٦) من طريق السُّدِّيِّ عنه، وأخرجه ابنُ أبي حاتمٍ عن السُّدِّيِّ لم يُجاوِزْه بلفظ: «قال: خَرج النبيُّ ﷺ إلىٰ المسجدِ ليصلِّيَ، فبينما هو يقرأُ، إذ قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، فألقىٰ الشيطانُ علىٰ لسانِه، فقال: «تلك الغَرانقةُ العُلىٰ، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرجَّىٰ»، حتىٰ إذا بلَغ آخرَ السورةِ سَجَد وسَجَد أصحابه، وسَجَد المشركون لذِكرِ آلهتِهم، فلمَّا رَفَع رأسَه حَمَلوه، فاشتدُّوا به قُطْرَيْ مكةَ يقولون: نبيُّ بني عبدِ منافٍ، حتىٰ إذا جاء جبريلُ عَرَض عليه، فقرأ ذَيْنِكَ الحرفَينِ، فقال جبريل: مَعاذَ اللَّهِ أن أكونَ أقرأتُك هذا! فاشتدَّ عليه، فأنزل اللَّه يُطيِّبُ نفسه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ..﴾ الآية [الحج: ٥٢]».

◻ قلت: وقد رُوِيَ موصولاً عن ابن عباسٍ، أخرجه ابنُ مَرْدُويه من طريقِ الكَلْبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عباس. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جداً

ـ بل موضوع ـ، فقد قال سفيانُ: «قال لي الكَلْبيُّ: كلُّ ما حَدَّثْتُك عن أبي صالحٍ فهو كذب»، والكَلْبيُّ هذا اسمُه «محمدُ بنُ السائب»، وقد كان مفسِّرًا نسَّابةً أخباريًّا.

وقال ابنُ حبان: «كان الكَلبيُّ سَبائيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يَمُت، وإنه راجعٌ إلىٰ الدنيا، ويملؤها عَدلاً كما مُلئت جَوْرًا، وإن رأوا سحابةً قالوا: أميرُ المؤمنين فيها».

قال: «ومذهبُه في الدين، ووضوحُ الكذبِ فيه أظهرُ من أن يُحتاجَ إلىٰ الإغراقِ في وَصفِه، يَروِي عن أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ التفسيرَ، وأبو صالحٍ لم يَرَ ابنَ عباس، ولا سَمعَ الكلبيُّ من أبي صالحٍ إلاَّ الحرفَ بعدَ الحرف، لا يَحِلُّ ذِكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟!»[1].

◻ ورُوي من وجوهٍ أخرىٰ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما سيأتي ذِكرُها، ولا يصحُّ شيءٌ منها.

٨ ـ عن الضحَّاك قال في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ..﴾ الآية [الحج: ٥٢]: «فإنَّ نبيَّ اللَّهِ ﷺ وهو بمكةَ أنزل اللَّهُ عليه في آلهةِ العَرَب، فجَعل يتلو اللاتَ والعُزَّىٰ، ويُكثِرُ ترديدَها، فسَمع أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ يَذكُرُ آلهتَهم، ففرِحوا بذلك، ودَنَوا يستمِعون، فألقىٰ الشيطانُ في تلاوةِ النبيِّ ﷺ: «تلك الغرانيقُ العُلىٰ، ومنها الشفاعةُ تُرجَىٰ»، فقرأها النبيُّ ﷺ كذلك، فأنزل اللَّه عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]».

(١) نقلته من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للإمام الذهبي.

أخرجه ابنُ جرير (١٧/ ١٢١) قال: «حُدِّثتُ عن الحُسينِ قال: سمعتُ معاذًا يقول: أخبَرَنا عُبيدٌ قال: سمعتُ الضَّحَّاكَ يقول. . ».

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ منقطعٌ مرسَل، الضَّحَّاكُ هذا الظاهرُ أنه ابنُ مُزاحِمِ الهِلاليُّ الخُراسانيُّ، هو كثيرُ الإرسال ـ كما قال الحافظ ـ، حتى قيل: إنه لَم يَثْبُت له سَماعٌ من أحدٍ من الصحابة، والراوي عنه «عُبيد» لَم أعرِفْه[1]، وأبو مُعاذٍ الظاهر أنه سُليمانُ بنُ أرقمَ البَصْرِيُّ، وهو ضعيف ـ كما في «التقريب» ـ، والراوي عنه الحُسين هو ابنُ الفَرَج أبو عليٍّ، وقيل: أبو صالح، ويُعرف بـ «ابن الخَيَّاط» و«البغدادي»، وهو ضعيفٌ متروك، وله ترجمة في «تاريخ بغداد» وفي «الميزان» و«اللسان» ثم شيخ ابن جرير فيه مجهولٌ لم يُسَمَّ.

٩ ـ عن محمدِ بنِ فَضَالةَ الظَّفَرِيِّ، والمُطَّلِبِ بنِ عبدِاللَّه بنِ حَنْطَبٍ قالا: «رأىٰ رسولُ اللَّه ﷺ مِن قومه كفًّا عنه، فجلس خاليًا، فتمنّىٰ، فقال: «لَيتَه لا يَنزِلُ عليَّ شيءٌ يُنفِّرُهم عنِّي»، وقارَبَ رسولُ اللَّه ﷺ قومَه، ودنا منهم، ودنَوا منه، فجلس يومًا مجلسًا في نادٍ من تلك الأنديةِ حولَ الكعبة، فقرأ عليهم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، حتىٰ إذا بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]،

---

(١) ثم تبيَّن لي أنه ابنُ سليمانَ الباهلي، ورَوىٰ عن الضحاك بنِ مُزاحم، وعنه جَمْعٌ، منهم أبو مُعاذٍ الفضلُ بنُ خالدٍ النَّحْوي. قال في «التقريب»: «لا بأس به»، ومما ذكرنا نتبيَّنُ أيضًا أن أبا معاذٍ الراوي عن عُبيد، ليس هو سليمانَ بنَ أرقمَ، وإنما هو «الفضلُ بنُ خالد النحوي» أورده ابنُ أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢/ ٦١) ولم يذكرْ فيه جرحًا أو تعديلاً.

ألقىٰ الشيطانُ كلمتين علىٰ لسانه: «تلك الغرانيقُ العُلىٰ، وإن شفاعَتَهُنَّ لتُرتَجَىٰ»، فتكلَّم رسولُ اللَّه ﷺ بهما ثم مضىٰ، فقرأ السورةَ كلَّها، وسَجَد وسَجَد القومُ جميعًا، ورَفَع الوليدُ بنُ المغيرةِ ترابًا إلىٰ جبهته فسَجَد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يَقدِرُ علىٰ السجود، ويقال: إن أبا أُحَيْحَةَ سعيدَ بنَ العاصِ أخذ ترابًا فسَجَد عليه رَفَعه إلىٰ جبهته، وكان شيخًا كبيرًا، فَبعضُ الناس يقول: إنما الذي رَفَع الترابَ الوليدُ، وبعضُهم يقول: أبو أُحَيحة، وبعضُهم يقول: كلاهما جميعًا فَعَل ذلك.. فرَضُوا بما تكلَّم به رسولُ اللَّه ﷺ وقالوا: قد عرَفنا أن اللَّهَ يُحيي ويُميت، ويَخلُقُ ويَرزُق، ولكنَّ آلهتَنا هذه تَشفعُ لنا عنده، وأمَّا إذ جَعَلتَ لها نصيبًا فنحن معك، فكبُر ذلك علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ مِن قولهم، حتىٰ جَلَس في البيت، فلمَّا أمسىٰ أتاه جبريلُ عليه السلام، فعَرَض عليه السورة ـ، فقال جبريل: جِئْتك[1] بهاتَينِ الكلمتَينِ؟!! فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «قُلْتُ علىٰ اللَّه ما لم يَقُلْ»، فأوحىٰ اللَّه إليه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾

[الإسراء: ٧٣-٧٥]».

أخرجه ابنُ سعد في «الطبقات» (ج١ ق١ ص١٣٧)[2]: «أخبَرَنا محمدُ بنُ عمرَ قال: حدثَني يونسُ بنُ محمدِ بنِ فَضَالةَ الظَّفَريُّ عن أبيه،

(١) كذا في الأصل وهو جائز علىٰ الاستفهام الإنكاري، وفي القرطبي نقلاً عن الواحدي «ما جئتك».

(٢) انظر طبعة دار صادر (١/ ٢٠٥).

قال: وحَدَّثني كَثيرُ بنُ زَيدٍ، عن المُطَّلِبِ بن عبداللَّه بنِ حَنْطَبٍ قالا..».

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا؛ لأن محمدَ بنَ عُمرَ، هو الواقِدي، قال الحافظ في «التقريب»: «متروك مع سَعَةِ عِلمه» وشيخُه في الإسنادِ الأول يونسُ بنُ محمد، ووالدُه محمدُ بنُ فَضالة، لم أجِدْ لهما ترجمةً، ثم رأيتُ ابنَ أبي حاتم أورَدَهما (٤/ ١/ ٥٥ و٤/ ٢/ ٢٤٦) ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلاً، وفي إسناده الثاني «كثير بن زيد» وهو الأَسْلَمِيُّ المَدَنِيُّ، مُخْتَلَف فيه، قال الحافظ: «صدوق يخطئ».

ثم هو مرسَل، فإن المطَّلبَ بنَ عبدِاللَّه بنِ حَنْطَبٍ كثيرُ التدليس والإرسال، كما في «التقريب»، ولذلك قال القرطبيُّ بعد أن ساق الرواية الثانية: «وحُكي عن النحاس تضعيفُها كما سبق نقلُه عنه هناك».

◻ قلت: فذكره مختصراً ثم قال: «قال النحَّاس: هذا حديثٌ مُنكَر منقطع، ولا سيما من حديث الواقدي».

١٠ ـ عن ابن عباس أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قرأ سورة «النجم» وهو بمكة، فأتى على هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، فألقى الشيطانُ على لسانه «إنهن الغرانيقُ العُلى» فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ..﴾ الآية [الحج: ٥٢]، وكذا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٧) وقال: «أخرجه ابنُ مَرْدُويه من طريق الكَلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومن طريقِ أبي بكر الهُذَليِّ وأيوبَ، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومن طريقِ سُليمانَ التَّيمِيِّ، عمَّن حدَّثه، عن ابن عباس».

قلت: فهذه طُرُقٌ ثلاثٌ عن ابن عباسٍ، وكلُّها ضعيفة.

أمَّا الطريقُ الأول: ففيها الكَلبيُّ، وهو كَذَّابٌ كما تقدَّم بيانُه قريبًا.

وأما الطريق الثاني: ففيها مَن لَم يُسَمَّ.

وأما الطريق الثالث: ففيها «أبو بكر الهُذَلي»، قال الحافظ في «التقريب»: «أخباريٌّ متروكُ الحديث» لكن قد قَرَن فيها أيوب، والظاهرُ أنه السِّختياني، فلابدَّ أن يكونَ في الطريقِ إليه مَن لا يُحتَجُّ به؛ لأن الحافظَ قال في «الفتح» (٨/ ٣٥٥) - بعد أن ساقَه من الطرق الثلاث -: «وكلُّها ضعيفٌ أو منقطع».

وقد ذَكر ما يُفيدُ أن ابنَ مَردُويه أخرجَها من طريقِ عَبَّادِ بنِ صُهيب، وهو أحُد المتروكين، كما قال الحافظ الذهبيُّ في ترجمته من «الميزان».

وله طريقٌ رابع، أخرجه ابنُ جرير (١٧/ ١٢٠): حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ قال: ثني أبي قال: ثني عمِّي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس؛ «أن نبيَّ اللَّه ﷺ بينما هو يُصلِّي إذ نَزَلت عليه قصةُ آلهةِ العرب، فجَعل يتلوها، فسَمِعه المشركون، فقالوا: إنَّا نَسمعُه يذكرُ آلهتَنا بخير، فدَنَوا منه، فبينما هو يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، ألقىٰ الشيطانُ: «إن تلك الغرانيقَ العُلىٰ، منها الشفاعةُ تُرتَجىٰ»، فجَعَل يتلوها، فنزل جبريلُ ﷺ فنَسَخها، ثم قال له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ..﴾ الآية [الحج: ٥٢]».

رواه ابنُ مردُويه أيضًا كما في «الدر» (٤/ ٣٦٦).

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جدًّا، مُسَلسَلٌ بالضعفاء: «محمد بن سعد»، هو

ابن محمد بن الحسن بن عطية بن جُنادة أبو جعفر العَوفيُّ، ترجَمَه الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وقال: «كان ليِّنًا في الحديث».

ووالدُه «سعد بن محمد» ترجَمَه الخطيبُ أيضًا (٩/ ١٢٦ ـ ١٢٧) ورَوىٰ عن أحمدَ أنه قال فيه: «لم يكن ممن يستأهلُ أن يكتبَ عنه، ولا كان موضِعًا لذلك».

وعمُّه هو «الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد»، وهو متَّفقٌ علىٰ ضَعفِه، ترجَمَه الخطيب (٨/ ٢٩ ـ ٣٢) وغيره.

وأبوه «الحسن بن عطية» ضعيف أيضًا اتفاقًا، وقد أورده ابنُ حِبَّانَ في «الضعفاء» وقال: «مُنكَرُ الحديث، فلا أدري البَلِيَّةُ منه أو مِن ابنه، أو منهما معًا؟»، ترجمته في «تهذيب التهذيب».

وكذا والدُه «عطية»، وهو مشهورٌ بالضَّعف[1].

*** بيانُ بطلانِ القصة متنًا:**

تلك هي رواياتُ القصة، وهي كلُّها ـ كما رأيت ـ مُعَلَّةٌ بالإرسالِ والضَّعف والجَهالة، فليس فيها ما يَصلُح للاحتجاج به، لا سيَّما في مثلِ هذا الأمرِ الخطير، ثم إنَّ ممَّا يؤكِّدُ ضَعفَها ـ بل بطلانَها ـ، ما فيها من

(١) قلت: ومما يدلُّ علىٰ بطلانِ نسبةِ هذه القصة إلىٰ ابن عباس، لا سيَّما من روايةِ أيوبَ عن عِكرمةَ عنه، أن الطبراني أخرجها مختصراً في «المعجم الكبير» (ورقة ١٣٨ وجه ١) [المطبوعة ١١/ ١١٨٦٦] من طريقين عن عبدالوارث: ثنا أيوبُ، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ سجد وهو بمكة بـ «النجم» وسَجَد معه المسلمون والمشركون»، وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري، فهذا القَدرُ من القِصَّة هو الصحيح عن ابن عباس وغيرِه من الصحابة مما سيأتي ذكره.

الاختلافِ والنَّكارة ممَّا لا يَليقُ بمَقامِ النبوَّة والرسالة، وإليك البيان:

أولاً: في الروايات كلِّها ـ أو جُلِّها ـ أن الشيطانَ تكلَّم على لسانِ النبيِّ ﷺ بتلك الجُملةِ الباطلة التي تَمدحُ أصنامَ المشركين، «تلك الغرانيقُ العلى، وإن شفاعتَهن لترتَجى».

ثانيًا: وفي بعضِها كالرواية الرابعة: «والمؤمنونُ مُصدِّقون نبيَّهم فيما جاء به عن ربِّهم، ولا يتَّهمونه على خطأٍ ولا وَهْمٍ»، ففي هذا أن المؤمنين سَمِعوا ذلك منه ﷺ، ولم يَشعُروا بأنه من إلقاءِ الشيطان، بل اعتَقدوا أنه من وَحيِ الرحمن!! بينما تقولُ الرواية السادسة: «ولم يكن المسلمون سمِعوا الذي ألقى الشيطان»، فهذه خلافُ تلك.

ثالثًا: وفي بعضِها كالرواية (١ و٤ و٧ و٩): أن النبي ﷺ بَقِيَ مُدةً لا يَدرِي أن ذلك من الشيطان، حتى قال له جبريل: «مَعاذَ اللَّه! لم آتِكَ بهذا، هذا من الشيطان!!».

رابعًا: وفي الروايةِ الثانية أنه ﷺ سَهَا حتى قال ذلك! فلو كان كذلك، أفلا يَنتبهُ من سَهوِه؟!.

خامسًا: في الروايةِ العاشرة الطريق الرابع: «أن ذلك أُلقِيَ عليه وهو يُصلِّي»!!.

سادسًا: وفي الرواية (٤ و٥ و٩) أنه ﷺ تَمنَّى أن لا يَنزلَ عليه شيءٌ من الوحي يَعيبُ آلهةَ المشركين، لئلاً ينفِروا عنه!! وانظر المَقامَ الرابعَ من كلامِ ابن العربي الآتي (ص٥٠).

سابعًا: وفي الرواية (٤ و٦ و٩) أنه ﷺ قال ـ عندما أَنكر جبريل ذلك

عليه ـ: «افتريتُ على اللَّه، وقلتُ على اللَّه ما لم يَقُل، وشَرَكني الشيطانُ في أمرِ اللَّه!!».

فهذه طامَّاتٌ يجبُ تنزيهُ الرسولِ منها، لا سيَّما هذا الأخيرُ منها، فإنه لو كان صحيحًا لصَدَق فيه، عليه الصلاة والسلام ـ وحاشاه ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

فثبت ممَّا تقدَّم بطلانُ هذه القصةِ سَنَداً ومتنًا، والحمد للَّه على توفيقه وهدايته»[1].

* كلامُ الحافظِ ابنِ حَجَر والردُّ عليه:

قال الحافظُ في «الفتح» (٨/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) بعد أن ساقَ الروايةَ الأولى وخرَّجها هي وغيرَها مما تقدم: «وكلُّها ـ سوى طريقِ سعيدِ بنِ جُبير ـ إمَّا ضعيف، وإما منقطع، ولكنَّ كثرةَ الطرُقِ تدلُّ على أن للقصةِ أصلاً، مع أن لها طريقَين آخرَينِ مرسلَينِ رجالُهما على شَرط «الصحيحين» (ثم ذكر الرواية الثانية والثالثة ثم قال): وقد تَجرَّأ أبو بكر بنُ العربي كعادته فقال: «ذكر الطبريُّ في ذلك رواياتٍ كثيرةً باطلةً لا أصلَ لها»، وهو إطلاقٌ مردودٌ عليه، وكذا قولُ عياض: «هذا حديث لم يُخرِجْه أحدٌ من أهل الصحَّة، ولا رواه ثِقةٌ بسَنَدٍ سليمٍ متَّصلٍ مع ضَعفِ نَقَلَتِه، واضطرابِ رُواياته، وانقطاعِ إسناده»، وكذا قوله: «ومَن حُملت عنه هذه القصةُ من التابعين والمفسِّرين، لم يُسنِدْها أحدٌ منهم»، ثم رَدَّه من طريقِ النظرِ بأنَّ ذلك لو وقع

(١) «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» للشيخ الألباني (ص٧ـ٣٦) ـ المكتب الإسلامي.

لارتدَّ كثيرٌ ممن أسلم، قال: «ولم يُنقل ذلك» انتهى.

وجميعُ ذلك لا يتمشَّىٰ مع القواعد، فإنَّ الطُّرُقَ إذا كثُرت وتبايَنَت مخارجُها، دَلَّ ذلك علىٰ أنَّ لها أصلاً، وقد ذَكرتُ أن ثلاثةَ أسانيدَ منها علىٰ شرطِ الصحيح، وهي مراسيلُ يَحتجُّ بها مَن يَحتجُّ بالمرسَل، وكذا مَن لا يحتجُّ به لاعتضادِ بعضِها ببعض».

▫ وردَّ عليه الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

أوَّلاً: إنَّ القاعدةَ التي أشار إليها، وهي «تقويةُ الحديثِ بكثرةِ الطُّرُق»، ليست علىٰ إطلاقها، وقد نبَّه عَلَىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من علماءِ الحديث المحقِّقين ـ منهم الحافظُ أبو عَمرِو بنُ الصلاح ـ، فمن ذلك ضَعفٌ لا يَزولُ بكثرةِ الطرُقِ لقوَّةِ الضَّعفِ وتقاعدِ هذا الجابِرِ عن جَبرِه ومقاومتِه، وذلك كالضَّعفِ الذي ينشأُ مِن كَونِ الراوي مُتَّهَمًا بالكذب أو كونِ الحديث شاذًّا، وهذه تُدرَكُ بالمباشرة والبحث.

ومِن هذا القَبيلِ حديثُ ابنِ عباسٍ في هذه القصة، فإن طُرُقَه كلَّها ضعيفةٌ جدًّا، فلا يتقوَّىٰ بها أصلاً.

الوجه الثاني: ضَعفُ الحديث المرسَل، فالحديثُ المُرسَل ـ ولو كان المُرسِل ثقةً ـ لا يُحْتَجُّ به عند أئمةِ الحديث، كما بيَّنه ابنُ الصلاح في «علوم الحديث» وجزم هو به[1].

وقد يقول قائل: «إنه يَقوَىٰ بمرسَلٍ آخَرَ».

فاشترط الشافعيُّ في المرسل الآخَرِ أن يكون مُرسِلُه أَخَذَ العلمَ عن غيرِ

(١) «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص٥٨).

رجالِ التابعيِّ الأول، كما حكاه ابنُ الصلاح (ص٣٥)، وكأنَّ ذلك ليغلِبَ على الظنِّ أنَّ المحذوفَ في أحدِ المرسَلَيْنِ هو غيرُه في المرسَلِ الآخَر».

◘ قال الألباني: «إننا لو ألقينا النظرَ على رواياتِ هذه القصةِ، لألفيناها كلَّها مرسَلة، حاشا حديثَ ابنِ عباس، ولكنَّ طُرقَه كلَّها واهيةٌ شديدةُ الضعف لا تَنجبِرُ بها تلك المراسيل، فيَبقى النظرُ في هذه المراسيل، وهي ـ كما علمت ـ سَبعةٌ، صَحَّ إسنادُ أربعةٍ منها، وهي مرسَلُ سعيدِ بنِ جُبير، وأبي بكر بنِ عبدِالرحمنِ بنِ الحارث، وأبي العالية (رقم ١ ـ ٣)، ومرسَل قتادة رقم (٥)، وهي مراسيلُ يَرِدُ عليها أحدُ الاحتمالَين السابقَين، لأنهم من طَبقةٍ واحدة، فوفاةُ سعيدِ بنِ جُبير سنةَ (٩٥) وأبي بكرِ بنِ عبدِالرحمن سنةَ (٩٤)، وأبي العالية ـ واسمُه «رُفيع» مصغَّرًا ـ سنةَ (٩٠)، وقتادةَ سنةَ بِضعَ عَشْرةَ ومئةٍ، والأولُ كُوفيٌّ، والثاني مَدَنيٌّ، والأخيرانِ بَصْريَّان.

فجائزٌ أن يكونَ مَصدرُهم الذي أخذُوا منه هذه القصةَ وروَوْها عنه واحدًا لا غير، وهو مجهول.

وجائزٌ أن يكونَ جَمْعًا، ولكنَّهم ضَعفاءُ جميعًا، فمع هذه الاحتمالاتِ لا يُمكنُ أن تَطمئنَّ النفسُ لقَبولِ حديثِهم هذا، لا سيَّما في مِثلِ هذا الحَدَثِ العظيمِ الذي يَمسُّ المَقامَ الكريمَ، فلا جرَمَ تتابَعَ العلماءُ على إنكارِها، بل التنديدِ ببطلانها، ولا وَجْهَ لذلك من جهةِ الروايةِ إلاَّ ما ذكرنا، وإن كنتُ لم أقِفْ على مَن صرَّح بذلك كما ذكرتُ آنِفًا»[1].

---

(١) «نصب المجانيق» (ص٤٥ ـ ٤٦).

* **ونَخلُصُ إلى القولِ الفَصلِ في قصةِ «الغرانيق» وهو بُطلانُها:**

□ «**أولاً**: الأسانيدُ الوارِدَةُ عنِ الصَّحابةِ لم تَرِدْ إلاَّ عنِ اثنَيْنِ:

١ - ابنُ عبَّاسٍ، وطُرُقُهُ المسنَدَةَ كُلُّها ضعيفةٌ، واختُلِفَ على رواتِهِ، فكانُوا يُرْسِلونَهُ تارةً، ويُسنِدُونَهُ تارةً، معَ اضطِرابٍ شَديدٍ في الألفاظِ والمُتونِ، وضَعْفٍ في الرُّواةِ والأسانيدِ.

٢ - محمدُ بنُ فَضَالَةَ الظَّفَرِيُّ: وحديثُهُ مِن طَرِيقِ محمَّدِ بنِ عُمَرَ الواقِديِّ، وهُو متروكٌ؛ كَذَّبَهُ جماعةٌ.

ثانيًا: أَمَّا المَرسيلُ؛ فهِيَ كما يَلي:

١ - مُرْسَلُ ابنِ شِهابٍ: فيه جهالةٌ، واختُلِفَ على رواتِهِ على عِدَّةِ وجوهٍ، فَرُوِيَ مُعْضلاً دونَ ذِكرِ ابنِ شهابٍ، ورُوِيَ عنهُ عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

وهذا اضطِرابٌ شديدٌ لا تحْتَمِلُهُ هذه الأسانيدُ؛ على ضَعْفِ مُفْرَادتِها، وإرسالِ أُصولِها.

٢ - مُرْسَلُ محمَّدِ بنِ كعبٍ ومُحَمَّدِ بنِ قَيسٍ معًا:

رُوِيَ مِن طريقِ راوٍ شَديدِ الضَّعْفِ.

ثمَّ اضْطَرابَ رُواتُهُ، فرَوَوْهُ بإسنادٍ ضَعيفٍ جدًّا عن محمَّدِ بنِ كَعْبٍ وحْدَهُ!.

٣ - مُرْسَلُ أَبي العاليَةِ:

فيهِ راوٍ كَثيرُ الاضْطِرابِ والاخْتِلافِ.

ورُوِيَتِ القِصَّةُ عنهُ على وَجْهٍ آخَرَ، فيه اخْتِلافاتٌ وتَناقُضاتٌ عدَّةٌ

بالسَّنَدِ نفْسِه!!.

٤ ـ مُرْسَلُ قَتادَةَ:

فيهِ راوٍ له أَغلاطٌ، فمِثلُ هذا المَتْنِ لا يُحتَمَلُ منهُ.

٥ ـ مُرْسَلُ الضَّحَّاكِ:

في إسنادِهِ مجهولانِ ومتروكٌ.

٦ ـ مُرْسَلُ المُطَّلِبِ بنِ عبدِاللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ.

فيهِ راوٍ متروكٌ شديدُ الضَّعْفِ، وآخَرُ ضُعِّفَ مِن قِبَلِ حِفْظِهِ!.

٧ـ مُرْسَلُ عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ:

فيهِ راوٍ مَجْهولٌ، وآخَرُ ضَعيفٌ.

ثالثًا: نَنْظُرُ: هَلْ مِنَ المُمْكنِ تطبيقُ قاعِدَةِ تَقَوِّي الطُّرُقِ على الأسانيدِ السَّالِفِ ذِكْرُها؟.

١ ـ الرِّواياتُ المُسْنَدَةُ مستَبْعَدَةٌ؛ لاضطرابِها، وشِدَّةِ ضَعْفِ رواياتِها.

٢ ـ نَستَبْعِدُ أَيضًا الرِّواياتِ المُرْسَلَةَ شديدةَ الضَّعْفِ، وهِيَ:

أ ـ مُرْسَلُ محمَّدِ بنِ كَعْبٍ ومُحَمَّدِ بنِ قيسٍ؛ لشدَّةِ ضعْفِ راويهِ.

ب ـ مُرْسَلُ المُطَّلِبِ بنِ عبدِاللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ؛ لشدَّةِ ضَعْفِ راويهِ أيضًا.

ت ـ مُرْسَلُ ابنِ شِهابٍ؛ لاضْطِرابِ رِواياتِهِ، واختِلافِ رُواتِهِ.

ث ـ مُرْسَلُ الضَّحَّاكِ؛ فيهِ متروكٌ.

ج ـ مُرْسَلُ أَبي العالِيَةِ، ومُراسيلُهُ رياحٌ؛ كما سَبَقَ عن الإمامِ الشافعيِّ، وذلك كِنايةٌ عن أنَّهُ لا يُبالي كيفَ يأْخُذُها!!.

إذا عُلِمَ ما تقدَّمَ؛ فلم يَبْقَ إلاَّ ثلاثةُ مَراسيلَ:

أ ـ مُرْسَلُ قَتادَةَ.

ب ـ مُرْسَلُ سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ.

ت ـ مُرْسَلُ عُروةَ.

وقتادَةُ بَصْرِيٌّ، وسَعيدٌ كوفِيٌّ، وعُروةُ مَدَنيٌّ، ولقد كانت المَدينةُ النبويَّةُ والبصْرَةُ ـ والكُوفَةُ حِذَاءَها ـ في ذلكَ الزَّمانِ مَحَطَّ أَنْظارِ كثيرٍ مِن الرُّواةِ وطَلَبَةِ الحَديثِ، وكانَتِ الرِّحْلَةُ في طَلَبِ الحَديثِ في أَوْجِها، «فجائِزٌ أَنْ يكونَ مصدَرُهُم الذي أَخَذوا منهُ هذه القِصَّةَ ورَوَوْها عنهُ واحداً لا غير، وهو مجهولٌ.

وجائِزٌ أَنْ يكونوا جَمْعًا، ولكنَّهُم ضُعَفاءُ جَميعًا.

فمَعَ هذه الاحتمالاتِ لا يُمْكِنُ أَن تَطْمَئِنَّ النَّفْسُ لِقَبولِ حَديثِهِم، لا سِيمَّا في مِثْلِ هذا الحَدَثِ العَظيمِ الذي يَمَسُّ المَقامَ الكَريمَ، فلا جَرَمَ تتابَعَ العُلَماءُ على إنكارِها، بل التَّنديدِ ببُطلانِها»[1].

ولا يَذْهَبَنَّ عنكَ أَنَّ مُفرَداتِ هذهِ المَراسِيلِ ضعيفةٌ أَصلاً ـ فوقَ إرسالِها ـ؛ كما سَبَقَ تحقيقُهُ!.

فهذا وَجْهٌ آخَرُ يمنَعُ القولَ بتقوِّيها معًا.

رابعًا: وَقَعَ في مَتْنِ القصَّةِ اضطرابٌ كبيرٌ في وجهَيْنِ هُما أَساسُ القصَّةِ:

١ ـ موضعُ القِصَّةِ.

ففي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ ذلك حَدَثَ وهُو يُصَلِّي.

---

(١) «نصب المجانيق» (ص٢٤).

وفي بعضِها أَنَّهُ كانَ في نادٍ لِقُريشٍ.

وبعضُها غُفْلٌ عن ذلكَ كُلِّهِ.

٢ ـ الذي قالَهُ الشَّيطانُ (!):

ففي بعضِ الرِّواياتِ: «إنَّهُنَّ لَفِي الغرانيقِ العُلا، وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجى»!.

وفي بعضِها: «تلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتَجى».

وفي بعضِها: «إنَّ تلكَ الغَرانيقُ العُلا، منها الشَّفاعَةُ تُرْتَجى».

وفي بعضِها: «وإنَّهُنَّ لهُنَّ الغَرانيقُ العُلا، وإنَّهُنَّ لهُنَّ التي تُرْتَجى».

وفي بعضِها: «تلكَ الغَرانيقُ العُلا، وشفاعَتُهُنَّ تُرْتَضى، ومثْلُهُنَّ لا يُنْسَى».

وفي بعضِها: «إنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجى، وإنَّها لَمَعَ الغَرانيقِ العُلاَ».

وفي بعضِها: «تلك إذنْ في الغَرانيقِ العُلا، تلكَ إذنْ شَفاعَةٌ تُرْتَجى».

والقصَّةُ ـ كما يزعُمونَ ـ واحِدَةٌ، فما هذا الاختلافُ؟.

وهل بمثْلِهِ تثْبُتُ الأخبارُ أَمْ تُنْقَضُ؟!.

خامسًا: التَّناقُضُ السَّاري بينَ أَلفاظِ القصَّةِ ومفرداتِها، وقد سبقَ التنبيهُ على بعضِها، ومنهُ:

١ ـ أَنَّ بعضَ الرِّواياتِ تذكُرُ سماعَ المسلمينَ لإلقاءِ الشَّياطينِ.

وبعضُها الآخَرُ يذْكُرُ العكسَ.

وقسمٌ ثالثٌ يسكُتُ عنْ هذا كُلِّهِ.

٢ ـ وفي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَقِيَ مُدَّةً لا يَدْري أَنَّ ذلكَ مِن الشَّيطانِ.

وفي بعضِها أَنَّهُ سَهَا حتىٰ قالَ ذلكَ!.

وفي بعضِها إغفالٌ لهذينِ معًا!!.

٣ ـ وفي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ جِبريلَ جاءَهُ فقرأَ عليهِ.

وفي بعضِها أَنَّهُ ﷺ شكا ذلك لِجِبْريلَ.

وفي بعضِها عدمُ إيرادٍ لهذا كُلِّهِ!.

إلىٰ غيرِ ذلك مِن وجوهِ التَّناقُضِ والاضْطِرابِ.

سادسًا: بِعَرْضِ هذه الرِّواياتِ المُتهافِتَةِ علىٰ «مقاييسِ النَّقْدِ» التي أَوْرَدْتُها في القسمِ الأوَّلِ مِن الكتابِ؛ نَرىٰ أَنَّها جميعًا تنقُضُهُ، وتُثْبِتُ بُطلانَهُ.

ومِمَّا يَنْبَغي أَنْ يُضافَ هُنا ما رواهُ أَبو داودُ (٣٦٤٦)، وأحمدُ (٢/ ١٦٢ و١٩٢)، والدَّارِمي (١/ ١٢٥)، والحاكم (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، والرَّامَهُرْمُزِي في «المُحدِّث الفاصل» (٣٢١)، والخطيب في «تقييد العلم» (ص٨٠)، والقاضي عِياضٌ في «الإلماع» (١٤٦)؛ بسَنَدٍ صَحيحٍ عنْ عبدِاللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العـاصِ قالَ: كنتُ أكتبُ كُلَّ شَيءٍ أَسـمَعُهُ مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ؛ أُريدُ حِفْظَهُ، فنَهَتْني قُرَيْشٌ، وقالوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شيءٍ ورسولُ اللَّه ﷺ بَشَرٌ؛ يتكَلَّمُ في الغَضَبِ والرِّضىٰ؟! فأَمسكْتُ عنِ الكتاب، فذكَرْتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَوْمَأَ بإِصبُعِهِ إلىٰ فيهِ، وقالَ: «اكْتُبْ،

فوالَّذي نفسي بيدِه ما يَخْرُجُ منهُ إلا حَقٌّ».

قلتُ: فهلْ أُسطورَةُ الغَرانيقِ ومدْحُ النبيِّ ﷺ لها ـ وحاشاهُ ـ مِن هذا الحقِّ؟!.

أَمْ أَنَّها باطلٌ غارِقٌ في الضَّلالِ، يتَنَزَّهُ عنهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟!.

سابعًا: أَنَّهُ قد صَحَّ سجودُ النبيِّ ﷺ في سورةِ «النَّجْمِ»، وسجودُ المُسلمينَ والمُشْرِكينَ معَهُ؛ كما تقدَّمَ إيرادُهُ، وذِكْرُ السَّبَبِ فيهِ.

فعَدَمُ ذِكْرِ القصَّةِ الغِرْنَوْقِيَّةِ فيهِ دَليلٌ صَريحٌ على بُطلانِها»[1].

* سبب سجودِ المشركين مع النبي ﷺ:

رُبَّ سائلٍ يقول: إذا ثَبَت بطلانُ إلقاءِ الشيطان على لسانِه عليه الصلاة والسلام جُملةَ «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعَتَهنَّ لترتجى»، فَلِمَ إِذن سَجَد المشركون معه ﷺ، وليس ذلك من عادتهم؟.

والجوابُ ما قاله المحقِّقُ الآلوسي ـ بعد سطورٍ من كلامِه الذي نقلته آنفًا ـ: «وليس لأحدٍ أن يقول: إنَّ سجودَ المشركين يدلُّ على أنه كان في السورةِ ما ظاهرُه مَدحُ آلهتِهم، وإلاَّ لَمَا سَجدوا؛ لأننا نقول: يَجوزُ أن يكونوا سَجدوا لدهشةٍ أصابَتْهم وخوفٍ اعتراهم عند سماعِ السورة، لِمَا فيها من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾

---

(١) «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق» لعلي حسن عبدالحميد (ص٢٢٩ ـ ٢٣٦) ـ مكتبة الصحابة ـ جدة.

فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ إلى آخرِ الآيات [النجم: ٥٠ ـ ٥٤]، فاستَشعروا نزولَ مثلِ ذلك بهم، ولعلَّهم لم يَسمَعوا قبلَ ذلك مثلَها منه ﷺ، وهو قائمٌ بين يَدَيْ ربِّه سبحانه في مقامٍ خطيرٍ وجَمْعٍ كثير، وقد ظَنُّوا ـ مِن ترتيبِ الأمرِ بالسجودِ على ما تقدَّم ـ أن سجودَهم ـ ولو لم يكن عن إيمانٍ ـ كافٍ في دَفعِ ما توهَّموه، ولا تَستبعدْ خَوفَهم من سماعِ مثلِ ذلك منه ﷺ، فقد نزلت سورة «حم السجدة» بعد ذلك كما جاء مُصرَّحًا به في حديثٍ عن ابن عباس ﵄ ـ ذكره السيوطيُّ في أول «الإتقان» ـ، فلما سَمع عُتبةُ بنُ رَبيعةَ قولَه تعالى فيها: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]! أمسَكَ على فَمِ رسولِ اللَّه ﷺ، وناشَدَه الرَّحِمَ، واعتَذَر لقومِه حين ظَنُّوا به أنه صبَأَ، وقال: «كيف وقد علِمتُم أن محمداً إذا قال شيئًا لم يكذِب؟ فخفتُ أن يَنزِلَ بكم العذابُ»، وقد أخرج ذلك البيهقيُّ في «الدلائل» وابنُ عساكرَ في حديثٍ طويلٍ عن جابرِ بنِ عبداللَّه ﵄.

ويمكنُ أن يقال ـ على بُعدٍ ـ: إنَّ سجودَهم كان لاستشعارِ مَدحِ آلهتِهم، ولا يلزمُ منه ثبوتُ ذلك الخبر، لجوازِ أن يكون ذلك الاستشعارُ من قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، بِناءً على أن المفعولَ محذوفٌ، وقدَّروه حسبما يَشتَهون، أو على أن المفعول: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١]، وتوهَّموا أن مَصَبَّ الإنكارِ فيه كَونُ المذكوراتِ إناثًا، والحبُّ للشيء يُعمي ويُصِمُّ، وليس هذا بأبعدَ مِن حَمْلِهم «تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتَهُنَّ لتُرتَجىٰ» على المدحِ حتى سجدوا لذلك آخرَ السورة، مع وقوعِه بين ذَمَّين، المانعُ من حَملِه على

المدح في البَيْن، كما لا يَخفى على مَن سَلِمَتْ عَينُ قلبِه من الغَين»(١).

*** بقيَّةُ رَدِّ العلماءِ على قِصَّة «الغرانيق»:**

◻ **قال الفخرُ الرازي في «تفسيره»:** «رُوي عن محمدِ بنِ إسحاقَ بن خُزيمةَ أنه سُئِل عن هذه القصةِ؟ فقال: «هذا من وَضعِ الزَّنَادقة»، وصنَّف فيه كتابًا.

◻ **وقال الإمامُ أبو بكر أحمدُ بنُ الحُسين البيهقيُّ:** «هذه القصةُ غيرُ ثابتةٍ من جهةِ النقل».

ثم أخذ يتكلَّمُ في أنَّ رُواةَ هذه القصةِ مطعونٌ فيهم، وأيضًا فقد رَوى البخاريُّ في «صحيحه»: «أنَّ النبي ﷺ قرأ سورةَ «النجم»، وسجد وسَجَد فيها المسلمون والمشركون، والإنسُ والجنُّ»، وليس فيه حديثُ الغرانيق، ورَوى هذا الحديثَ من طُرُقٍ كثيرةٍ، وليس فيها ألبتَّةَ حديثُ الغرانيق»(٢).

◻ **وقال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسيره «أحكام القران»:** «اعلموا ـ أنار اللَّهُ أفئدتَكم بنورِ هداه، ويسَّر لكم مَقصِدَ التوحيد ومَغزاه ـ أن الهُدىٰ هُدىٰ اللَّه، فسبحانَ مَن يتفضَّلُ به علىٰ مَن يشاء، ويَصرِفُه عمَّن يشاء، وقد بيَّنَّا معنَىٰ هذه الآية في «فضلِ تنبيه الغبيِّ علىٰ مِقدارِ النبيِّ» بما نرجو به عند اللَّه الجزاءَ الأوفىٰ في مقامِ الزلفىٰ، ونحن الآن نجلُو بتلك الفصولِ الغمَاءَ، ونُرقِّيكم بها عن حَضيضِ الدهماءِ إلىٰ بِقاعِ العلماءِ في عشرِ مقامات.

---

(١) «نصب المجانيق» (ص٦٨ ـ ٧٠).

(٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (ص٦/ ١٩٣).

المقام الأول: أن النبيَّ ﷺ إذا أرسل اللَّهُ إليه المَلَكَ بوحيِهِ، فإنه يَخلُقُ له العِلمَ به حتى يتحقَّقَ أنه رسولٌ مِن عنده، ولولا ذلك لَمَا صَحَّتِ الرسالة، ولا تبيَّنَتِ النبوَّةُ، فإذا خَلق اللَّهُ له العلمَ به تَمَيَّز عنده من غيرِه، وثَبَت اليقينُ، واستقام سَبيلُ الدين، ولو كان النبيُّ إذا شافَهه المَلَكُ بالوحي لا يَدري، أَمَلَكٌ هو، أم شيطانٌ، أم إنسانٌ، أم صورةٌ مخالِفةٌ لهذه الأجناسِ ألقَتْ عليه كلامًا، وبَلَّغت إليه قولاً؟ لم يَصحَّ أن يقول: «إنه من عند اللَّه»، ولا ثَبَت عندنا أنه أَمْرُ اللَّه، فهذه سبيلٌ متيقَّنةٌ، وحالةٌ متحقَّقةٌ لابد منها، ولا خلافَ في المنقولِ ولا في المعقولِ فيها، ولو جاز للشيطان أن يتمثَّل فيها أو يتشبَّه بها، ما أَمِنَّاه على آية، ولا عَرَفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا الفصلِ اللَّبسُ، وصَحَّ اليقينُ في النفس.

المقام الثاني: أنَّ اللَّهَ قد عَصَم رسولَه من الكفر، وآمَنه مِن الشِّرك، واستَقرَّ ذلك من دينِ المسلمين بإجماعِهم فيه وإطباقِهم عليه، فمَنِ ادَّعى أنه يَجوزُ عليه أن يكفُرَ باللَّه، أو يَشُكَّ فيه طَرْفَةَ عينٍ، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنقه، بل لا تَجوزُ عليه المعاصي في الأفعال، فضلاً عن أن يُنسَبَ إلى الكفرِ في الاعتقاد، بل هو المنزَّهُ عن ذلك فِعلاً واعتقاداً ﷺ، وقد مَهَّدنا ذلك في كُتب الأصول بأوضحِ دليل.

المقام الثالث: أنَّ اللَّه قد عرَّف رسولَه بنفسه، وبَصَّره بأدلَّته، وأراه ملكوتَ سماواتِه وأرضِه، وعَرَّفه سُنَنَ مَن كان قبلَه من إخوتِه، فلم يكن يَخفَى عليه مِن أَمْرِ اللَّهِ ما نعرفُه اليوم، ونحن حُثالةُ أُمَّته، ومَن خَطَر له ذلك فهو ممن يَمشِي مُكِبًّا على وجهِه، غيرَ عارفٍ بنبيِّه ولا بربِّه.

المقام الرابع: تأمَّلوا ـ فتح اللَّهُ أغلاقَ النظر عنكم ـ إلى قول الرواةِ ـ الذين هم بجهلهم أعداءٌ على الإسلام ممَّن صرَّح بعَداوته ـ أن النبيَّ ﷺ لَمَّا جَلَس مع قريشٍ تَمنَّى أنْ لا يَنزِلَ عليه مِن اللَّه وَحيٌ [يَذُمُّ آلهتَهم]، فكيف يَجوزُ لِمن معه أدنى مُسْكَةٍ أن يَخطُرَ بباله أنَّ النبيَّ ﷺ آثَرَ وَصْلَ قومِه على وَصلِ ربِّه، وأراد أن لا يَقطعَ أُنسَه بهم بما يَنزِلُ عليه مِن عندِ ربِّه من الوحي الذي كان حياةَ جَسَدِه وقلبِه، وأُنسَ وَحشتِه، وغايةَ أُمنيَّتِه، وكان رسولُ اللَّه ﷺ أجودَ الناس، فإذا جاءه جبريلُ، كان أجودَ بالخيرِ من الرِّيح المرسَلة، فيؤثِرُ على هذا مجالستَه للأعداء؟!.

المقام الخامس: أن قولَ الشيطان: «تلك الغرانقةُ العلى، وإن شفاعتَهن لترتَجى» للنبيِّ ﷺ قَبِلَه منه، فالتَبَس عليه الشيطانُ بالمَلَك، واختلَط عليه التوحيدُ بالكفر، حتى لَم يفرِّق بينهما، وأنا مِن أدنى المؤمنين منزلةً، وأقلِّهم معرفةً بما وفَّقني اللَّهُ له، وآتاني مِن عِلمه لا يَخفَى عليَّ وعليكم أنَّ هذا كُفرٌ لا يَجوزُ وُرودُه من عندِ اللَّه، ولو قاله أحدٌ لكم لتبادَرَ الكلُّ إليه قبلَ التفكيرِ بالإنكار والرَّدعِ والتثريبِ والتشنيع، فضلاً عن أن يَجهلَ النبيُّ ﷺ حالَ القول، ويَخفى عليه قولُه، ولا يَتفطَّنُ لصفةِ الأصنامِ بأنها «الغرانقةُ العلى، وأنَّ شفاعتَهنَّ ترتجى»، وقد عَلِم عِلماً ضروريًّا أنها جماداتٌ لا تَسمعُ ولا تُبصر، ولا تَنطِقُ ولا تَضُرُّ، ولا تَنفعُ ولا تَنصُرُ ولا تشفع، بهذا كلِّه كان يأتيه جبريلُ الصباحَ والمساءَ، وعليه انبنى التوحيدُ، ولا يَجوزُ نَسخُه من جهةِ المنقول، فكيف يَخفى هذا على الرسول؟!.

ثم لم يَكْفِ هذا حتى قالوا: إنَّ جبريلَ عليه السلام لَمَّا عاد إليه بعد ذلك ليعارضَه فيما أُلقي إليه من الوحي كرَّرها عليه جاهلاً بها ـ تعالى اللَّه عن

ذلك ـ فحينئذٍ أنكرها عليه جبريلُ، وقال له: «ما جئتُك بهذه!»، فحَزِن النبيُّ ﷺ وأُنزل عليه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء: ٧٣].

فياللَّهِ والمتعلِّمينَ والعالمينَ من شيخٍ فاسدٍ موسوسٍ هامدٍ لا يَعلمُ أنَّ هذه الآيةَ نافيةٌ لِمَا زَعَموا، مُبطِلةٌ لِما رَوَوْا وتقوَّلوا، وهو:

المقام السادس: وذلك أن قولَ ابنِ العربي: «كاد يكونُ كذا» معناه «قارَبَ ولم يكن»، فأخبَرَ اللَّهُ في هذه الآية أنهم قاربوا أن يَفتِنوه عن الذي أُوحِيَ إليه، ولم تكن فِتنةً، ثم قال: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء: ٧٣] وهو:

المقام السابع: ولَم يَفْتَرِ، ولو فتنوك وافتريتَ، لا تخذوك خليلاً، فلم تُفتَتَنْ، ولا افتريتَ، ولا اتخذوك خليلاً، ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٧٤].

المقام الثامن: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، فأخبر اللَّه سبحانه وتعالىٰ أنه ثبَّته، وقرَّر التوحيدَ والمعرفةَ في قلبه، وضَرَب عليه سُرادقَ العِصمة، وآواه في كَنَفِ الحُرمة، ولو وَكَلَه إلىٰ نفسه، ورفَعَ عنه ظِلَّ عِصمتَه لحظةً، لألْمَمْتَ بما راموه، ولكنَّا أمرنا عليك المحافظة، وأشرَقْنا بنورِ الهداية فؤادَك، فاستبصرَ وأزاحَ عنك الباطلَ ودَحَر.

فهذه الآيَة نصٌّ في عِصمته مِن كلِّ ما نُسب إليه، فكيف يتأوَّلها أحدٌ عَدْوًا عمَّا نُسب إليه من الباطل إليه؟!.

المقام التاسع: قوله: «فما زال مغمومًا مهمومًا حتىٰ نزلت عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢][1]، فأما غمُّه وحُزنُه، فبأن

(١) انظر الرواية: ٣، ٤، ٦.

تمكَّن الشيطانُ مما تمكَّن مما يأتي بيانُه، وكان النبيُّ ﷺ يَعِزُّ عليه أن ينالَ الشيطانُ شيئًا ـ وإنْ قلَّ تأثيرُه ـ.

المقام العاشر: إنَّ هذه الآيةَ نصٌّ في غَرَضِنا، دليلٌ على صِحَّةِ مذهبِنا، أصلٌ في براءةِ النبيِّ ﷺ ممَّا نُسب إليه أنه قاله عندنا، وذلك أنه قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢][1].

فأخبر اللَّهُ تعالى أنَّ مِن سُنَّتِه في رُسُلِه، وسيرتِه في أنبيائه، أنهم إذا قالوا عن اللَّه قولاً، زاد الشيطانُ فيه من قِبَلِ نفسه، كما يَفعلُ سائرَ المعاصي، كما تقول: «ألقيتُ في الدار كذا، وألقيتُ في العِكَمِ[2] كذا، وألقيتُ في الكِيس كذا»، فهذا نصٌّ في أن الشيطانَ زاد في الذي قاله النبيُّ ﷺ، لا أن النبيَّ ﷺ قاله، وذلك أن النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ تلا قرآنًا مقطَّعًا، وسكت في مقاطعِ الآيِ سُكوتًا محصَّلاً، وكذلك كان حديثُه مترسِّلاً فيه، متأنيًا، فتَبِعَ الشيطانُ تلك السَّكَتَات التي بينَ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] وبينَ قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١]، فقال ـ يُحاكي صوتَ النبيِّ ﷺ ـ: «وإنهن الغرانقةُ العُلى، وإن شفاعتَهُنَّ لترتَجى»، فأما المشركون والذين في قلوبهم مرضٌ لِقِلَّةِ البصيرةِ وفسادِ السريرة، فتلَوْها عن النبيِّ ﷺ، ونَسَبوها بجَهلهم إليه، حتى سَجدوا معه اعتقاداً أنه معهم، وعَلِم الذين أُوتوا العلمَ والإيمانَ أنَّ القرآنَ حقٌّ من عندِ اللَّه، فيؤمنون به، ويَرفضون غيرَه، وتُجيبُ قلوبُهم إلى الحق، وتَنفِرُ عن

(١) الأصل (تلاوته».
(٢) بكسر العين: العدل.

الباطل، وكلٌّ ذلك إبتلاءٌ من اللَّه ومِحنةٌ، فأين هذا مِن قولهم؟! وليس في القرآن إلاَّ غايةُ البيانِ بصيانةِ النبيِّ ﷺ في الإسرارِ والإعلان، عن الشكِّ والكُفران، وقد أودَعْنا إليكم توصيةً أن تجعَلوا القرآنَ إمامَكم، وحُروفَه أمامَكم، فلا تحمِلوا عليها ما ليس فيها، ولا تَربِطوا بها ما ليس منها، وما هُدِي لهذا إلاَّ الطبريُّ بَجلالةِ قَدْرِه، وصَفاءِ فِكرِه، وسَعَةِ باعِه في العلم، وشِدَّةِ ساعِدِه وذراعِه في النظر، وكأنه أشار إلىٰ هذا الغرض، وصَوَّب علىٰ هذا المرمَىٰ، فَقرْطَسَ بعدما ذَكَرَ في ذلك رواياتٍ كثيرةً باطلةً لا أصلَ لها، ولو شاء ربُّك لَمَا رواها أحدٌ، ولا سَطَّرها، ولكنه فَعَّالٌ لِمَا يُريد.. عَصَمنا اللَّهُ وإياكم بالتوفيقِ والتسديد، وجَعَلنا من أهلِ التوحيد بفَضله ورحمته».

* **كلام القاضي عياض في ذلك:**

□ وقال القاضي عِيَاضْ: «فاعلمْ ـ أكرمك اللَّه ـ: أنَّ لنا في الكلام علىٰ مُشكِلِ الحديثِ مأخذَينِ:

أحدهما: في توهينِ أصله.

والثاني: علىٰ تسليمه.

أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا الحديثَ لم يُخرِجْه أحدٌ من أهل الصِّحة، ولا رواه ثقةٌ بسَنَدٍ متَّصِلٍ سليم، وإنما أُولعَ به وبمثلِه المفسِّرون والمؤرِّخون المولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصُّحُفِ كلَّ صحيحٍ وسقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بنُ العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلي الناسُ ببعضِ أهلِ الأهواء والتفسير، وتعلَّق بذلك الملحدون مع ضَعفِ نَقْلِه، واضطرابِ رواياتِه، وانقطاعِ إسنادِه، واختلافِ كلماته، فقائل يقول: «إنه

في الصلاة»، وآخَرُ يقول: «قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة»، وآخر يقول: «قالها وقد أصابته سِنَةٌ»، وآخَرُ يقول: «بل حدَّثَ نفسه فسها»، وآخَرُ يقول: «إنَّ الشيطانَ قالها على لسانه، وإن النبيَّ ﷺ لَمَّا عَرَضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك؟!»، وآخَرُ يقول: «بل أعلَمَهم الشيطانُ أن النبيَّ ﷺ قرأها، فلما بَلَغَ النبيَّ ﷺ ذلك، قال: واللَّهِ ما هكذا أُنزلت».. إلى غيرِ ذلك من اختلافِ الرواة، ومَن حُكيت هذه الحكايةُ عنه منَ المفسِّرين والتابعين لم يُسْنِدْها أحدٌ منهم، ولا رَفَعها إلى صاحبٍ، وأكثرُ الطُرقِ عنهم فيها ضعيفةٌ واهية، والمرفوعُ فيه حديثُ شُعبةَ، عن أبي بِشرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبير، عن ابن عباسٍ فيما أحسب ـ الشك في الحديث ـ أن النبي ﷺ كان بمكة، وذكر القصة.

وقال أبو بكر البزَّار: «هذا الحديثُ لا نَعلمُه يُروىٰ عن النبيِّ ﷺ بإسناد متَّصلٍ يَجوزُ ذِكرُه إلاَّ هذا، ولم يُسنِدْه عن شُعبةَ إلاَّ أُميَّةُ بنُ خالد، وغيرُه يُرسِلُه عن سعيدِ بنِ جبير، وإنما يُعرَفُ عن الكَلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس».

فقد بيَّن لك أبو بكر ـ رحمه اللَّه ـ أنه لا يُعرَفُ من طريقٍ يجوزُ ذِكرُه سوىٰ هذا، وفيه من الضعفِ ما نبَّه عليه مع وقوعِ الشكِّ فيه ـ كما ذكرناه ـ الذي لا يوثَقُ به، ولا حقيقةَ معه.

وأما حديثُ الكَلبيِّ، فمما لا تَجوزُ الروايةُ عنه ولا ذِكرُه، لقوَّةِ ضَعفِه وكَذِبِه ـ كما أشار إليه البزَّار ـ، والذي منه في «الصحيح» «أن النبي ﷺ قرأ: «والنجم» وهو بمكةَ، فسَجَد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس».. هذا توهينُه من طريق النقل.

فأما من جهةِ المعنىٰ: فقد قامت الحُجَّة، وأَجْمَعَتِ الأمةُ علىٰ عِصمته ﷺ ونزاهتِه عن مِثلِ هذه الرذيلة، إمَّا مِن تَمنِّيه أن ينزلَ عليه مِثلُ هذا مِن مدحِ آلهةٍ غيرِ اللَّه وهو كُفر، أو أن يَتسوَّرَ عليه الشيطانُ ويُشبِّهَ عليه القرآنَ حتىٰ يَجعلَ فيه ما ليس منه، ويَعتقدُ النبيُّ ﷺ أن من القرآن ما ليس منه حتىٰ يُنبِّهَه عليه جبريلُ عليهما السلام!!.

وذلك كلُّه ممتنعٌ في حقِّه ﷺ، أوَ يقولُ ذلك النبيُّ ﷺ من قِبَلِ نفسه عمداً ـ وذلك كفرٌ أو سهوٌ ـ، وهو معصومٌ من هذا كله؟! وقد قرَّرنا بالبراهين والإجماعِ عِصمتَه ﷺ من جَرَيان الكفرِ علىٰ قلبِه أو لسانِه ـ لا عمداً ولا سهواً ـ، وأنْ يَشتَبِهَ عليه ما يُلقيه المَلَكُ بما يُلقي الشيطانُ، أو يكونَ للشيطان عليه سبيل، أو يَتقوَّلَ علىٰ اللَّه ـ لا عَمداً ولا سهواً ـ ما لم ينزِلْ عليه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الآية [الحاقة: ٤٤]، وقال: ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥].

ووجه ثانٍ: وهو استحالةُ هذه القصةِ نَظَراً وعُرفاً، وذلك أنَّ هذا الكلامَ لو كان كما رُوي، لكان بعيدَ الالتئامِ متناقضَ الأقسام، ممتزجَ المَدحِ بالذَّم، متخاذِلَ التأليفِ والنَّظم، ولَمَا كان النبيُّ ﷺ ولا مَن بحَضرته من المسلمين وصناديدِ المشركين ممن يَخفىٰ عليه ذلك، وهذا لا يَخفىٰ علىٰ أدنىٰ متأمِّل، فكيف بمَن رجَحَ حِلمُه، واتَّسع في بابِ البيانِ ومعرفةِ فصيحِ الكلام علمُه؟.

ووجهٌ ثالث: أنه قد عُلم من عادة المنافقين، ومُعانَدةِ المشركين، وضَعَفَةِ القلوب، والجَهَلةِ من المسلمين، نفورُهم لأولِ وَهْلةٍ، وتخليطُ العدوِّ علىٰ النبيِّ ﷺ لأقلِّ فِتنة، وتعييرُهم المسلمينَ، والشماتةُ بهم الفَنيةَ

بعدَ الفَينة، وارتدادُ مَن في قلبهِ مرضٌ ممن أظهر الإسلام لأدنىٰ شُبهة، ولم يَحْكِ أحدٌ في هذه القصةِ شيئًا سوىٰ هذه الروايةِ الضعيفةِ الأصلِ، ولو كان ذلك لَوَجَدَتْ قريشٌ بها على المسلمين الصَّوْلَة، ولأقامت بها اليهودُ عليهم الحُجَّة، كما فَعلوا مكابرةً في قصة «الإسراء»، حتىٰ كانت في ذلك لبعضِ الضعفاء رِدَّة.. كذلك ما رُوي في قِصة القضية، ولا فتنةَ أعظمُ من هذه البلية ـ لو وُجدت ـ، ولا تَشغيبَ للمُعادِي حينئذٍ أشدُّ من هذه الحادثة ـ لو أمكنت ـ، فما رُوي عن معانِدٍ فيها كلمة، ولا عن مُسلمٍ بسببها بِنْتُ شَفَة، فدلَّ علىٰ بطلانها واجتثاثِ أصلها.

ولا شك في إدخالِ بعضِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ هذا الحديث علىٰ مُغفَّلي المحدثِّين، ويُلبِّسُ به علىٰ ضعفاءِ المسلمين.

ووجهٌ رابع: ذَكَر الرواةُ لهذه القضيَّةِ أنَّ فيها نزلت: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ..﴾ الآيتين [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٤]، وهاتانِ الآيتانِ تَرُدَّان الخَبَرَ الذي رَوَوْه؛ لأنَّ اللَّهَ تعالىٰ ذَكَر أنهم كادُوا لَيَفتِنونه حتىٰ يفتريَ، وأنه لولا أنْ ثَبَّته لَكادَ يَركنُ إليهم.. فمضمونُ هذا ومفهومُه أن اللَّه تعالىٰ قد عَصَمَه من أن يفتريَ، وثَبَّته حتىٰ لم يَركنْ إليهم قليلاً، فكيف كثيراً؟ وهم يَروُونَ في أخبارِهم الواهيةِ أنه زاد علىٰ الركونِ الافتراءَ بمَدحِ آلهتهم، وأنه قال ﷺ: «افتريتُ علىٰ اللَّه، وقلتُ ما لم يقل»!! وهذا ضدُّ مفهومِ الآية، وهي تُضعِّفُ الحديث ـ لو صحَّ ـ، فكيف ولا صِحَّة له؟.

وهذا مثلُ قولِه تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ [النساء: ١١٣]. وقد رُوي عن ابن عباس ﵄: «كلُّ ما في القرآنِ

«كاد» فهو ما لا يكون».

□ قال القاضي: ولقد طالبَتْهُ قريشٌ وثقيفٌ إذا مَرَّ بآلهتِهم أن يُقبِلَ بوجهِه إليها، ووَعَدوه الإيمانَ به إنْ فعل، فما فَعَل ولا كاد أن يَضِلَّ، وقد ذُكِرَتْ في معنى الآيةِ تفاسيرُ أُخَرُ، ما ذكرناه من نصِّ اللّه على عِصمةِ رسولِه بردِّ سَفَاسفها، فلم يَبْقَ في الآية إلاَّ أنَّ اللّه تعالى امتَنَّ على رسولِه بعِصمتِه وتثبيتِه بما كادَه به الكفارُ، وراموا مِن فتنته، ومرادُنا في ذلك تنزيهُه وعِصمتُه ﷺ وهو مفهومُ الآية.

وأما المأخذ الثاني: فهو مبنيٌّ على تسليمِ الحديث لو صَحَّ - أعاذنا اللّه من صحتَّه -، ولكنْ مع كلِّ حالٍ فقد أجاب عن ذلك أئمةٌ بأجوبةٍ، منها الغَثُّ والسمين».

□ قلت: فذِكرُ هذه الأجوبةِ، وضَعفُها - جُلِّها أو كلِّها -، إلاَّ الأخيرَ منها، فإنه استظهره ورَجَّحه، وهو الذي أجاب به ابنُ العربيِّ فيما تقدَّم من كلامه: إنَّ الشيطانَ هو الذي ألقى ذلك في سكتةِ النبيِّ ﷺ بين الآيتين، مُحاكيًا نَغمَةَ النبيِّ ﷺ، وأشاع ذلك المشركون عنه ﷺ، ولم يَقدح ذلك عند المسلمين لِحفظِ السورةِ قَبلَ ذلك على ما أنزلها اللّه، وتَحقُّقِهم مِن حالِ النبيِّ ﷺ في ذمِّ الأوثانِ وعَيبها على ما عُرف منه، وقد حكى موسى بنُ عُقبةَ في «مغازيه» نحوَ هذا، وقال: «إنَّ المسلمين لم يَسمعوها، وإنما ألقى الشيطانُ ذلك في أسماعِ المشركين وقلوبهم»[1]، ويكون ما رُوي من حُزنِ النبيِّ ﷺ لهذه الإشاعة والشبهةِ وسببِ هذه الفتنة.

---

(١) ونحوه في رواية عروة «رقم٦»، وإن كان في آخرها ما يُخالف هذا.

* كلام الشوكاني:

◻ وقال الشوكاني ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: «ولم يصحَّ شيءٌ من هذا، ولا يثْبُتُ بوجهٍ من الوجوه، ومع عدمِ صحته ـ بل بطلانهِ ـ، فقد دَفعه المحقِّقون بكتابِ اللَّه سبحانه.

* قال اللَّه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] فنفى المقاربةَ؛ فضلاً عن الرُّكون».

◻ ثم قال: «والحاصلُ أن جميعَ الرواياتِ في هذا الباب إمَّا مُرسَلة، وإما منقطِعة لا تقومُ بها الحُجَّة».

◻ ثم قال: «وقال إمامُ الأئمةِ ابنُ خُزَيْمة: إنَّ هذه القصةَ مِن وَضعِ الزنادقة».

* كلام الآلُوسيِّ في إبطالِ القصة:

وعلىٰ كلِّ حالٍ، فإن الحافظَ ابنَ حجر ـ رحمه اللَّه ـ متَّفقٌ مع الذين أنكروا القصةَ علىٰ تنزيهه ﷺ مِن أن يكونَ للشيطانِ تَكلُّمٌ علىٰ لسانهِ عليه الصلاة والسلام، فالخلافُ بينه وبينهم يكادُ يكونُ شكليًّا أو لفظيًّا، وإنما الخلافُ الحقيقيُّ بينهم وبين بعضِ المتأخِّرين[1] حيث ذَهب إلىٰ تصحيحِ القصةِ مع التسليم بها دون استنكارِ أيِّ شيءٍ منها، أو تأويلٍ ما! بل جَوَّز

(١) هو الشيخ إبراهيم الكوراني كما صرَّح بذلك الآلوسي إبراهيم بن حسن بن شهاب بن حسن بن شهاب الكردي ولد في ١٠٢٥هـ وتُوفي في ١١٠١هـ.

على النبيِّ ﷺ جميعَ ما فيها، زاعمًا أن ذلك لا يتنافى مع عِصمته، بل هو تأديبٌ له! - في كلامٍ له طويلٍ يُغني وضوحُ بطلانِه عن إيرادِه وتسويدِ الصفحاتِ لردِّه -، وقد نَقَله الآلوسيُّ بِرُمَّته، ثم ردَّ عليه في كلامٍ متين، ولولا أن هذه العُجالةَ لم توضَعْ لهذه الغاية، لَسُقْتُه بتمامِه، فأقتصِرُ من ذلك على قولِه في خاتمة بحثه: «لكنَّ إثباتَ صحَّةِ الخبر أشدُّ مِن خَرْطِ القَتاد، فإنَّ الطاعنِين فيه من حيثُ النقلُ علماءُ أجلاَّء، عارِفون بالغثِّ والسَّمين من الأخبار، وقد بَذَلوا الوُسعَ في تحقيقِ الحقِّ فيه، فلم يَروُوهُ إلاَّ مردودًا، وهم أكثرُ ممن قال بقَبوله، ومنهم مَن هو أعلمُ منه، ويَغلبُ على الظنِّ أنهم وَقفوا على رُواته في سائرِ الطرُق، فرأَوهم مجروحين، وفات ذلك القائلَ بالقَبول[1]، ولَعَمْري إنَّ القولَ بأنَّ هذا الخبرَ مما ألقاه الشيطانُ على بعضِ ألسنةِ الرواة، ثم وَفَّق اللَّه تعالى جَمْعًا مِن خاصتَّه لإبطاله، أهونُ من القولِ بأن حديثَ الغرانيق مما ألقاه الشيطانُ على لسانِ رسولِ اللَّه ﷺ ثم نَسَخَهُ سبحانه وتعالى، ولا سيَّما وهو ممَّا لم يَتوقف على صحتَّه أمرٌ ديني، ولا معنَى آية، ولا سِوى أنها يتوقَّفُ عليها حصولُ شُبَهٍ في قلوبِ كثيرٍ من ضعفاءِ المؤمنين لا تكاد تُدفعُ إلاَّ بجَهدٍ جَهيد»[2].

---

(١) قلت: هذا فيه بعدٌ، لا سيما بالنسبةِ للحافظ ابن حجر، فلو كان هناك جَرح فلا يخفى عليه، والحقُّ أن الحافظ جَرَى على بعضِ القواعد الحديثية، فهو أعذر ممن خالَفها ولم يُجِب عنها، وقد أجبنا نحن فيما سبق، فالأقربُ أن يقال: إنهم وَقفوا على عِلَّةٍ وهي «الإرسالُ» حسبما فصَّلنا في سائر الطرق، ولكن لم يَرَها علَّةً فادحةً القائلُ بالقبول.

(٢) «نصب المجانيق» (ص٤٨-٦٨) باختصار.

◻ ومِمَّن تكلَّم في بُطلانِ هذه القِصَّة:

ـ محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبدالله القُرطبي في «أحكام القرآن» (١٢/ ٨٠ ـ ٨٤).

ـ محمد بن يوسف بن علي الكِرْماني من شرَّاح «البخاري» (٧٨٦هـ)، وقد نَقَل كلامَه في ذلك الحافظُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٨).

ـ محمودُ بنُ أحمد بدر الدين العَيْني (٨٥٥هـ) في «عمدة القاري» (٩/ ٤٧).

ـ محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني (١٢٥٠هـ) في «فتح القدير» (٣/ ٢٤٧ـ٢٤٨).

ـ السيد محمود أبو الفضل شِهاب الدين الآلوسي (١٢٧٠هـ) في «روح المعاني» (١٧/ ١٦٠ـ١٦٩).

ـ صِدِّيق حسن خان أبو الطيب (١٣٠٧هـ) في تفسيره «فتح البيان».

ـ محمد عبده المصري الأستاذ الإمام (١٣٢٣هـ) في رسالة خاصة له في هذه القصة[1].

◻ وقال الشَّيخُ العَلاَّمةُ أَحمد شاكِر ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ في تَعْليقِه علىٰ «سُنَن التِّرمذيِّ» (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥): «وهِيَ قِصَّةٌ باطلةٌ مَردودَةٌ؛ كما قالَ القَاضي عِياضٌ والنَّوَوِيُّ ـ رحمَهُما اللَّه ـ، وقد جاءَتْ بأَسانيدَ باطلةٍ؛ ضعيفةٍ، أَو مرسلةٍ، ليس لها إسنادٌ مُتَّصِلٌ صحيحٌ.

(١) في «أثارات في مشكلات» (ص١٢٩ ـ ١٤٤) المطبوع مع «تفسير سورة الفاتحة» لتلميذه محمد رشيد رضا.

* **قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[١] ـ رحمه الله ـ:**

قالَ في «رحلةِ الحَجِّ إلىٰ بيتِ اللَّهِ الحَرامِ» (١٢٨ ـ ١٣٥) ما نصُّهُ:

«والعُلماءُ مختلِفونَ في أَصلِ قصةِ الغَرانيقِ؛ هلْ هِيَ باطلَةٌ أَو ثابِتَةٌ؟!.

فعلىٰ القولِ ببطلانِها؛ فالأمرُ واضحٌ.

وعَلىٰ القولِ بثُبوتِها؛ فمعنىٰ إلقاء الشَّيطانِ على لِسانِ النبيِّ ﷺ أَنَّه ﷺ كانَ يقرأُ القُرآنَ؛ يرتِّلُه تَرْتيلاً تتخلَّلُهُ سكَتاتٌ، فراقَبَ الشَّيطانُ بعضَ سكَتاتِ النبيِّ ﷺ، ثمَّ حاكىٰ قِراءَتَهُ ﷺ بقولِه ـ عليه لعنةُ اللَّهِ ـ: «تلك الغَرانيقُ العُلاَ. وإنَّ شفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجىٰ»! فظنَّ المُشْرِكونَ صوتَ الشَّيطانِ صوتَ النبيِّ ﷺ.

وهذا الجوابُ عن قصةِ الغَرانيقِ ـ على القولِ بثُبوتِها ـ هو أَحسنُ الأجوبَةِ عنها، وارْتَضاهُ جَمْعٌ مِن المُحقِّقينَ مِن أَجوبَةٍ كثيرةٍ.

وحُجَّةُ القائلِ بأَنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ باطلةٌ: اضطِرابُ رواتِها، وانقِطاعُ سَنَدِها، واختلافُ أَلفاظِها:

فبعْضُهُم يقولُ: إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ في الصَّلاةِ!.

وبعضُهُم يقولُ: قَرَأَها وهُو في نادي قَوْمِه!.

وآخَرُ يقولُ: قَرَأَها وقد أَصابَتْهُ سِنَةٌ!.

وآخَرُ يقولُ: بل حَدَّثَ نَفْسَهُ، فَجرىٰ ذلك علىٰ لِسانِه!.

وآخَرُ يقولُ: إنَّ الشَّيطانَ قالَها على لِسانِ النبيِّ ﷺ، وإنَّ النبيَّ لمّا

---

(١) وله ـ رحمه الله ـ في «أضواء البيان» بحث مختصر فيها.

عَرَضَها علىٰ جبريلَ قالَ: ما هكذا أَقْرأتك!.

إلىٰ غيرِ ذلك مِن اختلافِ ألفاظِها.

● والذي جاءَ في «الصحيح» مِن حديثِ عبدِاللَّهِ بنِ مسعودٍ ﷺ: «أَنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ: ﴿والنَّجْمِ..﴾، فسَجَدَ فيها، وسَجَدَ مَن كانَ معَهُ؛ غيرَ أَنَّ شيخًا من قُرَيْشٍ أَخَذَ كَفًّا مِن حَصًىٰ أو تُرابٍ، فرَفَعَهُ إلىٰ جَبْهَتِهِ، فسجدَ عليهِ».

قالَ عبدُاللَّهِ: «فلَقَدْ رأَيْتُهُ -بعدُ- قُتِلَ كافِرًا».

أَخرَجَهُ الشَّيخانِ في «صحيحَيْهما».

● وصحَّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ بـ ﴿النَّجْمِ﴾، وسَجَدَ معهُ المُسلمونَ والمُشْرِكونَ والجِنُّ والإنسُ.

رواهُ البخاريُّ -رحمه اللَّهُ-.

فهذا الذي جاءَ في «الصحيحِ» لم يُذْكَرْ فيهِ أَنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَرَ الغَرانيقَ، ولا شَفاعَتَها، ولا شَيْئًا مِن تلكَ القِصَّةِ.

والذي ذَكَرَهُ المُفَسِّرونَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ في هذه القصَّةِ إنَّما هُو مِن طَريقِ الكَلْبيِّ عن أَبي صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ ﷺ.

والكَلْبيُّ؛ ضعيفٌ جدًّا، بل متروكٌ.

ولذا قالَ ابنُ العَرَبيِّ المالكيُّ: «إنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ باطِلَةٌ لا أَصْلَ لها».

❑ وقالَ القاضي عِياضٌ: «إنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ لم يُخرِجْها أحدٌ مِن أَهْلِ الصِّحَّةِ، ولا رواها ثقةٌ بسَنَدٍ سليمٍ مُتَّصِلٍ، معَ ضَعْفِ نَقَلَتِها، واضْطِرابِ

رواياتها، وانقطاعِ إسنادِها».

وذَكَرَ أنَّ مَنْ حُمِلَتْ عنهُ مِن التَّابِعِينَ والمُفَسِّرين لم يُسْنِدْها أَحَدٌ منهُم، ولا رَفَعَها إلى صاحِبٍ.

وأَكثَرُ الطُّرُقِ عنهُم في ذلكَ ضعيفةٌ واهِيَةٌ.

قالَ: «وقد بَيَّنَ البَزَّارُ أنَّها لا تُعْرَفُ مِن طريقٍ يجوزُ ذِكْرُه إلا طريقَ أبي بِشْرٍ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ﷺ مع الشَّكِّ الذي وَقَعَ في أَصْلِه».

قالَ مُقَيِّدُهُ ـ عفا اللّهُ عنهُ ـ: «وقد اعْتَرَفَ الحافظُ ابنُ حَجرٍ العَسقَلانيُّ ـ رحمه اللّه ـ معَ انْتِصارِهِ لثُبوتِ هذه القصَّةِ بأَنَّ طُرُقَها كُلَّها إمَّا مُنقطِعَةٌ أَو ضعيفةٌ؛ إلاَّ طريقَ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ.

وإذا عَلِمتَ أنَّ طُرُقَها كُلَّها لا يُعَوَّلُ عليها إلاَّ طريقَ سعيدِ بنِ جُبيرٍ، فاعْلَمْ أنَّ طريقَ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ لم يَرْوِها بها أَحَدٌ مُتَّصِلَةً؛ إلاَّ أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ.

وهُو وإنْ كانَ ثقةً؛ فقدْ شَكَّ في وَصْلِها.

فقدْ أَخْرَجَ البَزَّارُ، وابنُ مَرْدَوَيْهِ؛ مِن طريقِ أُمَيَّةَ بنِ خالدٍ عن شُعْبَةَ عن أَبي بِشْرٍ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ.

فقالَ أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ في إسـنادِهِ هذا: عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ فيما أَحسبُ ـ.

ثم ساقَ حَديثَ القصَّةِ المذكورَةِ.

وقالَ البزَّارُ: «لا يُرْوَىٰ مُتَّصِلاً إلاَّ بهذا الإسنادِ، تفرَّدَ بوصْلِهِ أُمَيَّةُ ابنُ خالدٍ، وهو ثقةٌ مشهورٌ».

وقالَ ـ أَعني البَزَّارَ ـ: «وإنَّما يُرْوَىٰ مِن طريقِ الكَلْبِيِّ عن أَبي صالحٍ

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما».

والكَلْبيُّ متروكٌ.

فتحَصَّلَ مِمَّا ذَكَرْنا أَنَّ قصةَ الغَرانيقِ التي لم تَثْبُتْ مِن طريقٍ مُتَّصِلَةٍ يجوزُ ذِكْرُها إلاَّ هذا الطَّريقَ الذي شَكَّ راويه - وهو أُمَيَّةُ بنُ خالِدٍ - في الوَصْلِ.

ومَا لَمْ يَثْبُتْ إلاَّ مِن طريقٍ شَكَّ صاحِبُهُ في الوَصْلِ؛ فضَعْفُهُ ظاهِرٌ.

◻ ولذا قالَ الحافِظُ ابنُ كَثيرٍ في «تفسيرِهِ» في قِصَّةِ الغَرانِيقِ: «إنَّهُ لمْ يَرَها مُسْنَدَةً مِن وجْهٍ صحيحٍ، واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ».

◻ وقالَ البيهَقِيُّ فيها: «إنَّها غيرُ ثابتةٍ مِن جهةِ النَّقْلِ».

وذَكَرَ الرَّازيُّ في «تفسيرِهِ» أنَّها باطِلَةٌ.

◻ قالَ مُقَيِّدُهُ - عفا اللَّه عنه -: «إنَّ القولَ بعَدَمِ صَحَّتِها لهُ شاهِدٌ مِن القرآنِ العظيمِ في سورةِ «النَّجْمِ»، وشَهادَتُهُ لِعَدَمِ صِحَّتِها واضِحَةٌ: وهو أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] الذي يقولُ القائِلُ بصحَّةِ القصَّةِ أنَّ الشَّيطانَ أَلقى بعدَهُ ما أَلقى؛ قَرَأَ النبيُّ ﷺ بَعْدُ في تلكَ اللحْظَةِ في الكَلماتِ التي تليهِ مِن سورةِ «النَّجْمِ» قولَهُ تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

فهذا يَتضَمَّنُ مُنْتَهى ذَمِّ الغَرانِيقِ التي هِيَ كِنايةٌ عنِ الأصْنامِ، إذْ لا ذَمَّ أَعْظَمُ مِن جَعْلِها أَسماءً بِلا مُسَمَّياتٍ، وجَعْلِها باطِلاً ما أَنْزَلَ اللَّهُ بهِ مِن سَلْطانٍ!!.

* فلَوْ فَرَضْنا أَنَّ الشَّيطانَ أَلقى على لِسانِهِ ﷺ: «تلكَ الغَرانيقُ العُلا»؛ بعدَ قولِهِ: ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٢٠]، وفَرِحَ المُشْرِكونَ بأنَّهُ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بخَيْرٍ، ثمَّ قالَ النبيُّ في تلكَ اللحظَةِ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم: ٢٣]، وذَمَّ الأصنامَ بذلك غايَةَ الذَّمِّ، وأَبْطَلَ شفاعَتَها غايةَ الإبطالِ! فكَيْفَ يُعْقَلُ ـ بعدَ هذا ـ سجودُ المُشْرِكينَ، وسَبُّ أَصنامِهِم هو الأخيرُ، والعِبْرَةُ بالأخيرِ؟!.

* ويُسْتَأْنَسُ بقولِهِ أَيضًا ـ بعدَ ذلكَ بقَليلٍ في المَلائكَةِ ـ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]؛ لأنَّ إبطالَ شَفاعَةِ الملائكةِ ـ إلاَّ بإذنِ اللَّهِ ـ معلومٌ منهُ عندَ الكُفَّارِ بالأَحْرَوِيَّةِ إبطالُ شفاعَةِ الأصنامِ المزعُومَةِ.

▫ وقالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في «فتح الباري» في تفسيرِ سورةِ «الحَجِّ» ما يُفيدُ ثُبوتَ قِصَّةِ الغَرانِيقِ.

وذَكَرَ أَنَّها ثَبَتَتْ بثلاثَةِ أَسانيدَ؛ كُلُّها على شَرْطِ الصَّحيحِ، وهِيَ مَراسيلُ؛ يَحْتَجُّ بمِثْلِها مَن يَحتَجُّ بالمُرْسَلِ، وكذلكَ مَن لا يَحْتَجُّ بهِ؛ لاعتضادِ بعضِها ببَعْضٍ.

واحتَجَّ أيضًا بأَنَّ الطُّرُقَ إذا كثُرَتْ وتَبايَنَتْ مَخارِجُها؛ دَلَّ ذلكَ على أَنَّ لها أَصلاً.

ثُمَّ قالَ: «وإذا تَقَرَّرَ ذلك؛ تَعَيَّنَ تأويلُ ما وَقَعَ في القِصَّةِ ممَّا يُسْتَنْكَرُ، وهو قولُهُ: «أَلقى الشَّيطان على لِسانِهِ: تلكَ الغَرانِيقُ العُلاَ، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجى»، فإنَّ ذلك لا يجوزُ حَمْلُهُ على ظاهِرِهِ؛ لأنَّهُ يستَحيلُ عليهِ ﷺ أنْ

يَزيدَ في القرآنِ ما ليسَ منهُ عَمْداً، وكذا سَهْواً؛ إذا كانَ مُغايراً لِما جاءَ بهِ مِن التوحيدِ؛ لمكانِ عِصْمَتِه ﷺ».

ثمَّ أَخَذَ ـ أَعني الحافظَ ابنَ حَجَرٍ ـ في أَجوبةِ العُلَماءِ عنِ القِصَّةِ المذكورةِ ـ على تَقْديرِ ثُبوتِها ـ، وذَكَرَ أَجوبةً كثيرةً.

وقدْ قَدَّمْتُ أَنَّ أَحْسَنَها ما استَحْسَنَهُ كَثيرٌ مِن المُحَقِّقينَ مِن أَنَّ الشَّيطانَ هُو الذي قالَ: «تِلْكَ الغَرَانيقُ العُلا»، فظنَّ المُشْرِكونَ أَنَّها مِن كَلامِ نبيِّنا ﷺ، وحاشاهُ مِن ذلك.

ولذا اقتَصَرْتُ على هذا الجَوابِ، ولم أَذْكُرْ غيرَهُ.

* واللَّهُ تعالى في كتابِهِ العَزيزِ أَسْنَدَ هذا الإلقاءَ للشَّيطانِ، حيثُ قالَ: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، ونِسْبَتُهُ إيَّاهُ للشَّيطانِ تَدُلُّ على بَراءةِ جَنابِ النبيِّ ﷺ.

□ قال مُقيِّدُهُ ـ عفا اللَّهُ عنهُ ـ: اعْلَمْ أَنَّ براءَةَ ساحَةِ خاتَمِ الرُّسُلِ وأَشْرَفِهِم، وسيِّدِ ولَدِ آدَمَ بالإطلاقِ ـ عليهِ صلواتُ اللَّهِ وسَلامُهُ ـ ممَّا جاءَ في ظاهِرِ هذهِ القِصَّةِ، تدلُّ عليهِ البَراهينُ القاطعةُ، والأدلَّةُ لسَّاطِعَةُ؛ كما ستَراهُ.

وقولُ الشَّيطانِ: «تلكَ الغَرانيقُ العُلاَ» شِرْكٌ أَكبرُ صُراحٌ، وكُفْرٌ بَواحٌ، وهو ﷺ مَبعوثٌ لإخلاصِ العبادَةِ للَّهِ وحْدَهُ؛ ممَّا تَضمَّنَتْهُ كلمةُ: «لا إلهَ إلاَّ اللَّه»؛ كجميعِ إخوانِهِ من المُرْسَلينَ:

* قالَ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

* وقالَ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء: ٢٥].

* وقالَ تَعالىٰ: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [االزخرف: ٤٥].

فإخلاصُ العِبادَةِ للَّهِ وحدَهُ هُو دَعْوَةُ عامَّةِ الرُّسُلِ، وأشدُّهُم فيهِ احْتِياطًا خاتَمُهُم ﷺ.

ولذا مَنَعَ بعضَ الأمورِ التي كانَتْ مُباحَةً عندَهُم؛ احتياطًا في توحيدِ اللَّهِ في عبادَتِه جلَّ وعَلا، فالسجودُ لمخلوقٍ في شريعَتِهِ السَّمْحَةِ كُفْرٌ باللَّهِ تعالىٰ، معَ أَنَّهُ كانَ جائِزًا في شَرْعِ غيرِهِ مِن الرُّسُلِ ـ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، كما قالَ تعالىٰ عَنْ يَعقوبَ وأَوْلادِهِ في سُجودِهِمْ لِيوسُفَ: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولذلك أُمِرَ نَبِيُّنا ﷺ أَنْ يَقولَ للنَّاسِ: إنَّهُ ما أُوْحِيَ إليهِ إلاَّ توحيدُ اللَّهِ تعالىٰ في عِبادَتِهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الانبياء: ١٠٨].

وقد تقرَّرَ عندَ الأصوليِّينَ والبيانيِّينَ أَنَّ لفظَ «إنَّما» مِن أدواتِ الحَصْرِ، فدلَّتِ الآيَةُ علىٰ حَصْرِ الموحَىٰ إليهِ ﷺ في أَصلِهِ الأعظَمِ الذي هُو «لا إلهَ إلاَّ اللَّه»؛ لأنَّها دَعْوَةُ جميعِ الرُّسُلِ وغيرِها مِن شرائعِ الإسلامِ وفُروعِها التَّابعَةِ لها.

ولهذا صارَ مُكَذِّبُ رسولٍ واحِدٍ مُكَذِّبًا لجميعِ الرُّسُلِ؛ لأنَّ دَعْوَتَهُم واحِدَةٌ.

* قالَ تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ أَي: بتكذيبِهِمْ نُوحًا.

* ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]؛ أَي: بتكذيبِهِم هُودًا.

* ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]؛ أَي: بتكذيبِهِم صالِحًا.

* ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]؛ أَي: بتكذيبِهِم لُوطًا.

* ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]؛ أَي: بتكذيبِهِم شُعَيبًا.

فهذه الآياتُ تَدُلُّ علىٰ أَنَّ مكَذِّبَ رسولٍ واحدٍ مُكَذِّبٌ لجميعِ الرُّسُلِ، وذلك لاتِّحادِ دعْوَتِهِم، وهِيَ مَضْمونُ: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ».

* قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فإذا حَقَّقْتَ هذا؛ عَلِمْتَ أَنَّهُ ﷺ لا يَقولُ: «تلْكَ الغَرانيقُ العُلا، وإِنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجىٰ»؛ لِمَا في هذا الكلامِ مِن الشِّرْكِ الصُّراحِ، والكُفْرِ البَوَاحِ، المُضادِّ لما جَاءَ بِهِ جَميعُ الرُّسُلِ - عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ -.

ولا يَقْدِرُ الشَّيْطانُ أَنْ يُجْرِيَ ذلك علَىٰ لِسانِهِ ﷺ؛ لأنَّه ليس لهُ عليهِ مِن سُلْطانٍ، بشهادَةِ القُرْآنِ وبإقرارِ الشَّيْطانِ.

* قالَ جَلَّ وعَلا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

ومَعْلومٌ أَنَّ النبيَّ ﷺ مِن الذينَ آمَنوا وعَلىٰ ربِّهِمْ يَتوكَّلونَ، وأَنَّهُ ليس مِن الذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكونَ.

* قَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

ومَعْلومٌ أَنَّ النبيَّ ﷺ مِن عِبادِهِ الذينَ ليسَ للشَّيطَانِ عليهِمْ سُلْطانٌ، وأَنَّهُ لَيسَ مِن الغَاوينَ الذينَ اتَّبَعوهُ.

وأَقَرَّ الشَّيطانُ بأَنَّهُ لا سَبيلَ عَلىٰ مَنْ هُو دُونَهُ ﷺ وأَحْرَىٰ هُو ـ صَلَواتُ اللَّهِ عليهِ سلامُهُ ـ قالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣].

* وقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* وقَالَ تَعالىٰ في نبيِّنا ﷺ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦].

* وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

* وصَرَّحَ جَلَّ وعَلا بحِفْظِ القُرْآنِ مِن دَسائِسِ الشَّيطانِ؛ قالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

فقولُهُ تعالىٰ: ﴿لا يأتيهِ الْبَاطِلُ﴾؛ فِعْلٌ في سِياقِ النَّفْي، والفعلُ في سِياقِ النَّفْيِ مِن صِيَغِ العُمومِ؛ كالنَّكِرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ عندَ المُحقِّقينَ مِن عُلَماءِ الأصُولِ، ووَجْهُهُ ظاهِرٌ؛ لأنَّكَ إذا حَلَّلْتَ الفِعلَ انْحلَّ إلىٰ مَصْدَرٍ وزَمَنٍ؛ فهُو يدلُّ علىٰ نكرةٍ واقعةٍ في سِياقِ النَّفْي؛ لأنَّ نَفْيَ الفِعْلِ نفيٌ للمَصْدَرِ، الذي هُو جُزْءٌ مِن مَدْلولِهِ، فإذا قُلْنا: «لا يَقومُ زيدٌ»، عَمَّ النَّفْيُ أَفرادَ المَصْدَرِ، فكأنَّما قُلْنا: «لا قِيامَ لِزَيْدٍ».

◻ وقالَ أَبو حنِيفَةَ: «لا تَعْميمَ في الفِعْلِ بعدَ النَّفْيِ وَضْعًا، بل فيهِ تعميمٌ عقليٌّ؛ بدِلالَةِ الالتزامِ».

وما قَصَرَ بهِ الرازِيُّ في «محصولِهِ» مذْهَبَ أَبي حَنيفةَ في عَدَمِ عُمومِ الفِعْلِ في سِياقِ النفيِ لا يصحُّ التمسُّكُ به، فانْظُرْ تحقيقَهُ في «حاشيةِ العَبَّادِي علىٰ شَرْحِ المَحلِّي لجمعِ الجَوامعِ»؛ يظهرْ لكَ ما ذَكَرْنا.

فبهذا تَعْلَمُ أَنَّ قولَهُ تعالىٰ: ﴿لا يأتيهِ البَاطِلُ﴾ يَعُمُّ نَفْيَ كُلِّ باطلٍ يأتي القُرآنَ.

وقد أَكَّدَ هذا العُمومَ بقولِهِ: ﴿مِنْ بَيْنِ يدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾، فلوْ قَدَّرْنا أنَّ الشَّيطانَ أَدخلَ في القُرآنِ علىٰ لِسانِ النبيِّ ﷺ: «تلكَ الغَرانيقُ العُلا» ـ وحاشاهُ مِن ذلكَ ـ؛ لكانَ قدْ أَتىٰ القُرآنَ أَعْظَمُ باطلٍ مِن بينِ يدَيْهِ ومِن خلْفِه، فيكونُ تَصْريحًا بتكذيبِ اللَّهِ جَلَّ وعَلا في قولِهِ: ﴿لا يأتيهِ البَاطِلُ مِن بينِ يدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِه﴾.

ولا حُجَّةَ في أَنَّ اللَّه جَلَّ وعَلا نَسَخَ ما أَلقاهُ الشَّيطانُ في القُرْآنِ علىٰ لِسانِ النبيِّ ﷺ؛ كما قالَ: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢]؛

لأنَّ الباطِلَ إنْ أَتىٰ القُرآنَ أَوَّلاً ثُمَّ نُسِخَ، فنَسْخُهُ بعدَ إتيانِهِ لا يَرْفَعُ اسمَ الإتيانِ أَوَّلاً، وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ نصٌّ صَريحٌ في نَفْيِ إتيانِ الباطِلِ؛ كَما قَدَّمْنا.

* وقالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فهذه نصُوصٌ قُرآنِيَّةٌ قاطِعَةٌ تدلُّ على أَنَّ الشَّيطانَ لا سَبيلَ لهُ إلىٰ أَنْ يَحْمِلَ النبيَّ ﷺ على أَنْ يُدْخِلَ في القُرْآنِ العَظيمِ ما ليسَ منهُ مِن الكُفْرِ الصُّراحِ والشِّرْكِ الأكْبَرِ.

ولم يَبْقَ في الآيةِ الكريمَةِ المسؤولِ عنها إشكالٌ» اهـ.

◻ وقال الأستاذ سيد قطب[1]: «واللَّهُ الذي يَحْفَظُ دعوتَهُ مِن تكذيبِ المُكَذِّبِينَ، وتعطيلِ المُعوِّقينَ، ومُعاجَزَةِ المُعاجِزينَ؛ يحفَظُها كذلكَ مِن كَيْدِ الشَّيطانِ، ومِن مُحاولَتِه أَنْ يَنْفُذَ إليها مِن خِلالِ أُمْنِيَّاتِ الرُّسُلِ النابعةِ مِن طبيعَتِهِمُ البشريَّةِ، وهُم مَعْصومونَ مِن الشَّيطانِ، ولكنَّهُم بَشَرٌ، تمتَدُّ نفوسُهُم إلىٰ أَمانيَّ تتعلَّقُ بسرعَةِ نشْرِ دعوتِهِم، وانتِصارِها، وإزالَةِ العَقَباتِ مِن طريقِها، فيُحاوِلُ الشَّيطانُ أَنْ يَنْفُذَ مِن خلالِ أَمانِيِّهِم هذه، فيُحَوِّلُ الدعوةَ عنْ أُصولِها وعن مَوازينِها.. فيُبْطِلُ اللَّهُ كيدَ الشَّيطانِ، ويَصونُ دعوتَهُ، ويُبَيِّنُ للرُّسُلِ أُصولَها وموازينَها، فيُحْكِمُ آياتِه، ويُزيلُ كُلَّ شُبْهَةٍ في قِيَمِ الدَّعْوةِ ووسائلِها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ

---

(١) «الظلال» (٥/ ٦١١ ـ ٦١٤).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٤].

لقد رُوِيَتْ في سَبَبِ نُزولِ هذه الآياتِ رواياتٌ كَثيرةٌ ذَكَرَها كثيرٌ مِن المُفَسِّرينَ.

◻ قالَ ابنُ كَثيرٍ في «تفسيرِهِ»: «ولكنَّها مِن طُرُقٍ كُلُّها مُرْسَلَةٌ، ولم أَرَها مُسنَدَةً مِن وجهٍ صَحيحٍ، واللَّه أَعلمُ».

◻ ثُمَّ قالَ بعدَ أَنْ سَاقَ شَيئًا مِن الرِّواياتِ بألفاظِها: «هذه خُلاصَةُ تلكَ الرِّواياتِ في هذا الحَديثِ الذي عُرِفَ بحديثِ الغَرانيقِ.. وهُو مِن ناحيَةِ السَّنَدِ واهي الأصْلِ».

◻ قالَ عُلَماءُ الحَديثِ: «إنَّهُ لم يُخرِجْهُ أَحدٌ مِن أَهلِ الصحَّةِ، ولا رواهُ بسندٍ سَليمٍ مُتَّصلٍ ثقةٌ».

◻ وقالَ أَبو بكرٍ البزَّارُ: «هذا الحَديثُ لا نعلَمُهُ يُرْوىٰ عَنِ النبيِّ ﷺ بإسنادٍ مُتَّصلٍ يجوزُ ذِكْرُهُ».

وهُو مِن ناحيةِ موضوعِهِ يُصادِمُ أَصلاً مِن أُصولِ العقيدَةِ، وهُو عِصْمَةُ النبيِّ ﷺ مِن أَنْ يَدُسَّ عليهِ الشَّيطانُ شيئًا في تَبليغِ رِسالَتِهِ.

وقد أُولِعَ المُسْتَشْرِقونَ والطَّاعِنونَ في هذا الدِّينِ بذلك الحَديثِ، وأَذاعوا بهِ، وأَثاروا حَولَهُ عَجاجَةً مِن القولِ، والأمرُ في هذا كُلِّهِ لا يَثْبُتُ للمُناقَشَةِ، بل لا يَصحُّ أَنْ يكونَ موضوعًا للمُناقَشَةِ.

وهناكَ مِن النَّصِّ ذاتِه ما يُستبعَدُ معهُ أَنْ يكونَ سببُ نزولِ الآيةِ شيئًا كهذا، وأَنْ يكونَ مدلولُهُ حادثًا مُفْرَدًا وقعَ للرَّسولِ ﷺ.

فالنَّصُّ يُقَرِّرُ أَنَّ هذه قاعِدةٌ عامَّةٌ في الرِّسالاتِ كُلِّها، مع الرُّسُلِ كلِّهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ..﴾.

فلابُدَّ أَنْ يكونَ المقصودُ أَمرًا عامًّا، يستَنِدُ إلى صِفَةٍ في الفِطْرَةِ مشتَرَكَةٍ بينَ الرُّسُلِ جَميعًا بوصْفِهِم مِن البَشَرِ، مِمَّا لا يُخالِفُ العِصْمَةَ المقرَّرَةَ للرُّسُلِ».

* صدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكَذَب سلمان رشدي الدجَّالُ المرتدُّ الجَهول، وصلى اللَّه وسلم على سيِّد البشر وأفضلِ رسول.. ما ضَرَّه ما قال عنه الغبيُّ القِزمُ الجهول:

ما يَضُرُّ البحـــرَ أمسى زاخرًا   أنْ رَمَى فيه غلامٌ بحَجَـــرْ

* * *



فهرس الموضوعات

فهرس المجلد الثاني